# تغيير وجه العالم

## التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية

# TRANSFORMING THE WORLD

## GLOBAL POLITICAL HISTORY

Keith Robbins



Hamad Khalifa

# تغيير وجه العالم

## التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية

## حقوق الطبعة الإنجليزية

English Edition Copyrights

palgrave
macmillan

First published 2013 by Palgrave Macmillan

## حقوق الطبعة العربية

عنوان الكتاب: تغيير وجه العالم: التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية

تأليف: Keith Robbins

ترجمة: هبه حاتم

الطبعة الأولى

سنة النشر: 2018

الناشر: المجموعة العربية للتدريب والنشر



8 أ شارع أحمد فخري - مدينة نصر -
القاهرة - مصر

Arab group

تليفون: 23490242 (00202)
فاكس: 23490419 (00202)
الموقع الإلكتروني www.arabgroup.net.eg
E-mail: info@arabgroup.net.eg
E-mail: elarabgroup@yahoo.com



كيث، روبنز
تغيير وجه العالم: التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية/
تأليف: Roger Griffin، ترجمة هبة غانم - القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2017 - ط1
582 ص: 24x17 سم.
الترقيم الدولي: 978-977-722-088-0
1- العالم – الأحوال السياسية
أ – حاتم، هبة (مترجم)
ب- العنوان
ديوي: 320,909
رقم الإيداع: 2016/10198




## تنويه هام:

إن مادة هذا الكتاب والأفكار المطروحة به تعبر فقط عن رأي المؤلف - ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر الذي لا يتحمل أي مسئولية قانونية فيما يخص محتوى الكتاب أو عدم وفائه باحتياجات القارئ أو أي نتائج مترتبة على قراءة أو استخدام هذا الكتاب.




"تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة
صندوق منحة معرض الشارقة الدولي للكتاب
للترجمة والحقوق"

# تغيير وجه العالم

## التاريخ السياسى العالمى
## منذ الحرب العالمية الثانية


تأليف

Keith Robbins

ترجمة

هبه حاتم



الناشر

المجموعة العربية للتدريب والنشر




2018

إلى

إلى إيدجار وجبرائيل، وهاري، وهيثر، وهوف، وجاك، وجوزيف، ولوك، ومولي، وتوم

# المحتويات

# شكر وتقدير

يعتمد أي عمل تأليفي على ما كتبه الآخرون ممن لديهم خبرة أكبر في مجالات محددة أكثر من هذا المؤلف. ولا يمكن التقدم بالشكر والتقدير عن هذا إلا في الفهارس وملحوظات المراجع ذات الحجم الكبير. ويشير الدليل القصير إلى المراجع المضمن في كل قسم من الكتاب إلى مجموعة ثرية من المراجع المفتوحة لطلبة التاريخ العالمي. فهو يفتح أمامهم آفاقًا أرحب من المواد التي بنى عليها المؤلف مع بالغ الامتنان لكاتبيها.

كما ساعد المحررون في بالجراف مامكملين: كييت هاينز وجينا ستيفينتون، في تشكيل هذا الكتاب عبر مراحل تطوره العديدة، بما حقق فائدة عظيمة. دبليو.إم سبيلمان وجون فيشر، من جانبي الأطلسي حيث يقيمان، قدما أيضًا ملاحظات كانت محل مساعدة. وبالطبع يتحمل المؤلف المسؤولية عن الصورة النهائية.

كما كانت "كتابة التاريخ" جارًا لصيقًا لجانيت لما يقرب من نصف قرن. وأنا ممتن بشدة لحبها وعطفها. وقد أهديت هذا الكتاب لأحفادنا آملاً أن يساعدهم هذا الكتاب في المسار الصحيح وغيرهم من أطفال القرن الحادي والعشرين في فهم العالم الذي ورثوه.

# قائمة الخرائط

# تسلسل زمني مختار
# لحظات هامة في السياسة والعلاقات الدولية
# 1937 - 2012

---

**1937** اندلاع الحرب بين الصين واليابان: قوات يابانية تحتل تيانجين وبكين: نانجينج.

**1938** قوات يابانية تسيطر على معظم الصين، باستثناء ستشوان: شيانج كاي شيك يوطد لنفسه في تشنج كينج.

**1939** ألمانيا تغزو تشيكوسلوفيكيا: إيطاليا تغزو ألبانيا: ميثاق نازي-سوفيتي: ألمانيا (والاتحاد السوفيتي) تغزوان بولندا والانقسام: بريطانيا وفرنسا تعلنان الحرب على ألمانيا: الولايات المتحدة تعلن التزام الحياد في الحرب الأوروبية: الاتحاد السوفيتي يحتل لاتافيا، ليتوانيا، وإيستونيا، وتغزو فنلندا.

**1940** فنلندا تستسلم للاتحاد السوفيتي: ألمانيا تغزو الدنمارك والنرويج، ثم البلدان المنخفضة وفرنسا: إيطاليا تعلن الحرب: فرنسا توقع هدنة: معركة بريطانيا: ميثاق ثلاثي بين ألمانيا وإيطاليا واليابان انضم له لاحقًا هنغاريا ورومانيا وسلوفاكيا: معارك بريطانية-إيطالية في شمال/ شمال-شرق إفريقيا.

**1941** قانون الإعارة والتأجير الأمريكي يساعد الحلفاء: ألمانيا تغزو يوغوسلافيا واليونان: اليابان والاتحاد السوفيتي يوقعان ميثاق عدم اعتداء: ألمانيا تغزو الاتحاد السوفيتي: اتفاقية بريطانية-سوفيتية بالمساعدة المشتركة: روزفلت وتشرشل يوقعان "ميثاق الأطلسي": بريطانيا والاتحاد السوفيتي تحتلان إيران: اليابان تهاجم ميناء بيريل، والفلبين، وهونج كونج، ومالايا وبورما: ألمانيا وإيطاليا تعلنان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية: توقف الحملة الألمانية شمال موسكو.

**1942** يانغون وسنغافورة تسقطان في يد اليابان: بعثة بريطانية تعرض استقلال الهند بعد الحرب-غاندي يدشن حركة "تحرير الهند": معركة ميدواي- نجاح أمريكي في حرب المحيط الهادئ: قوات ألمانية-إيطالية تلحق الهزيمة بالجيش الثامن البريطاني: قوات بريطانية-أمريكية تهبط في شمال إفريقيا الواقع تحت السيطرة الفرنسية: هجوم سوفيتي مضاد في ستالينجراد.

**1943** روزفيلت وتشرشل في كازابلانكا يعلنان "استسلام غير مشروط" كما كان هدف الحلفاء: ألمانيا تستلم في ستالينجراد: قوى المحور تستلم في شمال أفريقيا: الحلفاء يغزون صقلية، خلع موسيليني والاستسلام الإيطالي: الحلفاء في إيطاليا يصيغون أمر جنوب-شرق آسيا: ألمانيا، بعد توليها الدفاع عن إيطاليا، تنقذ موسيليني: إيطاليا تعلن الحرب على ألمانيا: انعقاد مؤتمر شرق آسيا الأكبر في طوكيو: انعقاد مؤتمرات الحلفاء في القاهرة وطهران.

**1944** هبوط قوات الحلفاء في نورماندي: تحرير روما: رد الغزو الياباني للهند: تحرير باريس ثم بروكسل: الحملة الألمانية في أردين.

**1945** قوات أمريكية تحط رحالها في الفلبين: مؤتمر يالطا لقادة الحلفاء: موت روزفيلت وموسيليني وهتلر: قوات الحلفاء تدخل فيينا وبعدها براغ: صياغة هيكل الأمم المتحدة: استسلام ألمانيا: تحرير أوشفيتز: غزو بريطانيا لبورما: مؤتمر بوتسدام: الولايات المتحدة الأمريكية تسقط قنابل نووية على هيروشيما وناجازاكي: الاتحاد السوفيتي يعلن الحرب على اليابان: اندلاع القتال بين الشيوعيين والاشتراكيين في الصين- إخفاق وساطة الجنرال مارشال: هولندا ترفض استقلال إندونيسيا: اليابان تستسلم: فرنسا ترفض استقلال فيتنام، الذي دعا إليه هو تشي مينه: تأسيس جامعة الدول العربية: بدأ محكمة جرائم الحرب لنورنبورغ: المؤتمر القومي الأفريقي، مانشستر.

**1946** خطاب "الستار الحديدي" لتشرشل: الحرب الأهلية في الصين (وما تلاها): استقلال الفلبين وإمارة شرق الأردن (باعتبارها أردنية): الحرب المضادة

للفرنسيين في الصين الهندية (وما تلاها): تحديد نيويورك لتكون المقر الدائم للأمم المتحدة.

**1947** مارشال (الولايات المتحدة الأمريكية) يقترح "خطته": الصراع الهولندي- القومي في أندونيسيا: البريطانيون يغادرون شبه القارة الهندية المقسمة- الهند وباكستان: تأسيس الكومنفورم: الحرب الأهلية في اليونان تسفر عن "مذهب ترومان": توقيع اتفاقية الجات.

**1948** اغتيال غاندي: الكتلة السوفيتية تدين نظام تيتو في يوغوسلافيا: بدأ مشروع مارشال لإعادة بناء أوروبا: الشيوعية تتولى زمام الأمور في تشيكوسلوفاكيا: بريطانيا تغادر فلسطين، إسرائيل تعلن الاستقلال، وغزو الجيوش العربية: استقلال بورما وسيلون: مالايا تعلن "حالات الطوارئ": حصار برلين: الحزب القومي-بعد فوزه في الانتخابات- يؤسس للأبهارتيد: انتخاب ترومان رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية: تشكيل منظمة الولايات الأمريكية.

**1949** القنبلة النووية السوفيتية: تشكيل جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية: استقلال إندونيسيا: إعلان جمهورية الصين الشعبية (انسحاب القوميين إلى تايوان): توقيع اتفاقية الناتو: تشكيل مجلس التعاون الاقتصادي المشترك.

**1950** الحرب الكورية، تدخل الأمم المتحدة (بقيادة أمريكية): قوات صينية تنضم إلى الحرب: انتهاء الاحتلال الأمريكي لليابان: الصين تحتل التبت: بريطانيا تعترف بالصين الشيوعية: ميثاق صيني-سوفيتي مدته 30 عامًا.

**1951** استقلال ليبيا: مصدق يتولى رئاسة وزراء إيران: توقيع اتفاقية سلام يابانية.

**1952** الإطاحة بالملكية في مصر: تمرد ماو ماو في كينيا: انتخاب أيزنهاور رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية: بريطانيا تختبر قنابل نووية: قنبلة هيدروجينية أمريكية: الجماعة الأوربية للفحم والصلب: بريطانيا تقترح تأسيس اتحاد أفريقي مركزي: اليونان وتركيا تنضمان إلى الناتو.

**1953** موت ستالين: بدأ الاتحاد الأفريقي المركزي: سجن كينياتا (كينيا): هدنة كورية: الإطاحة بمصدق في إيران: اختبار قنبلة هيدروجينية سوفيتية: انتفاضة برلين الشرقية: خروتشوف يتولى الأمانة العامة للحزب الشيوعي: أيزنهاور يلقي خطاب "الذرة من أجل السلام".

**1954** حصار ديان بيان فو (فيتنام) يؤدي إلى استسلام فرنسي مشروط: مؤتمر جينيف حول الصين الهندية- استقلال الفيتنامين:كامبوديا ولاوس: اتفاقية دفاع أمريكية-يابانية: الولايات المتحدة الأمريكية تضمن أمن تايوان: بدأ الحرب في الجزائر: ميثاق مانيلا-تشكيل منظمة معاهدة شمال-شرق آسيا: المحكمة العليا في الولايات المتحدة تقضي بأن التعليم المفصول غير دستوري: جلسة استماع ماكارثي في الولايات المتحدة الأمريكية: الإطاحة بيرون.

**1955** ألمانيا الاتحادية تنضم إلى الناو: تشكيل ميثاق مارسو: قمة الشرق-الغرب في جنيف: اتفاقية الدولة تنهي احتلال النمسا: حلف بغداد-منظمة الاتفاقية المركزية: حالة طوارئ في قبرص.

**1956** استقلال السودان وتونس والمغرب: خطاب خروتشوف "السري": أزمة السويس: باكستان تصبح جمهورية إسلامية: اندلاع الثورة في هنغاريا: الأزمة البولندية: كاسترو يدشن الثورة الكوبية: حل الكومنفورم.

**1957** مستعمرة جولد كوست تستقل باعتبارها "غانا" (نكروما يتولى رئاسة الوزراء): مالايا تعلن استقلالها: اتفاقية روما تؤسس الجماعة الاقتصادية الأوروبية: مذهب "آيزنهاور".

**1958** اتحاد جزر الهند الغربية (تم حله عام 1961): تشكيل الجمهورية العربية المصرية السورية المتحدة (انسحاب سوريا عام 1961)؛ القفزة العظيمة للأمام (الصين)؛ الإطاحة بالملكية في العراق: أزمة الدولة الفرنسية (والإمبراطورية)-الجمهورية الخامسة بقيادة ديجول: أزمة أخرى بشأن برلين: قوات أمريكية تغزو لبنان.

**1959** كاسترو يؤسس النظام الكوبي: تشكيل مؤسسة التجارة الحرة الأوربية: استقلال قبرص: قمع انتفاضة التبت: الديمقراطية الموجهة في إندونيسيا.

**1960** بدأ الأزمة الكونغولية: ماكميلان في أفريقيا: مذبحة شاربفيل (جنوب أفريقيا): قنبلة فرنسية نووية: حظر أمريكيا ومساعدات سوفيتية (كوبا): توتر في العلاقات السوفيتية-الصينية: تنظيم جبهة التحرير الوطني تنظم صفوفها جنوب فيتنام: معاهدة أمنية جديدة بين اليابان-الولايات المتحدة: انهيار قمة باريس: استقلال نيجريا: الإطاحة بسنغ مان في كوريا الجنوبية: انتخاب كيندي رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية.

**1961** استمرار الأزمة الكنغولية- وفاة همرشولد: الأمم المتحدة تدين الأبهرتايد: جنوب إفريقيا تنسحب من الكومونويلث: خروج الانقسام الصيني-السوفيتي إلى العيان: جدار برلين: استقلال نتجانيقا: إخفاق غزو "خليج الخنازير" (كوبا).

**1962** استقلال الجزائر وأوغندا ورواندا وبوروندي: اشتباكات صينية-هندية على حدود الهيمالايا: بدأ مجلس الفاتيكان الثاني في روما: أزمة الصواريخ الكوبية.

**1963** هزيمة كاتانغا الانفصالية وانفراج أزمة الكونجو: استقلال كينيا: محاكمة مانديلا (جنوب إفريقيا): توسع مالايا لتصبح ماليزيا: اغتيال كندي-وليندون جونسون يخلفه: حل الاتحاد الإفريقي المركزي: اغتيال نغو دينه ديم في شمال فيتنام: تشكيل منظمة الوحدة الأفريقية: إخفاق المحاولة البريطانية في الدخول إلى الجماعة الأوربية الاقتصادية: معاهدة حظر التجارب (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، الاتحاد السوفيتي).

**1964** استقلال مالاوي وزامبيا: قنبلة نووية صينية: موبوتو يستولي على السلطة في الكونغو: وفاة نهرو: عزل خروتشوف، وحل محله برجنيف وكوسيجين: قرار خليج تونكين: انقلاب عسكري في البرازيل: تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية.

**1965** استقلال سنغافورة وغيانا: أعمال شغب واتس: تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في جمهورية الدومينكيان: إعلان استقلال روديسيا من جانب واحد: تزايد التدخل الأمريكي في فيتنام: مجزرة إندونيسيا: الحرب الهندية-الباكستانية: خلع بن بله (الجزائر).

**1966** ثورة ثقافية في الصين: انقلاب وانقلاب مضاد في نيجريا: إنديرا غاندي رئيسًا لوزراء الهند: سوهارتو يتولى السلطة في إندونيسيا: الإطاحة بنكروما في غانا: سحب القوات الفرنسية من أمر الناتو: اغتيال فيرورد، رئيس وزراء جنوب أفريقيا.

**1967** الحرب الأهلية النيجرية: حرب الأيام الستة في الشرق الأوسط: الجماعة الأوربية (انبثقت من اندماجات مؤسسية): بريطانيا تغادر عدن: أعمال شغب عنصري ومظاهرات مضادة للحرب في فيتنام (الولايات المتحدة الأمريكية): اغتيال تشي جيفارا: كومونة الصين الشعبية: تشكيل منظمة دول جنوب شرق آسيا: انقلاب عسكري في اليونان.

**1968** "ربيع براغ" وحلف وارسو في تشيكوسلوفيكيا: اغتيال مارتن لوثر كينج: حملة رأس السنة الفيتنامية جنوب فيتنام: إعلان بريطاني للانسحاب العسكري من شرق السويس: مظاهرات/ إضرابات في باريس وفي أماكن أخرى في أوروبا: انتخاب نيكسون رئيسًا لأمريكا.

**1969** استقال ديجول من رئاسة فرنسا: وفاة هو تشي منيح: معركة نهر أوسوري (السوفيت -الصين): عرفات يرأس منظمة التحرير الفلسطينية: القذافي يتولى زمام السلطة في ليبيا

**1970** انتهاء الحرب الأهلية النيجيرية: وفاة ناصر، وتولى السادات: تطبيع العلاقات بين ألمانيا الشرقية والغربية: الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام الجنوبية تغزوان كامبوديا: مجزرة ولاية كينت (الولايات المتحدة): أليندي يتولى رئاسة تشيلي: طرد منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن: اضطرابات في بولندا.

**1971** أمين يتولى زمام السلطة في أوغندا: الصين تستحوذ على مقعد تايوان في الأمم المتحدة: الحرب الأهلية الباكستانية-استقلال بنغلاديش: معاهدة الشرق-الغرب حول الوصول إلى غرب برلين: تشكيل الإمارات العربية المتحدة: معاهدة صداقة سوفيتية-مصرية.

**1972** نيكسون ومن بعده تاناكا يزوران الصين: "الأحد الدامي" شمالي أيرلندا: معاهدة الحد الإستراتيجي من الأسلحة (الولايات المتحدة-الاتحاد السوفيتي): فضيحة واتر جييت (الولايات المتحدة): السادات يطرد المستشارين السوفييت من مصر.

**1973** بريطانيا والدنمارك وآيرلندا تنضم إلى المجتمع الأوربي: حرب "يوم الغفران" (الشرق الأوسط): مصر وليبيا تعلنان الوحدة: الحصار العربي للنفط وأزمة النفط في عالم الصناعة: انتهاء مشاركة الولايات المتحدة في الصين الهندية: الإطاحة بالملكية الأفغانية: بينوشيه يطيح بنظام أليدي في تشيلي.

**1974** نيكسون يستقيل من رئاسة أمريكا، ويخلفه فورد: انقلاب عسكري في البرتغال: استقلال غينيا-بيساو: اختبارات نووية هندية: غزو تركي وتقسيم لقبرص بحكم الأمر الواقع: الإطاحة بهيلا سيلاسي (إيثوبيا) منع قانون الإرهاب (بريطانيا): الإطاحة بالحكم العسكري في اليونان.

**1975** إعادة توحيد فيتنام تحت حكم هانوي: الخمير الحمر يسيطرون على كامبوديا: الحرب الأهلية اللبنانية: مواثيق هلينكسي حول الأمن والتعاون في أوربا: احتلال إندونيسي لتيمور الشرقي: "حالة طوارئ" في الهند: استقلال بابوا غينيا الجديدة، وأنغولا، وموزنبيق: وفاة فرانكو.

**1976** ماو تسي تونغ وتشو ان لاي: اعتقال "عصابة الأربعة": انقلاب عسكري الأرجنتين: إضرابات في بولندا: السادات يلغي معاهدة 1971 مع الاتحاد السوفيتي: ترانسيكي "بانتوستان" في جنوب أفريقيا: انتخاب كارتر رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية.

**1977** السادات يزور إسرائيل: بيجين يزور مصر: قتال في القرن الإفريقي: محمد ضياء

الحق يتولى زمام السلطة في باكستان: رفع "حالة الطوارئ" في الهند–هزيمة الكونجرس انتخابيًا: "ميثاق 77" (تشيكوسلوفكيا): حل SEATO: تتويج إمبراطور بوكاسا (إفريقيا الوسطى).

**1978** اعتلاء دينج شياو بينج: انتخاب فويتيلا ليكون البابا يوحنا بولص الثاني: جنوب لبنان يتحول إلى ساحة معركة: انقلاب في أفغانستان: معاهدات كامب ديفيد والسلام الممكن في الشرق الأوسط: فيتنام تغزو كامبوديا: قتل مورو (إيطاليا): وفاة كينياتا.

**1979** الإطاحة بنظام الخمير الحمر: الاتحاد السوفيتي يغزو أفغانستان: الصين–الولايات المتحدة تؤسسان علاقات دبلوماسية: فرار شاه إيران وإعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية: معاهدة السلام الإسرائيلية–المصرية: صدام حسين يتولى رئاسة العراق: الثورة الساندينية في نيكارغوا: سقوط أمين في أوغندا بعد الغزو التنزاني: إعادة انتخاب غاندي رئيسًا لوزراء الهند: تاتشر تتولى رئاسة وزارة إنجلترا: إعدام بوتو في باكستان: إغارة صينية على فيتنام.

**1980** تشكيل مواثيق غدانسك/"التضامن" (بولندا): استقلال رودسيا باعتباره زمبابوي: انتخاب ريجان رئيسًا للولايات المتحدة: محاكمة عصابة الأربعة (الصين): إخفاض الاستفتاء على لانفصال الكيبيك عن كندا.

**1981** قانون عسكري (بولندا): اغتيال السادات وتولي مبارك (مصر): انضمام اليونان إلى الجماعة الأوروبية: حرب إندونيسية في تيمور الشرقية: ميتيران يتولى رئاسة فرنسا: جالتييري رئيسًا للأرجنتين: ماهتير يتولى رئاسة وزراء ماليزيا.

**1982** نزاع حول جزر فوكلاند/ مالفيناس: إسرائيل تغزو لبنان: إسرائيل تكمل إخلاء سيناء: وفاة بريجنيف: أسبانيا تنضم إلى الناتو: كول يتولى منصب مستشار ألمانيا الاتحادية.

**1983** ريجان يعلن برنامج "حرب النجوم": ألفونسين يستعيد الديمقراطية (الأرجنتين):

الغزو الأمريكي لجرينادا يبطل الانقلاب السابق: منظمة التحرير الفلسطينية تنقل مقرها إلى تونس.

**1984** استقلال بروناي: إضراب عمال المناجم البريطانيين: اتفاق بريطاني-صيني لإعادة هونج كونج إلى الصين في عام 1997: أعمال شغب في بونجاب-اغتيال غاندي: إعادة انتخاب ريجان رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية: اشتباكات التاميل-السنهال في سيريلانكا.

**1985** اعتلاء جورباتشوف-البريسترويكا وغلاسنوست: قوات من جنوب إفريقيا تنسحب من أنجولا: الولايات المتحدة الأمريكية تفرض عقوبات على نيكاراجوا: اتفاقية إنجليزية-بريطانية حول أيرلندا الشمالية: انقلابات في نيجريا، والسودان وأوغندا.

**1986** حالة طوارئ (جنوب أفريقيا): قمة ريكيافيك لريجان-جورباتشوف: البرتغال وإسبانيا تنضمان إلى الجماعة الأوربية: فضيحة إيران-كونترا: الإطاحة بدوفالييه (هاييتي): ماركوز يفر من الفلبين: كارثة تشرنوبيل النووية.

**1987** انتفاضة فلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي: دلهي تفرض الحكم المباشر على بونجاب: معاهدة لإزالة الصواريخ متوسط المدى (الولايات المتحدة-الاتحاد السوفيتي): محادثات صينية-سوفيتية بشأن الحدود: القانون الأوربي الموحد: خطة أرياس للسلامة في أمريكا الوسطى: انقلابات في فيجي: بن علي يتولى رئاسة تونس.

**1988** وقف إطلاق النار ينهي الحرب العراقية-الإيران: انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان: انتخاب جورج بوش رئيسًا لأمريكا: وفاة محمد ضياء الحق: أعمال شغب في بورما: اتفاقية سلام إيثوبية-صومالية: إضرابات في بولندا: إعادة انتخاب ميتران رئيسًا لفرنسا: أعمال شغب في القوقاز: عرفات يتحدث في الأمم المتحدة.

**1989** انتهاء ديكتاتورية سترويسنر التي أمدت مدة طويلة (باراغواي): مظاهرات ميدان السماء، بكين: قانون عسكري في التبت: دي كليرك رئيسًا لجنوب إفريقيا: العودة إلى الديمقراطية في تشيلي: انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية: بوش وجوربتشوف يعلنان نهاية الحرب الباردة: وفاة آية الله الخميني: منعم يتولى رئاسة الأرجنتين.

**1990** العراق يغزو الكويت: جمهوريات البلطيك للاتحاد السوفيتي تعلن الاستقلال: حرب أهلية في ليبريا: يوغوسلافيا في أزمة: إطلاق سراح مانديلا (جنوب أفريقيا): إعلان استقلال ناميبيا: يلستين يتولى رئاسة روسيا الاتحادية: إعادة توحيد ألمانيا: استقالة تاتشر: مجازر رواندا: تنحي لي كوان يو في سنغافورة.

**1991** تفكك يوغوسلافيا: حرب الخليج تطرد القوات العراقية من الكويت: إبطال حلف وارسو: وفاة الاتحاد السوفيتي-استقالة جوربتشوف: إبطال تشريع الأبهارتيد: اغتيال غاندي: الإطاحة بمنغستو (إثيوبيا).

**1992** أزمة البوسنة-الهرسك- قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة: قوات أمريكية في الصومال: انتهاء الحرب الأهلية في السلفادور: أعمال شغب في السلفادور: انتهاء الحرب الأهلية في موزمبيق: إعادة انتخاب ميلوسيفيتش رئيسًا لصربيا: انتخاب كلينتون رئيسًا للولايات المتحدة.

**1993** انقسام التشيكوسلوفيكيا إلى التشيك وسلوفيكيا: معاهدة ماستريخت حول اتحاد أوروبي أكثر ارتباطًا، التي انعقدت في 1991، تتدخل حيز التنفيذ: عودة الملكية في كامبوديا: وفاة هوفويت بوانيي.

**1994** منظمة التجارة الحرة في أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة، كندا، المكسيك): مانديلا رئيسًا لجنوب أفريقيا: جنوب أفريقيا تنضم مجددًا لكومونويلث الدول: حرب أهلية وإبادة جماعية في رواندا: قوات روسية تغزو الشيشان: قوات أمريكيا تعيد الرئيس آريسيتيد (هاييتي) إلى سدة الحكم: تواصل الحرب الأهلية

في البوسنة: اتفاقية سلام إسرائيلية-أردنية: أزمة مالية مكسيكية: لوكاشينكو رئيسًا لروسيا البيضاء: وفاة كيم سونج (كوريا الشمالية، ويخلفه كيم كونج.

**1995** مواثيق درايتون تسوي حالة يوغوسلافيا السابقة بعد مزيد من الاشتباكات: قوات حفظ سلام للناتو في البوسنة: اتفاقية إسرائيل/ منظمة التحرير الفلسطينية حول تغيير الضفة الغربية: اغتيال رابين، رئيس وزراء إسرائيل: افتتاح منظمة التجارة الدولية: النمسا وفنلندا والسويد تنضم إلى الاتحاد الأوروبي: شيراك رئيسًا لفرنسا: الشيخ حمد يخلع والده عن حكم قطر.

**1996** نتنياهو رئيسًا لوزراء إسرائيل: عزل بيناظير بوتو من رئاسة وزراء باكستان: طالبان تستولى على الشرطة في أفغانستان.

**1997** اتفاقية روسيا-الشيشان: وفاة دينج زياوبينج ويخلفه جيان زيمين: عودة هونج كونج إلى الصين: الإطاحة بموبوتو سيسي سيكو (زائير)-وتولي كابيلا: وفاة باندا.

**1998** هزيمة كول- وتعيين شرودور خلفًا له (ألمانيا): استقالة سوهارتو: وفاة بول بوت: تشافيز رئيسًا لفنزويلا: مجموعة الخمسة تصبح مجموعة الثمانية.

**1999** بوتفليقة رئيسًا مدنيًا للجزائر- انخفاض حدة التوتر التقاتل الداخلي: موت ملك الأردن حسين، ويخلفه الملك عبدالله: وفاة الملك الحسن الثاني ملك المغرب، وخلفه محمد الثاني: مشرف يتولى زمام الأمور في باكستان: مانديلا يتقاعد، وإيمبيكي يخلفه كرئيس لجنوب إفريقيا: مجموعة الثماني تصبح مجموعة العشرين.

**2000** انتخاب جورج دبليو بوش رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكي: بوتين رئيسًا لروسيا: اتفاقية "سلام" إريترية-إيثيوبية: انقلاب آخر في فيجي: الانتفاضة الفلسطينية الثانية: سويسرا تنضم إلى الأمم المتحدة: بشار الأسد يخلف والده رئيسًا لسوريا.

**2001** القاعدة تشن هجومًا إرهابيًا على نيويورك- الولايات المتحدة تتخذ إجراءً ضد

طالبان في أفغانستان: الإطاحة بطالبان: كابيلا يتولى رئاسة الكونغو: بيرلسكوني رئيسًا لوزراء إيطاليا: كويزومي رئيسًا لوزراء اليابان: سويسرا ترفض عضوية الاتحاد الأوروبي.

**2002** دا سيلفا رئيسًا للبرازيل: إعادة انتخاب شيراك: أردوغان رئيسًا لوزراء تركيا: استقلال تيمور الشرقية.

**2003** غزو العراق بقيادة أمريكية: كيرشنر رئيسًا للأرجنتين: هو جينتاو رئيسًا، وين جيابو رئيسًا للوزراء (الصين): تنحي ماهاتير (ماليزيا).

**2004** انتخاب كارازاي رئيسًا لأفغانستان: قبرص (ليس الشمالية) تنضم إلى الاتحاد الأوروبي-إخفاق مقترح الأمم المتحدة الفيدرالي: خلع أريستايد (هاييتي): انضمام هنغاريا، لاتافيا، إستونيا، ليتوانيا، بولندا، سلوفاكيا، سلوفينيا، مالطا، جمهورية التشيك إلى الاتحاد الأوروبي: مانموهان سنيف رئيسًا لوزراء الهند: وفاة عرفات: باroوس (البرتغال) رئيسًا للمفوضية الأوروبية: إعادة انتخاب بوتين، إيمبيكي، جورج بوش.

**2005** أحمدي نجاد رئيسًا لإيران: موراليس أول رئيس لبوليفيا من السكان الأصليين: ميركل مستشارة لألمانيا: برودي رئيسًا لوزراء إيطاليا: عبد الله يتولى عرش السعودية.

**2006** البداية الفعلية للانقسام الفلسطيني

**2007** كريستيانا كيرتشنر رئيسة للأرجنتين: انتخاب ساركوزي رئيسًا لفرنسا: اغتيال بيناظير بوتو (باكستان): وفاة ميلوسوفيتش: بلغاريا ورومانيا تنضمان للاتحاد الأوروبي: إعادة انتخاب أردوغان (تركيا).

**2008** انتخاب أوباما رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية: كاسترو رئيسًا لكوبا: بيرلسكوني رئيسًا لوزراء إيطاليا مجددًا: كوسوفو تعلن استقلالها: مشرف يستقيل من رئاسة باكستان، وزارداري يخلفه: ميدفيدف رئيسًا، بوتين رئيسًا للوزراء (روسيا): الأزمة المالية العالمية، وما خلفته من آثار إقليمية مختلفة، تبدأ-وتستمر.

**2009** إعادة انتخاب كارازاي، وأحمدي نجاد، وميركل، ونتنياهو: زوما رئيسًا لجنوب إفريقيا: انتهاء الحرب الداخلية في سيريلانكا: نزاع دارفور (السودان): تقاسم السلطة في زمبابواي.

**2010** نهاية الملكية في النيبال

**2011** تغير النظام في ليبيا (القذافي) في تونس (بن علي) ونظام مبارك (مصر)، وصالح (اليمن).

**2012** بوتين رئيسًا لروسيا مجددًا: استقلال جنوب السودان: وفاة كيم كونج-الثاني

# مقدمة : استيعاب التاريخ العالمي

لعدة قرون، كتب المؤرخون ما يظنون أنه "التاريخ العالمي". وحاول أفراد في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة إضفاء الترابط المنطقي عليه، ولكن ليس بنجاح كبير. لقد كان لتأريخه تاريخاً خاصاً في حد ذاته حيث تم إدخال بعض المصطلحات والنُهُج المختلفة وأخري تم هجرها. في بعض الأحيان، كان يفضل كتابة "التاريخ العالمي" أو "تاريخ العالم"، مع الفارق البسيط لكل كلمة. وفي الآونة الأخيرة، كان لمصطلحات أخرى بعض التفضيل ومن بينها "التاريخ المشترك"، "التاريخ العابر للدول" و "التاريخ المتصل". أياً كان ما تفضله، كانت ثمة مشكلة لا مناص منها: ما يجب أخذه وما يجب يترك. وقال الرائد الأمريكي "المؤرخ العالمي"، وليام ماكنيل منذ عقود إنها مسألة للنقاش والاختلاف، ولم يتغير شيء يذكر. على مدى العقود الأخيرة، قد تصارعت المجلات الأكاديمية (مجلة تاريخ العالم (الولايات المتحدة)، ومؤخرا مجلة التاريخ العالمي (المملكة المتحدة) ليس فقط مع جوانب معينة ولكن مع المجال نفسه. هؤلاء المؤرخين الذين دفعوا بهذا الموضوع إلى الأمام لم يتمتعوا كثير من الأحيان بالصبر في محاولات التعريف. فقد اعتقدوا أن إنشاء حدود جديدة صارمة سيقيدهم مرة أخرى. كان لـ "موسوعة العالم"، بمداخلها المتعددة، استخداماتها الخاصة، ولكنها ليست "التاريخ العالمي". سواء تم تناولها على المدى الطويل أو القصير، فسوف تظهر الكتب في العديد من الأشكال والمظاهر. وقد حاولت سجلات العالم المعاصر في بعض الأحيان توفير "الحقائق البارزة"، والأشياء التي بحاجة إلى أن يعرفها كل طالب في كل مكان، عام تلو الآخر، حددوا "ما حدث". وحيث أنه قد حدث الكثير، فإن هذه "الخطوط العريضة"، حتى تلك المطولة، لا يمكن سبرها بعمق، عليهم أن يستمروا. يعلم المؤلفين أن المتخصصين لن يفشلوا في تحديد سطحيتهم وضعفهم،

ولكنهم جادلوا في القول بأن شيء من التحدث عن "الصورة الكبيرة" أمر حيوي. لذا فقد تجاهلوا المشورة "بترك تاريخ العالم مفردا". هذا المجلد الحالي يضع عصر ما بعد 11/ 9 في تاريخ عقود "ما بعد الحرب" الحديثة . ليس بمقدور أي فرد أن يكتب تاريخاً على المقياس العالمي يتمتع بهذا النوع من التفاصيل مما قد يكون مناسباً إذا كان التركيز فقط على بلد واحد أو حتى قارة واحدة. يعد التمكن من عدد لا يحصى من اللغات من المتطلبات اللازمة لمثل هذه المشاريع. اعتمد هذا المجلد الحالي على العديد من الكتب، ولكن مؤلفيها، على سبيل الحصر، قد كتبوا باللغة الإنجليزية، وهذا له قيوده الخاصة. يعد الفهم الذاتي لأجزاء مختلفة من العالم متضمناً في المصطلحات الغير قابلة للترجمة والمستخدمة في اللغات المختلفة. بدا في بعض الأحيان أن المجلدات المُجمعة، التي تناول أفرادها موضوعات محددة، تقدم المخرج الوحيد. إلا أنه، ومهما كانت التطلعات التحريرية، فقد ركز المؤلفين في هذه المشاريع على أشياء مختلفة. إلا أنه، وكما ذكر المؤرخ البريطاني العظيم اللورد أكتون (الذي توفي في 1902)، إذا كان التاريخ العالمي أكثر من مجرد مجموع تاريخ بلدان معينة، فإن التاريخ التعاوني، بإشراك متخصصين معينين، يتعامل مع الأجزاء، وبالتالي لا يمكن أن يقدم مثل هذه المحصلة. ومع ذلك، يقوم مؤلف فردي بكتابة "التاريخ العالمي" ضمن تقليد تاريخي/ وطني معين ولا يمكنه أبدا تغييره بشكل كامل. لدي بعض الدول تقاليد في "التاريخ العالمي " أقوي من غيرها. لقد رأوا أنفسهم هم ومؤرخيهم أنهم يواكبون التطور العالمي. يأخذ هذا التأريخ حضارته الخاصة كمعيار. ويتم الحكم على كل جزء آخر من العالم من خلال قيم وإنجازات هذه الحضارة. ويقول البعض أن "قصة الحضارة الغربية" هي الآن "قصة البشرية"، حيث أن نفوذها كان الأكثر تغلغلاً. قد يختلف آخرون بشده. وقد انجذب المؤرخين والفلاسفة وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع ورجال الدين وغيرهم من المفكرين إلى "تاريخ العالم"، سعياً لتحقيق نمطه الأساسي ووجهته. لبعض الوقت، على سبيل المثال، كان للمجلد الثاني عشر لأرنولد جوزيف توينبي "دراسة التاريخ" الكثير من المعجبين في جميع أنحاء العالم. قد تختفي رتابة التفاصيل البشرية في متابعة المسح العظيم لـ "تاريخ العالم" وتحديد "ديناميكية داخلية". وكرد فعل على اكتساحات "التاريخ العالمي الضخم"، كتب البعض "تاريخ

العالمي مصغر"، أي تاريخ مكتوب حول مواضيع محدودة ولكن بنظره عالميه. كان المؤرخين العالمين على دراية بالعثرات الموجودة أمامهم في استيعاب عناصر كلا المنظورين في محاولة لتلبية الحاجة العامة لتفسير يسهل الحصول عليه وفي نفس الوقت يكون معبراً. لست بحاجة لأن تصاب بالعجز بسبب طبيعة المهمة. لا يوجد تصنيفات بديهية وآمنة التنظيم في أي مجال من مجالات البحث التاريخي. قام هذا العمل على عكس هذه الخلفية متعددة الخيارات. يحاول هذا العمل بناء جسور عبر الصعوبات؛ ملاحظاً الأساليب المتضاربة ولكن محاولاً ألا يكون عبداً لأياً منها. وهي ليست موجزة ولا شاملة. إنها تتناول بعض المسائل بالتفاصيل لا يرغب التاريخ القصير في الاقتراب منها، وتهمل موضوعات أخري في أماكن مختلفة لا يمكن أن يتجاهلها أي منظور شامل. وهي تسعى لوضع القارئ في أماكن مختلفة، في هذه العملية، لتقديم مواقف تمت رؤيتها من وجهات نظر جغرافية مختلفة. وحتى مع ذلك، على الرغم من عدم أخذ "وجهة النظر البريطانية للعالم" في الاعتبار، فإنه عمل مؤرخ ولد وتربي وعاش في بريطانيا، وهو على أكثر دراية، من خلال خبرته وكتاباته السابقة، بالتاريخ البريطاني أكثر من أي شيء آخر. أكدت هذه الكتابة عن التاريخ البريطاني على التاريخ المخترق لأربع أمم. كما تعكس القناعة الرئيسية بأنه من الأفضل للمؤرخ العالمي القبول بكونه مترجماً لأمة معينة بدلاً من الادعاء بكونه متحرر عالمي. ليس كافياً أن تقوم بالبحث في الكرة الأرضية جنباً إلى جنب مع موجود جهاز حاسوب شخصي أو أن تقوم بالرجوع للأطلس. حيث أن الخرائط لا تكشف الحقائق الاجتماعية الأساسية. يجب أن يتم بناؤها، علي أحد الأشخاص أن يحدد ما هي الملامح المهمة وذات الصلة. إن كل فرد أو مجتمع، مشترك في عملية مستمرة لتشكيل الهوية واستعادة الملكية. هذا الكاتب لا يدعي أنه يعرف كل العالم على نحو مباشر. ومع ذلك، لغرض أو لآخر، فقد زار تقريباً كل بلد في أوروبا الممتدة من إيرلندا إلى الاتحاد الروسي. وقد عقد زيارات بحثية قصيرة في جامعات أستراليا وكندا والجزائر. وقد حاضر في الولايات المتحدة الأمريكية والصين. وقد زار مالطا ولكن ليس ماليزيا، وبروناي ولكن ليس البرازيل، والخليج ولكن ليس غواتيمالا، وسنغافورة ولكن ليس جنوب أفريقيا، وهونغ كونغ ولكن ليس هندوراس: باختصار، حصل على صورة جزئية ولكن

ليست تافهة. ليس لموقع فقط هو ما يهم. للأجيال أيضاً اتجاهاتها. وقد صادف أن هذا المؤلف جاء إلى العالم في مدينة إنجليزية في اليوم الذي غزت القوات الألمانية النرويج في أبريل 1940. ويترتب على ذلك، أن دورة حياة هذا الكتاب هي نفسها دورة حياة هذا المؤلف. وهذا يجعله عرضة لتشوهات الذاكرة. تقوم الأجيال المختلفة بصياغة العالم بشكل مختلف في عقولهم. كل "منظور عالمي" فردي له طابع مميز. إن النوع والعمر والمكان والحالة الاجتماعية والاقتصادية، والمهنة، والسفر، والأيديولوجية، والتعليم، والدين جميعها تلعب أدوارها المتداخلة في تصور هذا العالم الذي تم تخيله من خلال الصور وتمت هيكلته من خلال الخرائط. لقد انصهر الموقع والجيل ونصف عقد من الخبرة الأكاديمية ككاتب ومحرر لإعطاء هذا الكتاب نكهته ومضمونه. وهو يتمتع بالخبرة الطويلة من العمل مع مؤلفين في تحرير العديد من مجلدات سلسلة "شخصيات في السلطة" (بيرسون للتعليم). وقد صادف أن عرض المؤلفين تفسيرات لمهن الشخصيات التي تظهر في هذا الكتاب-ونستون تشرشل، روزفلت، أديناور، نهرو، ستالين، وماو تسي تونغ. في هذه الحالة وغيرها من الحالات يجتاح الشخص هذا الكتاب إلى مدي غير معتاد. وذلك ليس القصد منه فرض الرأي القائل بأن "الشخصيات العظيمة" هي من يشكل العالم. ولكن القصد هو رؤية العالم كما رأوه من خلال السفر، والتواصل واللغة والخبرة. تعد جميع الأسماء الموجودة في هذه الصفحات، سواء دكتاتوريين أو ديمقراطيين، شخصيات مثلت عصورها. لقد مثلوا الأمم والولايات وفي بعض الأحيان " الدول الأممية". هذا ليس "تاريخاً عالمياً" يتسامى فوق مثل هذه الأنظمة. وهو يقبل بأن تماسكهم الداخلي وتنافساتهم الخارجية لا تزال تشكل عنصرا حيويا في قصة العالم. وهو يعتبر منظور يعكس التفاعل التحريري الجوهري مع المؤلفين الذين أسهموا في سلسلتي "إعداد الأمة" (الآن يتبع بلومزبري الأكاديمية) و"بريطانيا وأوروبا" (هودر أرنولد). يؤكد السابق، سواء كان على صله بالصين أو ألمانيا، على الطابع الديناميكي "للأمة". أما الأخير، الذي يغطي تاريخ الرومان حتى يومنا هذا، ويؤكد بالمثل على الطبيعة المتغيرة للعلاقات. هل يجب أن يكون عنوانه "بريطانيا في أوروبا"؟ إن تحرير كتاب "تاريخ وايلي-بلاكويل للعالم المعاصر"، الذي يعد قارياً في الأساس، يتتبع القضايا المماثلة على

الصعيد العالمي. وأخيرا، قامت سلسلة أخرى، "نقاط التحول" (بيرسون للتعليم) بتقريب وجهة النظر، من خلال مجلدات معينة، على سبيل المثال على إعادة توحيد ألمانيا أو إنهاء الفصل العنصري، القائلة بأن الأحداث تخالف التكهنات وتحدث بطرق مخالفة للتوقعات السائدة. التاريخ العالمي لا يدور حول مجرد الكشف عن الأنماط أو وصف التوجهات. ليس بقدور أي مؤرخ مهما كان مميزاً، على مدى عقود، في التواصل مع الزملاء في كثير من هذه الكتب كمحرر أن يهرب من تأثيرها. إن ذلك هو ما جعل هذا الكتاب بهذا الشكل. لا شك في أنه إلى حد كبير وبشكل غير اعتذاري تاريخ سياسي. للأسف هذا يعني أنه ليس من تاريخ اقتصادي أو تاريخ ديني، أو تاريخ ديموغرافي، أو تاريخ ثقافي، أو تاريخ بيئي أو أي نوع آخر من أنواع التاريخ، على الرغم من أن جوانب جميع ما سبق تظهر على هذه الصفحات في بعض الأحيان. ومع ذلك، فإنه يسعى إلى أن يكون أوسع من بعض تعريفات التاريخ السياسي. وهو يطمح إلى أن يكون تاريخاً سياسياً عقلانياً، إذا كان يمكن إضافة هذا النوع إلى الأسماء التي تتنافس على منصب في عالم التاريخ العالمي. إن العالم لديه مزيجه المحير من الانسجام والصراع ومن الوحدة والتنوع، ومن التنظيم والفوضى. إن "جوهره"، إذا كان موجوداً، يتغير مع مرور الوقت. إن تاريخ الماضي، على المدى القصير أو الطويل، وبالنسبة للأفراد والمجتمعات، يعتمد على "العوالم الحقيقية" الحالية. تغلغل السعي الحثيث لــ "الحداثة"، على الرغم من أنه لا يمكن تعريف ماهية الحداثة، في كل مكان مواجهاً التشبث الشديد بالقوانين والتقاليد والأعراف التي اعتبرت أزلية. إن الشخصيات التي تتمتع بالكاريزما هي ما يأسر اللحظة وهي ما تمثل مكانها وزمانها، فقط حتى تنقضي اللحظة وتتلاشي سمعتهم. اتضح بعد ذلك أن المؤسسات التي اعتبرت مثالية أنها معيبة وفاشلة. استعرضت الدول أعلام ورموز توحي بالثبات والاستمرارية، ولكن مؤسساتهم الفردية يمكن أن تنهار بسرع بشكل سريع. إنه لمن المناسب الاعتقاد بأن جميع الدول متشابهة بطريقة أو بأخرى. وهي تختلف بشكل كبير من ناحية الحجم وعدد السكان، بالإضافة إلى عدد وافر من الجوانب الأخرى. ويرى البعض أنفسهم متواجدين لقرون بشكل متعارف عليه. وليس للبعض الآخر وجود سابق في وضعهم الحالي. تختلف الحكومات بشكل كبير من حيث قدرتها على الإدارة. كما

أنها تتفاوت تفاوتا كبيرا من حيث الدرجة التي تجعلهم 'السيادة' النظرية، أيا كان تعريفها، قادرين على مقاومة الضغوطات الثقافية أو الاقتصادية أو العسكرية التي تمارس عليهم من خارج الحدود. يبدو العض الآخر في مسائل معينة أقل اهتماماً في الحفاظ على سيادتهم. وعلى أية حال، فإن عالم من "الدول ذات السيادة" هو عالم تستمر فيه أنظمة الحكم الفاسدة في التواجد بلا قيود. ولكن من يجب أن يقوم بالتقييد وكيف يمكن أن يتم ذلك؟ هل هناك "مجتمع دولي" يمكنك التحدث إليه وإذا كان الأمر كذلك، من يجب أن يتحدث باسمه؟ وعلاوة على ذلك، في حين أنه من الضروري استيعاب العالم كـ "عالم من الولايات" فإن ذلك يعد تحريفاً على مستوي آخر. إن "العالم" يدار بشكل رسمي من خلال آليات الدبلوماسية الرسمية. يتم التفاوض على المعاهدات التي تغطي مجموعة من القضايا. تكثر الزيارات الوزارية، وقد أصبح جودهم، سواء كان مفيداً أو غير ذلك، ممكناً بفضل سهولة وسرعة السفر الذي كان غير متصوراً لأسلافهم في عام توضح وجهة السفر والزمان والمدة المكانة العالمية لكل من الزائر والمُزار. تقع بنية هذه الأنماط تحت المراقبة المستمرة. يتم إرسال رسائل حول "الكيفية التي يعمل بها العالم" من أجل المنفعة العامة. ومع ذلك، فإن العالم هو أكثر من مجموع العلاقات، البعيدة أو الحميمة، والمتكررة أو العرضية، والتي تكون بين الدول وبعضها البعض. يعد "عالم من الأمم"، أو حتى ذلك "عالم من الأفراد" مختلفاً بعض الشيء عن "عالم من الدول"، ولكن "الأمة" ليست أكثر غناً عن البيان من "الدولة". اعتقدت بعض الأمم، أياً كان تعريفها، أن الدول يجب أن تشكلها الأمم. وبعض الدول كانت، أو على الأقل مجموعة من الأشخاص ذو انتماءات لغوية أو ثقافية معينة، ترغب في خلق أو على الأقل العيش في الدول التي تعتبر "متعددة الجنسيات". ظل التوتر بين هذين المفهومين المتناقضين واضحاً بشكل عالمي. وقد أسهم، إن لم يكن هو المسبب، في الأزمة التي بدت يبدو دائمة بين " الأمة والدولة" والتي توجد في أجزاء معينة من العالم. وليس من المستغرب، إذن، أن الخريطة السياسية في مطلع القرن الحادي والعشرين هي بالفعل مختلفة بشكل جذري، من حيث "الأمم" و "الدول"، عما كانت عليه عندما عاد العالم إلى "السلام" وإلى "بداية جديدة" في عام 1945. إن الطريق الواجب إتباعه من قبل دولة أو أمة معينة تم بالكاد دفعه للأمام بسهولة منذ عام 1945

ليصل إلى حالته في القرن الحادي والعشرين. ما يمكن أن يقال هو أن "الإمبراطوريات" كما كانت موجودة في السابق لم تعد مقبولة في عالم ما بعد 1945. كان ليصبح ضد "روح العصر" ألا تنجو "المستعمرات" التي أنشأتها بعض الدول عن طريق الغزو أو الإكراه أو أي وسائل أخرى. أنها تمثل شكلا من أشكال الاضطهاد والاستغلال الذي تمارسه دولة واحدة على شعوبها الخاضعة، ومع ذلك فقد يكون هناك بعض الاستحقاقات المكتسبة في بعض الجوانب. سينتهي "عصر الإمبريالية". وسواء كانوا عازمين على مقاومة أو على الأقل تأخير "تسليم السلطة"، فقد بدا هذا التحول ممكناً إلى حد كبير. وبشكل واضح فإن ذلك سينهي "إمبراطوريات" القوى الأوروبية -بريطانيا وفرنسا والبرتغال —والتي تم إنشائها بأنماط مختلفة وفي أوقات مختلفة في آسيا وأفريقيا. وسواء طال أمدها أم لا، فإن ذلك سينهي النفوذ والسلطة الأوروبية، التي شكلت في فترات متفاوتة الهيكل الرسمي العالم وفرضت تعريفات معينة عن السيادة. إن التمرد على "الإمبريالية قد يذهب لما هو أعمق، من حيث القوي المحركة العالمية، من مجرد التخلص من سلطات الاحتلال الأجنبية. هذا "الفضاء العالمي" يحتله مجموعة من الوكالات والمنظمات والهيئات التمثيلية والتي تعمل بقدر لا يستهان به متخطي لحدود الدولة. إن "العلاقات"، أيضاً، هي كلمة صعبة. تحدث "التعاملات" المتكررة، سواء العميقة أو السطحية، باستمرار ولكنها قد لا تنقل "رسائل". للأنظمة السياسية ووجهات النظر العالمية التي تغلفها وقتها وبعدها تتلاشي. لم يكتمل أبداً تحليل ماهية القوة، سواء الناعمة أو الصلبة. كان للتحالفات بين الدول بعض الاستمرارية، لبعض الوقت، ولكنها بعد ذلك تفقد تماسكها ومنطقها. في بعض الأحيان تتغير مراكز القوة والنفوذ – ولا يجب بالضرورة أن يتشابه الاثنين، بشكل كبير، وأحيانا بصورة تدريجية. تزدهر الاقتصاديات الوطنية وتتعثر، ومعها النظريات التي تفسر أدائها، على الأقل بأثر رجعي. يتجاهل تغير المناخ الحدود المعينة للدول وقدراتها الفردية للتحكم في "مصائرهم" الخاصة. وغالبا ما يكون "لوجهات النظر العالمية" منطلقاتها الخاصة في أماكن معينة ولكنها تسير حرة في جميع أنحاء العالم، آخذة أشكالاً مختلفة. قد يكون الأمر هو الازدهار الاقتصادي المتزايد وتحسن الصحة وطول العمل والسلام والحرية. قد يكون الأمر أيضاً استنفاد الموارد، كارثة بيئية، التفاوت الصارخ في

متوسط العمر المتوقع وكارثة ديموغرافية. يتوقف كل هذا علي حسب الوضع.... إن القضايا المشار إليها أعلاه، وللاختصار توصف بأنها "صعود وسقوط الدول والإمبراطوريات"، قد شكلت عنصر أساسياً ثابتاً في التأريخ العالمي لقرون عديدة. ما زالت تلك هي القضية. قد ترتبط هذه العمليات في بعض الأحيان بنشوء وسقوط أنواع معينة من النظام السياسي الاقتصادي. ودائماً يمكن أن نفترض أن هناك نوع من "التوازن"، وإن كان في سياقات معينة، فإن أسباب وعمليات التغيير يصعب تحديدها. تحركت القوة والمكانة بلا شك من مكان إلى آخر. وكانت أحد القوي العظمي بكل ملحقاتها وتوابعها تفسح الطريق لقوة أخري. يسلط هذا المجلد الحالي الضوء على عناصر جوهرية معينة في هذا الخليط. ليس بوسعه أن يسرد "القصة كاملة". إلا أن بنيته تؤكد فردية مميزة لأماكن وأشخاص وأحزاب معينة. وهو يلاحظ "صدامات الحضارات" بمرارتها التي كانت في "الماضي البربري"، ولكن أيضاً يلاحظ الانسجام الثقافي والتكافل. يمضي كل شارع، كل قرية، كل مدينة، كل بلد، وكل قارة بطريقتها الخاصة وتخلق وجهة نظرها العالمية. بدرجة أو بأخرى، وبشكل أو آخر، فإن "العالم الخارجي" يتوغل في ثقافات الشعوب الأصلية والهياكل الاجتماعية. في كثير من الأحيان، وحتى أثناء مقاومة الهيمنة الأجنبية، ويتم تشرب شيء من طرق العدو. يتم التكيف مع عملية التناضح والتحولات بطرق غير متوقعة. هذا هو تاريخ العالم الحديث.

## قراءات مستقبلية

Bentley, Jerry H., *The Oxford Handbook to World History* (Oxford University Press: Oxford, 2011).

Gilbert, Martin, *Challenge to Civilization: A History of the Twentieth Century III: 1952– 1999* (HarperCollins, London, 1999).

Hopkins, A.G., ed. *Global History: Interactions between the Universal and the Global* (Palgrave Macmillan, Basingstoke, 2006).

Iriye, Akira and Saunier, Pierre-Yves, *The Palgrave Dictionary of Transnational Historyfrom the Mid-Nineteenth Century to the Present* (Palgrave Macmillan, Basingstoke, 2009).

Kramer, Lloyd and Maza, Sarah, eds., *A Companion to Western Historical Thought*

(Blackwell, Oxford, 2002).

Reynolds, David, *One World Divisible: A Global History since 1945* (Allen Lane, London, 2000).

# الجزء الأول

## انتهاء الحرب العالمية
## وبداية السلام: عام 1945

يحدد هذا الجزء من الكتاب السياق الذي ظهر فيه "النظام العالمي الجديد " لعام 1945. بيد أنه لم يوفر لنا تاريخ سردي للحرب العالمية الثانية، بل كان تركيزه على عام 1943، عندما كانت الحرب التي بدأت في أوروبا عام 1939 تبدأ في تفضيل الحلفاء (الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي وشركائهم) في معركتهم ضد دول المحور (ألمانيا، إيطاليا وشركائهم). وكما سيتم شرحه لاحقاً فقد كانت الحرب في آسيا أمر آخر. فقد لاحق وصول القوات الأنجلو أمريكية في المغرب والجزائر في نوفمبر 1942 الاستسلام الألماني-الإيطالي في تونس مايو 1943، وجاء غزو صقلية في يوليو ومهد الطريق لإعلان إيطاليا الحرب على ألمانيا في أكتوبر. على الجبهة الشرقية، استسلمت القوات الألمانية في ستالينغراد في فبراير 1943 بعد أشهر من القتال العنيف، من ناحية أخرى، تبع ذلك المزيد من النجاحات السوفيتية في الصيف والخريف. هل كان قدوم الغزو الأنجلو أمريكي لاحتلال فرنسا في تلك السنة، وليس في عام 1944، من شأنه أن ينهي الحرب مبكراً؟ فقد لاح هذا السؤال في الأفق بشكل كبير في التبادلات بين الحلفاء، كما هو الحال في النقاشات التاريخية اللاحقة.

في كل الحروب الكبرى، تتحكم "الاحداث". فقد اختفي العالم الذي كان موجودا في عام 1939، وكان من غير المرجح أن يعود عند انتهاء الأعمال الحربية، على الأقل ليس في آسيا. على الرغم من أن القوات الأمريكية في المحيط الهادئ حققت تقدما، فمن المرجح أن تكون هزيمة اليابان في جنوب شرق آسيا شكلت مسألة شاقة. فقد اجتمع مؤتمر "منطقة شرق آسيا الكبرى "في طوكيو في نوفمبر 1943، ويفترض أن يرسخ النظام الجديد. في المد والجزر من المعركة، عدلت الدول باستمرار من وجهات نظرها تجاه أنفسهم وتجاه حلفائهم. بدأت الحروب المختلفة في تواريخ مختلفة وفي أماكن مختلفة وتوالت بطريقة أو بأخرى في وقت واحد. تناول الفصل الأول كيفية حدوث ذلك.

لذا كان عام 1943 مهماً للقمم الدبلوماسية: الثنائية والثلاثية. شمل تحقيق السلام في عام 1919، في عصبة الأمم، رؤية جديدة للنظام العالمي، حيث تحولت الآمال إلى انهيار. فبناء "عالم" متناسق نسبيا لم يعد عملاً بسيطاً في عام 1945. عقدت القمم في "الدار البيضاء" (المغرب)، القاهرة (مصر) وطهران (إيران). هناك، في توليفات مختلفة، ونستون تشرشل، فرانكلين روزفلت، شيانغ كاي شيك وجوزيف ستالين، يمثلون بريطانيا والولايات المتحدة والصين والاتحاد السوفياتي، على التوالي، اجتمعوا للنظر في مسائل قصيرة وطويلة الأجل. رغم هزيمة دول المحور، كان هؤلاء هم الرجال الذين يحددون الهيكل المستقبلي للعالم، فقد كانوا يمثلون "القوى العظمى" كما يبدو. ومع ذلك، فإن الفصل الثاني، بينما يفسر وجهات نظرهم الشخصية ومنظور دولتهم، لكنه يركز أيضا على مكان الملتقي والعوالم الناشئة الأخرى الموجودة خارج قاعة المؤتمرات.

# 1

# الصراع على السيادة

استسلمت القوات الألمانية في أوائل شهر مايو 1945 في الاحتفالات في المدينة الفرنسية ريميس، ثم في برلين، حيث أعلن تشرشل 8 مايو يوم النصر في أوروبا. كان يوم احتفال في قاره انتشر فيها الدمار الشامل. وكان من الصعب أن نتذكر ما كان عليه شكل "أوروبا القديمة"، في سبتمبر 1939، عندما اعتزم عدد قليل من الدول في غرب أوروبا ووسطها على الذهاب إلى الحرب مع بعضهما البعض. لقد انتشرت النتائج وتداعيات الغزو الألماني لبولندا في ذلك الشهر في كل الأماكن. حدث ذلك بعد عشرين عاما مما عرف بأنها أكثر الحروب دموية في التاريخ الأوروبي، حيث تجاوزتها الحرب التي على وشك الانتهاء في دمويتها. قد بائت فكرة أن الأوروبيين لن يخوضوا حروب كبرى أخرى بالفشل الذريع.

تجدد الصراع بينهما، واجتذب الشعوب، والشعوب التابعة، من جميع أنحاء العالم الذين كانت معرفتهم المباشرة بأوروبا مبهمة. لم يكن لديهم خيار سوى القتال. كان الوصول لأوروبا لا يزال شيئاً عالمياً، وأصبحت الحرب "حربهم"، على الرغم من كونها حرباً غامضة بطبيعتها. وأظهرت خريطة العالم لعام 1939 الممتلكات البريطانية والفرنسية والهولندية والإيطالية في أفريقيا وآسيا و "الشرق الأوسط" والتي كانت نتاج غزواتهم

التي قاموا بها على مدي القرون أو العقود. أصبحت "الامبراطوريات " "حقيقة ثابتة"، فقد عبرت عن السلطة، السلطة الأوروبية. بدا أن خريطة العالم لعام 1945 تعود بشكل سطحي إلى «طبيعتها»، لكن الواقع كان مختلفا تماما. كانت المناظر الطبيعية الحضرية والحقول الخالية من المحاصيل دليل علي أن "الإصلاح" سيكون عملية طويلة. اعترف الملك البريطاني جورج السادس، يوم عيد الميلاد عام 1945، بأن الشباب يعرف العالم فقط كعالم من بالفتنة والخوف. وقد حان الوقت لجعله عالماً من " المغامرات السعيدة".




خريطة (1) العالم عام 1975

وكانت كل سنة من الحرب تقدم شكل مختلف من السيطرة كلما اشتد وطيسها أو ضَعُفَ. قدم الناشر البريطاني (جيمس فرانسيس هورابين) على فترات نصف سنوية خلال الحرب أطلس تاريخ الحرب الثانية الكبرى. رسمت معارك في أماكن بعيدة ذو أسماء غريبة، على آذان البريطانيين، فلم تكن مسألة حروب فقط. وقدمت للقراء خارطة الطريق السريع في ألاسكا -من ادمونتون (البرتا) إلى فيربانكس في ألاسكا – والتي تشكلت بمعدل ثمانية أميال يومياً على مدى ستة أشهر. كان لكل خريطة، سواء بطريقة مباشره أو غير مباشره، رسالة سياسية. قد يلاحظ القراء البريطانيين ببعض الدهشة أن القوات البريطانية تدخل أنتاناناريفو، عاصمة مدغشقر، في سبتمبر 1943، تقاتل قوات فيشي الفرنسية، وأيضاً اندهش القراء الأمريكيين بالمثل حين وجدوا أن القوات الامريكية تدخل غينيا الجديدة. وكان من الصعب، في هذه الظروف، ربط الحقائق الواضحة في العالم عام 1939 بالحاضر الجديد. هناك، بطبيعة الحال، وسائل أخرى للنظر إلى العالم. وأظهرت الخرائط الألمانية النظام الجديد في أوروبا، كما أظهرت اليابان نظاماً جديداً في شرق آسيا. استرشد القراء الأميركيين بأجزاء من العالم لم تتواجد بها قوات أمريكية من قبل -في شمال أفريقيا، على سبيل المثال. من وجهات نظر عديدة، فإن الشعور بعالم مختلط إلى درجة غير متساوية كان واضحاً. كانت "الحرب العظمى الثانية " تهدد العديد من المؤسسات التي بدت آمنة. اعتمد "التخطيط للمستقبل"، الذي استمر على مستويات عدة، رسمية وغير رسمية، على أسس واهية من الحاضر الغير مستقر.

قد تكون "السلطة "، في ظل هذه الظروف، اختصار لمزيج من القوة العسكرية، والموارد السكانية والقدرات التقنية والإدارية أو الهيمنة الثقافية. قد تجد مبرراً لها في "مهمة حضارية" حيث يتوازن الفساد مع "الإصلاح". لعدة عقود، كانت هناك علامات كثيرة أن "الإمبراطوريات" في ورطة، فقد اختفت إمبراطوريات (وأباطرة) القارة الأوروبية عام 1919. وكان الملك البريطاني هو إمبراطور الهند، على الرغم من أن بقائه على قيد الحياة، بهذه الصفة، قد أصبح متزعزعاً. كان من المفترض قبل 1939 أن أوروبا كانت تتكون من مجموعة من "الدول الأممية"، القديمة والجديدة. احتضن مبدأ "تقرير المصير الوطني"،

بعبارة ألطف، الكثير من "الأمور العالقة" في سياقات من التعقيد العرقي (الأصلي). لم يكن هذا المبدأ بالضرورة هو القاعدة التي يجب أن يقوم علي أساسها العالم.

السيادة في أوروبا

بدا أن الصراع بين دول "الحلفاء" ودول "المحور"، الذي كان إلى حد كبير في أوروبا، واضحا بما فيه الكفاية، ولكن الواقع كان أكثر تعقيدا. لم يكن حلفاء 1943 معاً في 1939.



فقد أدت ظروف مختلفة إلى شراكتهم. وظروف مختلفة قد تؤدي إلى انفصالهم. لم يكن من المفاجئ عدم موافقتهم بسهولة على الأولويات الاستراتيجية. الطريقة التي انتهت بها الحرب جعلت العلاقات المستقبلية مبهمة. كان لدي المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تطلعات وهموم معينة. أدت انفعالات وخبرات الحرب إلى شكوك جديدة، فإن الحاجة الملحة لهزيمة العدو أعاقت تأثيرهم المدمر، ولكن ليس بالضرورة لفترة طويلة.

في سبتمبر 1939، وقعت ألمانيا والاتحاد السوفيتي اتفاقا بعدم محاربتهم بعضهم البعض. احتوي على بروتوكول سري الذي نص على تقسيم بولندا، وأعطي لموسكو مطلق الحرية في دول البلطيق وفنلندا وبيسارابيا. في أعقاب الثورة البلشفية عام 1917، استبدلت "الإمبراطورية الروسية" بـ "الاتحاد السوفيتي"، شراكة مزعومة بين الجمهوريات الاشتراكية.

ظهرت دول جديدة في بحر البلطيق – فنلندا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا – ولكن، بعد التذبذب الأولي في جنوب شرق البلاد، تساوت أراضي هذا الاتحاد السوفيتي في الامتداد مع أراضي "روسيا" الممتدة أواخر القرن التاسع عشر، وكانت موسكو تحت السيطرة. استمر الدخلاء في الحديث عن " روسيا " حتى عندما كانوا على علم بعدم التجانس المستمر في البلاد. الأميركيون، في كل الحالات تقريبا، تحدثوا عن "السوفييت"، على الرغم من عدم قيام البريطانيين بذلك.

وبذلك أصبح الاتحاد السوفياتي داخل "أوروبا " و خارجها. إن وضع روسيا ظل دائماً لغزاً لجيرانها الغربيين، ولكن الدول والشعوب الأوروبية كانوا أفضل في تحديد ما تقتضيه "أوروبا". ذكرت برافدا، الجريدة الرسمية، بتاريخ 31 ديسمبر 1940 أن الاتحاد السوفياتي ينظر إلى الماضي حتى عام 1940 بشعور من الارتياح العميق. أسهمت اتفاقية اقتصادية مع ألمانيا، والتي وقعت بعد عشرة أيام، في اتخاذ خطوة أخرى إلى الأمام.

يستطيع البريطانيين أيضا النظر إلى الوراء في 1940 بارتياح عميق. قيل أن التاريخ سيسجل أن الإرادة سر النجاح. وكانوا قد عانوا كوارث لا تصدق، ودعموا خيانات غير

متوازنة وقاموا بمخاطر هائلة، ولكنهم استمروا. أو هكذا كتب آرثر مي، الكاتب البريطاني الشهير.

لقد خولهم موقفهم تجاه الاختلافات، باتخاذ وضعهم في تحديد مستقبل العالم. ، لكن مثل هذا الموقف لم يستطع إخفاء مخاطر انعزال بلادهم. عندما غزت ألمانيا الاتحاد السوفييتي في يونيو 1941، تغير الموقف بشكل كبير. وبذلك، وتعهداً بالمساعدة المتبادلة كحلفاء، أصبح العدو المشترك للمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي هو ألمانيا القومية الاشتراكية (وحلفائها الأوروبيين ودولها التابعة المهزومة أو الراضخة). وقد انتهي الماضي المضطرب بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي. باستثناء حرب القرم، يمكن القول بأن بريطانيا وروسيا كانوا حلفاء في حروب أوروبا العظمي الحديثة.

في واقع الأمر كانت تعني "قوات دول المحور" ألمانيا، حيث كانت تلك هي أكثر أشكال السيطرة التي مارستها على شريكتها، إيطاليا (التي أعلنت الحرب على فرنسا وبريطانيا في يونيو حزيران 1940).

منذ عام 1940، أيضا، وبعد غزواتها في أوروبا الغربية و الشمالية، حظت ألمانيا بـ "أوروبا" خالية من الاتحاد السوفيتي تحت تصرفها. وكانت تستطيع الإجبار أو السيطرة بشكل مباشر أو غير مباشر. وقد تم تقسيم فرنسا إلى قسمين، بجانب دولة فرنسية، والتي تم إنشاءها في فيشي، وكانت مسؤولة عن الأراضي الفرنسية ما وراء البحار. يمكن وصف كل هذا بـــ "النظام الجديد" في أوروبا ولم يكن ذلك بدون مناشدة غير الألمان الذين رحبوا بالتعاون، أياً كان السبب.

بدا الأمر من الخارج أنها إمبراطورية ألمانية جديدة، واحدة تقودها "الاشتراكية القومية"، والتي من شأنها أن تخلق "أوروبا جديدة" خاصة بها. من ناحية، وكما تطورت الأحداث بعد عام 1941، فقد أعادت الحرب من الجانب الأوروبي النضال على السيادة واضحاً في الحرب العظمى الأولى.

## السيادة في شرق آسيا

قد أعقب النصر في أوروبا أربعة أشهر من القتال العنيف، الذي أشركت فيه قوات التحالف اليابان. انضم الاتحاد السوفيتي، والذي لم يخض حرباً اليابان، إلى الصراع في 8 أغسطس 1945. ألقت الولايات المتحدة قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجازاكي في 6 و9 اغسطس. واستسلمت اليابان في 2 سبتمبر. وبالتالي انتهت الحرب كصراع عالمي. ولكن هل كانت هذه هي الطريقة الصحيحة لإنهائها؟ هل كانت حرباً واحدة أم حربين مرتبطتين بشكل متخلخل؟ وبدءا بالتحرك الياباني في منشوريا في عام 1931، والصراع في شنغهاي في عام 1932 ثم إلى الحرب الغير معلنة التي بدأت من يوليو 1937، اشتركت اليابان والصين في صراع طال أمده على "شرق آسيا". كان لبريطانيا مصالح إقليمية واقتصادية واسعة في شرق آسيا والمحيط الهادئ ولكن ساستها ودبلوماسييها واجهوا واقعاً مهيناً: لم تكن لديهم القوة لمحاربة اليابان. أصبح أكثر وضوحا أن دورهم في تحديد مستقبل شرق آسيا سيكون محدوداً. وقد ذهب الهجوم الياباني المفاجئ على القاعدة البحرية الامريكية بيرل هاربور في هاواي في ديسمبر 1941 بالصراع في شرق آسيا إلى بعداً جديداً. ظن السفير البريطاني في واشنطن أن الأوساط السياسية الأمريكية لا تزال تميز بين الحرب مع اليابان والحرب مع ألمانيا، ولكن ذلك لم يدم طويلاً. ربما كان متفائلاً جداً. أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية، والتي انضمت إليها بريطانيا، الحرب على اليابان. لم تعد "الحرب الأوروبية" محصورة فقط في أوروبا (وشمال أفريقيا) ولم تقتصر "الحرب الشرق آسيوية" على شرق آسيا. ان الانتصار في أحد الساحات سيكون له بالتأكيد كل التأثير على الجانب الآخر، ولكن أي صراع كان هو "الأساسي"؟ كان السكان في جميع أنحاء العالم يفكرون في أعداء مختلفين. طرح هذا السؤال كان بمثابة التفكر في ماهية الحرب التي كان العالم على وشك خوضها. وكانت اليابان، وليست ألمانيا، هي من جذبت الولايات المتحدة إلى الحرب، على الرغم من إعلان ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك. فرضت تصورات عن الأهمية النسبية لمناطق مختلفة من الحرب ضرورات تنفيذية مختلفة، ول يفشل ذلك في التسبب في الخلاف. كان للمصطلحات أيضاً دلالتها. هل كانت "الحرب الغير أوروبية" هي "حرب المحيط الهادئ"، "أم حرب

الشرق الأقصى" أم "حرب شرق آسيا العظمي"؟ حمل كل وصف تضمينات جيوسياسية. يمكن فهم السياسة اليابانية، إذا تم تنفيذها بإتقان، في بعض أوساط جنوب شرق آسيا ليس كـ "عدوان" ولكن كـ "التحرير": "مجال الرخاء المشترك". سيختفي الوجود الاستعماري الأوروبي بشكل دائم. ولكن هل كان فرض حكم أجنبي أكثر قبولا لكونها "آسيوياً"؟ لقد كان السؤال يتعين طرحه في بورما البريطانية أو جزر الهند الشرقية "الهولندية". وبتواجده في كل من أوروبا وآسيا، يمكن أن يواجه الغزو، داخلياً، بـ "المقاومة" ولكن حتى مرحلة متأخرة كان مجرد بادرة غير كجدية. لم يكن من السهل تعريف "التعاون" أو "المقاومة"، سواء من حيث الدافع أو النشاط. وكما أنه لا يمكن تحديد أسلاف هذه "الحرب العالمية الثانية" في مكان واحد، فإن "التخطيط" للعالم لذي سيتبع ذلك سيتم من خلال مستويات مختلفة ومتداخلة ولكنها متمايزة. كانت الرمال متحركة. في واشنطن، يناير 1942، تعهدت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين و22 دولة أخري من دول الحلفاء بعدم القيام بمعاهدات سلام منفصلة مع العدو. سمي، الموقعين أنفسهم "الأمم المتحدة" (لم يحبذ قطاع من الرأي العام الأمريكي استخدام كلمة الحلفاء).

شيء واحد كان مؤكداً. وهو أن الفائز، أو الفائزين، سيأخذ كل شيء. واتضح أن الفائز هم الحلفاء.

لا يوجد استعداد لتخيل شكل العالم لو كانوا قد هزموا. إن احتمالية المصير الذي سيواجههم إذا فشلوا هو ما ساعد في بقاء الحلفاء جنباً إلى جنب. فإن النصر الذي يسعون لتحقيقه لن يكون حلاً وسطاً أو سلام مهترئ. لا يمكن استبعاد ألمانيا أو اليابان إلى الأبد، ولكن سيحدد المنتصرين الوقت والظروف. "رجال لشرطة" هؤلاء هم من سيخططون للعالم.

## السيادة في الشرق الأوسط

كتب الكاتب البريطاني، فيليب جودلا، في أواخر عام 1943، أنه عند ألفي ميل من أقصاها إلى أقصاها كانت قد انتهت حرب الصحراء. ادعى أن البحر الأبيض المتوسط

تراقص تحت أشعة شمس الشتاء. وكانت الحرب التي تتأرجح ذهابا وإيابا عبر شمال أفريقيا هي حرب الأوروبيين: البريطانيين والأمريكيين والألمان والإيطاليين وغيرهم. ولم تكن دول المنطقة، بدرجاتها المتفاوتة من شبه الاستقلال، من الجهات الرئيسية الفعالة. في الصراع من قبل الأجانب لتأمين أو الحصول على "الشرق الأوسط"، جاء الحلفاء على رأس القائمة، ولكن السيادة في الشرق الأوسط كانت فكرة بعيدة المنال. كانت جوديلا "الشرق الأوسط"، والتي تمتد لأكثر من ألف ميل في البحر الأبيض المتوسط، مثيره للجدل، حيث لم يكن هناك تعريف متفق عليه عالميا. وكان طبعها "المتشابك" هو ما جعل "الشرق الأوسط" رائعاً، مستعصياً، ولا يمكن التنبؤ به.

قد ظهرت ثلاثة من الديانات الرئيسية في العالم – المسيحية والإسلامية واليهودية، و بنسب مختلفة، واستمر تواجدهم. وكان هذا التجانس معرض دائما للنقض. كان الدين كانسجام والدين كصراع دائماً سمة بارزة. لأن ما حدث في الشرق الأوسط كان له صدى واسع بين المسيحيين واليهود والمسلمين ومرة أخرى كان له طابعه الخاص. إن فرض "حرب عالمية" على هيكله المتشابك زاد الأمور تعقيداً. بشكل غير مستقر، حافظت بريطانيا على "وصايتها" المهمة. لم يستطع الدخلاء من أماكن بعيدة ترك المنطقة وحدها، فقد كان هناك النفط، وبشكل أكثر عمومية كانت منطقة الشرق الأوسط "موقع عالمي" لا مثيل له.

شعر" الدخلاء"، وهم في الوقت الحاضر مثلما كانوا في الماضي، أن لديهم حصة في مستقبله، فإن القدس "تنتمي" إلى العوالم المسيحية، والإسلامية و اليهودية، وجميعها علي خلاف وغير مستقرة، ليس فقط بسبب الانشقاقات الأكثر وضوحا (بين البروتستانت والكاثوليك و الأرثوذكس أو بين الشيعة والسنة) ولكن بسبب البيئات الثقافية التي قد تمارس فيها الأديان.

تواجدت الكنائس في جميع أنحاء العالم وكان لها علاقات مختلفة مع الدول. لم يكن "للعالم المسيحي" انعكاس سياسي.

**فرض مفهوم "العالم الإسلامي"، سيناريو مختلف.**

في سياق تطورهم، كان للمسيحية والإسلام مفاهيمهم المختلفة تجاه الدين والمجتمع وكيف تقاطع الاثنين. لذا أشار التجاور الموضعي في منطقة الشرق الأوسط إلى قضايا أعمق من الهوية الثقافية والدينية والسياسية، في جميع أنحاء العالم.

إن مثل هذه التحالفات لا تمت بصلة إلى الحرب التي تخاض. كيف يتم إعادة ترتيب دول العالم في المؤتمرات العالمية كان شيء، وكيف ترتبط المجتمعات والجماعات ببعضها البعض هو شيء آخر. إن التركيز على "الأمة"، وهو مصطلح إسلامي مشترك، تواجد بصعوبة جنبا إلى جنب مع وجود دول وشعوب متنوعة. بالتالي كان هناك من المسلمين في كثير من الدول، ولم يكن هناك الكثير من الدول الإسلامية.

ما حدث أثناء زوال الإمبراطورية العثمانية في عام 1919 قد يكون وقد لا يكون مؤشراً. أنشأ كمال أتاتورك، الذي توفي في عام 1938، "تركيا" كجمهورية علمانية مع مفهوم الفصل بين "المسجد" و"الدولة" الذي يعود الفضل فيه إلى فرنسا، ظلت تركيا مستبعدة من هذه الحرب الجديدة.

من ناحية أخرى، في المملكة العربية السعودية، والتي تسمت على هذا النحو في عام 1932، كان لابن سعود، حامي المدن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، مفهوم مختلف للغاية عن الدولة التي يجب أن يعيش بها المسلمين. كان للدول الأخرى هناك ما بعد الدولة العثمانية: التي جعلتها فرنسا وبريطانيا تحت وصاية عصبة الأمم الجديدة–لبنان وسوريا والعراق وشرق الأردن، ترتيبات أخري.

لذا كان "الشرق الأوسط العربي" مزيج من الفسيفساء المعقدة. لذلك تحدث وزير الخارجية البريطاني مايو 1941 لدعم أي مشروع خاص بالوحدة العربية وهو الأمر الذي يتطلب موافقة عامة، وهنا حدث الاحتكاك، فلا وجود لهذا المخطط. كما أنه ليس من الواضح ما إذا كان صوت وزير الخارجية البريطاني سيظل مهماً إلى هذا الحد.

لاحت "القضية الفلسطينية"، أثناء الحرب، في الأفق أكثر من أي وقت مضى.

وتحت وصاية عصبة الأمم، كان على المندوب السامي البريطاني إدارة المناطق. في عام 1917، أعلن آرثر بلفور، وزير الخارجية البريطاني، عن "وطن قومي" لليهود في المنطقة. سيكون هذا هو "موطن" اليهود من جميع أنحاء العالم الراغبين في "العودة": فإن العام القادم سيكون في القدس. سيسعى اليهود إلى التنمية.

وهم سيشكلون "شوكة غريبة"، عملاء القوى الخارجية. كان هناك تفاؤل وتشاؤم، مع مرور الوقت، وجدت الإدارة البريطانية أنه من الصعب التوفيق بين اليهود والعرب (مسلم ومسيحي). في عام 1936 قام العرب بالتمرد، فقد بلغ عدد اليهود إلى نحو ثلث سكان فلسطين. تم تعليق فكره التقسيم كحل رفضه كل من العرب واليهود. حيث كان يترتب عليه، أيضا، إجبار السكان على المغادرة. دخلت المنطقة الحرب مع الكتاب الأبيض البريطاني، حيث أعلنوا أنه ليس من حق السياسة البريطانية أن تجعل فلسطين "دولة يهودية".
وكان من الواضح استخدام الصهاينة للعنف للوصول إلى هذه الغاية. شعر القادة العرب ببعض الراحة من البيان البريطاني، ولكن لم يعرفوا ما اقترحته بريطانيا. وكان هذا مفاجئاً. لم يعرف البريطانيين ذلك.

كان الشرق الأوسط، الذي يتم تعريفه بشكل عام ويواجه اتجاهات عديدة، كان هو ملتقي رجال الحرب العظماء. فإن التواجد حول العالم في وقت الحرب بالنسبة لقادة دول الحلفاء لم يكن بسيطاً. حيث كان السفر غير مريح، بل وخطير. كانت عائلة تشرشل تخشي، في أكثر من مناسبة واحدة، أن صراعاته ستجلب له انسداد في شرايين القلب. وكان واضحا أيضا، أن القرارات الرئيسية يمكن في الواقع الوصول إليها من قبل الرجال في" القمه". كانت الميول الشخصية، والأحكام المسبقة والأساليب تهم الجميع. فإن صنع القرار في زمن الحرب كان مظهر خادع للديمقراطية. ليس هناك بديل لمؤتمرات القمة. في أغسطس 1942، مغادرا القاهرة، مع استراحة في طهران، زار تشرشل ستالين موسكو لمدة أربعة أيام. وكانت الجبهة الألمانية السوفيتية مسرحا لقتال مستعر على حد سواء ثم وخلال الأشهر التي تلت ذلك أصبح مصير ستالينغراد رمزي. وقال تشرشل في موسكو أن

الهبوط الأمريكي والبريطاني في شمال أفريقيا الذي يجري إعداده والذي حدث في نوفمبر 1942 عرض على الفور الطريقة الوحيدة الممكنة إلى الأمام.

وكان مستقبل أجزاء أخرى من العالم أيضا موضع تشاور في الوقت الحالي، و ليس فقط من قبل الحكومات. في ديسمبر كانون الأول عام 1942، على سبيل المثال، كما في كيبيك، عقد مؤتمر آخر حول "الحرب والسلام" في منطقة المحيط الهادئ. حضر "خبراء" غير رسميين من أستراليا، كندا، والصين، "فرنسا المحاربة" والهند وجزر الهند الشرقية هولندا وهولندا ونيوزيلندا والفلبين والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية. تم تخطيط الشكل "الإقليمي" للظهور. كيبيك لم تقترح نفسها كموقع لعقد مؤتمر المحيط الهادئ.

كان ذلك مؤشرا على تشوش التوافق و العلاقات. وبالمثل في عام 1939 لم تكن الدار البيضاء، على ساحل المحيط الأطلسي في المغرب، المكان المحتمل لعقد مؤتمر بين الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني. في أعقاب الهبوط على شمال أفريقيا، جاء تشرشل وروزفلت للتشاور في يناير 1943 حول الاتجاه المستقبلي لحربهم، فاتفقوا على "الاستسلام الغير مشروط". أخذين بعض الهدنة، وجد الرجلين وهج غروب الشمس المغطاة على ثلوج جبال الأطلس أجمل بقعة في العالم.

عرف تشرشل البلاد أيضا. فمن حلال منصبه قبل الحرب، كان يذهب إلى هناك للرسم والكتابة. تواجد العالم الأنجلو أمريكي، وكما يبدو مستجماً، في المغرب للراحة. أبقي تدخل "الأنجلو سكسونية" روزفلت وتشرشل على اتصال دائم. التقيا مرة أخرى في واشنطن مايو 1943 واتفقا، ولكن ليس بسهولة، بشأن الخطوات التالية الخاصة بالحلفاء: غزو صقلية وإيطاليا وشمال أوروبا، لقد كان هذا هو العالم الأنجلو أمريكي.

يلعب الحلفاء دورهم من لندن كما تلعب واشنطن تلعب دورها المخصص لها. في كيبيك، في أغسطس 1943، اتفق تشرشل وروزفلت على أن هزيمة ألمانيا يجب أن تأخذ الأولوية على هزيمة اليابان. وينبغي أن يكون الهدف هو غزو فرنسا في مايو 1944. أحب كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية "القمم" في حد ذاتها بسبب إسهامها أمن

أمريكا الشمالية. وكانت كندا شريك ملائم وضروري. سيطرت فرنسا على المغرب "كالعادة"، ولكن ليس هذا من الطبيعي. في أعقاب هزيمتها مايو 1940 لم تكن فرنسا بمفردها. من تحدث عن "فرنسا ومن سيطر على الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية/ كان هذا مثير للجدل.

لم يفكر "الأنجلو سكسون" بنفس الطريقة في كيفية التعامل مع فرنسا المنقسمة. تحدث شارل ديغول، عن "محاربة فرنسا "، مصمما على أن ذلك لا يمكن استبعاده. وبرغم تعثر لغته الانجليزية – التي كانت على قدم المساواة مع تشرشل الفرنسي-كافح للحفاظ على السيادة الفرنسية على مناطق تابعة لفرنسا في عام 1939 (نزاع "الأنجلو سكسون" العقلي). وقد قاومت قوات فيشي الفرنسية القوات البريطانية والقوات الأمريكية في شمال أفريقيا.

استبعدت القوات الفرنسية من العملية. خلال أربعين عاما، في سياق التدعيم الدولي لها 1904، وافقت بريطانيا وفرنسا على أن المغرب يجب أن تكون "فرنسية" (الجزائر المجاورة، حيث كان هناك مستوطنة أوروبية كبيرة، قد "انضمت" إلى العاصمة الفرنسية منذ 1848). وقد تم تقسيم الأراضي بين فرنسا واسبانيا في عام 1912. ومن خلال السيطرة الأوروبية على قوى جمال عبد الكريم الخطابي(b.1882) ، تم توحيد البربر في عام 1926 من قبل القوات الفرنسية والجيش الإسباني تحت رئاسة المارشال الفرنسي، فيليب بيتان. لقد كان من المغرب الإسبانية أن فرانسيسكو فرانكو، الرجل الذي حكم اسبانيا الآن (وجعل بلاده خارج الحروب)، أجري محاولته الناجحة في النهاية للحصول على السلطة، مثل بيتان الذي أصبح الآن رئيس الدولة في فرنسا فيشي.

يري كل مغربي في عام 1943 أن "فرنسا كانت في حالة من الفوضى. قدم الشباب المغاربة في 1930 برنامج "الإصلاح" -وربما شعروا لأول مرة بالشعور "الوطني". وبعد ذلك تم منحهم اهتماما قليلا في باريس. لم يتغير السياق السياسي بشكل واضح. تعلمت الجماهير في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مجاملة همفري بوغارت وإنغريد بيرغمان، وكيف كانت الاصطفافات السياسية المعقدة في الدار البيضاء. يري كل جزائري

بالمثل أن ' فرنسا ' في حالة من الفوضى. وصل ديغول في حزيران 1943 إلى الجزائر لإنشاء " لجنة التحرير الوطني ".

كان التحرر الوطني المعني هو بفرنسا. لم يكن هناك أي " أمة جزائرية". وكان فرحات عباس، خريج جامعي ومحارب في الجيش الفرنسي، تسع سنوات أصغر من ديغول، من دعاة الاندماج التام في الجزائر إلى تعددية فرنسا. فقد أعلن في عام 1936 عدم وجود "الأمة الجزائرية. وفي عام 1943، قد نشر " بيان الشعب الجزائري "، أعلن فيه أنه يكفي ببساطة أن يكون مسلم جزائري. قد بدأت الحياة الداخلية لشمال أفريقيا في الاستقرار. كان لدي الأنجلو-أمريكيين وجهات نظر أخري. يعمل "العالم" بشكل واضح على مستويات مختلفة.

# 2

# اجتماع رجال الشرطة

### مصر وزائريها: نوفمبر 1943

قرر وزراء خارجية الحلف في أكتوبر 1943، في موسكو، إنشاء المجلس الاستشاري الأوروبي، وهو المنتدى الذي تشاورت فيه الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة حول مستقبل أوروبا. وليس لأي قارة أخرى أن تطلب ذلك من " مجلس الشورى ". برز بيان المؤتمر نيابة عن " الأربعة الكبار " (على الرغم من الصين، " الرابع "، لم تلعب دورا في صياغته). واتفقوا على أن " الثلاثة الكبار " ينبغي أن يجتمعوا في إيران في أواخر نوفمبر 1943. وكشف الذين حضروا هذه الاجتماعات عن سوء الأحوال الجوية في العالم. لم يتمكن روزفلت من المجيء إلى لندن، كما لم يأت ستالين إلى "الغرب" . وكان الموقع التالي "بعيدا " عن روزفلت وتشرشل، هو القاهرة في نوفمبر عام 1943. تواصل العالم من خلال قناة السويس. بعد بنائها في عام 1868، كانت هي البوابة إلى "الغرب"، حيث كان هناك ثقة بالنفس لتجسيد "الحداثة". كما أنها كانت بوابة إلى "الشرق" مثل " الغرب " حيث كان هناك شعور بأنها المنطقة المحورية، وليس فقط بسبب نفطها، على الرغم من تزايده ولا تعكس المصطلحات بالضرورة وجهة نظر. سواء اعتبروا مصر هي " الشرق الأدنى " أو "الشرق/ في منطقة الشرق الأوسط" أو "الغرب" فإن ذلك يعتمد على مكان وقوع الشخص.

قد تكون " شمال أفريقيا "، فقد كان موقعها الفيزيائي والروحي غامض ومحير. فقد واجهت " الحضارات" بعضها البعض، ولكن لم يكن هناك تقاطع محدد. عرض الماضي العديد من النقاط الحدودية وكشف أنماط متقلبة من الغزوات، " الشرق " لـ "الغرب" والعكس. كان الغموض مضمون الماضي. ولم تنتمي المنطقة إلى أي مكان. لقد كانت دائما نقطه ملتقي الطرق. كانت هناك بصمة بريطانية، في أعقاب قصف الإسكندرية في عام 1882، كانت حازمة ولكنها مؤقتة. وكما هو الحال في المغرب، كان العالم في حالة تغير مستمر.

نشأت مصر "الجديدة" ولكن لم يحدث تغير في السياسة الداخلية. وفي زيارة إلى مركز المؤتمرات في إحدى ضواحي القاهرة، بالقرب من الأهرامات، كان التاريخ في متناول اليد، لكن كان لديهم حربا لفوزها و " عالم" لكي ينشأ، بمعني أوسع في هذه المرحلة، كانت مصر تتصرف كحكم أو وسيط. في عام 1943، لم يكن الملك الشاب فاروق في حاجه إلى تذكيره بفرض إقامة السفير البريطاني، حيث كان سفير من نوع خاص. حيث كان لديه 12 سيارة مدرعه، فقد ظلت القوات البريطانية في البلاد بعد الاستقلال، ولم تقتنع بالمغادرة. وكان الجيش المصري قوة لا يستهان بها، ولكنه اصطنع الطرائق العصرية. لم يكن ضابط الجيش البالغ من العمر 25 عاما، جمال عبد الناصر، معروف للعالم، ولكنه قارئ دؤوب للسير الذاتية لنابليون، بسمارك وأتاتورك، وشعر بإهانة بلاده.

في يوم من الأيام، قال معلنا، ان الجيش سيستعيد الشرف والكرامة وسيطهر الأرض. خشت القوات البريطانية من وقوع القاهرة في يد القوات الألمانية / الإيطالية. يريد ناصر خروج جميع الأوروبيين، فلم تكن القاهرة بمدينه متوسطة، بعد أن تضاعف عدد سكانها خلال الربع السابق من القرن الماضي. ربما يجب أن نكون أكثر دقة في الحديث عن كونها مدينتين، " القديمة " و " الجديدة"، كما ورد في مبانيها وتخطيطها. قدمت المجتمعات الأوروبية (الفرنسية، الإيطالية، اليونانية وبالطبع البريطانية) ازدواجيه مؤكده للمدينة.

في الماضي، ولكن على مراحل، حرر حكامها أنفسهم من السيطرة العثمانية –ولكن إلى أي

نوع من المستقبل كانوا يتوجهون؟ كان هناك الكثير من الخيوط، على مستويات مختلفة من المجتمع. كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولكن المعنى الذي كان المصريون يفهمونه ببساطة هو كونهم " عرب ". ربما "الحقيقة" ان مصر قد احتلت من قبل العرب. استضافت القاهرة مراكز كبيرة للعلوم الإسلامية ولكن أيضا كانت هناك أفق الكنائس القبطية والكاتدرائيات المسيحية. قد تكون مدينة عظيمة مثل " أوروبا " وقد يرغب المصريون، أو على الأقل نخبة معينة، رؤية أنفسهم مثل الأوروبيين. وكانت هذه هي القضايا التي يطرحها السياسيين المصريين.

كانوا يعرفون جيدا، كسيارات " كبار القادة " في العالم، طريقهم إلى ضواحي القاهرة في عام 1943، أنهم لا يملكون اتخاذ القرار لتحديد مستقبل مصر. وعلى الرغم من التبعية الواضحة، فقد يحين وقتهم، ولم يكن ذلك بسبب أن القاهرة كانت مركزا للعالم وتجمع قادة الحلفاء، لكنها تقف عند الوصول إلى طهران. فهي لم تأتي للتشاور مع الحكومة المصرية، والتي كانت مستقلة، على الرغم من المراقبة البريطانية. لما يقرب من عقدين من الزمن. اعتاد كل من روزفلت وتشرشل مقابله بعضهما، على الرغم من أن الأخير كان على علم بأنه لا يستمع إليه.

وأكد اجتماع القاهرة علي هذا المعنى. ما أوضحته المؤتمرات هو حقيقة أن تشيانغ كاي شيك (جيانغ جيشي) كان في طريقه من العاصمة (تشونغتشينغ) للانضمام اليهم. وقال انه قد يشعر بشكل خاص بأنه " خارج المكان " بكونه في بيئة عربية، حيث كان أول الوافدين.

### الصراع الصيني: تشيانغ كاي شيك

إن وجود الوفد الصيني لأول مره في مصر كان له مكانه مهمة على مختلف المستويات. اعترف الزائر بنفسه أن الصين كانت في الواقع إحدى القوى العظمى التي تستعد لتشكيل العالم.

في يناير 1943 وافقت بريطانيا وأمريكا على التخلي عن حقوقهم خارج أراضيهم في

الصين، كما يريد تشيانغ ضمان استسلام اليابان دون قيد أو شرط. ذهب قادة آخرين جنبا إلى جنب مع الرغبة بوجود الصين الجديدة. فهذا لا يعني إيمانهم بها. كانت الصين، في الواقع، تتوسل لهم. قدمت الولايات المتحدة الأمريكية المساعدات إلى الصين بعد بيرل هاربور. وكان رئيس الأركان في تشونغتشينغ، الجنرال الأمريكي، ستيلويل، وكانت أمريكا هي القابلة لشرق آسيا في المستقبل. لن يكون هناك أي دور للأوروبيين. استمتع تشيانغ "، القائد العام "، بهذا على "الساحة العالمية". وكما تم توضيح البعد الاخر الثقافي / السياسي، ظهرت الحقائق في هذا الوقت بسيطة. وكانت الصين في حالة حرب مع اليابان وفي الواقع، يمكن القول إنه قد تم ذلك، منذ الاجتياح الياباني في منشوريا في 1931 وإعادة غزو مانشوكو (قد ضمت اليابان كوريا في عام 1910). كان هناك جزء كبير من الصين تحت سيطره اليابان في أواخر 1930، على الرغم من أن السيطرة كانت على المدن أكثر من المناطق الريفية. أظهرت مهنية تشيانغ الخاصة بعض التعقيد في العلاقة الصينية – اليابانية، ولكن أيضاً من الصين نفسها. في السنوات الأخيرة من عهد أسرة المانشو كان قد تم إرساله إلى كلية الأركان العسكرية اليابانية لاستكمال تدريبه.
ذهب صينين إلى اليابان لأغراض أخرى. كان رمز اليابان هو "الحداثة"، زاكن ذلك يمثل العديد من عوامل الجذب. وعلى مدى السنوات الخمس عشرة التي تلت عودة تشيانغ إلى الصين في عام 1911، وهو العام الذي أطيح فيه بسلالة المانشو، أعلنت اليابان أنها قوة عالمية. كانت جارتها الغربية تحت "الوصاية". ولد صن يات صن (صن تشونغشان)، وهو الرجل الذي قضى الكثير من حياته خارج الصين –في هونولولو –وأصبح رئيسا في عام 1923 وأنشا حزب الكومينتانغ (الحزب القومي الثوري) على غرار الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي، وتعاون مع الشيوعيين حتى وفاته في عام 1925 .

خدم تشيانغ كاي شيك كقائد أعلى للقوات المسلحة من الجيش. اختلف مع الشيوعيين، وقال انه فرض نفسه رئيسا للحكومة " الوطنية " في عام 1928. وقد تم تصويره عند وقوفه منتصبا، مع أكتاف مربعة، فقد واجه الجماهير مباشرة. وكان هذا هو الموقف "الحديث" وتأثر به الغرب. ولكن ما الذي كان صورة وما الذي كان حقيقة واقعية؟ وقد

أصبح صن يات صن رئيسا في كانتون (قوانغتشو). وجعل تشيانغ نانجينغ عاصمة له. كشفت كل من هذه الحقائق أن هذه الحكومة "الوطنية" كانت قاعدة السلطة الفعلية في جنوب الصين. كان هناك منافسين ينشطون في مناطق اخرى. كانت بكين خارجة عن إرادته.

إضافة إلى الغزو الياباني والنشاط الشيوعي، يبدو من الصعب أن أقول، من الخارج، ما بلغته " الصين ". وبصرف النظر عن القضايا وإحكام السيطرة على الأرض، كان هناك سؤال أكثر عمقا. ما هي الأمة الصينية؟ " الصين "، كما حدث في أجزاء مختلفة من البلاد، يمكن أن تكون مختلفة جدا. هناك قضايا مرتبطة المصير. قد استعيرت الكلمة الصينية للأمة، إلى حد كبير، من اليابانية. سادت هان الصينية بالتأكيد، ولكن كانت هناك أقليات عرقية أخرى. حول تشيانغ نانجينغ إلى " المدينة الحديثة " (كانت بعض الشوارع والمباني الحكومية مثل تلك " الحديثة " التي أقيمت، قبل بضعة عقود من الزمان في وقت سابق، في القاهرة).

من الناحية التجارية، يمكن القول بأن الحكومة الصينية قبلت نفسها كشريك على قدم المساواة في العالم كما لم يحدث من قبل. لكن هل كان هذا كله وهم؟ جعل صون يات ضريح صن خارج المدينة تكريساً للفكرة "الوطنية". في عام 1934 أطلقت تشيانغ على نفسها اسم " حركة الحياة الجديدة " التي روجت للفضائل الكونفوشيوسية وحاولت المزج بين القيم القديمة و ' القومية الجديدة ". وعند زواجه الثاني، بواحدة من الأخوات والذي كان ممنوعاً، تحول إلى نوعا من الميثودية. فقد تلقت مدام تشيانج تعليمها في الكليات الميثودية في الولايات المتحدة الأمريكية .

وقالت إنها كانت تقوم بزيارات متكررة للبلاد. كانت تجيد التحدث باللغة الإنجليزية (مع لهجة من جورجيا)، وأنها جاءت في الحرب، لمواجهة الكونغرس في واشنطن، وهي أول إمراه صينيه وثاني امرأة على الإطلاق تقوم بذلك الدور. عبر الرئيس الأمريكي عن تقديره لسماع كلمتها التي كانت تحمل رسالة بأن الرب ساعد أولئك الذين ساعدوا أنفسهم.

كان للبعثات اليورو المسيحية الأمريكية، على حد سواء البروتستانتية والكاثوليكية، بعض التأثير -كان والد السيدة تشيانغ منهجي -ولكن المتحولين الصينين يعرفون جيدا عراقيل الأصول الغربية لدينهم. كان عليهم أن يقوموا بـ" توطين " لكي يزدهروا. بدا أن الشيوعيين، وهم وارد آخر من "الغرب"، لديهم عرض لحلول أكثر جذرية للفقر الصيني.

بحلول عام 1943، انتهي كل ذلك "التحديث" في الحكومة الوطنية. قبض اليابانيون على نانجينغ في أواخر 1937 - وكان اغتصاب نانجينغ " وحشي. أجبر تشيانغ على التنازل عن حكم المدينة الجبلية تشونغتشينغ في محافظة جنوب غرب سيشوان (سيشوان)، بالتالي لم تصبح "المدينة حديثة".

كان هناك سبب وجيه لنفترض ان تشيانغ كانت عازمة على تخزين الموارد ليس لمحاربة اليابانيين ولكن للإعداد لمعركة ما بعد الحرب مع الشيوعيين.

## هل كان مبعوثا ملكيا؛ تشرشل

عرف تشرشل الطريق إلى القاهرة جيدا. وكان من أكثر الرجال سفرا في العالم، لكنه لم يذهب أبدا إلى الصين، ولا إلى هونغ كونغ البريطانية، المحتلة الآن من قبل اليابانيين . وقال إنه يريد أن تبقي الجزيرة بريطانية بدلا من عودتها إلى الصين في نهاية الحرب. كانت مصر من الأقاليم المألوفة لرئيس الوزراء. استجوبه اللورد كرومر، المندوب البريطاني، في القاهرة في عام 1899 وقدمه إلى الخديوي، الذي كان يلقب بالحاكم. وكما كان يقول تشرشل، فقد كان الأمر مثل إحضار تلميذ لرؤية تلميذ آخر في حضور مدير المدرسة. فقد سافر في عام 1902 فوق النيل لرؤية سد أسوان الجديد. وكونه وزير المستعمرات، فقد وصل إلى القاهرة عام 1921 لرئاسة مؤتمر ضخم لتصنيف الشرق الأوسط اقتصاديا مع الاستمرار في ضمان هيمنة النفوذ البريطاني. أعلن المؤتمر الإمبراطوري البريطاني في تلك السنة بقاء الإمبراطورية على قيد الحياة، 'ولكن ليس فقدان الشريان الرئيسي. لذا كان استقلال مصر مرتبطاً في 1922 بأفعال تشرشل. والذي كان قد احتج بشدة على قرار حكومة حزب العمال في عام 1929 بسحب القوات البريطانية من القاهرة إلى منطقة

القناة. وقال انه يعتقد أن هذه حماقات الحكومة البريطانية في التنازل عن حقوقها، ومصالحها وقوتها. في القاهرة، في عام 1943، كان مصمما على حد سواء على الحفاظ على المصالح البريطانية، على الرغم من علمه بانحسار القوة. لم يعلن انه لم يصبح وزير الملك أولا، ولكن أعلن إشرافه على انسحاب الإمبراطورية البريطانية. ورغم ذلك فقد حافظ علي العلاقات مع الرئيس الامريكي الحالي.

وقد وجد أن روزفلت لم يكن في حاجة إلى دروسا في كيفية التعامل مع السوفييت. في عام 1921، وعند ركوبه الجمل في مصر، سقط تشرشل بطريقه مخزيه. وكان من الممكن تفسير ذلك على أنه نحس. ومع ذلك، في عام 1943، في يوم جيد، فإنه لا يزال من الممكن أن نصدق أن "الإمبراطورية البريطانية" كانت جانبا أساسيا من جوانب العالم. لا يمكن لرئيس الوزراء البريطاني التحدث مباشرة للملكية البريطانية، حتى لو كان هو الذي يمثلها. كان يحب كندا، وقد قام بزيارتها ست مرات، على الرغم من أنه لم يزر أستراليا أو نيوزيلندا (ربما لشعوره، بعد دوره في حملة غاليبولي في اجتماع رجال الشرطة يوم 15 الحرب العظمى، إن زيارته لن تكن مرحب بها). تم الاتفاق علي "مساواة الوضع" بين المملكة المتحدة واستراليا وكندا (وربما نيو فاوند لاند التي كانت لا تزال منفصلة)، ونيوزيلندا، وجنوب أفريقيا في عام 1926. وكانت هذه هي "سيادات" الاستقرار من "البلد الأم".

هذه 'الأسرة' تزوجت "الهوية البريطانية" وحاولت تعزيز القومية في توازن غير مؤكد. كان الاستقرار، بطبيعة الحال، ممكنا من قبل الغزو. وكان التفاوت العرقي في جنوب أفريقيا بين الحكومة والسكان الأصليين هو الأكثر وضوحا. وظلت 'الأسرة' محتفظة، ومن ضمنها الأفارقة من جنوب أفريقيا والناطقين بالفرنسية في كيبيك والمجتمعات الأخرى، باختلافات أوروبا السابقة. وبالرغم ذلك، وباستثناء الدولة الأيرلندية الحرة، والتي كانت لا تزال متزعزعة داخل الإمبراطورية، وانت الأسرة في حالة حرب. ولكن بدرجات متفاوتة من الحماس والأهمية. لإعطاء مثال واحد، تضمنت قائمة المصابين في القتال مع الجيش الثامن البريطاني في معارك العلمين في أواخر عام 1942 عددا كبيرا من الاستراليين.

وقد فشلت غارة على دييب في أغسطس وأدت إلى تكبد خسائر فادحة بكندا. في فبراير 1944 كانت هناك خسائر فادحه في الماوري بين النيوزيلنديين الذين قتلوا في الهجوم على مونتي كاسينو في إيطاليا. وظلت دول الدومنيون تقاتل من أجل "الصالح العام"، وذلك للخروج من المنطقة ". وكما احتلت القوات اليابانية جنوب شرق آسيا، أستراليا، على وجه الخصوص، يمكن أن نرى بوضوح احتمالية الغزو. وكشف سقوط سنغافورة عن محدودية النفوذ البريطاني في المنطقة. وليس من المستغرب، في ظل هذه الظروف، أن وجود القوات الأسترالية في شمال أفريقيا أصبح مثيراً للجدل. قال رئيس وزراء أستراليا، وكان عليه النظر لمصالحها الخاصة، لا بديل لكندا سوى العمل داخل "مثلث شمال الأطلسي"، وأحيانا باعتباره قيمة، وأحيانا كطرف ثالث مهمل. يقاتل البيض في جنوب أفريقيا علي "القارة"، ولكن لا يزال هناك طريق طويل للوصول إلى الوطن. في الاتحاد، كان "العالم البريطاني" ذو الحكم الذاتي يتمتع بوجود عالمي كبير، وإن كان من الصعب تعريفه بالسيادة القومية. ما زالت الحكومة في لندن مسؤولة بشكل مباشر عن "العالم الاستعماري" الذي لا يزال يأخذ مساحة واسعة من خريطة العالم باسم 'البريطانية". كل إقليم، من جامايكا إلى كينيا، وكان له عرقياته الخاصة وتراثه الثقافي. وقد أسهم وجود الإمبراطورية إلى حدوث تغييرا كبيرا في طابع -على سبيل المثال، الوجود الهندي في فيجي أو غيانا. وهذا هو تنوعها حيث أن الحديث عن "السياسية الامبريالية" أمر مستحيل. وقد كانت "مدارة" من خلال مجموعة من الهياكل والعلاقات. لم يتطلب الأمر قوات عسكرية كبيرة للحفاظ عليه. قد يستلزم فقط من جميع المستعمرات إلى "الاضطلاع بدورها" في الصراع العالمي. وجدت القوات من جزر الهند الغربية البريطانية أو شرق أفريقيا أنفسهم القتال بعيدا عن الوطن "بريطانيا". وقد ذهبت الهند، أيضا، إلى الحرب بأمر من بريطانيا.

في عام 1942، بدأت حملة غاندي " اتركوا الهند". قبل الحرب، تزايد الضغط على البريطانيين. فقد وضع الهنود الحكومة عند مستوي معين، ولم يقدم عرض الاستقلال حتى الآن. خدمت القوات الهندية في شمال أفريقيا للدفاع عن نفسها ضد الغزو الياباني.

ولكن ما كانوا يقاتلون من أجله ما زال هو "الهند البريطانية". لم يترك البريطانيين هذه المرحلة لكنهم قدموا احتمالية إجراء محادثات موضوعية بشأن الاستقلال عند انتهاء الحرب. كان موقف الهند في عام 1943 غريباً. على الرغم من كونها بلد عظيمه، لكن ليس لديها مكان في "جدول" العالم.

لم تكن تمثل "قوة آسيوية" مثل الصين، مثلما كان شخص من شيانج كاي شيك يمثلها، وكانت اليابان تبدو كذلك. قبل الحرب، كانت معارضة تشرشل لمزيد من الحكم الذاتي الهندي معروفة جيدا. في وقت سابق من الزمان، جاء جندي شاب من الهند، وقال انه فخور بأن مثل هذا البلد الشاسع، يدار من قبل الانجليز، ومقدار ما قاموا به قليل جدا. على الحدود الشمالية الغربية للهند، واجهت "الحضارة" المحاصرة "المقاتلين المحمديين". في منتصف الحرب استمر شعور تشرشل أن بريطانيا صنعت 'الهند'، حيث كانت عرقيا ولغويا وثقافيا ودينيا أكثر تنوعا من الصين. وكان لا مفر من "البلقنة". في النهاية، لم يكن من الممكن تحمل الحكم البريطاني. وربما كانت 'الهند' أقرب إلى "أوروبا". وكانت هناك بعض "النماذج"، وبعضها أقل من نموذج، مثل الملوك والحكام الذين يريدون أن يحكموا دولهم. كان هناك بالفعل دليل على أن الدولة الخلفية قد لا تصل، ناهيك عن البقاء على قيد الحياة. كان لدي المؤتمر الوطني الهندي، وجماعه المسلمين، تطلعات حول المستقبل السياسي.

كان هناك تبادل وجهات النظر حول كيفية " تغير الهند " و " العالم الحديث". وكان هناك لقاء بين ذوي الخبرة الثقافية الذين أثروا حياة الرجال والذين احتلوا عناوين الصحف. المفارقة هي أن المتحدثين باللغة الانجليزية، نخبة صغيرة، من اصحاب الأصوات التي كانت الأبرز في تشكيل الهند. كان السجن مكانا جيدا للكتابة حول هذا الموضوع وجعلت بريطانيا الكتب متاحة في هذا الموضوع. واحد من هؤلاء الكتاب، ربما صوت الهند التي كانت قادمة، وكان جواهر لال نهرو (1889) ابن محامي ناجح، تم تعليمه في إنجلترا. ذهب إلى هارو (في وقت سابق، حيث تلقي تشرشل تعليمه) قبل الوصول إلى كلية ترينيتي في كامبريدج. وكان "رجل إنجليزي نبيل" لكنه بحث عن

"التغيير الجذري للنظام، سياسيا واقتصاديا واجتماعياً". لقد قال إنه من المفترض أن تأتي الحرية الوطنية الهندية "ضمن إطار الاتحاد الاشتراكي التعاوني الدولي في العالم. وكان هذا " الإطار " شائعا بين المفردات البريطانية اليسارية. وكان من بين كبار رجال نهرو كرمشاند غاندي، "المهاتما "، وهو رجل موقر ولكن كان لديه (أصبح فيما بعد نهرو "الغرب") الكثير من الدين في رؤيته لمستقبل الهند. في عام 1888 جاء غاندي البالغ من العمر 18 عاما إلى لندن. كانت تسمى في ذلك الحين "مركز الحضارة".

لسبعة عشر عاما، كان عالمه هو عالم رجل هندي من جنوب أفريقيا. عائدين إلى ديارهم، لم تكن الهند التي يريدها تقليداً زرعه الغرب، الرأسمالي أو الاشتراكي. ما الذي يجر الهند إلى الوراء أو يقودها إلى الأمام كان يتوقف على الشعب الذي عانى كثيراً. سواء كان سياسيا أو قديس أو بعبارة تشرشل نفسه، " فقير نصف عاري"، أو كل هذه الأمور، فقد كان غاندي لغزا محيرا. ربما كانت رسالته غير العنيفة واحدة للعالم كله، وليس فقط بالنسبة للهند؟ وكان له تلاميذ في العديد من القارات. في القاهرة، جمال عبد الناصر، ثم كان هناك مراهق غامض يدرس رسالة غاندي.

ولكن كانت هناك العديد من الأصوات المختلفة في شبه القارة الهندية المعاصرة. وكان محمد علي جناح (1876.b)، الذي يتحكم مخاوف المسلمين، على الرغم من إنه شخصية علمانية إلى حد ما، متبل الذهن. أعلن المسلمين، الذين كانوا أقلية، أنهم لن يتقاسموا الأرض مع الهندوس. فإن ارتباط الشعبين (كما وصفه لهم) سيدمر نسيج أي دوله في المستقبل. وربما لاحظ السيخ، أو حتى المسيحيين، من جانبهم، أن الهند كانت أكثر من مجرد هاتين الدولتين. ظن كل من غاندي، نهرو وجناح أنهم قد يضعوا نهاية " الهند البريطانية" من خلال الضغط الذي قد يصل إلى حد العصيان. واعتقد خريج آخر من كامبريدج للدراسات العليا، وعلى الرغم من كونه بنغالياً، وهو سوبهاس تشاندرا بوس، أن البريطانيين لن يغادروا، إلا إذا تم استخدام العنف.

هاربا من الاسر في كالكوتا (كولكاتا الآن) في عام 1941، قال انه وجد نفسه، عبر موسكو وبرلين، راكبا الغواصة اليابانية قبالة مدغشقر متجهة إلى سنغافورة اليابانية

المحتلة. حيث أقام حكومة الهند المستقلة. يتكون الجيش الوطني الهندي من الجنود الهنود الذين أسرتهم اليابان، وقاموا بمسيرة ضد دلهي. ظل الجيش الهندي (البريطاني) له ولاء كبير للحكم البريطاني. تم سحب جداول الأعمال التي كانت ستحل محل الحكم البريطاني.

يجلب السلام المفاوضات ولكنه لا يصل بالضرورة إلى حل سلمي. مهما كانت الطريقة التي تمر بها المرحلة الانتقالية، فإنها مرحله اهتزازيه، إن لم تكن محطمه، "للعالم البريطاني". في الحقيقة كانت الهند تدار من لندن، من مكتب الهند وليس من وزارة المستعمرات. ومع ذلك فإنها إشارة من "الاستعمار" الأوسع من أماكن أخرى، و كان هناك طرق متعددة تدفقت من خلالها " الإمبراطورية البريطانية إلى عقل وذاكرة رئيس وزراء بريطانيا خلال زيارة له إلى القاهرة في عام 1943 للتفكير في مستقبل العالم : الهند، جنوب أفريقيا، السودان، كندا كانوا جميعا هناك. كان تشرشل يمثل "أوروبا"، ولكن بكل غموض الرجل الإنجليزي، كانت لندن، في هذا الوقت تواجه مخاطر، بوجود حكومات في المنفى من القارة المحتلة. فإنهم يبدون وجهات نظرهم، ولكنها لن تكون حاسمة.

وكان من غير مؤكد، عند" عودتهم "، سلميه سلطتهم. وستكون من القوى العظمى، وليس البلدان الصغيرة، التي ستقرر مستقبل "أوروبا". سواء ما إذا كانت فرنسا، في هذا السياق، "كبيرة" أو "صغيرة" فإن ذلك غير واضح. في المنفى، مع فكرة معينة من فرنسا، فلن يكون من السهل وجود شارل ديغول بجانب "الأنجلو سكسون"، على الرغم من أن البريطانيين والأمريكيين كانوا في كثير من الأحيان على خلاف بشأن كيفية التعامل معه. وكان "تحرير فرنسا" له معان متعددة. حيث أن تحريرها سيتم بقوتها وعنادها، وربما يتقرر مصير القارة من "الخارج". ورأى تشرشل حدوث شد وجذب على الساحة. وقال انه لا يريد بريطانيا أن تتقلص ولم يرحب بالأصوات التي تعتقد أنه آمر محتوم. وأعرب عن اعتقاده أنه لا يوجد أي دولة أوروبية أخرى، ولا حتى فرنسا، مثل "بريطانيا العالمية". ومع ذلك، فإن الخصائص المميزة لم تجعل بريطانيا غير أوروبية. ولكن

الحضارة الأوروبية والتي قد ازدهرت بحيوية على الحدود الشمالية الغربية من الهند، أيضا كانت جيدة للعالم. واضاف ان الدول الاوروبية تضيع هيمنة الحضارة من خلال سلوكها في عام 1914. كانت بريطانيا، بطبيعة الحال، كانت طرفا في تلك الحرب، ولكن كمدعى عليه وليس كمحرض.

قد يكون حل مشكلة الأوربيون، يكمن في نوع من الولايات المتحدة الأمريكية الذي يشبه أوروبا. وكان تشرشل واحد من عدد قليل من السياسيين البريطانيين الذين عبروا عن الاهتمام بالفكرة قبل الحرب. لكنه يعتقد أن الأميركيين قد لا يرغبوا في ذلك، بل هذا من المستحيل. لن تتوقف بريطانيا بالتأكيد في الطريق، ولكنها لا ترغب في المشاركة. أخذت هذه الملاحظات مكانها بين عدد كبير من الخطط المتنوعة ولكنها " غير واقعية " الصادرة من مختلف الجهات. فسنري إذا كان بالإمكان تنفيذها، لأنها قد تكون أفضل من إعادة تشكيل الدول القومية لعام 1939 . الموقف البريطاني، بطريقة أو أخرى، يمكن أن يكون مركزي. فقد اعتاد رئيس الوزراء البريطاني منذ فترة طويلة على التفكير في المصالح والموارد البريطانية في سياق عالمي. تماشي ذلك مع هذه المهمة. كانوا يأخذون رحلة بعيدا عن الإمبراطورية عندما كانوا سياسيين مبتدئين. أرسلت العائلة المالكة البريطانية إلى الخارج في زيارات رسمية " لإظهار العلم "، لكن رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، كانوا أكثر خجلا في تقديم أنفسهم في الخارج.

### في الطريق إلى العالمية: روزفلت

لم يكن هناك ما يدعو للخجل حول فرانكلين روزفلت. كان لديه اسم العائلة الرنان في الولايات المتحدة الأمريكية كما كان تشرشل في بريطانيا. تولي روزفلت آخر، ابن عمه تيدي، الرئاسة في عام 1901 وكان قد أعيد انتخابه في عام 1904. وقد ساعد تيدي في تنظيم " الفرسان القساة " الذين أصبحوا أبطالا وطنيين خلال الحرب الاسبانية. فقد أكد في عام 1904 حق بلاده في أن تكون بمثابة " قوة شرطة دولية ". ذكر مبدأ مونرو، الصادر في عام 1823 عندما تعرضت أمريكا اللاتينية للتهديد من قبل القوى الأوروبية، من بين أمور أخرى، أن الولايات المتحدة ستعتبر أي استعمار جديد من قبل قوة أوروبية من أي

دولة مستقلة في نصف الكرة الغربي عملا عدائيا. فبالتالي أعطي روزفلت للولايات المتحدة الحق في التدخل في حال حدث فشل في الحفاظ على النظام الداخلي أو في الحفاظ على التعهدات المالية .

أدى ذلك إلى التدخل العسكري في الشؤون الداخلية لعدد من بلدان أمريكا الجنوبية. وبعد ثلاثين عاما، لم يرغب ابن عم تيدي أن يمارس سياسة " العصا الغليظة ". قبلت سياسته " احترام الجار " وأنه ليس من حق أي دوله التدخل في الشؤون الداخلية أو الخارجية غيرها. رغم ذلك، لا يزال هناك عقليات تفترض أن " الأميركيتين " هي العالم وأنها الحماية. لم يكن الروزفلتيين من الوافدين الأوائل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، إنهم "أمريكيين تماما"، مع أصول تمتد إلى نيو أمستردام الهولندية (نيويورك). وكان فرانكلين بشكل واضح من طبقه الأثرياء والأرستقراطيين .وكمدخن سيجار، ورأى انه ليس ملزم ليتودد لحفيد دوق إنجليزي مدن للسيجار. تعلم هارفارد، وقال انه لا يشعر بالصبا، كما فعل بعض الأميركيين، في ثقافة أوروبا القديمة. وقال انه لم يتذلل. كانت أميركا كافية في حد ذاتها. وكان قد زار باريس في مرحلة صنع السلام 1919 ولكن لم يشعر بحاجة لاستكشاف أوروبا. وعلاوة على ذلك، فإن تجربة وودرو ويلسون بالكاد تشجع الرؤساء الأميركيين ليظهروا في الخارج. كشف لقاء بين بروفيسور برينستون التابع للكنيسة المشيخية وتجار مراوغين من أوروبا القديمة في تلك المناسبة عن الفجوة بين التفاؤل المثالي في العالم الجديد، وذلك في حديث مفتوح عن "المواثيق المفتوحة"، "تقرير المصير الوطني" و "جامعة الأمم"، والبراغماتية الساخرة من القديم، في تعاملاتها واتجاهاتها. يمكن القول، في عام 1918، بأن التدخل الأمريكي في اليوم الأخير قد أنقذ بريطانيا وفرنسا من الهزيمة، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت أن تصبح ضامن السلام في أوروبا. لأن كل الساسة الأوروبيين قد أرادوا بشكل خاص أن تكون: أوروبا للأوروبيين. يعتقد الكثير من أصحاب الرأي العام الأمريكي أن التدخل في أوروبا كان خطأ ولا ينبغي أن يتكرر. أخذت " العزلة " مكانا. حتى الآن ل يمكن تقديم أي دراسة لتعدد الاتصالات الأميركية مع العالم بشكل حرفي. وعلاوة على ذلك، من النادر

الاعتراف في "أوروبا القديمة" أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت المحرك للحضارة الصناعية. وقال البعض أنها حقا من البلاد المستقلة في العالم.

حيث كانت لها القدرة على استيعاب المهاجرين الجدد، وخلقها 'واحد' من 'العديد ' جعلها نوعا من المختبر الاجتماعي للعالم. كانت لا تزال أوروبا نفسها التي جاء معظم "الأميركيين الجدد " منها. نفي البعض ذلك بشدة، لسبب وجيه في عقولهم. البعض الآخر لا يزال يشعر شعورا قويا بجذوره. وكان اختلاف العالم الأمريكي معقد. اثارت "الإمبريالية" ردود أفعال مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية. من ناحية، أتت البلد نفسها إلى حيز الوجود من خلال تمردهم على الإمبراطورية البريطانية.

معاداة الامبريالية كانت جزءا لا يتجزأ من الناحية الثقافية، على الرغم من التوسع الداخلي " الإمبريالي " الخاصة بها. ومع ذلك، فإن الشعور ب " قدرنا " قد اتخذ مكانه في العالم. كانت الحرب الاسبانية الامريكية عام 1898 مثال محدد لهذا " المصير ". وفي أعقاب ذلك، انتهي الحكم الاسباني السيء. أصبحت كوبا مستقلة، وإن كانت لا تزال تحت حماية الولايات المتحدة، على أسس مختلفة، وتم التنازل عن بورتوريكو وغوام والفلبين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بحلول عام 1943، على مدى نصف قرن تقريبا، في البلاد، من خلال هذا التوسع الإقليمي، أصبح هناك نوعا من الإمبراطورية. في مطلع هذا القرن، حارب المسلحين الفلبينيين دون جدوى ضد الوجود الأميركي، ولكن بحلول عام 1935 تم إنشاء " الكومنولث " في الفلبين.

استمر الحكم الذاتي، حيث استولت القوات اليابانية على مانيلا في يناير1942. في العام التالي، أعلن الرئيس روزفلت استقلال الفلبين بعد هزيمة اليابان. ولذلك فإن غزو أمريكا المختصر إلى إمبراطورية رسمية وصل إلى نهايته. لم يكن مصطلح إمبراطورية رسمية هو التعبير الوحيد عن التواصل العالمي الأمريكي. كما قامت "أوروبا" باستجابات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية. برغم كل الموروثات اللغوية والثقافية الأوروبية، لم تكن أميركا هي أوروبا المكررة، بل كان لها مشاكلها الداخلية الخاصة بها، والتي نشأت من العبودية ومن إرثها، حيث عرفها العالم بالحروب الأهلية الدموية. فإن

مفهومها في حد ذاته يتطلب التجديد المستمر. استمر رأي الزوار، في مدن ودول مختلفة، أن الولايات المتحدة الأمريكية تقريبا متنوعة مثل العالم نفسه.

كانت التعددية المتفشية تجسد نوعاً من "الحداثة". وقد عرضت نفسها على أنها منارة للضوء، ولكن هذا الضوء لا يلمع في كل مكان. ذهبوا مهاجرين أفريقيا إلى أمريكا، أيضا. تم تصنيف نحو 10 في المائة من سكان الولايات المتحدة في هذا الوقت من السود، حيث كان معظم السود ما زالوا يعيشون في ولايات الكونفدرالية القديمة. قد تراجع التفاؤل بشأن المستقبل الأميركي ولكن لم يدمر من قبل الكساد العظيم. وبطبيعة الحال، ونظرا لهذا التعقيد، شهد الغرباء في أمريكا ما أرادوا أن يشاهدوه: التهديد والإلهام، الخوف والعطاء. وكان هذا التناقض موجود في جميع الدول الأوروبية، وخاصة في بريطانيا. قد جاء تناقض تشرشل من تجربته الشخصية، حيث كان لديه أم أمريكية وأب إنجليزي. زار تشرشل الولايات المتحدة الأمريكية، أكثر مما فعل في أي بلد آخري. لأن خلفيته التاريخية لديها القدرة على التعامل مع "الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية". كان "باكس بريتانيكا" بعيدا و "باكس أمريكانا" قد يكون غير مريح نوعا ما. طمح الآخرين إلى نصف مجتمع المحيط الأطلسي والذي يتمتع، بتفاؤل، بلغة مشتركة، أو ما يشبه لغة مشتركة، توحد القديم والجديد في الشراكة التي ستهيمن على العالم (وهو شيء جيد لصالحها). كان قد كتب الصحفي اليساري البريطاني (اتش ان بيرلزفورد) المعروف في عام 1940، وشجع التدخل الأمريكي –حيث أنه قدم الديمقراطية الأمنة في نصف الكرة الغربي والسلام والحرية والعمل في أوروبا. قد تكون كل هذه الأمور صحيحة ولكن، في هذه العملية، كانت بريطانيا تفقد مكانها في العالم. وافق تشرشل وروزفلت على "الميثاق الأطلسي " خلال مؤتمر خليج بلاسنتيا في أغسطس 1941. ولم تطمح البلاد إلى المبالغة. وينبغي أن تكون التغيرات الإقليمية بموافقة الأشخاص المعنيين. كان جميع الناس لديهم الحق في اختيار شكل الحكومة التي بموجبها سوف يعيشون. إن المنتصرين والمهزومين يخضعون لبعض القيود، ويتمتعون بنفس القدر من تجارة العالم والمواد الخام. سوف يتم تشجيع التعاون الاقتصادي. يمكن أن تبحر في أعالي البحار دون عوائق. يجب يكون

الناس قادرين على العيش خارج حياتهم والتحرر من الخوف والفقر. وكان على جميع الدول التخلي عن القوة. وأعلن الاتحاد السوفييتي بعد أن احتضن هذه الأهداف أن جميع الناس لهم الحق في اختيار حكوماتهم، كما اعترف البريطانيون في ذلك الوقت مع دق ناقوس الخطر، ما كان له تداعيات بعيدة المدى. في جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، اعتمد المؤتمر الوطني الافريقي في ديسمبر 1943 على طلبات "الأفارقة في جنوب أفريقيا". وقدمت على أنها تطبيق مباشر لمبادئ الميثاق. وبالتالي فإن ما تم طرحه في أغسطس 1941 على أنه التزام لاستعادة ما قد سحق في أوروبا، كان في الواقع، زعزعة لاستقرار العالم الحالي. في عام 1943 كان روزفلت علي حق في احترام صوت أمريكا. وكان الوحيد من بين الحاضرين 'الزعماء الكبار " الذي لديه ولاية انتخابية شخصية. تخلي تشرشل عن السلطة بسبب الحرب وليس الانتخابات العامة، ولكن من الممكن أن تستعيده الانتخابات على الحكم. روزفلت، ابتداء من عام 1941، كان في ولايته الثالثة كرئيس. كان هناك كل احتمال في عام 1943، بالمعاناة فتره طويلة من شلل الأطفال على الرغم من انه سيرشح نفسه مرة أخرى. أعطى هذا التأييد له مكانة عالميه غير قابله للتغير. وقال انه لم يحقق هذه المكانة، لأن طريقه حياته ليست مثال " للنموذج الأمريكي '. ولكنه بدأ أن يفهم ما يحتاجه الناس العاديين في أوقات الاكتئاب: التوصل إلى اتفاق جديد. وقال أن " كل الشعب الأمريكي " يسعى باستمرار للنظر في آمالهم ومخاوفهم. كان ذلك في الواقع الحالة الداخلية لبلاده التي كان مشغول بها، حيث أنه لا يمكن تجنب الوضع الدولي المتدهور. فإن البلاد المزدهرة لا تريد أن تشارك خارج حدودها. بدا روزفلت القول بأنه لن يأخذ الولايات المتحدة إلى الحرب. بدا أن الإقراض والتأجير لبريطانيا في يناير 1941 سيكون وسيلة للحفاظ على الجزيرة الإمبراطورية في الحرب ولكن أيضا لاستبعاد الولايات المتحدة الأمريكية منها. كان هناك سريه في تسميتها كبرنامج لدعم " الحريات الأربع " في العالم. وقد تم إعلانها وتعريفها بحريه العبادة والتعبير والحرية من الفقر والخوف. بإمكان الأميركيين وحدهم بلورة التطلعات بكل بساطة. محمياً بواسطة خطابه، لعب روزفلت أوراقه الخاصة. كان هناك تعتيم وراء المستوى العادي. فإنه لن يكون مقبولا القتال من أجل إنقاذ الإمبراطورية البريطانية كما تبين بعد ذلك، ولكنها ستكون كارثة إذا هزمت بريطانيا فإنه ليس من

الغريب إيجاد معارضه من الصداقة المخلصة بين هذا "الثنائي الغريب"، روزفلت وتشرشل. وتم تقديم" ترسانة الديمقراطية " التي تمثل نحو 60 في المائة من الذخائر القتالية للحلفاء. الإنتاج الحربي للولايات المتحدة، خلال عام واحد، سيكون ضعف ما كان عليه في ألمانيا وإيطاليا واليابان مجتمعة. يمكن ان نستشف ما يهم العلماء، على جميع مستويات المجتمع الأمريكي، وهو تقلب المزاج بين "الانعزالية" و "الأممية" التي جعلت التنبؤ السلوك الأمريكي في المستقبل صعبا. وأكد برعونة كلا من خصوصية وعالميتها. لقرن من الزمان، كان هناك المتكلمين الذين قد تحدثوا عن الاختلافات حول موضوع وزير الخارجية وليام سيوارد في عام 1846 عندما انخرط لإعطاء حيازة شعوب القارة الأمريكية، جنبا إلى جنب مع " السيطرة على العالم. ماذا تعني "السيطرة" وعما إذا كان هذا تعبير آخر عن المصلحة الذاتية، كان واستمر نقاش بلا نهاية. ولم يكن هذا مجرد موضوع لمن هم داخل البيت الأبيض أو المحللين الأكاديميين للسياسة الخارجية. ولكن الأمر شل المنشغلين الذين كتبوا للجمهور الكبير منزعجين من المعضلات الأخلاقية والسياسية. كان أحد هؤلاء الكتاب الكاتب المعلق / اللاهوتي رينولد نيبور، الذي تصارع في 1930 مع مخاطر القوة الأميركية. وكأغنى دولة في العالم، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية " الإمبراطورية الحقيقية للحضارة الحديثة ". حاول زملائه الأمريكيين، ولكن دون جدوى حتى الآن، إدارة ثرواتهم والعالم باستخدام أساليب اقتصادية غير الرسمية والتي قاموا بتكوين ثرواتهم من خلالها. في نهاية المطاف، فإن " المجتمع الدولي " سيخرج من النموذج أمريكا الغريب من الإمبراطورية. وسيفعل ذلك، ولكن فقط إذا تم الاحتفاظ بها كقوة اقتصادية وعسكرية منفصلة. وأيد القوة الاقتصادية أكثر من القوة العسكرية، فإن الأكثر إغراء هو تحدي الرأي العام العالمي. أن العداوات ضدها ستتكاثر بعد ذلك. أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك القوة العسكرية أكثر من اي وقت مضي، وهذا ما تحتاجه إذا تحقق النصر في الحرب.

كانت القضية على أي أساس سينجو أو سيبقي ‘‘العالم الأنجلو أمريكي"، مع زمن الحرب الاستثنائي في 'التخطيط المشترك"، في الظروف مختلفة ما بعد الحرب. كان هناك

شعور أيضا بأن هذا العالم، في جزء كبير على الأقل، كان "العالم المسيحي". الرجلين يسبحان على متن سفينة حربية قبالة نيوفاوندلاند في أغسطس عام 1941، في الفترة الفاصلة أثناء صياغة 'ميثاق الأطلسي "، لم يعبر عن اقتناعه الشخصي بالمسيحية. بمعنى أن هذه كانت حربا من أجل "الحضارة المسيحية"، ومع ذلك، كان هناك صدى قوي على جانبي المحيط الأطلسي. كان للبلدين ترتيبات مختلفة كما بين "الكنيسة" و "الدولة" ولكن، في هذه المرحلة، لا يزال من الممكن الحديث عن "القيم المسيحية" المشتركة بينهما. قد يكون هناك في وقت لاحق مساحة "للهجوم المضاد للمسيحية" في أوروبا والذي يبدو أنها قد تخلت عنهم. لذلك، باختصار، في حين أن اثنين من الرجال، كما في بلديهما، بدوا في كثير من النواحي يتمتعون برؤية واحدة للعالم، إلا أن هذه الرؤية لم تكن كاملة. وكانت القاهرة مناسبة لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للاستماع إلى الصين. وكان تشيانغ لديه انطباع بأن معظم طلباته من ' الغرب ' قد استوفيت. كان من المقرر استعادة جميع الأراضي المفقودة لبلاده في الشمال، على الرغم من أن كيفية ذلك كانت غير واضحة. ذهب روزفلت وتشرشل للقاء تجسيد لرأي آخر في العالم، جوزيف ستالين. هذه المرة كان الهدف طهران.

## طهران نوفمبر-ديسمبر عام 1943: مساندة ستالين.

لم تكن الرباعية هي التي اجتمعت، حيث رحل شيانج كاي شي. وللمرة الثانية توجد دلالة داخلية للموقع، ليس أكثر من الدار البيضاء أو القاهرة حيث كان الكبار الثلاثة يزورون طهران لاستشارة الحكومة الوطنية. ولم يكن ستالين ينوي رؤية عالم الانجلو أمريكان في الصدارة، وبالتالي تحققت نفس الازدواجية في إيران كما تحققت في مصر. انتوت القوى العظمى أن تمنح فيما بينها: علي عدم إبراز وجهة النظر الإيرانية في العالم، ومعظم القوات البريطانية والسوفيتية وصلت إيران عام 1941. وبالنسبة للشعب الإيراني فقد كان يقبل تواجد القوتان العظمتان لسن التشريعات الحديثة بشق الأنفس. في الفترتين قبل عام 1914 وبعد عام 1919 استطاعت بلاد الفرس تحقيق الاستقلال ولكن ظل موقعها الجغرافي يجذب انتباه من قبل روسيا/ الاتحاد السوفيتي وبريطانيا. كانت

النظرة إلى الدولة نظرة مختلفة، ولكن في أي مكان في الشرق الأوسط كان اكتشاف البترول مهم للغاية للعالم الغربي، وجلب تطورًا غير متوازن. بيد أن تشرشل ذاته يعد أول من أكد على أهمية السفن المحملة بالبترول للقوات البحرية، وفي شركات البترول الانجلو-فارسية أخذت الحكومة البريطانية الحصة الأكبر ليأتي ذلك منسجمًا مع التيار. اختلطت الدبلوماسية بالنفط خارجيًا. وإما أن تكون إيران قادرة بالفعل على الاحتجاج في الشرق الأوسط، هل الخليج فارسي أم عربي؟ فالإيرانيون ليسوا عرب بل هي دولة إسلامية لكن شيعية وليست سنية وللأمر تداعيات متلاحقة. أبهرت ثقافتها ولغتها بعض الصفوة الأوربيون.

شارك وزير الخارجية البريطاني، أنطوني إيدن بعد دراسة اللغات الشرقية بجامعة أوكسفورد لكنه كان يزور إيران لإشباع حاسته الثقافية. وكان للقوتان العظمتان قوات على الأرض لاعتقادهم أن شاه إيران يتعاون مع القوات الألمانية. كان ضابط الجيش ريزا خان وصل للسلطة بانقلاب عام 1921 ولقب بريزا شاه بهلافي عام 1925. وبدأت الحداثة، بمعنى أخر تمدد الجيش وإنشئت السكك الحديدية والطُرق. بيد أنه في عام 1941 أُجبِر على ترك البلاد ونصب ابنه ذو الاثنين وعشرين عامًا والذي تلقى تعليمه في سويتزرلاند شاه لإيران.

اعتادت إيران التدخل الخارجي، حيث حددت الاتفاقية الانجليزية الروسية دائرة اهتمام الدولتين. إلا أن طهران عام 1943 كانت أرض غير معروفة لكبار الرؤساء لكن جلب البريطانيون والروسيين تاريخ معهم، كما إن الأمريكيون لم يسافروا إلى إيران إلا قليلًا رغم وجود حروب نفطية بين الشركات البريطانية والأمريكية في بلاد الفرس كما في الشرق الأوسط، ولم تكن تلك الشركات مجرد متفرج. ربما كان إيران مجرد تابع، ببساطة في مكان يتشكل فيه مصير العالم في لحظة. بيد أنه لم يكن هناك فرصة للشاه الشاب.

عقد روزفلت اجتماع قصيرًا مع شاه إيران، وأبدى تعاطفًا مع الشاه عندما تذمر من القبضة الاقتصادية البريطانية على النفط الإيراني والموارد المعدنية حيث أراد الشاب خروج كل من بريطانيا وروسيا من دولته بأسرع وقت ممكن. كان هدف اللقاء مستقبل العالم.

لم يخلو اجتماع العظماء الثلاث من تلك الدراما المتصارعة. كما لم تختفي دعائم العلاقات ببساطة بسبب لحظات الانسجام المستلهمة من الفودكا. كان هناك محادثات جادة بين القوات العظمى وتابعيها. وفكر روزفلت أن باستطاعته تحقيق أهداف مع ستالين أكثر مما استطاع تشرشل تحقيقه، بينما اعتقد الأخير أن باستطاعته تحقيق أهداف مع ستالين أكثر مما يمكن لروزفلت تحقيقه. إلا أن ستالين كان لديه شكوك في قدرة روزفلت على الصمود لفترة على نفس الوتيرة، بينما بدا تشرشل جادًا كمحارب عجوز. قاد ستالين الذكي الاتفاقات بين شركاءه مما ميزه. وتصدرت المطالب السوفيتية جدول الأعمال، وظهرت الأسماء المستعارة للعمليات في فرنسا التي من شأنها خلق حربًا في أوروبا في الجبهتين.

واعتقد أن هناك الكثير من المراوغة وبخاصة من ناحية تشرشل، لكنه في النهاية ظهر وكأنه وجد الضمان الذي يريد، حيث وصل التحالف قبل نهاية عام 1944 في أحداث 6 يونية. ترك ستالين الشك وتجاهل تشرشل فالبريطانيون بالأخص مازالوا يريدون بعض من الألمان حتى ينجوا ومن ثَم تم منع التقدم السوفيتي داخل غربي أوروبا. بيد أن الاتحاد السوفيتي في معاركه الطاحنة مع القوات الألمانية كان يتحمل العبء الأكبر من القتال. كما جلب التقدم في اتجاه الغرب الطمأنينة تجاه مستقبل بولندا. سلم الملك البريطاني سيف الشرف لستالين. تعجب ستالين قليلًا وربما تفاجأ لكنه أعرب عن امتنانه.

وربما بعد كل شيء قال العم جو ستالين نعم العم: أن الإرهاب الذي ضرب الاتحاد السوفيتي في الثلاثينيات ربما أُطلق له العنان دون علمه، فاستطاع أن يسرق العرض. بيد أن قوة ستالين الشخصية اختلفت بشكلٍ واضحٍ عن شخصية كل من روزفلت أو تشرشل. ليس هناك صناديق اقتراع تستطع طرحه عن صهوة جوادة. وما أراده ستالين بالفعل كان أمرًا غامضًا ربما بالنسبة له هو أيضًا. كانت أهداف حربه، مثل كل الحروب، أسباب غير محددة. إلا أن الاتحاد السوفيتي والإمبراطورية الروسية كانتا متشابكتان وربما لا يمكن فصلهما. وكان الدستور الأولى 1936 يقر ما أنشأه ستالين، حيث صدق على الدور المهيمن للحزب الشيوعي في الدولة ويرى أنها ليست ديمقراطية متناقضة بل يؤكد جوهرها.

ماهية النظام كانت أمراً آخر، فشيطنته من قبل الأعداء الطبقيين والقدرة على اكتشافهم قد تقترح التزامًا أساسيًا تجاه المساواة الاجتماعية، بينما يفرض هذا الإلحاد المنصوص عليه التزامًا تجاه العقلانية العلمية. وهي تعد حقيبة ملزمة للعمال والمثقفين على حدٍ سواء في العالم كله، ومن ثَم كان الاتحاد السوفيتي مسرحًا للحضارة الجديدة، وكان هذا نجاحًا دوليًا. أما الاشتراكية في بلد واحد قد لا تكون سوى حيلة مؤقتة لأجل إجهاض ثورة عالمية تتجسد في اللحظة المناسبة. كما كانت العلاقة بين الاثنين بالطبع مادة لكثير من الفتن الأيدلوجية. أما عن الالتزام الذي منح بمراقبة الاتحاد السوفيتي ليعبر عن تلك الأممية فقد تحلل في لحظة، لكن قد لا يكون هناك تخلي دائم عن الاندفاع التبشيري. ما هي الدولة الواحدة؟ ستالين الجورجي المنتقل إلى روسيا، والمفوض لشئون الأقليات سابقًا بالتالي أدار وجهه عن أي نقص في روابط الإمبراطورية الروسية.

يمكن أن يكون هناك إيماءات ثقافية دون وجود مكان للسياسة القومية، ضمن جمهوريات مستقلة ظاهريًا، أما في جورجيا أو غيرها من الأماكن، بالنسبة للقومية السياسية وبالنسبة لدول البلطيق، فقد تظهر سنوات الاستقلال العشرون وكأنها انحراف. كما إن الفنلنديين أيضًا قد يدفعوا الثمن وهو خسارة كاريلا الأرض التي شهدت معركتان مع الاتحاد السوفيتي الأولى عام 1939 والثانية عام 1941 وبسبب اختلالها وقت الحرب. ولذا كانت كل الطرق والسكك الحديدية وقت التدريب تؤدي إلى موسكو.

لم يكن هناك أي ندم بشأن زرع الشعوب مثلما حدث مع شعب الشيشان في أماكن مختلفة "آمنة". كما تقدم الألمان تجاه الغرب مثلما حدث إبان الحرب العظمى وكان مرحب به على الأقل في ذلك الوقت، وتحررت بعض الشعوب إلا أن ذلك قد انتهى حاليًا. كان الاتحاد السوفيتي في وقت قصير يحقق التجانس مع الروس. ففي طهران كان الحديث عن الضباط الأربع، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا متحدين مع الصين في الهامش حيث وضعوا أنفسهم في وضع من يشكل العالم، وضغطت القارات معًا ومازال الأمر مستمر في هذا الفصل حيث لم يتسنى للضباط الأربع بأي حال من الأحوال التعبير عن وجهات النظر القارية بصورة مباشرة.

# 3

# النتائج والتوقعات

## أوروبا : هل كانت بعيدة عن الإصلاح؟

الخروج من الحرب، كان مستقبل أوروبا غامض. ولم يكن هناك من يتحدث باسم أوروبا أو يستطع وضع المنظور القاري إلى الأمام. قد يحكم على كل من البريطانيين والروسيين بأنهم أوربيين لكنهم كانوا متميزين. لم تكن أوروبا في طريقها إلى الارتقاء بأي حس تلقائي بل كانت في طريقها للتحرر من الغرب والشرق. شكلت الحقيقة العسكرية الحالية المستقبل. ففي أكتوبر من عام 1944 في موسكو ناقش ستالين وتشرشل بوضوح "دائرة النفوذ" كما كان التأثير السائد في رومانيا وبلغاريا والمجر للاتحاد السوفيتي. اتجهت ايطاليا واليونان للاتجاه المعاكس. وبدا الأمر وكأنه وبنسبة كبيرة طراز قديم من نحت تقسيم القارة، كما كانت تلك الترتيبات صعبة لتنسجم مع اللغة المتعلقة بالحرية والديمقراطية لتتواجد في إعلان أوروبا المتحررة الذي تسبب في اجتماع روزفلت، وتشرشل، وستالين بالتتابع في يالطا في شبة جزيرة القرم فبراير عام 1945 وما كان يستلزم السيادة بالتحديد أصبح بسرعة محل رفض، فسلوكيات كل من بريطانيا واليونان في دعم الحكومة الملكية ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي في بولندا، في القبض على مقاتلي الجيش أثار انتقادات من الطرف الآخر.

كما اتضحت سريعًا مفاهيم الصراع على الديمقراطية، بيد أنها لم تكن فترة للنزاع الأكاديمي طويل الأمد بل كانت هناك حسابات قديمة بحاجة إلى التسوية. فالخروج من العنف والمقاومة الخطيرة في عالم المنازعات البرلمانية لم يكن أبدًا بسيطاً في أي من الأجزاء الأوروبية. ونظرًا لوجود وجهات نظر مختلفة بشأن مسببات "فشل" الديمقراطية البرلمانية كان لابد من طرح رؤى مختلفة بشأن إعادة بناءها. البعض أرجأ الفشل للتناقض بين الديمقراطية البرجوازية والديمقراطية الاجتماعية. واكتملت نسبة الاتفاق المفترضة قبل استمرار انفصال الدول في أوروبا–باستثناء دول البلطيق التي استقطبها الاتحاد السوفيتي في إطار عملية "استعادة" الدول. وعلى سبيل المثال عاشت تشيكوسلوفاكيا عام 1938 خلال فترة الحرب بمظهرين مختلفين – المحمية الألمانية في بوهيميا ومورافيا، وسلوفاكيا المستقلة نظريًا. وبدا وكأن السكان الألمان في تلك المناطق يخرجون جميعًا، والأكثر من هذا يؤسسون لعلاقة بين التشيك والسلوفاك بطريقة غير واضحة. بيد أن الألمان الذين يعيشون في كل مكان في قلب أوروبا يحبون أن يصلوا لما وصل إليه الألمان في تشيكوسلوفاكيا. وكان الجدول يدور حول الدولة القومية "الطبيعية" حيث خلقت الأقليات العرقية التوتر وعدم الاستقرار. كما كان تنقل السكان يحدث ببساطة ولا يمكن التصدي له، كانت بولندا في طريقها إلى الخروج بحدود أخرى مكتسبة في الناحية الغربية بعض التعويض عما خسرته من ناحية الشرق. إن نمط أوروبا الوسطى كان في طريقة ليصبح أقل تلونًا مما كان عليه عام 1939، حيث كان هناك اختلافًا واحدًا محددًا. أن اليهود قد عانوا بضراوة ولا يستطيعون المشاركة في الحياة في أوروبا الوسطى كما كانوا يفعلون من قبل. هل يستطيع الفرد الاستمرار في الحديث عن أوروبا الوسطى؟ الناس والدول التي تصور نفسها على أنها أرض بين الشرق والغرب بدت وكأنها مستقطبة من طرف دون الأخر.

بعد الاستسلام الألماني عاد التأثير البريطاني على أوروبا بوضوح، لكن المظاهر تخدع. لم يكن أيزنهاور مشيرًا بريطانيًا ولكنه لواء أمريكي. كان إيزنهاور القائد الأعلى لقوات التحالف حيث أن الألمان قد طردوا مرة أخرى في الغرب. كانت علامة واحدة بين كل

العلامات، أن قدر أوروبا لن يحدده الأوروبيون ببساطة (على فرض أن البريطانيون هم الأوروبيون). كما كانت هذه هي الإشكالية العالمية. والتساؤل الألماني في قلب الموضوع المعلن والخاص، في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، طرح العديد من الحلول بما فيها التحول إلى الدولة "الرعوية". كما كان هناك عقد "الاشتراكية الوطنية" وآخرون من تولى المسئولية الألمانية في الحرب. أما الأخير فقد جذب الانتباه إلى قتل هتلر في يوليو عام 1944. لم تكن المحاولة ناجحة لكنها أعلنت وجود ألمان آخرون لكن الألمان لم يقتنعوا. وفي هذه الفترة كان لابد من احتلال ألمانيا الخربة وقيادتها وإزاحة النازية. أيًا كان ذلك كانت، وان الثلاث العظام ينون القيام بتلك الأمور، والتساؤلات التي طرحتها حكومات الأعداء عن ماضي ألمانيا كانت تجول بخاطر الشعب الألماني إبان الهزيمة، ولا يمكن إلقاء اللوم على هتلر في كل الأمور. كان من الصعب الترحيب بالهزيمة لكن كان هناك ما يدعو للترحيب على الأقل بالمستقبل وليس الحاضر. ولم يكن هناك إجابة عن مكانة ألمانيا في المستقبل الأوروبي. وبدت توقعات القيصر السابق بالنصر وكان الأنجلو أمريكان في برلين. لم تغلق القارة، وتخلصت هولندا من الاحتلال الألماني وظهر شارل دي جول في باريس عام 1944. وقد نصب نفسه المقاوم الفرنسي لكنه لم يكن بالشخصية المعروفة في الدولة. كما كان هناك سؤال إعلامي بشأن القواعد الخاصة بملكيته وبشأن نوع المؤسسات الحكومية التي يجب أن تكون في فرنسا. وكان يوضح أن أوروبا لا يجب أن تستقر دون فرنسا، ولذا وقع ميثاق فرنسي سوفيتي بعد زيارة دي جول لستالين في ديسمبر عام 1944 أملًا أن يمنح نفوذ ضد الأنجلو أمريكان (وناشد اليسار الفرنسي) لكن خاب أمله. كان ستالين وروزفلت هما من استبعدا دي جول من مؤتمر يالطا، حيث لم يقتنع العظماء الثلاث أنه على فرنسا فصل الضفة اليسرى من نهر الراين عن بقية ألمانيا – الألمانية ويبدو أن فرنسا أرادت "اللامركزية". ولكنها لم تكن مستعدة وهو ما ظهر في المفاوضات أثناء التعامل مع فرنسا بوصفها شريك متساوي. والبعض وليس العديد من إجراءات التشغيل القياسية بغض النظر عن كل تلك الأمور يجب أن تعظم المعرفة. بيد أنه كان هناك موضوعات لم تحل وغير مريحة بالنسبة لأوروبا، معتمدة على حقيقة أن في كل دولة عدد ليس بقليل من السكان قبل على الأقل في أوروبا أن يكونوا تحت السيادة الألمانية، كانت الولايات المتحدة

الأوروبية قد تحولت إلى الحرية بصعوبة بيد أنها أشارت إلى كيفية الهيكلة القارية. أيما كانت الأيدلوجية التي كشفت عنها حتى في بريطانيا كان هناك حديث عن أوروبا الاتحادية وقد لا تكون خاملة. بل قد تحتاج إلى الآخر لتحقيق اللحمة.

قد تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي النوع الأخر رغم التناقض إلا أن أنها كانت تساعد في تمكين أي نوع من أوروبا. ففي بعض الأحيان كان يرسخ أن لا أحد في أوروبا يؤمن بأسلوب أمريكا في العيش: مؤسسة خاصة وهذا النوع مثل ما ذكره المؤرخ الانجليزي A.J.P أن تايلور قد وضعه في مكانه. وبدت الأولوية الملحة هي إعادة التأسيس لدولة الفرد على قاعدة اجتماعية جديدة. مهما ظهر من معوقات ومهما كانت الحلول فالدول الأوروبية عليها أن تفكر في مصالحها بطريقة مختلفة. ومع وجود ممتلكات خارج أوروبا فقد لا تكون قادرة إلا على التمسك بهذه الممتلكات إلا على المدى القصير. قد تنسحب أوروبا إلى ذاتها بيد أن النتائج قد تعتمد على ستالين.

**الاتحاد السوفيتي: تحول العالم من حولك؟**

الدفاع عن ألمانيا قاد الاتحاد السوفيتي بعمق داخل أوروبا من الشرق مثلما قادت بريطانيا/ الولايات المتحدة إليها من ناحية الغرب. استسلم الألمان في ستالينجراد في فبراير عام 1943 وتبعهم التراجع في سلسة مطولة من المعارك. تعافى الجيش الأحمر "كيف" في نوفمبر 1943 ولينجراد شعرت بالارتياح عام 1944. دخلت تلك القوات رومانيا في ابريل عام 1944، ووارسو في يناير عام 1945، وبودابست في فبراير، وفينا في ابريل، وبارجو وبرلين في مايو. وعندما تلقى رجال الجيش من الشرق والغرب التحية تبادلا سلاماً حذرًا. ماذا قد يحدث بعد؟ هل سيكون هناك اتحاد سوفيتي موسع، أو بمعني آخر هل سيكون هناك أوروبا روسية تمتد لتغطي منتصف أوروبا/ وأوروبا الشرقية الجنوبية؟

كانت الأيدي السوفيتية قوية. جلب "الحرب الوطنية العظمى" معاناة عظيمة وفقدان للحياة، وبالنهاية كان النصر العظيم. لم يكن ستالين ليفوت فرصة ليؤكد على سيادة الاتحاد السوفيتي ويؤمنه ضد أي مستقبل "أوروبي" للغرب. وكان هذا نوع السياسة التي يفهمه دبلوماسية روسية عمرها تسعة عشر قرنًا، قد تكون ببساطة عملية تكرير بثوبٍ

جديد من الاستراتيجيات السلافية والقيصرية. ولم يكن ستالين كتابًا مفتوحًا يسهل قراءته. فبينما كانت الوطنية الروسية تظهر واضحة كان هذا نصر للحضارة السوفيتية وأظهرت سيادتها. يجب أن يقود العالم بالحضارة. كان سببًا نبيلًا وليس "امتداد روسيا". فالدول السوفيتية في هذا التحليل كانت بالأساس وكالة لثورة العالم. فهي تجسد الشيوعية كما خلقها ستالين. لم تكن مجرد نظام عزز الكلام بشأن "أهداف الحرب وأغراضها" فجرت الأمور دون أن يسأل العامة ما إذا كان الجيش الأحمر هو الوكالة الخاصة بالإمبريالية الروسية أم بالشيوعية السوفيتية؟

وهذا الجزء من العالم تصدر منه رائحة الموت – كتالوج أسباب الموت. التحرير في بولندا على سبيل المثال يصعب أن يكون إلا تلميع للمناصب الرسمية-طبقة الأعداء- تؤسر ثم تقتل في العام التالي في غابة ماتيان. وإذا كانت تأثير النازية السوفيتية استمر لفترة طويلة فقد حدث الجدال على أن الأمة البولندية لم تخدم بصورة ملحوظة. كما أن صعود وارسو لم يكن إلى البطولة بل إلى نهاية فاشلة في أكتوبر عام 1944، فقد دُمرت المدينة ومعها كوادر بولندا القديمة وما آتى بعد ذلك نال موافقة موسكو. وفي خلال عملية التحرير كان يظهر جليًا الشكل الذي ستكون عليه الأمور والذي سيشكله من تعاونوا لتحقيق أماني موسكو. والجيش الأحمر لم يكن بعيدًا، ولواء الاتحاد السوفيتي ذو العقل المدبر للتحرير كان هو نفسه من عائلة روسية بولندية. قد يولد البولندي لكنه يظل ملتزم بالاتحاد السوفيتي دون انفصال.

وبالطبع كان هناك تاريخ مضطرب جزئيًا في العلاقات الروسية البولندية/ الاتحاد السوفيتي والتي كانت وراء الأحداث وتسببت في مظاهر ثقافية وعاطفية. بيد أن الصورة حاليًا هي أن كل دولة في الشرق الوسطي وجنوب شرق أوروبا يجب أن تصل إلى شروط مع تغير الحكام الخارجيين. فالدول الفردية ستبقى، لكن هل كانوا أتباعا، أو مقاطعات أو حتى شركاء للاتحاد السوفيتي؟ الفراغ في السلطة أو الفوضى الاقتصادية دائمًا ما واجه في المقدمة فرصة كبيرة للتحمس والثقة والترتيب الجيد للشيوعية الأهلية لجمع القوى.

كانت الشيوعية المجرية متناغمة ـ "يتوجب علينا قلب العالم غدًا" بدا المبدأ جذابًا.

وتشابهت الشيوعية في ايطاليا وفرنسا. إلا أن ستالين لم يحث على إقامة ثورة ضدهم، فعليهم إتباع المسار البرلماني، ولذا وجدت درجة من عموم أوروبا "الطبقة العاملة" – ذوي ممارسات متباينة ـ وقد أرادوا ذلك التحول. حيث كان يمثل الجيش الأحمر والذي توجه في اتجاه نوع بعينه من التخطيط والتحكم الاقتصادي، وتأسيس الماركسيةـ إن مذهب اللينينية بوصفها الأيدلوجية الحاكمة يعد تغير كامل في السياسة وعهد القضاء على التعددية السياسية.

العالم السوفيتي يمثل شيوعية ستالين بوصفها نموذج التطبيقات الكونية. وقد انقلبت الأضواء لتسلط مرة أخرى على ستالين، والرجل كان يبدو بشعًا ورائعًا. أي قدر من الخطاب المعبر للتحالفات عن الانتخابات الحرة قد يخفي حقيقة أن الاتحاد السوفيتي المرئي من لندن أو واشنطن ظاهرة محيرة. كان هناك انجذاب مستمر لهؤلاء المخلصين المفترض مساواتهم، وضد قصص السلب، والاغتصاب والنهب التي يصحبها تقدم الجيش الأحمر وأصبح البطل وقت الحروب ونال إعجاب الشعب الروسي. وعاش ستالين طويلًا ليتسيد إمبراطورتيه لدرجة عدم وجود انتخابات عابرة للسياسيين الغرب. كانت تلك هي الحقيقة. وكان الانجلو أمريكان ليهزموا الفاشية إلا أن بعض العلماء قد تجادلوا لأجل العداء المتبادل الواضح فالفاشية والشيوعية تشاركت نفس العقلية الشمولية، ولهؤلاء اللذين ظنوا بوجود التشابه استقر "النصر في أوروبا" قليلًا.

## شرق آسيا: استئناف النظام القديم

وكان الاتفاق الأنجلو أمريكي على استراتيجية "أوروبا الحادية" قد أبعد حرب المحيط الهادئ إلى الخلفية. من 1887 الأفلام الرسمية البريطانية التي قدمت خلال الحرب العالمية الثانية، تم التعامل فقط مع 14 في حرب المحيط الهادئ. لم يشارك الاتحاد السوفياتي في القتال مع اليابان. مع هزيمة ألمانيا، انتقلت اليابان إلى المرحلة النهائية. منذ معركة ميدواي في يونيو عام 1942، وقعت السيادة البحرية مع الأميركيين. بدأ إعلان ثقل الإنتاج الحربي الأميركي. وحتى مع ذلك، كما هو مبين في معارك للاستيلاء ايو جيما (فبراير ومارس 1945) وأوكيناوا (من ابريل إلى يونيو 1945)، كانت المقاومة من

الحاميات اليابانية شرسة. ان قوات الامريكيين مدفوعة من شمال أستراليا وغربا عبر المحيط الهادئ. فإن أستراليا، ورئيس وزرائها، كورتين، أعلن بوضوح في عام 1941، أنه ينظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية. قد ظهر لأستراليا أن الجنرال ماك آرثر قد جاء في الشهر الذي سقطت فيه سنغافورة في يد اليابانيين، لبدء الاستعدادات المضادة في نهاية المطاف ضد اليابان، مما عجل بدخول أستراليا إلى آسيا في أعقاب الولايات المتحدة. الجيش الرابع عشر البريطاني لعب دوره في اعادة احتلال بورما. وكانت القوات الأسترالية ونيوزيلندا نشطة في مسرح أحداث المحيط الهادئ. تم اتفاق ستالين في اجتماع القمة في زمن الحرب الثانية مع روزفلت وتشرشل الذي عقد في يالطا في شبه جزيرة القرم في فبراير 1945 أن الاتحاد السوفياتي سينضم خلال ثلاثة أشهر من هزيمة ألمانيا. اكتسح الجيش الأحمر في منشوريا وتقدم في كوريا. وكانت المشاركة السوفيتية هامة لقوات الحلفاء لان ذلك يعني أن الاتحاد السوفياتي لم يدعم بشكل منفصل الشروط اليابانية من أجل التوصل إلى هدنة. وكانت النتيجة الطبيعية للتدخل هي المشاركة السوفيتية في التسوية السلمية مع اليابان، فإن ستالين يريد استرداد ما خسرته روسيا في هزيمتها أمام اليابان في عام 1905. عرف الحلفاء في بوتسدام يوم 26 يوليو ما المقصود بالاستسلام الغير المشروط لليابان. سيتم تجريد البلاد من إمبراطورتيها وتحويلها إلى دولة مسالمة. وقد ترك الوضع المستقبلي للإمبراطور واضح. إذا لم تقبل الحكومة اليابانية هذا الأساس ستهدد بالتدمير الشامل. في 6 أغسطس 1945، تم إسقاط القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما اليابانية، وجاء بعد ثلاثة أيام، من جانب واحد على ناجازاكي. يوم 2 سبتمبر، على متن ميسوري الأمريكية في خليج طوكيو، استسلمت اليابان رسميا إلى قائد القوات الأمريكية الجنرال دوغلاس ماك آرثر. وعلى الرغم من مساهمة الآخرين، كانت هزيمة اليابان شأنا أمريكيا. وقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، بفضل الاحتلال، هو نوع من قوة شرق آسيا. ولكن كيف ستكون " شرق آسيا " الجديدة؟ للوهلة الأولى، قد لا تكون مختلفة، فقد حددت بريطانيا وفرنسا وهولندا استئناف السلطة الاستعمارية: لم تنسحب "أوروبا" من جنوب شرق آسيا، على الأقل ليس على الفور. قد تغير الكثير في الفترة الفاصلة، ولا يمكن أن محوه من الذاكرة. وشهدت فترة وجيزة من السيطرة اليابانية على

الاستقلال الذي كان زائفاً في نطاقه ولكن قوياً في جاذبيته. وقد أعلن با ماو وأونغ سان استقلاله البورمي في أغسطس 1943. قاد أونغ سان الجيش الوطني لتدريب وتجهيز القوات البورمية اليابانية. في نيسان 1945 لجأ إلى بريطانيا. في عام 1943 في وقت مبكر، رائد الشخصيات السياسية الفلبينية، أعلن في طوكيو أنه سيتم منح الاستقلال. وفي وقت لاحق، في سبتمبر 1944، على الرغم من التخوف من العواقب في المستقبل، فقد أعلنت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية. قيل للفلبينيين من قبل المحتلين بتأكيد وجودهم كشعب شرقي. إذا كانت عودة الأمريكيين ستغفر لهؤلاء المتعاونين. (أحمد سوكارنو b.1901)، أحد مؤسسي الوطنية الاندونيسية في ذلك. تركت جزر الهند الشرقية الهولندية في عام 1927، حتى 17 أغسطس 1945 رسميا لإعلان "اندونيسيا" مستقلة. وقد فعل ذلك، بزعم، بوجود مسدس لافتا في رأسه. الظروف كانت كاشفة. قبل عشرة أيام، قال انه قد قبل رئاسة لجنة بموافقة الياباني للتحضير للاستقلال الإندونيسي. مع وضع أصابعهم على الزناد، ومع ذلك، لا يمكن أن يكون الاستقلال "منحة" من قبل أي شخص. كان لا بد من اغتنامها. من جهة أخرى، دخلت الثورية الفيتنامية هوشي منه (b.1890) هانوي وأعلنت بلادها جمهورية مستقلة. لم يتفق مع هولندا او فرنسا. لذلك فان هذه التصريحات قد تكون مجرد إشارات فارغة، ربما تكون ممكنة عن طريق الغزوات اليابانية. قلد وسام سوكارنو الإمبراطور هيروهيتو في طوكيو في نوفمبر 1943. فقد نظم بنشاط هوشي منه "فيات منه" حرب العصابات ضد اليابان -لم يتلق مثل هذه الجائزة الإمبراطورية. يمكن افتراض أن "كوريا" سوف تستعيد الاستقلال من اليابان التي كانت قد فقدته في عام 1910 ولكن كيفية فعل هذا كان غامضا. بنظره مبعديه، مرة واحدة قد تحقق الاستقلال، في أي ظروف دقيقة، فقد نصبوا أنفسهم قادة دول شرق آسيا، وسيكون ذلك لوضع أنفسهم في العالم. فإن التعليم والسفر، جنبا إلى جنب، غالبا ما يعطى لهم مزيج من التأثيرات الثقافية والتحالفات الشخصية. وكانوا جميعا يتحدثون بطلاقة في اللغات الأوروبية للمستعمرين، وكذلك في حياتهم الخاصة. كتب با ماو من بورما، على سبيل المثال، وهو من عائلة علمية، الدكتوراه في فرنسا عن البورمية البوذية. ثم دخل مجال السياسة، وأصبح يحتل مكانا بارزا في المجلس التشريعي الذي سمحت بريطانيا بتشكله في

بورما. وكان هوشي منه بعيدا من فيتنام لسنوات عديدة. أمضى وقتا في انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والصين. لم يكن في فرنسا عضوا مؤسسا للحزب الشيوعي الفرنسي فقط، ولكن عند نقطة معينة، احتج بجرأة ضد الفساد اللغة الفرنسية واستيراد الكلمات الإنجليزية. ادعى سوكارنو أن تكون على الأقل مريحة في اللغة الهولندية، الألمانية، الإنجليزية، الفرنسية، العربية واليابانية، على الرغم من تراجع ادعاءاته لأنها أقل من الواقع. إذا كان أعضاء من الأحزاب الشيوعية أم لا، وأكد هؤلاء الرجال أن "العدالة الاجتماعية" و "القومية" تنتمي معا. وضع سوكارنو عليها "المبادئ الخمسة" من نوعية ما لا يمكن الاعتراض عليه: القومية، الأممية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والإيمان بالله. كان يتم التلفظ بمفردات الغرب، سواء من واشنطن أو موسكو، سياقات ثقافية ودينية مختلفة جدا، بوذي، مسيحي ومسلم، حيث الدول القومية، على النمط الغربي، الغير مستقر. سوكارنو يريد خلق عالم شرق آسيا، من شأنه، قبل أي شيء، أن يكون 'حديث' كما كان يعتقد نفسه أن يكون. الجانب الآخر من هذه الرعاية اليابانية "للاستقلال" هو الاستغلال. أي قدر من الكلام عن "الشراكة" يمكن أن يخفي المدى الذي كان ليتناسب مع المتطلبات اليابانية. إذا كانت اليابان قد نجحت فعلا في إغلاق عالم الآسيوية، وهي علاقة أكثر مساواة بين المحتل والغازي. والواقع أن عداء الشعوب نحو اليابان كان أقل وضوحا، من بين المعادين، لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. كان هناك مفارقة غير مريحة -كما هو الحال مع ألمانيا في أوروبا -وهذا في آسيا حيث كانت معظم البلاد "حديثه" وأيضا الأكثر عدوانية و " همجية ". بعد الحرب، كان هناك على الأرجح "ألمانيا" التي من شأنها أن تعاود الظهور، ولكن هل كان هناك يابان آخر؟ إيان نيش، وهو باحث بريطاني كبير، يشبه الحكومة اليابانية في 1930 بالتقدم في سباق مع الثلاثة المدنيين والجيش والبحرية، كل سحب في نفس الاتجاه العام ولكن المسألة كانت مذهلة برعونة كما جادل حول ما إذا كانت اليابان قوية بما يكفي للذهاب وحدها أو ما إذا كان هناك حاجة لحليف إذا أريد لها أن تترك بصماتها في العالم. قد انتهي كل هذا بكارثة. وكان من المرجح، بعد الحرب، أن يقول بعض اليابانيين أن النقد الأوروبي أو الأمريكي من التوسع الياباني كان نفاق. ولكن هذا كان مجرد نقطة نقاش. والسؤال المطروح هو

أعمق وهو ما إذا كانت العناصر الجوهرية لليابان لها مفهوم ذاتي يمكن تفكيكه وإعادة تجميعه لتقديم "العصرية" الهوية اليابانية المقبولة لدى جيرانها والعالم الأوسع. والنقطة الرئيسية - كما وضع الإمبراطور - الذي كان معقدا تجاه قضية استسلام اليابان. لا الأميركيون ولا الأوروبيون قد افترضوا أن الإمبراطور كان مقدس. لكن اليابان في حاجة إلى الإمبراطور إذا أريد لها أن تظل " اليابان". يمكن السماح بالوضع الحالي، ولكن الآن بقاء الإمبراطور حلا وسط مقبولا، على الرغم من تعقيد احتماليه محاكمة مجرمي الحرب. الأمريكان -وأيضا لبعض الوقت الوجود العسكري لـ "الكومنولث البريطانية"، بما في ذلك الكتيبة الهندية - وجدوا أنفسهم يدخلون التضاريس الثقافية الصعبة (كما بالطبع فعل اليابانيين). اليابان، من الناحية النظرية، في نهاية الحرب، كان تسليم الصين إلى الحكومة القومية. وكانت الصين بالتأكيد تستعد الآن، "كشرطي"، لتصبح "صوت آسيا" في النظام العالمي الجديد. لا توجد بلد آخري يمكن أن تتطابق مع أنها أوقفت الأمور. لا يزال مصير "الهند البريطانية" غير واضح. لم يكن سوى صين "ملائم" الذي أعطي هذا المجال ولكن أيضا في المجتمعات المؤثرة " خارج الصين". في الواقع، في ختام الحرب، كان البلد الذي من المرجح استئناف الحرب الأهلية، مع المستقبل استقر في ساحة المعركة، بدلا من أداء كقوة عظمى عالمية. على الورق، سواء من حيث القوة البشرية والذخائر، وبدا الأمر كما لو كان القوميون شيانغ كاي شيك في موقف أقوى. هناك العديد من الطرق للنظر إلى ما كانت عليه القضية. ألم يكن من الغرور أن نفترض أن الولايات المتحدة "توجه" مستقبل الصين؟ ظلت سمعة تشيانج في الولايات المتحدة عالية. وبقيت صور تشيانغ وزوجته وجوزيف ستيلويل وهو يبتسم. لم يفهم تشيانغ "الديمقراطية"، حيث كان ترومان يعتقد انه يفهمها، ولكن لماذا يحتكر الأميركيين؟ وكانت الصين صين. لذلك كان أيضا ابن الفلاح من هونان، ماو تسي تونغ. كطالب شاب، قال إنه قرأ، في الترجمة، مجموعه من أوروبا: مونتسكيو، كارلايل، مطحنة وإبسن. وكان قد قدم إلى الماركسية خلال الفترة التي قضاها في شنغهاي وبكين في 1918-1920، وانضم إلى الحزب الشيوعي. وكان اتبع ربع قرن من النشاط الغير مستقر. إن ثوره الصين ثورة كانت واضحة، ولكن سيتم تنفيذها من قبل البروليتاريا في المدن أو الفلاحين؟ كانت هناك

معارك فكرية وحقيقية للقتال. وخلافا لبعض من إتباعه، سافر ماو لموسكو لنقل العقيدة من الكومنترن. لم يفهم ماو من قبل الشيوعية كما تفهمها روسيا. منذ البداية، ما إذا كان الاتحاد السوفييتي أو النظام الأمريكي الذي انتصر، الصين بشكل كامل، من شأنها أن تشق طريقها بنفسها.

## الولايات المتحدة الأمريكية: صناعه "عالم واحد"

ومع اقتراب الحرب من نهايتها، لعبت الولايات المتحدة الأمريكية مع كندا دورا حاسما في تحديد النتائج العالمية. فإن حرب أمريكا الشمالية لا يمكن أن تكون مثل آسيا أوروبا أو الشرق. وقد اتخذت الحروب المكان "هناك". لم تدمر أي مدينه أمريكية (وإن كانت هناك تجربة بيرل هاربور). وكانت الخسائر في الأرواح التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية (260.000) أقل من أي بلد آخر (وخلاف لبلدان أخرى، لا يوجد وفيات في المدنيين). في جميع أنحاء العالم، وكان ما يقرب من 50 مليون حالة وفاة حدثت. وكان التوزيع لهذه الوفيات تذكير بأن "العالم" كان في الواقع يعاني بدرجات مختلفة، بطرق مختلفة ولفترات مختلفة. فليس من الغريب أن سجلت" أوروبا"، والاتحاد السوفياتي و "شرق آسيا"، أكبر عدد من الوفيات. فإن عدد الوفيات في أوروبا وألمانيا (5250000) تجاوز بكثير تلك التي لبريطانيا (386,000)، فرنسا (563,000)، وإيطاليا (330,000). عدد الوفيات في بولندا (إذا تم تضمين المناطق المحتلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية) بلغ 6020000. وكانت ضحايا المحرقة في المنطقة يبلغون 5.6 مليون. تجاوزت حالات الوفيات في الاتحاد السوفياتي 20.60 مليون وتجاوزت بقية "أوروبا" إذا وضعت معا. وفي شرق آسيا، عدد وفيات اليابان 1.80 مليون، 4.30 مليون صيني ومليون فلبيني. في هذا السياق، كانت التجربة الأمريكية " الحرب العالمية " وما جلبته الحرب كان بسيط. حقيقة واحدة، تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت مشاركة في أعمالها التدميرية. قصف المدن في القارة الأوروبية، بلغ ذروته خلال درسدن في فبراير 1945 – حدوث 34 ألف حاله وفاه – قد وضعت من قبل القنابل الذرية التي ألقيت على هيروشيما وناجازاكي. حتى قبل إسقاط القنابل الذرية، واضاف ان الدول استخدمت طرق القصف "التقليدية"

سواء بقدر ضئيل أو لا للتمييز بين الضحايا 'العسكريين' و 'المدنيين'. بلغ أكبر عدد من الوفيات الناجمة عن القصف " التقليدي " في طوكيو مارس 1945، والآثار المترتبة على القنابل الذرية قد لا يسبب الغرق على الفور ولكن الواقع أنه في أي حرب مقبلة، إن جميع السكان (والدول) يمكن محوهم. وكانت القنابل الذرية، قنابل الأمريكية. وبطبيعة الحال، كانت الولايات المتحدة الأمريكية فقط تمتلك أسلحة الدمار الشامل. وكانت إشارة فريدة في الوضع العالمي. لم يكن واضحا كيف يتم "صرف" هذه الأسلحة من حيث العلاقات الدولية، ولكن العالم يدخل حقبة جديدة. ليس من المرجح أن تقبل كافة الدول بالولايات المتحدة الأمريكية "كوصي على العالم ". لا توجد دولة، ربما تعتبر من "القوى العظمى" من دون هذه الأسلحة. كانوا يريدون أن تكون حكرا على "أربعة من رجال الشرطة" (نفترض أنهم جميعا يرغبون في ذلك، فهل يمكن)؟ ولكن قد لا يكون من الممكن الحفاظ على تمييز بسيط بين "القوى النووية" و "باقي العالم". قد يصنع العديد من الدول، في الوقت المناسب، قنبلة ذرية. وكان العلماء الذين عملوا على المشروع في الولايات المتحدة ليس كلهم من الأمريكيين. كان الفيزيائيين النوويين لم يعرفوا هذا المجال في ألمانيا أو اليابان، ومجموعة مختلفة من الظروف قد أنتجت مثل هذه القنابل في تلك البلدان. سواء الانتشار، لو حدث ذلك، من شأنها أن تجعل الحرب بين الدول أقل احتمالا. لو حدثت بالفعل، يمكن أن يؤدي إلى الموت والدمار على نطاق لا مثيل له في تاريخ البشرية. ومن نتائج الحرب أن غادر الولايات المتحدة الأمريكية على حد سواء المحاصرين والمنجذبين بالاحتمالات. في نهاية الحرب الأولى " العالمية "، كانت القوات الامريكية معبأة للتو وتريد العودة إلى الوطن. فلم تشارك الولايات المتحدة الأمريكية في عصبة الأمم. في عام 1919، ويبدو كما لو أن العالم وأوروبا على وجه الخصوص، ستعرف نفسها. هل يعيد التاريخ نفسه؟ وكان الرئيس الجديد في منصبه. هاري ترومان (1884.b) تولى بعد وفاة روزفلت في أبريل 1945. وهو نفسه خدم في فرنسا بوصفه قائد المدفعية خلال الحرب السابقة، لكن ذلك لم يفتح شهيته للسفر إلى الخارج.

مثل معظم الأميركيين، بقي في المنزل. لم يكن العالم الأمريكي " كافي بالنسبة

لواشنطن؟ هل يمكن أو يجب الحفاظ علي النصف الكرة الغربي واعتباره عالم منفصل؟ ان الشراكة مع كندا المجاورة كانت واضحة وصميمة إلى حد كبير. في عام 1945 نشر المؤرخ الكندي (جي بي بربنر) كتابا مؤثرا، وصف البلدين بالتوائم السيامية: لا يستطيعوا الفصل والحياة دون بعضهما. وفي الحديث عن " المثلث الشمال أطلسي " سلط المؤلف الضوء على كيفية ارتباط كندا بكل من واشنطن ولندن. في ظروف معينة، يمكن أن تكون بمثابة " وسيط" . وكانت كندا واحدة مع الولايات المتحدة في إرسال قواتها إلى " العالم " للقتال. ومع ذلك، فإنه يعتز بموقعها داخل الإمبراطورية البريطانية -الكومنولث، واحد بالمثل في لندن. وكانت كندا في عيون تشرشل، "دومينيون العظمى". وتحدث رئيس وزرائها، ماكنزي الملك، وقد حضر إلى لندن في عام 1944 أول تجمع لرؤساء وزراء دومينيون لمدة خمس سنوات، فقد تحدث بقوة إلى البرلمان البريطاني عن "روح الحرية". طالما يشارك جميع أعضائه ذلك، ليست هناك حاجة من أي وقت مضى للخوف على قوة أو وحدة الكومنولث. وحتى مع ذلك، كل قرار كندي عن الحرب، وافق عليه من قبل الحكومة الكندية. كندا لم تربطهما علاقات التي تربط، رغم أن هذه كانت " الروحية " وينبغي عدم الخلط مع أي فكرة رجعية مركزية إمبريالية. ولا كانت العلاقات الناطقة بالإنجليزية فقط. التي وجدت تعبيرا آخر. جاء ديغول للتحدث أمام حشد كبير في مبنى البرلمان، أوتاوا. كان الكنديين الفرنسيين والجنود الفرنسيين يقاتلون الآن جنبا إلى جنب مرة أخرى. هذه الروابط لم توحي بالانسحاب في نصف الكرة الغربي من جانب الحكومة الكندية. كانت أميركا اللاتينية مسألة مختلفة. وأضاف أن الدول التي ليس لديها الرغبة في الانجرار إلى الحرب أو القيام بدور قيادي في تشكيل السلام. بعد فصلهم لم تكن كاملة.رفعت بريطانيا البحرية الألمانية " معركة الأطلسي " قضايا الوصول إلى الميناء -تميل التشريعات المحلية لصالح بريطانيا. لكن بعض الدول -وخاصة الأرجنتين والبرازيل وأوروغواي -كان لديهم أعداد كبيرة من المهاجرين من الجيل الأول من ألمانيا وإيطاليا، وبعض منهم تجذبهم الدعاية النازية. بعد عام 1940، والموقف غير مؤكد من الممتلكات الفرنسية والهولندية في البحر الكاريبي وأمريكا الجنوبية والشمالية الشرقية أثيرت إمكانية الوجود الألماني. وساهمت هذه العوامل في القبول من قبل معظم الحكومات في أمريكا

الجنوبية من الرصاص الأمريكي في تنسيق الدفاع. وهذا لا يعني، أن الاتفاقية لتقديم الولايات المتحدة الأمريكية مع قواعد تم التفاوض بشأنها بسهولة. فقد ذهب الجيش الأمريكي والبعثات البحرية إلى الجنوب، ولكن، للمساعدة في الاستعدادات الدفاعية. تلقى ضباط أمريكا الجنوبية التدريب في الولايات المتحدة أو منطقة قناة بنما. في مؤتمر وزراء الخارجية في ريو دي جانيرو في يناير 1942، صمد فقط الأرجنتين وشيلي ضد قطع العلاقات الدبلوماسية مع دول المحور. تم إنشاء مجلس الدفاع الأمريكي في العام نفسه. هذه التسميات، لم تخفي حقيقة سيادة المتطلبات الاستراتيجية لواشنطن. وكانت العلاقات الثنائية مع النخب السياسية والعسكرية في بلدان معينة أكثر أهمية من آليات التشاور الحكومية الدولية الرسمية. وبحلول نهاية الحرب، كانت تقع بعض 100.000 جندي أمريكي فيما اعتبرت الاستراتيجية أن تكون من أكثر الدول أهمية في أمريكا الجنوبية. كما لفت الانتباه إلى نهايته، ولذلك ينظر "الأمريكتين" بزوال الحرب. إن الواقع في نصف الكرة الغربي، لم يكن في حد ذاته ينطوي على منظور مشترك حول العالم الخارجي. حيث وقفت أمريكا الشمالية في مكان مختلف. الأسئلة في نصف الكرة الغربي الداخلي، بالنسبة للولايات المتحدة، لا تزال تتطلب اهتماما استثنائيا باعتبارها مجموعه مميزه، ولكن يمكن أن الولايات المتحدة لا تنسق الصوت مشترك من " الأميركيتين " أو تقيد نفسها لهذا المجال. وعلى المدى القصير، على الأقل، لم يكن هناك الطريقة التي تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من " الوطن " في عام 1945. وليس هناك بلد أفضل لكي تظل، كما وضعت الحرب أوزارها، لجعل العالم مكانا أفضل. فقد حان الوقت للتفكير في " عالم واحد" . وجد هذا التفاؤل تعبيرا له في كتاب نشر في مارس 1943 تحت عنوان العالم الواحد، كتبه يندل ويلكي، المرشح الجمهوري المهزوم في انتخابات الرئاسة الامريكية 1940. حيث نشر وحقق نجاحا هائلة في العالم الناطق بالإنجليزية، وضرب على وتر حساس مع الملايين من القراء، وكان يردد بعده. في أواخر شهر أغسطس عام 1942، بمباركة روزفلت، غادر ويلكي نيويورك لإقامة "جولة حول العالم". وبعد العودة إلى دياره بعد ما يقرب من شهرين، كان قد أصبح على قناعة بأن العالم قد أصبح صغير ومترابط تماما. وقال انه تحدث مع مئات من الناس، بما في ذلك 'العديد من زعماء العالم، في أكثر من

عشرين دولة. فهناك كثير من الأمور في منتصف الحرب لا تزال غامضة، ولكن الآن فقد حان الوقت للتخطيط من أجل السلام " على أساس العالم. يطل من مكانه مهاجم أربعة محركات، وتحويلها لخدمات النقل، وكان لديه شعور جديد أن القارات والمحيطات كانت أجزاء فقط من كل واحد. لكن توضيح إنجلترا وأمريكا، روسيا والصين؛ مصر وسوريا وتركيا، العراق وإيران وأكد أيضا أن الدول لم تكن سوى " أجزاء ". لا يوجد سلام في العالم إلا إذا كانت أسسه آمنة في كل مكان. " عالم واحد " كان أمر طويل وشاق. سافر ويلكي 31.000 ميل، ولكنه لم يزر أجزاء كثيرة من العالم، ولم يجتمع بالعديد من "القادة"، ولم يكن يعرف مخاوف وأمال الملايين. كان متحمس للسفر الجوي الذي أعطاه رؤية. في 1914-1918، لم تطير طائرة واحدة جوا عبر المحيط الأطلسي. الآن أصبح المحيط مجرد شريط. وكانت أوروبا وآسيا (لم يكن هناك أي إشارة إلى أفريقيا) على عتبة جدا من أمريكا (والعكس). وقد حان الوقت الآن لخلق العالم الذي يجب أن يكون حيث تكافؤ فرص بين كل عرق وكل الأمة. استشعر مزاج العالم -وبدوره ساهم في نشرها. الرجال والنساء في كل مكان، وكتب، "على المسيرة"، جسديا وفكريا وروحيا. كان "العالم الغربي" وتفوقه يفترض الآن ' المحاكمة ". يعرف الرجال والنساء في روسيا والصين والشرق الأوسط أن الكثير من القرارات حول مستقبل العالم سوف تقع للمرة الأولى في أيديهم. لقد كانت عملية كبيرة، على حد تعبيره، وقد بدأت. لم يشارك كل شخص قابله ويكي وجهه نظره. عندما التقى هو وديغول في بيروت المكدسة مع تماثيل نصفية والصور والتماثيل من نابليون، وشكا ديغول أن بعض الناس لم يأخذوا تاريخ فرنسا المجيد في الاعتبار. كان ديغول أخذه كثيرا في الاعتبار، ولن نسمح بنسيان الأمريكيين. عندما تناول الغداء في مصر مع قائد البحرية البريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وجدت ويلكي أن الضباط على طاولة مستديرة ليس لديهم فكرة أن العالم قد تغير. قد قرأوا عن وجود ' ميثاق الأطلسي "الذي تحدث عن " تقرير المصير "الذي وقعه الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني في نوفمبر عام 1941، ولكن لم نفترض أن لديها أي أهمية بالنسبة لهم. وكان "العم جو" ضحك وضحك عندما وقف في روسيا، قال ويندل ويلكي له انه إذا استمر الزعيم السوفيتي لتثقيف شعبه في المدارس السوفيتية فإن ستالين سيعتبر نفسه

عاطلا عن العمل. وضع ستالين أمامه رأي العالم في التعليم. ودعا إلى إلغاء التفرد العنصري، والمساواة بين الدول وسلامة أراضيها، وتحرير الشعوب المستعبدة واستعادة حقوقها السيادية، وحق كل دولة في ترتيب شؤونها كما تمنى. وحث على المساعدات الاقتصادية لمعاناة الدول لتحسين الرعاية المادية. وقال انه يتطلع لاستعادة الحريات الديمقراطية والقضاء على نظام هتلر. وكانت قائمة مثيرة للإعجاب.

اعترفت ويلكي أنه لا يمكن أن يصدق. كان ستالين رجل صعب، وربما حتى قاس، إلا أنه متمكن جدا. أمريكا يمكن أن تفهم لماذا هذا العدد بين الديمقراطيات يخافون ويثقون في روسيا السوفياتية، ولكن يعتقد ويلكي أن هذا الخوف، أظهر ضعف وكان من الخطأ. وكتب أن روسيا، كانت بلد ديناميكي، مجتمع حيوي جديد. أنها تشكل قوة لا يمكن تجاوزها في أي عالم في المستقبل. جلبت رحلات ويلكي خارج موسكو وطن له وكيف تنوع هذا ' الاتحاد ' وكيف تضخمت الكتلة. انه يشتبه في أن هناك اماكن - توضيح سينكيانغ (شينجيانغ) -حيث من المحتمل أن "روسيا" والصين سيشتبكون في المستقبل (على الرغم من أنه لا يمكن أن نعرف أنه سيكون في ظل حكومة الشيوعية الصينية التي، بعد عقود من الزمن، هذا الصدام سيحدث في الواقع). كان ستالين نفسه ذكر ويلكي أن هذه الحياة " الروسية معينة قد بدأت مثل الفلاحين الجورجي. والجمهورية الجورجية، تحت رعاية السياسية المختلفة، حديثا المنشوفيك، ظهر في أعقاب انهيار الإمبراطورية الروسية. في عام 1921 تم طرد المنشوفيك من تبليسي، عاصمة الولاية، وأعلن الجمهورية الاشتراكية السوفياتية من جورجيا. الاشتراكية الأكثر مثالية في أوروبا، في نظر وفد بريطاني، قد حان لوضع نهاية مفاجئة. ومع ذلك، لم يكن هناك شيء قابل للتفكر او الاهتمام. على عودته إلى الوطن، أعرب ويلكي على أمل وطيد في أن روسيا وأمريكا، " ربما بلدين الأكثر نفوذا في العالم، ستعمل معا. وبينت عدم وجود نية لنفترض أنه في أي اتصال محتمل بين الشيوعية والديمقراطية، وكانت الديمقراطية التي من شأنها أن تذهب بعيداً. عندما كان في الصين، فكر في آسيا، يعتقد ويلكي ان الفوز الياباني يؤدي إلى إمبراطورية الاحتلال ثلث الأرض ونصف مجموع سكانها الحاكم. أنهم جميعا لديهم

مصلحة مشتركة في استئصال الأيديولوجيات والأفراد، في ألمانيا واليابان، المسؤولة عن الحرب. ما من شأنه أن ينطوي على مسألة أخرى. وقال له قراء بأنهم يجب ألا يتوقعوا المثل الصينية من الحرية الشخصية والحكومة الديمقراطية أن يكون بضبط نفس لهم. وجد الأميركيين بعض العادات الأمريكية السخيفة والمشمئزة عند الصينيين. إذا كان المواطن الريفي الحكيم سيوجه القوى في الشرق نحو جهد تعاون العالم من أجل السلام والأمن الاقتصادي. إذا تم استهزاء وتجاهل هذه القوات فانهم سيواصلون تعكير صفو العالم. في الصين ويلكي قد توغل إلى أجزاء هو وزملائه لم يسمع عنها من المواطنين. طار إلى شينجيانغ من طشقند "في يوم واحد". حيث وجد مشهد غير عادي.

حتى في المناطق " النائية "، كان من الممكن أن يلتقي الرجال الصينيين الذين تخرجوا من مدرسة كولومبيا للصحافة في نيويورك. تم استخدام أي رجل كان قد ترشح للرئاسة إلى الحشود، لكن الحشود التي استقبلته في تشونغتشينغ استثنائية. معظمهم، لم يعرفوا من هو. بالتأكيد، كتب ويلكي، فإن الأميركيين يمكن أن نري كتابتهم على الحائط. انفتاح الصين الجديدة، من حيث تاريخية العالم، سيكون مثل انفتاح الغرب الأمريكي. وكان الفرق أن الأول قد بدأ وليس مع القاطرات ولكن مع الطائرات تطير بسرعة 300 ميل في الساعة. كل هذا، يمكن للمرء أن يقول، كان التفاؤل الإنساني الخالي من مرشح للرئاسة الأمريكية الفاشلة. ماذا عرف ويكي، أصبح الآن رئيس شركة المرافق نيويورك، عن العالم؟ الموت في عام 1944، وقال انه لن يعيش لتجربة الفجوة الصعبة بين رؤيته والواقع. وكانت هذه الرؤية بالضرورة اميركية. الساسة والمعلقين من بلدان أخرى، لأن تحرك طريقهم عبر العالم لا يزال في حالة حرب، ظهرت وجهات نظر مختلفة. نقلت آلاتهم غير مريحة المتناقضة الرسائل والمعاني. شهد المسافرين في العالم هو من سماء واحدة، ولكن تفسير ذلك بطريقة مختلفة. رؤى ولاء العالم، التدرب عليها كثيرا في بعض الدوائر، ويجري تجديد بنشاط في الوقت الحاضر. الطريق إلى "عالم واحد"، ومع ذلك، لم يتتبع بسهولة. يعتقد البعض أن العالم يقوم على " توازن القوى " بين بريطانيا وأمريكا والاتحاد السوفييتي (بغض النظر عما يحدث في الصين) سيكون كارثة أسوأ من أي شيء قد حدث

حتى الآن للبشرية. وقال المفوض السامي البريطاني في كندا، مالكولم ماكدونالد قدر لجمهور الكندي في عام 1944. ولم يكن صاحب صوت انفرادي. ويرجع ذلك جزئيا، وقيل إن عصبة الأمم، كانت المحاولة الأولى في "هيئة العالم"، لأنها تفتقر إلى القدرة القسرية. ولذلك، فإن المنظمة العالمية الجديدة أن إشراك جميع الدول في مناقشة المسائل الدولية. يمكن لمثل هذا الجسم بدوره إجراء مرافعات لدى هيئة تنفيذية تتألف من "رجال الشرطة" أربعة وربما ستة بلدان مختارة أخرى لإعطاء البعد العالمي. فإنه، مع ذلك، أن يكون الأربعة الكبار الذين لديهم القدرة على اتخاذ إجراءات فعالة. هنا، ربما، كان النموذج الذي تمرن على فكرة "العالم" التي لها مصلحة جماعية في مجال الأمن. لقد كان المفهوم مفهوم بسيط ومنسجما. وكانت فكرة "الحرب لإنهاء الحرب"، في ضوء كل ما حدث منذ عام 1918، وهو مشكوك فيها لإحياء لكن، بالتأكيد، هذه المرة، فإنه يكون صحيحا؟ ومع ذلك، وحتى على "التصميم الكبير " تطورت، تفتح الحرب تساؤلات حول السلوك المحتمل وتطلعات " الأربعة " نفسها، وأبعد منها، ما يعتقد العالم ككل. ومنظمة الأمم المتحدة، إذا كان هذا هو ما كان عليه ليتم استدعاؤها، ومبنية بناء على الحصائل العالمية وهمية والتوقعات 37 الميل إلى "توحيد". ومع ذلك، فإنه لم ظهر أن "أربعة" فعل "تمثيل"، على نطاق واسع، إذا لوب إلى حد ما كل اهتمامنا، ودون "التشاور"، والقارات التي ثم " يهم "، وهي الأمريكتين وأوروبا وآسيا. وكان "عالم واحد" برز الطموح، ولكن كانت هناك عوالم داخل العالمين. سواء أن التيارات عبر الأحداث المحددة في هذا الجزء من الكتاب تنتج عالما مختلفا بشكل كبير عن تلك التي كانت موجودة إما في عام 1937 أو 1939 أنه ينبغي الآن على المحك في العقد على "ما بعد الحرب".

## قراءات مستقبلية ـ الجزء الأول

Bosworth, R.J.B., *Explaining Auschwitz and Hiroshima: History Writing and the SecondWorld War, 1945–1990* (Routledge, London, 1993).

Brivati, Brian and Jones, Harriet, eds., *What Difference did the War Make?* (Leicester University Press, Leicester, 1999).

Davies, Norman, *No Simple Victory: World War II in Europe, 1939–1945* (Viking, London, 2007).

Dear, I.C.B. and Foot, M.R.D., eds., *The Oxford Companion to the Second World War* (Oxford, Oxford University Press, 1999).

Dower, John, *Japan in War and Peace* (HarperCollins, London, 1993).

Grigg, John, *1943: The Victory That Never Was* (Eyre Methuen, London, 1980).

Heuser, Beatrice, *The Bomb: Nuclear Weapons in their Historical, Strategic and Ethical Context* (Pearson Education, London, 2000).

Parker, R.A.C., *The Second World War: A Short History* (Oxford University Press, Oxford, 2001).

Sainsbury, Keith, *The Turning Point: Roosevelt, Stalin, Churchill, Chiang Kaishek, 1943: The Moscow, Cairo and Teheran Conferences* (Oxford University Press, Oxford, 1985).

Weinberg, Gerhard L., *A World at Arms: A Global History of World War II* (Cambridge University Press, Cambridge, 1994).

Willkie, Wendell, *One World* (Cassell, London, 1943).

# الجزء الثاني

## 1945 - 1955:
## صناعة سلام بارد

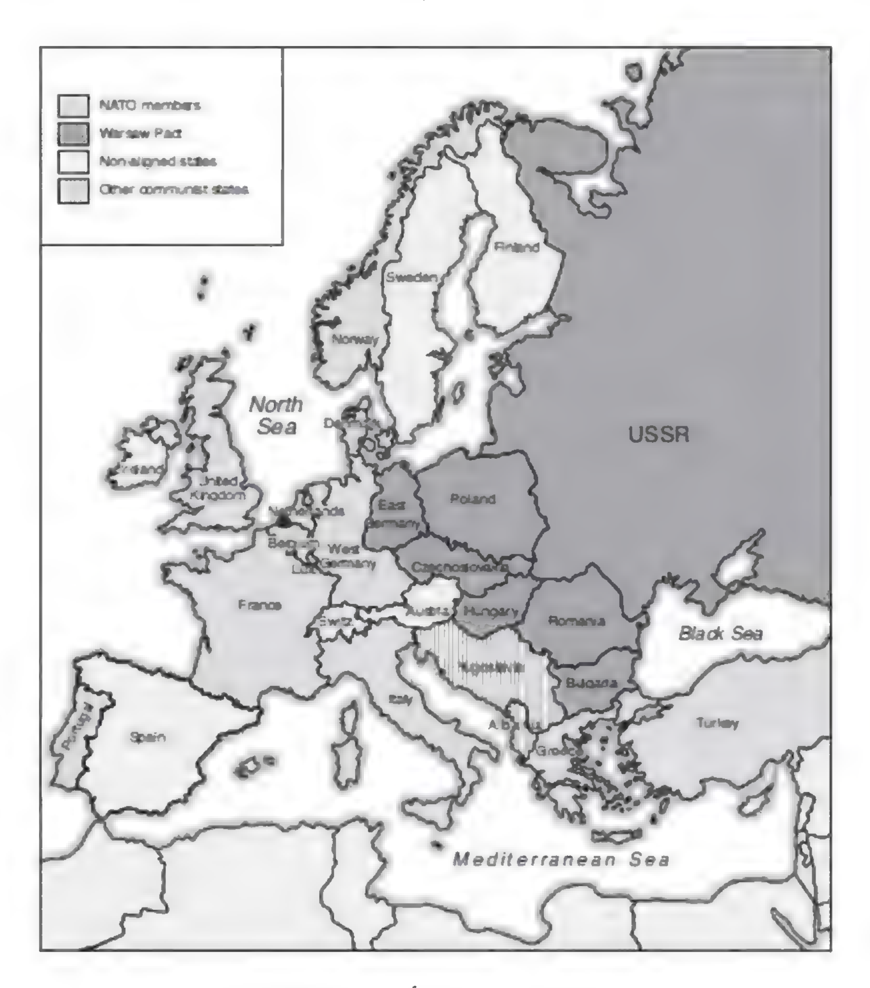
يبدو من الطبيعي أن أشير إلى العشر سنوات التي تلت العام 1945 بأنها "عِقد ما بعد الحرب". كانت الحرب العالمية لازالت تعيش في أذهان وذكريات الملايين. استغرق التسريح بشكل حرفي ومجازي وقتاً. كان أحد الأهداف هو الاستسلام ووقف القتال والآخر هو صنع السلام. وقد عزم المنتصرون هذه المرة على إظهار انتصارهم بما لا يدع مجالاً للشك. لقد كانوا محتلين. لم يكن هناك أي شكل من أشكال التسوية عن طريق التفاوض. لم يكن هناك متسع بين المهزومين للادعاءات الزاعمة بأن المفاوضين قد تخلوا عما لا يزال يعتبر موقفاً قوياً. وفي هذا الشأن، فقد جلب الاستسلام الغير مشروط، من حيث المبدأ على الأقل، وضوحاً سطحياً لـ "ما بعد الحرب". سيفرض المنتصرون سلامهم، وسيقومون بذلك على الفور. لم يكن هذا العالم الجديد ليظهر بعد المساومة الدبلوماسية الممتدة بين المنتصر والمنهزم. كانت ستعكس إرادة الأمم المتحد". لقد بُذلت جهوداً واعية لتجنب كارثة صنع السلام في 1919، كما صُور.

ومع ذلك فقد حل الاستسلام الغير مشروط كل شيء. في الواقع، وكما سيتضح، لم

يكن ذلك يعني نفس الشيء في جميع الظروف. وسرعان ما وجد المحتلون من خلال الممارسة العملية بأنه ليس في وسعهم إدارة أراضيهم بدون العودة للحياة المدنية العامة من جانب السكان المنهزمين. وهذا بدوره أثار تساؤلات محرجة حول الماضي الحديث ودرجة تورط هؤلاء السكان في أفعال الأنظمة المهزومة. لو لم تحدث مثل هذه العودة، لوردت احتمالية التكاليف الإدارية الباهظة للاحتلال المباشر طويل الأمد. وعاجلاً أم آجلاً، ومهما كانت القيود، ستستأنف الدول سيادتها العادية وسينسحب المحتلون الأجانب، بصورة واضحة إن لم يكن بشكل كلي. وعندها فقط يمكن القول بأن الحرب قد وصلت لنهايتها وستظهر مجموعة جديدة من العلاقات. يعتبر توقيت هذا التحول، في ألمانيا واليابان وغيرهم من البلدان، من الجوانب الأكثر شيوعاً لهذا العِقد. وفي هذا الشأن تقف صناعة السلام كاختزال لمجموعة بطيئة من التعديلات والتي ساعدت في تحويل الخصومة إلى "علاقة عمل" ملائمة، إن لم تكن علاقة صداقة. وعلى طول الطريق ظلت المرارة وتبادل الاتهامات والاستياء. لم تكن هذه المشاعر لتختفي ببساطة لمجرد مرور الوقت. لم تختفي الرغبة في الانتقام ومطالبات التعويض. كان لابد من تسوية الحسابات القديمة. ومن ناحية أخرى، هناك درس لابد من تعلمه من عام 1919 إذا أردنا تحقيق سلام دائم وهو أن السعي الدائم وراء التعويضات سيؤدي إلى نتائج عكسية وسيولد دائرة لا متناهية من العنف. أو هكذا قيل. اختلفت كيفية تحقيق كل ذلك من دولة لأخرى، ليس فقط بين المنتصرين والمنهزمين، ولكن داخل الدول مثل فرنسا وإيطاليا لا تتلخص دراسة صنع السلام في مجرد النظر في كيفية أن المنتصرين قد فرضوا عالماً معيناً على المنهزمين. ولكنها تتلخص في إدراك أن الاستقطاب الواضح بين الطرفين سرعان ما تراجع. ألقي الجزء السابق من الكتاب الضوء علي حرب توحدت فيها حربين وتبلورت فيها تحالفات غير متوقعه، والتي دُفعت إلى الوجود بسبب مفهوم العدو المشترك.

ونظراً لهذه الحقائق، فإن أحد التفسيرات لا يري شيئاً مفاجئاً في النمط الذي كان عليه عِقد ما بعد الحرب. لم تكن هناك مصالح مشتركة بين المنتصرين، سواء قومية أو أيديولوجية وتضمنت تسوية أوروبا وتسوية شرق آسيا اعتبارات مختلفة للغاية. وبذلك

يمكننا أن نستنتج أن أفضل ما يمكن تمنيه هو صناعة سلام بارد. وهذا يعني أن المنافسات والعداوات والشكوك، سواء كانت راسخة أم لا، وفي حالات معينة، يمكن احتوائها لمدة




**خريطة (2) محاذاه أوروبا 1945-1990**

غير محددة ويمكن أن تؤدي في النهاية إلى عالم متناغم. وهناك قراءة أخرى تسير في الاتجاه المعاكس. على الرغم من عدم التقليل من الاختلافات الأيديولوجية بين المنتصرين، فهناك مكونات رغبة سامية في خلق عالم بدون حروب كبري. كانت الأمم المتحدة رمزاً لهذه الرغبة. إلا أنه، وبشكل واضح وفي غضون سنوات قليلة، كان المناخ العالمي مختلفاً للغاية.

لم يكن يتم تزييف سلام بارد بقدر ما كانت تشن حرب باردة. تم تكريس المزيد من الجهود في هذا الوقت لتفسير التدهور الحادث من حيث السلوك العدواني والطموحات الإمبريالية سواء للولايات المتحدة أو للاتحاد السوفيتي، من خلال القليل من المساعدة من أصدقائهم.

كانت المواجهة حقيقية ودائمة. لقد جاءت بكثافة متقلبة لتسيطر على العِقد. تلاشي خطاب العالم الواحد ورأي المعلقون العالم مرة أخرى كجبهات ومناطق نفوذ ومناطق احتلال. لقد كانت بعيدة كل البعد عن حديث رجال الشرطة الكبار في زمن الحرب والذين كانوا يحرسون العالم بانسجام. استنتج البعض أن قصة العلاقات الدولية تحوي صراعاً متواصلاً، لم يهدأ حتى ولو بشكل جزئي. وهكذا قال الواقعيون وأنهوا الأمل في بداية جديدة وتحقيق المصالحة التي تواجدت جنباً إلى جنب مع العداوات المستمرة التي ولدتها أهوال الحروب. لقد كان من باب الحظ فقط أنه تم تجنب حرب عالمية أخرى. لم يتلخص الأمر فقط في أن الثلاثة الكبار كانوا على خلاف. إن صعود الصين الغير مقنع لتكوّن الرابع الكبير كان قد وصل لنهايته بمجرد ابتداعه. انغمست البلد في الحرب الأهلية والتي أسفرت عن الفوز الشيوعي في 1949. يمكن تفسير هذه النتيجة بطرق مختلفة : كقفزة للأمام نحو الشيوعية العالمية، أو كتطور قاري أساسي، أو كمظهر آخر لآسيا المتغيرة. إن آسيا التي كانت في 1943 أصبحت مختلفة تماما بعد عِقدٍ من الزمن. ظهرت الهند وباكستان وإندونيسيا حديثاً على الخريطة كدول مستقلة. كيف ارتباط الولايات الآسيوية ببعضها كان له كبير الأثر على ما قد تمثله آسيا في العالم.

تقوم الفصول الثلاثة التالية بالمزيد من الاستكشاف لهذه الموروثات والطموحات، في مناطق مختلفة، التي سادت في الفترة 1937-1945. ظهرت آثار وتداعيات عالمية. لقد كان عِقداً لم يخض فيه العالم الحرب ولم ينعم بسلام متفق عليه: الراحة الباردة في أحسن الأحوال.

# 4

# البدائل الأوروبية

## هل كانت قضية خاسرة؟

كان التقسيم الجلي للعالم الناتج عن الحرب هو الأكثر وضوحاً في أوروبا. استمرت التكهنات حول قدرة القارة على التعافي، وهو ما اتضح في الجزء الأخير من الحرب. لقد بدا موقفها محفوفاً بالمخاطر ومكانتها العالمية السابقة غير ثابتة، في أحسن تقدير. لم يكن باستطاعة أي ولاية في 1945 التحدث باسم أوروبا في الأمم المتحدة الجديدة. افترض البعض أن القارة، وربما كانت حضارة، قد دمرت نفسها في النهاية. إن النضال الثاني علي السلطة في أوروبا قد قوض على نحو مهلك، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، السيادة التي مارستها القارة على القارات الأخرى. كانت أوروبا في 1945 تبدو في نظر رئيس الوزراء البريطاني "ونستون تشرشل" كومة ركام، مقبرة، أرض خصبة للكراهية والأوبئة. أثناء الحرب في نيويورك حذر الفيلسوف الفرنسي الطومسي المنفي "جاك ماريتان" من الحلول السهلة. كان العالم مريض للغاية بحيث كان من الصعب علاج مرضه. لقد كتب محذراً من النزعة الفردية الفوضوية والتي كان يعتقد أنها السبب في تدمير مبدأ الديموقراطية. لم تنتصر الديموقراطيات فقط على هتلر ولكنها انتصرت أيضاً على تناقضاتها الذاتية في المجالات الاجتماعية والروحية. لقد كان موقفاً يسعى له هو وآخرون

في فرنسا وفي البلدان المنخفضة وفي المناطق البعيدة عن أوروبا الكاثوليكية. بدت هذه المخاوف راسخة. إن الديموقراطية الغربية بحاجة للحماية. على الرغم من ذلك، ففي هذه المرحلة، لم تكن الحضارة هي ما وحدت الأوروبيون ولكن ما وحدهم هو تجربتهم المشتركة من نقص الطعام والوقود والسكن. هدمت الأنظمة الاقتصادية. وتبعثرت المدن: لينينغراد، وارسو، هامبورغ ودريسدن وغيرها الكثير إلى أجزاء. كان الحرمان المادي سيء بما فيه الكفاية لكن الأزمة الروحية الأوروبية كانت أشد خطراً من ذلك. ففي الوقت المناسب وعلى الرغم من كونه وقتاً طويلاً ستتعافى الأنظمة الاقتصادية وسيزرع الطعام أو سيتم استيراده وسيعاد بناء المنازل. الأقل تأكيداً هو أن الحضارة الأوروبية يمكن إعادة بنائها. اجتمع الفلاسفة الأوربيون، الذين يعملون ضمن تقاليدهم القومية، لمناقشة الروح الأوروبية وتفكروا في احتمالية إحيائها. سعي البعض للجوء من قبيل العبثية. كانت هذه الأفكار ذات وزن، لو كانت محدودة العملة خارج دوائرهم الخاصة. استقر مؤرخو أوروبا الغربية المنتصرة مسترشدين في ذلك بالعالم البريطاني السير إرنست باركر، على النظر في مجمل الماضي الأوروبي. وبما أنهم بطبيعة الحال قد أخذوا وقتهم، لم يستطع صناع القرار ولا الرأي العام انتظار مثل هذه الرؤى. وبطبيعة الحال أيضاً اختلفت التفسيرات المقدمة في هذا العمل وفي أعمال أخرى ذات سياق مماثل. لكن المكونات الأوروبية الفريدة من التألق والعظمة كانت بحاجة للمزيد من التعمق. وعند الفرز الأكاديمي، كان من الجيد تماماً التفكر في أوروبا على هذا النحو. وبشكل عام فإن الشعور بالضيق ربما تعاني منه القارة ككل لكن مسئولية ما حدث قبل 1945 محددة بشكل صارم. أعلن الحلفاء في 1943 أن مرتكبي جرائم الرب سيحاكمون ويعاقبون. ومن بداية خريف 1945 وقبل القضاة الروسيين والأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين، كان كبار مجرمي الحرب مذنبين وعوقبوا بالإعدام شنقاً أو بالسجن لمدد متفاوتة. هذه المحكمة الدولية العسكرية التي عقدت في نورمبرج كانت بطبيعة الحال في موضع تهمة بأنها كانت تمثل عدالة المنتصرين. وقد تنطبق أيضاً جرائم التآمر لإرتكاب جرائم ضد السلام على غزو الاتحاد السوفيتي لبولندا في 1939. ولكن على الرغم من غض الطرف عن الكثير، كانت المحكمة تؤكد من حيث المبدأ أن جرائم الحرب يمكن تقديرها بلا تحيز. دعا المدعي العام

الأمريكي يتحذلق المنتصرين بإذعان أسراهم لـ "حكم القانون"، أحد أهم القرابين التي قدمتها السلطة للمنطق. داخل الدولة الواحدة كان تحديد ومعاقبة الأفراد سواء من خلال إجراء قانوني أم لا أحد الأساليب المألوفة بعد الحرب. كان فصل الخراف عن الماعز أسهل بكثير في بعض الدول عن الأخرى. ودائماً يختلف السلوك وقت الحرب تحت الاحتلال. استمر سلوك الملك "ليوبولد الثالث البلجيكي" لسنوات حتى تنازل في نهاية المطاف. تم إعدام الخائن في النرويج. حُكم علي الإمبراطور الروماني" أنتونيسكو"، وقت الحرب بالإعدام. وحدث نفس الشيء مع "ميهايلوفيتش" في يوغوسلافيا. واستخداماً للمصطلح الفرنسي l'épuration فإن ذلك كان تطهيراً على أوسع نطاق. حتى البريطانيون تمكنوا من العثور على اثنين من الخونة لشنقهم.

كانت هذه عدالة من نوع قاسي. في أساسها يوجد افتراض أن الأشخاص المذنبين قد خانوا بلادهم. وبالفعل فقد قامت المحاكم المحلية في تشيكوسلوفاكيا بتوجيه تهم لأكثر من مائة شخص بالإساءة للشرف القومي. من جانبهم قام حاملي الشرف القومي بذلك، خاصة في بلاد مثل تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا حيث كانت الشعوب في نزاع والتعايش الأخوي لم يكن ظاهراً. في فرنسا تولي ديغول السيطرة على الشرف القومي. وقد أشاد في خطبه العظيمة بالمقاومة المزعومة للأمة بأسرها. وعلي الرغم مما قد يبديه المظهر، أصر ديجول علي أن مكانة الأمة الأساسية غير منقوصة. وظهرت الآثار التي تحيي ذكري شهداء المقاومة المحلية. لم يكن من الممكن استيعاب نظام حكم فيشي وليس من الممكن طمسه أيضاً. كان لابد من تجميع الجيش الفرنسي بعد تواجده المتبعثر. سُمح لبيتان، الذي حكم عليه بالإعدام، بالموت في السجن (في 1951). رأي المؤرخ الفرنسي، فرناند بروديل والذي لاقي الكثير من الإعجاب في وقت لاحق أن فرنسا في حالة استرخاء عميق وعلم في سجنه الحربي في لوبيك بشمال ألمانيا أن ذلك سيدوم للأبد. وهنا تحدث الفرنسي المولود في لورين عندما تم دمجها في الإمبراطورية الألمانية.

### ألمانيا، بريطانيا، وفرنسا: خلق وحدة أوروبية (غربية)

كيف يمكن استعادة أوروبا، إذا كانت فكرة الاستعادة هي الفكرة الصحيحة. في البداية بدا أن الدور البريطاني دوراً محورياً. حث تشرشل جمهوره، في الخطب التي ألقاها في العديد من المدن الأوروبية بعد الحرب، على فكرة أوروبا الموحدة، على الرغم من عدم ذكر تفاصيل كيفية تحقيق ذلك. وكما ذكر، فإن التصالح الفرنسي الألماني كان هو الحل. تقع الصعوبة في الماضي وحقيقة أن ألمانيا لم تكن موجودة في حينها، وبعدها بعقد بدا أنها لن تتواجد أبداً مرة أخرى. ظهرت العديد من التساؤلات حول ألمانيا. إن بحث الأوروبيين عن ماضي صالح للاستخدام كان هو الأكثر تعقيدا كما كان مثيراً للجدل وطويل الأمد عندما وصل الأمر للماضي الألماني. تم استهلاك المخزون الورقي في بريطانيا وقت الحرب في شرح مشكلة ألمانيا. ظل المؤرخون حول العالم مشغولون. في مكتبة الكونجرس بواشنطن بعد أسابيع قليلة من استسلام ألمانيا، تحدث الروائي الألماني بالإنجليزية عن ألمانيا والألمان. وألقي الضوء على مدي تأثر التاريخ الألماني الحديث بالعصور الوسطي، أسطورة الرايخ. يري المؤرخ الألماني هينريتش ينكلر أن حكم هتلر هم ذروة التمرد الألماني علي الأفكار السياسية للغرب. كان السؤال بعد الحرب هو أين تنتمي ألمانيا، ليس لأن هناك ألمانيا واحدة .للإجابة عن ذلك سيتم إعادة بنائها تحت سيطرة المنتصرين عليها، قوي الاحتلال الأربعة ومناطق الاحتلال الخاصة بهم (والتي شملت برلين). شكلت بريطانيا وفرنسا وأمريكا "الغرب" في ألمانيا كما شكل الاتحاد السوفيتي "الشرق". لم يكن من الممكن تحديد مصير العاصمة، التي تحولت لبقايا محطمة، من قِبل أي من المنتصرين. كان كل محتل عازماً على ألا تصبح ألمانيا في وضع يمكنها من السيطرة على أوروبا مرة أخرى. وسواء ما كان ذلك يستلزم حيادها الدائم فإن ذلك أمراً آخر. كلٌ كانت له رؤيته المختلفة، عما سوف يستلزمه الإصلاح وإعادة التعليم والتخلص من النازية. كان لجميع الأوروبيون مصلحة في الشأن الألماني. إلا أنه في ذلك الوقت لم تكن مصلحتهم هم فقط.

بدأت أزمة حصار برلين في يونيو 1948. مُنعت المناطق الغربية الثلاثة في ألمانيا

المحتلة من قِبل الاتحاد السوفيتي من إرسال الإمدادات لبرلين الغربية (حيث تم تقسيم المدينة) عن طريق السكك الحديدية والطرق والمياه. أُرسلت الإمدادات فقط عن طريق الجو بواسطة الأمريكيين والبريطانيين بشكل رئيسي وذلك بفضل تحديد الممرات الجوية في مؤتمر بوتسدام في 1945. وصلت قاذفات القنابل بـ 29 إلى إنجلترا. كان يمكن أن يصل مداها إلى موسكو. كانت هناك تكهنات بأنها تحمل قنابل ذرية. وعندها رفع الاتحاد السوفيتي الحصار في مايو 1949على الرغم من استمرار التوتر لعدة شهور. أدي ذلك لتقريب القوي الغربية مع بعضها. بدأ سكان برلين الغربية في الشعور بأنهم هم أيضاً "غربيين" وتقبلوا أنفسهم على هذا النحو. لم يكن الدبلوماسيين الغربيين، الذين كانوا يقولون أن جسر الإمداد الجوي لن يستمر في دفاعه على المدى الطويل، الحق في الشعور بمثل هذا الإحباط.

نشأت أزمة برلين من القضية الألمانية التي ظلت دون حل. لقد ساعدت في تسريع الحل الذي كان في الواقع ينمو على الجانب العربي منذ 1947. وضعت الاجتماعات التي عقدت بين القوي الغربية وبعضها على مستويات عدة وبين القوي الغربية والاتحاد السوفيتي ألمانيا على أجندتها، ولكن لم يتم التوصل لاتفاق حول كيفية إعادة توحيد ألمانيا. كان الحصار السوفيتي رداً على توحيد المناطق الغربية الثلاثة وإصدار عملة جديدة، المارك الألماني. أعلنت القوي الغربية عن خططها لإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية التي سوف تعد "القانون الأساسي" لولاية ألمانية جديدة. تم اتخاذ الخطوة الحاسمة. ما إذا كان سينجح هذا التحول المفروض ناحية الغرب كان أمراً آخر. وجدت ألمانيا المتجهة للغرب لنفسها عاصمة غربية في مدينة بون البسيطة. لم تكن برلين جزءاً من البلاد من الناحية القانونية. يخشى المراقبون الخارجيون من عدم الاستقرار، حيث أنهم يرون موقفاً لا يتمتع فيه الحزبين الألمانيين الرئيسيين بالأغلبية. قد تكون عملية استئناف الديمقراطية متزعزعة. إن الرغبة في قيادة قوية، والتي كانت واضحة في ألمانيا (وفي أماكن أخرى من أوروبا)، قد تتعثر.

في ذلك الوقت جاءت القيادة من الكاثوليكي السبعيني، من منطقة الراين، كونراد

أديناور (ولد في 1876)، والذي جاء قائداً حزباً جديداً" الديمقراطيين المسيحيين" يسعي للفوز بدعم كلا من الكاثوليك والبروتستانت. لقد كان يحمل القليل من الكلمات باللغة الإنجليزية ووجد صعوبة في التعامل مع البريطانيين (خبرة متبادلة)، ولكن مع فرنسا يمكن التفكير على النمط الأوروبي. كان ينظر للجمهورية الاتحادية على إنها ألمانيا الغربية. تلهف الديمقراطيين الاشتراكيين لخلق نظام اجتماعي اقتصادي مختلف ولمستقبل ألماني تماماً، ولكن لم يكن هناك بديلاً عن الموافقة كرهاً على التقسيم. جاءت الخطوة الأخيرة في عملية الاستعادة المبتكرة بإعادة تسليح والاعتراف بألمانيا الغربية في حلف الناتو في 1955 وذلك على أساس من المساواة. بمجرد تشكيل الجيش سيتم وضعه تحت قيادة الناتو. إن العد المحدد للتقسيمات سيعزز من قدرة القوة الغربية المعروفة في مواجهة الجيش السوفيتي المتوافق عددياً. ووراء هذا القرار حدث الكثير من الجدال داخل وخارج ألمانيا. لقد فشل مشروع الجيش الأوروبي ضمن مجموعة الدفاع الأوروبية بعد الكثير من المناقشات. وبحلول عام 1955، أمكن القول أن الحرب التي دامت من 1939 إلى 1945 قد أصبحت الآن من التاريخ. أزيلت القيود المتبقية على السيادة الألمانية الغربية. وقبل عامين، اعترف القائم بأعمال وزير الخارجية البريطاني "سلوين لويد" أنه في حين دعم أديناور والأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين ألمانيا المتحدة، فإنهم كانوا بالفعل يعتقدون أن ألمانيا المقسمة أكثر أماناً في الوقت الحالي. لكنه لم يكن من المستحسن التصريح بذلك علناً بسبب ما يحمله ذلك من تأثير على الرأي العام الألماني. ظن لويد أيضاً أن الاتحاد السوفيتي قد وصل إلى نفس هذا الاستنتاج. لقد كان هناك ألمانيتين وكانوا يسيرون علي طرق منفصلة تماماً.

تحدثت خطب تشرشل بعد الحرب والتي حثت الأوروبيون على التوحد فقط عن دعم المملكة المتحدة لهذا المسار لكنه لم يلتزم بالانضمام في هذه العملية. بعد هزيمته في انتخابات 1945، لم يستطع تقديم "أوروبا موحدة" ولم يستطع فعل ذلك أيضاً عندما عاد للسلطة في 1951. وقعت مسئولية تشكيل خريطة لأوروبا على عاتق حكومة حزب العمال في 1945 (على الرغم من أن رئيس الوزراء أتلي تحدث عن أن تحقيق النجاح في

الأمم المتحدة هو من أهم أولوياته). كانت بريطانيا قوة عظمي. وكانت القوات البريطانية لا تزال في ألمانيا. حظيت البلاد بالهيبة والتي تحققت نتيجة موقفها الفردي المستقل في 1940. لم تقترب الشخصيات البارزة بالحكومة من أوروبا كما فعل المتحمسون. كان أتلي الذي تلقي تعليمه في مدرسة أسستها شركة الهند الشرقية يعرف الكثير عن السياسة في الهند أكثر مما يعرف عنها في فرنسا. كانت الشئون الدومنيكية إحدى مسئولياته الوزارية وقت الحرب. وبعد الحرب كما سيتضح كان هناك الكثير من القضايا الغير أوروبية لدي الحكومة البريطانية لتنشغل بها. واجه بيفن، وزير الخارجية الجديد، العالم الخارجي فقط عند تفريغ السفن على أرصفة بريستول. وكشخص نقابي قبل الحرب، فقد مضت بضع سنوات لم يقم فيها بزيارة المؤتمرات في أوروبا الوسطي والغربية. كان لديه شبكة كبيرة من الاتصالات الأوروبية. وكما وصف نفسه بأنه "عملة نادرة" فقد كان خطابه صريحاً ومباشراً. لقد علم جيداً بوجود العديد من مشاكل ما بعد الحرب في جميع أنحاء أوروبا، بما فيها بريطانيا. لقد كان الأمر كما لو أن مستويات المعيشة قبل الحرب لم يعد من الممكن استعادتها. لقد كان مؤكداً أنه في هذه السنوات فقدت المملكة المتحدة سيطرتها على أوروبا. يتوقف الكثير على ما كانت تعنيه أوروبا في هذه المرحلة. في الواقع كنت أوروبا اختزالاً لمجموعة معقدة من التوجهات من جانب الدول الفردية، الكبيرة والصغيرة، لم توجههم التطلعات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية في نفس الاتجاه، أوروبا الموجودة حينها لم يكن باستطاعتها المناورة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، ربما لن تستطع أبداً. حاولت بريطانيا وفرنسا بالفعل إظهار سلطتهم العالمية لكنها كانت ضعيفة. عندما تجد هاتان الدولتان صوتاً مشتركاً عندها فقط تستطيع أوروبا إظهار نفسها. تحرك وزراء خارجية البلدين لتوقيع معاهدة، وذلك بعد نزهة منعشة على شاطئ دنكيرك في مارس 1947، وهو ما يمكن قراءته بطرق مختلفة، مع وضع إخلاء 1940 في الاعتبار. كانت الدولة التي يعدون أنفيهم لمواجهة عدوانها المحتمل، أو على الأقل كما ذكرت معاهدة دنكيرك، هي ألمانيا. بدا الأمر كأوروبا القديمة مرة أخرى، بكل تحيزاتها وتحالفاتها. تفكر المسئولون في موقع بلادهم في العالم. تحدث كلاهما عن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على أنها عمالقة. كان التعاون الودي بين لندن وباريس

ضرورياً. كان لدي الدولتين الكثير من الأشياء المشتركة بالتأكيد. لقد كانتا من القوي الاستعمارية الكبيرة. وعلى المدى الطويل كانت مصالحهم السياسية واحدة. وبعد ذلك بعام، في مارس 1948، وقعت فرنسا وبريطانيا ودول البينلوكس معاهدة بروكسل، متعهدين بالمساعدة المتبادلة في حالة وقوع أي هجوم على أي منهم في أوروبا. وقد سهل استيلاء الشيوعيون على السلطة في تشيكوسلوفاكيا في الشهر السابق من توقيع هذه المعاهدة. كان الشك في هجوم من الاتحاد السوفيتي أكثر منه ناحية ألمانيا. كان من الصعب معرفة ما إذا كان هذا الاتحاد الغربي يتنبأ بقاعدة روحية أكثر للغرب (بمشاركة الولايات المتحدة) أم أنه نواة لأوروبا غربية تقف بين القوي العظمي.

وبالنظر عبر القناة، ففي العقد الأول بعد الحرب، وبالنسبة للحكومات البريطانية، كان الوجود الأمريكي حقيقة مرحب بها. لا يجب أن يعود يانكس إلى دياره. لقد خلقت الحرب علاقة حميمة استثنائية وكانت لا تزال تزدهر. لكن ذلك لم يعن أن العلاقة الخاصة التي اعتقد البريطانيون بوجودها بين البلدين كانت خالية من التوتر. استمر البريطانيون في الضغط قدماً متخذين قرار مستقل بتطوير قنبلتهم النووية الخاصة. تكرمت الحكومات الأسترالية بإتاحة أماكن الاختبار. شعرت لندن الرسمية بفقدان للمكانة ولكنها لم تشارك العداء للتدخل الأمريكي في أوروبا والذي كان يوجد فى فرنسا بشكل خاص. حاول ديجول في 1944، بنجاح ضعيف، إعادة إحياء العلاقة الفرنسية السوفيتية كوسيلة لمقاومة الوجود الأمريكي. كانت فرنسا بالطبع تريد امتلاك قنبلة ذرية. لم يعجب جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار أساس الحياة الفكرية الفرنسية بما وجداه عندما عبرا المحيط الأطلسي. بشكل ما كان على أوروبا أن تجد صوتها الخاص. كان المسئولين يفكرون فقط داخل مكاتبهم والتي كانت دافئة للعمل بداخلها ولكنها كانت باردة للعمل بالخارج. ثارت العواصف الثلجية في 1947. كان يعتقد أن هذا أبرد شتاء على الإطلاق في بريطانيا. وكانت أزمة الوقود وأزمة الطقس قد أجبرت البلاد على التوقف. مثلت البيئة القاسية أوروبا التي لا تستطيع النجاة بمفردها: شتاء بارد وحرب باردة.

من وجهة النظر البريطانية، كان التعاون الاقتصادي هاماً ولكن يجب التعامل معه

بشكل عملي بدون الوضع في الاعتبار هدف التوحيد الأوروبي. ولكن، وكما حذر بيفن زملائه الوزراء، فإن تشكيل منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي (آنفا) كان له عواقب بعيدة المدى. حاول البريطانيون منع هذه العواقب من أن تكون بعيدة المدي. تم إنشاء هذه المنظمة في باريس وكان أول أمين عام لها فرنسي. وكان أكثر ثمارها فائدة هو الاتحاد الأوروبي للمدفوعات الذى سهل المدفوعات بين الدول الأوروبية. كان من المفترض أن يكون التخطيط مع "المصلحة العامة". لم يكن هناك أي رغبة في أن تتشابك الخطط التي كان بها عنصر سياسي يتخطى السلطة الوطنية. في 1948 ستنضم بريطانيا إلى شركاء سبق وحكم بيفن على حالتهم السياسية بأنها غير مستقرة (ليست حتى فرنسا). في هذه السنوات كان على المفاوضين التقدم بحذر. كانت "السيادة القومية" مسألة حساسة. تلخص الأمر فيما إذا كان التعاون الاقتصادي يعبر عن توافق سياسي أعمق بين الدول المشاركة. ربما لم تعد السيادة شيء مقدس. إن أوروبا بهذا الشكل والتي لم تكن بأي شكل تتمتع بمؤسسات سياسية متجانسة استقرت على فهم مشترك للديمقراطية. تنافست الأحزاب السياسية على السلطة من خلال إنتخابات حرة (أياً كان النظام الانتخابي). وأبعد من ذلك فقد نشأت صعوبة بالنسبة لكل الأعضاء المحتملين للاتحاد الأوروبي. هل كانت الديمقراطية الأوروبية الغربية محايدة، كما بين الأيديولوجيات الاجتماعية الاقتصادية المتنافسة. هل يمكن أن تكون رأسمالية أو اشتراكية أم ستعبر عن طريق ثالث؟

## الاتحاد السوفيتي: خلق أوروبا للشعب

واجه أوروبا الغربية المؤقتة بديلاً آخر. لقد تركت نتائج الحرب الاتحاد السوفيتي في موقع يمكنه من خلق أوروبا خاصة به. لقد جعلت المؤتمرات وقت الحرب حدود المجال السوفيتي واضحة. توهمت الاتفاقيات بأنها قد حددت نسب المصلحة التي يجب أن يحصل عليها الشرق والغرب في سلسلة من البلاد الأوروبية الشرقية. لقد كان لديهم وضوح فقط من وراء الستار. سيشرع الاتحاد السوفيتي على الفور في تحويل مناطق النفوذ إلى سيطرة كاملة. قد تختلف الوسائل المستخدمة لتحقيق هذه الغاية. لم يتم تجنب القوة الغاشمة لكن كان هناك عناصر مفضلة. لم تحقق الديمقراطية التمثيلية في شرق ووسط

أوروبا بين الحربين نجاحاً كبيراً. لم يتم الإشادة بكونها الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها حكم شعب متحضر. بعد 1945 لم يكن هناك نظام ديمقراطي ذو تأثير على العقل العام. هناك شيء جديد وربما لا يكون سيئاً. أثناء الحرب تنبأ بينيس رئيس تشيكوسلوفاكيا والذي كان في المنفي في إنجلترا وبعد تلقيه تأكيدات من ستالين، نمو إمبراطورية سوفيتية جديدة بروح ديمقراطية شعبية جديدة كما ذكر. لقد كان من واجب الدولة خلق مواطنين صالحين (بعض منهم كانوا بلا شك سيئين) وليس من واجب المواطنين خلق الدولة. وفي مثل هذا السيناريو، يمكن أن تحظي الأحزاب السياسية بقاعدة جديدة. مثل هذا المشهد أفضل ما يمكن وصفه بالإكراه الديمقراطي. تم إهمال الحديث عن استيلاء الشيوعيين على السلطة.

كانت الأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء أوروبا الشرقية من أحزاب الأقلية ولكن ليس بدون نمو وزيادة الثقة، كما في تشيكوسلوفاكيا. استجابوا بعد ذلك لحكم التاريخ. لم تمانع مجموعات المثقفين في العديد من البلدان، وخاصة الشباب منهم، من الانضمام لمقدمة الجيش. عاد المنفيون المعدون بشكل جيد من الاتحاد السوفيتي لحشد الدعم وفي بعض الأحيان الإطاحة أو حتى القضاء على الشيوعيين المحليين المشبعين بالنظام السوفيتي. تم هندسة التحول إلى ديمقراطية الشعب خطوة بخطوة وبوتائر مختلفة وباستخدام تكتيكات وعناوين مختلفة. لعبت الميليشيات الشعبية والمحاكم الشعبية دورها المشجع. اختلفت وتيرة ودقة التنفيذ من دولة لأخرى ولكن لم يكن هناك أي شك حول النتيجة النهائية. بدا الأمر كما لو أن هناك خطة رئيسية، وربما كانت موجودة بالفعل. جاء الحدث الذي اعتبر عالمياً نقطة تحول في فبراير 1948 باستيلاء الشيوعيين على الحكومة التشيكوسلوفاكية. قال بينيس للأمريكان في الماضي أن بلاده هي الابن الروحي لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية المجيدة. وفي أعقاب الاستيلاء كان وضع تشيكوسلوفاكيا المحدد ذاتياً كقناة واصلة بين أوروبا الشرقية والغربية قد قارب على الانتهاء. تم العثور على جثة جان مزاريك، وزير الخارجية، نجل مؤسس البلاد، أسفل نافذة مكتبه. تم وضع ظهور الدستورية في محله في تشيكوسلوفاكيا، كما في الأماكن الأخرى. ظل الإرشاد العام

والسيطرة على عاتق الحزب. اهتمت أجهزة الدولة المعنية بالحكم العملي والإدارة. تمت الإطاحة بالبرجوازية، حيث كانت موجودة بشكل كبير. كان التعليم أولوية وهدفه الأساسي هو إلهام الجيل القادم بتعاليم ماركس وانجلز ولينين وستالين. تم إرسال كاردينالات الكنيسة الكاثوليكية المتمردين إلى أديرة بعيدة ليتوبوا عن مواقفهم الرجعية المزعومة.

اعترف بينيس وقت الحرب بقيادة الاتحاد السوفيتي للسلاف. وهنا وجدت رسالة تاريخية لا تزال تتمتع بصدي. لقد كان بمقدورها إعطاء الهيمنة السوفيتية نوعاً من الأصالة. كان الاعتقاد بأن الأعراق تتمتع بخصائص مميزة لا يزال سائداً. تزعم المؤرخ الإنجليزي، أجنس هيدلام-مورلي، وجهة النظر القائلة بأنه في خضم الخطر القومي أظهر السلافيين بطولة وطنية لكنهم كانوا غير مبالين بالشئون العامة. اقترضت وجهة النظر هذه تضامناً كبيرا بين السلاف. تشوشت صورة الاتحاد السوفيتي كحامي للصرب والبلغار عن صورة روسيا القديمة وكان ذلك مفيداً على الصعيد السياسي. كل ذلك كان صناعة أساطير وتجاهل للعداوات الحقيقية. لم ينس التشيك ما فعله البولنديين في 1938 من غزو وفصل منطقة تيشن عن تشيكوسلوفاكيا. لم ينس البولنديين المعاملة التي تلقوها من الاتحاد السوفيتي منذ 1939 فصاعداً. ظن السلاف أن باستطاعتهم ذلك، ونظر البولنديون الكاثوليك للغرب وليس الشرق. في 1948 عاد كاهن شاب، كارول فويتيلا، من بولندا إلى روما ليجد الكنائس تتعرض لهجوم ممنهج. تضافرت الجهود لإضعاف نفوذ رجال الدين الكاثوليك. بعد ذلك بقليل صودرت ممتلكات الكنيسة، ولكن ليس الكنائس وأفنيتها. لم يكن باستطاعة الكاهن فعل شيء ليوقف القمع سوي إطعام رعيته. لم يكن هناك مجال للخلافات العرقية في فترة ما بعد الحرب من الناحية النظرية ولكن على أرض الواقع كان الأمر مختلفاً. التعميمات التي شبهت أوروبا الشرقية بالسلاف كانت محدودة القوة.

والحقيقة أن المنطقة كانت قد تعرت تماماً من الوجود الألماني والذي كان يشكل جزءاً لا يستهان به من تاريخها. عاد الألمان إلى ديارهم. تزامن طردهم وعلي رأس ذلك

الهولوكوست التي عانى منها اليهود أثناء الحرب، ولا يخلو ذلك من المفارقات المحزنة، لتحويل الحياة العرقية والثقافية لأوروبا الشرقية الوسطي. استطاع الاتحاد السوفيتي بدوره الاستفادة من هذه الحجة بأنه لولا مساعدتهم لوجد البولنديين والتشيك الألمان عائدون مرة أخرى. قدمت ألمانيا المقسمة، مع إبقاء الحكم في برلين الشرقية في المعسكر الشيوعي، تأكيدات مشابهة. تم تشكيل حزب الوحدة الاشتراكي في فبراير 1947 من خلال الاندماج القسري للاشتراكيين والشيوعيين. تم التغلب على الانقسام الكارثي في الطبقة الألمانية العاملة. لقد كان عصر "التحول الديموقراطي المناهض للفاشية". كان التخلص من النازية في المنطقة السوفيتية أكثر شمولاً، من حيث إزالة الأشخاص من مناصبهم، منه في المنطقة الغربية، على الرغم من وجود استثناءات خاصة. إن الرجل الذي حث على تأسيس ما أصبح بعد ذلك الجمهورية الديموقراطية الألمانية هو سكرتير حزب الوحدة الاشتراكي والتر أولبريشت. تم التأكيد على الجانب الشرقي لنظام الحكم بأشكال عدة. أصبحت الروسية هي اللغة الأجنبية الأولي الإلزامية في المدارس. تم إنهاء العلاقات الودية من خلال تعيين حدود الدولة ومنع اللاجئين والمطرودين من تشكيل جماعات مصالح. لم تعلن الدولة الجديدة أي رغبة في أن تصبح خليفة الرايخ الألماني السابق. وبشكل نظري، كان هناك تحول داخلي أكبر من أي حدث في جمهورية ألمانيا الاتحادية. لم تحاول أي دولة، على الصعيد الثقافي، أكثر في تعريف نفسها بدولة الطبقة العاملة. والأمر الأكثر إذهالاً هو أنه في إضرابات ومظاهرات صيف 1953 تخلي الكثير من أبطال العمل الاشتراكي عن دولتهم. لقد كانت دولة معادية للنزعة العسكرية تسعي لتحقيق أهدافها بطريقة عسكرية بحتة.

ترك التاريخ "أوروبا الشعب" مع بعض التنوع الذي لا يستهان به لكن المسار كان متوجهاً وبقوة نحو التوحد. يجب أن تظهر البلاد مزيداً من التضامن الاشتراكي أكثر من أي وقت مضي. وبعد دفع المندوب السوفيتي ومقابلة رئيس الجلسة زادنوف، وافق مؤتمر الأحزاب الشيوعية في فبراير 1947 على أنه حان الوقت لجمع كل الرفاق في قضية مشتركة. تم تعيين المكتب الإعلامي الشيوعي (كومنفورم) ومقره الرئيسي في بلغراد.

وكان هدفه يتعدى تلقي المكالمات الهاتفية من المتصلين. تم إعطاء اليوغوسلافيين والكاردلزيين والديلازيين دور البطولة في التشكيل الجديد ولكن قبل مضي عام تم طرد يوغوسلافيا. هوجم زعيمها، المارشال تيتو، الجندي السابق في الجيش الأحمر، والقائد العسكري وقت الحرب والآن رئيس الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية الجديدة بعد الحرب، بسبب انحرافاته الأيديولوجية. لم تنل التبعية استحسان تيتو. إذا أرسل الاتحاد السوفيتي جيشاً إلى بلاده لجعلها أكثر انضباطاً، فسوف يقاتل. لم يتم إرسال مثل هذه القوات. نجا تيتو ونظامه. لم يكن هو نفسه غريباً على القسوة. داخلياً لم ترحب شيوعيته بهذا الانحراف. كان نظامه القوي هو وسيلته الوحيدة للحفاظ على وحدة بلاده المتزعزعة. وفي بلدان الكتل الشرقية الأخرى تم تشديد السيطرة. تم تعقب أتباع تيتو ومعاقبتهم. ومع مرور كل سنة، وفي حين كان ستالين على قيد الحياة، بدا أن اتحاداً آخر قد أصبح قوياً. وعلى عكس أوروبا الغربية، حيث كانت دولها تتجه نحو نوع من الوحدة بدون أي إشراف من أحد، في أوروبا الشرقية كان هاك ستالين والاتحاد السوفيتي. هذا الفارق لا يمكن الاستهانة به.

## ستالين: هل لازال يحافظ على الأمن؟

تخطي ستالين الاتحاد السوفيتي وكان موقفه العالمي بعد 1945 فريداً. لقد كان الوحيد من بين رجال الشرطة وقت الحرب الذين مارسوا سلطتهم باستمرار، قبل الحرب وأثناء الحرب وبعد الحرب، حتى وفاته في 1953. عاد تشرشل القديم إلى منصبه بعد 1951 محاولاً بسط النفوذ العالمي وساعياً لإنهاء الحرب الباردة. كان هناك أيزنهاور، وكان جنرال عندما تقابلوا في موسكو في أغسطس 1945، الذي أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في 1952. اعتقد ستالين وقتها أنه رجل عظيم، ليس فقط كجندي ولكن بسبب طبيعته البشرية الودودة واللطيفة والصريحة. كان من الممكن اعتبار ستالين رجل عظيم والمنقذ لبلاده في الحرب العظمي الوطنية الأخيرة. أي شخص كان يعرف أو لديه شك في سجله الإجرامي علي مدي الربع قرن السابق قد لا يجده محل إعجاب. وكأي وقت مضي، فقد تلاعب بحاشيته. ظل مولوتوف وزير الخارجية السوفيتي حتى 1949 لكن إيقاعه لم

يكن مفضلاً. لم يكن من الممكن ممارسة السياسة بدون الرجوع للآخرين لكن ستالين، كما يعلم الجميع، كان له اليد العليا. كان لديه سلطة الحياة والموت. كيف ينظر العالم للاتحاد السوفيتي تعني كيف ينظر العالم لجوزيف ستالين. لم يكن هناك نقاش عام. اعتقل ألكسندر سولجينتسين، الذي اشتهر بعد ذلك ككاتب، في 1945 بتهمة إلقاء تعليقات مهينة في حق ستالين. كان سيقضي الثماني سنوات المقبلة في معسكر عمل. تجنب كُتاب السير، حينها والآن البساطة وذلك في سعيهم لاختراق دواخل ستالين. ما ذكر من ماضيه في الجزء الأول ظل شيئاً مربكاً. كان هناك شيئاً واضحاً وبقوة. تم الفوز في الحرب ولكن بتكلفة باهظة. أظهر النجاح السوفيتي للعالم أن نظامه فعال. استمر توأمي الدولة في التعايش بشكل مربك، حامل الماضي الروسي ونموذج مستقبل العالم. لم يكن هناك ما يدعو للفخر. لا يجب أن يتعرض أمن الدولة للخطر مرة أخرى من جانب الغرب من ألمانيا بشكل خاص.

رفع ستالين كأسه في مايو 1945 في صحة دول الاتحاد السوفيتي، ولكن قبل كل شيء الشعب الروسي العظيم. لم تحوله الحرب العالمية لرجل عالمي (مصطلح يستخدم لمعاداة السامية). لن يغويه الشراب المُسكر الذي اعتمد عليه من زجاجات الكوكاكولا التي أرسلها له الرئيس الأمريكي. لم يكن الأدب الحديث الذي كان يقرأه غربياً. قد حقرت النخبة المثقفة في الماضي الروسي من نفسها أمام الثقافة الأجنبية دون مبرر. يمكن للوطنية السوفيتية أن تقف على قدميها. قادته أبحاثه للتأكيد على استمرارية اللغة الروسية. إلا أن هذه العلاقة الحميمة بينه وبين اللغة التي جعلها خاصته كان لها حدود. على ما يبدو فإنه في مستقبل العالم الاشتراكي ستختفي اللغات القومية. وستتطور لغة عالمية. تلقت الكنيسة الأرثوذوكسية، كمؤسسة روسية، مؤخراً مباركات لطيفة لكن قادتها سرعان ما أدركوا أن ذلك وضع مؤقت. سيتم محو الدين، حتى ولو كان روسياً. عندما نظر إلى الخريطة، كان ستالين راضياً تماماً عما رآه. لقد عادت "لنا" منطقة البلطيق والتي تكونت، كما اعتقد هو، من "أراضي روسية حقيقية"، كان يتحدث حينها مع رئيس الحزب الاشتراكي الجورجي. أصبح البيلاروس والأوكرانيين يعيشون معنا مرة أخرى

(وبلا شك برضا). بدا الأمر أن ما "يخصنا" قد يمتد من فلاديفوستوك إلى برلين. ربما كان من الأفضل، في ذلك الوقت على الأقل، دعم هذه الإمبراطورية السوفيتية بدلاً من السعي وراء التوسع العالمي للاشتراكية. وهنا توجد منطقة غنية للمناقشات النظرية، كما بالماضي. ما كان سيقوله ماركس ولينين وستالين في هذا الأمر قد اختلط. كان ستالين هو الوحيد الذي حدد ما تتطلبه "الحياة الحقيقية". تعايشت المشاكل السياسية مع الاندفاع التبشيري، دون حل نهائي.

## استنتاجات بديلة

بعد وفاة ستالين، كانت هناك تكهنات محتومة، داخل أوروبا وخارجها، حول ما إذا كنا قد وصلنا لعصر جديد. إلى أي مدي يمكن أن نعزو كل ما حدث في أوروبا منذ 1945 إلى ستالين نفسه مباشرة؟ ولهذا السؤال ولأسئلة أخرى لم يتم إعطاء إجابة، وربما لا يزال غير ممكن. أن رحيل مثل هذا الرجل ترك قضايا القيادة والتوجه معلقة في الهواء. بعض الملاحظين حددوا علامات بأن الاتحاد السوفيتي أصبح متصلباً. البعض ظن أن هذا الاحتمال بعيد. هل كان هناك "ذوبان"؟ اعتقد تشرشل، في محاولته الأخيرة للتخلص من الوحش النووي في العالم، أن كلمة هادئة بين الرجال المهمين ستكفي. إستقال في أبريل 1955 لأسباب صحية، بدون تحقيق نجاح يذكر. لقد توفي الجيل الذى كان يقود الشأن العالمي والذي كان قد نما في 1890. آفاق جديدة قد تفتح. تقابل وزراء خارجية القوي الأربعة المحتلة في برلين في فبراير 1954 وذلك للمرة الأولي منذ 1947 لمناقشة المسألة الألمانية مرة أخرى. لم يؤدي حديثهم لأي شيء، لكنهم على الأقل تحدثوا. في مايو 1955 وقعت القوي الأربعة على معاهدة أعادت تأسيس النمسا كدولة ذات سيادة (وهي دولة لن تسعي أبداً لأي اتحاد سواء سياسي أو اقتصادي مع ألمانيا). وقد اتفقوا علي سحب قوات الاحتلال من البلاد بحلول نهاية العام. أعلن البرلمان النمساوي الحياد الدائم للدولة. وبمرور عقد منذ 1945 فقد يبدو أن المعاهدة قد خففت من التوتر الموجود في أوروبا. على الرغم من ذلك عقب ذلك التوقيع على اتفاقية وارسو. وفي إطار هذه الظروف وسعياً لتحقيق الدفاع المشترك، تعهد الاتحاد السوفيتي وألبانيا وبلغاريا

وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية الديموقراطية الألمانية والمجر وبولندا ورومانيا على التشاور المتبادل. تم إنشاء قيادة عسكرية موحدة ومقرها الرئيسي في موسكو.

هل كان تقسيم أوروبا شيئاً داخلياً وغربيًا؟ أم هل كانت القارة مجرد مكان آخر لصراع الحضارات؟ في سبتمبر 1947 كتب جنرال ستالين الودود، دوايت أيزنهاور، في مفكرته أنه شهد معركة وصلت لحد الفناء بين النظامين. لم يمتلك أي رئيس أمريكي الخبرة الواقعية عن أوروبا مثلما كان أيزنهاور. لقد كان هناك شعور بأنه كان في "موطنه" هناك. بدأت روسيا في نشر الشيوعية في العالم. كانت أوروبا هي الساحة الرئيسية للحرب الباردة. أصبح "عالمه الحر" في مواجهة "العالم الشيوعي". لم يكن من السهل تحويل ذلك إلى تفاصيل. في الأصل، ألم تكن هناك مواجهة أساسية بين نظامين مختلفين ومعتقدات التي دعمتهم؟ من الممكن أن يحدث ذلك في أي مكان. كان يحدث في كل مكان. تجاوزت قيم الخلاف قارات معينة. مستقبل العالم كله كان على المحك. إحدي الحضارات سيحكم عليها بالفشل.

أخبر المؤرخ البريطاني كثير القراءة، أرنولد توينبي، في مارس 1947 أن حضارتنا لم يكن مصيرها محتوم. لقد تحول إلى نبي بدون متوسط نسبة المبيعات للنسخة المختصرة متعددة الأجزاء من كتابه دراسة التاريخ. صيغت رؤيته في فقرات في مجلة التايم. وقد أشاد بمؤشرات الالتزام الأمريكي تجاه أوروبا. ولاحقاً في 1952 توقع قدوم إمبراطورية أمريكية عالمية. وقد يكون ذلك من حسن الحظ، حيث أنه بذهاب الإمبراطوريات ستكون هذه صفقة جيدة أكثر من روسيا وألمانيا واليابان (البدائل). إن العالم الغربي الذي كان يتبلور حول الولايات المتحدة الأمريكية، قد يعني فصلا جديداً واعداً في تاريخ العالم. إن ما اعتبره حضارة مقصورة على أقليات صغيرة قد يمتد لحدود أوسع بكثير شاملاً فلاحين آسيا وأفريقيا. إن مفهوم توينبي عن المجتمع الواحد ذهب بالأحداث أبعد مما فعل الكثير من المعلقين المعاصرين الآخرين.

ربما لا يكترث العالم أجمع بالتهديد الموجه للحضارة المسيحية الذي أوضحه تشرشل، كما سيتضح في الفصل التالي، عندما جاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد

الحرب وألقي خطابه في فولتون. ومهما كان ما يعنيه، فقد حدد هذه الحضارة في أمريكا الأوروبية. نظر الفاتيكان من جانبه إلى العالم من خلال روما. لم يسافر البابا ليقابل العالم قبل انتخابه في 1939 في مكتب بيوس الثاني عشر حيث ذهب به وزير الدولة إلى فرنسا وألمانيا والمجر والأرجنتين. لقد زار كلا من المملكة المتحدة وأمريكا بشكل غير رسمي. كان دوره وقت الحرب محل جدال. بعد الحرب كان عدائه للشيوعية شديداً. أصبحت الديموقراطية المسيحية سمة من سمات السياسة الأوروبية الجديدة على الرغم من عدم تقبلها في الوسط السياسي. كانت بعض التوجهات محافظة ولم تتطهر من الهيمنة السلطوية لكن البعض الآخر كانوا تقدميين مع وجود العنصر النقابي. أصرت بعض الأحزاب المسيحية وليس جميعها على الاستقلال عن نفوذ الفاتيكان. إن المزايا التي تم تأمينها للكنيسة بالاتفاق مع سالازار رئيس البرتغال (1950) وفرانكو رئيس إسبانيا (1955) توضح شكل أوروبا المسيحية الذي أراد الفاتيكان أن يراه. إلا أن الاستمرار في العزف على وتر أوروبا الشرقية هدد بخطر اعتبار المسيحية أوروبية الأصل. واجهت نفس الصعوبة الكنائس الغير كاثوليكية. عندما بدأ المجلس العالمي للكنائس في العمل في 1948، كانت جلسته الأولى في أوروبا، أمستردام. لطالما كانت الحرب الثقافية بين رجال الدين من سمات التاريخ الأوروبي الحديث. لقد ظلوا أحياء كما ظل الفتور الكاثوليكي/ البروتستانتي على الرغم من أن كلاهما فعل ذلك بشكل أقل وضوحا. مما لا مفر منه هو أو تسمية "مسيحي" حملت معها تلميحاً أن الأحزاب الأخرى غير مسيحية وربما تكون ضد المسيحية. البعض كانوا كذلك بالفعل ولكن على الرغم من بقاء كنائس الدولة في إسكندينافيا البروتستانتية وأجزاء أخرى في المملكة المتحدة إلا أن الديمقراطية الليبرالية لم تشعر بالراحة تجاه أي تفضيل للدين المسيحي.

بدا التوازي بين العالمين كاملاً. كان هناك ألمانيتين تتواجهان ولكنهما لا يعرفان بعضهما. وكان هناك أوروبيتين تبدوان على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي أنهما تتحركان بعيداً موضحين في ذلك خطوط الصدع القارية الأخرى. قاومت الحكومات في أيرلندا وسويسرا والسويد وإسبانيا هذا الازدواجية البسيطة لأسباب مختلفة ولكن بدا

الأمر مقنعاً بشكل عام. إذا استمر الوضع الراهن لأجل غير مسمي فسيتلاشى الفضاء المسمى "أوروبا". كان هناك تحالفين عسكريين يواجهان بعضهما. كانت الأسلحة النووية موجودة على الجانبين. إلا أن أوروبا وعلى الرغم من مركزيتها كانت المكان الذي تقابل فيه النظامين لم تكن هي العالم أجمع. سيضع بقية العالم أوروبا في موضعها. تحول هذا الاهتمام الآن بالنسبة لأمريكا الشمالية، موطن كلا من القوي العظمي والأمل الكبير.

# 5

# الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية

## الأمم المتحدة: التنظيم

إذا كان العالم بحاجة لبداية جديدة، فهو بحاجة لجسد جديد. تحقيقاً لهذه الغاية، اجتمع ممثلي 50 دولة، وقعت منهم 45 دولة علي إعلان الأمم المتحدة في يناير 1942، في سان فرانسيسكو من 25 أبريل إلى 26 يونيو 1945 لتحديد "المنظمة الدولية" للمستقبل. لقد قدموا مقترحات سابقة وسعوا لحل نقاط الخلاف. لم يسبق أن تم تناول "العالم" بهذه الشمولية. من الواضح أن "الأمم المتحدة" كانت خلفاً لـ "عصبة الأمم" لكن هذا النسب تتطلب معالجة متأنية. لقد فشلت العصبة، وعلى الرغم من ذلك تم تفسير هذا الفشل. وسيحمل تكرير العصبة وصمة الفشل الماضي. وكما رأينا فإن المناقشات أثناء الحرب أكدت على الواقعية. لم يكن من الممكن أن تختفي القوي العظمي. أدرك مجلس الأمن الجديد (الصين، فرنسا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى ستة أعضاء مؤقتين) هذه الحقيقة. ويبدو أن تلك هي الدول الوحيدة ذات الأهمية. عندما كانت تطرح قضية ما على مجلس الأمن، لم تستطع الجمعية العامة النظر فيها. وبالتالي فلن يكون الأعضاء الدائمين على اتفاق لكن الفيتو الذي امتلكته كل دولة أظهر أنه لا يمكن ضمان ذلك. لقد تلخصت الواقعية في قبول حقيقة أن

العالم لا يمكن إدارته بمعارضة قوة عظمي، على الرغم من أن الاستخدام المستمر لحق الفيتو قد يجعل مجلس الأمن بلا فائدة. وقد تم الاتفاق على أن الامتناع عن التصويت، فيما يتعلق بالقرارات، يختلف عن الاعتراض على القرار نفسه. وحتى 1955 استخدم حق الفيتو مرة واحدة من قبل الصين ومرتين من قبل فرنسا و75 مرة من قبل الاتحاد السوفيتي. لم تستخدمه كلا من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية. هددت كثرة التأكيد على الواقعية لخلق جسد جديد بتحويل الدول ذات الشأن إلى مجرد مشاهدين لا يفعلون شيئاً سوي التصويت في الجمعية العامة (التي كان يحضرها جميع أعضاء الدول) بناء على طلب أحد القوي العظمي. كانت قرارات الجمعية العامة، التي تمت الموافقة عليها بأغلبية التصويت، مجرد توصيات بدلاً من أن تكون تعليمات إلزامية (باستثناء توصيات الميزانية). لم يكن من الممكن فرض هذه القرارات. وقد أزعج ذلك الأفراد الذين اعتقدوا أن منظمة الأمم المتحدة هي بمثابة "برلمان العالم" إلى أن تكون فيه كل دولة، سواء صغيرة أو كبيرة، صوت. استخدم المجلس الجديد، كسبقه، كلمة "أمم" عن عمد. وقد كانت الأمم على ما يبدو واضحاً هي من تحدث عن السلام. لم يكن من الممكن الاعتماد على الدول والحكومات للقيام بذلك. ومع ذلك فقد ظل العالم عالم الدول. قررت الحكومات مدي الوحدة التي يمكن أن تكون. لم يكن تعريف الدولة شيئاً إشكالياً لكن ستالين حاول عبثاً أن يجعل جميع الجمهوريات السوفيتية معترف بها. في النهاية تم ممنح بيلاروس وأوكرانيا فقط مقاعد في المجلس. من شأن الأمم المتحدة التي تُمَثَل فيها الأمم أن تُحرج الدول متعددة الجنسيات. وبالطبع فإن هياكل العالم الجديدة لن تكون إلا لعالم 1945-1946. وبالتالي لن يكون هناك شيء ثابت، منذ أن تحدث الميثاق المؤسِس عن حق الشعوب في اختيار شكل الحكومة الذي يناسبهم. جاءت 22 دولة من أصل 51 دولة مؤسسة من الأمريكيتين و15 دولة من أوروبا. عقد المؤتمر التأسيسي في سان فرانسيسكو وستكون المقرات الرئيسية للمجلس الجديد في نيويورك. تم استبدال أوروبا التي كانت تمثل موطن لمجلس على الرغم من أن رئيس الوفد النرويجي، الذي كان وزير خارجية بلاده المنفي في لندن، برز كأول أمين عام.

## إعادة البناء والتطوير

لن يكون كافياً النظر في التكوينات السياسية. قد حان الوقت لخلق نظام جديد للتجارة العالمية. ومرة أخرى جاءت المبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية. أن وجود أنظمة تجارة مغلقة هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى الحرب. والحل هو نظام أكثر انفتاحاً مع خفض الرسوم الجمركية وتوفير عملات قابلة للتحويل. لم يغب عن النظر أن هذا سيكون في صالح الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة ولكن الطموح كان أبعد من النظر في المصلحة الشخصية. حضرت 44 دولة مؤتمراً في بريتون وودز بنيو هامبشاير في يوليو 1944 لوضع القواعد الأساسية للحياة الاقتصادية العالمية بعد الحرب. عارض الاتحاد السوفيتي، نيوزيلندا، هايتي وليبيريا، والذين كانوا بالكاد مزيج بديل متماسك، القرار الذي اتفق عليه الأغلبية. كان الهدف هو تحقيق استقرار أسعار الصرف. ستحافظ كل دولة موقعة علي عملتها بمعدل يمكن قياسه إما بالذهب أو العملة القابلة للتحويل (بشكل عملي هذا يعني الدولار) بسعر ثابت للأونصة الواحدة يصل إلى 35 دولار. لم يكن هناك عملة غير الدولار في هذه المرحلة قابلة للتحويل عالمياً. لم يمكن تغيير حقيقة أن ذلك كان ميزة خاصة للولايات المتحدة الأمريكية. نشأت منظمتين جديدتين: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير. وكل دولة عضوة في السابقة ستقوم بدفع اشتراك يتوافق وقدرتها الاقتصادية. وبدوره سيسمح الصندوق، باستخدام احتياطاته النقدية، للدول التي بها عجز في المدفوعات أن تسحب من الصندوق لمواجهة الحالات الطارئة. سيتم تمويل إعادة الإعمار من خلال البنك الدولي، مع وجود مبالغ ضخمة متاحة، والتي تم تجميعها من اشتراكات الدول الأعضاء. تأسس البنك الدولي، والذي كان جميع رؤساؤه أمريكان، في واشنطن. تم طرح منظمة أخرى، منظمة التجارة العالمية، لكن يبدو أن ذلك لم يلق قبول مجلس الشيوخ الأمريكي (على الرغم من ذلك ففي 1947 خلصت 23 دولة إلى الاتفاق العام بشأن التعريفات الجمركية والتجارة (الجات) وهو الاتفاق الذي نشأ عنه منظمة مقرها الرئيسي في جنيف لتسهيل وتوسيع التنفيذ).

وبمرور الوقت ستسفح إعادة الإعمار مجالاً للتنمية. كانت التنمية تعبيرا مركباً.

تكون العالم من دول تختلف في مستوي نموها الاقتصادي. تعلم البلاد المتقدمة بأنها كذلك. وهناك دول أخرى "متخلفة" أو تأتي في آخر القائمة: تم افتراض تسلسل هرمي. ومما لا جدال فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تولت قيادة هذا المجال، على الأقل في الوقت الراهن. تم تحديد محاولة واضحة للتفكير بشكل عالمي. إن تعزيز إعادة الإعمار والتنمية قد يقضي مع مرور الوقت أو على الأقل يقلل من الفجوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة. كانت المشكلة في أن الدول المتقدمة تتقدم بشكل أسرع من الدول المتخلفة أي ربما تتسع الفجوة بدلاً من أن تختفي. وعلى الرغم من أن محاولة خلق مثل هذه المؤسسات تمثل عالم متقدم، فقد تركت انطباعاً بأن التنمية ليست سوي مسألة اقتصادية. وبطبيعة الحال افترضت الدول المتقدمة أنها تشكل نموذج. إن طريق خلق عالم حديث ومتجانس يمكن تحديده من خلال مراحل ثابتة يمكن التنبؤ بها. إن علماء الاقتصاد مستعدين لتحديد الطريق. في أعقاب الحرب كان من الصعب تحديد الدول المتقدمة والدول المتخلفة بشكل دقيق. هل ستكون الدول التي بحاجة لإعادة إعمار هائلة متقدمة أكثر من الدول التي بحاجة أقل لإعادة الإعمار؟ ولكي تفكر فيما هو أبعد من الاقتصاد فعليك أن تتعمق في المزيج المعقد للحكومة والمجتمع المدني والثقافة والدين. وفي الحقيقة كان للتنمية وجهين متناقضين. يمكن اختبارها في الواقع كتدمير أو تفكك. وكانت طبيعة التقدم الاجتماعي تتصدر النقاش. كيف يمكن للمرء مقارنة "سعادة" دولة متجانسة اجتماعياً ومتماسكة ثقافياً ولكن متخلفة مادياً مع "سعادة" دولة مزدهرة ماديا ولكن متخبطة ثقافياً واجتماعياً؟ وهناك أمثلة على كلا الحالتين. يمكن أن يكون مستوي المعيشة قابل للقياس ولكن جودة المعيشة كانت مسألة أخرى.

## إعلان حقوق الإنسان

كان هناك اعتراف بأن الكيانات التجارية والاقتصادية والسياسية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقيم الاجتماعية والثقافية. كان من الصعب الوصول لمفهوم مشترك لماهيتهم. في 10 ديسمبر 1948 أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وقد دعت الدول الأعضاء إلى نشر وعرض وقراءة وشرح الإعلان. أكدت مواده الثلاثين

الحقوق التي يحق لجميع البشر الحصول عليها بجانب الواجبات التي يدينون بها للمجتمع. ليس من قبيل الصدفة أن تجتمع الجمعية العامة في باريس. تحدد الإعلان الجديد من "حقوق الإنسان" التي حددتها الثورة الفرنسية في 1789 والتي وجدت بدورها تعبيرا لها في "وثيقة الحقوق" التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأت كل مادة بعبارة "لكل شخص الحق ....." يتبعها مجموعة شاملة من التأكيدات. وتجاوزاً للتعميم، فقد كانت مضامينها الدقيقة أبعد ما يكون عن الوضوح سواء فيما يتعلق بالأسرة والملكية والتعليم والعمل وغيرها من المجالات. كان لكل شخص حرية الدين أو المعتقد أي الحق في أن يُعبر عنه من خلال التدريس والممارسة والعبادة وإقامة الشعائر، ولكن كيف يمكن تعريف "العبادة"؟ أو لنأخذ مثالاً آخر، تم التأكيد على أن الأسرة هي الوحدة الجماعية الطبيعية الأساسية في المجتمع وعلى هذا النحو يتوجب حمايتها من قبل المجتمع والدولة، ولكن هناك بعض الثقافات والمعتقدات (دينية أو غير دينية) التي تري "الأسرة" وكيفية حمايتها بشكل مختلف. كان لكل شخص حق التمتع بجنسية ولكن من يُعَرف "الجنسية"؟ برزت إعلانات على هذا النحو من التفكير الأمريكي الأوروبي والذي تطور عبر القرون. ومع ذلك فقد أدعي هذا الإعلان بأنه "الوثيقة التأسيسية" للعالم. سيكون استقبال هذا الإعلان خارج أمريكا وأوروبا محل إشكال. ربما كانت "الوثيقة التأسيسية" للعالم لكنها تحمل علاقة ناقصة بالعالم الذي وجدت فيه. أعلنت الجمعية العامة أيضاً "اتفاقية منع ومعاقبة جريمة الإبادة الجماعية". تم تعريف الإبادة الجماعية بسلسلة من الأفعال المذكورة بقصد إبادة، بشكل كلي أو جزئي، جماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية. وقد حدث التطهير العرقي بعد الحرب بالفعل.

نظرت منظمات أقرب إلى العالم من وجهة نظر مختلفة. تأسست منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (اليونسكو) في 1945. وقد انبثقت من اتحاد منظمة التعاون الفكري. اجتمع وزراء التعليم، الصينيين والسوفيتيين، بالإضافة إلى الأمريكان والأوروبيين، في لندن أثناء الحرب وذلك لتأسيس قواعد التبادل الثقافي بعد الحرب. كان يمكن الاستخفاف باليونسكو كمنتدى للكلام ولكن الثقافة بمعناها الواسع كانت بحاجة إلى

من يتحدث عنها إذا كان للعالم أن يفهم ذاته. كانت هناك منظمات أقل إثارة للجدل وليست خاضعة للسيطرة المباشرة للأمم المتحدة، منظمة الأغذية والزراعة (الفاو 1945)، منظمة الصحة العالمية (هو 1948)، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (1950)، وصندوق الطوارئ الدولي للأطفال (اليونيسيف). جاء أول مديرين عامين لكلا من اليونسكو (جوليان هكسلي) والفاو (جن بويد أوور) من بريطانيا. كان اختصاص هذه الهيئات عالمي النطاق كأن عضويتهم الأساسية نشأت أساساً من أوروبا وأمريكا. أكدت مثل هذه الهيئات الجديدة على مشاركة المعلومات وقارنت أساليب عملها بأساليب المواجهة في السياسة.

وبطبيعة الحال شهدت مثل هذه الهيئات والصناديق والبرامج التي انبثقت منها ظهور كادر من موظفي الخدمة المدنية الدولية. كيف يتم تعيينهم؟ ويتبعون مسئولية من؟ أدت مثل هذه التساؤلات، والتي كانت متواضعة نسبياً في البداية عندما كانت الهيئات صغيرة، إلى المزيد من قضايا التمويل والتحكم. لم تتجاهل الوكالات التي تدير العالم مصلحتها الخاصة. كان هناك سؤال أكثر جوهرية. كيف يمكن التعامل مع تجاهل "الإعلان العالمي" ومع التفسيرات المضللة لمواده؟ لم تكن هناك إجابة مختصرة. تعني التأكيدات المستمرة على السيادة ورفض التدخل الخارجي أنه يمكن استنكار الخرق أو الانتهاك. ربما يكون للضغط الدبلوماسي، الذي مورس من خلال القنوات المعتادة، تأثير وربما لا. وفي هذا الصدد فإن العالم الجديد لم يكن مختلفاً كثيراً عن سابقه القديم.

## خلق الأمن

الأمن هو ما تواجد مجلس الأمن لتحقيقه. وبالنظر لفشل "عصبة الأمم"، كان هناك بعض الكلام الأولي عن جيش للأمم المتحدة يتم تأسيسه بالاتفاق بين مجلس الأمن والدول الموافقة. سيرأسه لجنة من رؤساء أركان الحرب من أعضاء المجلس الدائمين. تطلبت المادة 25 من الميثاق التزام الدول الأعضاء بقرارات مجلس الأمن. على الرغم من ذلك، لم يتم بناء الجيش علي هذا الأساس. أشار الفشل إلى تناقض التصور ككل. أراد العالم تجنب حرب عالمية أخرى. سيكون من المرجح حدوث حرب عالمية أخرى فقط إذا

أسرعت في ذلك إحدى القوي العظمي. لم يكن من الممكن استبعاد هذه الاحتمالية، على الرغم من عدم الرغبة فيها وعدم أرجحيتها. وحقيقة أنه لا يمكن استبعادها أعاقت احتمالية خلق هذا الجيش المراد تكوينه. ترنحت الأمم المتحدة بجميع مظاهرها بين الخيال والحقيقة من حيث مفهومها للعالم. في الواقع لم يزل العالم غير قادراً على التفكير بشكل عالمي. تعايشت المفاهيم البدائية لإدارة العالم مع استمرار الانشقاقات القارية والحساسيات الوطنية والتحالفات الأيديولوجية. كل ذلك أسفر عن التحيزات والتحالفات التي جعلها تأسيس الأمم المتحدة زائدة عن الحاجة. بدت "ركائز الأمن" الدائمة كما لو أنها ستتساقط فوق بعضها أو كما لو أنه لا توجد ركائز على الإطلاق. وفي ظل هذه الظروف اعتمد الكثير على الولايات المتحدة الأمريكية.

## الولايات المتحدة الأمريكية: تحمل المسئولية العالمية

كان للولايات المتحدة الأمريكية بعد 1945 حضور عالمي، بشكل تجاري وثقافي وعسكري، لا مثيل له من قبل أي دولة أخرى. وجد صناع سياستها أنفسهم منخرطين في كل مكان تقريباً. وقد تعدي نطاق هذا الانخراط في العالم الذي يتعدى حدودها أي سلطة في التاريخ. إلا أن طبيعة هذا الانخراط لا تمكن من سهولة التصنيف. كانت الولايات المتحدة الأمريكية "صوت أمريكا" في قلب الأمم المتحدة. لقد كانت الراعي الرئيسي والداعم الأساسي للأمم المتحدة. كنت عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية في واشنطن، كانت عاصمة العالم بعد 1945 في نيويورك. في حين لم تنضم الولايات المتحدة الأمريكية، في 1919، لعصبة الأمم التي اجتمعت في جنيف، فقد قامت في 1945 باستضافة المقرات الرئيسية لمجلس العالم الجديد. تواجدت رؤيتين للعالم داخل حدودها. كانت حكومتها في واشنطن هي الأكثر تأثيراً في العالم. وبذلك قد شكلت منظور قومي. كانت منظمة الأمم المتحدة في نيويورك أداة غير مختبرة أعربت عن تطلع عالمي. يمكن أن يصطدم الاثنين أو أن يعملا معاً لكن علاقتهم تؤكد أحد العناصر الأساسية في أي نظام عالمي جديد. كانت علاقتها الجغرافية المباشرة مع أمريكا اللاتينية. كانت الأمريكيتين للأمريكيين. استمر انعزال أمريكا اللاتينية عن العالم لما بعد الحرب. لقد ظلت جزء من

العالم حيث خلقت حساً محلياً سواء قبل الحرب أو بعد الحرب. لقد كانت أيضاً مميزة من ناحية أخرى. وبجانب تواجد مجموعة من الدول المستقلة، امتلكت أمريكا الجنوبية وحدة عابرة للدول، والتي شكلتها الثقافة الكاثوليكية البرتغالية الإسبانية، أعظم من تلك الموجودة في أوروبا. ومع ذلك فقد كانت هذه الثقافة أقل تجانساً من المفروض. من الناحية المعمارية ربما تعطي بوينس أيريس، عاصمة الأرجنتين، انطباعً بالحداثة الذكية لكنها لم تكن أكثر نموذجية من أمريكا الجنوبية مما كانت نانجينغ تشيانغ كاي شيك بالنسبة للصين. ومع ذلك، وكما لوحظ، فقد ظلت أمريكا الشمالية في منعزل عن الحرب العالمية إلا أنها تسببت في إحداث امتزاج نصف كروي أكبر.

بالكاد نجحت محاولات الولايات المتحدة لاحتواء دول أمريكا اللاتينية بعد 1945 في العالم الأوسع. بعد سنوات قليلة لن ترسل البرازيل قوات لتقاتل في كوريا. ربما كان الأمر مختلفاً، كما قالت حكومتها، إذا تلاءمت خطة إنعاش أمريكا اللاتينية (التي لم تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية) مع خطة المارشال لأوروبا. ولكن ما الذي أصاب أمريكا اللاتينية لتشفي منه. إن دراسة عقد ما بعد الحرب لا تعطي مكاناً يذكر لأمريكا اللاتينية كوكيل للشئون العالمية. لابد أن يكون تركيزها على العلاقات الأمريكية الداخلية. ومن وجهة نظر الولايات المتحدة فإن هذه العلاقات هدفها الأساسي هو ضمان أن كلا من أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطي تتقبلان رؤيتها للعالم. قبلت الأمريكيتين بالعلاقات الداخلية. تشكلت منظمة الدول الأمريكية في بوجوتا بكولومبيا في مايو 1948. أعلن ميثاقها أن أراضي الدول الأعضاء لن تنتهك حرمتها. أي موقف من شأنه أن يعرض سلام أمريكا للخطر سيتطلب التدخل. وكان السؤال هو ما مدي الدعم الذي يجب أن توفره الولايات المتحدة الأمريكية لمنع حدوث مثل هذه "المواقف".

في أوائل الخمسينات اختتمت الولايات المتحدة الأمريكية الاتفاقيات العسكرية بعشرة دول من أمريكا اللاتينية. كانت احتمالية الغزو القادم من البحر بعيدة. قال شقيق أيزنهاور له أن المشكلة ستكون في التخريب. وخطوة بخطوة ستقود الجماعات الشيوعية عالية الانضباط هذه المؤسسات الحرة. وكان يضع الوضع في جواتيمالا في اعتباره. بدا أن

الولايات المتحدة الأمريكية، مع اعتراض وزير خارجية البلاد، أن تنظر لكل مظهر قومي أو اقتصادي مستقل على أنه "شيوعية". ورداً على ذلك كشفت الولايات المتحدة عن الاحتمال الحقيقي لاستيلاء الشيوعيين على السلطة. وهي لا تدعي خدمة مصالح الشركات الأمريكية. ختمت شحنة من الأسلحة قادمة من تشيكوسلوفاكيا مصير جواتيمالا. حدث الانقلاب الذي تورطت فيه الولايات المتحدة بشكل واضح. تم استبعاد احتمالية وجود طريق ثالث لجيرانها من الجنوب. ربطت الولايات المتحدة نفسها بأنظمة تدعم النظام الاجتماعي الموجود كما تدعم المصالح الاقتصادية الأمريكية. جلب الدفاع عن الحرية حلفاء غير مقنعين. لاقت جواتيمالا إعجاب مجلس الأمن. لم ترد الولايات المتحدة أن يظهر الموضوع على أجندتها. تم تذكير بريطانيا وفرنسا أنهم إذا اتخذوا موقفاً مستقلاً بخصوص هذه القضية فستقوم الولايات المتحدة بالمثل بخصوص مصر وشمال أفريقيا. بمعني آخر يجب احترام مناطق النفوذ. تمكنت واشنطن من جعل معظم دول أمريكا اللاتينية توافق على قرار مارس 1954 بأن توسع النظام السياسي لقوة قارية إضافية إلى هذا النصف من الكرة الأرضية سيعرض سلام أمريكا للخطر. فقط فكر ماذا كان يعني لنا إذا صوتت المكسيك للشيوعي أيزنهاور وحكومته في هذا الوقت. ماذا حقاً؟

لقد جعلت الجغرافيا العلاقة بين الشمال والجنوب في الأمريكيتين علاقة خاصة. ليس من السهل وصف مجمل علاقاتها مع أجزاء أخرى من العالم. تحدث البعض عن الإمبراطورية الأمريكية ولكن إذا كان الأمر كذلك فقد كانت إمبراطورية مناهضة للإمبريالية، بجميع التناقضات التي تنطوي على ذلك. بعد 1945 أصبحت الحاجة ضرورية وممكنة لسياسية خارجية عالمية حقيقية. لم يرتد الرؤساء ترومان وأيزنهاور ووزرائهم عن التصريحات التي تلمح بأن الولايات المتحدة لديها مسئولية عالمية تتجاوز مجرد السعي لتحقيق المصلحة الوطنية. أصدرت دول أخرى رسائل تذكير. زار تشرشل والذي لم يعد رئيساً ولكنه رجل له جمهور، الولايات المتحدة في فبراير/ مارس 1946 وسعي لوضع حقائق معينة أمام الشعب الأمريكي حول الوضع الحالي في أوروبا. كان خطابه الذي ألقاه بفولتون بولاية ميسوري والذى أذيع في جميع أنحاء الولايات المتحدة

قد أشار إلى "الستارة الحديدية" التي تغطي القارة، من شتتين إلى بحر البلطيق إلى تريست في البحر الأدرياتيكي. وقد فكر هو وجميع مستمعيه في شتتين، باسمها الألماني. لقد أصبحت الآن تشيتشن، مدينة بولندية. وقد ذكر عواصم وبلاد لا تخضع فقط للتأثير السوفيتي ولكن للسيطرة السوفيتية أيضاً. كان تركيزه على أوروبا، ولكن في جميع أنحاء العالم شكلت الأحزاب الشيوعية أو أصحاب الطابور الخامس تحدي متزايد وخطر على الحضارة المسيحية. إذا وقفت الديموقراطيات الغربية مع بعضها، بجانب القوة العسكرية، فلن يكون بمقدور أحد التعدي عليهم. وفي نفس الوقت رحب بمكان روسيا الجديد بين الأمم التي تقود العالم. أثار الخطاب عاصفة. أنكر الرئيس ترومان أنه قد رأي الخطاب سلفاً. كان يعلم أن الرأي الأمريكي لم يكن متقبلاً بعد لفكرة الوقوف معا بشكل عالمي. وفي الواقع تم تمرير العصا من قبل إنجلترا العزيزة القديمة. كتبت ابنة تشرشل" سارة" لأبيها بأنه أسهم في "القضية العالمية". تبقي أن يتضح ماهية ذلك.

## إظهار قيادة استثنائية

بدا التاريخ في هذه المرحلة أنه يورث للولايات المتحدة مهمة خاصة جعلت التدخل العالمي مقبول وضروري. لن ترفض الولايات المتحدة دور قائدة العالم ولن يستطيع العالم الاستغناء عنها. دفع هذا التفكير، واللغة التي صيغ بها، "الانعزالية" إلى الحافة. وبدلاً من ذلك وجد سكان الولايات المتحدة، الموزعين داخلياً وبشكل متزايد باتجاه الغرب والجنوب الغربي، دولتهم متورطة في مناطق بعيدة تتعدي ثقافتها حدود فهمها. لم يتلقى العالم إلى أيدي الأمريكيين اهتماماً جيداً أو تقديراً ملحوظاً لتنوعه. لم يكن من الممكن التعامل مع التعقيد العالمي إلا من خلال واشنطن بواسطة أوصاف واسعة النطاق وشعارات مبسطة. لم تمارس القوة العظمي من قبل رجل خارق لديه حساسية تجاه الفروق الدقيقة للحياة في القاهرة ونيو دلهي وجاكرتا وطوكيو وشنغهاي والذي شكل سياستهم بعد ذلك. كان للجرأة الأمريكية، التي أزعجت المثقفين في أوروبا جانب إيجابي. فقد أظهرت ثقة بالنفس. كانت الرأسمالية منقوصة ولكنها دائماً قادرة على التكيف. اعتقد الباحث المعاصر بيتر دروكر أن الولايات المتحدة كانت تخلق مجتمع جديد يتعدى

الرأسمالية والاشتراكية ويتجاوزهم. كانت المصطلحات هنا، كما في كل مكان، محل إشكال عندما نظر إلى الولايات المتحدة من الخارج. لم يحرز الأوربيون تقدماً كبيراً مع تسميات الحزب الأمريكي (والعكس صحيح). لقد لاحظوا أن أيزنهاور، والذي أُنتخب كجمهوري، ربما قد قبل بترشيح ديموقراطي. اختلفت العمالة الأمريكية عن العمالة الأوروبية. لقد أربك الدخلاء غياب الطبقة العاملة، والتي كانت يسارية الاتجاه ونقابية. لقد اعتقدوا أن مسألة "العرق" هي ما جعلت الولايات المتحدة مختلفة عما كان "طبيعياً" في الدول "الديمقراطية".

جاءت قضايا العرق في الواجهة. في 1925 كان لدي الولايات المتحدة في شخص أيزنهاور رئيس تربي في بلدة صغيرة كامل سكانها من البيض. لقد خدم في جيش الفصل. وكانت له تحيزاته ولكنه رأي أن التغيير لابد أن يحدث لكنه أراد أن يتم ذلك بشكل تدريجي وكان مُرتاباً، بوجه عام، من التدخل الفيدرالي. وضعه قرار المحكمة العليا في مايو 1954، في قضية براون ضد مجلس التعليم بأنه في التعليم العام لا مكان لمبدأ "منفصلون ولكن متساوون" في دائرة الضوء. لم يدلي بأي تصريح علني داعم. تماشت موافقته على مبدأ الفصل مع التردد الكبير للسعي لفرض هذا المبدأ. كان لابد من رؤية السياسة العرقية الداخلية، كما عرفها، في سياق النضال العالمي بين الحرية والاستبداد. من يستطيع القول أين ستنتهي اضطرابات التغيير. لم يكن عالم الاحتجاجات والمسيرات والمظاهرات والاحتلال والمواجهات بعيداً. إن مشكلة أمريكا بشكل مصغر هي مشكلة العالم أجمع.

## تبديد الأمل والشعور بالخوف

غير أنه في الخمسينات أظهرت الولايات المتحدة رخاء لم يسبق له مثيل. لقد كان حيوي وغير طبقي. لقد عاد "الحلم الأمريكي" الذي كان مؤجلاً أثناء الكساد العظيم والحرب. أرسلت وسائل الإعلام للمواطنين رسالة مفادها أن الشراء جيد لكم. أبعدت "المتعة العاجلة" "السعادة المؤجلة". أصبحت الولايات المتحدة سعيدة مرة أخرى، حتى أنها كانت "تغني تحت المطر" مع السيد سيناترا. وبلا شك كانت هذه الحالة من الرضا

بسيطة جداً، بجانب رؤية القضايا الخاصة التي ذكرت سابقاً من بعيد وكما صورتها الشاشات، لقد كانت موطن السحر والرخاء المنشود. كان أيزنهاور (ولد في 1890) رئيساً معتدلاً وخلفه كان النصر في أوروبا. صدرت على لسانه كلمات عن التعاون والتسوية. لقد كان لديه أشهر ابتسامه في العالم. أصبحت الصور ذات أهمية الآن أكثر من ذي قبل. لقد فاز في 1952 بأغلبية ساحقة، أخذاً 39 ولاية وفائزاً بنسبة 55٪ من أصوات الناخبين. اعترف الرئيس بوجود تناقضات في الرأسمالية، والتي يمكن حلها من خلال نوع من الدول المتعاونة والمواطنين الذي يتمتعون بحسن النية والصبر. كان خطر الشيوعية محددا بالفعل تحت حكم سلفه. خلق قانون الأمن القومي لسنة 1947 وزارة دفاع جديدة ومجلس الأمن القومي ووكالة الاستخبارات المركزية. اشتمت مجالس الوزراء رائحة الخيانة. وجد مقر لجنة الأنشطة الغير أمريكية دليلاً على النشاط الشيوعي في هوليوود. كان الحزب الشيوعي لا يزال قانونياً، لكن معظم الأمريكيين، عندما تم استطلاع الرأي، أرادوا حظره. قد يكون الجواسيس في كل مكان.

لبضع سنوات بعد 1950 كان "الخوف الأحمر" في أيدي جوزيف مكارثي من ويسكونسن، الذي انتشر ادعاءه في عناوين الصحف بأن وزارة الخارجية تحتوي عما لا يقل عن 205 شيوعي. وقد أكد أن وزراء الخارجية، مارشال وأتشيسون، كانوا جزء من مؤامرة لخيانة بلدهم. لقد كانت خسارة الصين خيانة. لم تسلم أي مؤسسة في الولايات المتحدة من اتهاماته. في 1954 تم سحب التصريح الأمني من جوليوس روبرت أوبنهايمر، عالم الفيزياء الأكثر شهرة في البلاد. وفي نفس العام وبعد الاستماع إلى التهم أصبح مكارثي يعمل ضد قادة الجيش، وبالتالي انخفضت شعبية السيناتور وزالت القوة من الخوف الأحمر، على الرغم من أن المخاوف التى أثارها مكارثي لم تختفي بين عشية وضحاها. بددت فترة القمع السياسي صورة الولايات المتحدة كمجتمع حر. إن الخوف من ازدراء الشيوعية للحرية هدم الحرية الأمريكية. وهذا يفسر عدم اتخاذ الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية موقفاً كاملاً ضد المكارثية وعدم توفير الدعم لضحاياها.

قدمت الولايات المتحدة ظهوراً لدولة مسيحية قوية. احتدم سباق بناء الكنائس في

العقد الذي يلي 1945 وازدادت عضوية الكنيسة. سعي مستطلعي الرأي لاكتشاف أهمية الدين عند الأمريكيين في حياتهم. في 1952 وجد أحد الاستطلاعات أن 75٪ يجدوه "مهم جداً". أعلن الرئيس أيزنهاور أنه يجد أغنية "أنا أؤمن" مؤثرة للغاية. وهو من بادر بصلاة الإفطار في البيت الأبيض. وقد خاطب مجلس الكنائس العالمي داعياً للصلاة عندما عقد جلسته الثانية في إيفانستون بالينوي في 1952. أصبح شعار "ثقتنا في الله" هو الشعار الرسمي للبلاد. جذب الأسقف الكاثوليكي الروماني، فولتون جون شين، جمهوراً أكبر، حيث تزاحمت مواعيد لقاءاته التلفزيونية مع فرانك سيناترا. تصادف نجاح كتب شين الأكثر مبيعاً "سلام مع الله" (1953) مع صعود المبشر بيلي جراهام. حث رئيس مجلس الكنائس العالمي الجديد الكنائس في الولايات المتحدة على العمل الجماعي نحو خلق أمريكا مسيحية في عالم مسيحي. هذا العالم المسيحي لا يمكن رؤيته إلا من بعيد ووجدت أمريكا المسيحية نفسها تعمل في العديد من البيئات المختلفة، المرحب والغير مرحب بها. لم تكن الأمم المتحدة، التي اجتمعت في نيويورك، تمثل صورة الولايات المتحدة. مثلت عوالم أخرى نفسها في جلساتها. كان من الواضح وجود العالم الشيوعي الذي يقوده الاتحاد السوفيتي. وربما كان بموازاة "العالم الحر". وفي أوروبا تبلورت عناصر المواجهة.

## عقيدة ترومان: هل كانت ضمانات بلا حدود؟

خاطب هاري ترومان، القاطن الفظ بالبيت الأبيض، جلسة مشتركة خاصة بالكونجرس في 27 مارس 1947. لقد كانت مناسبة معدة بعناية وتم بثها على إذاعة البلاد. أعلن الرئيس أن الولايات المتحدة ستدعم الشعوب الحرة المقاومة لمحاولات الاستبداد من قبل الأقليات المسلحة أو الضغوط الخارجية. بالكاد تم تقديم تعهد أكثر شمولاً. لقد حان الوقت، كما قال، الذي تختار فيه كل أمة بين الوسائل البديلة للمعيشة. لقد كان تصريحاً عالمياً جريئاً بخصوص قضيتين خطيرتين: الضغط السوفيتي على تركيا فيما يتعلق بالمضيق والحرب الأهلية في اليونان. لقد كان هناك شعور بأنه في حالة قدرتهم على إبقاء القوات لمدة أطول في اليونان، فإن بريطانيا ستدفع الولايات المتحدة إلى الزاوية. وفي الأعوام التي تلت خطاب ترومان أصبح للجيش اليوناني الملكي، بمساعدة عسكرية

كبيرة من الولايات المتحدة، على الرغم من أنها ليست قات أمريكية، اليد العليا على الشيوعيين. ظلت القوات البريطانية في اليونان حتى 1954. انحسر الضغط على تركيا بسبب المضيق. كانت المضاعفات العاجلة أقل أهمية من النتائج بعيدة المدى. وخلف الخطاب كان هناك الكثير من التفكير في وزارة الخارجية وغيرها. باختصار، تمت الإشارة لذلك بـ "الاحتواء". يجب أن تتمتع الولايات المتحدة بالصبر والثبات. ستتم مواجهة الاتحاد السوفيتي بواسطة قوات المكافحة إذا تعدي على مصالح عالم سالم ومستقر، على حد تعبير جورج كينان. فوجئ كينان قليلاً، والذي شغل منصب دبلوماسي في موسكو، أو كما قال في وقت لاحق، باللغة المتكلفة التي استخدمها الرئيس. كانت الصعوبة في لغة ترومان تقع في رحابتها. وكانت ميزتها في مرونتها الممكنة. كانت واشنطن هي التي تقرر من هي الشعوب الحرة وما الذي يشكل إمكانية إخضاعهم. انسجمت "العقيدة" على نحو غير ملائم مع الدور الذي تطمح إليه الأمم المتحدة. وعلى الرغم من هذه اللغة، لم يمكن استبعاد إمكانية الانعزال الأمريكي.

سار تأمين العالم الحر جنباً إلى جنب مع استمراريته. في 1947 عين ترومان جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة. وهنا كان رجلاً، علي عكس الرئيس، يعرف شيئاً عن العالم من خبرته الشخصية، وخاصة الأوربيين والصينيين. وقرب نهاية الحرب، ومع تحويل جيش الولايات المتحدة من قوات مكونة من 170,000 رجل في 1939 إلى قوات مكونة من 7,200,000، كان هو المسئول الرئيسي عن انتصار الحلفاء. تم تسريح هذا الجيش ولكنه ظل قوة هائلة. كان لايزال موجوداً بقوة في أوروبا، على الرغم من تزايد الأصوات في الولايات المتحدة المناديه بعودته. كان هناك الكثيرين في أوروبا يخشون عودته (وآخرين كانوا يأملون في ذلك). في عام 1919 وكمساعداً لقائد القوات الأمريكية جون بيرشينج، كان لدي مارشال وعي تام بأهمية الإسهام الأمريكي في نصر الحلفاء في الحرب العالمية الأولي. تم سحب القوة الأمريكية بعد ذلك. وعندها حان الوقت "لإنهاء المهمة". كان يجب إجبار أوروبا الجديدة على التواجد علي أساس من شانه الاستمرار. لائمت أوروبا المستقرة والمزدهرة الولايات المتحدة. ولا يجب عليها التردد في استخدام

قوتها العسكرية والاقتصادية لتحقيق هذه الغاية. لقد كانت مسئولية ذات منفعة اقتصادية لحسن الحظ. على الرغم من ذلك، كان هناك تعقيدين. أولاً عندما تحدث الأمريكان عن الأوربيين، بدا الأوروبيون أنفسهم مترددين في القيام بذلك. في حين كان الأمريكان راغبين في الحدث عن القارات، وجدوا أن البلاد في أوروبا كانت تفكر في الأمر. ثانياً لم تكن أوروبا القارة الوحيدة التي اهتم بها الأوربيون. دائما كانت هناك مسألة التوازن. لقد كانت أوروبا فقط هي التي واجهها الأمريكان والروس وجهاً لوجه.

كان جورد مارشال هو الرجل المناسب في الوقت المناسب. لقد أخبر جمهور هارفارد في يونيو 1947 أن الولايات المتحدة يجب أن تفعل ما بوسعها للمساعدة في عودة الحياة للنظام الاقتصادي. وقد ذكر قبل بضعة أشهر أن هذا "المريض"، وكان يعني أوروبا، كان يغرق في حين كان يدرس الأطباء. لقد كان رد فعل البريطانيين والفرنسيين والسوفيتيين على فكرته، التي لم تكن بعد "خطة"، مفتاحي. شن الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي لازال يشارك في الحكومة، حملة ضد التدخل الفرنسي في خطة مارشال. اتسعت دائرة الشك وعدم الثقة في الخطة، خاصة في فرنسا، وشملت بعض الأوساط الكاثوليكية. قال مارشال أن السياسة لن توجه ضد أي دولة أو عقيدة، ولكنها ستوجه ضد الجوع والفقر واليأس والفوضى. أياً كان شكل هذه المساعدة، ستحاول الولايات المتحدة التعامل مع أوروبا ككيان واحد (والذي سيشمل الاتحاد السوفيتي). لم تعتقد وزارة الخارجية أنه سيتم قبول العرض على أساس هذه القعدة الشاملة. وبذلك تمكنت الإدارة من لوم الولايات التي رفضت المشاركة، بمعني آخر، الاتحاد السوفيتي. كان هناك ثمة توقع أن الاتحاد السوفيتي سيقبل العرض. على الرغم من ذلك وصل مولوتوف، مدعوماً بحشد من علماء الاقتصاد، إلى باريس ليجد المزيد. لقد استنتج أن تنفيذ خطة مارشال ستنتهك السيادة السوفيتية. لن يشارك الاتحاد السوفيتي كما لن تشارك الولايات الواقعة تحت سيطرته المباشرة (بما في ذلك فنلندا وتشيكوسلوفاكيا).

أوضحت الولايات المتحدة أنها لن تتعامل مع عروض من كل بلدة على حدة، على الرغم من أنها، وبعد اتفاق جماعي، ستقوم ببعض المشاريع على هذا الأساس. حضرت

كلاً من بلجيكا، الدنمارك، فرنسا، اليونان، أيسلندا، أيرلندا، إيطاليا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، البرتغال، السويد، سويسرا والمملكة المتحدة كما حضرت كندا وتركيا. كان بيفن في السلطة. ومن وجهة نظر وزارة الخارجية، أراد البريطانيون الاستفادة في حين الإبقاء على موقفهم بأنهم ليسوا دولة أوروبية تماماً. مثلت البلاد المذكورة سابقاً أوروبا التي قررت أن تحضر، مزيج من الدول المتحاربة وغير المتحاربة. لم تكن إسبانيا مدعوة. جاءت المساعدة تم التعهد بها. وعلى مدي أربع سنوات من البرنامج، والذي انتهي في 1952، أسهمت مساعدة مارشال، تقريباً 13 بليون دولار، بشكل كبير في الانتعاش الاقتصادي للبلدان المتلقية. كانت بريطانيا وفرنسا المستفيدين الرئيسيين يتبعهم الولايات العدوة في السابق، ألمانيا الفيدرالية وإيطاليا، بجانب البلدان المنخفضة في النهاية. ميزت مدي الأهمية دولة عن الأخرى، فيما يتعلق بالعوامل الأصلية، وظلت محل جدال. في مجملها شكلت المساعدة 2٪ من إجمالي الناتج القومي للبلدان المتلقية. تم التشكيك أيضاً في الدافع وراء هذه المبادرة. تم الضغط على الكونجرس للإعتقاد بأن العجز التجاري الضخم في أوروبا مع الولايات المتحدة سيكون كارثياً للمصدرين الأمريكيين إلا إذا تم العثور علي مخرج منه. بجانب ذلك، قد تثير إمكانية تحمل الضعف الاقتصادي الأوروبي اضطرابا سياسياً غير مرغوب هناك وستميل بالقارة نحو الاتحاد السوفيتي. وعلى الصعيد العالمي كانت أوروبا هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يحدث فيه ذلك. كان لابد من تواجد نوع من التعاون بين أوروبا وأمريكا وإلا ستصبح القارة بأكملها تحت النفوذ السوفيتي. كان من الضروري استعادة ثقة أوروبا بنفسها خلال أربع سنوات.

كان توقيع معاهدة شمال الأطلسي في واشنطن في أبريل 1949 خطوة من نوع مختلف، وإن كانت لا تقل أهمية. إرتبطت الولايات المتحدة وكندا ببريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ والنرويج والدنمارك والبرتغال وأيسلندا ولكن شمال الأطلسي هو ما كان مكملاً. وسيكون أي هجوم على أي عضو بمثابة هجوم على جميع الأعضاء. وبعد التشاور سيقوم كل منهم بهذا الإجراء كتصرف ضروري. من ناحية كانت هذه الشراكة خطوة عالمية كبري. ومن ناحية أخرى وكما كشفت المنظمة ومقرها في

باريس مع عودة أيزنهاور إلى أوروبا كقائد أعلي في أواخر الخمسينات فقد تصبح شروط الشراكة مثيرة للجدل. لقد كان الأمر عالمياً أكثر من قومياً. بالنسبة للأوروبيين كان الغطاء النووي ملاذاً ضرورياً على الرغم من أن الاستخدام الأمريكي الأول كان ينذر بالخطر. من ناحية أخرى كانوا مترددين في زيادة نفقات الدفاع المتفق عليه. في السياق المباشر لم يكن ما قد يفعله الناتو في حالة حدوث هجوم سوفيتي واضحاً. وبصرف النظر عن القدرة علي توجيه ضربة نووية قوية، كانت الولايات المتحدة وحلفائها بحاجة لمزيد من الوقت لبناء قوتهم. كان الوضع سريع التحرك. في غضون شهور أصبح لدي الاتحاد السوفيتي قنبلة ذرية، وتم الإعلان عن ذلك في مارس 1950. تمحور السباق حول تطوير قنابل هيدروجينية، أسلحة تفوق قوتها آلاف المرات تلك التي أسقطت على اليابان. بعد ثلاث سنوات انضمت اليونان وتركيا إلى الناتو. كانت العلاقات المتبادلة لهذه الدول سيئة وقد تؤدي عضويتهم إلى بعض التحسن في ذلك. توسعت كلا الدولتين، بطرق مختلفة، في استخدام فكرة وجود منطقة عالمية وهي "شمال الأطلسي". كما وسع انضمامهم من تنوع الممارسات والثقافة السياسية التي كانت موجودة داخل الحلف.

مثلت أمريكا الشمالية التي تم تناولها في هذا الفصل معضلة عالمية. كانت الولايات المتحدة صوت أمريكا في قلب حلفائها والتي وصلت لأبعد من حدودها في عالم منقسم. لقد كانت أيضاً الراعي الرئيسي والداعم الأساسي للأمم المتحدة. لقد كانت منظمة الأمم المتحدة وسيلة غير مختبرة عبرت عن تطلع عالمي. ربما يصطدم الاثنان وربما يعملان معاً، لكن علاقتهم هي أحد العناصر الأساسية لخلق نظام عالمي.

# 6

# الشرق الأوسط

## مصر وسوريا والعراق: تحركات ناصر

في يوليو 1952 أخبر راديو القاهرة المصريين بأن الضباط الأحرار قد سيطروا على البلاد. طلب من الملك التخلي عن العرش ومغادرة البلاد بشكل دائم. قدم مجلس قيادة الثورة، بقيادة العقيد الشاب جمال عبد الناصر (ولد 1918) بداية جديدة. تم إلغاء دستور 1923. تم إنشاء محكمة ثورية لمحاكمة السياسيين من الطراز القديم. وبنهاية 1953 تمت الإطاحة بالنظام الملكي. ثم حدثت انقسامات عميقة داخل الجيش، تجسدت في شخصين، نجيب وناصر، حول ما إذا كان ينبغي عودة حكومة برلمانية أو حدوث ثورة جذرية. هزم الأخير منافسيه ونجا من محاولة اغتيال وحل الأحزاب القديمة اليمينية واليسارية وجماعة الإخوان المسلمين. تم تعزيز حركة التحرير كحركة إحياء وطنية. لم يكن ضد الإسلام ولكنه مصره الحديثة لن تكون ثيوقراطية. أعلن كتابه "فلسفة الثورة" (1954) عن شكل عربي للاشتراكية بمسحة إسلامية. لقد تحدث إلى الشعب بلغة عربية لم تكن متعالية في نبرتها ومفرداتها. سارت إليه السلطة بثبات. كان هو أول مصري من أهل البلد يقود الشعب لألفي عام. أزال بناء كورنيش النيل في القاهرة حديقة الدار البريطانية في المدينة. ستسافر القاهرة والمصريين معاً على طريق جديد.

كان لابد من إزالة أكثر من مجرد حديقة بريطانية. كانت هناك القاعدة البريطانية الضخمة في منطقة قناة السويس. في أكتوبر 1954 تم الاتفاق على سحب القوات البريطانية ولكن سيتم الاحتفاظ بالقاعدة تحت إدارة كلا من المتعاقدين المصريين والبريطانيين. وسيتم إعادة تنشيطها في حالة حدوث عدوان خارجي على أي من الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية. في 1955 رفع العلم المصري علي ميناء بورسعيد. وفي نهاية المطاف أمكن القول بأن مصر أصبحت مستقلة حقاً. ظل وضع القاعدة موضع نقاش مع الحكومة البريطانية منذ 1945. كان هناك حديث عن تحويلها محور قوة الدفاع عن الشرق الأوسط، لكن ذلك لم يسفر عن شيء. توصل نظام الحكم الجديد إلى إبرام اتفاق مع البريطانيين أن مستقبل السودان يجب تركه للسودانيين. في يناير 1956 لم يكن بمقدور حكومتي مصر وبريطانيا سوي قبول الاستقلال الذي أعلنه السودانيون حينها. من هم السودانيين لم يكن موضع نقاش.

كان ناصر لا يزال يري لمصر مكان في أفريقيا ولكنها كانت صوت العرب الذي نصبه لنفسه. بث راديو القاهرة رسالة مفادها أن الجماهير العربية يجب أن تنضم معاً لتحرير أنفسهم من الاستعمار والمتواطئين في جميع أنحاء الشرق الأوسط. لم تكن تلك هي الرسالة التي أراد الملك فيصل سماعها، والذي حصل حديثاً على سلطة كاملة في العراق وكان يسترشد بالسياسي المخضرم نوري السعيد. شهدت الشهور الأولي من عام 1955 نشاط دبلوماسي قوي في الناحية الشمالية من الشرق الأوسط. في فبراير وقعت تركيا والعراق معاهدة الدعم المتبادل. ذهب عدنان مندريس، والذي انتخب كرئيس وزراء تركي في أول انتخابات حرة في البلاد في 1950 (ومرة أخرى في 1954)، ببلاده إلى منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو). وقد انضمت إلى مجلس أوروبا في 1949. كانت ميوله غربية ولكنه أظهر تعاطفاً تجاه الإسلام أكثر مما سمحت به العقيدة الجمهورية في تركيا. لم تعد الدعوة إلى الصلاة باللغة العربية جريمة جنائية. تبع ذلك فترة من النمو الاقتصادي السريع، لم تعد الحكومة بحاجة لمراقبة الضوابط المالية التي يخضع لها أفراد معنيين. لم ترغب أنقرة أو بغداد في إعطاء مساحة ثقافية أو سياسية لأقليتهم الكردية.

بعد ذلك توسع الحلف. إنضمت بريطانيا في مارس كما فعلت باكستان وإيران بعدها. كان غرضها الظاهري هو الدفاع عن المنطقة ضد الاتحاد السوفيتي، لكنه ناصر اشتبه في أن يكون ذلك موجه ضده (على الرغم من أنها دعوه للانضمام). على أيه حال كانت هناك إشارة واضحة على رغبة بريطانيا في أن تظل متواجدة في الشرق الأوسط. بعد عشاء رائع في بغداد، قبل عشر سنوات، والذي استضافه نوري السعيد، أعجب المتجول ويندل ويلكي بإصرار العراق على بناء أول دولة حديثة ومستقلة في الشرق الأوسط. وقال السعيد حينها أن الوقت كان في صفه. لم يكن هناك شك أن مصر لديها تعداد سكان أكثر ثلاث مرات منه في العراق (وأكبر من الدول العربية المجاورة مجتمعة). وقعت مصر وسوريا معاهدة دفاع في مارس 1955. تم تأمين الاستقلال السوري (واللبناني) عن فرنسا بعد صراع فرنسي داخلي وتدخل بريطاني في 1946. عمل الانتداب الفرنسي في البلاد كقاعدة للتمثيل الطائفي لعناصره المتنوعة. أصبح التركيز الآن على الهوية السورية. كان التحالف مع مصر هو التطور الأخير في المشهد السياسي الدمشقي والذي شهد انقلابات عسكرية، أطولها أمداً انتهي في 1954. ربما يتم استحضار عالم عربي، كواقع سياسي في القاهرة.

## تونس والمغرب وليبيا والجزائر: النهوض

كانت العاصمة المصرية هي الموطن الأساسي للحبيب بورقيبة، بعد الحرب، زعيم الحزب السياسي التونسي والذي كان يسعي لدستور جديد من فرنسا. وقد أقام مكتب مغربي كبير هناك. في وقت سابق كان قد تزوج من امرأة فرنسية أثناء وجوده كطالب قانون في باريس. عائداً إلى تونس في 1949، أطلق حملة من أجل الاستقلال التام (متخلياً عن فكرة وجود علاقة مستمرة ومتساوية مع فرنسا). وعقب نفيه في 1952 حدث تمرد لم تستطع القوات الفرنسية احتواءه. قدم عرضاً بالحكم الذاتي الداخلي في 1954 ولكن من غير المرجح أن يكون ذلك كافياً. حدثت عملية مختلفة في المغرب، ولكن بنفس النتائج الوشيكة. وهناك ربط السلطان نفسه بالحزب القومي واستحضر بذكاء الميثاق الأطلسي وعزل نفسه ونفي إلى مدغشقر. فشلت المحاولة لجعل الكلاوي، باشا مراكش، يمثل

صوت البربر (أهل الداخل) وبالتالي تقسيم وإلغاء المقاومة المغربية. وبنهاية عام 1955 تم الاعتراف باستقلال المغرب. عاد السلطان ولقب بالملك محمد الخامس. وقد أوضح أنه من الممكن مواكبة القومية (فشل ملك تونس في ذلك). إلا أن خلق المغرب أثار مرة أخرى جدلاً حول تمددها. لم تكن الحكومة الإسبانية، علي عكس الفرنسية، تحت أي ضغط عسكري في أجزاء أخرى من العالم. لم يكن من المقدر أن تتزحزح من صحرائها. تم تقسيم ليبيا، بعد رحيل الإيطاليين، كأرض تحت وصاية الأمم المتحدة وأدارها بشكل مستقل بريطانيا وفرنسا وأصبحت مستقلة كمملكة في 1951. كان أول عاهل هو إدريس، زعيم السنوسية، أتباع مذهب معين في الإسلام.

أصبحت القضية الجزائرية أكثر خطراً وأثارت قضايا أكبر خطورة من أي مكان في شمال أفريقيا. وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية في سبتمبر 1947 على قانون بإنشاء الجمعية التأسيسية الجزائرية علي أساس إثنان من الحشود الانتخابية المختلفة. ومع ذلك تم التأكيد على أن الجزائر جزء من فرنسا. في مايو 1945 إندلع العنف وأدي إلى نسبة وفيات كبيرة، سواء فرنسيين أو مسلمين (تختلف الأرقام). وأشار الإجراء المتخذ في 1947 إلى الرغبة في الإصلاح، وكان إنشاء وزارة جزائرية جديدة في باريس خطوة أخرى، مع عدم التزحزح عن المبدأ الأساسي. وقد نجح الأمر لعدة سنوات ويرجع ذلك إلى أن الأحزاب المسلمة كانت منقسمة من حيث إستراتيجياتها. منع موقف المجتمعات الجزائرية في فرنسا، وبالطبع موقف مثلتها الفرنسية في الجزائر، عملية التحول النسبية البسيطة التي كانت تحدث في المغرب وتونس، إلا أن التغيير في هذه البلاد كان مصدر إلهام كما كانت مصر عبد الناصر. اندلع العنف مرة أخرى في نوفمبر 1954 مؤدياً إلى رد فعل قاسي. جمعت جبهه التحرير الوطني الأحزاب السياسية وأقنعتهم أن الحركة القومية تدخل في مرحلتها الأخيرة. لم يكن هذا هو رأي الحاكم العام الجديد" سوستل" والذي وفي حين التأكيد على أن الجزائر ستظل داخل الإطار الفرنسي قد وعد بأن المسلمين سيقومون بدورهم الكامل. لقد كان ذلك الهدف معلن من قبل. وربما كان الوقت متأخراً لجعله واقعاً. عبر مؤتمر باندونغ عن تضامنه مع النضال الجزائري من أجل الحرية. هل

كان السبيل الوحيد للخروج هو التفكيك الكامل للجزائر الفرنسية وعودة الأسر الفرنسية لموطنها وأيضاً عودة المسلمين الجزائريين الغير وطنيين؟

كان الجدال السياسي في جميع أنحاء المغرب، كما في أماكن أخرى، هو كيف التأمت المناطق المختلفة والانتماءات القبلية وكيف يمكن استيعاب التركيز على تقاليد دينية معينة، كيف اندمجت السلطة التقليدية مع بناء الدولة الحديثة، كيف تواجد الإسلام (وتقاليده) مع السياسة العلمانية، كيف تم دمج النظم القانونية، كيف يمكن إحداث التوازن بين المدن المتوازنة وثقافتها. تكررت جميع هذه القضايا من الرباط إلى البصرة ومن حلب إلى طرابلس. كان من الصعب أيضاً الحكم على التأثير الدائم الذي يمكن أن تحدثه اللغات والأنظمة الإدارية والقانونية التي استخدمتها فرنسا وبريطانيا. لكن هذه القضايا لم تقتصر على جانب واحد من البحر الأبيض المتوسط. فإذا كان العرب قد ناضلوا من أجل توحدهم فكذلك فعل الأوروبيون. وجد الأخيرين أنفسهم، وهم الذين تنقصهم لغة مشتركة كما انزعجوا من تاريخهم المسيحي المشترك، يتصارعون من جديد مع تنوعهم التاريخي. على الرغم من ذلك سعي السابقين، مع امتلاكهم لغة مشتركة وكتاب مقدس واحد، لتعزيز نوع من القومية الفردية، في حين عدم إنكار كونهم عرب. كان كلا العالمين، الأوروبي والعربي، يواجهان أزمة هوية.

## فلسطين وإسرائيل: عدم التوصل لحل

كانت هناك قضية واحدة اجتمع عليها العام العربي وهى القضية الفلسطينية. في 1947 كان ثلثي سكان فلسطين تحت الانتداب الفرنسي من العرب، مسلمين ومسيحيين، وثلثهم من اليهود. كانت الحكومة البريطانية تحت ضغط شديد. تم التدرب مرة أخرى على خيارات مستقبل المنطقة. في فبراير أحالت الحكومة البريطانية المسألة إلى الأمم المتحدة والتي شكلت لجنة خاصة. أوصي تقرير الأغلبية في أغسطس، والذي تم تبنيه في الأمم المتحدة بأغلبية 33-13 مع امتناع 10 عن التصويت، بتقسيم ثلاثي: دولة عربية، ودولة يهودية (والتي يكون فيها اليهود والعرب متساوون تقريباً في العدد)، والقدس كمنطقة دولية. قرر البريطانيون في سبتمبر أنهم سينهون الانتداب في مايو 1948. لم يكن

لديهم حل. وغادرت أخر قوات بريطانية في الشهر التالي. لقد كانت نهاية مخزية لتدخل دام ثلاثين عاماً. دارت حرب داخلية بين اليهود والعرب علي قدم وساق. كان للأولين اليد العليا مستولين على مدن ومناطق عربية. تم إعلان دولة إسرائيل في 14 مايو. جاءت الهدن وذهبت. إقترح الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة، أن العرب يجب أن يحصلوا على النقب والقدس والخليل اليهودي. لم يكن الاقتراح مقبولاً من جانب الإسرائيليين. في سبتمبر 1948 قتل برنادوت علي يد عصابة يهودية واستؤنف القتال.

من الناحية النظرية كان من المفترض أن يجعل تدخل الدول العربية المجاورة الميزان لصالح الفلسطينيين العرب، لكنهم كانوا منقسمين. تلاعب عبد الله أمير شرق الأردن بفكرة سوريا الكبرى، ولكنه استولي على الحكم وسعي للحصول على فلسطين. لم تلق الخطة إعجاب الدول العربية الأخرى أو مفتي القدس. فضلت دول أخرى إمداد الفلسطينيين بالمقاتلين دون إشراك الجيوش بشكل مباشر. استغلت إسرائيل هذه الاختلافات بين خصومها وبحلول يناير 1949، وكانوا يحاربون جيشاً مصرياً حينها، انتصر الإسرائيليون. سار الشاب ناصر بعيداً مرفوع الرأس لكن شعوره القومي كان مخذولاً. حصل عبد الله على ما يمكن أن يسمي فلسطين العربية وكذلك القدس القديمة (احتفظ الإسرائيليون بالجزء الجديد). أصبحت مملكته تعرف الآن باسم الأردن. في ديسمبر 1951 أتت مؤامرة غامضة لاغتياله في القدس. وبعد ذلك بعام، وخلفاً لوالد غير مستقر عقلياً، تم إخراج الشاب حسين من تعليمه في هارو" مدرسة تشرشل القديمة في إنجلترا" ليعتلي العرش. جعلت كراهية السعودية للسلالة الهاشمية من جهة والمعارضة فى مصر من جهة أخرى حكم حسين قصيراً.

أدي نزوح حوالي 700,000 من العرب، سواء تم طردهم أو فروا من فلسطين إلى مشاكل كبيرة لأنفسهم وللدول المستقبلة. لم تسمح إسرائيل بعودة المنفيين ودخلوا في نوع من النسيان الدائم لعديمي الجنسية. لم تجعلهم الدول المستقبلة مواطنين لأن القيام بذلك يلزم التخلي عن فكرة عودتهم. كونك فلسطينياً كان دائماً محل إشكال وجعل الموقف الجديد تقبلهم أكثر صعوبة. لم تنجح المحاولات لتحقيق تسوية نهائية برعاية الأمم

المتحدة. أصبحت الدول العربية أكثر حزماً بعد الهزيمة، على الرغم من استمرار الحرب، أكثر مما كانوا قبلها. منعت مصر، في تحد لقرارات مجلس الأمن، السفن الإسرائيلية من المرور عبر قناة السويس. تبع ذلك التهديدات والمواجهات. بدا القتال محتملاً. كان وجود وتوسع دولة إسرائيل تذكيراً دائماً بإذلال العالم العربي، وقد كان يمثل أيضاً تدخل جديد للغرب، ليس لأن الغرب يتحدث بصوت واحد. كانت لندن وواشنطن على خلاف سياسي. واجه بيفن بعض الاتهامات بأنه كان معادياً للسامية. كان الرئيس ترومان سريعاً جداً في الاعتراف بدولة إسرائيل، ربما حرصاً على ضمان أصوات اليهود في الانتخابات الرئاسية في 1948. ظل الدعم اليهودي لإسرائيل في جميع أنحاء العالم. كان من الصعب على الرأي الغربي، الذي كان على دراية بالمحرقة، عدم التعاطف مع الطموح الصهيوني بعودة اليهود لموطنهم. وأشار العرب بدورهم أن ذنب أوروبا لا يجب التكفير عنه على حساب الفلسطينيين العرب. أكدت المناقشات أن الشرق الأوسط لا ينتمي كلياً للشرق الأوسط.

## إيران: تكميم مصدق

قدمت إيران مثالاً حياً على هذه النقطة. في نوفمبر 1951 تحولت الحشود في القاهرة إلى مكان لازال يسمي مطار فاروق يهتفون "تحيا إيران". نزل من الطائرة رئيس الوزراء الإيراني، دكتور محمد مصدق، في طريق عودته إلى طهران بعد اجتماعه بمجلس الأمن في نيويورك. قدمت المدينة مأدبة عشاء على شرفه. كان لمصدق، المنتخب حديثاً من قبل البرلمان الإيراني بعد اغتيال سلفه، مهمة تأميم الشركة البريطانية الإيرانية للنفط (التي كان للحكومة البريطانية فيها حصة الأغلبية)، ناهياً بذلك حقوقها التي لم تنتهي بعد واستكشافها في المحافظات الجنوبية في إيران. كان لديه دعم الشارع. طال أمد الصراع. جلب ذلك في المقدمة قضية معينة لكنها أيضاً كانت لحظة رمزية. كانت إيران تنوي التخلص من تبعيتها للغرب، خاصة بريطانيا. ربما كان يأمل أن الخوف الأمريكي من الشيوعية في إيران سيجبر أمريكا على جعل بريطانيا تفسح المجال. اعتبرت حكومة حزب العمال البريطانية الخطوة الإيرانية غير قانونية وغير مقبولة كلياً. أغلقت الشركة مصفاة

عبادان ودبرت مقاطعة للنفط الإيراني. أعقب ذلك صراع مرير بين الحكومتين، مع تصميم الجانبين على عدم القيام بأي تنازلات. لم يكن ذلك هو الصراع الوحيد. أراد مصدق تقويض سلطة الشاه. فر الأخير مؤقتاً من البلاد في أغسطس 1953. وفي الشهر نفسه أطاح الانقلاب، الذي تورطت فيه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بمصدق. كان لبعض الأوساط العسكرية والدينية أسبابها الخاصة في رغبتهم في رحيله.

كثرت التناقضات. لم يكن مصدق (ولد في 1882) شعاراً لجيل جديد، مثل ناصر. وكنجل لوزير المالية في عهد السلالة السابقة وكونه على اتصال بالطبقة الأرستقراطية، كان قد درس في شبابه في جامعات فرنسا وسويسرا. لم يكن محفظاً دينياً ولا شيوعياً وفي بعض النواحي كان غربياً. جاء الشاه علي رأس القائمة في ظل النضال واستعاد قبضته الصارمة. أصبحت السياسة الدستورية مرة أخرى معلقة. أخذ بلاده إلى حلف بغداد. وبالنسبة لبريطانيا والولايات المتحدة وعلى الرغم من بعض الاختلافات بينهم كان ما يهمهم هو تأمين الجانب الشمالي من أجل الغرب. لم ينجح مصدق ولكن لم تستعيد الشركة البريطانية الإيرانية للنفط وضعها السابق. كان لابد للحكومات الغربية وشركات النفط الذين لم تتوافق مصالحهم المعنية ووجهات نظرهم هنا كما في أماكن أخرى في الشرق الأوسط وخارجه من التكيف مع الحقائق السياسية الجديدة التي نشأت من ازدهار إنتاج النفط في جميع أنحاء المنطقة.

# 7

# جنوب آسيا

## خلع الراج البريطاني

لم تكن الهند البريطانية مجرد قصة انتداب قصيرة الأجل دون أن يكون لها عمق تاريخي. بدون أدنى شك لم تكن الصورة العاطفية التي تصورها الإمبريالية للتقدم والتطور تحت الحكم البريطاني إلا قناعاً للاستغلال والغطرسة، إلا أنها كانت تستند إلى اقتناع صادق بل وأكثر من ذلك بين صفوف المتقاعدين من الخدمة المدنية الهندية. كانت نهاية أكبر إمبراطورية حجماً ومن حيث السكان وتمتلكها قوة أوروبية تعبيراً صريحاً عن الحالة التي آلت إليها القوة أو الإرادة الأوروبية (أو مزيج بينهما). على الرغم من ذلك، لم يكن هذا قرار تم اتخاذه بإتفاق وتنسيق بين العواصم الأوروبية لإنهاء الإمبراطورية. كان على فرنسا وهولندا أن يتقبلا تلك الإشارة التي أبدتها النوايا البريطانية وهو أنه يجب على الإمبراطورية الأوروبية الكولونيالية بجميع تجلياتها أن تنتهي في كل مكان. ويمكن فهم كل ما حوته هذه النية من تضمينات في الشرق الأوسط، وهو ما تناولناه في الفصل السابق. كانت أهمية منطقة الشرق الأوسط تكمن في تأمين الطريق إلى الهند، لكن ينبغي الآن أن يُعاد تفسير هذا الأمر. بإختصار لم يعد هناك نفس طريقة العبور إلى الهند. على نحو مختلف، تحول سياق العلاقة البريطانية مع القبائل الصغيرة في الخليج العربي أو

الفارسي من ناحية ووضعها في عدن (كل من مستعمرة التاج والمحميات في المناطق النائية) من ناحية أخرى. أما بخصوص العلاقة الأولى فإنه بفضل المعاهدات الحصرية في القرن التاسع عشر، كانت بريطانيا هي السلطة الحامية إلا أن الشيوخ كانوا مسئولين عن القيام على الحكومة الداخلية. كانت هذه القبائل تستمد أهميتها من كونها مجرد المياه الخلفية للهند، لكن هذا قد تغير بعد أن تحولت إلى دول صغيرة ذات أهمية تتمتع بحدود مبهمة وجيرانٍ شرسة وثروة نفطية.

وعلى ذلك كان التخلي عن الرابط الهندي من منظور بريطاني له تداعيات على المدى القريب وأخرى على المدى البعيد، بعضها تم استيعابه، وأخرى لم تُفهم بعد. هناك جانب يبدو أن الحكومة البريطانية لا زالت معنية به، لا زال لهذه العلاقة البريطانية الهندية طويلة المدى معنى في الوقت الحاضر. هل يمكن أن يكون هناك طريقة للحد من حتمية التمزق الدستوري؟ أكدت رابطة الكومنولث على استمرار العلاقات المهمة بين الدول بعيداً عن العلاقات الدبلوماسية العادية، إلا أن المشكلة تكمن في أن النعت الذي لا يزال يتصدرها غالباً هي أنها "بريطانية". لا يبدو هذا معقولاً كمصطلح، على الأقل سابقاً، حينما كان الدومينيون البيض غير سعيدين به. لم تكن شبه القارة الهندية نوعاً ما مسكونة بالبريطانيين. يبدو أن أي شكل من أشكال الولاء لمستعمرةِ التاج كان يلقي بظلال الشك حول استقلاليته (كانت هذه وجهة نظر شائعة في دولة أيرلندا الحرة وهي ما أدت إلى إعلانها جمهورية عام 1949 وانفصالها عن رابطة الكومونولث). لم يكن رئيس الوزراء الهندي نهرو يريد أن يكون للهند أي علاقة، باعتبارها بريطانية على التحديد، برابطة الكومنولث، إلا أنه غير رأيه، وبإعلان الهند جمهوريةً عام 1950، صدر مرسوم بذلك. تم الاعتراف بملكة بريطانيا كرئيسٍ للكومنولث، إلا أن أياً من الدول الأعضاء لم تكن مضطرة لقبول الملكة رئيسٍ لها إلا عن رغبةٍ منها. لا أحد يعرف بالضبط ما ستكون عليه هذه الرابطة أو ما ستقوم به. واتساع هذه الرابطة لتكون أكبر من مجرد نادي بريطاني يشير إلى أنه حتى عند الانفصال هناك شيء جدير بالاهتمام سوف يتم الحفاظ عليه وتطويره بين الشرق والغرب (أو فيما بعد الشمال والجنوب). كان هناك وعي حاد بالسابقة التي يجري

الإعداد لها. لا يمكن أن يكون الكومنولث كعنصرٍ من عناصر البنية الاجتماعية، أكثر من كونه نواة متواجدة ما لم تشعر الدول عند حصولها على استقلالها، بالراحة تجاه بادرة اللحاق بها. مع ذلك كانت عضوية الكومنولث، على الرغم من أنها كانت تؤرق البريطانيين، أمراً ثانوياً لتحويل السلطة، إنما كانت القضية الرئيسية هي طبيعة الهند التي ستؤول إليها السلطة. كانت نوعاً من الوحدة المتزعزعة التي يجري الحفاظ عليها في مواجهة الحكم البريطاني، مع اختفائها من المشهد، فإن ما يهم هي تلك البنى الناشئة.

## الهند وباكستان: التركيب والتفكيك

لقد قامت بريطانيا بتوحيد الهند بوسائلٍ متعددة وجعلها دولةً موحدةً تتسم بالتعقيدِ الشديد. لقد تعلمت درساً كبيراً في التاريخ الدستوري لفهم طبيعة الحكومة في الهند ذات المستويات المتعددة. كان من الواضح أن دولة الهند المستقلة لا يمكن أن تعبر عن أمة هندية تتسم بوحدة الثقافة واللغة على نحو ما كان يتوقعه الأوروبيون غالباً. كانت الهند على أرض الواقع خليطاً غير منسجم تشبه كثيراً في ذلك أوروبا (التي كانت باستثناء روسيا مساويةً لها في الحجم). كان لا بد من إيجاد اتحاد هندي يقام على أساس مجموعة من المبادئ والتصورات التي تسعى إلى إزالة الهويات القائمة وتجاوزها، ويمكن إيجاز هذا كله بالحديث عن دولةٍ علمانيةٍ حيث المساواة بين الجميع بصرف النظر عن الدين واللغة والثقافة والطبقة. يعتمد حكم دولةٍ على النحو الذي عليه الهند بدون شك على الفئة القليلة نسبياً من الشعب التي يمكنها التحدث بالإنجليزية على أساس هندي خالص ولكن في نفس الوقت يمكنها أن تتحدث اللغات المحلية المناسبة. خارج الولايات الأميرية عملت حركة المؤتمر الهندي الوطني تقريباً على هذا الأساس. وسواء ما تم الإبقاء على وحدات الراج الإدارية القائمة أو تم تعديلها وعلى افتراض أن الولايات الأميرية ستلحق بالاتحاد عن طريق التحايل أو الإجبار إن دعت الضرورة إلى ذلك فإنه لا بد أن تكون الهند دولةً موحدة. سيكون من الصعب تحديد المكان حيث يجب وضع الحدود الفاصلة فيما يتعلق بالكفاءة بين الأعضاء المركزية " نيودلهي على سبيل المثال " والدول المكونة كما هو الحال في جميع الدول الفيدرالية. أُستخدمت الصلاحيات المخولة للرئيس

للتدخل في بنجاب عام 1951. قال نهرو أنه كان يجب عليه أن يوقف الشغب الصاعد الذي كان يحدث في الداخل. كان على الجيش أن يحدث التوازن فيما قد ينشأ من ضغوطات طاردة، شريطة أن ينأى بنفسه عن الانزلاق إليها. لا يمكن للهند على هذا الحال إلا أن تكون صاحبة نفوذٍ كبيرٍ في آسيا، وبالفعل في العالم. إنها الهند التي أرادها نهرو، حيث ضمت الأفكار والعقائد التي كانت "غربية" الإلهام أكثر من كونها صحيحة النسب إلى الثقافة "الهندية".

تذمر بعض النقاد في الهند من هذه النظرة "العلمانية" التي تجاهلت "روح الهند". التطلع إلى التوفيق بين جميع التقاليد يعني عمليا أن الدولة لا يمكنها أن تنضوي على النظرة العالمية لأيٍ منها. ففي الواقع وربما عن عمد سوف تقوم الدولة باستبعاد كثيرٍ مما يعبر عن الروح الهندية في الهند، بالتحديد، الحياة الدينية وما ينسحب منها على "المجال العام". قلق الكثير من مصممي البنيان العلماني للهند أن ترزح "رؤيتهم العلمانية" تحت وطأة التقاليد الدينية. وكانت الهندوسية هي صاحبة سلطة الثقافة الغالبة والادعاء بأنا تمثل "روح الهند". يقول الهندوس بأنه لا يمكن إطلاق مثل هذا عل أيٍ من التقاليد الدينية الأخرى، بالتأكيد من بينها الإسلامية أو المسيحية، التي كانت دخيلة وغير قومية. بطبيعة الحال سُلط الضوء على الإسلام. اعترف الحكم البريطاني "بالمشاعية" إلى حدٍ ما، وهو ما يمكن رؤيته على أنه إدراك حكيم للتعددية أو أنه وسيلة من الوسائل ل "فرق تسد". استطاعت العصبة الإسلامية تحت قيادة محمد علي جناح أن تستمد القوة من الخوف، بغض النظر عن كل ما قيل، بأن الأقلية المسلمة سوف يؤول مصيرها إلى التهميش وربما العقاب. أحدث العنف الطائفي المتقطع تذكرة بأن هذا لم يكن مشكلة نظرية. إضافة إلى ذلك أدرك الزعماء الدينيون المسلمون أنه حتى لو حظي المسلمون بالمعاملة المنصفة "كأقلية دينية" في جميع أنحاء الهند، إلا أنهم لن يتمكنوا يوماً من تأسيس دولة إسلامية. كان لدى أقلية دينية أخرى، من أبرزهم السيخ، شواغل مماثلة. أثارت دعوات التقسيم إلى دول منفصلة، أو الاعتراف ببعض التمايز لأولئك الذين أحجموا عن المطالبة بالانفصال الكامل إشكالياتٍ مخيفة، منها أين وكيف يمكن رسم الحدود؟ وهل

يمكن وقف دعوات الانفصال التي بدأت بالفعل؟

وفي النهاية، عام 1974، كان على قيادة المؤتمر، التي لا زالت متشككةً في أمر الدعوات الانفصالية وأنها خطة بريطانية لإضعاف كلٍ من الدولتين الخليفتين، أن تذعن لها. كان العائق، الذي أدرك منذ فترة طويلة، هو أن يتم ترسيم الحدود على أساس ديني. سوف تقوم الدولة المسلمة الناشئة على مركزين – الشرق والغرب – بينهما الهند. باكستان نفسها كانت اسماً مخترعاً، رُكب من شقين. كان من الصعب أن تفكر في حلٍ أفضل من هذا. ورث الراج الهند كما كانت "عاصمته وجيش ومؤسسات مركزية أخرى" وكان على باكستان أن تبدأ من الصفر. كانت مدينة كراتشي المرفئية المتمددة لا تقارن بمثيلتها نيودلهي ذات العظمة السلطانية المهيبة. كانت باكستان تفتقد إلى الصناعة والمال. كانت تبدو غير قابلة للحياة. كان لا يمكن صنع ولاءٍ سابقٍ، بين مجتمعات متباينة، لمنطقة مثل "باكستان". أصبح الكفاح بين المركز (وهو ما يصعب تحديده) والمقاطعات سمةً عاديةً على نحو أكثر وضوحاً وإضعافاً مما كان عليه في أفغانستان. مات جناح قائد باكستان العظيم عام 1948، ولم يكن هناك من يرث هذا الشرف، بسبب الكثير من التعقيدات. يمكن القول بأن الإسلام هو ما يمكن أن يفسر وجود باكستان، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها دولةً إسلاميةً بالمعنى العام. من البداية، كانت هناك التجاذبات، التي لم تؤثر فقط على البنية القانونية والدستور للدولة، بل أيضاً على التوجه العالمي. كانت باكستان الجديدة إضافة كبيرة "للعالم الإسلامي" الذي يمتد إلى الشرق الأوسط، لأنها أضافت تنوعها الخاص من الامتيازات إلى النموذج القائم بالفعل. علاوة على ذلك، كما هو ملاحظ، كانت الدولة على استعداد أن توضح توجهها "الغربي" وذلك بتوقيع حلف بغداد (لتلحق بإيران)، كان هذا بالتالي يعكس خوفها من الهند ورغبتها في التقرب إلى حد ما للغرب.

وعلى خلاف ذلك، كانت الهند تمثل بوضوحٍ أكثر الوحدة بالمعنى الجغرافي. ومع ذلك بعيداً عن قضية المسلمين، كانت لديها توترات حول مسائل لغوية مثل استمرار استخدام اللغة الإنجليزية، ووضع اللغة الهندية، وإلى أي مدى ينبغي إعادة هيكلة الدول

القائمة على النظم الفيدرالية وفق معايير لغوية. على الرغم من إلحاق الولايات الأميرية بالاتحاد دون صعوبة تذكر – إلا في حالة حيدر آباد حيث تطلب الأمر استدعاء الجيش – إلا أن بعض السيخ وبعضاً من الشعب التاميلي مارسوا ضغوطاً للحصول على وضع مميز. لم تختفي هذه الآمال وآمال أخرى إلا أنه كان على الغالب يتم احتوائها. من ناحية أخرى لم يمحوا التدرب على مبادئ الهند الجديدة النظام الطبقي بين عشية وضحاها (الذي تم إلغاؤه في دستور عام 1950 الذي حول الهند إلى جمهورية). وبرغم من مثل هذه القضايا الدائمة، عمل نهرو الذي تزايدت ثقته بنفسه على ترسيخ "العلمانية" وتقوية أواصر الوحدة، كان هذا جهداً شخصياً. على سبيل المثال في يناير عام 1952 ألزم نهرو نفسه بعمل جولة حول البلاد تستغرق شهرين ونصف دون انقطاع يخاطب فيها ما يقرب من 35 مليون شخص. لم يختفي التوتر الديني والمجتمعي لكن ربما على سبيل المفارقة كان لاغتيال غاندي عام 1948 أثره البالغ على تقوية موقفه. بالطبع حزن نهرو مثله في ذلك مثل الملايين الكثيرة من الهنود لموت "أبي الأمة"، لكن في الواقع كانت الأمة التي كان غاندي يوجهها، بعد أن ولدت، تلك التي أرادها نهرو. بالطبع من وجهة نظره الانتقائية كان غاندي يجاهد من أجل إيجاد انسجام بين الأديان وآمن بتجذر الفهم الديني للحياة، في الوقت الذي لم يقنع نهرو بذلك.

وجد رئيس الوزراء أنه من المهم جداً التأكيد على حق الملايين من المسلمين بأن يعيشوا في الهند كمواطنين وعدم منعهم من أداء دورهم بالكامل، وكذلك الأمر بالنسبة للمسيحيين وأي معتنق لأي دينٍ آخر. لسنا في حاجة لأن نقول أن إطلاق مثل هذه التصريحات كان أمراً سهلاً، إلا أنه لا يتوافق دائماً مع الوضع الناشئ. وكان إخلاء الهند تماماً من المسلمين يُعد بالطبع أمراً مستحيلاً. ومع ذلك في عام 1947 فور التأكيد على الحدود، اجتاحت البلاد موجة عارمة من الثورات. رحل الكثير من الأسر والجماعات – حوالي سبعة ملايين من المسلمين وخمسة ملايين ونصف من السيخ والهندوس – في الاتجاه المعاكس للهروب من الدمج في واحدة أو أكثر من الولايات الخلف. كانت هذه على الأرجح أكبر أزمة للاجئين في القرن العشرين، وربما فقد مليون من البشر حياتهم. تفرقت

الأسر وتم اجتثاث الكثير من الجماعات من جذورها. انقسمت بنجاب القديمة، على سبيل المثال، إلى قسمين. تتابعت الاتهامات والاتهامات المضادة مع الاستخدام الوافر للقوالب الجاهزة لتفسير السلوك (تارة العنف الإسلامي وتارة الخيانة الهندوسية). كانت الأعداد الضخمة من أولئك الذين اُقتلعوا من جذورهم يُمجدون أثناء ترحيلهم باعتبارهم أبطال لكن في نفس الوقت كان يُنظر إليهم باعتبارهم دخلاء يعيشون في وطن جديد وبالتالي يهُمشون. ربما كان نقل السلطة من بريطانيا إلى سكان شبه القارة سلمياً إلا أن التداعيات لم تكن كذلك. كانت هناك مشاحنات مريرة حول كيفية توزيع الحصص من الأصول المالية للراج ومسائل أخرى ميراثية مثيرة للنزاع. لم يكن نقل هذا العدد الضخم من السكان مُخططاً له أو متوقعاً من أيٍ من الحكومتين. بالفعل كان الحضور المتوقع والمستمر للهندوس في باكستان والمسلمين في الهند يُرى في بعض الأحياء كضمانٍ "للسلوك الجيد" في الدول الخلف.

لو كان "التقسيم" يمكنه أن يسوي كل شيء من مجرد موجةٍ ثوريةٍ واحدة، لكان من الممكن أن تُداوى جراح المعاناة تدريجياً، إلا أن هذا لم يحدث. كانتا مدينتي جاما وكاشمير ولايتين أميرتين تضمان عدداً كبيراً من السكان المسلمين، يحكمهم مهراجا هندوسي، استطاع أن يضمهما إلى الهند. وهو ما أثار غضب باكستان فأرسلت جيشين يقوم عليهما ضابطين صديقين للحرب. وفي يناير عام 1949 تم التوصل من خلال الأمم المتحدة إلى اتفاق يقضي بوقف إطلاق النار. استعادت الهند ثلثي الأرض. نظرياً تم التوصل إلى اتفاق على استفتاءٍ عام يعكس إرادة السكان لكن يبدو أن الهند لم تكن على عجلٍ في إجراءه. كانت هناك أسباب إستراتيجية – من بينها مياه نهر السند – إلا أن القلق من تصويت السكان المسلمين للانضمام إلى باكستان قد يفضي إلى تقويض الزعم بأن "العلمانية" حافظت على حقوقهم. زادت "كشمير" الجرح وأعطت بادرة بأن اعتبرت كلٌ من الدولتين الأخرى بمثابة عدوها الأول. شعرت باكستان التي كانت تدرك تماماً معارضة الهند لوجودها من الأساس أنها الأكثر ضعفاً. كانت كلتا الدولتين العضويتين الجديدتين في رابطة الكومنولث نادراً ما يعززان من آمال التوافق بينهما. لم تتمكن بريطانيا "السلطة

الإمبريالية الراحلة مؤخراً" ولا جميع دول الكومنولث من أن يكون لهم فاعلية في التسكين من حدة الاضطرابات أو حل النزاعات. كانت كلتا الدولتان تطلبان الدعم من خارج المنطقة. أنشأ حلف مانيلا (1954) منظمة حلف جنوب وشرق آسيا التي تضم ثلاثة من أصل ثمانية أعضاء آسيويين. وكانت باكستان من بين الأعضاء التي كانت بالكاد في جنوب شرق آسيا ولكن أكثر ما يهم هو انحيازها للولايات المتحدة. ومن جانبها تطلعت الهند إلى الاتحاد السوفيتي لتوفير الدعم المعنوي وذلك بتقديم أكاليل الزهور إلى قائدي الاتحاد السوفيتي "خروتشوف وبولكانين" الذين أربكهما الموقف في زيارتهما الرسمية لنيو دلهي عام 1955. ولذلك أخذ هذا النزاع كلتا الدولتين إلى طرقٍ مختلفة تماماً في عالم ما وراء آسيا.

## عالم نهرو: بين كمبريدج ودلهي

كان لدى نهرو مشاكل محلية ملحة، لكنه كان يتطلع إلى أن يحتل مكانه على المسرح العالمي. منحته تجاربه الثقة في عرض نفسه تحت الأضواء. منذ عام 1928 عندما ترأس قسم الخارجية المؤسس حديثاً التابع لحزب المؤتمر، كانت مطالبة الهند بالحرية تُرى على أنها جانباً من جوانب الكفاح العالمي ضد الاستعمار. على سبيل المثال في هذا العام أرسل المؤتمر "تحياتٍ أخوية" إلى شعوب مصر وفلسطين وسوريا والعراق حينما كانوا يطالبون بالتحرر من قبضة الإمبريالية الغربية. وعلى وشك الانتهاء من قضية الاستقلال في عام 1947 كان هناك جدول أعمال متراكم. أُقيم مؤتمر حول "العلاقات الآسيوية" في نيو دلهي، حضره مبعوثون من 28 دولة، ليكرر الأفكار المعادية للإمبريالية لكن لم يترك أي علامة على استعداد الهند لقيادة آسيا. في نوفمبر عام 1948 أخبر نهرو الجمعية العامة للأمم المتحدة ما نصه "نحن في آسيا" نؤمن أنه لا ينبغي لأي دولة أن تظل تحت عبودية الحكم الاستعماري.

في ذلك الوقت كانت العبودية قد رُفعت في أماكن أخرى في جنوب آسيا. نالت سيلان (وهي ما سميت فيها بعد سريلانكا)، التي التحقت برابطة الكومنولث، استقلالها عام 1947. ونالت أيضاً بورما (وهي التي لم تلتحق بالكومنولث) استقلالها في العام

التالي. ويمكن القول بأن كلتا الدولتين، وهما بوذيتين بالأساس، تقعان داخل فلك جارتهما الكبرى، إلا أن الأولى كانت تُدار منذ عام 1815 كمستعمرةٍ بريطانيةٍ منفصلة. في حين أن الأخيرة، التي كانت تُحكم في البداية كمقاطعة تابعة للهند البريطانية، انفصلت عن الهند عام 1937. كانت لدى هذه الدول أيضاً إشكاليات في تأسيس وحدة تقوم على أساس قومي. ففي بورما، أُثير غضب الكثير من الكارينيين. وفي سيلان كانت العلاقة بين التاميليين والسنهاليين علاقة تشاكس. لم يكن التاميليون في الجزيرة من بين هؤلاء الذين وصلوا حديثاً من جنوب الهند، إلا أن التاميليين في الهند كانوا غير مبالين بمصيرهم.

قد يكون هذا إحساس عام أجاد نهرو في التعبير عنه عالمياً حينما قال "نحن في آسيا" نعتقد، لكن جيرانه الثلاثة المباشرين لم يرو فيه "صوت آسيا الجنوبية". صاغت نيودلهي على نحو زائف التركيبة الهندية تحديداً، راسمةً صورة للعالم أبداها نهرو في قوله: تقدمياً ومحباً للسلام وغيرمنحاز عالمياً بمعنى عام أنه شعب اشتراكي. بالإضافة إلى ذلك، ظل نهرو ملتزماً بحكومة نيابية والحفاظ على الهند كدولةٍ ديمقراطية. حصل حزب المؤتمر على نسبة 64 بالمائة من التصويت في أول انتخابات عامة تعطي حق التصويت للبالغين في عام 1952 وحصل على 74 بالمائة من المقاعد، وكانت نسبة المشاركة 47 بالمائة. كان اعتلاء عرش الانتخابات أمراً صعباً، إلا أن نهرو اعتبرها تجربة هامة للشعب الهندي. علاوة على ذلك لا أحد كان يعرف ما إذا كانت دولة كبيرة بتعداد سكاني ضخم وتواجه مشكلاتٍ اقتصاديةً واجتماعيةً ضخمة قادرة على وضع قدمها على طريق الديمقراطية. ربما من المفارقة أن أسلوب نهرو الشخصي وسلطته قد توحي بأنه مندوب ملكي. لا أحد يعرف بالضبط ما إذا كان المؤتمر حزباً وما سيكون عليه برنامجه بالتحديد. كان رئيس الوزراء يعتقد أن الهند الجديدة التي لم توجد أبداً يجب أن تصنع نموذجاً عالمياً من خلال رفض أي عرض بالانحياز لأيٍ من جانبي العالم. ينبغي عليها أن تتوسط مكانةً يُعترف بها تتسم بالتجرد. عندما جاءت الحرب الكورية على سبيل المثال عملت الدبلوماسية الهندية بجدٍ على إنهاء العداوة. إلا أن التجرد لم يكن الصفة التي يتسم بها السلوك الدولي للدول الكبرى. كانت الهند دولةً كبرى. إلا أن في العصر الجديد الذي كان في طور النشوء وتحقق

بالفعل جزئياً لم تكن الهند سوى صوت في آسيا. كان يجب مقارنتها بالصين. على حدٍ سواء، لم تكن الهند شريكاً بالمعنى الذي كانت عليه الصين في الأزمات المتتالية في شمال شرق وجنوب شرق آسيا. لذلك عندما تطلب الأمر تسوية مسألة الهند الصينية، لم تكن الهند على طاولة المؤتمر في جنيف عام 1954 (على الرغم من أن وزير خارجية الهند، كريشنا مينون، أعرب عن رغبته في التحدث إلى أي من الأطراف يريد التحدث إليه). كانت إشارة رمزية أن يختار تشو أن لاي دلهي للنزول إليها في إعداد تقريره عن المؤتمر. وبالتالي أخبر نهرو زملاءه بتعبيرات متفائلة عن العلاقات بين الهند والصين. بدأت القوات الصينية في التحرك تجاه تبت في عام 1950، لم يبدو نهرو معنياً على نحوٍ كبير. وبالفعل في 1954 توصل البلدان إلى اتفاقية حول تبت، تنازلت الهند بمقتضاها عن أي سلطة ورثتها هناك. وتبادل الطرفان الزيارة، تشو أن لاي إلى دلهي مرة أخرى ونهرو إلى بكين. وانتقل البلدان إلى مجالاتٍ أوسع، حيث اتفقا على "مبادئ خمسه" وهم: الاحترام المتبادل بين الطرفين للأرض وللسيادة، وعدم اعتداء أي طرفٍ على الآخر، وعدم التدخل لأي طرفٍ في الشئون الداخلية للطرف الآخر، والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمي. وعلى ذلك تم ضبط المسار الآسيوي على أساس عادل.

# 8

# شرق آسيا

## الصين: في طريقها للنهوض

لقد كان تشو أن لاي (المولود في عام 1889) رجلاً خبر الحياة لمدة طويلة عندما كان رئيس وزراء الصين الجديدة ووزير خارجيتها عام 1949. جاء تشو أن لاي إلى فرنسا عام 1920 في جولة كان من المفترض أن تجمع بين الدراسة والعمل. ولإيمانه بالأفكار الماركسية، عمل خلال الأربع سنين اللاحقة له على تنظيمِ مجموعاتٍ من الطلابِ والعمال الصينيين في فرنسا وألمانيا للتدريب على العمل الثوري، بل وعبر ببعضهم إلى الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي كان هناك شاب صيني آخر ناشط على نحوٍ مماثلٍ هو دنغ شياوبنغ. وفور عودته إلى الصين وجد تشو نفسه قائداً للمنعطفات والتقلبات التي شهدتها العلاقةُ بين الكومينتاغ والحزب الشيوعي في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين. إنها الشيوعية "على الوجه الذي تريده الشيوعية الأممية" هي ما وفرت له سبيل الرشاد في مستهل حياته. وفر تشو الدعم لماوتسي تونغ حتى نال قيادة الحزب في أواسط الثلاثينيات من القرن العشرين على الرغم من أنه لم يتلقى تدريباً كافياً. وبعد عام 1937 حتى نهاية الحرب كان كثيراً ما يتواجد تشو في تشونغتشينغ حيث يقوم بدورٍ جوهريٍ في إدارة العلاقات بين الحزب الشيوعي والحكومة التابعة للحزب القومي. وفي نهاية الحرب

أيضاً كان أحد الشخصيات الرئيسية في المحادثات التي علق عليها الأمريكيون آمالهم في التوصل إلى حلٍ عبر المفاوضات يوقف الحرب الأهلية. كما قام أيضاً العميد جورج مارشال في عام 1946 بجهدٍ وافرٍ في العمل على نفس الهدف ولكن دون جدوى. كما قام أيضاً ستالين بمد يد المساعدة للتوصل إلى معاهدة صداقة وتحالف مع شيانغ كاي شيك والتي جلبت عليه تنازلاتٍ عن بعض الأراضي. في عام 1947 بدى أن النصر سيكون حليف الحزب القومي لما له من تفوقٍ واضحٍ في العدد والعدة، إلا أن الضعف الناتج عن الفساد والارتداد المذهبي وفقدان الروح المعنوية قاد الحزب القومي إلى الفشل بجدارة. أخذ شيانغ حكومته والكثير من جيشه بالقدر الذي يستطيع أن يديره إلى جزيرة فورموزا/ تايوان (التي أعادتها اليابان للصين عام 1945)، ولا زال يشغل مقعد الصين في مجلس الأمن بفضل الدعم الذي يحظى به من الولايات المتحدة.

من فوق المنصة التي تشرف على ساحة تيانانمن في وسط بكين في الأول من أكتوبر عام 1949 أعلن ماو تسي تونغ عن جمهورية الصين الشعبية الجديدة ونصب نفسه حاكماً لها بالإضافة إلى رئاسته للحزب الشيوعي. تم تدشين الديمقراطية الجديدة بعد عقدٍ من حربٍ متقطعةٍ وفي ظل ارتفاع معدل التضخم، لذلك كان هناك الكثير الذي يتعين فعله وكانت الرسالة هو أن الصين نهضت، وهي كلمة تعبوية قوية تعود إلى الحزب القومي، فما كان من هؤلاء الذين لم يتمنوا يوماً أن يسمعوها من أفواه الشيوعيين إلا أنهم فروا إلى تايوان أو هونج كونج التي لا زالت مستعمرة بريطانية أو حتى إلى أبعد من ذلك بكثير. أين تقف الصين في هذا العالم؟ لم يكن ماو أبداً رجلاً كثير الترحال ولم يكن ينوي أن يغير من نفسه، فبعد رفضٍ تام اقتنع بزيارة موسكو، فقد كان يؤمن بمركزية الحضارة الصينية (Sinocentric). لم يعد للحماية الأمريكية التي عرضتها الولايات المتحدة على الصين أي وجود، حيث سيقف الشعب الصيني على قدمه (بإدراكه لتنوعه والذي يدل عليه رمزياً على الأقل النجوم الموجودة على العلم الجديد للدولة)، وسوف يستنزف ذلك وقتاً طويلاً ويستلزم عملية تغيير مستمرة. يجب تصنيف عملية إصلاح الأراضي التي بموجبها تم توزيع على الأقل 200 مليون فدان على ما يقرب من 75 مليون أسرة من المزارعين كأحدِ

أكبرِ عمليات مصادرة الأراضي. لم يكن للصين أن تستنسخ هياكل حكومتها عشوائياً من أي منظومةٍ أخرى، إذ كانت بحاجة إلى إحكام السيطرة حتى تتجنب ما حدث في الماضي من تفتت آل إلى الوهن. كان من الصعب فهم الرسائل. فهل كانت الرقابة الطفيفة على المؤسسات التجارية محض خطةٍ أوليةٍ. قيل الكثير عن الحرية لكن لم يمر وقت طويل حتى اكتشف الانحراف غير المقبول عنها. لم تكن المكونات الدقيقة للمعمار الأيديولوجي الدالة على صحة المذهب واضحة بحيث يسهل التحاكم إليها. يمكن القول الآن بأن الصين في طريقها للنهوض لكن بنيانها الأمني متهاود، هل كان يمكن للصين أن تصمد وحدها؟ فبعد تسعةِ شهورٍ من إعلان الجمهورية الجديدة، اندلعت الحرب في شبه الجزيرة الكورية.

## كوريا: مشكلة شبه الجزيرة - المختبر العالمي

لم تلقى كوريا كثير اهتمامٍ على مدار عقودٍ من الزمن، حتى جاء مؤتمر القاهرة الذي عُقد في عام 1943 وقرر أنه عقب هزيمة اليابان يجب أن تنال كوريا استقلالها. ومع ذلك الحسم الذي اتسم به القرار، إلا أن الأمر لم يكن كذلك. فقد تم تقسيم شبه الجزيرة إلى قسمين على امتداد خط عرض 38 حيث يحكم الاتحاد السوفيتي الشمال وتحكم الولايات المتحدة الجنوب، على الرغم من أن أحد مهام الأمم المتحدة هو الحفاظ على وحدة الدول. استجابة لرغبة أمريكا، تم تعيين لجنة تابعة للأمم المتحدة. وسعياً إلى تحقيق ما نوته من إجراء انتخابات لهذا الغرض، لم يسمح للجنة بالدخول إلى الشمال. أسفرت الانتخابات عن فوز حكومة يرأسها ري سنغ مان أعلنت لنفسها السلطة على شبه الجزيرة بأكملها. على الجانب الآخر، كانت هناك الحكومة المنافسة بقيادة كيم إل سونغ في بيونغيانغ يدعمها الاتحاد السوفيتي. عاد كيم إل سونغ إلى وطنه بعد فترة قضاها في منشوريا كمتحدث يجيد لغة الماندراين الصينية وأيضا كقائدٍ في الجيش برتبة رائد في الجيش الأحمر، وفوق كل ذلك ينحدر من أسرة ذات مرجعية مسيحية بروتستانتية. أعدت كوريا الشمالية نفسها لقائدٍ عظيم. عندما عاد ري سنغ مان ذو السبعين عاماً إلى كوريا الجنوبية عام 1945 بعد فترة ثلاثين عاماً قضاها على الأغلب في الولايات المتحدة. اعتنق ري الميثودية وحصل على

درجة الدكتوراه من جامعة برنستون وتزوج من زوجة نمساوية. ومما يثير الدهشة أنه كان هناك نوعاً ما من الانتقائية بعض الشيء أثارت جدلاً حول المسار الديمقراطي للسياسة في كوريا الجنوبية.

سحب كلٌ من الاتحاد السوفيتي وأمريكا قواتهما في عام 1949 مخلفين ورائهم حرباً كلاميةً بين الحكومتين. وفي الخامس والعشرين من يونيو عبرت قوات كوريا الشمالية الحدود إلى كوريا الجنوبية وفي اليوم التالي أحكمت سيطرتها على العاصمة الجنوبية سول، كان هذا عملاً يختبر ما المقصود فعلاً بالعالم. فعلى صعيد يُعد هذا كفاحاً مسلحاً بين فصيلين متنازعين حول حكم دولة لم يكن لها وجود منذ عام 1910 (اتفق الطرفان على أنه ينبغي أن يكون هناك دولة). وهذا لا يعني بالضرورة حرباً عالميةً أخرى أو حتى سبباً للتدخل الخارجي. وعلى صعيدٍ آخر فإن أي نجاح لطرف على الآخر لا يُعد إلا نصراً لمن يؤيده. ويمكن القول (وهو ما يبدو على هذا النحو) بأن الهجوم الشمالي لم يكن ليحدث إلا بدعم سوفيتي. ويمكن تفسير هذا الدعم السوفيتي بأنه قائم على أساس أن تضرب أولاً ثم تحبط إمكانية أي هجوم جنوبي، وأيضاً على افتراض أن واشنطن سوف تقبل بالأمر الواقع، إلا أن وزير الخارجية الأمريكي دين جودرهام آتشيسون كان قد قام باستبعاد كوريا من المحيط الدفاعي الذي أنشأته الإدارة الأمريكية. وفي نفس الوقت ما لم يكن هناك تدخل خارجي فسوف يذعن الجنوب بكل سهولة، غير أن التدخل الأمريكي المباشر قد يوجد أزمة، فسوف يشير ذلك بوضوح إلا ضعف الأمم المتحدة، ذلك المولود الجديد، عن القيام بمهامه. والقضية الآن ما إذا كانت الأمم المتحدة قادرة على أن تجبر الشمال على الانسحاب أو في حالة فشلها في ذلك أن تساعد الجنوب. وبما أن الحل الأول فشل فقد صدر قرار عن مجلس الأمن بتفعيل الحل الآخر. وبالفعل تمكنت القوات التابعة للأمم المتحدة بقيادة الجنرال الأمريكي دوغلاس ماكارثر بتحويل مسار المعركة. عبرت كوريا الجنوبية وقوات أخرى خط العرض 38 في أكتوبر وتقدمت حتى الحدود الصينية. لذلك يمكن رؤية هذه المرحلة بأنها إقرار "للنظام العالمي" بوجود حالة "التضافرالعالمي "يمكن إحباط أي "عدوان". في الحقيقة كان هذا التضامن العالمي ممكنا بالفعل بسبب

امتناع الاتحاد السوفيتي عن التواجد أثناء التصويت على القرارات المتعلقة بهذا الشأن في مجلس الأمن. لم يكن لدى جمهورية كوريا الشعبية مكاناً في الأمم المتحدة. كان هذا بعيداً عن كونه مثالاً عملياً على تلقين المذنب المنعزل درساً، خصوصاً فيما يتعلق بالدول التي ساهمت بقواتها. وسرعان ما بدا واضحاً بأن المذنب لن يبقى وحيداً. بل بدا وكأن الجنرال ماكارثر متجهاً بقواته صوب نهر يالو على الحدود الصينية. ويمكن أن يمثل هذا تحقيق الوحدة الكورية، لكن هذه المرة تحت رعاية الجنوب. ونتج عن ذلك أيضاً تدخل صيني مباغت، حيث أعاد هذا إلى الذاكرة الهجوم الذي شنته اليابان على منشوريا من ناحية كوريا عام 1931. كان بإمكان الأمريكيين – أو اليابانيين الجدد – فعل الشيء نفسه، ومما عزز هذا الارتباط العاطفي الموقف الأمريكي في اليابان – وهو ما سوف نناقشه بعد قليل. وماكارثر هو أيضاً الشخص الذي قام بزيارة ودية إلى تايوان عقب اندلاع الحرب، فاجتمعت بذلك كل الأسباب لتعزيز هذا الخوف. فقد كان النظام الجديد في الصين محاطاً بالأخطار، لذلك أقدم على توجيه ضربة استباقية. الحفاظ على تماسك الدولة شغل بال ماو عن أن يتعاون مع نظيره الكوري كيم إل سونغ. زادت حدة المخاطر عندما توجهت قوات صينية متطوعة ناحية الجنوب. في مطلع عام 1951 استطاع هجوم عدواني للصين إحكام قبضته على سول، لكن سرعان ما زال. لم تفلح أي وساطة في وقف إطلاق النار. ففي برقية من ماكارثر إلى مجلس الشيوخ الأمريكي طالب فيها ماكارثر بتوجيه ضربة مباشرة إلى الصين واستبعاد التسوية القائمة على العودة إلى حدود خط عرض 38. واستمر القتال بين مدٍ وجزر. وكان ماكارثر يلوح باستمرار إلى رغبته باستخدام القنبلة الذرية إن تطلب الأمر ذلك، لكن في الحادي عشر من إبريل عام 1951 أقاله الرئيس الأمريكي ترومان. عبر مسار مطول جاءت النهاية في يوليو عام 1953 عندما تم التوقيع على اتفاق هدنة تقوم على أساس التقسيم السابق لكوريا. لم يكن الأمر عادياً بالمرة، فإن هذه المجازفة ل كيم إل سونغ قد أودت بحياة أربعة ملايين من البشر من بينهم ابن Mao Zedong نفسه.

وبعد ثلاث سنين من الحرب المتقطعة لم يظهر في الأفق إلا حل العودة بكل بساطة

إلى الوضع السابق في آسيا عام 1950. إلا أن الحرب قد أرست بكل وضوح مبررات قوية للشكوك المتبادلة التي تضمرها جميع الدول من صغيرها إلى كبيرها. ولا زالت ماهية تصور "العوالم الأخرى" عن "شرق آسيا" وكيف وصلت إليهم مبهمة. بالتأكيد فرضت الصين نفسها إلا أن الدور الذي لعبه جنودها في كوريا لا يعد دليلاً على إمكانية الدفاع عن نفسها ضد جميع اللاعبين. يشير ذلك أيضاً إلى ضرورة التوجه، على الأقل في المستقبل القريب، إلى تقوية العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وتحديث الجيش على الحدود السوفيتية. لم يكن للحظر للتجاري الذي فرض على الصين إلا النتيجة المتوقعة سلفاً وهي الزيادة بشكل ملحوظ في نسبة التجارة مع الدول الشيوعية – وهو مما عزز من مفهوم "الكتلة". أضافت مثل هذه النزعات زخماً إلى الصورة الخارجية، القائمة بشكل ملحوظ لدى الولايات المتحدة، بأن هناك رابطة صينية سوفيتية قوية. وإذا كان هناك بارقة أمل، في الستة شهور الأولى بعد 1 أكتوبر عام 1949، بأن الصين الجديدة والولايات المتحدة قد يتلمسا طريقهما في الظلام نحو علاقة عمل مقبولة، إلا أن الحرب الكورية قد وضعت حداً لها. من واشنطن كان نظام بكين يقدم على أنه ما هو إلا حكومة روسية كولونيالية. لم يكن ماو نفسه يقبل هذه الفكرة، فميله إلى التوجه السوفيتي لا يستدعي استنساخ جميع مناهجه. وزيارته إلى موسكو عام 1949 تؤسس لفكرة أن الاتحاد السوفيتي أو على الأقل ستالين شخصياً يمثل النموذج الأسمى في "العالم الشيوعي". وعندما مات ستالين في عام 1953 لم يضفي ماو نفس الهالة على خلفائه – كما يمكن أن يتضح ذلك في زيارة خروتشوف للصين عام 1953. وعلى الرغم من ذلك فإن تصور محور بكين/ موسكو قد ترسخ لدى الأمريكيين. ورداً على ذلك فإن الولايات المتحدة تؤكد على أمن النظام التايواني وإن كانت غير عابئة بالجزر الأخرى الصغيرة التي تقع على سواحل تايوان.

## جنوب شرق آسيا: انحرافات وانقسامات وحلول من الخارج

كان لتأسيس الجمهورية الشعبية انعكاسه على جنوب الصين. فبعد شهورٍ قليلةٍ من التخلي عن محاولة التكيف مع هو تشى أخذت الاستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في الهند الصينية اتجاهاً آخر، فبدلاً من ذلك تم التوصل إلى اتفاقية مع إمبراطور أنام (وهو الاسم

السابق لفيتنام قبل عام 1945)، باو داي، نتج عنها إيجاد دولة جديدة" فيتنام" مع تنصيبه حاكماً لها، وأعلن عنها كإقليم غير مدمج داخل الاتحاد الفرنسي في نهاية عام 1949. الوضع نفسه تم الاتفاق عليه بين لاوس وكمبوديا. لم يكن بمقدور فرنسا أن تذعن للاستقلال التام. ومن جهته لم يكن هو تشي يميل إلى التسوية. لكن وجود الصين الشيوعية غير السياق، فبدأت هجمات فيت مين، وبدأ الكفاح المسلح المطول إلا أنه رغم ذلك متذبذب. من وجهة النظر الفرنسية كان الوضع معقداً بسبب التنافسات -الشخصية والعرقية والثقافية والدينية -التي زادت في الدول الثلاث. كل هذا ساعد على اكتشاف إلى أي مدى كانت "الهند الصينية الفرنسية" خيالاً سياسياً. تزايدت الخسائر الفرنسية لكن لم يكن لفرنسا أن تستسلم على الأقل بسبب الرسالة التي تريد أن توجهها إلى أماكن أخرى، خصوصاً الجزائر. على الرغم من ذلك رأت الحكومة الجديدة في باريس في يونيو عام 1954 أن لا بديل عن طلب التسوية، فقبل هذا التاريخ بشهر، منيت حامية عسكرية فرنسية بهزيمة مخزية (قدمت الولايات المتحدة مساعدات سرية لفرنسا). تطلعت فرنسا إلى الدعم الأمريكي للتوصل إلى تسوية عبر المفاوضات. نادى البعض في واشنطن بالتدخل إلا أنها خلصت في النهاية إلى أن هذا قد يؤدي إلى تدخل الصين وبالتالي ربما إلى حرب عامة في آسيا. كان الوقت مناسباً لمحاولة تسوية مسائل الخلافة المتعلقة بشمال وجنوب شرق آسيا على التوالي، حيث بدأ بالفعل مؤتمر في أبريل في جنيف حول الشأن الكوري. وفي هذا الحدث، أُحرز تقدم محدود حول القضية الكورية وتحدد مستقبل الهند الصينية والذي كان من المفترض أنه قد تم تسويته. نظرة عابرة إلى هذا المؤتمر توضح الطريقة التي سوف يتعامل بها العالم مع آسيا، ففرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة يمثلون "الغرب"، وهناك كذلك الاتحاد السوفيتي الذي يقع جزء منه في آسيا وآسيا التي تمثلها جمهورية الصين الشعبية والكيانان الفيتناميان. لم يقبل وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس أيادي تشو انلاي الممتدة، فلم يجلس الرجلان حتى في غرفة واحدة. لم تعترف كل من الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية ببعضهما البعض دبلوماسياً (على عكس المملكة المتحدة التي فعلت ذلك مع جمهورية الصين الشعبية)، فكان الدور الذي استطاع وزير الخارجية البريطاني لعبه ذو مغزى. حيث أوضح إدين قبل المؤتمر أن

بريطانيا ستتوقف عن المساعدات العسكرية في الهند الصينية. في الواقع لم يكن لدى بريطانيا القدرة على المساعدات العسكرية، فخلال هذه الفترة كانت قواتها متورطة في مالايا في التعاون مع العصيان المسلح الذي شنه الحزب الشيوعي الماليزي المُهيمن عليه من قبل الصين. كان الفارق هو أنه بحلول عام 1954 كان هناك اجماع على نجاح الحملة المضادة للعصيان المسلح (على الرغم من استمرار حالة الطوارئ ست سنينٍ أخرى). شعر البريطانيون ببعض الرضا أنه( على خلاف فرنسا) عندما يتوجب الرحيل عن مالايا فإن هذا سوف يحدث بشكل منظم. وفي أول ظهور للعالم بشكل مربك، شعر تشو بأن الغرب لم يعد ذلك البنيان القوي على النحو الذي من المفترض أن يكون عليه. لم يكن لموقف الاتحاد السوفيتي وقع مربك على الصين، بل ولم تسعى موسكو إلى دعم موقفها بقوة. هذا الصراع وضع الولايات المتحدة في مأزق، فعلى الرغم من عدم تغير رأيها نظرياً عن الكولونيالية الأوروبية وأنها يجب أن تنتهي إلا أنه إذا أدى الانسحاب الفرنسي إلى فتح الطريق أمام التوغل الشيوعي، فسوف يكون هذا الأمر أيضاً غير مستساغ. محيرة هي، ولكنها جذابة، فكرة القومية القائمة على "الديمقراطية". في حالة حدوث تدخل أمريكي مباشر في هذه الظروف فإن هذا قد يأتي بنتيجة عكسية، لكن في حالة حدوث مثيله فقط من الصين فسوف يعجل بالتدخل الأمريكي. لم يكن لدى الولايات المتحدة رغبة في التورط مرةً أخرى في صراع جديد على الطريقة الكورية على الأقل إن لم يكن كما اعتقدت مؤخراً أنها تزودها بـ 90 بالمائة من الأيدي العاملة. بدت الهند الصينية شأناً داخلياً غير ذو أهمية كبرى بالنسبة "للعالم الحر". خطوة بخطوة، قيل بأن الصين سوف تكون في مكانة تسمح لها "أخيراً" بالسيطرة على غرب وجنوب غرب المحيط الهادئ.

ظهر للعيان رسائل مختلطة حول نتائج المؤتمر، فلم تتحقق تطلعات فيت مين حتى الآن إذ تم تقسيم فيتنام إلى دولتين منفصلتين عن طريق خط عرض (هذه المرة خط عرض 17)، (على الرغم من أن الإنتخابات التي كان من المقرر أن تجرى، عام 1951، كانت لتقود الوحدة). لم تكن النتيجة هي التي أغضبت الصينيين. لقد تم تزويد هو شي في ساحة الحرب لكن تم العمل على إظهاره غير ذي أهمية كبيرة، فقد أخبر تشو خروتشوف

في عام 1954 بأنه في حالة أن كان لفرنسا اليد العليا، فسوف يترك هو شيء منه إلى مصيره. خلف كل هذه العواطف يكمن ماضي تاريخي طويل. على صعيدٍ آخر تم أيضاً إعلان لاوس وكمبوديا دولتين مستقلتين. تحدث تشو بإيجابية عن حيادية هاتين المملكتين. وضعت الهزيمة النهائية لفرنسا نهاية مهمة نشر الحضارة التي استمرت لمدة ثلاثة أرباع القرن، في حيت لازال ميراثها السياسي والثقافي مستمر. وإذا ما أخذنا الوضع القائم في كوريا (وكذلك في أوروبا وفي ألمانيا)، فسوف يبدوا وكأن العالم قد اعتاد تلك الحالة التي ينبثق فيها عن "الأمة" الواحدة عده دول متمايزة أيديلوجياً. فمصطلح الديمقراطية هو ما استخدمه كلا الطرفين ومؤيدوها من القوى العظمى ليصفوا بها أنظمتهم وأيديولوجيتهم. كانت "المثل العليا"، أينما تمت صياغتها، في حالة المخالفة تحظى بنفس القدر من الشرف الذي تحظاه في حالة الالتزام. يمكن أن يكون لدى الديمقراطية أكثر من صياغة جذابة، إلا أن الشيوعية وُجدت لتكون كلاً غير مجزأ. لا بد أن يتم احتواء انتشار جنوب شرق آسيا. ومن هنا أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها دور الريادة في تشكيل منظمة معاهدة تعتمد على نموذج منظمة معاهدة حلف الناتو (تم التلميح بالفعل إلى العضوية الباكستانية). لم يكن هناك أعضاء آسيويون آخرون سوى الفلبين وتايلاند. والتحق كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا باستراليا ونيوزيلندا. أبدت حكومة استراليا حماساً جلياً في أن تبعث قوات تابعة لها للقتال في كوريا، وقد وقعت كلتا الدولتين ميثاق مع الولايات المتحدة عام 1951. على الرغم من أن ملكة بريطانيا "اليزابيث" قامت بأول زيارة لها كملكة على العرش إلى استراليا عام 1954، وكانت هجرة البريطانيين تتدفق إليها، إلا أن استراليا بدت وكأنها تميل ناحية آسيا.

## اليابان: العجز عن مواصلة المعركة

قبل عام 1954، كانت اليابان هي أكثر القوى أهمية في آسيا، إلا أنها الآن لم يعد لها أي دور تلعبه بشكل مباشر في تشكيل آسيا. أما بعد الحرب، فقد أصبح تشكيل اليابان نفسها تقريباً حقاً حصريا في أيدي الولايات المتحدة. ولذلك فإنها لم تشهد أي تقسيم مناطقي تتنازعه قوى مختلفة. لا زال النظام الإمبريالي قائماً. فلم يعزل الإمبراطور هيروهيتو ولم

يحاكم كمجرم حرب – على الرغم من وجود بعض محاكمات جرائم الحرب – لكن في ظل الدستور الجديد الذي تمت صياغته في عام 1946 (من أجل أن يطبق في العام اللاحق) تحت أعين القائد الأمريكي الأعلى" مكارثر" تحول إلى ملك دستوري يتمتع بفرصة كبيرة في ممارسة اهتمامه الغير مؤذٍ بعلم الأحياء البحرية. ظلت الحكومة اليابانية موجودة تحت الإشراف اليقظ لمكارثر. كان هناك اتجاهاً نحو التخلص من الخدمة المدنية، إلا أنها كانت تتزايد. كانت الدفة تدار، بطريقة مشاكسة لتدفع اليابان إلى المسار الغربي وذلك عن طريق حق المرأة في التصويت وحرية الصحافة والاعتراف بالنقابات العمالية. اعتقدت بعض الأصوات الخارجية، التي كانت تأن من تجارب الحرب، بأن منهج سلطة الاحتلال كان يشوبه رغبة في إعداد اليابان كدولة يمكن الاعتماد عليها. من ناحيةٍ أخرى فإن أي هجوم حاد على "العادات" قد يجلب ردود فعل ليست في صالح الديمقراطية النيابية الناشئة. كان الانتعاش الاقتصادي هو المفتاح، على الرغم من أن النجاح الاقتصادي سوف يجلب معه مشاكله. لأسباب واضحة لم تشارك اليابان بنفسها في الحرب الكورية، فهي لم تحصل على استقلالها إلا عام 1951. دعي كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية خمسين دولةٍ أخرى إلى مؤتمر في سان فرانسسيكو في سبتمبر عام 1951 لإنهاء تسوية مع اليابان. لقد ظل هذا محل نقاش لبعض الوقت، تحت مختلف التسميات. قبل الاتحاد السوفيتي لكن خلال الحدث رفض التوقيع على الاتفاقية الناشئة. وأنكرت اليابان رسمياً كوريا وتايوان وجزر الكوريل وجنوب سخالين.

على الجانب الياباني، كانت الشخصية الرئيسية على مدار عقد ما بعد الحرب هو يوشيدا شيغهرو الذي تولى منصب رئيس الوزراء ووزير الخارجية من 1948 حتى تم خلعه من منصبه عام 1954، وأصبح العمود الفقري في عملية إعادة الدمج بعد الحرب. في عام 1948 كان يبلغ من العمر 70 عاماً، فقد التحق بالخدمة الدبلوماسية اليابانية عام 1906، وهو عام الحرب بين روسيا واليابان، عندما هزمت قوة آسيوية لأول مرة قوة أوروبية. فقبل هذا العام بأربع سنوات تم إبرام التحالف الأنجلو ياباني. فحياته المهنية التي توسطت الحربين جعلته يذهب إلى روما ثم إلى لندن، حيث كان سفيراً في فترة

حاسمةٍ في تاريخ العلاقات الأنجلو يابانية ومدافعاً (على الرغم من إخفاقه في ذلك) في جميع أنحاء العالم عن الاتفاقيات التي أُبرمت بين الجانبين بشأن قضايا سياسية واقتصادية. قاده دوره الذي لعبه في اليابان عقب عودته عام 1938 إلى السجن للمرة الأولى عام 1945. على الرغم من أن الولايات المتحدة هي ما كان يجب أن يتعامل معها عن كثب، إلا أن معرفته المباشرة بعالمٍ يتحدث الإنجليزية سهلت له الكثير من العلاقات عبر السنوات التي قضاها في منصبه. هناك منعطف أخير غير متوقع في حياته، فقد انجذب إلى الكاثوليكية، سراً، لعدة سنوات، وعُمد عام 1967، أي عام وفاته. كان تطوراً يكشف عن التيارات التي تعرض لمن يعملون في مجتمع اليابان.

تعلن المادة 9 من الدستور الياباني أن الشعب الياباني تخلى عن الحرب إلى الأبد، أو التهديد بها، كحقٍ سياديٍ للأمة. لهذا السبب لم تعد تحتفظ اليابان بأي قوات برية أو بحرية أو جوية. كانت خطوة صارمة، بقدر ما هي ناتجة عن إصرار أمريكي بقدر ما هي تحول في الشعب الياباني بأكمله. في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة سان فرانسيسكو، أبرمت فيه معاهدة منفصلة بين الولايات المتحدة واليابان. استطاعت الولايات المتحدة توفير قوات برية وبحرية وجوية في اليابان وحولها. ليس لليابان أن تتدخل ولو بكلمة في استخدام هذه القوات لحماية "السلام والأمن الدولي في الشرق الأقصى، وسوف تقوم الولايات المتحدة بحماية اليابان ضد أي هجوم خارجي، بل ويمكنها استخدام القوات داخلياً، في حال طلبت الحكومة اليابانية ذلك، ضد أحداث الشغب (على افتراض أنها تثار من الخارج). ويمكن للولايات المتحدة استخدام حق الفيتو إذا ما أرادت الحكومة اليابانية أن تسمح لأي قوة أخرى بإيجاد قواعد لها أو أن تمركز قواتها داخل الإقليم. لذلك ظلت اليابان مركزية لدى صناع القرار الأمريكي في آسيا. وفي عام 1954، عندما دار الحديث عن أحجار الدومينو، كانت اليابان توصف بأنها "حجر الأساس للسياسة الأمريكية في الشرق الأقصى". بينما تمثل الصين التي جعلت من نفسها حاميةً لجنوب شرق آسيا ولليابان عاملاً أكثر خطورة مما كانت عليه اليابان في السياسة العالمية. كان هناك جانبا غريبا، على الرغم من كونه مُتفهماً، في توقيعات سان فرانسيسكو، فلم تشارك الصين

ولم توقع على شيء، على أي حال كان غيابها أفضل من حضورها، إلا أنه كان تصرفاً غريباً أن تدعي أنها تسوي مسألة مستقبل آسيا. وبنفس درجة الغرابة مع نفس درجة التفهم كان موقف اليابان المقيدة عسكرياً. كانت اليابان ظاهرياً متقوقعة دون حدٍ زمني داخل عالم المحيط الهادي المعزول على الأقل بقدر ما كانت تتطلب سياسة القوة عن آسيا التي كانت لها لمدة نصف قرن مصدر جذب وتهديد. إلا أن المحيط الهادي أصبح فيما بعد مجرد بحيرة أمريكية.

## العالم الثالث والعوالم أخرى

محتوى هذا الفصل، والفصلين السابقين، يلقي الضوء على الانسحاب (أو الطرد) الواضح لكن لازال غير مكتمل للقوى الأوروبية الاستعمارية. التفكير في "بقية العالم" كما كان غالبا يحدث بدرجات متفاوتة في أوروبا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يكشف عن عقلية عميقة تفترض بأن المركز الحقيقي لا يمكن أن يقع في الشرق الأقصى أو آسيا أو أفريقيا، عين هذه العقلية الآن هي ما تقع تحت الاختبار، فقد أثير من جديد الأسئلة القديمة حول "العالم العربي". تم تناول قضايا أفريقيا، أو جنوب الصحراء، بشيء من الاختصار في هذا المجلد، فهي لم تنهض حتى الآن. قبل عام 1955 كان هناك شعوراً بأن آسيا قد نهضت من سباتها، إذ لاحظنا أموراً هامة، منها أن الهند التي كانت تابعة لبريطانيا قد نالت استقلالها، وكذلك باكستان، والصين أصبحت جمهورية الصين الشعبية، وأيضاً إندونيسيا وبورما والفلبين أصبحت دولاً مستقلة. إلا أننا لا يمكننا أن نقول أن آسيا للآسيويين عن حق. فكما رأينا منذ قليل أن مستقبل الهند الصينية لم يتحدد بعد، وأن الحرب الكورية عام 1950 جلبت أجناساً أخرى غير آسيوية لشبه الجزيرة. وظلت اليابان تحت الوصاية الأمريكية. ولازال هناك العديد من الأمور الأخرى الغامضة حول الكيفية التي ستبدو عليها آسيا في العالم الجديد، وما إذا كانت القارة الآسيوية بالفعل مجرد مجموعة من العوالم على أرض الواقع -ربما جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا وشرق آسيا -يتشاركون فيما بينهم على نحو طفيف ومشاكس رؤى سياسية وثقافية مشتركة حول العالم. هذه هي الخطوط الرئيسية أو القليل منها ما سوف نتعرف عليه في

هذا الفصل. ما زال الانسحاب (أو الطرد) الأوروبي لديه بعض الوقت حتى يحدث، إلا أن النهاية كانت واضحة. كانت أسئلة الفرد حول الهوية القطرية أو القومية لها علاقة بالسؤال العام حول انحياز جميع البلدان الناشئة. التغييرات التي أُلقي الضوء عليها لديها أهمية فردية، هل كلها تتعلق بالعالم الثالث؟ وجاء الرد من إندونيسيا التي حصلت على استقلالها عن الحكم الهولندي عام 1949. فقد دعا رئيسها، أحمد سوكارنو، الزعماء الأفروآسيويين إلى بلاده في أبريل عام 1955 لبحث مسألة التنسيق العالمي بينهم، ووقع اختياره على مدينة باندونج، التي تقع في جاوة الغربية، كمكان يُعقد فيه الاجتماع، تلك المدينة التي تعبر مبانيها في الخمسينات من القرن العشرين عن مزج بين أحداث ماضيها وماضي البلدة. احترق جزء من هذه المدينة عام 1945 أثناء القتال الذي دار بين المتمردين والقوات الهولندية التي كانت تحاول إعادة فرض سلطاتها الاستعمارية. كان طقسها وفنادقها التي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر ونواديها هم من جعلوها محط أنظار الأوروبيين، كانوا يطلقون عليها "باريس جاوة". عُقد الاجتماع في ذلك المبنى الذي كان سابقاً نادي كوكورديا. كانت باندونج معرضاً درس فيها ذات يوم سوكارنو وهو صغير. هناك مسألة وهي ما إذا كان المزج بين الأسلوب الجاوي والأسلوب الهولندي الاستعماري يمكن بالتالي أن يسهل من عملية المزج الأفروآسيوية. كانت إندونيسيا نفسها كائناً متزعزعاً، فقد كانت في الأصل جزر هندية. وكان من ضمن الوفود التي أتت إلى إندونيسيا العمال الصينيون الذي جاءوا تحت الحماية الهولندية لتطوير البنية التحتية في باندونج. وكانت المجتمعات الصينية حاضرة بقوة في الحياة التجارية في الجزر الأخرى. كان التوتر الذي يسود العلاقة بين جزر إندونيسيا مرضاً مزمناً، يعكس بدوره التوازنات الدينية والثقافية المختلفة. دخل الإسلام إندونيسيا عن طريق التجار العرب ودخلت المسيحية عن طريق البعثات التبشيرية الهولندية (بشكل أساسي المسيحية البروتستانتية)، وكلتا الديانتين فرضت نفسيهما على ثقافة تظهر جذورها الهندوسية. دعا محمد ناصر، رئيس أكبر حزب إندونيسي وهو ماسيومي، إلى مستقبل إسلامي لا يمكن وصفه بأنه شيوعي أو رأسمالي. الوحدة الإسلامية في ذاتها تؤسس لعالمٍ ثالث. في الحقيقة كان المزيج الإندونيسي ثري وقابل للانفجار في أي لحظة.

بعد أربع سنين من الكفاح، ذهب سوكارنو وأقرانه إلى لاهاي في هولندا في أغسطس عام 1949 لتوقيع اتفاقية بتأسيس الولايات الإندونيسية الفيدرالية المتحدة. فشلت كل المحاولات الهولندية لتشكيل نوع من السيادة المشتركة، لكن كان من المفترض أن يكون الاتحاد الهولندي الإندونيسي المشترك الذي يحافظ على استمرار العلاقة، إلا أنه في نهاية العام أصبح حزب. لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً ليس بالقليل في إجبار هولندا على الانسحاب، ملوحين بإمكانية قطع "معونة المارشال" عن هولندا. أرادت الولايات المتحدة دعم سوكارنو الذي قمعت قواته عصياناً شيوعياً العام المنصرم. على الرغم من الاستقلال، إلا أنه لا زال هناك ما تعتبره الحكومة الجديدة عملاً غير منجز. احتفظ الهولنديون بغينيا الجديدة الغربية، التي كانوا يديرونها بانفصال بينما كانت إندونيسيا تطالب بضمها. واستمر أيضاً الحكم البرتغالي في تيمور الشرقية.

لم يجد الزعماء المجتمعون في باندونج أن مضيفهم يجذبهم للحديث عما يواجهه من صعوبات محلية، إنما ما أضفى على المؤتمر سيره المنطقي هو الحديث عن التضامن من اجل مكافحة الاستعمار، لكن بالنسبة لأغلب المشاركين كان "بناء الأمة"، على الرغم من عدم وصفه، هو المهمة الرئيسية التي أخذوها على عاتقهم بأي وسيلة ممكنة. قام بتنظيم المؤتمر إندونيسيا وبورما (لاحقاً ميانامار) وباكستان وسيلان (لاحقاً سريلانكا) والهند. كان الزعماء الحاضرون من الدول الآتية: أفغانستان، بوتان، بورما، كمبوديا، سيلان، جمهورية الصين الشعبية، مصر، إثيوبيا، الهند، إندونيسيا، إيران، العراق، اليابان، الأردن، لاوس، لبنان، ليبريا، ليبيا، منغوليا، نيبال، باكستان، الفلبين، المملكة العربية السعودية، تايلاند، تركيا، فيتنام (الجنوب والشمال)، واليمن. لم تُدعى جنوب أفريقيا أو تايوان أو إسرائيل أو جنوب أو شرق كوريا. حتى بعد هذا الإغفال، فإنك إن ألقيت نظرة على هذه القائمة من الدول فإنك ستجد التنوع في الحجم والموقف والإطار الذي يجمع بين هذه الدول. كانت الرموز التي لها ثقل ونالت مركزية الحدث جواهر ل نهرو زعيم الهند وتشو أن لاي زعيم الصين، كاد الأخير إلا يذهب إلى باندونج قط عام 1955، حيث انفجرت الطائرة التي كانت من المفترض أن تقله أثناء سفره، فلو لم يكن غير الطائرة، كان سيُعد من بين القتلى.

كان من المهم جداً تواجد الصين في هذه المرحلة العالمية الجديدة. وفي خطوة تتجاوز مسألة المفاوضات، شارك تشو أن لاي، كما ذكر آنفاً، في جنيف العام السابق، في تسوية قضية الهند الصينية. حينما وصل نهرو إلى باندونج كانت الصين تفخر بإظهارها أن الديمقراطية النيابية لم تكن منتجاً غربياً ذو أهميةٍ فحسب، بل، بمرور الزمن، تمكنت من العمل في صالح الشعوب. على الأقل جزء من السلطة الأخلاقية والزعامة التي كان نهرو يتطلع إليها عندما كان في إندونيسيا تقوم على هذا الإدعاء. أما ما إذا كان تحقيق الديمقراطية جعل منها فعلاً المثال الذي يصلح لآسيا فإنها قضية أخرى، ربما يكون للبعض الآخر رأياً مخالفاً. كان من المتوقع أن يتم الإعلان عن مبدأ يتم التوصل إليه في جمع مثل هذا يدعي أنه يمثل نصف العالم، أما السؤال عن "طبيعة هذا العالم" الذي يمثله فهو أمر آخر. كان هناك العديد من الأصوات المختلفة. كانت الخطب والتصريحات التي ألقيت في المؤتمر تعبر عن آمالٍ عريضة. في ميثاق يحتوي على عشر نقاط تم الإعلان عن اتفاقية بين المشاركين حول مبادئٍ عظمى من بينها احترام حقوق الإنسان الأساسية وأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وسيادة جميع الأمم ووحدة وتكامل أراضيه. وأيضاً تم التأكيد على المساواة بين جميع الأجناس والمساواة بين جميع الأمم كبيرها وصغيرها. سوف يمتنع المشاركون عن التدخل في شئون أي دولة أخرى، وعن المشاركة في أي ترتيبات دفاع مشترك من شأنه أن يخدم مصالح الدول العظمى، وأيضاً عن ممارسة أي ضغوط على دولة أخرى. كان من الواضح أن المقصود بـ "القوى العظمى" في المقام الأول هي الدول الغربية. كان مكافحة الاستعمار هو الفكرة التي يمكن أن يتحد عليها الجميع، برغم عدم وضوح مسألة ما إذا كان الاتحاد السوفيتي متورطاً في الاستعمار أم لا. لم تكن المناسبة تصلح للدخول في نقاشات أكاديمية حول متى بدأ الاستعمار ومتى انتهى. وقع تشو أن لاي على مادةٍ تنص على أن الصينيين الذين يعشون في الخارج مدينون بالولاء للبلاد التي يعيشون فيها في المقام الأول. صرح سوكارنو بفخر في خطبته الافتتاحية أن هذا هو المؤتمر الدولي الأول للملونين في تاريخ البشرية.

إن التأكيد على مسألة اللون لهو أمر جدير بالملاحظة. لم تغفل مفارقات اللحظة

الكاتب الأمريكي الأسود والشيوعي سابقاً ريتشارد رايت الذي يعيش خارج الولايات المتحدة الآن والذي حضر المؤتمر. في كتابه ستار اللون (الصادر عام 1956)، سأل ريتشارد نفسه سؤالاً حول الشيء الذي تشترك فيه جميع الأمم، وكانت إجابته "لا شيء". كان الشيء الذي يجمع بينهم، وإن كان بدرجاتٍ مختلفة، هو العلاقة مع الغرب التي منحتهم شيئاً من التماسك. وكانت المفارقة هي أن اللغة الوحيدة التي مكنت أغلب المندوبين من التواصل مع بعضهم البعض بحرية هي اللغة الإنجليزية. يبدوا أن الإجابة الوحيدة على ما بدأ يسمى "بالعالم الثالث" – ذلك المصطلح الذي صيغ عام 1952 –هي "عدم الانحياز". بيد أنه لم يتضح بعد عندما يعود ناصر ونهرو وتشو أن لاي وآخرون إلى بلادهم هل سيتم تفسير "مكافحة الاستعمار" على أنه شيء مميز وإيجابي. لم يكن هذا الاجتماع في إندونيسيا مناسباً في هذا الوقت، فقد كان تجمعاً آسيوياً موسعاً. كانت أفريقيا ممثلة فقط في ثلاث دول هي مصر وإثيوبيا وليبريا، فنادراً ما كانت أفريقيا التي يمثلونها النموذج المثالي. لذلك لم تُرسل دعوة حضور إلى جنوب إفريقيا. مع الوضع في الاعتبار أنه لم تكن هنا دولاً أخرى مستقلة، فإن الموقف لم يكن مثيراً للدهشة – لكن هذا الوضع كان على وشك التغير وبسرعة. وسوف يتم الكشف عن ذلك في الجزء الثالث. كان لغياب أفريقيا عن المؤتمر، حسبما يطرحه السياق في هذا الجزء من الكتاب، دلالةً على مقدار ما ينتظرنا من إعادة ترتيبات تعكس أهمية هذه القارة عالمياً. على المدى البعيد، قد تدلل "باندونج" أو لا تدلل على أنه كان هنا بالفعل "عالم ثالث" قادر بذاته على أن يلعب دوراً بجانب العالمين الآخرين في توجيه شئون العالم لكن حاليا ليس الوضع على ما كان يبدوا عليه. فبعد عدة أشهر قليلة من المؤتمر الإندونيسي، في يوليو عام 1955، عُقد مؤتمر مختلف تماماً في سويسرا الحيادية. كانت "قمةً" جمعت بين القوى العظمى الأربعة: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا. لقد كان تشرشل يتوق إلى اجتماعٍ مثل هذا. كان خليفته إيدن الذي كان على علاقة جيدة بـ أيزنهاور منذ الحرب العالمية، هو من دعا إلى عقد مثل هذه القمة بسرعة. على نحو عقد من الزمن لم يحدث لقاء وجهاً إلى وجه على أعلى مستوى مثل هذا وهو ما قد يحرز خطوةً إلى الأمام. على الجانب السوفيتي، كان أيزنهاور شخصاً معروفاً. وعلى الجانب الأمريكي، كان من الواضح أن خروتشوف هو

الشخص الذي يتطلع إلى زعامة ما بعد ستالين. ربما يشير هذا إلى إمكانية حدوث بداية جديدة للعالم. كان التوتر الحاصل بين واشنطن وبكين حول الجزر التي تطل على سواحل مضيق فورموسى حاداً مع بداية هذا العام. قلق رجال الدول بشدة من إمكانية استخدام الأسلحة النووية. سأل أيزنهاور نفسه ما إذا كان من الممكن أن يفكر "العالم المتحضر" في استخدام هذه الأسلحة ضد الصين. تبلغ قوة القنابل المتوفرة حالياً آلاف المرات تلك التي أُسقطت على اليابان في الحرب. وأيضاً تطورت القنابل السوفيتية وتطور معها إمكانات إطلاقها. كان هناك متشائمون في عام 1945 اعتقدوا أن العالم سوف يدمر نفسه على يدِ القوى العظمى. وبعد عقدٍ من الزمن لم يحدث هذا. إلا أنه بات واضحاً أن مصطلحات مثل "النصر" أو "الهزيمة" لم يعد لها معني في ظل الصراع النووي. كان قرار أيزنهاور بالذهاب إلى جنيف له مغزى كبير؛ فقد فسر معناه بأنه قد وضع نهاية لأي حلمٍ أمريكي بالفوز في حرب عسكرية. فمن أن لآخر، على مدى السنوات القليلة الماضية كان دالاس يتحدث ليس فقط عن "احتواء" وإنما عن تحرير الشعوب التي تعيش مستعبدة في ظل حكوماتٍ مستبدة؛ كان يعني بذلك شرق أوروبا. فعندما قابل بولجانين في جنيف رفض دالاس أن يبتسم في صورة تجمع بينهما – حتى لا تحمل أي إشارة تخيب آمال التحرر. إلا أن رئيسه لم يستطع إلا أن يبتسم ابتسامة عريضة. على كلٍ لم يؤد هذا إلى إحراز أي تقدم ملحوظ في تقليص عملية سباق التسلح. قدم أيزنهاور عرض "السماوات المفتوحة" والذي يمكن كل طرف من أن يحلق بطيرانه فوق إقليم الطرف الآخر ليلتقط صوراً عسكرية (بل ذهب أيزنهاور إلى أبعد من ذلك وهو أن يحلق أينما شاء)، وهو ما باء بالفشل. وعندما عاد الزعماء إلى بلادهم، كان هناك شيئاً يدعى روح جنيف كما عبر عنه المعلقون على الرغم من كونه لم يؤد إلى شيء ملموس. بات واضحاً أن "المسألة الأوروبية" تمت تسويتها كما ناقشنا ذلك سابقاً. ربما ترقى "الغرب" إلى مستوى أخلاقي عالي بالنسبة لما عليه شرق أوروبا؛ فعلى الرغم مما حققته من استفادة وإن كانت ضئيلة، إلا أنها سجلت تراجعاً في العالم الثالث. ما حدث في عالم باندونج وكذلك في عالم جنيف وما حدث من تفاعل بينهما قد يمدنا بالأداة الرئيسية لفهم مستقبل هذا العالم.

## قراءات مستقبلية ـ الجزء الثاني

**Ambrose, Stephen and Brinkley, Douglas G.,** *Rise to Globalism: American Foreign Policysince 1938* (Penguin, Harmondsworth, 2012).

Archer, Clive, ed., *International Organizations* (Routledge, London,1992).

Ball, S.J., *The International History of the Cold War 1947–1991* (Arnold, London, 1998).

Bell, P.M.H., *France and Britain 1940–1994: The Long Separation* (Longman, London, 1997).

Boyle, Peter G., *Eisenhower* (Pearson Education, London, 2005).

Breslin, Shaun, *Mao* (Pearson Education, London, 1990).

Brown, Judith M., *Nehru* (Pearson Education, London, 1999).

Geppert, Dominik, ed., *The Postwar Challenge: Cultural, Social and Political Change in Western Europe, 1945–58* (Oxford University Press, Oxford, 2003).

Iriye, Akira, *Global Community: The Role of International Organizations in the Making of the Contemporary World* (University of California Press, Berkeley, 1999).

Irving, Ronald, *Adenauer* (Pearson Education, London, 2002).

Mitter, Rana, *A Bitter Revolution: China's Struggle with the Modern World* (Oxford University Press, Oxford, 2004).

Robbins, Keith, *Britain and Europe, 1789–2005* (Arnold, London, 2005).

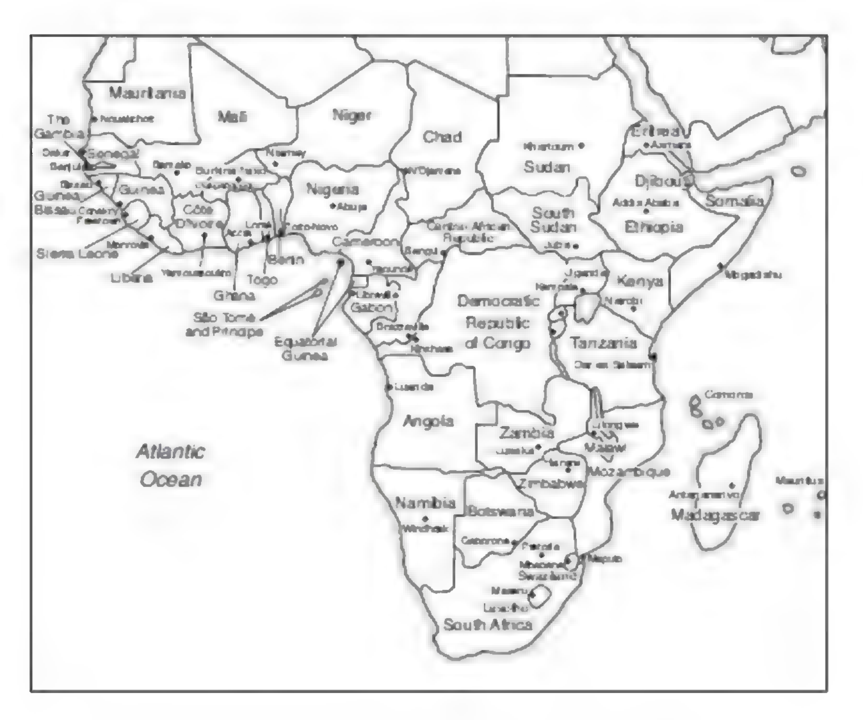
Talbot, Ian, *India and Pakistan* (Arnold, London, 2000).

Vickers, Adrian, *A History of Modern Indonesia* (Cambridge University Press, Cambridge, 2005).

# الجزء الثالث

## 1955 - 1965:
## العودة من الهاويـة

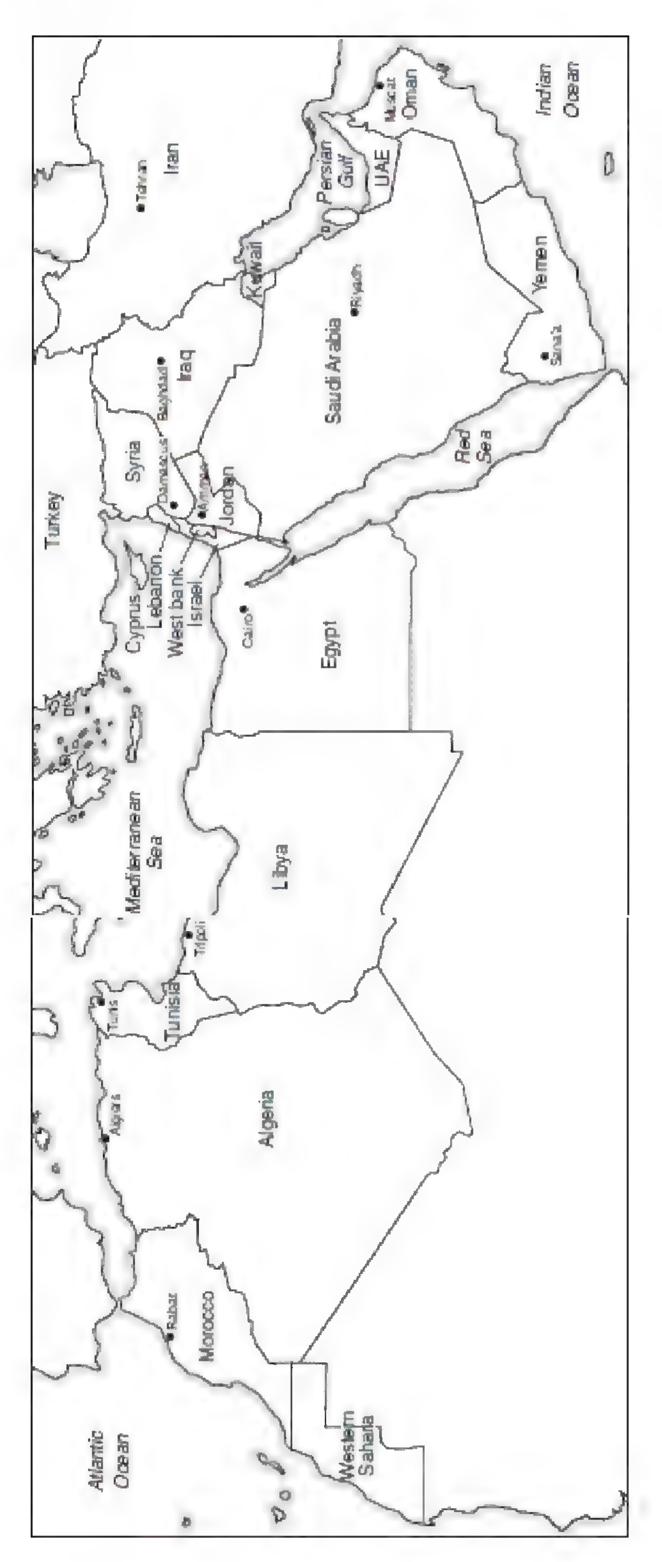
إنّ القادة الدوليين الذين كانوا يتولون السلطة عام 1955، وما تلاها، ينتمون بالفعل إلى عصر أو جيل كانت الحرب فيه بالنسبة لهم بمثابة الخبرة الهامة والمحورية لحياتهم السياسية. حيث لن يتحمل العالم مرة أخرى صراع عالمي. وبعد مرور عشر سنوات، تم بالفعل تجنب نشوب حرب ولكن كان من الصعب تنظيم شؤون العالم بأكمله، إن صح التعبير، على المسارات والاتجاهات التي تم تصورّها عام 1945. حيث كانت الأمم المتحدة لا تزال قائمة إلى جانب ارتقاء مكانتها وفعالية إجراءاتها، ولكن يبدو أن الأحداث المتواترة قد بينت أنها لم تكن قادرة على أن تصبح السلطة المنظمة للعالم. لقد أوضحت ظروف وملابسات الحرب الكورية بأنه لا يوجد دولة واحدة قادرة بمفردها على مواجهة ومناهضة العنف والعدوان بالإجماع. ومع ذلك، لا يمكن القول بأن المؤسسات والإجراءات والمواثيق الخاصة بالأمم المتحدة لم تقدّم هدف "عالمي" مفيد لمنظومة الدول، ولكن بلا شك ظل التنافس بين الدول أو النظم، كما هو موضح بالجزء الثاني، قويّا وشديدا. لقد دافع القادة الوطنيون، سواء تم انتخابهم أم لا، عن مصالحهم الوطنية. لقد ظل التاريخ العالمي بشكل أساسي تاريخ خاص بدول وأقاليم وقارات وبالفعل حضارات معينة إلى جانب المصالح المتعلقة بها الناتجة داخليًا والمشروطة تاريخيًا.




**خريطة (3) دول جنوب الصحراء الأفريقية، 2012**

وبهذا المعنى، تخطى إطار العمل لعام 1945 العقد الأولي. ومع هذا، لم تكن أبدًا شدة الحرب والأعمال العدائية ثابتة. كما أثارت الوقائع المختلفة مستويات مختلفة من الاستجابة. حيث كان السياق دائم التغير.

كان مؤتمر جنيف المنعقد عام 1955، ختام الجزء الثاني، دلالة وإشارة على لحظة كهذه. حيث ذاب جليد السنوات الست السابقة. كما تم تحديد روح جنيف عندما قامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وفرنسا ببحث القضايا الهامة الخاصة بالحرب الباردة داخل أوروبا ومناقشتها. لم يخرج إلى النور في واقع الأمر إلا القليل من مضمون الموضوع، بيد أن الأطراف المشاركة تحدثت عن تحسّن في الأجواء. واستنادًا إلى هذا، نستطيع نحن رويدًا على مدى السنوات القليلة القادمة ملاحظة واكتشاف وقوع تحوّل وتغيير هام. ومع ذلك، لم تكن "روح جنيف" هي الروح الوحيدة الموجودة



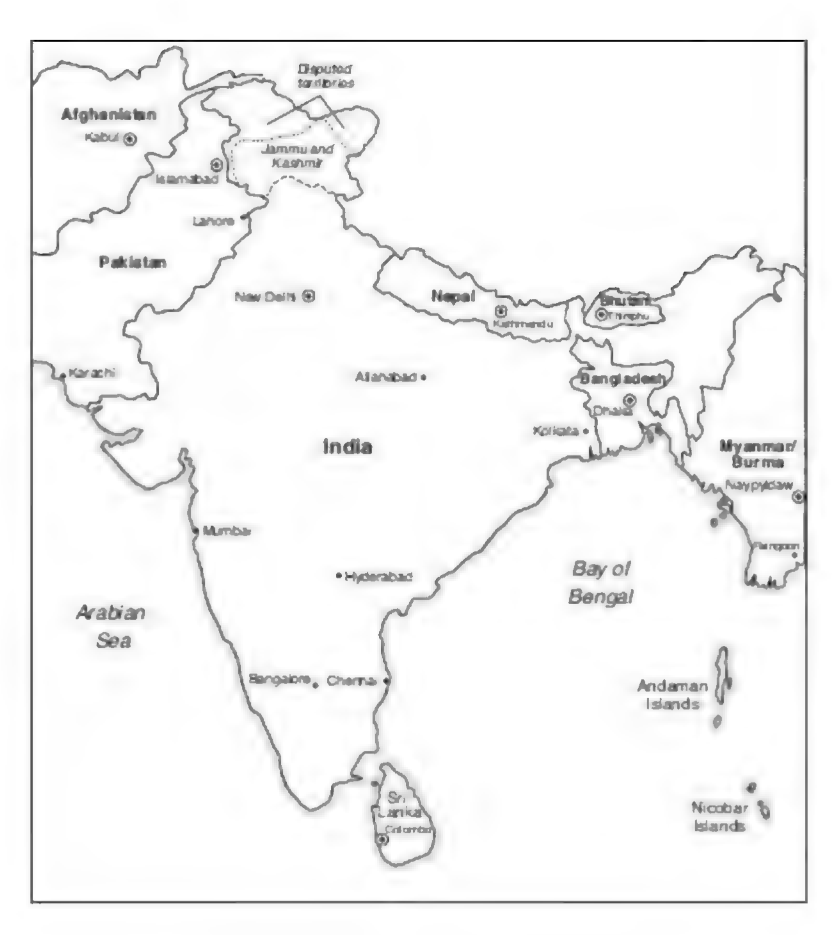

خريطة (4) المغرب العربي والشرق الأوسط 2012

آنذاك. ففي مستهل الجزء الثاني تظهر أزمتين اندلعتا في العام التالي – ألا وهما المجر والسويس. فطبيعة كل منهما تختلف عن الأخرى. حيث تحدّت الثورة القائمة داخل بلاد المجر – من وجهة نظر الاتحاد السوفيتي – سلامة الكتلة السوفيتية. ولم نتمكن من البحث في ذلك. ولقد كشفت تلك الثورة تراجع الشيوعية، فالقوى الغربية لم تتمكن من فعل أي شيء للتدخل.

وبصرف النظر عما يمكن فعله أو عدم فعله في سبيل إيجاد حل لمسألة ألمانيا، كان من الضروري قبول فكرة انقسام أوروبا. فلقد كان للسويس، كما يزعم البعض، الكثير من الجوانب المعقّدة: قدرة كل من بريطانيا وفرنسا على التصرف كقوى عظمى، وعلاقة كل منهما بالولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى وضع كل من إسرائيل، مصر، العرب والشرق الأوسط بينهما. كانت الواقعة التي كشفت عن الشقوق الغير متوقعة داخل صفوف الانحياز. كان من الممكن اعتبار الأمم المتحدة الجهة التي من الممكن استعادة السلام من خلالها. ولكنها لم تكن قادرة على منع نشوب أي نزاع. كما بينت تلك الأزمة عدم استطاعة دول الكومنولث، بأعضائها "الجدد" و"القدامى"، الوصول إلى موقف مشترك.

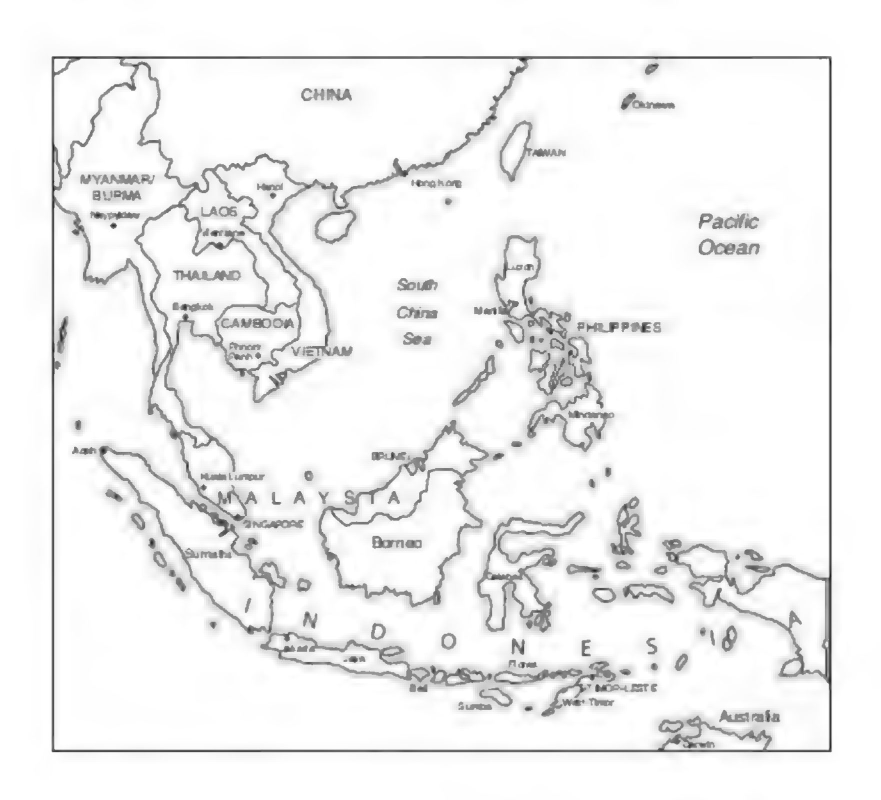
ومن الجدير بالذكر أن الثورة الكوبية قد أضافت بعدا آخر حيث أنه كانت لأمريكا الجنوبية في تلك الآونة دورًا في التصدع والفجوة الأيدلوجية في العالم وطرح أسئلة جديدة حول "الأمريكتين". لقد حدثت أيضا مواجهة خطيرة بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية حتى أعتقد بعض المعاصرين أنه سوف يكون هناك كارثة نووية وشيكة أما حلفاء وشركاء القوتين العظمتين فكانت قدرتهم على إحداث تغيير في هذه النتيجة محدودة. كان من الممكن أن تتوصل كلٌ من واشنطن وموسكو إلى الحد من التوتر الذي كان قد تصاعد وذلك من خلال التوصل إلى اتفاقيات في أجزاء مختلفة حول العالم وقد ظل شعورهم بهذه القوة العظمى قويًا ومستمرًا. ومع ذلك فيعتبر ظهور أفريقيا هو ميزة هذا العقد من بعد عام 1955، مما يعني المسارعة في التحرر الكامل لبلدانها من الحكم الاستعماري الأوروبي الذي لم يكتمل بعد. كان لكل طريق خصائصه المميزة له ولكن كانت

هناك سمات مشتركة في كثير من الحالات مثل: "مفهوم الأمة" داخل حدود الدولة والتي تشمل مختلف المجموعات العرقية واللغات والاختلافات الدينية بين المسيحيين والمسلمين ووجود تجمعات المستوطنين الأوروبيين وفقا لبعض الزعماء الأفارقة . كانت لحظة فرض حدود الدولة من خلال مغادرة القوى هي اللحظة المناسبة للانتقال المباشر إلى "الوحدة الأفريقية" حتى وإن كانت في البداية بشكل إقليمي. كانت هناك مشكلات كبيرة بالإضافة إلى النتائج التي أثرت إلى حد كبير على الخارج من خلال العوامل المحلية.




خريطة (5) جنوب آسيا عام 2012

أما في آسيا، فقد استمرت المشاكل ذات الطابع المماثل. كما كان جليا في الجزء الثاني، فمعظم المشكلات يمكن أن تتفاقم بشكل نسبي في هذا المجال. فقد عرفت الدول الأفرو- آسيوية على الأقل بعض من الصعوبات الداخلية التي نتجت بطريقة أو بأخرى من حقبة الاستعمار الأوروبي إلا أن هذه المشكلات قد ولدت في ظروف توحد وتضامن المشاعر. ومع ذلك، فلا يزال هناك الكثير من الأمور التي تحتاج للنظر فيها. كان مصطلح "عدم الانحياز" يعتبر تعريفا سلبيا. كانت كلا من آسيا وأفريقيا مختلفتان بشكل كبير حيث كان لكلا منهما هويات إقليمية/ وطنية (بالإضافة إلى وجود عداوات) قوية قد تحول دون فكرة وجود صوت "آسيوي" أو "إفريقي" في العالم.




خريطة (6) جنوب شرق آسيا 2012

لذلك فقد استمر هذا الجزء من الكتاب في استكشاف وشرح التطورات التي حدثت في التاريخ الداخلي للدول والقارات من زوايا مختلفة وتأثير تلك المحاولات الدائمة على إعادة التوازن في "المجتمع الدولي". كانت السلالات واضحة في هذا العقد سواء داخل البلدان الحرة أو العالم الشيوعي حيث كانت القارات تظهر في الصدارة لكن بشكل مؤقت وحيث تم إطلاق بعض المعاني الجديدة على كلا من "الغرب" و"الشرق".

# 9

# القوى العظمى والمرؤوسون: الشرق الأوسط وأوروبا

## السويس، 1956: لمن القناة؟

قامت القوات البريطانية بمغادرة قاعدة قناة السويس الخاصة بهم في 13 يونيه 1956 وفقًا للاتفاقية المصرية البريطانية الموقّعة عام 1956. ومع ذلك، خلال ستة أسابيع من توقيع هذه الاتفاقية عادت قناة السويس مرة أخرى .الموقع الذي تم فيه تقسيم العالم لعدد من البلدان: إسرائيل، مصر، العالم العربي، أوروبا الغربية، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وقد كشف كل من أصل واتجاه ونهاية تلك الأزمة الكثير عن عقلية وانشغالات الأطراف المشاركة. وقد عاد الناصر من باندونج مدركًا بأن العالم أصبح مستعدًا لإحداث تغيير. قد لا تعدّ البلاد الغير منحازة حتى الآن دول منحازة داخليًا كما ينبغي ولكن هذا الأمر أعطاه سيطرة وتأثير متوقع. وقد اكتسب الكثير من الحكمة من خلال مباحثاته مع المارشال تيتو بشأن جزيرة الأدرياتيك. كما عرف بعض الشيء عن أعمال التوازن المطلوبة من هؤلاء القاطنين بوسط العالم. وقد أراد كل من واشنطن وموسكو كسب أصدقاء لدولهم. فحيلة هذا الأمر هو الموافقة على عروضهم بدون الانزلاق إلى التبعية أو المرؤوسية. فمن الضروري اعتبار قيام مصر بالحصول على استقلال هادف وذي معنى مرحلة أخرى مستقلة.

لقد كان ذكر اسم السيد فرديناند دي ليسبس – القائم ببناء قناة السويس – بخطاب الرئيس الناصر الذي ألقاه في مدينة الإسكندرية في 26 يوليو 1956 بمثابة إشارة بدء لإتخاذ الإجراءات. ثم تمكنت الشرطة المصرية إلى جانب المسؤولين بالدولة من السيطرة على مقرّات الشركة الدولية المسجلة بباريس بالإضافة إلى الأسهم الفرنسية والبريطانية الكبيرة المالكة لقناة السويس. وسوف تنتهي تلك "الدولة داخل الدولة" قريبا مثلما قام هو بتأسيس كيانها. فلم يتم اعتبار تلك الخطوة بدون رؤية أو تصور مسبق على الرغم من عدم تخيل الرئيس الناصر لتلك الأمور والحيثيات الناتجة عن اتخاذ تلك الخطوة. وطوال وجود قناة السويس، قد كان لها أهمية رمزية إلى جانب الدور التجاري الذي تقوم به. فقد كانت تعد بمثابة " الشريان العالمي". فلذلك قد كشف ردود أفعال العالم بشأنها عن الكثير من آليات التحريك الحالية الخاصة بها.

فبالنسبة لناصر، كان يمثّل التأميم مفرّ آخر من السيطرة والهيمنة الأجنبية. حيث أخذت مصر 7 في المائة فقط من إجمالي الأرباح ولديها قليل من الأعضاء داخل مجلس إدارة الشركة. فقد كان هناك بعض الافتراءات الكاذبة والادعاءات المتغطرسة بأن مصر ليس لديها القدرة على إدارة القناة بكفاءة عالية. فمن الممكن استخدام الإيرادات القادمة من تلك القناة – على الرغم من كونها غير كافية في حد ذاتها – لأغراض ضغط أخرى؛ وعلى الأخص في بناء السد العالي على النيل بأسوان.

وقد قامت مصر في بدايات عام 1956 بإجراء مفاوضات للحصول على قروض ضخمة من البنك الدولي من أجل مشروع الإنشاء هذا. فقد يساهم هذا المشروع في الحصول على مزيد من الأراضي القائمة تحت الزراعة بالإضافة إلى توليد الطاقة اللازمة لبرنامج التصنيع الطموح. وقبل إلقاء ناصر خطابه بمدينة الإسكندرية بأسبوع واحد، قامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ثم البنك الدولي بالتراجع عن الاتفاق المؤقت المبرم فيما بينهم بتقديم التمويل اللازم. حيث كان ينظر كل من بريطانيا والبنك الدولي إلى الناصر بشكل متناقض. حيث لم يكن فعليّا "ضد الغرب" مثلما كانت تشير الخطابات الخاصة به، بداية من باندونج فصاعدًا. ومع ذلك، مع الاعتراف بجمهورية

الصين والحصول على أسلحة الاتحاد السوفيتي من خلال الاتفاقية المبرمة مع جمهورية تشيكو سلوفاكيا، قد أعلن وصرح الناصر بأن مصر تفعل ما يحلو لها. وفي مارس قام رئيس الوزراء البريطاني" ايدن" بعرض صورة عنيفة قائلاً: إما هو أو نحن. فلذلك كان يجب على الناصر التعلم من هذا الدرس، ولكن ما هو هذا الدرس؟ حيث قام السيد إيفيلين شاكبيرغ، خبير الشرق الأوسط بمكتب خارجية بريطانيا بالتسجيل في المفكرة اليومية الخاصة به أن " قد حان الوقت الآن لعرض واستخدام القوة"، ولابد من إسقاط الرئيس الناصر. وإذا كان الرئيس الناصر قام بقراءة ذلك، فلن يكون مندهشا من هذا الأمر. فقد كانت له حساباته الخاصة به وهي أن يكون هناك من المحتمل العديد من التعبيرات الدالة علي الإهانة والتعدّي من جانب العواصم الغربية (واشنطن، لندن وباريس)، ولكن لن يتم استخدام القوة في النهاية. وقد يكون الإجراء المتبع داخل مصر قائم من جميع الشعب. وقد كان الناصر في يونيه عام 1956، المرشح الوحيد، الذي تم انتخابه كرئيس للجمهورية. وأصبحت قناة السويس " القناة الخاصة بنا".

### السويس: اضطراب الغرب

لقد كان هناك فهم وإدراك داخل الدوائر والمحافل الرسمية بلندن وباريس بأن أوروبا الغربية أصبحت في لحظة حاسمة في علاقتها مع مصر، وامتدت في الغالب مع الشرق الأوسط بأكمله. حيث اقترح ماكميلان، وزير المالية البريطاني، بأنه في حال قيام الناصر بـ "التخلص من ذلك" فسوف يكون ذلك نهاية القوة والتأثير البريطاني داخل المنطقة للأبد. لقد أوضح "درس التهدئة" بأنه إذا لم يتم إيقاف الديكتاتوريين عن مسارتهم واتجاهاتهم، فإنه سيتم عودتهم دائما بالمزيد والمزيد من الظلم والاستبداد. ففي هذا السياق، أخبر – زعماء الاحزاب الكبرى مجلس العموم البريطاني – بأن الرئيس الناصر هو نموذج آخر لهتلر أو موسوليني. وأن هناك قيصر ناشيء بالقاهرة يسعى للوصول إلى الحكم وفرض سيطرته بداية من الخليج إلى المحيط الأطلنطي. وقد قاسمت فرنسا، بمحاربتها داخل الجزائر، رغبة ايدن بعدم "طردها وإبعادها". وقد اعتقد موريسون، وزير خارجية بريطانيا الأسبق، بأن مصر كانت تقوم بإحباط وتقويض

الممارسات الجيدة الدولية. وقد كان لـ " العالم" مصلحة وفائدة من ذلك. فليس من الممكن دعم وتأييد فكرة الانفراد من جانب أي دولة.

لقد تمّ اقناع اثنين وعشرين دولة التي تعبر السفن الخاصة بهم قناة السويس بحضور المؤتمر الذي تمّ انعقاده في لندن في شهر أغسطس برئاسة كل من بريطانيا وفرنسا. فعلى الرغم من قيام تلك الدول بدفع هذا الحافز، فقد كان هناك اقتراح لعقد اجتماع قناة السويس الدولي مقدّم من جانب وزير الخارجية الأمريكية، جون فوستر دالاس، والذي وافق عليه أغلب الأطراف المشاركة. ولقد قام "العالم" ممثّلًا ،في مثل هذه الحالة، في رئيس وزراء استراليا إلى جانب وزراء خارجية السويد، إيران، إثيوبيا ووكيل وزير الخارجية الأمريكية، بأخذ تلك الخطة إلى القاهرة وتم رفضها. حيث تمّ إخبار الزائرين بأن الاقتراح المطروح من جانبهم هو شكل جديد للامبريالية أو الاستعمار. وفي المقابل، تمّ عقد الاجتماع مرة أخرى في لندن حيث اتفق ثمانية عشر دولة من المؤيدين لخطة دالاس على تشكيل وتكوين جمعية مستخدمي القناة. وقد قامت كل من بريطانيا وفرنسا في 23 سبتمبر بإحالة ورفع تلك القضية إلى مجلس الأمن بالأمم المتحدة.

وقد اتفق مجلس الأمن مع المقاومة الفرنسية والبريطانية، خلال جلسة اجتماعه المنعقدة في 13 أكتوبر بعد أسبوع واحد من انعقاد المباحثات التي تم من خلالها دعوة مصر إلى المشاركة، على أن قناة السويس شيء هام كطريق ملاحي دولي. ومع ذلك، فقد تم تجميد الاستنتاج القائل بأنه يجب على القوى الخارجية التأكد من عدم قيام مصر بفرض ووضع قيود على استخدام قناة السويس؛ وذلك من خلال حق الفيتو المستخدم من جانب الاتحاد السوفيتي. فإنه من الواضح أن الأمم المتحدة، في حد ذاتها، لم تكن قادرة على ضمان "تدويل قناة السويس" بالشكل الذي يتماشى مع رغبات كل من البريطانيين والفرنسيين.

وقد كان لدى فرنسا، على الأخص، تخوّف من تقبل الولايات المتحدة الأمريكية للنتيجة التي من الممكن تساهم في إبقاء الرئيس الناصر في الحكم. وقد تم العمل بدبلوماسية سريّة. وقد تم انعقاد اجتماعات بين الجانبين الإسرائيلي والفرنسي والجانبين الفرنسي والبريطاني عقب الجلسات الثلاثية التي تم انعقادها في يومي 21 و22 أكتوبر. فقد

كان هدف إسرائيل شن هجوم على القاهرة قبل أن يتم دعمها بشكل أقوى من خلال أسلحة التكتلات الشرقية. فلذلك قام الإسرائيليون بشن هجوم ما من شأنه تهديد أمن "القناة" وإعطاء مبرّر لكل من الفرنسيين والبريطانيين بقيامهم بشن هجوم عسكري بهدف حمايتها. وقد قامت القوات الإسرائيلية بشن غارات على شبه جزيرة سيناء في 29 أكتوبر – ولكي يتم استقبالها تم صدور إنذار نهائي في اليوم التالي من الجانبين الفرنسي والبريطاني بإيقاف شن تلك الغارات وانسحاب تلك القوات من القناة. حيث أشارت إسرائيل بأنها سوف تذعن لهذا الأمر في الوقت المناسب. ومع ذلك، تقدمت تلك القوات داخل القناة بشكل تام وكامل لدرجة أن أصبحت فكرة "انفصال المقاتلين" تقريبا أمرًا ثانويًا منذ البداية. ومع ذلك رفضت مصر هذا الإنذار النهائي بانسحابها من داخل القناة (بحجة كونها داخل الأراضي الخاصة بها). كما أنها رفضت تأييد ودعم التواجد المؤقت لكل من القوات الفرنسية والبريطانية داخل كل من مدينتي بورسعيد والإسماعيلية. وقد انهار ائتلاف الحزب المعارض الرئيسي ببريطانيا بشدة عند تلك اللحظة. كما ندّد واستنكر جيتسكيل، زعيم حزب العمال البريطاني، أي محاولات لطرح حلول بالقوة؛ قبل أن يتم بحثها ومناقشتها بشكل أوسع من جانب كل من مجلس الأمن ومجلس العموم البريطاني على الأقل. وقد كانت المفاجأة في تلك اللحظة. حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم قرار في 30 أكتوبر تطلب فيه من إسرائيل بإيقاف شن الغارات وانسحابها خلف الحدود الخاصة بها. ولأول مرة اعترض كل من فرنسا وبريطانيا على هذا القرار مستخدما حق الفيتو داخل مجلس الأمن. وفي اليوم التالي، قامت طائرات تابعة لتلك الدولتين بتفجير المطارات المصرية. وتحدّث ايدن بعد ذلك عن "الأعمال البوليسية"، وجيتسكيل عن " الحرب الطائشة". حيث قامت القوات المصرية بإغراق السفن ووضع حواجز أمام القناة. وفي 5 نوفمبر هبط جنود المظلات بفرنسا وبريطانيا عند المدخل الشمالي من القناة.

قد يكون هناك بعض من الشك بأن هناك هدف مباشر وعاجل، بصرف النظر عما سيحدث بعد ذلك، بالإطاحة بالرئيس الناصر. ومع ذلك كان السفير البريطاني بالقاهرة يعتقد أنه تم اندلاع كثير من الصعوبات والمشاكل بعد هزيمة القوات المصرية. حيث

سوف تستمر وتواصل عملها فقط الحكومة المصرية التي ظلت بعيدة عن قوات الاحتلال. كما أن " العالم" يتفهم بالتأكيد حقيقة أن الحكومة البريطانية مخوّلة بالقيام باتخاذ الإجراءات التي كانت تتخذها من قبل. حيث يدرك كل فرد طبقا لما أوضحه ايدن أن الأمم المتحدة ليس من مهام منصبها بعد اتخاذ أي إجراءات. حيث لكل من فرنسا وبريطانيا قوات متاحة خاصة بكل منهما. حيث أنهم لن يتأخروا دقيقة واحدة عن الوقت المناسب في طرح وتقديم "حلول دولية" للعديد من المشكلات التي تواجهها المنطقة. كما أصبح لتعبير "احتلال مؤقت" بشكل غير مفاجئ حلقة مفرغة بالقاهرة على الأحرى. حيث باشرت البعثة البريطانية الفرنسية عملها – من خلال خضوع فرنسا لأوامر بريطانيا.

لقد كان هناك تناقضات، على عدد من المستويات، في مثل هذا الوضع. كما كان هناك خطة وبعثة قام بتنظيمها رئيس الوزراء الذي كان تتعلق مهام وظيفته بأكملها بالتعامل مع الشؤون الخارجية. فربما كان لديه شعور بأنها قد تكون آخر محاولة أو فرصة لبلده لكي تصبح قوى عظمى حقيقية. حيث اعتقد بعض من الدبلوماسيين البريطانيين بأنه قد فقد عقله (فقد كان هناك بالفعل بعض من عدم الاستقرار الشخصي في تلك الآونة).

ومع ذلك، وبوجه أعم، لقد كان هناك هاجس عميق بعض الشيء داخل المحافل والدوائر الرسمية. حيث كان يعتقد السيد ايفون كيركباتريك، وكيل وزير الخارجية الدائم، بعيدا عن ايدن، بأن الدولة قد فقدت رغبتها فى البقاء على قيد الحياة. وفي غضون عامين، قام الرئيس الناصر بمنع تصدير الغاز الحيوي إلى بريطانيا، وانهارت منطقة الإسترليني، وانعدمت المناهضة الأوروبية للإنتشار الأوسع للشيوعية وزادت معدلات البطالة والفوضى بالبلاد. حيث انخفض مستوى المعيشة ببريطانيا – ليصبح مماثلا لمستوى المعيشة داخل كل من يوغوسلافيا ومصر. كما أصبح الاتجاه نحو اخراج الناصر من دعوى "قطع الطريق" داخل أقسام الصحافة البريطانية أمرا مبهما وملتبسًا. حيث كان يعتقد السيد ايفون بأن الدولة التي لم تستطيع التضحية للدفاع عن نفسها سوف تنتهي. فليس كان من الممكن تتبع المناورات الدبلوماسية في ذلك الوقت بإسهاب داخل هذا

الفصل، ولكنه قد انبثق الأساس المنطقي الخاص بهم من الإحساس البالغ بهلاك وفناء بريطانيا قريبًا.

كان يسعي أيزنهاور، طوال أواخر صيف عام 1956 بالولايات المتحدة الأمريكية، لإعادة الانتخاب. فقد كان هناك الكثير من الجدل لتمديد وإطالة تلك الأزمة. وكان لا يرغب في طرح حلول عسكرية. حيث كان يبدو للبريطانيين (إلى جانب الفرنسيين) أنه من المفترض قيامهم بالتصرف في الأمور على مسؤوليتهم. فقد كان هناك خواء وفراغ بشكل غير متوقع، في مسار المراسلات بين واشنطن ولندن. حيث كان هناك اختلافات في تفاصيل الأمر، كما تم الإشارة إليه مسبقًا، ولكن أصبح التعاون العالمي بين أمريكا وبريطانيا بمثابة محطة لتوليد القوى الخاصة بـ "الغرب". فقد كان هناك آنذاك خلاف وجدل قد ساهم في عرض رؤية عالمية مشتركة ظاهريًّا والحصول فعليًّا على سلطة التصرف في الأمور. لقد كرهت الإدارة الأمريكية قيام الأوروبيين بإخفاء الأمور عنها بحجة أنها تفتقر إلى أساليب وطرق اكتشاف واستنتاج ما الذي يحدث في الوقت الرهن. لقد كان لأيزنهاور، في تلك الآونة، محفزات قوية ومالية وغيرها من الدوافع حيث كان يعتبره الدبلوماسيين البريطانيين "عدوانيّ بشكل لا يصدق" في رغبته لدفعهم وإخراجهم. فقد كان لا يصدّق السيد ايفيلين شاكبيرغ كذلك بأن أيزنهاور استطاع بالفعل إقناع الأمم المتحدة باتخاذ تلك الإجراءات الحاسمة وبهذه السرعة. ففي 3 نوفمبر وافق أمين عام الأمم المتحدة على إرسال فرق عمل معنية بحالات الطوارئ. حيث وجدت كل من القوات القادمة من كندا، كولومبيا، الدنمارك، فنلندا، الهند، النرويج، السويد، يوغوسلافيا أنفسهم في مكان غريب وغير مألوف. حيث وافق كل من البريطانيين والفرنسيين على وقف إطلاق النار (ولكنهم لم يقوموا بسحب القوات الخاصة بهم إلا بعد وصول فرق العمل المعنية بحالات الطوارئ). ولقد تم انسحابهم بشكل كامل في 22 ديسمبر. حيث انتهت تلك البعثة بشكل مخزي. حيث ظل الرئيس الناصر في منصبه. وقد تم انتخاب أيزنهاور مرة أخرى في 6 نوفمبر بحصوله على غالبية تصويت الشعب (على الرغم من حلّ حزب الجمهوريين ككل بشكل سيء). فلم تعود القناة لـ "

التدويل" مرة أخرى. كما بدأ الأسطول برعاية الأمم المتحدة في إخلاء القناة وتنظيفها لذلك استطاع "الطريق السريع العالمي" استئناف ومواصلة نشاطه التجاري بشكل طبيعي. كما كان يسعى رئيس الوزراء البريطاني للحصول على شمس جامايكا المستردة. ثم قدّم استقالته في يناير 1957.

## السويس: الاستنتاجات والملابسات

هناك العديد من الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال القوى الخارجية المتورّطة مباشرة في مثل هذه القضايا وبواسطة دول الشرق الأوسط أيضًا. فهناك مقتضيات وملابسات للأمم المتحدة ولهيئات أو جهات أخرى مثل دول الكومنولث (رابطة الشعوب البريطانية).

كان يبدو الاستنتاج الخاص بالشرق الأوسط واضحًا في حد ذاته. فلقد تم حمل الرئيس الناصر خلال شوارع مدينة بورسعيد احتفالًا بالانتصار العسكري. فقد كان إذا جاز التعبير "ابن صلاح الدين". ولقد أخبر جمهوره الشعبي كيف وقف العرب وقفة رجل واحد في الماضي من أجل طرد وعزل الصليبيين المتطرّفين الذين قاموا بالهجوم عليهم داخل كل من سوريا، فلسطين ومصر.

لقد تم التمرّد على الصليبيين مرة أخرى آنذاك. حيث حذّر الوزراء البريطانيون مرارا وتكرارا أنفسهم، موجهين حديثهم إلى قناة السويس، بأن "الناصريين" سوف يشعلون ويثيرون غضب الشرق الأوسط بأكمله. حيث أشارت فلسفة الثورة الخاصة بالناصريين بأن هناك تطابق وتشابه بين التاريخ العربي والمصري ككل. فليس من الضروري أن يقصد بـ "الوحدة العربية" اتحاد جميع الدول العربية في دولة واحدة – ولكن من الممكن أن يحدث ذلك. لقد اكتسب الناصر مقامة ومنزلة عالية أخذته إلى أي مكان في العالم. ومع هذا يوجد شيء متناقض بشأن هذا الموقف. لقد اجتمعت الأحداث على إهانة وازدراء البريطانيين والفرنسيين داخل المنطقة، والتقويض من مكانتهم السابقة المتباطئة. ومع ذلك، قام الإسرائيليون بتحطيم القوات المصرية بشكل لا ينكر. حيث انسحبت القوات الإسرائيلية تحت ضغط من الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن على

شرط ضمان فرق العمل المعنية بحالات الطوارئ حرية العبور من خلال مضيق تيران (الممرّ الحيوي لميناء إيلات الإسرائيلي). فلم تقم القوات المصرية بالدخول مرة أخرى إلى قطاع غزة (منذ ذلك الوقت، ولمدة عقد واحد، توقفت الهجمات الغير منتظمة التي كانت تقام على إسرائيل آنذاك). كما أنه من الممكن انسحاب فرق العمل المعنية بحالات الطوارئ في حال طلب مصر ذلك، في أي وقت بعد ذلك – وقد حدث ذلك بالفعل في مايو 1967 – ولكن يعد ذلك في الوقت الحاضر مكسب إسرائيلي حقيقي.

هناك بعض الآراء الفرنسية توصلت إلى حقيقة قيام فرنسا بـ "إنقاذ" إسرائيل عام 1956، ومع ذلك استمرت حالة انعدام الأمن بالدولة بشكل رئيسي. وفي أوائل الخمسينات استقر آلاف اليهود من أوروبا وشمال أفريقيا، الحركة الذي تلقت دافع وحافز جديد بعد مرور عام 1956. فقد نزح هؤلاء اليهود من بيئات مختلفة. كانت تعتبر دولة إسرائيل بدون أدنى شك دولة "ديمقراطية"؛ إلا أن نظامها الانتخابي وكثرة الأحزاب بداخلها ضمن فعليا وجود حكومة ائتلافية معقدة. وقد أدت التساؤلات حول هويتها إلى تعقيدات داخلية. وقد أصبحت التعريفات العلمانية والدينية لليهودية في سباق وتنافس معلق للأبد. حيث لن تقبل الدول العربية المجاورة "الحق المطلق" لليهود في العودة إلى إسرائيل. إن " الملكية القانونية" للأراضي إذا تم المطالبة بها على أساس تبرير تواجد إسرائيل، سوف تزعزع استقرار عديد من الدول حول العالم. لذلك تسعى القيادة السياسية بإسرائيل إلى تعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. حيث لكلا الدولتين خصم ومعارض مشترك، وفقًا لما تم زعمه مسبقًا. كما كانت الجماعات التي تنتمي إلى "الحزب النازي الشيوعي"، التي كانت تقاتل بالدبابات الخاصة بها داخل هنغاريا عام 1956 تقوم بتزويد سوريا" الدولة المجاورة لإسرائيل" بالأسلحة كما ذكر دافيد بن غوريون؛ من أبرز السياسيين الإسرائيليين. ومع ذلك، كانت تحارب إسرائيل على حسابها الخاص إذا لزم الأمر.

وعلى صعيد آخر، فهناك استنتاج محتوم لـ "النظام العالمي"، كما تشير الأمور، بأن الأمم المتحدة لم تتمكن من عرض نظام عام خاص بالأمن الجماعي. حيث يعتبر " إجراء

الأمم المتحدة" بشأن كوريا، والذي يحمل شيء من الحظ من حيث الناحية الإجرائية، حرب جادّة. ولم يكن "إجراء بوليسي" عابرًا. وقد كان هناك مساهمات عسكرية أخرى، ولكنه لم يتم إلقاء مسؤولية ذلك على "العالم"؛ بل على الولايات المتحدة الأمريكية. فقد كان هناك كثير من الشك ما إذا كانت تعتبر الحرب الكورية بمثابة تمهيد أو سابقة دائمة لإجراء الأمم المتحدة القادم. فقد كانت الأمم المتحدة باعتبارها "صوت العالم"، بالنسبة لبعض الأفراد والحكومات أيضا، ما هي إلا واجهة فحسب. حيث كانت تختص الدول الكبرى بشكل رئيسي باتخاذ القرارات والإجراءات الفعالة في مواقف خاصة. حيث حافظ استخدامهم لحق الفيتو معنى الواقعية بشأن ما الذي يمكن أن يحققه " المجتمع الدولي". فإن بقاء حق الفيتو، مع ذلك، لم يعطل إمكانية " العمل الدولي" برمّته. فقد وضع القرار الصادر في نوفمبر 1950 تحت عنوان "الاتحاد من أجل السلام" شرطا للأمين العام بطرح توصيات واقتراحات باتخاذ إجراءات جماعية في حال غياب الوحدة والاتحاد وسط الأعضاء الدائمين.

فهذا هو الإجراء الذي تم اتخاذه ضد بريطانيا وفرنسا عام 1956. وقد اكتسب الأمين العام للأمم المتحدة جاه وعز بشكل أكبر. حيث تولى داغ همرشولد، الاقتصادي السويدي المتبع السياسة النرويجية، " رقيب ضمير العالم" عام 1953. فقد كان يرغب في النهوض بوضع منصبه. إن حقيقة فشل سلفه السابق في كسب دعم وتأييد الاتحاد السوفيتي لإعادة التعيين كانت بمثابة مؤشرًا على أن هناك دائمًا سلطة ما أو أخرى مسئولة عن التحقق من " محايدة" الأمين العام للأمم المتحدة. فقد يكون للأمم المتحدة دور متزايد في "حفظ" السلام بالأحرى من "تعزيزه". لقد أثارت " قواعد الاتفاق" في مثل هذه السياقات قضايا شائكة. فلذلك بينما كان "الواقعيون" يعتبرون الأمم المتحدة ما هى إلا " متجر للمحادثات" فحسب، فقد كان من السهل جدا نبذه واستبعاده. فليس من الممكن أن يسير العالم بدونه.

لقد كان دور الأمم المتحدة في " التطهير" هاما بالفعل ولكن لم تتمكن من السيطرة على الأزمة القائمة. ولقد كان كل من بريطانيا وفرنسا يتصرفون في الأمور بما يناسب

مصلحتهم الخاصة. كما أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية كل منهما على الخضوع والاستسلام. لقد استمرت المنظمة على مرّ السنوات القليلة القادمة في توسيع عضويتها وبالتالي تمثيل نوعية العالم الذي سيبدأ في الظهور. حيث أكملت جمهورية سيراليون، في غرب أفريقيا، المئة أعضاء داخل المنظمة في 1961. وقد كان أغلب دول الأعضاء دول جدد في حد ذاتهم. وعلى الرغم من ذلك كمؤسسة لا يمكنها الوقوف بعيدا وخارج التوترات التي تواجه العالم. فهي ملتزمة بشكل هيكلي بالمشاركة في طرح حلول لتلك التوترات. لم يتمكن مجلس الأمن من ترهيب العالم حيث قد يكون من المحتمل تورّط أي عضو من أعضائه الدائمين في أي خلاف ونزاع كبير. وتم إيجاد هذا الحال في كل من فرنسا، الهند الصينية، السويس وقريبا سوف نراها في هنغاريا. فقد كان هناك بعض الانحرافات والشذوذات. حيث استمرت تايوان، وهي ليست جمهورية شعبية في انشغال المقعد الخاص بـ"الصين". كما أصبح مجلس الأمن غير مقنع بعض الشيء حيث أنه يعتمد على مفهوم المكانة المماثلة لأعضائه الدائمين؛ بريطانيا، فرنسا، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. حيث تم توسيع مجلس الأمن هذا من خلال الاعتراف بدولتين أخرتين غير دائمتين، فلذلك أصبح أكثر شمولًا إلى حد كبير، ولكن سوف يتبين نتيجة اتخاذ تلك الخطوة مستقبلًا.

لقد قامت الجهات والهيئات الدولية الأخرى بجرد البضائع والمخزون. حيث كانت أزمة قناة السويس بمثابة اختبار لارتباط هيئة ما مثل دول الكومنولث (رابطة الشعوب البريطانية) بالأهداف والطموحات الخاصة بها من أجل ربط الشرق بالغرب. فقد كان هناك سعي من جانبها في أوائل الخمسينات بتقديم نفسها كمنظمة فريدة ، لا مثيل لها، في تلك الآونة. حيث قام أعضاءها بإجتياز العالم. كما وضعت قناة السويس مدى تماسك وفائدة تلك المنظمة كأول اختبار جادّ لها. كما تقدّم ردود أفعال أعضائها المنقسمين على نطاق واسع مؤشرات بشأن الطرق والأساليب التي تتحرك بموجبها مختلف البلدان.

وفي أوتاوا قامت الحكومة الكندية بإعطاء أهمية خاصة إلى دور الكومنولث باعتباره " الجسر إلى آسيا" حيث أنها كانت ترغب في حل النزاع القائم من خلال الأمم المتحدة.

ومع ذلك، فقد حمل شرق البحر الأبيض المتوسط أهمية كبرى، معظمها أهمية عاطفية ومعنوية، إلى كل من استراليا ونيوزيلندا. لقد كان يمثل ريتشارد جافن كاسي، وزير خارجية استراليا، في تلك اللحظة منذ اثنا عشر سنة حكومة المملكة المتحدة بالقاهرة. حيث حدث أن ذهب مينزيس، رئيس الوزراء، في بادئ الأمر إلى واشنطن عندما انتهت الأزمة (كما كان هولاند، رئيس وزراء نيوزيلندا في لوس أنجلوس). حيث تشهد مثل هذه الأماكن في حد ذاتها على جاذبية الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد صرّح المتحدث الرسمي لحزب العمال المعارض بنيوزيلندا علانيةً بأنه يرغب في سماع زئير الأسد البريطاني. ولقد تم تجهيز مينزيس، كما هو موضح سابقًا، لإقحام نفسه شخصيًا ومحاباة استراليا مع الوطن الأم.

لقد ظلت ردود الأفعال القديمة، في كلتا الحالتين، قوية على الرغم من اشتمالها على تحدّيات. كما اقترحت الأصوات الانتقادية بأنه إذا كان كل ما يجب على كل من كانبيرا وويلينغتون القيام بالوقوف بجانب لندن؛ لأصبحت وزارات الشؤون الخارجية والوزراء التابعين لهما متكررة وزائدة. ومن المحتمل أن يساهم ذلك أيضا في عدم بقاء قناة السويس حيوية اقتصاديًّا للدول الواقعة على جانب الأرض المقابلة كما كانت تمتلكها الأسطورة لفترة طويلة.

كان لجنوب أفريقيا منظورا آخر منذ أن تولى الحزب الوطني السلطة عام 1948 بقيادة دانيل فرانسوا مالان ومن بعده جوهانس سترايجدوم، الأمر الذي أكد وجهة النظر الأفريكانية القوية. على الرغم من أن فكرة "الكومنولث البريطاني" لم تظهر مرة أخرى إلا أن رد فعل المتحدثين باللغة الإنجليزية بأنه ينبغي على جنوب أفريقيا قطع الاتصال العالق مع "البريطانيين". ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من بقاء كراهية الناطقين باللغة الإنجليزية/ الأفريكانية فقد كان على المواطنين البيض بجنوب أفريقيا أن يقوموا بإغراقهم من أجل الحفاظ على حكم الأقلية. فقد كان هذا الحكم وتنفيذ سياسة الفصل العنصري سببا في جذب البعض خارج نطاق النقد، على الرغم من أنه لازال محدودا إلى الآن. علمت حكومة جنوب أفريقيا ما كان يقال في باندونغ بالإضافة إلى أنها لاحظت في وقت

سابق الانسحاب البريطاني من شبة القارة الهندية. في غرب أفريقيا، قد انسحبت بريطانيا منذ فترة طويلة من القارة الأفريقية. فقد يؤدي هذا الانسحاب إلى وجود ضغط أسيوي وأفريقي من أجل إحداث تغيير داخلي في جنوب أفريقيا نفسها. في مثل هذه الظروف، قد تجد حكومة بريتوريا تراوح في "الرأي العام العالمي" ضدها. إلا أنه لم يحن الوقت للتحدث عن هذه النقطة.

كان هناك أيضا جوانب أفريقية أخرى متعلقة بأزمة السويس حيث أن مشروع ناصر كان له دور في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي. كانت القاهرة بعيدة بالفعل عن طريق رأس الرجاء الصالح إلا أن الخطاب المصري الأفريقي كان يعتبر تهديدا. وبالتالي لم يكن انتصار ناصر موضع ترحيب. أكد حزب المؤتمر الوطني الأفريقي على أن شعب أفريقيا لن يسمح لنفسه أن يتم استخدامه ضد زملائه الأفارقة. من ناحية أخرى، من وجهة نظر حكومة جنوب أفريقيا، فإن اتخاذ أي فعل ضد ناصر الذي كان من الظاهر أنه غير مرحب به دوليا، كان أمر غير مرغوب فيه. كانت جنوب أفريقيا ترفض التدخل في المسائل التي تعتبرها "داخلية". وعلاوة على ذلك، فقد كان هناك على الأقل احتمالية أن "طريق رأس الرجاء الصالح" قد يشكل بصورة دائمة طريقا أكثر أمانا للشحن الدولي بالإضافة إلى الفائدة الاقتصادية العائدة على جنوب أفريقيا. فقد استغلت الحكومة هذه الفرصة الغير متوقعة للتأكيد على مدى أهمية جنوب أفريقيا بالنسبة للغرب فيما يتعلق بالكفاح العالمي ضد الشيوعية حيث أنه كان تحديد الموقع بدوره مأزقا مع بريطانيا.

لم يكن "البريطانيين القدامى" يتوقعون ما حدث من "الكومنولث الجديد" والهند وباكستان وسيلان حيث أنهم يعتبروا "السويس". ومع ذلك، فقد أكد نهرو، بصفته المستخدم الرئيسي للممر المائي، بأن الهند لها مصلحة. فقد كان يسعى للتوصل لنتيجة سلمية وقد يستخدم الدبلوماسية لتحقيق هذه الغاية. أما بالنسبة لباكستان فقد كان لديها إشكالات أكثر حدة حيث أنها قد انضمت إلى حلف بغداد "الغربي" في الآونة الأخيرة وذلك لأنها تخشى الهند أكثر من خوفها من "الغرب". فقد كانت محاولة التقارب مع مصر مع التأكيد على التراث الإسلامي المشترك إلا أنها لم تحرز تقدما يُذكر. فقد كان ناصر

يصف الإسلام بأنه ثالث دائرة بمصر إلا أن النظام لم يكن بالتأكيد متمثلا في رجال الدين وفي عام 1956 تم إغلاق المحاكم الشرعية وبعد ذلك تم اتخاذ خطوات لجعل المؤسسات الإسلامية تحت إشراف ورقابة مباشرة .وتم قمع جماعة الإخوان المسلمين. كانت دعاية عبد الناصر تزدري موقف الحكومة الباكستانية وتحالفاتها. كان لمصر الحق في تأميم شركة قناة السويس كما قال وزير الخارجية إلا أنه لم يتحدث عن إخوانهم في باكستان كما فعل الساسة الباكستانيين الآخرين ووقوفهم إلى جانب الشعب المصري.

فقد تزامنت أزمة السويس مع نتائج الانتخابات العامة في سيلان (سريلانكا) والتي بدأت في تحويل الدولة بعيدا عن التوجه الموالي للغرب الذي التزم به الحزب الوطني المتحد منذ إعلان استقلال سينانياكي حتى وفاته في عام 1952، الأمر الذي حافظ على وجود علاقات وثيقة مع بريطانيا. فقد تسبب السير جون كوتيلوالا ثالث رئيس وزراء في إحداث ضجة في باندونغ ومن ثم فقد حصل على لقب "حمار (بسبب غبائه السياسي)" حيث أنه صرح بأنه ليس كل الاستعمار "غربي". وقد وبخه نهرو الذي كان زميله بالدراسات العليا بجامعة كامبريدج على الرغم من أنه هو نفسه لم يكن سعيدا بالمستعمرة الصينية الحديثة في التبت. لقد أطاحت نتيجة الانتخابات السيلانية بنخبة المتعلمين الأجانب وتحكم "السنهالية الغير كافية" وكما قال معارضيها استيعاب الاحتياجات الغربية (على سبيل المثال القواعد البحرية). ومع ذلك فقد كان أيضا لسليمان باندارانايكا، رئيس الوزراء الجديد وزعيم حزب الحرية بسريلانكا خلفية النخبة وكان خريج جامعة أكسفورد. كانت ملاحظات باندارانايكا فيما يتعلق بأزمة السويس في الحقيقة مقيدة جدا إلا أنه قد حدث تغيير كبير في المستقبل القريب حيث أصبحت اللغة السنهالية هي اللغة الرسمية وتم تقليل اللغة الإنجليزية وتم إنهاء الاتفاقيات مع بريطانيا المتعلقة باستخدام القواعد الجوية والبحرية في الجزيرة واتجهت أنظار العالم نحو "اللا غربية" إن لم تكن "ضد الغربية". فقد حولت عائلات بارزة في وقت مبكر، من كوتلاوا وباندارانايكا، ديانتهم من البوذية إلى المسيحية. في هذه الآونة، كان هناك ميل للعودة إلى المسيحية بحجة أن المسيحية تمثل "الغربية". ومع ذلك، فلم تكن سريلانكا البوذية فقط تضطهد الأقليات

المسيحية والإسلامية ولكنها أيضا زادت من تفاقم مسألة "الوطنية". فهل كانت التاميلية مركزة إقليميا حقا في السريلانكية؟ فقد فسر والد باندارانايكا رأي السنهالية لصالح المحافظين البريطانيين في سيلان. فقد قام إبنه بجلب "سريلانكا" الجديدة إلى حيز الوجود. وبالتالي ومن دواعي السخرية كانت وفاة سليمان بعد مرور ثلاث سنوات على يد راهب بوذي.

و بالتالي فقد كانت ردود الأفعال كما تم تجميعها فيما بعد، توضح السبب في أنها لا يمكن أن تشكل بحد ذاتها عالم قائم بذاته إلا أنها قد تكون جسرا بين الشرق والغرب ولكنه لا يتحمل الحركة المرورية الكثيفة حيث أن أعضائها كانوا يؤكدون على بعض النقاط بشكل خاص. كان نهرو ينتقد الإتحاد السوفيتي الذي كان "إمبريالية استعمارية" في آسيا ، الأمر الذي برمته آثار حفيظته. فقد وافقت فرنسا على التخلي عن ممتلكاتهم الساحلية القليلة في الهند لكن بسبب انزعاجه تمسك البرتغالي بجوا. سيكون ذلك نوعا من المبالغة أن نفترض أن "الدروس" التي حدثت في جميع أنحاء العالم من أزمة قناة السويس كانت واضحة ويتم تطبيقها بسهولة.

**هذه هي دعوة المجر**:

في خلال ذروة قناة السويس، هدد الإتحاد السوفيتي بشن هجوم صاروخي على بريطانيا وفرنسا وعدم وقف إطلاق النار الفوري وانسحاب قواتهم لكن بدا هذا الأمر بالنسبة لأيزنهاور أنه مجرد خدعة. على الرغم من ذلك، فقد أوضح تدخلها في العالم العربي اهتمام الإتحاد السوفيتي المتزايد بمنطقة الشرق الأوسط. تم توقيع معاهدة صداقة مع اليمين الشمالي في عام 1955 وقد تم ذكر اتفاق الأسلحة مع سوريا. كان كلا من الإتحاد السوفيتي ومصر معاديين لحلف بغداد على حد سواء. فعلى ما يبدو أن الإتحاد السوفيتي كان خصما قويا ضد "التدخل الخارجي".

على الرغم من أنها في هذه اللحظة بالذات كانت تتورط في التدخل الخارجي. فقد

عادت الدبابات السوفيتية مرة أخرى إلى بودابست قبل يوم من سقوط الجنود البريطانيين المظليين في بورسعيد. وقد تردد أن المجندين المتورطين من الشرق الأقصى السوفيتي كانوا في مصر. ومع ذلك، فالتزامن بين "السويس" و"المجر" كان أمرا غير عاديا حيث أنه أدى لاحقا إلى المزيد من التكهنات العقيمة حول ما يمكن أن يحدث إذا لم تحدث هاتان الأزمتان في وقت واحد.

كان هناك وعد من إمري ناجي أن تتخذ المجر "مسارا جديدا" مع موافقة الاتحاد السوفيتي باعتباره رئيس الوزراء الجديد في عام 1953. بعد ذلك بعامين بعد الكثير من الاقتتال الحزبي تم عزله من اللجنة المركزية. في شهر يونيه 1956، وبناء على رغبة خروشوف إصلاح العلاقات مع تيتو، تم عزل رئيس الحزب المجري راكوسي الذي كان مكروها على نطاق واسع وحل محله إرنو جيرو إلا أن المُعين الجديد لم يكن يؤمن بأن "التعايش السلمي" ينطوي على الصعيد العالمي وحق التنازل الأيدلوجي محليا. في شهر أكتوبر لعام 1956، تم إسقاط تمثال ضخم لستالين في بودابست وقد أعرب عن تضامنه مع بولندا وفي هذه الآونة طالب المتظاهرون بعودة ناجي ومحاكمة راكوسي وسحب القوات السوفيتية من المجر. في اليوم التالي أصبح "ناجي" رئيسا للوزراء وعاد "كادار" الذي كان أحد ضحايا راكوسي في الماضي، بصفته سكرتير أول. تم سحب القوات السوفيتية من بودابست حيث أنها كانت تتعرض للهجوم. وفي يوم 31 أكتوبر وعد ناجي في برنامج إذاعي أن حكومته الجديدة، التي تتضمن رموز بارزة غير شيوعية، سوف تنهي نظام الحزب الواحد. سوف تظل دولة المجر اشتراكية ولكنها قد تتبع سياسة الحياد الدولي (الذي أراد أن تعترف بها الأمم المتحدة) وسوف تترك البلاد حلف وارسو حيث أنه كان خطوة. قامت موسكو وبعد تردد بإرسال الجيش السوفيتي مرة أخرى إلى بودابست بما يقدر بحوالي 2500 دبابة لسحق جميع المعارضين وتم تحقيق ذلك بعد عدة أسابيع في كل مكان. فتتراوح أرقام القتلى والجرحى حيث تقدر بحوالي 22,000 هنغاري و7000 جندي سوفياتي بين قتيل وجريح وفر ما يقرب من 200,000 هنغاري من البلد وتم القبض على 100,000 و26,000 صدر بحقهم أحكام بالسجن. وتم إصدار أحكام وإعدام 3000 فردا

بل وبعد عامين تم تنفيذ إعدام ناجي نفسه. انتهت الثورة المجرية وتم حفظ "الكتلة السوفيتية".

فقد أرسلت حملة "هذا هو نداء المجر" صرخة يائسة عبر الراديو لطلب المساعدة من "الغرب" عام 1956 إلا أن إجابة دعوتها لم تكن وشيكة على الحدوث. لم يتم إرسال أي أسلحة أو إمدادات للمناضلين من أجل الحصول على حرية المجر.لم يرغب الشيوعيون في بلدان أوروبا الغربية في أن يشار إليهم "بالمناضلين من أجل الحرية" ولكن انسحب بعض منهم من الحزب تعبيرا عن رفضه. لقد أعرب ايزنهاور عن غضبه وتعاطفه إلا أنه لن يخاطر بالدخول في مواجهة عسكرية مباشرة. كان التحدث عن أي "تحرير" لأوربا الشرقية السوفيتية بمثابة صوت أجوف. لذا ففي أي انتفاضه في المستقبل لن يقود فرسان الولايات المتحدة الأمور لإنقاذها. كان المراقبون الساخرون يعتبرون الأحداث في بودابست أمرا خياليا غير قابل للتطبيق لكن مألها بالضرورة إلى ثورة مجرية. على الرغم من ذلك، تصدرت بلدة صغيرة، الموصوفة لغويا بأنها في قلب أوروبا الوسطى، عناوين الصحف العالمية حيث أن التعامل معها له تأثيرات إلى أبعد الحدود تماما كما وصل مصيرها إلى ما هو أبعد من ذلك. كان تقسيم أوروبا واضحا جدا في أعقاب ذلك حيث أن توطيد علاقاتها مع الغرب والشرق بدأ يحقق تقدما.

## روما: قضايا المجتمع الأوروبي

في شهر مارس لعام 1957، قامت ست دول" بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا، فرنسا، إيطاليا، وألمانيا الاتحادية" بتوقيع معاهدة روما التي أنشأت الجماعة الاقتصادية الأوروبية. قد تم تقديم الجماعة الأوروبية للفحم والصلب على نطاق واسع التى تم أسست منذ عام 1950. احتفظت اثنان من هذه الدول، بلجيكا وفرنسا، في هذه المرحلة بالمستعمرات الكبرى في أفريقيا. تحدثت مقدمة المعاهدة عن سعي الموقعين لتكوين "إتحاد أوثق من أي وقت مضى" لكنها لم توضح ما الذي سوف يترتب على ذلك. فقد كان هناك بالفعل علاقة مشتركة بين ثلاث دول صغيرة وهي ما تسمى "دول البنلوكس" أما فيما يتعلق بالدول الكبرى فقد كانت الأمور أكثر تعقيدا لديها. وفي أعقاب كلا الأزمتين عام 1956، كان

هناك حالة من عدم اليقين فيما يتعلق بمستقبل "أوروبا". لم يكن هناك مسار خطي بسيط من "إهانة السويس" أو رد فعل صارخ من المجر حول "المسار الجديد" لأوروبا الغربية إلا طرح بعض الأسئلة الرئيسية.

كانت العلاقة البريطانية- الفرنسية حرجة في هذه المرحلة وقد كان لدى "السويس" عملية مشتركة خاصة بها. فقد تصرفت كلتا الحكومتان وفقا لما يعتقدان أنها مصالح وطنية مشتركة حيث أن كلا منهما كان مشتركا في الشرق المتوسط. لعل الوقت قد حان لعمل محاولة أخرى لاستخدام التعبير الرسمي المحدد الخاص ب "الوحدة الوطنية" بينهم. قد تقدم موليه، رئيس الوزراء الفرنسي، في سبتمبر لعام 1956 باقتراح للإتحاد الفرنسي البريطاني. كانت وزارة الخارجية البريطانية، بحصافتها وترويها، تعتقد أن هذا الاتحاد قد يلقى معارضة شعبية وصعوبة لتنفيذ العمل. الأمر الذي قد يؤدي إلى انزعاج الأمريكان والكومنولث والألمان والدول الاسكندنافية ودول البنلوكس- أو كما كان من المفترض إلا أنه لم يحدث شيء وبعد إنشاء قناة السويس لم يتم إحياء هذه الفكرة مرة أخرى. وبالتالي، لم تؤدي العمليات المشتركة في مصر إلى اتفاق القوتين العظمتين في أوروبا الغربية للعمل معا بالبنية السياسية والاقتصادية الخاصة بنصف القارة الخاصة بهم وبدلا عن ذلك مضت أوروبا الغربية قدما من تلقاء نفسها.

فقد كانت الجماعة الاقتصادية بالتأكيد أكثر من منطقة للتجارة الحرة لكن كانت نشأتها أكثر من ذلك بكثير حيث أنها لم تلبي التطلعات الفيدرالية. فقد كانت حكومات الدول الأعضاء منتخبة من قبل جمهور وطني. فمن وجهة نظر فردية كانت لهذه الدول الستة الجديدة "أوروبا" شأنا ذو حد أدنى إلا أنه قد يكون لها تيارات أعمق في العمل. قامت معاهدة روما بتكوين لجنة ومجلس وزراء ومحكمة عدل وبرلمان أوروبي ولجنة اقتصادية واجتماعية. كانت قرارات المجلس في البداية يتم اتخاذها عن طريق الإجماع ولكن كان هناك توقع بأن التصويت بالأغلبية سيأتي في وقت لاحق. كانت مهمة اللجنة هي تقديم توصيات ولم تكن بحد ذاتها هيئة تنفيذية. وبطبيعة الحال كان هناك بعض التعريفات المتعلقة بوظائفهم وطرق العمل ترافق إنشاء جميع هذه الهيئات لكن لم يكن من

الممكن تحديد هذه التعريفات والصلاحيات تماما على وجه الدقة. كانت الأمور تتطور فلم يكن ذلك فقط حدثا ولكن عملية إلا أنه لم يكن هناك مثل ممتاز يمكن الاقتداء به. إلا أن هناك أمرا لم يكن واضحا وهو كم المدخلات السياسية اللازمة لتكوين جمعية اقتصادية. فقد تم عقد الصفقات من أجل تكوين جماعة اقتصادية في المقام الأول وسوف تستمر حتما. لم تظهر سياسة وثيقة الجمعية إلا بعد مناقشة مطولة والتوصل لتسوية في نهاية المطاف. فقد كان المتحمسين "للتكامل" الأوروبي يبحثون عن "روح المجتمع" التي من شأنها أن تتجاوز المساومات الوطنية.

كان المتشككون يخشون الزخم الوظيفي الذي أثبت أنه لا يمكن إيقافه. ومن جانب آخر، قد يتم منح صلاحيات للدول من أجل السعي "للإتحاد". فلا أحد يعرف ما الذي سيبدو عليه المجتمع الاقتصادي في غضون عشر سنوات إلا أن إنشائها والدول المشاركة فيها التي كانت في الآونة الأخيرة في حالة حرب مع بعضها البعض كانت وبلا شك إنجازا سياسيا. ومع ذلك فلم تكن هذه الجمعية أوروبا ولا حتى أوروبا الغربية بالإضافة إلى أنها لا تشمل بريطانيا.

فقد كانت الجمعية الاقتصادية التي أصبحت أكثر عمقا واتساعا في أوروبا في فترة ما بعد الإمبراطورية تتطلب بالتأكيد رؤية جديدة لأوروبا حيث أنه قد ينتج عن الحكومات والخدمات المدنية بعض الترتيبات العالمية التي تجنبت القضايا الشائكة المتعلقة "بالسيادة"، لكن ليس لأجل غير مسمى. كان العديد من الأكاديميين في جميع أنحاء أوروبا الغربية يعبرون عن كراهيتهم للتاريخ القومي بل كراهية القومية نفسها. فقد كانت القومية التي دمرت الإمبراطورية جديرة بالثناء لكن بدا الأمر على خلاف ذلك فلم يكن هناك إلا القليل مما يستحق الثناء عليه فقد كان اختراعا أوروبيا وعلى أوروبا أن تتحرر منه الآن. مع ذلك فلم تكن فكرة متعلقة بفرنسا قوية فقط في قصر ديغول الإليزية. فقد كان من المتوقع وجود تهديد لفكرة الأمة في ألمانيا الاتحادية وهو الأمر الذي كان مطلوبا بالفعل لكن هل كانت فكرة وجود أمة في الحقيقة فكرة شريرة؟ على الرغم من البنلوكس، لم تفقد الدول المشاركة فرديتها. فقد أعاد توقيع المعاهدة عام 1957 في روما الذكرى

الإمبراطورية الرومانية الموحدة القديمة ولكن بالفعل أمرا جديدا. كانت صلة روما بالفاتيكان أيضا نداء للأحزاب الحاكمة في ذلك الوقت حيث أن الجمعية الاقتصادية قد ظهرت في بلدان أوروبا المسيحية إلا أن العلمانيين من مختلف الأشكال وتفاوت تشددهم قد رفضوا أي وصف لأوروبا بأنها مسيحية. فقد تم استبعاد الدين تماما من الرأي العام في أوروبا الجديدة. كانت الرسالة الكلية وباختصار مختلطة. فقد كانت أوروبا قابعة في قطار غير واضح التوجه النهائي له وأصبح عدم اليقين بشأن الأدوار داخل العالم الحر أكثر وضوحا في الفصل التالي. فقد تجمعت العقد السوفيتية معا ولكن الصدمات جاءت في الإتحاد السوفيتي نفسه.

## موسكو: إسقاط الستالينية والحفاظ على الإتحاد السوفيتي؟

استمر الصراع على السلطة في الكرملين بعد وفاة ستالين في عام 1953 لبضع سنوات. تم الإطاحة بجيورجي كالينكوف (الذي ولد عام 1903) من رئاسة الوزراء عام 1955 وذلك بعد فشله في "حل" مشاكل الزراعة والتصنيع (على الرغم من أنه لا يزال في مجلس السوفيات الأعلى). يعد أكثر شيء مثير للاهتمام في الإطاحة به هو وجهة نظرة المثيرة للفتنة بأن الحرب العالمية بين القوى العظمى كان من شأنه أن يدمر حضارة العالم. وبالتالي كان إتباع "شيوعية العالم" محفوفا بالمخاطر إلى حد ما، فكان من الأفضل بساطة التركيز على عالم الإتحاد السوفيتي الذي من الممكن أن يهيمن. ومع ذلك، فالمقارنة بين منطقة الهيمنة السوفيتية وانتشار الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوروبيين حول العالم كانت لا تزال متواضعة نسبيا. باختصار، لم يكن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي قوى عالمية بنفس الطريقة. كان خروتشوف (الذي ولد عام 1894)، مجرب المعادن، سكرتير الحزب في زمن الحرب في أوكرانيا في الصدارة وكذلك شغل العديد من الأدوار الأخرى حيث أنه كان يدافع عن العقيدة الاشتراكية. فعلى ما يبدوا أننا سوف ننسى ماركس وإنجلز ولينين إذا تعلم الجمبري كيف يصدر صفيرا. ومع ذلك، كان هناك تحول في الاتجاه. فعوضا عن الاشتراكية السوفيتية، كان لابد من انتقاد ستالين.

فقد سمع المندوبين في جلسة خاصة مغلقة للمؤتمر العشرين للحزب في شهر فبراير

لعام 1956 أخبار "صادمة" بأن ستالين لم يكن يتخذ قراراته من خلال الإقناع والشرح والتعاون في تعامله مع الناس. فقد أدي "الهوس بقوة الشخصية" إلى العديد من الانحرافات الخطيرة عن مبادئ الحزب وبالتالي كان لابد من العودة إلى "الشرعية الاشتراكية". فوفقا للمستمعين كان النظام سليما والمسئولية عن تحديد الانحراف بصورة مرضية. لم يكن هناك اعتراف بأن عدد الأشخاص الذين قتلوا أو سجنوا يتجاوز الملايين. لم يتم نشر الخطاب إلا أن محتواه تم تسريبه داخل وخارج الاتحاد السوفيتي وأصبح بعد وقت قصير في يد وكالة الاستخبارات المركزية.

فقد وصل صدى أهمية الخطاب المذكور في "الجلسة السرية" في أواسط شرق أوروبا. وفي وقت سابق في شهر يونيو لعام 1955، قام خروتشوف بالاعتذار لتيتو في يوغوسلافيا وتحدث عن الاحترام المتبادل وعدم التدخل الذي من شأنه أن يميز السياسة السوفيتية وربما كان هناك مسارات مختلفة للاشتراكية. ومع ذلك في شهر أكتوبر لعام 1956، وصل خروتشوف غاضبا إلى وراسو في زيارة لم يعلن عنها مسبقا لمواجهة غومولكا فلاديسلاف سكرتير أول الحزب المنتخب. تم إحداث اضطرابات في بولندا لعدة أشهر بل منذ وفاة ستالين. قام عمال بوزنان بإحداث أعمال شغب في يونيو حاملين رايات الخبز والحرية وعودة الروس إلى ديارهم. كان لغومولكا مسيرة متقلبة داخل الحزب بما في ذلك فترة داخل السجن. في هذه اللحظة، عادت مرة أخرى الشيوعية الوطنية. وبصورة رمزية، فقد حان الوقت للمدينة الصناعية كاتوفيتشي التخلي عن اسم ستالينغراد. كان على الجيش السوفياتي التوقف عن التدخل حيث كان له أسطول في بحر البلطيق لكن خروشوف، الذي كان ينتقد الستالينية،قام بالكاد بعزل غومولكا الذي كان ناقدا آخر. كان على خروتشوف أن يتعامل مع سكرتير الحزب الذي لم يتم التأكد من تعيينه. لم يكن هذا الأمر هو الأخير فيما يتعلق "بخصوصيات" بولندية من أجل التصالح. عاد المشير روكوسوفكي، وزير الدفاع البولندي، إلى الإتحاد السوفيتي. تم إطلاق سراح الكاردينال Wyszynski، رئيس الأساقفة الكاثوليك، من الإقامة الجبرية وبدأت بعض المحاولات في تسوية الأمور مع الكنيسة الكاثوليكية. وعلى الرغم من أن النتيجة كانت لا تزال غير واضحة فإنها كانت تشكل إلى حد ما بداية جديدة. بالإضافة إلى أن "العالم الشيوعي" في

أوروبا الشرقية أصبح متلونا لكن قد لا يكون هناك أي شك في عدم التكامل. فلا يمكن لأحد أن يشك في أن غومولكا كان شيوعيا وفي الحقيقة لم يكن "الطريق البولندي" خاص بشكل كبير. ولا يزال حلف وارسو سليما.

قد تكون تداعيات الخطاب داخل الإتحاد السوفيتي معتبرة وهامة في الوقت المناسب على الرغم من أن خروتشوف لم يكن لديه حرية التعبير. فقد تخلى عن الرأي القائل بأن العام كان يشهد صراعا بين نظامين قد تنتصر فيه الاشتراكية حيث عادت مرة أخرى إلى نقاء لينيني فكان لابد أن تكون هذه المنافسة سليمة كمبدأ وليس كتكتيك أو موافقة مترددة في الواقع حيث أنه لم يكن هناك مفر من الحرب. فقد ساعد وجود قوات جديدة في أفريقيا وآسيا على إعطاء وقفة للإمبرياليين. وبالتالي، فقد حان الوقت للإتحاد السوفيتي أن يخطط لنفسه على مستوى العالم بشكل جديد مثل بناء مصنع صلب في الهند. وفي واقع الأمر فإن الإتحاد السوفيتي في النهاية تدخل لدعم بناء سد أسوان حيث أن ذلك يعد نوعا من توسيع نفوذه. وقد حان الوقت للفريق الكبير السفر حول العالم وتتويجه بالزهور.

قام كل من خروتشوف وبلجانين بزيارة إلى بريطانيا في ابريل لعام 1956 وقد سبقهما مالينكوف قبل بضعة شهور وكان يرتب على رؤوس الأطفال. وبالتالي، وجد خروتشوف نفسه طرفا متلقيا لوابل من الانتقادات- "المزاح الظريف"- من قادة حزب العمل البريطاني في جلسة سرية وأجاب عن ذلك بخطبة عصماء غير مُعدة من تلقاء نفسه. أعرب قادة الإتحاد السوفيتي عن عدم تأثرهم "بأسلوب الحياة الغربي" حتى بعد زيارة جامعة أكسفورد وحتى بعد اكتشاف غطاس بريطاني يتفقد معدات السونار الخاصة بالطراد السوفياتي التي رست على بورتسمورث لم يحسن ذلك من الجو المحيط. كان هذا الحادث بمثابة تذكرة الذي تورطت به دول "تحت السطح" أو كما كان الحال في طائرات التجسس الأمريكية (يو-2) التي كانت موجودة في هذا الوقت في الجو. فقد بدا من الواضح أن العداوات القديمة بين الدول المتعارضة كان لا يزال موجودا بكثرة. ومع ذلك، فقد أفترض البعض أن نقطة التقاطع العالمية القادمة سوف تكون خارج حدود منطقة البحر الكاريبي.

# 10

# مواجهات عبر القارات بين كاسترو، كنيدي، وخروتشوف

شهد العالم كوارث متشابكة في خلال فترة الستينيات من القرن البائد حيث تورطت القوتان العظمتان والتي كان يقود إحداهما شاب صغير السن والأخر عجوز محنَّك: جاك كنيدي ونيكيتا خروشيف. هما "نمران شابان" كلاهما يختبر قدراته الجديدة. وانتقل المشهد الدبلوماسي إلى حيث لم يكن مسبقًا بين هافانا وواشنطن/ بون، وبرلين، وموسكو.

كانا يتمتعان بالخبرة ولكن أعجزهما إلى حدٍ كبير موقف المتفرج الذي اتخذه كلٍ من شارل دي جول وهارلود ماكميلان وكان هذا حال العالم كما هو الآن.

## الصدام الكوبي: كاسترو وكيندي

كاسترو (ولد عام 1927) دخل مدينة هافانا عاصمة كوبا في يناير من عام 1959. وفر فلجنشيو باتستا الذي حكم الجزيرة لعقود في النهاية إلى البرتغال وأسبانيا. كما اتهم جون كينيدي في أثناء حملته الانتخابية في أمريكا عام 1960 باتستا الذي تتلمذ منذ زمن طويل على يد الكويكرز الأمريكان، بتهمة قتل بضعة وعشرون ألف من الكوبيين في مدة سبع سنوات ففي فترة ولايته المضطربة أصبحت كوبا دولة عسكرية بالكامل. أما عن باتيستا فلم يكن رحيله حدثًا يهز العالم.

انحدر كاسترو من أصول جبلية حيث استقرت جماعته منذ سنوات عديدة وقد تحول لتصبح عملياتهم مستقيمة وكان هناك اقتراح مبدأي أن تعبر رسالة كوبا القارات، ولم تكن الولايات المتحدة ببعيدة بل قريبة جدًا حيث يبعد ساحل فلوريدا بحوالي 90 ميل. واستعان بخليج جوانتانمو كقاعدة حربية عام 1903، ومنذ ذلك الحين اعتبر ملكية مهيمنة لازالت كائنة في الكاريبي. ولم تكن فكرة هروب كوبا من الالتحام بالولايات المتحدة الأمريكية حاضرة بالأذهان رغم أن التنسيق كان ممكنًا. وفي حقيقة الأمر كانت المبادرة المبدئية لشاب من الطبقة الوسطى دارس لليسوعية ويُسمى كاسترو واستلم فيدل من الصحافة معامله النجم وأعلنها في زيارته للولايات المتحدة الأمريكية عام 1959، وعندما قابلة الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، نكسون أعتقد انه ساذج من الناحية السياسية. بيد أنه لم يكن يعتقد أن كاسترو شيوعيًا على الرغم من سهولة التلاعب به من قبلهم.

وإذا كان هناك فترة يطلق عليها شعر عسل فهي فترة قصيرة، حيث كان ايزنهاور يفكر بحذر في السماح لنيكسون بمقابلة كاسترو ، فقد كان جليًا بالفعل أن النظام الجديد قد يؤذي مصالح أمريكا. كانت الصور التقليدية ظاهرة من الناحيتين. رفض وجود "يانكيدوك" النابع من قلب النظام ولذا كان الوقت المناسب للتحرك سريعًا لمصادرة الأراضي الخاصة، والتي كان بعضها ينتمي للولايات المتحدة الأمريكية، مقابل تعويض ضئيل.

كانت المحاكمات وأحكام الإعدام بداية البرنامج الشامل والموجة بحسم للمركز والذي يمكن أن يصنع مواطن ومواطنة يحملون الجنسية الكوبية ويحررون الجزيرة من فكرة كونها مستعمرة، ذلك المعتقد الموروث. غير أن البرلمانات لم تجلب سوى الفساد والتأخر ولم يكن كاسترو بحاجة إليهم بل كل ما كان يحتاجه هو خطة التنمية ولذا استعان بشخصيته الجذابة حتى النهاية، وطبيعة الدقة في عقيدته في هذه المرحلة بالإضافة إلى أنه رجل يساري ومن الصعب إسقاطه. بيد أن رسالته كانت مختلطة مثل الشعب الكوبي ويتخللها إيقاع موسيقي، أساسا من العالم الأسباني والأفريقي، وعلى سبيل المثال كان

الرئيس السابق باتيستا يبدو منحدرًا من أصول أوروبية، وأفريقية، وصينية والهنود الحُمر. وفي هذه المرحلة كان ثلاثة أرباع الكوبيين من البيض أما الباقي فكانوا تقريبًا مناصفة بين السود وذوي العرق المختلط. بيد أن الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ظلت لفترة طويلة ميزه حتى أصبحت الآن تحدث بصورة متزايدة غالبًا من البيض ورجال الأعمال والمهن من الصفوة، حيث دعمتها الثورة وقضت على أي معارضة لها. وادعى الكوبيون المنفيون أن الثورة لم تكن شعبية ولا يمكن الإطاحة بها بنفس السهولة التي أنجزت بها حيث لم يكن هناك تقصير من السياسيين الكوبيين في فلوريدا واللذين كانوا يعدون أنفسهم للحكم. وكان من المتوقع أن يلجأ كاسترو إلى الدعم من قارة أخرى.

وفي فبراير عام 1960 أجريت اتفاقية تجارية مع الاتحاد السوفيتي تضمنت البترول الروسي، بينما رفضت معامل تكرير البترول الخاصة بكل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة بكوبا تكرير هذا البترول، بل أُخِذ لصالحهم.

استدعى، تشي جيفارا، القائد العسكري لكاسترو والمنحدر من أصول أرجنتينية ليقرع طبول الدعم. وجاءت في مايو عام 1960 اتفاقية سياسية بين كاسترو والاتحاد السوفيتي، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية ارتكبت خطأ بارتياحها تجاه هذا الاتفاق اعتقادًا منها أن الخطوة لن تحظى بشعبية كوبية. ولكن العكس هو ما حدث ونجا النظام، وهو ما يعني أن "الجوار" قد أُعلِن دولة ضمن الاتحاد السوفيتي. وعانق نيكيتا خروتشوف كاستروا عناقًا شديدًا داخل المجلس البرلماني البريطاني في سبتمبر عام 1960،وهو ليس بالأمر الهين. وبدأ الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له في شراء محاصيل السكر الكوبي، بينما توقفت أمريكا عن أخذ حصتها المعتادة. كما بارك وجود جيفارا العظيم في موسكو في الاحتفال الثانوي بالثورة البولشوفية، وبدأت القوات السوفيتية بالوصول إلى كوبا وانهزمت الامبريالية في العالم الثالث.

وجاء جون كنيدي، ولد عام 1917، أصغر مرشح رئاسي للولايات المتحدة على الإطلاق، وكان هو الأقرب للفوز بالانتخابات الرئاسية وأقسم للمنصب عام 1961. وعلى الرُغم من ذلك كان كاسترو يكبره بعشر سنوات. كما كان هذا الشباب جزءً من

رسالة كل منهم إلى عالمة الخاص فقد خدم كنيدي في الحرب ببسالة وخدم على الطوربيد في جنوب الباسيفيكي إن لم تكن رتبته عالية. وكان كاثوليكي، وكان يوماً عاطفيًا تجاه الايرلنديين القدامى، قضى فترته في لندن عام 1939 كسكرتير لأبيه. سفير الولايات المتحدة (شخص منعزل وهادئ)، جعل منه عاشقًا لإنجلترا. كما زار كنيدي في هذه الفترة كلا من موسكو وبرلين. كان نتاج 23 عام.

نشركنيدي في بداية عام 1940 كتابًا قصيرًا وحظي بمساعدة بسيطة من صديق، يرمي فيه إلى شرح أسباب ركود انجلترا، وكان قد فكر كثيرًا بشأن الديمقراطية والديكتاتورية بيد أن الأب كان يؤمن بأن الولايات المتحدة لا يجب أن تخوض حربًا إلا إذا هُجمت، بينما آمن الابن بسهولة هذا المعتقد. ومع مرور عقدين منذ بيرل هاربور ساد الإحساس باحتمالية ركود أمريكا مرة أخرى.

تحدث كنيدي عن "حدود جديدة" وأعلن أن الاختيار في الانتخابات ليس بين رجلين أو حزبين بل هو بين نهضة الوطن وركود الوطن. وكانت لهذه الكلمات صدا بين التحدي والمسؤولية في تاريخ الحضارات صاغها المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي ثم أصبحت شائعة في الولايات المتحدة الأمريكية. وخيم على الدولة شعور بأن ظروف ما قبل الحرب حيث نجحت أمريكا في عرض نفسها قد تغيرت. وفي لندن عام 1939 أصبحت بريطانيا أضعف من نظرة مقترحة لها على الخريطة، أما واشنطن عام 1961 إمبراطورية العالم الأمريكي قد لا تكون هادئة كما بدت. اكتملت الانتخابات الرئاسية بالخارج واحتلت كوبا مكانة عالية.

كانت لهجة كنيدي الحادة بشأن نظام باتيستا قد ظهرت واضحة،غير أن استبدال هذا النظام لم يكن "كوبا الديمقراطية" بحسب فهم كنيدي للديمقراطية. بل سمح لنفسه أن يقتنع برأي الاستخبارات الأمريكية بأن اقتحام كوبا بقوة صغيرة من المستبعدين الكوبيين مع دعم من الطيارين الكوبيين يلقون بقنابل أمريكية سيؤدي إلى انقلاب على حكم كاسترو. وكانت هذه القوة بمثابة يد مساعدة إلا أن لاعتداء الذي وقع على غزو خليج الخنازير في أبريل من عام 1961 كان فاشلًا. ولم يكن أمام كنيدي خيارًا سوى الاعتراف

بمسؤوليته المباشرة. ولم يكن الأمر يحتاج إقناع من قبل الخبراء لكسب الدعم. بيد أن قوات كاسترو قد تعاملت مع الغزو بكفاءة، ولم تكتمل مهمة الإدارة الجديدة وظهرت قوة عظيمة متخاذلة. وفي عيون شعب أمريكا اللاتينية أثبتت الحملة أن الولايات المتحدة لا يمكنها التخلي عن عاداتها القديمة، حيث أُهين الرئيس شخصيًا. وفي الحال أعلن كاسترو كوبا بوصفها دولة اشتراكية ، كان من المتوقع أن تتدفق الانتخابات إلا أن سادت بعض الاضطرابات العلاقة بين مؤيدي كاسترو والجماعات القديمة داخل كوبا والتي لم تختفي تمامًا. وليس هذا فحسب بل كان أسلوب كاسترو في القيادة لم يفي بتوقعات الكريملين أبدًا. وعلى الرُغم من ذلك كانت الشراكة مع موسكو واضحة ، وبالطبع كان لهذا كله دلالته الدولية أكثر من كونه نصرًا محليًا حققه دايفيد أمام جوليث. وهنا كانت تكمن مشكلة برلين.

## برلين تحت مراقبة خروشوف وكنيدي

كان ذلك في فينا قلب أوروبا القديمة وفي يونيه عام 1961 عندما عقد كنيدي وخروشوف اجتماعهما الأول. وكانت القوى الأوربية قبل قرن ونصف قد حددت هيكلة القارة، بحيث أصبحت فينا مكانًا مناسبًا للقاءات الخاصة ببناء العالم . سافر كنيدي وزوجته الفرنسية إلى باريس أولًا حيث جاءت المأدبة الفرنسية المتألقة في قصر فرساي لتذكر الأمريكيين بالحضارة الفرنسية، حيث كان الرئيس شارل دي جول مجاملًا لكنه التزم بحفظ مكانة فرنسا بين دول العالم. وكان يرى أن روسيا تخادع برلين. وجاءت المواجهات عبر القارات بين : كاسترو، كنيدي، وخروشوف

"للتعرف عليك" بدا وكأنه المطلب اليومي في ذلك العام. ففي عام 1959 كان نيكسون في موسكو وقضى خرشوف عشرة أيام في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قضى الأخير رحلة عائلية ولا يمكن الحسم بأن الرجل قد فهم العالم الآخر فهمًا عميقًا مناسبًا لهذه المواقف. وعلى الرغم من ذلك كانت الصورة التي يقدمها رجال الدولة تهم بشدة الرأي العام العالمي. وكان كنيدي واثقًا في شخصيته حتى أنه لم يكن بحاجة إلى أن يحمل أي أوروبي حقائبه في مواجهة منه لموسكو. كما تأكد في اجتماع قمة من هذا النوع أن

العالم حقًا ثنائي القطبين.

وجد الرئيس أن مستوى الحوار الروسي كان مستفزًا استفزازًا مباشرًا، لم يكن هناك التقاء موضوعي للعقول في أي من الموضوعات التي نوقشت. حيث وضع خورتشوف شروطًا وعلى الاتحاد السوفيتي إمضاء اتفاقية سلام منفصلة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية التي ستتحكم بدورها في الدخول إلى برلين، في حال عدم وجود اتفاقية سلام بين الولايتان الألمانيتان بحلول نهاية العام. بيد أنه ظل ولأعوام عديدة يسعى لإنهاء احتلال الأربعة قوى لمدينة برلين، ثم جاءت الضربة للشاب لتكون بمثابة الضربة القوية وإن كانت غير مميتة وهي انضمام كوبا وبرلين. وسخر خوروتشوف من أمر كوبا، وعلم كنيدي أن خروتشوف قد انتصر عليه ويجب أن يظهر بعض القوة ولكن كيف وأين؟ قد يكون وصول أمريكي إلى سطح القمر إشارة لحيوية أمريكية. واستدعى كنيدي ماكميلان إلى منزله وكانت النصيحة أن يرد على الاتحاد السوفيتي بحذر. وما لبث أن تلقى السفير البريطاني في موسكو تحذيرًا من خروتشوف بضربة نووية إذا ما حاول الغرب شق طريقه بقوة نحو برلين.

بيد أن كنيدي توصل لنتيجة ما، في خطاب إعلامي وجهه في 27 يوليو عام 1961 أعلن كنيدي أن لقوى الغرب الحق في التواجد داخل المدينة وأكد على ضرورة حرية الحكم وحرية مواطنيها. وكان مرامه برلين الغربية. وجرى التوصل إلى نتيجة في 27 من يوليو عام 1961 أعلن كنيدي في خطاب مذاع مكررًا أحقية تواجد قوى الغرب في المدينة، وشدد على ضرورة حرية الولوج ومن ثَم حرية مواطنيها، ولم يكن المقصد إلا برلين الغربية. وقابلت القيادة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية الأمر بزيادة عدد المواطنين الزاحفين إلى الغرب رغبة منه في قطع طريق الهروب. ومازال خروتشوف آملًا في إقصاء قوى الغرب وعلى الرغم من ذلك لم يبدي أي رد فعل. وفي منتصف شهر أغسطس وبكل سرية ومهارة نصب حاجز من الأسلاك الشائكة، وسرعان ما ظهر جليًا أن القوى الغربية لن تتدخل حيث صنع الحاجز بمتانة. حيث سنح حاجز برلين "المصنوع لتأمين السلام" شعب ألمانيا الغربية، وهؤلاء الألمان اللذين حاولوا عبوره في المستقبل خاطروا بحياتهم.

وتصرف شعب ألمانيا الغربية بمشهد يملؤه العجز (منعت ذكريات أحداث عام 1953 أي رد فعل مثير)

أما أدينور العجوز الذي التزم الصمت بعد انتهاء معركة حملته الانتخابية، ردد بعض الألمان بكثافة أنه لم يذهب إلى برلين الغربية لمدة عشرة أيام حتى انتهى بناء الحاجز الشائك. وأشتد الموقف تأزمًا.

وجاءت عودة لوسيوس دوبنيون كلاي والمعروف عالميًا بوصفة الجنرال الأمريكي الذي أنقذ المدينة عام 1948 بمثابة تعقيدًا للعبة القط والفأر والتي ولدت نتيجة لتصاعد الموقف في الشهور المتعاقبة حيث أصرت قوى الغرب تحت قيادة أمريكية على دخولهم برلين الغربية وعلى التعامل فقط مع الروسيين في تنفيذ هذا الأمر، بينما قيادة ألمانيا الديمقراطية وعاصمتها في ذلك الوقت برلين الغربية سعت باستمرار لتفويض الأربع قوى المسيطرين على المدينة . وكانت نقطة تفتيش شارلي وهي نقطة العبور دائمًا متصدرة عناوين الصحافة. وفي أكتوبر عندما واجهت دبابات الولايات المتحدة الأمريكية تلك الخاصة بالاتحاد السوفيتي بالذخيرة الحية بدا الوصول لمرحلة كشف الأوراق بل ظهر وكأن الأمر قد انتهى.

"القنوات الخلفية" لا جديد في المشهد. مازال الحاجز قائمًا بل وأصبح دليلًا واضحًا على تقسيم أوروبا. بل إنه حدد النهاية وأصبحت الجهود المبذولة لتحقيق وحدة ألمانيا جهودًا متقطعة. أما الجمهورية الفيدرالية فقد أصبحت راسخة تمامًا في الغرب.

ولم ينجح وزير الخارجية القادم جيرهارد شرودر، الذي اتخذ خطوات تجاه التعاون الأطلسي وفضل دخول بريطانيا ضمن المجموعة الاقتصادية الأوروبية، في تحقيق معادلة بين التثبيت والتبعية بالقدر الذي حققه شارل دي جول. كما لم يلق نفس الدلالة الأوروبية في المعاهدة الفرنسية الألمانية في يناير 1963 كما فعلت باريس، بينما اتخذت جمهورية ألمانيا الديمقراطية من جانبها خطوات حيوية لبناء هويتها الخاصة. وتحت حماية "الجدار الواقي ضد الفاشية"، ومع التحكم الحازم لقوات العمل التي لا يمكنها الهرب تمكنت من خلق مجتمع اشتراكي. وطبقا لشروط الدعاية العالمية لم تكن الاشتراكية المعتمدة على وجود

سجن لإظهار طوحها أمرًا مقبولًا، ولم تفشل الولايات المتحدة في إظهار هذا الأمر، ومع ذلك، في عام 1962 وعلى الرغم من عدم إعلان هذا للعامة إلى أن الجدار كان حلًا للقوتان العُظمتان، سواء كان مؤقتًا أو دائمًا، لمشكلة شائكة بل وخطيرة في بعض الأحيان. وربما تمنى خروتشوف الثناء على القوى الغربية بعيدا عن برلين في بعض المراحل (ربما في خاطره عند صياغة سياسته تجاه كوبا).

## كوبا: تومض على حافة الأزمة

وفي هذه الأثناء استمرت الولايات المتحدة الأمريكية في الضغط على هافانا من خلال الأزمة المتفاقمة في برلين. وفي خلال السنوات القليلة التالية بقي هناك تماثلًا محددًا بين الأوضاع في كل من كوبا وبرلين، حيث تعلقت أقدارهما بوصفها "حالة اختبار" في الصراع العالمي الذي أخذ يتفاقم. بيد أن الشيوعية الكوبية ظلت كما كانت دائمًا دخيلًا غريبًا على "العالم الأمريكي"، أما تواجد القوى الغربية في برلين فكان تدخلًا غريبًا في "نص الكرة السوفيتي". وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على إقناع مؤسسات الدولة الأمريكية على استبعاد كوبا من عضويتها في فبراير 1962، ومن ثَم تنفيذ الحظر الاقتصادي ولم يكن أمر المناورات البرمائية الأمريكية الذي وقعت في منطقة الكاريبي سرًا. كما كان هناك غزوًا أخرًا قد يكون سببًا في الإطاحة بالنظام الشيوعي ربما في أكتوبر1962. ولم يستبعد اغتيال كاسترو، فهل هناك رمزية أجمل من الوفاة بسبب سيجار (هافانا) مسموم؟ ومن المفاجئات القوية في تلك الظروف أن كاسترو كان يسعى لتحقيق معاهدة دفاع رسمية مع الاتحاد السوفيتي. غير أن خروتشوف كان يفكر في خطة مساعدة أكثر مراوغةً. ففي الأيام الأخيرة من شهر سبتمبر والأولى من أكتوبر عام 1962 أبحرت السفن السوفيتية إلى كوبا محملة بالصواريخ متوسطة المدى ذات الرؤوس النووية حيث كانت القواعد الخاصة بتلك الصواريخ تحت الإنشاء على الجزيرة، على أن يتحكم الاتحاد السوفيتي في الأمر برمته بحماية القوات السوفيتية، واتسمت الخطوة بالجرأة في إطار بادرة حقيقية من التضامن بل ربما هي الأهم للتأكيد على وضع الاتحاد السوفيتي: لم يكن العالم مقسم إلى مناطق. بيد أن في ابريل التالي انتشرت الصواريخ الأمريكية، عطارد، في تركيا

أي في "الفناء الخلفي" للإتحاد السوفيتي. ومرت فترة متوترة بالتهديدات تبعتها فترة زمنية أخرى من مكافحة التهديدات في أواخر شهر أكتوبر. وأعلن كنيدي في خطاب مذاع للعامة أن الولايات المتحدة الأمريكية ستفرض حصارًا لمنع تسليم الصواريخ بينما أعلن أن أفعال خروتشوف تمثل تهديدا للسلام العالمي، واستسلم خروتشوف في النهاية لسحب الأسلحة وهو الأمر الذي أُعتُبر مهينًا، كما وافق الأمريكيون بعدم غزو كوبا وأيضا على انسحاب الصواريخ من تركيا رغم خصوصية الأمر. وعندما بلغت الأزمة ذروتها ظهر البعض، وبالأخص في أوروبا، اللذين اعتقدوا أن نهاية الحرب أوشكت بيد أنه لم يحدث وسرعان ما مرت فترة خوف حادة ولكن استمر الجدال بشأن الأسلحة النووية. رأى البعض أنها مضيعة للمال لكن القوتان العظمتان رغم أنهما "يحدقان في الهاوية" إلا أنهما مازالا يرغبان في توسيع قدرات صواريخهم واستمرا في الدفاع عن تلك الصواريخ. كما بدا الإنفاق غير منتهي، ومن ناحية أخرى بالموافقة على الاتصال المباشر بين البيت الأبيض والكرملن على الخط الساخن لاحظ الطرفان أن قنوات الاتصال يجب أن تكون فعالة وسريعة. وبالمثل، أعترف كلا الطرفان بضرورة البحث المخابراتي عن الأخر بطريقة أو بأخرى.

وأدت سياسة حافة الهاوية في الأزمة بين برلين وكوبا إلى بعض الأحكام المختلفة، حيث تقدم كنيدي الدبلوماسي المنتصر بينما أجبر خروتشوف صاحب المحاولة الجريئة "خارج المنطقة" على الانسحاب ولم ينال سوى وعد أمريكي مؤكد بعدم غزو كوبا وهو ما كان على أي حال ليس بالأمر القريب.

أما في حالة برلين فلم تكن الصورة واضحة تمامًا، وكانت القوى الغربية بالفعل مازالت تقف حازمة في المدينة لكنها لم تقدم جديدا تجاه هذا الحاجز. ورغم وقوف كنيدي بجانب برلين إلا أنه كان يرى أن الموقف بأكمله يعد ذلة تاريخية مؤسفة لن يبدأ بسببها حربًا عالمية ثالثة. ولم يكن حتى يونيو 1963 عندما انخفضت حدة التصعيد الدبلوماسي عندما حضر إلى برلين قائلًا "أنا برليني"، وأعلن أن الكثيرون في العالم لا يفهمون أو يدعون أنهم لا يفهمون ماهية المشكلة بين العالم الحر والعالم الشيوعي، وهؤلاء عليهم

الإتيان إلى برلين. بيد أن كوبا مازالت هناك وعلى العالم أن يأتي إلى مدينة هافانا. وأستمر خروتشوف في إصراره على ضرورة دفاع الاتحاد السوفيتي عن كوبا. وفي ابريل من نفس العام رحب خروتشوف بكاسترو في الميدان الأحمر وأطلق على كوبا منارة الأمل لجميع شعوب أمريكا اللاتينية، مع ذلك فإن السياسة الداخلية للجزيرة استمرت في إظهار أن أفعال كاسترو ونمطه لا تجعله الرجل السوفيتي الأرثوذوكسي. لم تكن المسافة التي تبعدها كوبا عن الاتحاد السوفيتي مجرد كلمات. وبدا الأمر وكأن لم يكن لكاسترو أي اختيار سوى السعي للدعم السوفيتي بقدر استطاعته فقد تكون هي الورقة الرابحة (الأمر الذي يرحب به مؤيدو الورقة الرابحة في أوروبا الغربية ومكان أخر)

## المتفرجين: حبس الأنفاس والاكتئاب

قد يستطيع "العالم الخارجي" تقديم أكثر من مجرد النظر على تلك الأزمة الأوروبية الأمريكية المعقدة، وتقابلت دول عدم الانحياز لأول مرة في المؤتمر المنعقد في بلجراد سبتمبر 1961، وكانت الاجتماعات التحضيرية تُقام بالقاهرة قبل عام قد عزمت على تحديد المعايير المناسبة للدول المنضمة إليها. ويتعين على تلك الدول أن تلتزم أو تبتعد بموجب المبادئ الخاصة بعدم الانحياز والتعايش، والمبدأ التالي يمنع أي استلزام من قبل أي قوات دفاع مجمعة أو تحالف ثنائي من شأنه توريط القوى العظمى، ولا يجب أن تمنح القواعد الحربية لهذه القوى وكان من البديهي أن تؤيد دول عدم الانحياز التحرير من الاستعمار.

على الأقل بعض هذه المبادئ تتطلب مجالا للتفسير، حيث أن تكوين مؤتمر بلجراد يعني الحاجة إلى "المرونة". وكان في الشروط الخارجية 11 دولة افريقية، و6 دول من جنوب آسيا أو جنوب غرب آسيا، و6 دول من الشرق الأوسط وواحدة من دول الكاريبي (كوبا) ودولة أوروبية (يوغوسلافيا). ثلاث دول من أمريكا اللاتينية (بوليفيا، والبرازيل، والاكوادور) جميعهم حضروا كمراقبين.فيما أظهر التدقيق في الأمر أن ادعاء الحيادية بين القوى العظمى وبين الرأسمالية والشيوعية لم تكن دائمًا دليلًا، بل في الغالب كل الدول في مرحلة ما كانت مستعمرات لدول غرب أوروبا، وبعضهم كان يتمتع

بوجود وطني سابق للاستعمار بينما انشغلت بعض الدول بمولدها، وأخرى كانت دولًا كبيرةً بالمفهوم العالمي وغيرها لم تكن كذلك. لم يتم اختيار المبعوثون اللذين قاموا بتسليم الرسائل الختامية إلى واشنطن وموسكو من قبرص ونيبال واليمن.

وقد أرسل كل من سوكارنو إلى الولايات المتحدة الأمريكية ونهرو ونكروما إلى الاتحاد السوفيتي محذرين من أخطار الحرب النووية ويحثون إلى التعايش السلمي. وهذا النوع من دول عدم الانحياز لا تجد تركيزًا واضحًا عليها، فمازالت حلقة أفروأسيوية ولكن قد لا يكون هذا مركزها الديناميكي.

غير أن جميع دول المنظمة الأفروآسيوية في انتظار رسالة متعلقة بالاستعمار لكن هذا الإجماع لا يمكنه إخفاء الخلافات الإقليمية والقارية بينهم. فالمنظمة الأسيوية في بلجراد التي لا تضم باكستان والصين واليابان ولكن لا نذكر إلا تلك الدول الدائمين الغياب وليس لهم وزنًا حقيقيًا. وكان هناك دول أوروبية أكثر حيادية من بعض الدول المشاركة في منظمة عدم الانحياز ولكنهم اختاروا عدم المشاركة. غير أن دول أمريكا اللاتينية التي حضرت لم يكونوا سوى مراقبين وحملوا الرسائل أيضًا. بالإضافة إلى مزاعم الدول تأسيس التضامن على أساس السلبيات وعلى أساس ما هم ضده وليس ما اتفقوا عليه. والتعليقات مستمرة على هذا النوع من"العالم" المتنافر، وعلى الرغم من ذلك فمجموعة عدم الانحياز أسست تأكيدًا ليزداد جاذبية مفاده أن العالم ما هو أكثر من الثنائية القطبية. كان هناك أمرًا واحدًا واضحًا وهو أن في أثناء هذه "الكارثة العالمية" المستمرة والملتحمة عام 1961-63 لم يكن على الساحة سوى لاعبان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. أما بريطانيا وفرنسا فكانا بالكاد أكثر تأثيرًا من "عالم عدم الانحياز".

لم يصدر سوى القليل المؤثر في أفعال الولايات المتحدة الأمريكية من قبل لندن، فلم يكن ماكميلان، رئيس وزراء بريطانيا سوى بينما كان الاتحاد السوفيتي وبرلين مهتمين، حيث عقد وارسو قبيل تصعيد مشكلة حاجز برلين ولم يقدم الكرملين أي معلومات مسبقة لشركائهم. وعلى الجانب الغربي كان الموقف الرسمي للقوى الثلاث في برلين وهو الأمر الذي تطلب مشورة بينهم، لذلك كان ما تقرره الولايات المتحدة الأمريكية هو ما

يهم. بينما جهز شارل ديجول قواته وتحدث عن كونه حازمًا ضد روسيا إلا أنه في حقيقة الأمر لن يخاطر بخوض حرب. ارتبطت كل من بريطانيا وفرنسا ببعض واهتمت كل منهما بما وصلت إليه الأخرى من مكانة عالميه وما ترمي إليه، وكان كل من ديجول وماكميلان لديهما الخبرة الطويلة على القيادة، وقد .. ولم يرسل الرئيس الفرنسي أي رسائل مختلطة.

تحدث شارل ديجول عن القوات العظيمة، وكانت الأحداث المؤسفة في هذه المناسبة في بعض الأحيان يراها المتابعون للأحداث قديمة جدًا تعطي انطباعًا بأن فرنسا مازالت دولة استثنائية. كما أن العالم الذي وجدت فرنسا نفسها به لم يكن ليتناسب معها. ومازال دي جول لا يروق له سيادية الأنجلوساكسون على الغرب منذ الحرب العالمية الثانية

وكذا تلك الثنائية القطبية الموجودة بالعالم ككل، والتالي أمثلة توضع بعض محاولاته للتغير؛ اقترح شارل دي جول على الرئيس ايزنهاور في سبتمبر عام 1958،في داخل حلف الناتو، أن تتخذ كل من فرنسا وأمريكا قرارات بشأن استخدام القوات النووية، ولم يوافق ايزنهاور. وما كان من دي جول إلا أن سحب في الربيع التالي للحدث قوات الأسطول الفرنسي من الناتو. غير أنه قد اتخذ خطوات ابعد في فبراير 1966 حيث انسحبت فرنسا من الهيكل القيادى للناتو وطالبت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب قواعدها وقواتها من الأراضي الفرنسية.

بيد أنه قد استعاد شخصية الجيش الفرنسي والقوات البحرية والجوية المتسمة بتمام الوطنية، على الرغم من عدم ترك فرنسا للتحالف رسميًا دفعةً واحدةً، بل كان "خضوعًا" حتى تستثنى فرنسا. ولم تتجاهل تحفظات دي جول ضد أمريكا بالكامل ديون فرنسا للعالم الأمريكي. بينما حث المثقفون على التحفظ تجاه "عالم فرنسا الفضائي". أما هؤلاء الأوصياء على الثقافة الفرنسية فقد دافعوا بضراوة عن اللغة وحالوا دون تسلل المفردات الانجلو ساكسونية وبعض الاختراقات الثقافية غير المستساغة عبر المحيط الأطلسي.

قيم رئيس الوزراء البريطاني، ماكميلان، كينيدي تقييمًا متشائمًا وإن كان لطيفًا، كان

يبلغ من العمر اثنان وستون عندما أصبح رئيسًا للوزراء عام 1957 وكان يرى أوروبا بعين الحارس إبان الحرب العالمية الأولى. وشاع عنه عدم إعجابه للألمان، وشغل منصب لفترة قصيرة في وزارة المستعمرات (وزارة الكومنولث حاليًا) إبان الحرب العالمية الثانية، ثم أعترف بعد ذلك أن معلوماته عن المستعمرات محدودة جدًا، وأصبح بعد ذلك وزير الدولة البريطانية في الجزائر وارتبط بشؤون التحالفات السياسية وكانت بمثابة العودة التي امتدت إلى منطقة شرق المتوسط.

وارتبط ببعض التحركات التي شنها تشرشل بعد الحرب عام 1947، حيث حضر اجتماعات البرلمانيون في المجلس المنشأ حديثًا واعتبر أن خطة شومان نقطة تحول رئيسة في التاريخ الأوروبي. ومر في حزب المحافظين بوصفه أوربي. وعمل وزيرًا للخارجية عام 1955 كما ارتاب من اجتماعات "الستة" ولم يشارك في تلك الاجتماعات، ولم يروقه مسلكهم. وأعلن أن المسئوليات البريطانية والمؤسسات استبعدت المشاركة البريطانية في السوق المشتركة. ولم تسبب محاولات توحيد أوروبا الغربية إلا الانقسام. بيد أن أولويات ماكميلان في منصبه كرئيسًا للوزراء لم تكن تصعيدًا لنوع من أنواع "المسار الجديد" الأوروبي بل لإصلاح العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية واستعادة "العلاقة الخاصة"، وكان الأمر مثيرًا للحنق البريطاني أن تظهر بريطانيا أمام العالم وكأنها غارقة.

لم تكن تلك هي اللحظة المناسبة للسماح بتفاقم الاستياء، فقد كانت والدة ماكميلان أمريكية وعمل مع الأمريكان في شمال أفريقيا، كما احتاجت أوروبا الغربية للولايات المتحدة الأمريكية. وفي يومًا ما أخبره أحد أسلافه أنهم لن يصبحوا أوربيون أبدًا. فلم يكن ماكميلان متواصلًا. بيد أن أسلافه وخبراته قالوا له أن المهمة البريطانية هي بناء جسور عبر العوالم المحطمة، والعالم الحر لن يدخل عام 1961 وهو راضٍ تمامًا. بيد أن الصراع ضد الشيوعية أسفر عن بعض النجاحات القليلة وكذا بعض الخسائر، كما أن السيادة النووية استبدلت بميزان القوى المدمرة. وبمراقبة الأحداث في أفريقيا وأسيا كان هناك شكًا في أن سيادة كل من الثقافة، والحضارة، والثروة والنفوذ الأوروبي قد تنتهي يومًا. أما الاقتصاد البريطاني فقد بلغ حافة الخطر، فتغير الإمبراطورية إلى الكومنولث

(رابطة الشعوب البريطانية) كان مهمة صعبة. والأهم من ذلك أن عدم التأكد من قدرة الاقتصاد القادم وإمكانية بناء وضع سياسي في غرب أوروبا وأخيرًا وليس أخرًا هل كانت بريطانيا من المنظور الأمريكي "مجرد دولة أخرى" أم "حليف من فئة فريدة"؟ وفي النقطة الأخيرة سارع ماكميلان في محاولة تأكيد من خلال الاتصال الشخصي، أن العلاقات الخاصة تنجو. أما خطر الشيوعية تتطلب أعلى درجات التعاون.

بيد أن الكيمياء الشخصية بين الرجلين، حيث أتى ماكميلان من عالم يعرف انجلترا ويعجب بالعقديين الأخيرين بها. وكان العجوز من البلد العريق يقدم النصح للشاب الآتي من البلد الحديث: هو الحال بين اليونان وروما، هكذا كان يفكر ماكميلان. بيد أنه كان يتساءل لو أن السيادة الأوروبية قد انتهت هل كانت كل من الثقافة والحضارة والقوة الأمريكية وصلت لنفس المنحدر؟ وهل كانت أساسيات الولايات المتحدة الأمريكية امتدادًا حقيقيًا لأوروبا أم كانت مختلفة تمامًا ومازالت مجتمع نابض بالحياة؟ وبعيدًا عن القضايا المُلحة الخاصة بجدول أعمال الدولتين كان التساؤل أي من أبناء الجامعتين هارفارد أم أوكسفورد سيأتي بثمارٍ.

غير أن أسلحتهم وضعت أمريكا والاتحاد السوفيتي في التقسيم الخاص بها، وتغير أوضاعهما في السعي للإتقان التقني بين صعودٍ وهبوطٍ في هذه الأعوام حيث ظهرت الصواريخ الباليستية عابرة القارات، والصواريخ المضادة، ورادارات الإنذار المبكر وكذا الأجهزة الأخرى سعيًا لتحقيق ميزات حاسمة. كما كانت هناك اتفاقيات معقدة بشأن العلاقة بين الحرب النووية والحرب التقليدية. ورأي بعض المحللون أن امتلاك أسلحة نووية سيقلل إن لم يحد من مخاطرة الخوض في الحرب ، بينما اختلف آخرون حيث إنه لو قامت حربًا واستخدمت تلك الأسلحة سيكون الأمر بمثابة كارثة. كان هناك مخاوف بشأن الإنتشار النووي فإذا ما أصبحت الأسلحة النووية شارة للوضع قد لا تقوم قوة بعد ذلك في العالم دونها. فالدولة المحمية بحليف يمتلك أسلحة نووية تمر بنوعين من المخاوف إما ألا يحمي هذا الحامي في الوقت المناسب أو أن يسئ الحامي استخدام السلام ويتصرف بتهور. وكان الأمر مطروحًا للجدال خاصة في بريطانيا وفرنسا حيث ظنت

الحكومات أنها بحاجة إلى رادعًا مستقلًا، واعترضت بعض الآراء الشعبية. أما في بريطانيا فقد بدأت أول حملة معارضة للأسلحة النووية وسميت "حملة لنزع السلاح النووي" CND وكان من المتوقع أن يكون عدد القتلى في الشتاء النووي مخيفًا.

كان حس الجنون هو الوضع العالمي، وتساءلت الدول متوسطة الحجم ما إذا كان بإمكانهم تحمل تكاليف الأسلحة النووية والتي قد لا تستخدم أبدًا وأيضًا الحفاظ على قواتها المحلية على نحو كافٍ، وتلك هي الأمور التي أزعجت العلماء أيضًا. هل هم غير مسئولون عن هذا العالم الجديد؟ وأقام بعضهم مؤتمرًا دوليًا عُقد أولًا في كندا في مدينة بوجواش عام 1957. فقد وجدوا أنفسهم في مكان غير مناسب. كما أن التكاليف المادية للفيزيائيين انتهت نهاية عسكرية وسلكت مسلكًا بعيدًا عن المسلك الأكاديمي البحت الذي يستهدف زيادة المعرفة الأكاديمية. لم يرغب العلماء في التبعية، فعالم الأسلحة النووية لا يشمل إلا تلك الدول ذات السعة والتقنية والماليات التي تسمح لها بدخول ذلك العالم إما في الحال أو بعد فترة وجيزة. وغير ذلك لا يوجد مكان أخر للاختباء. وكما ادعى البعض فقد حكم على الجنس البشري حيث أصبح رد الفعل الوحيد المعقول هو أن تصبح المتعة مذهب نتيجة لما سببه اليأس. ولا تزال الكارثة المستقبلية المحتملة "التجارة كالعادة" بمعنى آخر، سعي الدول بالأهداف المحدودة لأغراض بعينها أما الحرب النووية فلن تحدث على أرض الواقع. ومرت عشرات السنين حتى أصبحت القوى العظمى على حافة الهاوية، لكنها تراجعت.

وبدا أن تيار المصالح العالمية في بعض الأحيان يجري في الاتجاه المعاكس للغرب. ووعد كنيدي في خطاب تنصيبه بضمان النجاح وتحقيق الحرية توقف. بيد أن الحقيقة كانت أمريكا بحسب تقديرها تقف على أعتاب علاقة مع "العالم" كما لم تصل دولة أخرى إلى هذه المكانة. ردد وزير الخارجية، دين اتشيسون، أن الخبير الأمريكي في شئون السياسية الخارجية، ماك جورج باندي كان يري الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة "قاطرة في رأس البشرية"، أما الباقي من العالم كان مجرد مطبخ متنقل أو عربة حراسة تسحب.

أما بوستن براهمين،الأستاذ بجامعة هارفارد والذي كان مساعد الرئيس لشئون

الأمن القومي للرئيسين كنيدي وجونسون بين عام 1961 وعام 1966، تحدث قائلًا أن الولايات المتحدة ظاهريًا ذات مسئولية تجاه العالم وكيف لها أن تتخلى عنها؟ فأعباء العالم إلى جانب متطلبات أفريقيا وأسيا قد تجعل الحمل ثقيلًا.

# 11

# أفريقيا: الضروريات الملحة والطوارئ

يضع هذا الفصل أفريقيا في موضع السيادة، ويجب القول أنها لا تُشكل كتلة بسيطة. واختلفت السبل إلى تحقيق الحرية، كما أن القطاعات المتتابعة ألقت بنظرات خاطفة على تنوع الشعوب في أفريقيا بين الشمال والجنوب والغرب والشرق. بيد إنه في أثناء مغادرة القوى الأوروبية وبعدها بقيت البصمة الأوروبية على تلك القارة. وكان هناك روابط ممتدة عبر القارات بين شمال وجنوب أمريكا وممتدة داخل منطقة الشرق الأوسط. وكانت العلاقات المتداخلة خلال كل هذه السنوات بمثابة الأقسام التي تتابع الأوضاع بحزم في منطقة جغرافية معينة، ولم يكن تحرير أفريقيا من العالم الأوروبي يحتل صدارة أي مرحلة رغم عدم وجود عالم أوروبي دون تحالف.

**الجزائر: أنشأت وضاعت**

نجد في شمال أفريقيا أكثر التجارب وحشية وقهرًا في الجزائر حيث تتعارك فرنسا باستمرار على مصالحها هناك. وفي عام 1956 تحركت القوات الفرنسية مباشرة من مصر لمحاربة الجزائر. وقال وزير الخارجية البريطاني ماكميلان، متذكرًا أوقات الحرب في الجزائر، أن الصراع قد ترك فرنسا غير متوازنة. فبمجرد أن تهزم الجزائر أو تُجلي رعاياها أو تستمل تبدأ الجولة ، حيث وصل عدد القوات المشاركة في حفظ السلام حوالي نصف

مليون. بيد أن الادعاء بأن الجزائر ما هي سوى مجرد مقاطعة فرنسية أو بريطانية يثبت استحالة المواصلة. ولذا ولفترة طويلة كانت مهمة التحضر المرتبطة بالتعذيب. ومن ناحية أخرى كانت المستوطنات والقوات العسكرية في الجزائر فزعة بشأن إرضاء فرنسا وتخشى أن تترك بمفردها. بيد أن المثقفون أعلنوا أن فرنسا دولة فقدت الثقة بنفسها، حيث كان التهديد بالحرب الأهلية وشيكًا. وفي النهاية، لم يكن هناك متفائلًا واحدًا سوى دي جول الذي كانت كلماته المبهمة منطوقة في كل من فرنسا والجزائر في تلك المرحلة وكانت لا تعني الكثير بالنسبة للمستقبل. بيد أنه في الأول من يونيه عام 1958 قد استغل القوات الكاملة وشرع في تنفيذ خطة معقدة، ووصل العنف إلى فرنسا ذاتها، وما كان منه إلا أن أعلن في خطابٍ له بتاريخ 16 نوفمبر من عام 1959 أن في خلال أربعة أعوام من وقف إطلاق النار سيكون أمام الشعب الجزائري أحد الخيارات الثلاث: الاستقلال أو التكامل أو الحكم الذاتي المرتبط ارتباطًا وثيقًا بفرنسا. وأما الأخير فكان الوضع الأكثر تأيدًا على نطاقٍ واسع في الاستفتاءات الفرنسية والجزائرية في ابريل من عام 1962. ثم شهد يوليه من نفس العام استقلال الجزائر لأول مرة في التاريخ، وظلت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية بجانب اللغة العربية، بيد أنه إلى الآن لا نجد في التحالفات المتلاحقة ما يخفي مرارة ووحشية هذا الصراع متعدد الأوجه. وأكثر من مليون منزل نزح إلى فرنسا، كما انتظر الجزائر مصيرًا اسودًا فتلك القوات التي حاربت بجانب فرنسا إما قتلت أو أقامت في مخيمات جنوب فرنسا. وسادت المرارة كل الأطراف ولم تكن لتنجلي سريعًا.

رأي بعض المفسرين في تلك الفترة أن الوحشية المحققة أخيرًا تؤكد أن الحضارة الأوروبية فاسدة حيث تعدت على الحضارات الأخرى والآن في لحظات انهزامها لا نجد سوى السخرية من قوتها المزعومة. وجاء أكثر العبارات النقدية اللاذعة من فرانز فانون، طبيب نفساني فرنسي أسود جاء من جزر المارتينيك، ففي كتابه معذبو الأرض الصادر عام 1961 والذي ترجم إلى الإنجليزية عام 1967، رسم صورة للحاضر الأوروبي وكأنه قبضة من التفكك الروحي. فقد انتهت اللعبة. بيد أن فانون كان عضوًا في الدائرة الداخلية لجبهة التحرير الوطني بالجزائر. كما إنه قد حث الدول البازغة على خلق إنسانًا

مختلفًا، ناتجًا عن حوار بين المُستعمِر والمُستعمَر. فالجزائر الناشئة أو أي دولة أخرى ناشئة قد يصبح الماضي بالنسبة لها أسطورة لا يمكن الرجوع إليها. فالعالم الثالث قد يخلق عالم لم يكن موجودًا من قبل. وقد زود الكتاب بمقدمة كتبها جين بول سارتر استطاع خلالها أن يوضح أن الرؤية الكونية تتمثل بعمق في تصور لا يمكن إلا أن يكون فرنسيًا، ومثل هذه النظرية قد تعني للجزائر في الممارسة العمليةكان شيئًا واحدًا ما تضمره لأوروبا ومن ثم فرنسا الكامنة في أوروبا، هو إلا أمرًا أخرًا.

### غانا ونيجيريا: طياران أفريقيان؟

في عالم غرب أفريقيا البريطاني يمكن الساحل الذهبي "غانا" المنطقة الصغيرة التي حققت الاستقلال عام 1957 وتبعتها نيجيريا عام 1960 لكن الرابطة بينها لم تعش فترة طويلة. فالنجم الأسود المتمثل في شخص كوامي نكروما قد ظهر في غانا وقاد غانا إلى مستقبل أفضل. هو رمز أسود ظهر على علم الدولة وسمح للوحدة الأفريقية. وأصبحت الحصون على الساحل الذهبي تذكرة للأوربيين من البرتغال وهولندا والدنمارك والذين جاءوا ورحلوا في خلال 400 عام، أما الآن وفي عام 1957 انجلت بريطانيا صاحبة البصمة الأعمق والأكثر انتشارًا منذ أن أعلنت غانا مستعمرة بريطانية عام 1874. أما غرب أفريقيا فكان لديه عالمه الخارجي، الذي خلقه تجارة العبيد، تلك التجارة التي انتهت منذ قرن بيد أنها تسببت في نقل السكان إلى الكاريبي ومناطق أخرى من العالم الجديد. "العالم الأسود" كان ينتظر النقطة الحرجة التي يتحد عندها غرب أفريقيا، وغربي أوروبا، والبرازيل، والولايات المتحدة الأمريكية. بالإضافة إلى مشاركة رجال من الساحل الذهبي في الحملة على بورما عام 1943-45 وكان الأمر مفاجئة لآسيا، ثم تحقق الاستقلال. بيد أن الجنود السابقين قاموا بمسيرة وأعمال شغب في العاصمة "أكرا" في عام 1948 وكانت الحركة تعلن عن أن هناك حربًا وشيكةً. وما لبث الأمر إلا أن تحول من مجرد نخبة أفريقية صغيرة راضية بالتحول التدريجي لينفلت ويصبح مجموعة من الشباب يطالبون بالحكم الذاتي الآن. وكان قائدهم، كوام ناكروما قد أوضح رؤيته عن التحرير داخل أروقة الجامعة السوداء في بنسلفانيا، واستعلت حملة العصيان المدني ضد الامتياز

التي عرضها الأفريقيون المتحفظون واللذين طلب منهم البريطانيون كتابة مسودة دستورية جديدة ليؤدي الأمر إلى انتخابات على امتياز عالمي عام 1951. ومن ثَم جابت العربات ذات مكبرات الصوت البلاد لتجمع أكبر عدد من المشاركين، وأسفرت الانتخابات على أغلبية ساحقة مؤيدة لحزب المؤتمر الشعبي والذي أنشأ عام 1949.

أطلق صراح نكروما من السجن وطلبت منه الحكومة البريطانية تشكيل حكومة، وبعد عامين قام المجلس التشريعي بحركة للمطالبة بالاستقلال بمجرد الانتهاء من الترتيبات الدستورية. لم يرغب البريطانيون في الإسراع بالمغادرة وأن يصبح الأمر وكأن تلك الأمور تجذب الانتباه لفترة طويلة. فالاستقلال أمرًا يمنحه. وفي تلك المرحلة قد لا تكون فنون الحكومة أمرًا سيئًا، ويبدو أنه منذ عام 1953 خطة الانتقال بين الحاكم ورئيس الوزراء بدت متجانسة على الأقل ظاهريًا. ظلت ملكة بريطانيا على رأس الدولة. أما نكروما فقد دعي ليكون المخلص، فمثل هذا النمط يجعل ما يحدث يتجاوز جماليات بناء الدستور. وكان والده يعمل صائغًا ووالدته تعمل في تجارة السمك، وتلقى تعليمه الأساسي بالمدارس الكاثوليكية قبل إرساله إلى جامعة النخبة جامعة أشيموتا بآكرا. بيد أن شعارها كان "الجميع سواسية"، وكان الهدف نبيلًا تطوير في كل شئ، وكان الأمثل في ثقافتين فقد كانت أرقى مدرسة في الدولة.

وتتلمذ نوكروما بالمدرسة عامين ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحق بجامعة لونكلن في بنسلفانيا عام 1935 وتخرج بعد دراسة علم الفلسفة وعلم التوحيد والتعليم. كانت مؤسسة لنكولن مؤسسة سوداء أتى طلابها من مناطق الفصل الاجتماعي في جنوب أفريقيا، كانوا يتساءلون عن انتماءاتهم.

منح ماركوس جرافي، مؤسس المؤسسة العالمية لتحسين النجرو عام 1914 والمولود في جامايكا، نوكروما الإجابة ليتأملها "ضرورة عودة السود إلى أفريقيا"، فقد أنشأ جرافي خط ملاحي سمي بلاك ستار ليسهل الانتقال داخل العالم الأفريقي، وطرد جيش أفريقي قوى الاستعمار الأوروبي، لم يكن حشد هذا العدد سهلًا فقد جمعه من السجن الأمريكي حيث قضى فترة عقوبته "في أغلب الظن كان سجينًا سياسيًا". كانت حياته العملية غير

تقليدية حيث تنقل من موقع إلى أخر. دفن في لندن عام 1940 ثم استخرج جثمانه وأعيد في انتصار إلى جامايكا بعد سنوات من استقلال الجزيرة عام 1962.

جاءت قصيدة جرافي عام 1924 " الولايات المتحدة الأفريقية" لتوقظ نوكروما، حيث إنه النجم الأسود في علم غانا. أقام نوكروما علاقات طويلة مع جيمز المولد في ترينيداد والذي كان يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة والمتورط في وضع نظريات في الماركسية/ التروتسكية (والطائفة المصاحبة). قام جيمز بتقديم نكروما لجورج بادمور صديقه من ترينيداد والذي كان يدير ديوان الخدمة الأفريقي الدولي في لندن بعد فترة وجيزة قضاها في الاتحاد السوفيتي.

نكروما الذي حضر المؤتمر الأفريقي في مانشستر عام 1945، لم يعد الرجل الشاب الذي ترك جامعة أشيموتا عام 1930. وبالنظر إلى خلفية التغير الخاصة بنكروما لا يمكن أن تتوقف عند حدود غانا. وفي ديسمبر عام 1958 كان مؤتمر الشعب الأفريقي في أكرا. ولم يكن هناك سوى ثمانية دول أفريقية غير مستقرة. كما أن المبعوثين عبر القارات ندبت الطريق حيث أنكرت الإمبريالية حقوق الإنسان الأساسية في أفريقيا، ويجب توقف استغلال الأفارقة فورًا، وأسفرت عن نتائج عديدة من خلال التعهد بالدعم الكامل لكل من يحارب لأجل الحرية في أفريقيا، إما بالوسائل السلمية أو العنيفة.

وكانت الأمانة دائمًا هي المضي قدمًا بأعمال المؤتمر. وبعد عامين عندما أصبحت غانا جمهورية تحت رئاسة نكروما، ودستور يمنحها الانضمام إلى اتحاد الدول الأفريقي. ثم سيطرت الوحدة الأفريقية على تفكير نكروما وبدأ في تنفيذ رؤيته عبر العالم. ولم تعد حقوق غانا واضحة وأصبح دوره المخلص ثقيلًا، وفي عام 1964 رأى أنه من الحكمة أن يصبح رئيسًا للحزب وللبلاد وفي فبراير عام 1966 وفي أثناء زيارته لشمال فيتنام والصين تعرض لانقلاب عسكريًا ولم يعد لغانا بل استمر في تعقب حلمه بمنفاه في غينيا. وأدعى أن المجتمع الأفريقي التقليدي قد أسس على مبادئ المساواة، واستطاع أن يكتب بطلاقة عن الحاجة للعمل بطريقة علمية على تحقيق سياسات اجتماعية واقتصادية، كما يجب ضمان الفرص المتساوية لكل فرد فمثل هذا الخطاب يعطل العلاقات بالواقع السياسي

والاجتماعي والذي عاشته غانا تحت حكمه الدكتاتوري والذي عبرت عنه خلال عشرات السنوات من الاستقلال. والمفارقة في تولي نكروما منصبه الرسمي هي أن الشعب تمنى نجاح مصالحة الخاصة ورغم هذا كان نكروما هو من استطاع كسر القيود. فنكروما هو رجل الألفية الأفريقي أحيت ذكراه لاحقًا من خلال نصب تذكاري وحديقة في العاصمة الغانية.

بيد أن نيجيريا كان لها مسارًا أخرًا حيث صرح مارجري بيرهام، كاتب السيرة البريطاني، لجمهور البي بي سي في انجلترا عام 1963 أن نيجيريا "ربوة ناجحة في الشؤون العالمية" ستصبح قيمة في سباق الكرامة الأفريقي. ولم يكن أمر الوحدة بين الدول الأكثر كثافة سكانية أمرًا مضمونًا بل كانًا شرطًا أساسيًا في تحقيقه هو انضمام نيجيريا لتصبح "صوت أفريقيا للعالم".

وظهر نامدي أزيكيوي في الساحل الذهبي في أكرا عام 1937 شابًا ذكيًا تخرج في مدرسة ميثودية في لاجوس ليؤسس صحيفة ويحررها باسم "دليل غرب أفريقيا". كان الرجل الذي أصبح بعد ذلك أول حاكم عام لنيجيريا بعد استقلالها في أكتوبر عام 1960 ثم بعد ثلاث سنوات أول رئيس نيجيري بعد إعلانها جمهورية. كان رجلًا عالميًا فقد مضى سنوات هو أيضًا في الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على شهادات من كولومبيا وبنسلفانيا كما عمل محاضرًا في جامعة لنكولن عام 1943، ذهب بصحبة صحفيين من غرب أفريقيا لبدء عرض قضية الاستقلال في لندن، وكان لديهم خطة تصور تشمل العشرين عامًا. لكن الحكومة البريطانية لم تقبل الجدول الزمني رغم أنه كان يعكس الواقع. وبالعام التالي كان قد أنشأ هو وآخرون مجلس قومي لنيجيربا والكاميرون، وكان الأمر مفاجئ بيد أن غانا تحولت لتصبح القائد. أما تلك الحركة التي بدأها زيك طمحت لتكون حركة وطنية، لكن ماذا تعنى الكلمة في نيجيريا؟

البريطانيون بوصفهم دخلاء من خارج القارة أتوا إلى الساحل وتحركوا تجاه الشمال من مستعمرتهم لاجوس، لم يغزوا الكيان المثير المسمى نيجيريا. وكان من الطبيعي أن تتحرك القوى والنفوذ إلى الجنوب. إلا أن نيجيريا هي ملتقى الشمال والجنوب ولا يمكن

أن يجزم أحد بموقع الملتقى تحديدًا. ولم يكن الحكم البريطاني ليطمس الجدود التاريخية، فكان يلاحظ في ظروف معينة أن الحكومة التقليدية هي الطريقة الوحيدة لحكم المستعمر. وبافتراض أن نيجيريا قد تستقل تبقى المشكلة أن كل من الهيكل البريطاني أم النيجيري سينجح. والحقيقة المأسوية في أن نيجيريا عاشت تحت حكم تحالف لأكثر من نصف القرن خلقت شعورًا محددًا للنيجيريين ولكن في دولة ذات 250 لغة محلية لا يبدو في الأفق دولة موحدة وفي الواقع لم تكن حتى دولة واحدة. وأكثر من مكان في غرب أفريقيا أصبح حجم التماسك للمجتمع اللغوي قد لا يسمح بإقامة دول قومية بالمفهوم الأوروبي. بيد أن الهوسافولاني في الشمال والايجبو في الجنوب الشرقي واليوربا في الجنوب الغربي يمثل ثلثي عدد السكان، أما الثلث الآخر فمتنوع التكوين. فكان لا مفر من التخطيط الخاص بالقطاعات الشرقية والغربية والشمالية. كما أن القطاع الشمالي كان يساوي في تعداده السكاني القطاعان الآخران مجتمعين، حيث ازداد حجمه بعد قرار اتحاد شمالي الكاميرون بنيجيريا. وقد يكون من الصعب على الحكومة الفيدرالية العمل بكفاءة جنبًا إلى جنب مع الثلاث حكومات. أما الدساتير فمن الممكن أن تصف انقسام القوى لكن القطاعات القوية قد تتجاهلها، فأيما كانت النظريات، الأحزاب السياسية لديها المناطق القوية الأهم من قواعد نيجيريا. قد تعمل نيجيريا على أسس التحالف والانحياز بين قادة المناطق لكن المناطق ذاتها قد تكون أكثر بساطة من أن تنجو، سيتطلب الأمر انقسامات من شأنها مواجهة تطلعات مجموعات بعينها. وربما تأخذ أكبر المناطق وأضعفها قوة حكومية مركزية (مفترضًا أن يكون مرغوبًا)، ولكن يفتح الأبواب إلى التكاثر غير المنتهي. خلال فترة الخمسينيات عملت المؤتمرات الدستورية خلال هذه القضايا، الفساد والتهديد باستخدام العنف قد يؤدي دورًا في تحديد النتائج. الخبراء في أمور الاتحاد في هذه المرحلة كان يمكن الحصول عليها في وزارة المستعمرات في لندن، في وقت من الأوقات عندما رأت الحكومات البريطانية أي اقتراح بخصوص الاتحاد الأوروبي بارتياب عميق. فالأراضي الصغيرة والأعراق المختلطة قد تجد صعوبة في أن تنجو بنفسها، كما أن الاتحاد في هذه الظروف ذات معنى منطقيًا، فضلًا عن وجود أملًا أن تجد الاتحادات مساحة صغيرة لاستمرار التسهيلات البريطانية أيضًا.

بيد أن تلك الاعتبارات فد تطبق في منطقة الخليج، والكاريبي، وجنوب الجزيرة العربية، ومالايا/ سنغافورة. ولفترة ما في أواخر الخمسينيات وجد نوع من الاتحادات في جزر الهند الغربية لتربط الجزر الصغيرة في مجموعات ليوارد ويندوارد مع جمايكا، وترينيداد وباربادوس. بيد أن الترتيبات أفسدها الجدل بشأن الميزانية والحكومة المركزية.

شهد سبتمبر عام 1961 استفتاءًا تبعه إعلان انسحاب جمايكا، ووصف ماكلود وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت هذا الانفصال بأنه ضربة موجعة إلى التنوير في الرأي العام في الهند الغربية منذ عقود. لم يكن هذا البرنامج هو البرنامج الفاشل الوحيد، ولذلك لم يكن الأمر فأل حسن لمستقبل نيجيريا. بيد أنها أثبتت أن الخلافات العرقية الإقليمية مستوطنة. شهدت منطقة غربي نيجيريا صراعات قوية بين القوى التقدمية والتقليدية في مجتمع يوربا والذي عبر عن التنافس بين رؤساء آولوو وأكنيتا. كما كان هناك جدال حول التوازن السكاني بحسب التعداد الوطني لعام 1962. ولم يشارك في أول انتخابات اتحادية عامة في ديسمبر عام 1964 سوى 4 مليون من مجموع 15 مليون ناخب، أما التوازن العرقي داخل الجيش، مثلها كمثل أي مؤسسة أخرى، موضوعًا للخلاف. وفي يناير من عام 1966 جث صغار الضباط الجنرال إيرونسي وساندرست لتدريب إيجبو لقيادة التمرد. وتم اغتيال رؤساء الاتحاد الغربي والشمالي، وسلم مجلس الوزراء الاتحادي مقاليد السلطة للجيش.

وبقدر ما كان هناك نية واضحة في هذه المرحلة، كانت لتحويل نيجيريا إلى دولة موحدة. فالنظام الاتحادي القديم بنظامه الذي عفي عنها الزمن يجب أن يمحى. ذبح شعب إيجبو الذي كان يعيش في الشمال بالآلاف في أحداث يناير وعرفت بانقلاب ايجبو، وحدث انقلابًا عسكريًا في يوليو عام 1966 قتل ايرونسي وعاد النظام الفيدرالي وأصبحت الدولة على أعتاب حرب أهلية.

### في السنغال وساحل العاج وغينيا : الأصول الزنجية

القادة الناطقون بالفرنسية في عرب أفريقيا اختلفت أصولهم عن الرجال الجدد الناطقون بالانجليزية في عرب أفريقيا. فقد كان نكروما يجهز نفسه في منتصف الثلاثينيات

في عالم أمريكا الأسود بينما كان الرئيس المستقبلي للسنغال يصدر مجلة في السوربون في باريس باسم "الطالب الأسود".

ولد ليوبولد سينجور عام 1906، كان مزارع كاثوليكي من قبيلة أقلية عاشت في دولة إسلامية كبيرة، بدأ حياته سعيًا وراء تحقيق الحضارة العالمية في مدرسة يديرها المبشرون الفرنسيون. واستهويته فكرة أن يصبح قسيسًا لكن اهتماماتهم لم تكن تناسبه(اعترض على أن يتسم الأفارقة بالوحشية). وبدأ حياته في باريس بعد الانتهاء من دراسته في مدرسة الليسية الفرنسية في داكار حيث كان الطالب الأسود الوحيد، فكر هو وشباب آخرون من مناطق ناطقة بالفرنسية في تطوير الهوية الخاصة بالزنوج. ثم بدأ بكتابة الشعر ووجد نفسه بعد ذلك يكتب داخل سجن ألماني في مخيمات الحرب-عبر عن ذاته بالمقاومة الفرنسية. وفي عام 1945 أصبح عضوًا في الجمعية التأسيسية الفرنسية، نائبًا عن السنغال، دعي لتصحيح اللغة للدستور الفرنسي الجديد، وهي مهمة نجح في أدائها سنوات عديدة بعد ذلك، إلا أنه كان أكثر من مجرد فرنسيًا، كان عقله يعيده إلى موطنه الأصلي في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي حيث ساعد في تنظيم "الاتحاد التقدمي".

طالب الجنود الأفارقة السابقين منحة التقاعد من الحكومة الفرنسية، كما كان مقررًا، وعلى العكس لم يكن لديهم الاستعداد لأن يساقوا كالغنم مثل أسلافهم الذين شاركوا في الحرب الأخيرة، كما تركوا فرنسا تشارك في الحرب بمفردها وهو أيضًا عكس مع فعلا أسلافهم. وكان الحل السياسي الذي سعى إليه سنجور والي سكن عقله الباطن هو أن تدير السنغال أمورها ولكن باستمرار العلاقات القريبة بفرنسا. بيد أنه كان شابًا فرنسيًا "استيعابيًا" رافضًا لأبسط صور الاستيعاب. شهد عام 1961 انتحابه رئيسًا للجمهورية، وهو نفس عام صدور ديوانه الشعري وترشحه لجائزة نوبل في الأدب. وفكر في تطوير الزنوج من خلال المناسبات الثقافية مثل المهرجان الدولي لفنون الزنوج في دكار عام 1966 وبالتأكيد مثل هذا الحدث وضع السنغال على الخريطة، لكنه ساهم في بناء نظام حماية باهظ الثمن. وفي دولة يمثل الفول السوداني بها جانبًا أساسيًا باقتصادها بدا ابن مزارع الفول السوداني ناسيًا أصوله. وأصبح هذا المعجب بالديمقراطية الفرنسية مخول له بقيادة الأمور.

في عام 1967 كان الحزب القانوني الوحيد هو حزب سينجور، وفي ابريل من عام 1957 زار نكروما ساحل العاج الجوار مع رجل هو رئيس جمعيتها الاقليمى وعضو في مجلس الوزراء تحت قيادة موليه في باريس.

فرض فيليكي هاوبوت بونجي، مواليد عام 1905، قوانينه المختلفة. بيد أن إصرار نوكروما على أن كل قوى المستعمرات الأوروبية عليها إعلان استقلالها جعلته يصر على أن العلاقة بين فرنسا وأفريقيا كانت علاقة خاصة. وأصبح الاستقلال الداخلي هو كلمة القرن، حيث كان المجتمع الفرنساوي الأفريقي يستخدم الكلمات : الحرية، الاستقلال، والمساواة والأخوة.

ناقش الرجلان استقلال العلاقات الاقتصادية والسياسية. وأقترح هوفويت بوانبي أن اللقاء قد يحدد لعقود من صاحب القرار الصائب، ومن ثم لم يحدث هذا اللقاء.

وألزم بوينجي المتآمرين اللذين تخلوا عن نكروما بقاعدة عملياتهم. وفي عام 1967 لم يكن لدية أي شكوك أنه قد سلك الطريق السليم أو ربما أثبت ببساطة أنه الديكتاتور الأذكى. وفي عام 1958 قبل "الاندماج" التي عرضها عليه دي جول حتى بعد المزيد من التحول نحو الاستقلال عام 1960 استمر الرابط الفرنسي ممثلًا في القوات الفرنسية والمستشارين الفرنسيين في قلب الجمهورية.

أحمد سيكو توري، ولد عام 1922، وكان أصغر سنًا من سائر القادة. وسرعان ما تبين من مساوئ الإندماج ورفضه عام 1958. وحقق انجازًا كبيرًا من خلال النشاط النقابي،كما تم انتخابه عام 1956 نائبًا في الجمعية الوطنية الفرنسية. ثم جاء انسحاب فرنسا من دولته مفاجئًا.

شرع توريه برنامج محلي مستمد من الماركسية، وكان حكم الحزب الواحد، وشارك نوكروما الوضع دوليًا ونصبه بعد عزله مساعد رئيس غينيا. أصبحت كوناكري قاعدة لكل جداول الأعمال الأفريقية. بيد أن الدولة قد دفعت للإفلاس. ولذلك كان التصارع،

مجازًا وحرفيًا، من هذه السمات وغيرها من التطورات في غرب أفريقيا. أما أنماط المؤسسة الاجتماعية فتختلف اختلافًا جوهريًا، وأيدت المجموعات العرقية واللغوية من الحدود (على سبيل المثال، حالة شعب آكان غانا وساحل العاج).

## الكونغو: كارثة تختمر

جاء جل اتحادات فرنسيان إفريقيا الاستوائية وإفريقيا الغربية- ليترك قدر من الشك ليغيم على الوحدات اللاحقة. كما انتقد سنجور بلقنة وتمنى اتحاد دول الفرانكفون، بينما أطلق عليه البعض "الامبريالية السنغالية"، لم يكن لهوفويت بواني أي منها. ولذلك كان يوجد مشكلات لم تحل ومتشابكة حيث تنازعت الدول الجديدة لإيجاد هيكل وهوية دائمة. وما تحقق لدول الفرانكون تحقق أيضًا في المستعمرات البريطانية سيراليون، وجامبيا، والكونغو. وتكتمل كارثة دولة من أصغر الدول في أوروبا، حيث وقعت في معركة المناطق الناطقة باللغات الفرنسية والفلمنكية والتي تحكم أكبر الأراضي الأفريقية وهي الكونغو. قبل ثلاثة أشهر من استقلال نيجيريا لكن التناقض كبيرًا في الترتيبات، كلاهما على الجانبين الأفريقي والأوروبي. وفي منتصف الخمسينيات نجحت الحكومة البلجيكية في تسجيل ما عزمت بريطانيا وفرنسا على فعله.

أعلن شارل دي جول عرضه لأفريقيا الفرنسية عام 1958 في برازفيل الفرنسية عبر النهر من يوبولدفيل(كينشاسا حاليًا) العاصمة الكنغولية.

بارتيس لومومبا، مدير مصنع الجعة والبالغ من العمر 33 عامًا، والذي حضر مؤتمر نكروما آكرا لعموم أفريقيا، ومؤسس الحركة الكونغولية الوطنية. كما إنه قدم عريضة للبلجيكيين راغبًا الاستقلال، بدأ حياته المهنية كمساعد لمدير مكتب بريد بعد إنهاء دراسته بمدارس البروتستانت والكاثوليك. بيد أن الطريق إلى الوظيفة الرسمية أمرًا ثانويًا بالنسبة له وفي شروط الالتزام الأفريقية كان ما تجهز له الإدارة البلجيكية في الكونغو.

كما أن توفير التعليم والرعاية الصحية مع مساعدة المبشرين احدث تغيرًا ولكن على مستوى معين. ولم يتم تحضير أي من الكوادر لتحمل المسئوليات التنفيذية الرئيسية، وعاشت الإدارة البلغارية الخوف مما قد يحدث ما لم تشير الحكومة في بروكسيل بالتغيير.

وأعلن بيان يناير عام 1959 أن بلغاريا انتوت تطبيق الديمقراطية في الكنغو والتي تقرر استقلالها. وكانت الفرضية القاتلة هي أن يكون هذا الأمر لا يزال عملية تدريجية. غير أن فكرة تحقيق الديمقراطية، على نطاق واسع دون تجربة انتخابية تعد فكرة طموحة. ولم يكن سوى مجرد مؤتمر في بروكسل في بداية عام 1960 أطلقته الحكومة البلغارية لتحقيق مطلب حتمي وهو تحقيق الاستقلال، وقد مُنح على الفور. ورغم هذا ظل البلجيكيون على صلة في الجيش على سبيل المثال. ولم يكن للضابط أن يترقى لمنصب أعلى بسهولة ولذا تمردوا. والأحداث التي لم تدرس تفصيليًا خرجت عن السيطرة. وجاءت الحركات التي من الممكن أن يطلق عليها لفظ وطنية لكنها قد لا تعني أي أهمية.

جاء كويس كابيدا تسومبي في كاتنجا التي كانت أغنى محافظات الكونغو، ليطلب المساعدة البلجيكية ويعلن الاستقلال. وصلت القوات البلجيكية ومنحته الدعم الوطني الكامل. أما لومومبا الذي اكتسب حزبه أكبر عدد من المقاعد في الانتخابات، أصبح بعد ذلك رئيس الوزراء دون اكتساح رغم أنه اشتم رائحة مؤامرة كاتنجا البلجيكية، الذي لم يكن يريد الاتحاد. أما الرئيس جوزيف كازافوبو كان أكثر تعاطفًا.

بيد أن الحكومة البلجيكية تبحث الآن لتحقيق الكمغو الفيدرالية، وجاء لومومبا ليزيح القاعدة الاقتصادية، واختلف كل من لومومبا وكازافوبو إلا أن الأخير أزاح الأول ولاعتبارات عدة لما كان يحدث في ذلك الوقت ظل تشومبي مجرد دمية بين شركات التعدين التي أبقت كاتانجا حائرًا.

واشتعل التوتر العرقي، وبات من الصعب معرفة مكمن القوى في البلد حيث أسس كل من نومومبا وكازافوبا مدنًا مختلفة لكل منهما. وأصبح من الصعب تحديد الحكومة التشريعية ولم يكن واضحًا ما إذا كانت القوات الكونغولية باستطاعتها هزيمة قوات كاتانجا ومؤيديه. وفي هذا الوضع المحير وعى داغ أمرشولد، الأمين العام للأمم المتحدة، لدور قوات الأمم المتحدة والذي كان لوموبا قد طلبها. وقوات غير غربية ضخمة لقمع الانفصال كشفت أن الأمم المتحدة لم تعجزها القوى العظمى. فقد وصلت قوات الأمم المتحدة بوصفها قوات حفظ السلام بيد أنه كان من الواضح أن أمرشولد قد استخدمها

لقمع انفصال قوات كاتانجا. ومن ناحية أخرى دعى لوموبو الاتحاد السوفيتي لإرسال طائرات لدعمه ضد كاتانجا، وجاء التقرير الأمريكي البلجيكي الذي أدى لتدمير لوموبا. ألقي القبض عليه في أكتوبر عام 1960 واغتيل في فبراير عام 1961، واستمرت الكارثة بحدةٍ حتى أواخر عام 1964 عندما نالت الكونغو في 30 من يونيو عام 1960 أراضيها كاملة. وفي أثناء تلك الفترة استمرت المناورات الملتوية وتصاعد العنف واستمر القتل. بيد أن يد القوى العظمى كانت في بعض الأحيان مرئية ومشتبه بها باستمرار. أما الجنرال جوزيف موبوتو فقد شجعته الولايات المتحدة الأمريكية لتأسيس جيش والتركيز على الوحدة الوطنية. واستمر موبوتو طامعًا في السلطة لنفسه. وانتهت أربعة سنوات مضطربة أو هذا ما بدا للمتفائلين، وألقي باللوم على جميع الأطراف. فالحكومة البلغارية تصرفت باندفاع بخبث؛ لوموبا كان متلهفًا متهورًا؛ الأمم المتحدة ما كان منها إلا أن زادت الطين بله؛ موسكو وواشنطن بكل الطرق لم يستفيدا من الموقف. وهكذا ظهر أمران الأول أن إدارة الكونغو مهمة صعبة، والخلافات القبلية والمسافات الداخلية ضخمة كما أن ضعف الاتصالات كان من الأمور التي تعانيها كل الدول الحديثة

### أثيوبيا واريتريا وكينيا: من المعضلات.

كانت كل من مناطق شرقي أفريقيا وشمال غربي أفريقا تمثل مزيج من الحكومات غير العادية وغير مستقرة وذات منازعات عرقية.

بيد أن إثيوبيا كانت مميزة في أفريقيا، كذا إمبراطورها" هيلا سيلاسي "من مواليد 1892 كان رمزًا عالميا في تلك المرحلة. وشهد عام 1936 خطابه الموجه لجامعة الأمم بلغة الأم الأمهرية احتجاجًا على الغزو الايطالي لأثيوبيا. كما قضى سنوات المنفى في المدينة الانجليزية الراقية باث، حيث كان يقرأ كتبه المفضلة عن التاريخ الدبلوماسي. وبعد أن هزمت التحالفات ايطاليا عاد إلى وطنه منتصرًا. كانت دولته محتلة لمدة خمس سنوات دامية. منح استقلال إثيوبيا لفترة طويلة وضعًا مميزًا، وآن للإمبراطور الاستفادة من دراسته لتاريخ الدبلوماسية، حيث كانت دولته عضوًا مؤسسًا للأمم المتحدة. وقد اعترضت لأسباب تاريخية واضحة منها ارتباطها بالأمن الجماعي من خلال إرسال جنود

لمشاركة قوات الأمن في الحرب في كوريا.

استطاع جذب مقر لجنة للأمم المتحدة الاقتصادية ليكون في أفريقيا. وقد استضاف عام 1960 المؤتمر الثاني لاستقلال الدول الأفريقية. ولم تنفي هذه المظاهر من "الحداثة" حقيقة أن الإمبراطور يرأس حكومة "عتيقة". ثم حدث تطورًا أخرًا. حيث وجد الإمبراطور نفسه خارج المنطقة. بيد أن معتنقي المسيحية في جزر المسيحية وجزر الهند الغربية رأوا فيه شخصية المسيح الذي سيقود أفريقيا إلى الحرية. وزار الإمبراطور جاميكا عام 1966 ورأي مئات الآلاف في انتظاره ولم يظهر أي إشارة رغم تمنيه لقيادتهم إلى موطنهم الأصلي. بيد أن أثيوبيا كانت تطمح في إمبراطورية خاصة في القرن الإفريقي. أما إريتريا فأصبحت مقاطعة عام 1962، ذات نظام فيدرالي نظري بعد إجلاء البريطانيين. كانت الأراضي الصومالية تابعة لبريطانيا لكنها أصبحت فيها بعد تدير أرض الصومال الايطالي. جلب التغير الإداري صراعات إريترية.كما وضعت إثيوبيا أيضًا سيطرتها على إقليم أوغاندا، حيث استوطن قطاع عريض من الصوماليين، وهو أمر تنازع عليه بضراوة الصوماليين المستقلون حديثًا. فضلًا عن أن الصومال قد طالبت بالإقليم شمالي كينيا الذي يسكنه أضخم تعداد سكاني من الصوماليين. بيد أن الحل العسكري في بعض الأوقات بدا وكأنه هو الأمثل. كون كل من كينيا وإثيوبيا اتفاقية دفاع باعتبار الصومال مصدر التهديد، وتأسست الحكومة الصومالية غير المستقرة ورأت أنها محاطة بالتهديدات. وطرحت أفكار مختلفة من الاتحاد كوسيلة لاحتواء النزاعات الحدودية وتعزيز رؤية مشتركة، لكنها تلاشت. ربما كان من الصعب التحام الأراضي الموجودة لتكون دولًا.

أما كينيا التي استقلت عام 1963 احتوت على مجتمعات عرقية مختلفة والتي قد تنقسم إلى مجموعتي البانتو والنيلية. احتلت مجموعات الرعاة البدوية المختلفة تمامًا عن المجتمعات التي تشاركها في الحدود منطقة الشمال الشرقي. وبدأت حالة الطوارئ في الماوماو عام 1952 واستمرت حتى 1960. وأقسم كيكويو اليمين للمحاربة من أجل الأراضي التي استولى عليها الأوروبيون. ثم تبع ذلك صراع متعدد الأطراف في كينيا وتورط فيه المستوطنون البيض اللذين بلغت نسبتهم أقل من واحد بالمائة من تعداد

السكان، والأسيويون (حوالي اثنان بالمائة)، وأيضًا الموالين لكيكويو، والإرهابيين التابعين لكيكويو في ماوماو، وغير الموالين لكيكويو، وأرسلت القوات البريطانية لتسوية الوضع. بيد أن المشهد كان قبيحًا، أعرب نهرو عن المشهد قائلًا أنها لم تكن حربًا لأجل الحرية.

حتى هؤلاء اللذين اعتقدوا أنها حربًا للحرية لم يرتاحوا لصورة أفريقيا التي احتلها الماوماو. كانت عقوبة جون كنياتا مثيرة للجدل بشدةٍ، حيث أنه قد ألقي القبض عليه وحُكم وسجن بتهمة حلف اليمين ولا يمكن أن يجزم أحد بمكان وقوفه، وأطلق سراحه بينما وصل مسار كنينا المتخبط إلى نهايته لكن ظل انقسام وجهات النظر بشأنه مستمرًا. وسواء استطاع من خلال منصبه الارتقاء على تلك الانقسامات الواضحة وسواء كان بالأفق ثمة مستقبل للأوربيين والآسيويين في كينيا، بقي أن نرى ما قد يحدث. وكان من المشكوك فيه أن يصبح "قرن أفريقيا" أمنًا.

## أفريقيا الوسطى: الانفصال.

في مبتهل عام 1960 قضى رئيس الوزراء البريطاني، ماكميلان ما يقرب من شهر متجولًا في قارة أفريقيا. كانت مناقشاته الأولى مع الرائد نكروما في آكرا، ثم انتقل إلى نيجيريا حيث الاستقلال يبعد شهرًا واحدًا. وعاد إلى لندن وعقد المؤتمر الخاص بمستقبل كينيا أخيرًا. ومن بريطانيا الصومالية الأرض(التي قد تضم الصومال التي كانت تحت حكم ايطاليا) الكائنة شمال شرق سيراليون في الغرب، قد تُجلى بريطانيا من تلك الدول الأفريقية في خلال نفس العام. في سيراليون أو الصومال فقد بدا احتمال وجود "حكمًا رشيدًا" أمرًا مشكوكًا فيه وسواء كان هناك هيكلًا يوضح هذا أم لا. فكل من فريتاون ومقديشيو لم تكن هناك نظرة حانية للمناطق النائية بهاتين العاصمتين.

أما المرحلة التالية من زيارة ماكميلان فقد أخذه سالسبري في جنوبي روديسا "وأسمها الحالي هراري كرمت" واحد من أسلافه، فقد أصبحت الآن مدينة خلابة بعد إزالة الحصن الرائد قبل سبعين عامًا، أصبح الوضع الدستوري معقد دائمًا ومثيرًا للشكوك. ومنذ عام 1953 كانت الأراضي الثلاث لشمالي وجنوبي روديسا ونيزيلاند قد تجمعت معًا في اتحاد "أفريقيا الوسطى" مع استمرار ارتكاز الحكومة والبرلمان على قمة

الإدارات والمجالس الإقليمية، بيد أن الأراضي الشمالية ظلت تحت الحماية البريطانية. أما جنوبي روديسا فقد مارست الحكم الذاتي لعدة عقود. فقد مارس البيض الحكم الذاتي .وإبان وصول ماكميلان كان السخط الأفريقي للترتيبات واضحًا. هل كان يجب على الاتحادات أن تمنح الاستقلال على الأسس الحالية, أو ينفصل حكم السود المتمثل في الأحزاب الثلاثة؟ بل هل يجب أن ينسحب جنوبي روديسا الذي يحكمه البيض؟ لم يكن العنف بعيدًا عن المشهد.

عين ماكميلان لجنة عام 1960برئاسة اللورد مانكتون لإيجاد حلًا، وقادت التسويات التي عرضها خلال السنوات القليلة التابعة للأحداث إلى انعقاد مؤتمرات أكثر لتسوية الأمور بشأن القرارات الخاصة بالدوائر الاتحادية والإقليمية. وحُصرت انجلترا، فلم تكن لتضمن الاستقلال دون حقوق الأغلبية للأفارقة لكن هذا لن يرضي جمهور الناخبين من البيض في جنوبي روديسا اللذين يدعمون قادتها،فانهار الاتحاد بنهاية عام 1963.

استقلت نياسلاند وشمالي روديسا عام 1964 ثم ملاوي وزامبيا، وأصبحت الحكومة في سالسبوري بقيادة إيان سميث الذي أعلن استقلاله عام 1965. وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي تغيرت أفريقيا الوسطى البريطانية ولكن ليس كليًا، ونشب صراعًا قويًا، حيث أخذت الدول الجديد أسماء أخرى ولكن كيف لقادتهم تشكيل مجتمعاتهم في ضوء الرؤية الدولية الجديدة لهم، لم يكن الأمر قابلًا للتنبؤ. وتمتعت زامبيا بوجود مدينة كابربلت (حزام النحاس) بينما لم تكن ملاوي تحتوي على أي معادن، ولم يكن لأي من لوسكا عاصمة زامبيا أو بلانتير المدينة الرائدة في ملاوي المدنية التي امتلكتها ساليسبوري. عاد هاستينج باندا من مواليد عام 1898 إلى نياسلاند عام 1958 والذي كان يعيش بالخارج منذ عام 1925. وقد ادخر مالًا ليستطيع دراسة علم الإنسان والتاريخ والطب في المؤسسات المختلفة بالولايات المتحدة الأمريكية. وذهب في وقت الحرب إلى بريطانيا لدراسة الطب بجامعة ادنبره ثم مارسه كطبيب في أماكن مختلفة من انجلترا وسكوتلاندا. ومثل مؤتمر نيسلاند الأفريقي في مانشستر عام 1945 وظل على اتصال بالشخصيات السياسية النشطة في حكومة الوصايا. ثم عاد إلى إفريقيا لقيادة القضية

الأفريقية، واستخدم لغته الأم "الشيوا" بعد فترة الغياب الطويلة ،كانت لغته ضعيفة جدًا بيد أنها أصبت أنه متحدث لبق. كما أن الدعم الذي ناله بالإضافة إلى تهديد العنف، دعا إلى استقلال ملاوي.

وعلى النقيض تمامًا كان كينيث كاوندا الذي ولد عام 1924، قد مكث بموطنه قبل أن يلقي بنفسه إلى العالم المنقسم الخاص بالمؤسسات السياسية. وكان كاوندا يعمل مدرسًا. وأسس المجلس القومي للأفارقة الزمبيين الذي تحول بعد ذلك إلى حزب الاستقلال الوطني المتحد. فكلٍ من باندا وكاوندا قد قضى فترة في السجن، وكلاهما تأثر في شبابه بالكنيسة الاسكتلندية، كان والد كاوندا وزير المشيخية، فتأثير الكنائس والتعليم والمجالات الأخرى ظل قويًا. كما أن الرجلان قد حافظا على مكانة دولتيهما في الكومنولث، فمثل تلك الروابط تعود بالإشارة إلى أوروبا وأمريكا. بيد أن المهمة السريعة كانت تقوية مالاوي وزامبيا بحسب المفاهيم "الوطنية" حيث تستخدم اللغة للحد من الحواجز، ثم بعد ذلك ظهر ما يدعو للسخرية وهو اتهام كاوندا بأنه لم يكن زامبيًا بالكلية (انتقل أباه من نيسالاند). بيد أن كل من الرجلين السود تواجدا في الظل "المبهم" للبيض وقاد الأوربيون النظام في الجنوب إلى حيث تبنى قادتهم السلوك والسياسات المتضاربة.

## جنوب أفريقيا: تقاوم الرياح

تحدث ماكميلان في البرلمان الأفريقي في كابتاون موجهًا حديثة لأعضاء البرلمان قائلًا أن رياح التغير كانت تهب عبر القارة وأنه يجب أن يكون الرد هو تبني "سياستنا الوطنية". وسُجل المقصود من هذا الكلام. ماذا ستكون السياسة الوطنية لجنوب أفريقيا رغم إثارة القضايا المعقدة والمشحونة. قد يتخلى البريطانيون عن "المهمة الامبريالية" والرجوع إلى قاعدتهم المعزولة لكن الكتلة الأكبر من المجتمعين البيض اللذين حكما في جنوب أفريقيا أصرا على البقاء في "موطنهم".

الحكومة التي هيمن عليها الأفريكان لم تثق في أن الحكمة قد تحل مثل هذه الأزمات بل كان الاستغناء بزيارة السياسيين البريطانيين. فالأفريكان اللذين قرروا وربما وجدوا لقضيتهم متعاطفين أكثر من الناطقين بالانجليزية، فالحضارة البيضاء كانت ما يشترك فيه

البيض. وفي غضون أسابيع من وصول رسالة ماكميلان اكتسبت إلحاحًا جديدًا

نظم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي معارضة ضد القانون الذي أعدته الحكومة التوسعية. ففي المستعمرة السوداء شاربفيل، جنوب جوهانسبرج، أطلقت الشرطة النار على هؤلاء المعارضين وقتلت 69 شخص وجُرِح حوالي 200. وفشلت محاولة اغتيال فيرورد في ابريل، فضلًا عن أن البعض اعتقد أن الثورة قادمة. بيد أن الحكومة كانت عازمة على قمع المعارضة وبدت واثقة من النجاح. كان من المنتظر أن يكون هناك "إدانة دولية لكن العالم كان كيانًا ضعيفًا. وامتزجت الروابط الخارجية والقوى الداخلية، مما زاد من صعوبة احتمال الوصول لنتيجة مقبولة للجميع في جنوب أفريقيا. التطور المنفصل لا يحقق تطورًا متساويًا.

عام 1959 تحدث روبرت سوبوكو، رئيس المؤتمر الأفريقي بشأن انتظار الأفارقة الدعوة لاستعادة قارتهم، وحان الوقت للصراع المسلح. و" آزانيا" التي تخيلها قد لا تكون البلد متعددة الأعراق، ذات الأطوار المتباينة، من خلال الرأي الليبرالي للبيض في جنوب إفريقيا. وتجسدت المعارضة غير العنيفة في المستقبل المهني لألبرت لوتولي، الحائز على جائزة نوبل للسلام عام 1961. وبدأ حزب المؤتمر الأفريقي الوطني في برنامجه التخريبي.

نيلسون مانديلا، الحاصل على شهادة القانون، ذهب تحت الأرض وأسس جناح عسكري "رمح الأمة ". أعلنت الحكومة أن كلا المجلسين يعتبرا مؤسسات غير قانونية، استلزم الأمر قوى جديدة لاحتجاز المشتبه فيهم والتحقيق معهم. تم القبض على مانديلا في أغسطس عام 1962 وبعد محاكمته عام 1964 حكم عليه بالسجن المؤبد لاتهامه بالتخريب. وبدت فترة الصراع طويلة. كما منحت انتخابات عام 1966 عدد 126 مقعدًا للحزب الحاكم، و39 مقعدًا للحزب المتحد، ومقعدًا للتقدميين.

بدا فيرورد محققًا استقرارًا أثبتته الأغلبية من الناخبين البيض، فهذا الاستقرار كان محل شكٍ بعد اغتياله في سبتمبر عام 1966. بيد أن الانتقال الأفريقي في أواخر عام 1959 كان جزء من ضربة متعمدة للاحتفالات بمرور خمسين عامًا على اتحاد جنوب أفريقيا،

والمخطط له في عام 1960. شددت المظاهرات على أن الاتحاد لا يوحد كل الشعوب، فكيفية وصف شعوب المنطقة بات أمر محفوف بالتعقيدات اللغوية. هل يستطيع أي شخص التحدث عن انقسام السكان بين أبيض وغير أبيض أو أسود وغير أسود؟ وقد تعتبر بعض المجموعات نفسها أسوئ تمثيلها، فما هي الأماكن التي تناسب الهنود والملونين؟ فلم يكن هناك جنوب أفريقيا واحدة، حيث أن كابتون لا تشبه جوهانسبرج ودوربان ليست بلومفونتين. لذلك ربما كانت الدولة مشهد من "الأوطان"؟ واعترف فيرورد على الملأ قبل عام من وقفاته أن السياسة التقليدية لحكم البيض في "بانتو"، والذين ليس لديهم الحق على الإطلاق ، لا يمكن أن تستمر. وبدا أن وجهة نظره تغيرت قليلًا. قد تنضم أراضي "المفوضية العليا" والتي تحيط بها جنوب أفريقيا ومازالت بريطانيا مسئولة عنها مثل سوايزلاند، وباسوتولاند. حتى أن جنوب غرب أفريقيا التي مازالت تحت إدارة بريتوريا المثيرة للجدل بموجب تفويض من عصبة الأمم المتحدة قد تنضم هي الأخرى. أما مشروع بانتوستان فتم إلغاءه فورًا. فأي أفريقي قبل دور العميل قد عرف بأنه جاسوسًا. وربما أصبح الاستقلال عار. ولم تكن المنافسة تعني أن تبقى خصمًا بين مجموعات مختلفة اللغة ولديها هوية قوية داخل المؤتمر الأفريقي، فقد تعقدت علاقات فيرورد بالمؤسسات. وفي أثناء محاكمة نيلسون مانديلا في ابريل عام 1964 في مرافعة رائعة جابت العالم كله، عبر مانديلا عن إيمانه بالمساواة في الحقوق السياسية في جنوب أفريقيا متعددة الأعراق، إلا أن تلك الكلمات ظلت تعني أشياء مختلفة لمختلف الشعوب. بيد أن العلماء السود المتخصصون في دراسة أفريقيا قد تحدثوا عام 1956 عن إعادة كل ما فقدوا نتيجة غزو البيض لأفريقيا. لم يكن مانديلا مجرد محاميًا حاصل على درجات علمية من جامعة ويتواترسراند فحسب بل كان عضوًا في القسم الخاص بالطلبة في البيت الملكي بجمهورية ترانسكاي.

هل كانت جنوب أفريقيا ديمقراطية، دون أن يؤدي السود أي دور، نظام أبيض يتم استبداله بآخر أسود، أم أن الديمقراطية نظام واحدًا عالميا للجميع الأبيض والأسود؟ والقضاء في جنوب أفريقيا عرض التزامًا جوهريًا لسيادة القانون.

أعلن مانديلا استعداده للموت في سبيل تحقيق ما آمن به، لكن الموت لم يكن مسموحًا، وكان من الممكن أن يقدر له تحت حكم أنظمة متعددة.

## هل عادت كل من كوبا والبرتغال الأفريقية إلى اللغة الأصلية؟

انتشر صدى الوضع في أفريقيا عبر أوروبا وأمريكا، حتى أن المنظور العالمي بالولايات المتحدة كان لا يزال يعرف حكومة جنوب أفريقيا بوصفها معارض قوي للشيوعية. وظلت الحكومة تمارس الضغط على الأنشطة الشيوعية في جنوب أفريقيا، غير أن العلاقة بين الشيوعيين والبيض والسود كانت غامضة في حزب المؤتمر الأفريقي. بل كان هناك مجالًا واسعًا للتضليل. بيد أن أمريكا لم تكن لتعتبر جنوب أفريقيا شريكًا في الصراع العالمي. تحدثت "الحقوق السياسية المتساوية في بلد متعدد الأعراق" مباشرة إلى السياسة الداخلية بالولايات المتحدة الأمريكية. كما أضافت كوبا علاقات جديدة عبر القارات. في ديسمبر عام 1963 بدأ جيفارا الرفيق الغامض لكاسترو المولود في الأرجنتين رحلته من كوبا إلى أفريقا للحشد لقيام ثورة، وجدير بالذكر أن البيئة كانت خصبة لقيام هذه الثورة. وكانت هناك مجموعات صغيرة تقودها وحدات كوبية يمكنها حشد ثورة شعبية تستطيع هزيمة جيوشًا تدفعها القوى الاستعمارية أو الأنظمة الاستيطانية.

شهد ابريل من عام 1965 إبحار متطوعين من الجنود الكوبيين إلى تنزانيا، بيد أن الحملة التي تلتها كانت بقيادة بعض المرتزقة وانسحبت. وفي مشهد أخر للكارثة في كوبا نجد أن الجنود الكوبيين في برازفيل في منطقة الكونغو الفرنسية سابقًا لم تقدم ما كانت تنتظره القاعدة الثورية. وبعد مرور فترة وجيزة تطوع الكوبيون السود اللذين أبدوا استعدادًا لمساعدة الحركة الثورية تحت قيادة أميركال كابرال في غينيا بيساو البرتغالية.

وإذا كانت الثورة العالمية التي خرجت من الكاريبي متواضعة الأبعاد، على الأقل وقت ظهورها، فهناك سحر ما في كاسترو وجيفارا.

وإذا ما كانت كوبا تمثل بالفعل عبور القارات كنوع من البديل السوفيتي فهي نوع خاص. بيد أن البرتغال بينت ميلًا بسيطًا للإسراع بالخروج من أفريقيا مهما كان ما تفعله

بريطانيا وفرنسا. وبقي واضحًا في قيادة انتونيو سالزار (مواليد 1889) رئيس الوزراء، والحاكم الفعلي منذ عام 1932 أنه لا يبغي شيئًا من هذا العالم المتغير، وإعترف أن دولته في موزنبيق وأنجولا وغينيا لديهم المسئولية دائمًا لقيادة شعوبهم من التخلف إلى الحضارة. فوفقًا لمعايره لم يكن سوى نسبة ضئيلة كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الهدف. كان دور أنطونيو ساليزار حاكم البرتغال هامشيًا في "أوروبا الجديدة"، وضعتها مستعمراتها في وضع عالمي متواضع (شجعت الهجرة إليهم).

أما المباني التجارية والخاصة والتي تميزت بأناقتها ومدنيتها الموجودة في سيبورت العاصمة الموزمبيقية توجت بالجامعة الجديدة وبمجتمعاتها من البرتغاليين، والإسماعليين، والهنود من جوا، والصينيين من ماكاو اللذين تحدثوا عن "العالم البرتغالي" فضلًا عن العالم الأفريقي. إلا أن المدينة كانت تشبه المناطق النائية بشكل مخيف. وفي عام 1962 بدأت جبهة التحرير في موزنبيق حملتها بالبلد، وأرسل عدد من الجنود البرتغاليين لاحتواء الموقف كما أُرسلوا إلى أراضي برتغالية أخرى. وبدأ الإحساس بالكارثة يتعلق بكل مناطق جنوب أفريقيا في منتصف الستينيات. ولم تكن مصالح الأنظمة وتصورها للأمر في ساليسبوري وبريتوريا ولورانس ماركيس متشابه بيد أن الاتحاد على موقف واحد قد ينجيهم. لا يمكن وصف المشهد بأنه سلامًا كاملًا أو حربًا كاملة.

### الوحدة الأفريقية: صوتًا واحدًا ولغاتٍ مختلفة؟

لم تظهر أفريقيا في السابق أي مدلولات على "الوحدة" إلا أن الخطاب المعاصر قد أكد أن الوحدة والاستقلال يتحققان معًا. ففي مايو من عام 1963 دعا هيل سيلاسي رؤساء الدول الإفريقية في أديس أبابا لعقد وحدة أفريقية، بهدف خلق منظمة واحدة. فقد شهدت السنوات القلية السابقة انبثاق دولًا هي في واقع الأمر كتل متنافسة ومنفصلة. ولم تلقى الدعوات التي وجهتها الإمبراطوريات إلى هؤلاء القادة الأصليين لهذه الدول لحضور مجموعة "كاسبلانكا" ترحيبًا بل كان الأمر مختلفًا. فالدول الاثنان وعشرون اللذين حضروا وافقوا على إنشاء منظمة للوحدة الأفريقية. ويوم القسم الرئاسي لم يكن به أي ترتيبات أمنية خاصة بل كأنه لقاءًا سنويًا لرؤساء الدول، أسست الأمانة وتحددت لجنة

لتسوية الخلافات وإذا لزم الأمر تنظر أمامها قضايا النزاع بين الدول. إلا أنه لم يكن من السهل تسوية الأمر مع وجود شرط عدم تدخل الأعضاء في الشئون الداخلية لبعضهم البعض، كما هو الحال في الأمم المتحدة. وظل التركيز الأكبر على إنهاء الاستعمار وجعل أفريقيا قوة مؤثرة في العلاقات العالمية. إلا أنها لم تكن مؤهلة لهذا. كان لابد من تحرير جنوبي ووسط أفريقيا، فقد وصلت أفريقيا إلى المسرح العالمي ولكنها غير مستعدة. وأصبح خلق صوت أفريقي أكثر صعوبة من تكوين منظمة. حتى أن لغات المستعمرين، الانجليزية والفرنسية، استمرت وسيلة الاتصال عبر بلدان مقسمة لغويًا. وأبقت هاتان اللغتان الاستعداد للاتصال مستمرًا بين أوروبا وشمال أمريكا. فلم تتواجد لغة واحدة لتعبر عن الصوت الإفريقي،ولا حتى صوت ديني موحد. فالإسلام والمسيحية تنافسا في دولة تلو الأخرى وقد يتفاهم الاثنان وأحيانًا يختلفان. فمن الجانب المسيحي سعى كل من مجلس الكنائس العالمي أو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لحوار الأديان. فمجلس كنيسة الفاتيكان الثاني (1963-65) عبر عن اهتمام الكنيسة المتزايد بالمسلمين حيث نادت بالتفاهم المتبادل والتغلب على عداء الماضي. ولم يسهل إيجاد مسلم رشيد يشارك في الحوار. والدول التي يعتنق سكانها المسيحية والإسلامية يتصاعد فيها الخلاف عندما تتطور الأمور إلى الموضوعات العرقية واللغوية. وعلى الرغم من مرور نيجيريا منذ لحظة استقلالها بتلك الصعوبات لكنها لم تكن الوحيدة، وكان يقترح أحيانًا أن تنقسم إرتريا إلى دولتين ويعيش المسلمون في السودان والمسيحيون في إثيوبيا بيد أن السودان كانت منقسمة بالفعل حيث عاش المسيحيون جنوبًا والمسلمون شمالًا. أما صلات القرابة القوية بين البروتوستات والكاثوليك كانت تهم في بعض الأحيان، وتعكس بقوة التوازن الديني لعودة قوة المستعمرة لموطنها. فتلك الواردات الأوروبية تفحص طريقها المُستقبلي. والمسيحية الأفريقية قد تكون شيئًا استوطن حديثًا. كان هناك ما يجب فعله فيما يتعلق بالعلاقات الإفريقية العادية، حيث بدأ الاتزان في عالم المسيحية يبدو وكأنه متغيرًا، وربما كانت المسيحية الأفريقية أكثر حيوية وديناميكية من المسيحية في أوروبا.

كما كان القادة الناشئين أيضًا مزدوجي الإرث ولهذا كانت أصواتهم معقدة، واختير

مثالين محددين لكن وضعهما كان متشابه عبر القارة. وأشير إلى المنصب المحوري لجوناتون كنياتا في كينيا في وقت سابق. فالرئيس الكيني عام 1964 لم يكن يعلم مسقط رأسه أو أين بالتحديد. ومن المحتمل أن يكون عام 1893 هو العام الذي أسست فيه بريطانيا "حكومة الوصايا على شرق أفريقيا". كان تلميذًا في المدرسة التبشيرية التابعة للكنيسة الاسكتلندية، واعتنق الديانة المسيحية عام 1914، وكان شعبه كيكويو الأكبر بين ثلاثة عشر قبيلة والتي أصبحت كينيا لاحقًا مكونة للمجموعة المركزية للدفاع عن حقوق الأراضي من الاستيطان البريطاني. وبوصفة الأمين العام ذهب إلى لندن عام 1929 ووعد أن يظل صادقًا لقبيلته، وألا يتزوج من امرأة بيضاء وأن يعود إلى موطنه. وشاهد في لندن الملك البريطاني يفتتح البرلمان. ولاحقًا بعد أن درس الاقتصاد في موسكو، قادته دراسته لعلم الإنسان في مدرسة الاقتصاد بلندن إلى نشر أطروحته تحت اسم "مواجهة جبل كينيا" عام 1938 والتي جذبت انتباه العديد. وعندما عاد كينياتا وطنه دون زوجته الانجليزية في ذلك الوقت عام 1946 كان قد قضى خمسة عشر عامًا خارج البلاد. بيد أنه ليس مفاجئة أن تُفسر خطواته بعد ذلك في طريق السلطة تفسيرًا مختلفًا.

أحمد بنبيلا ولد عام 1916 كان شخصية مختلفة لكن مازال وفي عام 1954 أسس وقاد جبهة التحرير الوطنية في الصراع المسلح ضد فرنسا في الجزائر، كان لاعب كرة قديم مرسيليا السابق وجندي فرنسي . أُلقي القبض عليه عام 1956 وقضى فترة في السجن الفرنسي مكنته من تطوير مبادئ اللغة العربية واكتشف الماركسية الحديثة. وبحلول عام 1962 اتفاقية إيفيان، ومع هؤلاء اللذين وافقوا على الشروط مع فرنسا دُفعوا جانبًا، كان خارج البلاد ما يقرب من عقدٍ. وبوصفه أول رئيس جمهورية لدولته صمم على عدم عودته إلى أي من الأصول الماضية قبل وصول فرنسا. كما أراد أن تكون الجزائر قلب الثورة وليس فقط في أفريقيا، مما جعله يدخل في صراعًا مع المغرب. وبعد مرور عامين خُلِع ونُفي من قبل الفصيل العسكري بقيادة هوراي بومدين من مواليد عام 1923. والتزم النظام تمامًا بمناهضة الاستعمار في إفريقيا وغيرها، غير أن الخطاب مازال متأثرًا بالصبغة الفرنسية. وتواجدت العديد من الألسنة والاختلافات الطفيفة خلف الأصوات الإفريقية.

# 12

# التأقلم الآسيوي

لقد اعتبر المعلّقون المعاصرون لهذا العِقْد من السنوات كل من الهند والصين" متأثرين بحجم كل منهما" مسارات متناقضة لأي مستقبل أسيوي؛ بل من المحتمل لمستقبل العالم بأكمله. حيث تعتبر الهند من أكبر دول العالم ديمقراطيًّا وفقًا لمفهوم الديمقراطية بالنسبة للغرب. حيث تم أداء الانتخابات الخاصة بها بشكل طبيعي وعادل. فلم يمارس الكونجرس على الرغم من سيطرته كحزب حاكم السلطة مثلما كان الحزب الشيوعي بالصين يمارسها. فلقد كانت تسعى الهند في العمل بنظام فيدرالي معقّد ليس بدون التجربة أو الخطأ حيث لم تكن الصين جاهزة للمخاطرة به. وفي ظل تلك الجوانب بالإضافة إلى الحكومة المركزية التي لا تزال واقعة تحت سيطرة النخبة الذين تم إثقالهم بالأفكار السياسية وتعليمهم لغة رؤسائهم السابقين الاستعماريين؛ فقد كان لمدينة نيودلهي جانب غربي لم تتمتع به الصين. يعتبر التوازن بين الاتحاد والاختلاف الذي تم تطويره في ظل الحكم أو الراج البريطاني من الأمور التي كانت تكافح الحكومات الهندية المركزية لدعمها وتأييدها. ومن ناحية أخرى، بينما تم خضوع الصين إلى كثير من الضغط الخارجي الأوروبي؛ فلم يكن لها حضور وتواجد أوروبي يحدد الحدود والخريطة الخاصة بها في المتناول. فهذا هو الدرس الخاص بهشاشة الصين القائم في الماضي والذي يكمن وراءه

الإصرار والتأكيد على قيام دولة قوية؛ تستبعد "الفيدرالية" وتقدم تأكيدًا وإصرارا على مناطق الحدود.

ومع هذا، ليس من الممكن اختزال مسألة تطوّر قارة آسيا إلى عقد مقارنة بين كل من العملاقيين التابعين لها على الرغم من اشتمالهما على دلالة رمزية. فإذا كانت وحدة تطوّر أفريقيا منطوية على مشاكل معقّدة، فقد يكون ذلك الوضع من المناطق الأسيوية أيضًا والتي من بينها: جنوب، شرق، جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي بالإضافة إلى جزء من منطقة الشرق الأوسط التي من الأفضل اعتبارها من ضمن منطقة جنوب غرب آسيا. فليس الهدف من العناوين الرئيسية المشار إليها في الأقسام التالية هو استبعاد إمكانية تصوّر أنماط مختلفة من التفاعل بين الدول والثقافات التي سوف تشكل آسيا جديدة والعلاقات القائمة بين القارات. كما يكون لقارة آسيا العديد من وجهات النظر المختلفة بشأن العالم.

## الصين: هل لا تزال على الهامش؟

يبدو أن العالم والصين لفترة من الوقت تواجدا داخل جزأين مختلفين. ولم يتم قبول دولة بكين عضوا داخل الأمم المتحدة. حيث ظلت الصين داخل نيويورك بمثابة النظام القومي بتايوان. ومع هذا، لم تحصل الأمم المتحدة على غالبية الأصوات من أجل إحداث تغيير. فعلى سبيل المثال، قام مبعوث الاتحاد السوفيتي في ديسمبر 1961 بإطلاق هجوم فعلي عنيف على تايوان في محاولة للاعتراف بدولة الصين الشيوعية. فقد كان هذا الهجوم عنيف جدا لدرجة أنه كان له نتائج عكسية جسيمة. ولكن الولايات المتحدة الأمريكية عارضت ذلك الأمر بشدة حتى تمكنت في النهاية من الحصول على الأغلبية لإحداث التغيير.

ومع ذلك، فقد كان تصويت الحكومة البريطانية التي أقامت علاقات دبلوماسية قبل ذلك مع بكين، لصالح اعترافها بـ "الواقعية" أمرا ضروريا. كما يعتبر الافتراض بأن الحكومة بتايوان تمثل حقًا الصين على الصعيد الدولي أمرًا عبثيًا. حيث أن امتلاكها لمستعمرة هونج كونج جعل بريطانيا على علم وإدراك تام بالحقائق والوقائع الصينية. ومع

هذا وفي الوقت الحاضر، فإن صوت الصين كان قادمًا من تايوان من وجهة نظر العالم الرسمية. فقد كان يستلزم على الحكومة هناك فقط التعايش مع الافتراض القائل بأنها كانت مستعدة لـ استئناف أو مواصلة السيطرة على البر الرئيسي. فقد كانت تسعى بكين إلى الحصول على دعم وتأييد للاعتراف الخاص بها ولكن بدون بذل المزيد من التحمّس لما قد حققته "الأمم المتحدة" حتى الآن. ولقد تم تورط الحكومة الصينية، بعد كل ذلك، مع كوريا في نزاع لاذع ومكلّف؛ تم الإشارة إليه بـ عملية الأمم المتحدة. فمن المؤكد أنه من الصعب قيام حرب بين العالم والصين مرة أخرى نظرًا لحصولها على مقعد دائم داخل مجلس الأمن. ومن جانب آخر، فقد تستلزم تلك العضوية في أي وقت يتم إنشاؤها على الصين اتخاذ بعض من المواقف الأكثر رسمية بشأن القضايا الدولية. وحيث أنه تم استبعادها في الوقت الحاضر فكانت تقوم بكين بأداء مهامها بشكل مختلف تماما.

قد يبدو تحمّس الاتحاد السوفيتي للاعتراف بدولة الصين، كما هو ثابت بحلول عام 1961 بمثابة الدليل على ما كان قد متوقع بشأن العالم الشيوعي. ومع ذلك، لقد اندلع عدد من التساؤلات بشأن قيادة وترابط هذا العالم على مر الست سنوات السابقة. والتي من بينها: من الذي يملك حقوق الطبع والنشر للشيوعية؟ هل من الممكن إتمام النصوص المقدّسة؟ حيث تم وضع رقابة مشددة على مذهب الأرثوذكسية العقائدي داخل كل من موسكو وبكين؛ ولكن من الصعب انفصال تلك الأمور عن الوقائع الثقافية والجيوبوليتيكية بشكل تام. فليس من السهل أبدا اختلاق علاقة حيوية ودائمة بين الصين والاتحاد السوفيتي. فلم تكن الأفضلية أو السيادة التي توقعها ستالين وتم إدراكها وتحقيقها إلى حد ما سببا في إطالة عمره وتأخير وفاته. لقد كان هناك في نطاق محدود جدًا تصور مبدئي يشير إلى كون موسكو دولة أمريكية أوروبية إلى جانب كون الصين دولة متأخرة ومتخلفة ومع ذلك لم يتم التمكن من تنظيمها. حيث أن العالم في ظل تلك الأحكام يكون خاضعًا إلى العقلية الإمبراطورية أو الملكية التي تعتبر الاتحاد السوفيتي منظومة متقدمة والصين دولة متأخرة. ومع هذا أصبح ما تشير إليه عبارة الشراكة أو المشاركة حتما منطوي على مشاكل معقدة. لقد قامت الصين بثورة خاصة بها. فقد كانت

سيطرة ونفوذ الاتحاد السوفيتي، في مجال التجارة خاصة مجال تطوير بعض المشروعات اللاستشارية المشتركة واضحة وملموسة على الأقل بالنسبة للصين.

لذلك وحيث أنه تم إبرام الاتفاق عام 1950 في الموضع الصحيح ، تم تأسيس دولة شيوعية ضخمة فقد كان هناك تباين في المصالح والتوقعات منذ البداية. وبحلول منتصف الستينات كان ذلك التباين واضحًا. حيث قد تكون أي نتيجة أخرى لذلك الوضع مفاجئة. فقد كان لكلا الدولتين الآليات الخاصة بكل منهما للاحتواء، السيطرة والتنسيق أو التنظيم. حيث أثارت الحدود الممتدة الخاصة بهما عدد من المسائل والقضايا الجدليّة. لقد كانت يد التاريخ ثقيلة. لقد كانت الترتيبات أو الإجراءات الخاصة بالمعاهدة الموقّعة خلال العصر الفريد السابق من وجهة نظر بكين غير نافذة ومشتملة على تحدّيات جمّة. كما لم يتم إعفاء المسؤول الحالي عن الإمبراطورية الروسية. فكما يزعم البعض فقد تواجه الصين قضايا تتعلق بالحدود أكثر من أي دولة أخرى بالعالم. لقد ظل الأوربيون يسيطرون على كل من هونج كونج ومكاو على الرغم من مغادرتهم البلاد بالطبع في الوقت المناسب. فقد كانت تايوان قضية خاصة ضمن تلك القضايا.

لقد كان التأكيد على التوحيد الإداري من الأمور والمسائل التي تمت ملاحظتها بشأن الصين الجديدة. فقد كان هناك حكومة مصممة على تنفيذ سلطتها وفرض سيطرتها على الدولة وقد أثبتت بالفعل أنها قادرة على عمل ذلك بشكل غير اعتيادي. فإن اللغة عنصر هام وحيوي بإعتبارها وسيلة أو أداة لتنفيذ تلك الوحدة. ولقد تم حدوث تعاون بين النظام الاشتراكي بالصين والاتحاد الاقتصادي والسياسي لجماعة الهان العرقية. حيث يقصد بذلك أنه منذ أواخر الخمسينات فصاعدًا تم الترويج للماندارين داخل إذاعات الراديو كنسخة معدّلة من اللهجة الخاصة بدولة بكين. كما لا يزال القاطنون من كانتون وشنغهاي يتمسكون بأساسيات محلية، ولكن كان واضحًا أن الصين تتحدث، نصًا ومجازًا، باللهجات الخاصة بدولة بكين.

لقد كانت الحدود الخاصة بالصين محل نزاع وخلاف داخل الغرب. وحيث أن روسيا اتفقت مع الاتحاد السوفيتي في ذلك الشأن، فقد كان هناك علاقات معقّدة مع

الأقليّات مع انعدام الجاليات الدينية والجاليات الأخرى التابعة لجماعة الهان الإثنية. كما اكتسب مصير ومستقبل التبت أهمية كبرى. حيث قامت الصين بشن غارات عليها في أواخر عام 1950 وصرحت بعدم عزمها على مغادرة البلاد. لقد كانت الاحتجاجات المقدّمة للأمم المتحدة دون جدوى على الرغم من إجراء العديد من المباحثات والمفاوضات بشأن الشرعية أو غيرها من الإجراءات المتخذة من جانب الصين. لقد احتجت الهند في بادئ الأمر ولكن قامت بعد ذلك بالاعتراف بسيادة واستقلال الصين داخل منطقة التبت عام 1954. كما هرب الدالاي لاما، القائد الديني لمنطقة التبت، إلى الهند عام 1959. فمن المحتمل أن يعتبر المستقبل، إذا أمكن تحقيقه، بالنسبة للمناطق الحرة والمستقلة بعض الشيء داخل الصين بمثابة حل وسط لهذا النزاع. فمن الواضح مساهمة العلاقات الصينية الهندية بشكل هام ومحوري في تحديد كيفية انتشار قضية التبت والكشف عنها. حيث ظل الاتحاد السوفيتي قلقا من أجل تأكد القوى "الأسيوية" من أنه لديه مظهر وتأثير أسيوي أيضا.

### الصين والهند: دمدمة منطقة الهيمالايا

لقد ألحقت الدول المجاورة للصين كثير من الأهمية بالنسبة للمسائل الخاصة بالحدود بسبب ارتباط التوضيح الخاص بهم بالهويّات المعقدة الخاصة بهم. حيث تقف ممالك منطقة الهيمالايا والتي من بينها مملكة النيبال، مملكة بوتان، ومملكة سيكيم بشكل حتميّ بين أحضان الدول الكبرى المجاورة لهم. وفي أفغانستان، اكتشف الملك الحاكم منذ عام 1933 أنه من الصعب على نحو متزايد الحفاظ على وحدة البلاد المتزعزعة. ولقد قام البريطانيون في الماضي بلعب هذا الدور الواضح في شؤونها الداخلية وبالفعل قاموا بتقليد مراسم العرش للأب الروحي لهم، ولكنهم لم يكونوا حاضرين آنذاك. حيث تجاوزت التشابهات القبليّة واللغوية حدود كل من : أفغانستان وباكستان، وجعل انقسام الشعب إلى أفغانيين وباكستانيين أمرا مشكوكًا فيه. لقد استمرت كشمير، التي تم وصفها دائما بـ "القرحة المستمرة"، في التقيح والفساد. وفي يناير 1957، تم دمجها رسميا داخل الاتحاد الهندي بشأن الاحتجاج القوي الذي قامت به باكستان. وفي العام السابق، تم إعادة تنظيم

ولايات الهند على المسارات اللغوية. حيث ظلت العلاقة بين اللغة، الديانة، الانتماء العرقي والانتماء لدولة غير مستقرّة في كل مكان داخل منطقة الهيمالايا. كما أن انحياز كل من الجبال والوديان، خاصة بالنسبة للدول الكبرى المعنية، يسير ويتقدم بشكل سيء مع التحالفات السياسية. لقد أثار علم الجغرافيا عدد من التساؤلات بشأن القيادة داخل آسيا. حيث اتفق كل من الهند والصين، كما هو موضح بالجزء الثاني، على عدد من المبادئ. حيث تم وضعهم الآن موضع الاختبار.

لقد وضع قيام الدالاي لاما بالهروب إلى الهند عام 1959 نهرو في موقف محرج. لقد اعتقد بعض من زملائه أنه كان يجب إدانة واستنكار الاستعمار الصيني، ولكنه لم يتأثر بذلك. فقد كان هو على علم وادراك جيد بأن السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله إبعاد الصين عن مقاطعة التبت هو الانخراط في الحرب، وأنه لا يمكن التردد في تنفيذ ذلك. ولم يكن نهرو معارضًا نهائيًا لفكرة استخدام القوة والعنف. حيث قام باللجوء إليها عام 1961 عندما قام بترحيل البورتغاليين من مدينة جوا وبالتالي ساهم في التخلص من آخر أثر للاحتلال الأوروبي داخل شبه القارة.

ومع ذلك، تم جعل منطقة الحدود الشمالية واقعة تحت مسؤولية الجيش الهندي. وتم إجراء مفاوضات غير منتظمة مع بكين، بدون الوصول إلى حلّ. ومع هذا، فمن الواضح في تلك الآونة بأنه كان هناك ادعاءات ومطالبات من جانب الصين بشأن الأرض التي كانت تعتقد الهند أنها تابعة لها. وفي أكتوبر 1962، ومع قيام دولة كوبا باحتلال كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في السابق، قامت القوات الصينية بمهاجمة القوات الهندية بنجاح داخل إحدى مناطق الحدود؛ أسفر عن حدوث فوضي واضطراب داخل صفوف القوات الهندية. حيث تم فشل الهجوم المضاد التالي الذي قامت به الهند؛ مع وقوع إصابات عديدة. حيث كان يعتقد البعض بأن الهند مهدّدة بشن غارات على نطاق واسع داخلها. ومع ذلك، قامت الصين بالإعلان عن وقف إطلاق النار في 21 نوفمبر. حيث انسحبت تجاه الحدود التي تراها صحيحة ومناسبة.

## الصين: هبوب رياح الشرق؟

لقد أدت الأزمة داخل منطقة الهيمالايا إلى اندلاع عدد من التساؤلات الأكثر عمقا بشأن العالم. فقد كانت تقلّد الهند وتنظر إلى الاتحاد السوفيتي. ففي مثل هذه الحالة، لم يكن هناك اتفاق بين الصين والاتحاد السوفيتي بشكل واضح. حيث تم انهيار وسقوط الدول الشيوعية. واستنادا لما حدث في عام 1957، خلال زيارته الثانية إلى موسكو قام ماو بإخبار الطلاب بأنها تلك رياح الشرق بالأحرى من رياح الغرب التي تجتاز حاليًا العالم بأكمله. فقد كانت تتصرف الصين وتشق طريقها بمفردها. حيث كانت على وشك اتخاذ قفزة كبرى إلى الأمام. فقد كانت تتجه لتكوين مجتمع شيوعي حقًا، من خلال تأسيس وبناء كومونات ضخمة، كما كانت تشق طريقها على قدم وساق استنادًا إلى القيم والتراكيب القائمة قديمًا. لقد بيّن ماو لخروتشوف والعالم بأكمله أنه تم تمهيد الطريق الخاص به نحو الاشتراكية. ففي بادئ الأمر، كانت جميع الأمور تسير على ما يرام ولكن كانت المحاولات والمساعي المبذولة على نطاق واسع على وشك الانهيار والسقوط. لقد تحوّلت القفزة الكبرى إلى الأمام إلى مجاعة كبرى بحلول منتصف الستينيات، نتج عنها وفاة ما يتراوح من 25 – 30 مليون فرد (حيث تختلف تلك التقديرات). لقد كان هناك من بين عوامل أخرى إساءة تقدير فادحة للحماسة الثورية. حيث تم انسحاب كل المستشارين والفنيين التابعين للاتحاد السوفيتي. وتدهورت العلاقات بين كلا الدولتين أكثر فأكثر. كما كان الجو المحيط مليئًا باتهام مضادّ أيديولوجي. فمن ناحية كان الاتحاد السوفيتي يعمل كجهة ثورية بشكل غير كافي، بينما الصين من ناحية أخرى لم تستوعب ما الذي يقصد بمذهب الماركسية الاشتراكي بشكل سليم.

لقد قدّم زوهو انلاي، بدون أدنى شك مردّدا ما ذكره ماو، صورة للعالم مماثلة لتلك الصورة التي قدمتها بكين. حيث احتلت الدول الكبرى الفئات الأولى. لقد اختلفت كل من الأنظمة السياسية والاقتصادية الخاصة بهم، وكان التنافس فيما بينهم حادًا وقويًا بشكل متقلّب؛ ولكن امتلاكهم المشترك للأسلحة النووية ساعد على انحصارهم سويًا بشكل متناقض داخل مجالات تفوقهم. لقد كان توقيع كل منهما على معاهدة الحظر

الشامل للتجارب النووية عام 1963 بالنسبة لبكين بمثابة تأكيد مع استسلام خروتشوف وتسليم كوبا للعدوّ على موافقة كل منهما على تمثيل ورسم العالم كحكومة ثنائية. ومن أجل البقاء في مثل هذه المنظمة، فقد كان يستلزم على الصين القيام بتطوير الأسلحة النووية الخاصة بها، بدون الحصول على أي مساعدات من الاتحاد السوفيتي – مثلما اتجهت الآن بالفعل لعمل ذلك. فقد كانت الدرجة أو الفئة الثانية مماثلة لتلك الفئة الخاصة بحلفاء الدول الكبرى أو العظمى. لقد اختلف المدى الذي تم من خلاله حكم ورئاسة هؤلاء الحلفاء بشكل حتمي حقيقى، ولكن تواجدهم داخل نطاق ومجال رؤسائهم ساهم في استبعاد الصين. فلذلك استطاعت الصين تحقيق مركزها ومكانتها أيًا كانت تلك المكانة من دول عدم الانحياز. ومع هذا كانت القيادة داخل هذا النطاق منطوية على مشاكل معقّدة. فقد لاحظنا نحن بأن دول عدم الانحياز ظلّت مضلّلة ومائعة. حيث نادرًا ما تقترح الأحداث ترحيب الهند بالقيادة الصينية. فقد كان من الواضح أن بعض دول عدم الانحياز البارزة من بينهم مصر على سبيل المثال قد يرغبون في قطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي نزولًا عند رغبة الصين.

لقد رحبت دولة بكين بحقيقة قيام الكثير من الدول الأوروبية الغربية بإقامة علاقات دبلوماسية شاملة معها. كما شجعت بولندا لأن تكون أكثر استقلالية. ومع ذلك وخلال الفئة الثالثة استطاعت الصين من تعزيز مكانتها العالمية حيث أنها كانت حذرة بشأن أمنها ضد الدول العدوانية المجاورة لها.

لم يكن الإطار المرجعي الخاص بزوهو انلاي مقنعًا بشكل كامل. فكما أوضح ماو فإن هبوب رياح الشرق كان مبالغ فيه على نحو كبير على الرغم من عدم وجود قوة أو اتجاه منتظم لمثل هذه الرياح. حيث لا يزال التأثر والشعور بـ رياح الغرب قوى. في الحقيقة، داخل تلك الفئة الثالثة وعلى مقربة من الصين داخل جنوب شرق آسيا كما هو موضح بالقرون السابقة؛ قد كانت تلك الرياح تجوب العديد من الاتجاهات المختلفة. فلا تزال الصين مهددة بالخطر من جانب الدول الكبرى العظمي أو وكلائهم على الرغم من هبوب رياح الشرق من داخلها. لقد كانت الحكومات والشعوب في كل مكان تفكّر مليًا

في ما إذا كانت الدول والولايات داخل جنوب شرق آسيا تسعى للحصول على حماية من قوتها المتزايدة أم لا. حيث كانت تسير العلاقات بين الدول والصين على مستوى واحد مختلفًا عن مستوى العلاقات القائمة بين الأحزاب الشيوعية مع بعضها البعض. فقد كان هناك دوما ازدواجية مبهمة. حيث ظل جنوب شرق آسيا بعد أوروبا مزيج من التراث اللغوي، الثقافي والديني على مستويات اجتماعية مختلفة. لقد أصبح مسألة ما إذا كانت الاتصالات التاريخية الصادرة من الإطار الأوروبي الخاص بهم احتفظت بحيوتهم أم لا موضوع غير محسوم. من المحتمل انهيار كل من الطوائف البوذية داخل بورما وتايلاند، الطوائف المسيحية داخل الفلبين وكذلك الطوائف الإسلامية داخل ماليزيا واندونيسيا قبل سطو مذهب الشيوعية الذي تجاوز تلك القوالب القديمة.

ومع هذا، كما هو موضح بالقسم السابق، تم بالفعل كشف مساوئ العولمة الخاصة بالنظام الشيوعي بشكل واضح. فلم تستطيع الأحزاب الشيوعية المحلية، التي كانت تسعى للحصول على دعم وتأييد خارجي، الانتفاع من المصدر المشترك بين كل من موسكو وبكين، ولكن كان يستلزم عليها الاختيار من بين المتنافسين. حيث لم تكن الأيدلوجية الإلحادية عمليا أكثر حصانة من الإجحافات والمخاوف العرقية عن التقاليد الدينية التي تسعى لاستبعادها وتهميشها. لقد قيّدت القناعات الأساسية للحرب الباردة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وبدرجة أكبر أو أقل داخل أوروبا الغربية، الطموحات والحركات السياسية إلى فئات مبسّطة ربما بشكل حتميّ. لقد ساهمت الطريقة الأخرى المتعلقة باللغات الأوروبية، وخصوصا اللغة الإنجليزية، في جعل كل من النخب داخل جنوب شرق آسيا وكذلك طوائف أوسع من السكان في بعض الأحيان على اطلاع واضح بمجريات العالم الغربي. ولكن دائما ما كانت الصين بعيدًا عن الأنظار أو الانتباه، ليس على الأقل بسبب حضور ووجود الأقليات الصينية، حيث كان ذلك مرتبط في بعض الأحيان بالمواقف المعقدة الخاصة بهم تجاه الوطن في ظل إدارة الحكومة الشيوعية للأمور. فإلى جانب هذه الروابط، قامت كل من القوى الخارجية والداخلية على الفور بإطلاق دافع وحافز قوي من أجل تأميم اللغات المحلية والتأكيد على أن كلا منهما استطاعوا أيضًا أداء

مهامهم بشكل تام مثل أي دخيل أو أجنبي بالإضافة إلى فرض الاستيراد في المقام الأول. كما حدث اصطدام وتعايش بين كل من الشرق والغرب وكذلك غالبًا أي دولة منطوية على مشاكل معقدة.

**الهند: مبادئ جديدة، رؤساء جدد؟**

لقد وضعت المواجهات القائمة بين الصين والهند داخل منطقة الهيمالايا الافتراضات القائمة بعد استقلال نيودلهي تحت البحث والدراسة. لقد تبيّن أن المبادئ الخمسة التي تم على أساسها تحديد العلاقات بين الصين والهند ظاهريًا واهية وضعيفة. وفي ظل اندلاع الأزمة قام نهرو بطلب الحصول على إمدادات عسكرية بسيطة من أمريكا وبريطانيا.

فهذه الخطوة التي اقترحت أن الهند في ظل الظروف الشديدة كانت مستعدة، على مضض منها، لأن تكون أكثر مرونة على الرغم من عدم انحيازها المدروس. وفي أعقاب ذلك، لم ترى الحكومة حلا بديلا سوى القيام بزيادة الموازنة الخاصة بهيئة الدفاع بشكل أساسي؛ حيث كان لتلك الخطوة تداعيات حتمية لجوانب أخرى من التطوير الهندي. فقد أنقص كل هذا من تصوّر عدم الانحياز الذي بات هاما ومحوريا بدرجة كبيرة لنظرة نهرو إلى العالم. إنه من المزعج بعض الشيء، من وجهة نظر الهند، قيام مجموعة من دول عدم الانحياز التي كانت تحاول الوساطة وإقامة الصلح بعد وقف إطلاق النار بين الهند والصين؛ بعمل ذلك بطريقة غير منحازة جدا. حيث قد آلت تلك المحاولات إلى الفشل. كما يبدو أن تطلع الهند أو مطالبتها لأن تكون حكم عالمي أمر محفوف بالمخاطر في ظل تلك الظروف الجديدة. فدائما ما كان يتم نقد الهزائم التي تسبب في حدوثها نهرو داخل الغرب، ولكن على وجه الإجمال، تم قبول وجهة نظر الهند بأن الصين دولة ظالمة ومعتدية لا يمكن تغييرها.

لقد كانت تلك الواقعة صفعة لفهم وإدراك نهرو للعالم بالإضافة لفعاليته وتأثيره. وبعد مرور عامين، توفى نهرو عام 1964. فقد حدث آنذاك نقطة تحول كبرى. حيث قدم نهرو من أجل تمثيل الهند. كما ساهمت كل من رؤيه احترامه وفخامته وكذلك ثباته في الحفاظ على وحدة الدولة وترابطها. كما سيطر الكونجرس الذي كان تحت قيادته على

الرغم من عدم استبعاد الأحزاب الأخرى بشكل تام. لقد أصبح مسألة ما إذا كان نجاحه قد يعمل على انهيار وسقوط الكونجرس أم لا موضوع غير محسوم. كما ساعد ذلك أيضا في اختلال التوازن المعقّد بين نيودلهي والولايات الأخرى. ومع هذا، لقد كان هناك جانب آخر لوفاة نهرو. فقد تمكن نهرو بالفعل من تقديم الهند للعالم ولكنه لم يكن ممثل أو مندوب هندي. ولم يكن يملك لال بهادر شاستري، خليفته الأصغر، كاريزما عالمية. حيث تم تكوين عقليته بشكل كامل داخل الهند وفي ظل ظروف مختلفة تماما عن تلك التي عاشها نهرو، سلفه السابق. فمن الممكن فقط بحث ودراسة ما الذي توصل إليه تصوره بشأن الديمقراطية الاشتراكية. وبعد مرور ثمانية أشهر، توفى شاستري أيضا في طشقند التي تعرف حاليا بدولة أوزبكستان المستقلة. وقد كان هناك البعض الذين زعموا بأنه قد توفى مسموما.

## باكستان: الاتجاه العسكري

لقد اجتمع شاستري مع رئيس دولة باكستان، محمد أيوب خان. حيث نضج وترعرع كل منهما بالطبع في نفس العصر تقريبًا وخلال الحكم أو الراج البريطاني. ومع ذلك لقد كان لإختلاف اتجاه كل منهما على حسب قولهم أكثر من أهمية ومغزى شخصي. حيث تم انتداب أيوب خان، الذي نشأ وترعرع من عائلة متوسطة الدخل من البشتون، داخل أكاديمية ساندهيرست عام 1928. فقد حارب مع كتائب القسام الأولى داخل بورما خلال الحرب العالمية الثانية. كما أصبح أول قائد أعلى للقوات المسلحة الباكستانية عام 1951، مناظرًا لوزير الدفاع بعد ذلك بسنوات قليلة. حيث قام هو وجنود آخرين بنقل ازدراء واحتقار نائب الملك لفساده وعدم كفاءة السياسيين، على حسب اعتقادهم. لقد انهارت الحكومة البرلمانية بالفعل، حيث ساهمت التوترات القائمة بين كل من شرق وغرب باكستان في تفاقم الأمور سوءًا. كما حدث انقلاب عسكري في أكتوبر 1958. وقام أيوب خان بطرد وعزل الرئيس. كما تم حظر الأحزاب السياسية وشنّ الهجوم والاعتداءات على الباعة السود وتهريب البضائع أو الأشخاص. وبعد مرور عام واحد، قام هو بالإعلان ما أطلق عليه مصطلح نظام الديمقراطية الأساسية. لقد تم إلغاء قانون الأحكام العرفية / العسكرية بشكل رسمي في يونيه 1962؛ حيث تم بدأ تطبيق وتنفيذ

دستور آخر جديد. ولا يزال يعتقد الرئيس بأن سياسة الحزب كانت وراء هلاك ودمار باكستان. فإن وجهة النظر الخاصة به مماثلة لتلك التابعة للحاكم.

لقد كانت سيطرته على آليات الحكومة حازمة وثابتة. ومع ذلك، فقد كان هناك جدل كبير بشأن شرعية النظام خاصة داخل شرق باكستان. ولقد قامت الحكومة من جانبها ببذل كثير من الجهود من أجل استصلاح الأراضي والتنمية الصناعية. فإن أي إصلاح يتم في الممتلكات والإرث يثير الاختلافات القائمة بين تفسيرات وممارسات السنة والشيعة؛ وبوجه أعمّ يثير بالفعل مسألة العلاقة القائمة بين الإسلام والأخلاقيات القانونية للدولة. لقد كان جميع ما حدث ضد خلفيات التوترات الإقليمية داخل غرب باكستان، سواء في السند أو بلوشستان، إلى جانب التوترات القائمة بين نصفي الدولة.

وخلال الفترة من 1964 حتى 1965، بعد مرور بعض من اللحظات من كون التكيّف مع قضية كشمير أمرًا ممكنًا بالكاد؛ فقد دارت تلك المسألة رحي الحرب خلال الفترة من أغسطس إلى سبتمبر 1965. ويبدو أن باكستان كانت تعتقد بأن مسلمي كشمير قد يتمرّدون وأن الهند قد تقتصر الرد العسكري على كشمير. فقد ثبت أن كلا من الافتراضين غير صحيحين. لقد حققت القوات الباكستانية، التي قامت بعبور واجتياز خطوط وقف إطلاق النار داخل كشمير على أمل في تحقيق نصر عسكري حاسم على ما يبدو لهم، نجاحًا أوليًا ولكن قامت الهند بعد ذلك بشنّ غارات على باكستان. حيث وقعت معارك عنيفة بينهما باستخدام الدبابات، ولكن سرعان ما انتهت تلك المعارك. لقد تم تطبيق وقف غير تام لإطلاق النار حيث تم تضامنهم واتحادهم بعد ذلك في طشقند. كما اتجه كل من الجانبين إلى افتراض كون الطرف الآخر محبّب ومفضّل لدى القوى الخارجية سواء لدى الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا أو الصين. فلم يعتبر وقف إطلاق النار بالطبع حلاً لمثل هذا النزاع. وفي عام 1963، قام أيوب خان بتعيين ذو الفقار علي بوتو وزيرا للخارجية لفصاحته وبلاغته. ولقد حدث اشتباك بينهما في أعقاب تلك الهزيمة والفشل وقام بوتو بتقديم استقالته، قائلًا للحشود المتجمهرة أنه من الممكن أن يستمر الصراع والنضال من أجل كشمير، إذا لزم الأمر، لألف عام. وحيث

أنه تم الموافقة على وقف إطلاق النار بشكل سريع، فقد أوضح بوتو بأن كلًا من اندونيسيا، تركيا والمملكة العربية السعودية قدموا دعم وتأييد قوي للقضية الباكستانية. وإذا كان الأمر كذلك، فقد كان يحشد ويستنفر العالم الإسلامي على الرغم من عدم تأثير ذلك بدرجة كبيرة. مرة أخرى، لقد كان أساس تشكيل الدولة موضع خلاف ومناقشة. فقد اعترضت الهند، باعتبارها دولة علمانية، على الاستفتاء العام الذي تم داخل كشمير قائلة بأن هذا الاستفتاء كان قائمًا على عنصر الدين. حيث تلقي بوتو نفسه تعليمه داخل المدرسة الكاتدرائية بمومباي والتحق بكل من جامعات أكسفورد وكاليفورنيا (بيركلي). كما كان يركب الخيول واندرج ضمن اتجاهات مختلفة ملائمة لبيئته وخبرته الخاصة.

### اليابان: العودة لـ"الوضع الطبيعي"

يبدو أن النزاعات الخاصة بشبه القارة غريبة جدًا عندما يتم النظر إليها من خلال اليابان (على الرغم من أنه كان هناك رقابة دائمة على موقف الصين بالنسبة لهم). لقد تم قبول اليابان عضوا بالأمم المتحدة في ديسمبر 1956. فقد كان هذا القبول قائمًا على أساس تطبيع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي في أكتوبر. حيث قام كل من طوكيو وموسكو بعد ذلك بتوقيع اتفاق تجاري. ومع ذلك على الرغم من انعقاد المفاوضات لفترات طويلة، فلم يتم توقيع معاهدة سلام شامل. لقد كان الاستحواذ على جزر الكوريل بمثابة عائق وعقبة أخرى أدت إلى اندلاع العديد من القضايا والمسائل الإقليمية في الوقت الحاضر. لقد كان "التطبيع" كلمة السر داخل العديد من النصوص التي تم استخدامها لوصف خبرة اليابان خلال العشر سنوات التالية. ومع هذا، هل كان اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية أمرًا طبيعيًا؟ فتلك هي القضية التي كانت تتحرك بثبات نحو الأمام في مجال السياسة المحلية. كما كان من المقرر تجديد معاهدة الأمن المتبادل بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية عام 1960. ولم يوافق معارضو الحكومة على بعض التعديلات التي تم إدخالها على تلك المعاهدة ووافقت عليها واشنطن. لقد قام الرئيس أيزنهاور بإلغاء زيارته في يونيه التي كانت تهدف إلى توقيع أو إبرام إتفاق مرتقب؛ نظرًا للمظاهرات الحاشدة التي اجتاحت البلاد.

كثيرا ما كان يصف المعلّقون الحالة المزاجية اليابانية بأنها مناهضة لأمريكا وقد عبر اليسار عن ذلك بطريقة عنيفة إلا أن الأمر لم يكن مقتصر على ذلك. ومع ذلك فالتحدث عن تفشي ظاهرة معاداة أمريكا يعد أمرا مضللا. لم يسود أسلوب الحياة الأمريكية في اليابان بل كان له تأثيرا عابرا وبمعدل طفيف. فمنذ أن تم توحيد اثنتين من الجماعات السياسية الرئيسية في منتصف عام 1950 وهما حزب الديمقراطيين الليبراليين والاشتراكيين (حيث كان الأخير مهيمنا) ظلت اليابان ثابتة في قالب ديمقراطي. أما فيما يتعلق بالمراقبين الخارجيين، سواء كانوا أوروبيين أو أمريكيين، فقد وجدوا مسيرتهم الديمقراطية المحيرة مثل وضوح البيروقراطية والأدوار السياسية على سبيل الذكر إلا أن الديمقراطية كانت بمثابة منزل يحتوي على العديد من القصور. فاليابان قد اعتمدت نفس الأسلوب الغربي وتكيفت معه أيضا أما فيما يتعلق بالدرع الأمريكي في هذا الصدد فقد كان نعمة وعبء على حد سواء. ومع ذلك فإن تصنع وجود حالة من الرخاء المشترك بين الولايات المتحدة واليابان، حيث كان ذلك نابعا من طابعها المفروض، ربما قد أدى إلى إبعاد وليس إزالة القضية التي كانت تزعج التوجه العالمي الخاص بالدولة. وفي ذلك الوقت كانت العلاقات الصينية / اليابانية باردة وجامدة على جميع الأصعدة. اعترفت طوكيو بناء على طلب أمريكي بـ تايبيه وليس بكين.

ومن ناحية أخرى، فيمكن القول بأن التواجد الأمريكي الكامل، الذي كان موجودا عام 1965 ساعد على تطبيع العلاقات بين كلا من سول وطوكيو، حيث كان مصحوبا بالوعود اليابانية المتعلقة بالمساعدات المادية. كانت حساسية كورية قوية ضد أي علامة تدل على استمرارية العقلية الاستعمارية اليابانية على الرغم من وجود بعض المفارقات في هذا الموقف. قام النظام في سيول بعد الانقلاب العسكري الذي قام به اللواء باك تشنغ هاي عام 1962 الذي كان نهاية النظام الفاسد لسونغ مان لي على يد مظاهرات الطلاب عام 1960 إلا أن الحكومة التي تلت هذا النظام كانت ضعيفة. تمكن باك من إحراز انتصارات انتخابية إلا انه كان حريصا على أن يكون لديه هو والجيش سلطة حقيقية. ومن المفارقات أنه قد تم تدريبه كجندي تحت الحكم الياباني. كانت طريقته تنتمي للماضي أكثر

من تلك الديمقراطية الغربية في طوكيو التي كانت يتفاوض معها. ومع ذلك، قام باك بإنشاء "اليابان الجديدة" من خلال الشروع في التوسعات الاقتصادية السريعة. لم يقتصر الأمر فيما يتعلق بالوزراء اليابانيين على مجرد وعد بتحقيق نمو تحويلي بل كانوا يقوموا بتحقيق ذلك بالفعل وقد أتبعت سيول نفس الطريقة أيضا. وفي أوائل عام 1960، بدأت كلا البلدتان في محو أمية الكبار على نطاق واسع- حيث كانت اليابان بالكامل وما يقرب من 75 ٪ من سكان كوريا الجنوبية أميين (على عكس الحال في باكستان التي كانت النسبة فيها أقل من 20٪ والهند التي كانت ما يقرب من 30 ٪ وإندونيسيا التي كانت 40 ٪). ومع ذلك، فقد كان ولا يزال هناك حذر من فكرة التعايش بين القوى الكورية- اليابانية. أصبحت المسيحية (التي كانت تشمل أشكال لا تعد ولا تحصى من البروتستانتية والكاثوليكية) في تزايد على الرغم من أنها لم تكن عنصرا مهيمنا في الحياة الكورية الجنوبية إلا أن وجود المسيحية في اليابان كان بمقدار ثابت وأقل بكثير. وجد الملاحظون أنه من الصعب تحديد عقيدة مهيمنة على الإطلاق على عقلية اليابان في هذه المرحلة. فقد أصبحت الأضرحة العظيمة لشنتو مناطق جذب سياحي أو هكذا تبدو ولا تزال المزارات المحلية تتمتع بالجاذبية. كانت البوذية في كثير من الأحيان بأشكالها المتنوعة تتشابه مع أسطورة وطنية إلا أنها كانت واسعة الانتشار. طبقا للمؤرخ البريطاني وجيه بيسلي فقد كان مثقفي مقهى طوكيو منغمسين ومغرمين بالأدب الإنجليزي والفرنسي. فكان من الممكن أن ترى بعض الموسيقيين اليابانيين يعزفون الموسيقى الغربية بشكل رائع لكن السؤال هنا هل تم استيعاب هذه الموسيقي في الأساس؟ فقد أظهرت بعض العقول التي كانت تتمتع بالانتقائية الثقافية الحضرية الانفتاح الذهني لليابان الجديدة.

ومع ذلك، فقد تجنب الآخرين وجود ارتباط مباشر مع الماضي القريب وتعريف اليابان الأساسية في العالم الناشئ. قد يكون المجتمع الاستهلاكي الذي كان مفتونا بالمبتكرات المتطورة وسيلة أخرى للتخلص من المشكلة المتعلقة بهويتها. عندما جاء العالم إلى طوكيو عام 1964 للمشاركة في دورة الألعاب الأولمبية كان ذلك بمثابة إشارة على قبول اليابان. ومن جانبهم، فقد بدأ اليابانيين المزدهرين بإظهار أنفسهم على أنهم

سياح العالم لكي يتمكنوا من وضع التعقيدات الخاصة بصورتهم الذاتية المحلية الحالية جانبا.

فمن غير الممكن أن تفشل حركة وحيوية الاقتصاد الياباني في جذب الاهتمام العالمي واتضح أن التحرير بات ممكنا بفضل نفقات الدفاع القليلة وترابط العمل التجاري على أعلى المستويات البيروقراطية والسياسية. كان هناك تركيز شديد على الابتكار التقني والإداري الذي أدى إلى نمو هائل في صناعة السفن والسيارات والسلع الكهربائية على نطاق واسع. كان هناك توسعا في أوروبا الغربية والولايات المتحدة مع مزيج من الإعجاب والخوف. لم يكن السعي من أجل ازدهار اليابان ومضاعفة مستويات المعيشة بطريقة عدوانية. فقد كان من المفترض السماح بدرجة موافقة الأجانب على التعريفات الجمركية اليابانية الوقائية. من ناحية أخرى، دب الخوف بسبب السيطرة على الهيمنة المعتادة للصناعات في أجزاء أخرى من العالم. في هذه الأثناء، كانت العلاقة بين القوة الاقتصادية والقوة السياسية في الصدارة.

أكدت الحكومة اليابانية بأنها ليس لديها نية في السعي للسيطرة على جنوب شرق آسيا حيث أنها كانت تدفع التعويضات الناتجة عن الاحتلال في زمن الحرب لعدة سنوات. ومع ذلك، لم تكن المفاوضات واضحة أبدا حتى استخدام بعض السياسيين اليابانيين في الزيارات الخارجية لمصطلح "نطاق الرخاء المشترك" في بعض الأحيان لم يساعد هذه المفاوضات. فقد أوضحت الحكومة أن كل ما يجري يعني أن اليابان لن تستطيع أن تساعد في تحقيق الازدهار إلا أنها لها مصلحة مشتركة في الازدهار مع البلدان الشرقية المجاورة لها وبالفعل فهذا أمرا صحيحا. كانت اليابان قوى عظمى ولكن بلا جدوى أو فائدة لكنها كانت جزءا لا مفر منه من شرق/ جنوب شرق آسيا. كان القلق حيال نوايا اليابان بشأن المستقبل نابعا من الماضي وليس من الاتجاهات الجديدة.

## البحث عن "جنوب شرق آسيا"

كانت الصين والهند واليابان تاريخيا يطلوا على "جنوب شرق آسيا" بدرجات متفاوتة وبطرق مختلفة. فأين تقع الآن بلدانها في العالم وعلى أي أسس؟ فمن المفارقات المحزنة أن أول أسيوي يتقلد منصب الأمين العام للأمم المتحدة هو بورمية يو ثانت عام 1961. فقد كان تعليمه معتمد على اللغة الإنجليزية 1930 حيث أنه خريج قسم التاريخ من جامعة رانغون. فقد كانت البلدة تعاني من العديد من المشاكل الشائعة حيث كان كيانها هش بالإضافة إلى علاقتها التاريخية المعقدة مع جارتها التايلاندية.كان هناك أتباع للبوذية والمسيحية والإسلام على الرغم من عدم وجود قوة موحدة بينهم سواء جغرافيا أو عرقيا في جميع أنحاء العالم. قام رئيس الوزراء يو نو بكتابة مسرحية معادية للشيوعية على الرغم من أنه كان مصرا على أن يتحدث بنبرة محايدة. كان هناك علاقة قوية للغاية بينه وبين يو ثانت حيث أنهما كانا بوذيين (على الرغم من أن يو ثانت كان له أجداد بوذيين ومسلمين).

عندما تولى يوثانت المنصب بعد همرشولد بدأ الإتحاد السوفيتي في الضغط عليه من أجل حل ثلاثي، واحد من كل التكتلات في العالم، إلا أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل. ومع ذلك بحلول عام 1966، عندما تم تعيينه لمدة خمس سنوات لم يتسبب أدائه في وجود معارضة مع القوى العظمى بالإضافة إلى أنه قد تخطى هذه التكتلات. في عام 1962 تم الإطاحة بالحكومة المدنية في بورما في انقلاب عسكري عام 1962. فلم يكن هناك مكان للنظام الجديد في وطنه. وعندما توفى عام 1974 في نيويورك فقد تم تجاهل هذا الحدث رسميا في وطنه.

تم تسميه الطريق الذي ستقام عليه السفارات الأجنبية في كوالا لمبور بإسم يو ثانت تكريما له. كانت بورما تقع بالقرب من ماليزيا لكنها ليست مجاورة لها حيث أنه كان كتله من تايلاند تفصل بين البلدين. فقد كانت بمثابة عالما اجتمع فيه الإسلام والبوذية مع وجود بعض التوتر. سواء كان هناك إشكالية أو لم يكن بسبب عالم المالايا إلا أنها أصبحت مستقلة في عام 1957.فقد كان التنوع التاريخي معترفا به دستوريا في إدارة ملكية البلد التي كان يمارسه الحكام الوارثين لبلدانهم على حدة إلا أنها لم تنضم لسياتو (حلف جنوب

وشرق آسيا). وبعد مرور عامين أصبحت سنغافورة، التي يبلغ عدد سكانها ثلاث أرباع سكان الصين، مستقلة إلى حد كبير. كان هذا التقارب سببا في إمكانية وجود اتحاد. كانت المشكلة تكمن في أن في دولة موحدة قد يكون عدد الصينيين أكثر من سكان الملايو وكان الملايو، حرصا منهم على التعزيز الوطني، يرغبون في دولة ذات روح ملايو. كان لا بد من تحسين وتطوير الوضع التعليمي للغة الملايو والبهاسا ملايو. فقد يزيد عنصر الملايو في دولة موحدة بإضافة الأراضي الموجودة في جزيرة بورنيو، شمال بورنيو وساراواك، اللاتي أصبحت محميات بريطانية. كذلك انسحبت سلطنة بروناي، الغنية بالنفط، والتي كانت تحت الحماية البريطانية، من إتفاق مبدئي لكي تنضم لهذا الإتحاد. أصبح هذا الإتحاد واقعا في ماليزيا عام 1963. بعد ذلك بعامين، قام لي كوان يو الذي ادخل سنغافورة في الاتحاد بإخراجها منه أو ربما قد يكون من الأفضل أن نقول أنه قد تم إخراجه هو والجزيرة معا. كانت ماليزيا تنوي عدم قبول صينيا سنغافوريا كرئيس وزراء لها في المستقبل على الرغم من أن جمهورية سنغافورة المستقلة أصبحت خطرا على الجزيرة وغيرها. ما هو الحال بشأن إمدادات المياه؟

كانت المناصب التي تولاها إثنين من الشخصيات السياسية الهامة سببا رئيسيا في هذه الأحداث وهما تنكو عبد الرحمن (الذي ولد عام 1903) ولي كوان يو (الذي ولد عام 1923)–حيث أنها توضح في صورة مصغرة المسارات الشخصية في العالم ، المتقاربة والمتباعدة على حد سواء، التي أثرت على المنطقة. فقد حصل عبد الرحمن، نجل سلطان ولاية كيدا، واحدة من ولايات الملايو، على شهادات من انجلترا في كلا من كامبريدج ولندن ثم أصبح عضوا سياسيا نشطا في المنظمة الوطنية الماليزية المتحدة وقد أجرى بعض المفاوضات المختلفة في لندن من أجل استقلال الملايا. كان عبد الرحمن في بدايته مستهترا إلا أن تمسكه بالإسلام أصبح واضحا بشكل كبير بعد ذلك. أما لي فقد ولد في الجيل الرابع من الازدهار الصيني السنغافوري ثم تعلم اليابانية خلال الاحتلال الياباني وعمل بوزارة المعلومات اليابانية على الرغم من أنه كان يعمل بعمل تجاري في السوق السوداء حيث كان يقوم ببيع الغراء المصنوع من التابيوكا. وبعد ذلك قام بتطوير وتحسين لغته

اليابانية وأطلقت عليه عائلته اسم "هاري" وبدأ بتعليم اللغة الانجليزية. على الرغم من أنه بعد الحرب، جاء للدراسة مثل عبد الرحمن في كامبريدج حيث سجل كطالب قانون أكاديمي بارع. عندما عاد لوطنه، شكّل هو وآخرون حزب العمل الشعبي في عام 1954 وكان في مقدمته.

لذلك، فإن لي كوان يو يجسد شخصيا ما الذي ستصبح عليه الدولة الجديدة. فقد كان هناك جزءا من الصين يتجاوز جمهورية الصين الشعبية بالإضافة إلى نوع من العالم الإنجليزي على الرغم من أنه ليس بالتأكيد مثل ذلك الموجود في كامبريدج. كان هناك بعض الآثار على ذلك في الهند. قد لا تكون سنغافورة في هذه المرحلة أمرا واحدا حصريا أو شيئا آخر حيث أنها قد تكون دولة مدنية في الشرق والغرب قائمة بأغلبية سكان الصين (الذين كانوا يتحدثون بلهجات مختلفة) جنبا إلى جنب مع الهنود (الذين كانوا يتحدثون بلهجات هندية مختلفة) والملايو التي كانت محاطة بالعمل التجاري والإداري الإنجليزي. ويبقى لنا أن نري ما إذا كان هذا المزيج سوف يتمكن من العمل وعلى أي أساس ونفس الحال هل ستستطيع ماليزيا العمل حيث أن هذه أيضا تعتبر إشكالية. فقد كانت عملية إبعاد سنغافورة سببا في جعل الدولة تنتمي أكثر لملايو إلا أنه لم يكن هناك شيئا بطبيعته غير مستقر أو غير مقنع يتعلق بذلك. كانت البلاد التي تحت حكم كوالا لمبور بشكل رئيسي تمتد عبر جنوب بحر الصين وحتى الطرف الشمالي من جزيرة بورنيو وهي الجزيرة التي كانت الجزء الأكبر منها جزءا من الصين.

فكان من المفترض أن يكون جميع الماليزيين مسلمين حيث أعلن الإسلام الدين الرسمي في ماليزيا عام 1960 على الرغم من أن الدولة كانت أيضا إلى حد كبير علمانية. يمكن القول بأن اندونيسيا أكبر دولة مسلمة من حيث عدد السكان في العالم على الرغم من وجود بعض الأقليات المسيحية التي كانت واضحة بشكل كبير محليا. كانت كلا من ماليزيا وإندونيسيا دولتين إسلاميتين لكن ليس بنفس الطريقة وليس على نفس الدرجة. كانت الدول المجاورة مثل تايلاند والفلبين بوذية ومسيحية إلى حد كبير، إلا أنه كان يوجد بها بعض الأقليات المسلمة في المناطق الجنوبية أو الجزر.

وفقا لوجهة نظر سوكارنو في إندونيسيا وماكاباجال في الفلبين فإن إندونيسيا كانت أمرا وهميا. فقد أقام البريطانيون "الذين كانوا تواجدهم الغير معتاد على طول الشمال الشرقي لجزيرة بورنيو" صلة بماليزيا (على الرغم من أنه لم تكن صلة إدارية). فكان أمرا سخيفا أن يتم إضفاء الطابع الرسمي لمغادرتهم (أو أنهم لم يغادروا حقا؟). قام سوكارنو على الفور بعمل مواجهة. تم حرق السفارة البريطانية في جاكرتا في أعمال شغب مدبرة بالإضافة إلى أن الحكومة الفلبينية قامت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع كوالا لمبور. فقد استعانت الحكومة الماليزية بالاستعانة ببريطانيا واستراليا للدعم العسكري، الأمر الذي يؤكد أن ماليزيا كانت حقا أداة لاستمرار الاستعمار حيث أنها كانت ترى أن هذا الدعم سوف يحافظ على بقاء الدولة واقفة على قدميها. كانت هذه المواجهة سببا في إثاره قضية إندونيسيا نفسها. فقد قال البعض أنه كان هناك دولة مكونة من 13,600 جزيرة صغيرة وضيقة وبها 726 لغة لكنها كانت بدون حدود. وبالنظر إلى جنوب الفلبين فإن بورنيو تعتبر امتدادا طبيعيا لأراضيها. أما الجانب الهولندي المغادر فقد أصر على البقاء في إيريان الغربية- غرب غينيا الجديدة- بحجة أنه لا يوجد سبب سياسي أو ثقافي لاعتبار سكانها إندونيسيين إلا أن إندونيسيا قد كثفت الضغط حتى تم عمل بعض الاستعدادات الهولندية في عام 1961 لتسليم إيريان الغربية. ونتيجة لذلك تم تسليم الإقليم بعد فترة من الإدارة المؤقتة للأمم المتحدة إلى إندونيسيا في مايو 1963، انتظارا لحق السكان في الاختيار الحر. لقد أثبت الجانب البرتغالي الذي كان يحكم النصف الشرقي من جزيرة تيمور بأنه عنيد لذا فقد كان على غينيا الجديدة وإندونيسيا التعامل مع أستراليا التي لن تنسحب جغرافيا. فأيا كان ما يوحي به التاريخ والثقافة فقد تصبح فعالة ونشطة على المستوى الإقليمي.

وفي ظل هذه الظروف، كانت إندونيسيا الموحدة هي الهاجس المحوري لدى الحكومة وقد كانت اللغة هي أحد العناصر الأساسية بوضوح. قام الهولنديين باستخدام لغة خاصة بهم إداريا للأسباب المتنازع عليها إلا أنها كانت أقل انتشارا من اللغة التي كانت يستخدمها البريطانيين في ملايو. وبعد ذلك فقد استقروا في النهاية على لغة للملايو

تستخدم كـ لغة "لتأدية الخدمات" حيث أنهم قاموا بتحضيرها في بداية هذا القرن والتعبير عنها بالحروف اللاتينية ومن ثم فقد تم اعتماد هذه اللغة، التي وصفت رسميا باسم اللغة الإندونيسية، من قبل الدولة الإندونيسية. إلا أن العديد من الملايين الذي كان معظمهم من الإندونيسيين كانوا يستخدمون اللغة الجاوية بأشكالها المختلفة بصفتها لغتهم الأولى بدلا من التحدث بالبهاسا إندونيسيا. لم يكن من السهل حل المشاكل الناتجة عن ذلك بسهولة حيث أن الدولة كانت بحاجة للغة الإنجليزية للتعامل مع الهند وأستراليا ناهيك عن الغرب.

كان سوكارنو يسعى إلى الحداثة التي لم تكن من الجانب الغربي وذلك من خلال الاستعانة بعصاة المكسوة بالجلد وعدد وافر من الزوجات والعشيقات والحصانة من الاغتيال. كانت صورته الموجودة على الطوابع في حد ذاتها تعبر عن دولة متكاثرة بالانشطار. أصبحت جاكرتا التي كانت زاخرة بالآثار والفنادق الجديدة عاصمة حقيقة للدولة (على الرغم من بعض المداعبة بفكرة المدينة الجديدة التي تم بناؤها في غابة كاليمانتان الوسطى). استعان سوكارنو في الماضي بالصين من أجل الحصول على الدعم وقد حصل عليه بشكل عام وعندما قام بسحب بلده من الأمم المتحدة في عام 1965 احتجاجا على قرار إدانة العدوان الإندونيسي ضد ماليزيا، ومن ثم فقد التعاون مع الصين المستبعدة. ومع ذلك فقد بدت فكرة وجود محور بين بكين- جاكرتا مثيرة للإعجاب في حال تجاهل الوضع الحموي الموجود داخل ديمقراطيته الموجهة. فقد كان لديه ميل إلى الحزب الشيوعي في إندونيسيا الذي يمكن أن يعول على دعم ما يقرب من خمس السكان إلا أنه لم يكن من صنعه. ومن الجدير بالذكر أن الإشاعة الكاذبة حول وفاته في سبتمبر تسببت في حدوث انقلاب. فكما هو الحال في كثير من هذه المسائل تظل النتيجة دائما مثيرة للجدل. ظهر الجنرال سوهارتو على أنه الشخصية المسيطرة وقد تم تسوية كثير من الحسابات القديمة في جميع أنحاء البلاد على نطاق واسع مما تسبب في وجود ما يقرب من نصف مليون حالة وفاة. فقد تم انتقاء الصينيون الذين يعيشون في إندونيسيا لعدة أجيال مثل عائلة لي كوان يو التي كانت تعيش في سنغافورة. تم تهدئه العداء الشعبي ضد التجار

الحضريين الصينيين بصعوبة حيث كان هناك مزاعم أنهم استغلاليين إلى جانب ميل الدولة تجاه الصين. وعلى الرغم من ذلك فقد كان عهد سوكارنو يشرف على النهاية. يرجع ميل اندونيسيا إلى الغرب أي للولايات المتحدة الأمريكية إلى أن البلد قد حصلت على الائتمان عام 1962 عن طريق الضغط على الجانب الهولندي بشأن مستقبل إيريان الغربية. ومن الجدير بالذكر أن أهمية الدولة داخل العالم الإسلامي قد بقيت بل يمكن القول بأنها زادت.

كانت الهند الصينية شكلا آخر لجنوب شرق آسيا. انسحبت آخر القوات الفرنسية في شهر مايو لعام 1956. كانت بعض وجهات النظر ترى أن الأمر الذي سيلي ذلك هو حرب على خلافة الحكم بالإضافة إلى فصل الهند الصينية والنضال من أجل السلطة والهوية سواء داخل أو بين شعوب كمبوديا ولاوس وفيتنام على حد سواء والخمير ولاو والفيتناميين على التوالي. كيف للاوس أن تزدهر وهي بلدة جبلية فقيرة ويوجد بها تنوع عرقي بالإضافة إلى أن سكان ولاس يشكلون أغلبية ضئيلة من هذا التنوع؟ كانت الأسس السياسية والثقافية والاقتصادية التي من شأنها أن تساعد الخمير في كمبوديا ولاو في لاوس في إنشاء دولة ناجحة غير واضحة المعالم. كان هناك ثلاث فصائل تكافح وتناضل من أجل التفوق في لاوس على مدى سنوات عديدة. ففي جميع أنحاء العالم كان التعليم الفرنسي واللغة الأم والثقافة والبوذية والكاثوليكية والماركسية يتجهون في طرق مربكة ومحيرة. بالإضافة إلى أن فيتنام قد استعرضت قدرتها على إنتاج وخلق طوائف توفيقية دينية وسياحية من السكان الأصليين.

صرح رئيس وزراء فيتنام الشمالية عام 1964 قائلا "إنه أمر صعب بل مستحيل تماما بالنسبة لكم يا غربيون أن تفهموا قوة الإرادة الشعبية التي ترغب في المقاومة والاستمرار" بالإضافة إلى أنه قد تم تسجيل تصريح لفام فان دونغ (الذي ولد عام 1906) قائلا: "لن يشعر ابدا الغربيين بقوة إرادة الشعب للمقاومة". أظهرت الحياة المهنية الخاصة برئيس وزراء فيتنام الشمالية بأنه يعرف جيدا كل ما يتعلق بالغرب والشرق. قد تلقى هوي، الذي ولد في العاصمة الأصلية المنحدرة من سلالة نجوين، تعليمه في المدرسة الفرنسية الليسيه

هناك. وخلال فترة وجيز ة في الصين قد وقع تحت تأثير هوشي مينه مما أدى إلى سنوات من السجن لاحقا بسبب النشاط الثوري. وبعد ذلك فقد وقعت الحرب العالمية في الصين. وبعد عام 1949، كان لابد أن يكون هناك علاقة بين الشيوعية الصينية والفيتنامية في الكفاح من أجل المستقبل إلا أنه لم يكن لديهم أي نية في أن يدخلوا تحت سيطرة القوة الصينية. في عام 1954، جاء فام فان دونغ مباشرة إلى أوروبا للمرة الأولى وذهب إلى جينيف بصفته رئيس وفد جمهورية فيتنام الديمقراطية من أجل المشاركة في محادثات السلام (و في وقت لاحق من هذا العام أصبح رئيس الوزراء في هانوي). تمت الموافقة على تقسيم فيتنام في جينف على أن يكون ذلك أمرا "مؤقتا" حتى إجراء الانتخابات في يوليو 1956 من أجل تحديد معالم المستقبل. وفي الوقت نفسه فقد أدي تقسيم البلاد إلى عودة فام فان دونغ إلى مقسط رأسه في الجنوب.

أيضا ولد نغو دينه ديم (عام 1901) في هوي حيث كان والده، مثل والد فام فان دونغ، مستشار كبير للإمبراطور. وبالمثل، فقد أثار كلا الأبوين الغضب عام 1907 عندما قاما بخلع الإمبراطور بسبب الإدعاء أنه فقد عقله. ومع ذلك، فقد اتخذ الولدان في معاداتهم للحكم الفرنسي طرقا وأساليب مختلفة عبر عقود. كان نغو كاثوليكيا مثل عائلته التي كانت كذلك على مدى أجيال عديدة وقد أدي أسلوبه الغير صريح إلى تواجده في الولايات المتحدة في أوائل عام 1950 تحت رعاية الكاردينال سبيلمان. كان نغو كما صرح معارضا للفيتنامية والفرنسية. في عام 1955، كان في وضع يؤهله أن يعلن نفسه رئيسا لفيتنام على الرغم من أنه لم يبدي الكثير من الحماس وتأييد الديمقراطية على الطريقة الأمريكية. لكنه بدلا من ذلك، وبشكل مغاير لأصول العمل، قام بإدارة أعمال العائلة الموسعة التي كانت تشمل المبتزون والمتحكمين في الجيوش الخاصة وسفير ورئيس أساقفة هوي. كان الضغط الأمريكي من أجل الإصلاح سواء مجازيا أو حرفيا في غير موضعه. فقد كان يسعى جاهدا من أجل احتواء حركة حرب العصابات الفيتكونغ، التي كانت مدعومة بقوة من الشمال والتي ظهرت عام 1957. لم يكن البوذيين الذين كانوا يمثلون الغالبية العظمى من السكان سعداء من جانبهم بتفاني ديم لبلاده من أجل مريم العذراء.

كان السكان الفلاحين يكرهون تاريخ الأسرة الحاكمة العظمى التي جاء هو منها. لم يتم أبدا إجراء الانتخابات التي كان من المزمع عقدها عام 1956 لتحديد مستقبل فيتنام. لم يتمكن هوشي منه وفام فان دونغ والدائرة الداخلية في هانوي في الوقت نفسه من بناء الدولة الستالينية في الشمال حيث كانت الانتخابات غير مرغوب فيها. تمكن نجو من إقناع الأميركيين بأنه كان يقوم ببناء دولة في الجنوب إلا أن الانتخابات لم يكن مرغوبا بها. كان كلا من النظامين يلقي اللوم على الآخر. كانت الأيدلوجية، كما هو الحال في كوريا أو ألمانيا تتطلب وجود دولتين.

قامت فرنسا بدمج عناصرها المتميزة في "الهند- الصينية" لذا فقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تشعر بالقلق حيال "الهند- الصينية" في نطاق جنوب شرق آسيا بشكل عام بالإضافة إلى أن الإدارات بواشنطن غير متخصصة في الفروق الثقافية بين الهند والصين. قام عضو الكونجرس كينيدي بزيارة سايغون عام 1951 من أجل إيصال وجهة نظره للعالم إلا أن رحلته كانت سببا في عدم تحمسه للحكم الاستعماري الفرنسي هناك أو في أي مكان. في عام 1954، صرح كينيدي أنه معارض لوجهة النظر التي تقول بأن الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تشارك في العمل الموحد في "الهند- الصينية" من أجل دعم فرنسا حيث أنه يرى أن إنفاق الأموال والمواد والرجال في أدغال الهند الصينية قد يكون أمرا خطيرا وبلاجدوى ومدمر. بدت احتمالية أن تحقق فرنسا انتصارات بعيدة. يبدو أنه بعد ذلك وافق على تولي هوشي مينه لفيتنام مع بعض التوازنات. وعلى الرغم من ذلك، في عام 1956، قام بزيارة سايغون مرة أخرى وكان السناتور جون كينيدي يدعي أن الدولة (فيتنام الجنوبية) كانت تؤسس للديمقراطية في آسيا. ربما كان ذلك تشجيعا لزملائه الكاثوليك نغو دينه ديم الذي كان يعتبر في هذا الوقت في واشنطن بأنه مستقبلنا الأفضل. قام إيزنهاور، في ديسمبر عام 1959، بعد مرور وقت طويل من رئاسته بعمل جولة حول العالم وقد تلقى ترحيبا كبيرا في أماكن مختلفة مثل روما وأنقرة وكراتشي وكابول ونيودلهي وطهران وأثينا وتونس ومدريد والدار البيضاء لكنها لم تمتد إلى سايغون أو فينتيان ومع ذلك فقد كان يفكر كثيرا في لاوس. وبعد ذلك بعام، كرر قائلا أن

الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح للاوس أن تقع تحت يد الشيوعيين، وذلك في مواجهة نشاط حرب العصابات باثيت لاو، وكان مدعوما من الصين والإتحاد السوفيتي وفيتنام الشمالية. فقد كان ذلك فرصة لجنوب شرق آسيا التي تعتبر شريحة كبيرة جدا من العالم في أن تنسحب وتم اختبارها بعد ذلك بوقت قصير. في مارس 1960، بدأ الفيتكونغ وهي جبهة التحرير، بذراعهم السياسي والوطني، الصراع في الجنوب.

فكما ذكر سابقا فإن كينيدي الرئيس حاليا كان يرى بنفسه خطورة الانجرار وراء الهند الصينية ولكن نظرا للوضع الدولي واسع النطاق الذي كان يواجهه كان من الضروري منع الفيتنام حتى لا تدخل تحت سيطرة الشيوعية. وفي بداية عام 1961 ذهب نائب الرئيس ليندون بينز جونسون إلى سايغون ليرى الأمر بنفسه وكان استنتاجه المتعلق بذلك بسيطا. كان على الولايات المتحدة الأمريكية إما مساعدة بلاد جنوب شرق آسيا أو الاعتراف بالهزيمة في المنطقة. كان من الممكن أن تقوم بسحب قوات الدفاع الأمريكية إلى سان فرانسيسكو وبناء قلعة أمريكا حيث كانت هذه وجهة نظر تكساس في العالم والتي على ما يبدو كانت تغفل وجود القوات الأمريكية في أماكن أخرى في شرق آسيا. من أجل الهروب من ديم، صرح جونسون بأنه قد يخبر العالم بأن أمريكا هجرت أصدقائها. لم ينقص عدد الزوار الأمريكيين الحاملين للنصيحة إلا أن ديم ربما بتشجيع من إطلاق لقب أنه ونستون تشرشل آسيا أخذ جميع قراراته. في عام 1963 تدهور الوضع الداخلي وانتشرت صور الراهب البوذي الذي ضحى بنفسه في جميع أنحاء العالم. لم تنخدع الإدارة الأمريكية بالإيحاء بأن الهجوم على المعابد التي قامت القوات الخاصة الموالية لشقيق ديم كان حقا بفعل فيتكونغ. فكيف يمكن أن يتحقق الاستقلال في مثل هذه الظروف؟ كان الجنرالات في فيتنام الجنوبية، الذين أطاحوا بالحكومة في نوفمبر عام 1963، يعرفون أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتدخل ضدهم. وبعد إعدام ديم، كانت الفكرة المسيطرة في ذلك الوقت هي من الذي سيحل محله ويثبت أنه نظام فعال عسكريا على مدى السنوات المقبلة. لم يكن يرغب عدد من الملايين في الجنوب في الشيوعية إلا أن ما يرغبون به لم يكن واضحا. ومع ذلك، لم يعش كينيدي حتى يرى نتائج الأعمال التي بدأها. فقد تم

اغتياله في الشهر الذي أعدم ديم فيه.

أما جونسون الذي جاء من بعد فقد تولى السلطة من قِبل الكونجرس في أغسطس عام 1964 من أجل اتخاذ جميع التدابير اللازمة (كان هناك حادثة وقعت في خليج تونكين والتي كانت تعد عملا من أعمال العدوان السافر في عرض البحر قام به هانوي). كان على جونسون الرئيس الجديد المنتخب أن يسأل نفسه هل يمكن لأي حكومة في سايغون أن تقاوم استيلاء الشيوعيين إلا أنه لم يقرر ما هو الحل. تم تعميق المشاركة لمدة عشر سنوات، الأمر الذي سنناقشه في الجزء التالي من هذا الكتاب. كان كينيدي دائما ما يتحدث عن استعداد بلاده لدفع أي ثمن ولفعل أي شيء إلا أنه فيما بعد اتضح أن الأمر ليس بالهين حتى بالنسبة لشعب الفيتنام نفسه.

## قراءات مستقبلية للجزء الثالث


Balfour, Sebastian, *Castro* (Pearson Education, London, 1995).

Barr, Michael D., *Lee Kuan Yew: The Beliefs behind the Man* (Georgetown University Press, Washington, DC, 2000).

Birmingham, David, *The Decolonization of Africa* (UCL Press, London, 1996).

Clapham, Christopher, *Africa and the International State System: The Politics of StateSurvival* (Cambridge University Press, Cambridge, 1996).

Cooper, F., *Africa since 1940: The Past of the Present* (Cambridge University Press, Cambridge, 2002).

Davies, Norman, *God's Playground: A History of Poland. Vol. II: 1795 to the Present* (Oxford University Press, 2005).

Kyle, Keith, *Suez* (I.B. Tauris, London, 2011).

Lendvai, Paul, *One Day That Shook the Communist World: The Hungarian Revolution and its Legacy* (Princeton University Press, Princeton, NJ, 2008).

Legge, J.D., *Sukarno: A Political Biography* (Praeger, Washington, DC, and New York, 1972).

Lodge, Tom, *Mandela* (Oxford University Press, Oxford, 2007).

Louis, Wm. Roger and Bull, Hedley, eds., *The 'Special Relationship': Anglo-American Relations since 1945* (Oxford University Press, Oxford, 1989).

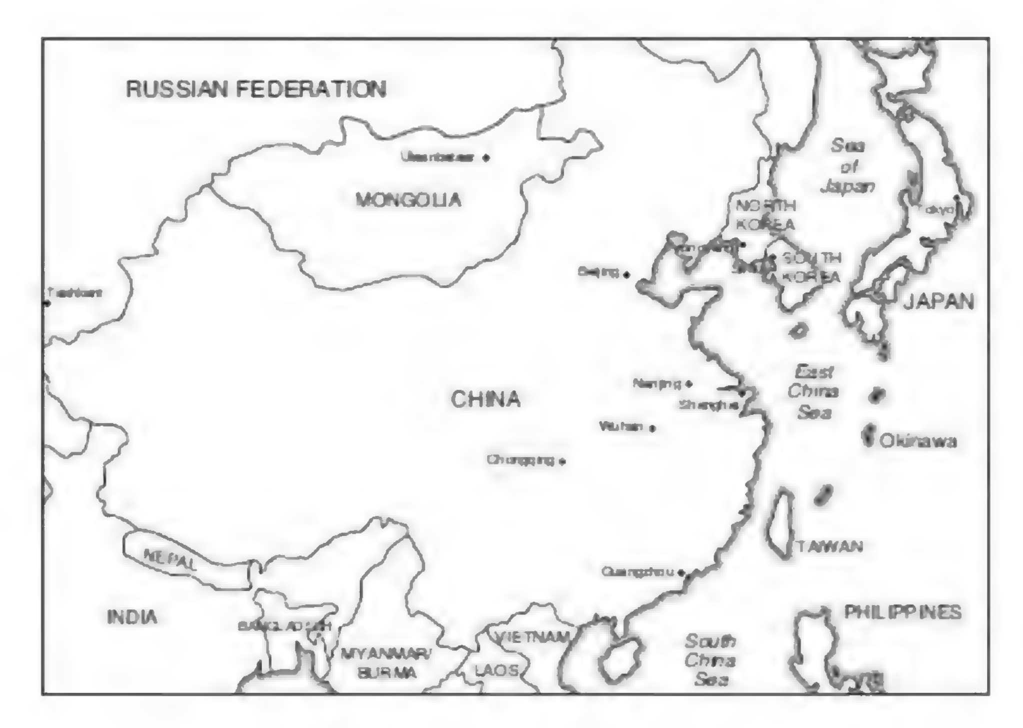
Pells, Richard, *Not Like Us: How Europeans Have Loved, Hated and Transformed American Culture since World War II* (Basic Books/HarperCollins, New York, 1997).

Young, Marilyn, *The Vietnam Wars, 1945–1990* (HarperCollins, New York, 1991).

# الجزء الرابع

## 1965 - 1975:
## الأنماط القديمة والتغييرات الجديدة

صمَّم المؤرخ الألماني أرنو بيترز عام 1967 خريطة جديدة للعالم. وقدَّمها وأعلن عنها في مؤتمر صحفي أقيم بألمانيا عام 1974؛ وهو ما أدي إلى حدوث مناقشات حادة ومثيرة للجدل بين رسامي الخرائط الجغرافية. فقد كان المبدأ الأساسي الذي استندت إليه هذه الخريطة هو تمثيل وبيان المناطق ذات المساحات المتساوية من العالم بصورة متساوية. فالغرض من ذلك هو القيام بـ"موازنة" الدول وأجزاء من العالم بشكل بصري من خلال أسلوب مختلف عن الخرائط العادية التي يشيع استخدامها وتحظى بإحترام وإجلال جوهري لإسقاط مركاتور الذي ظهر في القرن السادس عشر. ومع ذلك، تشتمل جميع الخرائط، كما هو واضح من الجدال والنقاش القائم، نقاط قوة وضعف عند محاولة تمثيل الكرة الأرضية الدائرية على سطح مستوٍ. حيث تتضمن تلك الخرائط رسائل خفية. كما أن الهدف من خريطة المؤرخ بيترز هو إعطاء أهمية وإعتبار للدول التي لا تمثل شؤونها جزءًا من التسلسل العالمي المعاصر للإتجاه السائد. فهي عبارة عن ناتج وحافز أكثر تجاه الأساليب الجديدة لتصور العالم. كما أن القيام بإعادة رسم الخريطة، يستلزم على الرغم من ذلك التكيف والتأقلم مع استعادة روح الماضي.




**خريطة (7) شرق آسيا، 2012**

ولا تزال استعادة واسترجاع ما مر به العالم حتى عام 1945 تشغل مكانة هامة بالنسبة للحياة العامة حول العالم. فما زالت الذكريات المعقدة للحرب تتباطأ بحلول عام 1965 وما بعد ذلك. ولقد تم تقسيم هذا الكتاب في البداية إلى عقدين؛ حيث اتخذ عام 1945 كعلامة مرجعية له. ولقد تعمدنا تجاهل التحدث عن فترة الأربعينيات أو الخمسينيات بين طيَّات هذا الكتاب. والآن نتجاهل أيضًا الحديث عن فترة الستينيات. فليس ثمة طائل من المساومة والمفاوضة في شأن التواريخ، ولكن يتفق عدد من المؤرخين بالفعل آرثور مارويك على سبيل المثال، على أي حال بأن فترة الستينيات تستمر من حوالي 1958 حتى حوالي 1974. ومع ذلك، لا يعني هذا في الأغلب إلا العالم الغربي (قد يتضمن كل من أوروبا الغربية، الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، استراليا وكذلك نيوزيلندا). وفي هذا العالم كان ثمة جيل بدا متطلعًا إلى بداية جديدة مختلفة. بيد أن ثورات ثقافية أخرى كانت لها أصول مختلفة حملت دلالات مختلفة ورقصت على نغم مختلف. وعلى ذلك

فإن خصائص العقد الواحد ، أينما نبدأ وننتهي، قلّما تكون خصائص عالمية. فقد كان العالم مترابطًا وغير مترابطٍ أيضًا. فقد تتعايش الأفكار القائمة من خلال خبرات الحروب جنبًا إلى جنب مع الأفكار التي تعتبر تلك الحروب بالنسبة لها جزء من التاريخ.

غابت شخصيات عالمية في منتصف الستينيات عن المشهد سابقاً، كما توضح الأمثلة القائمة في الفصول التالية، بوفاتهم أو سقوطهم. حيث توفيت أو تنحيت الشخصيات من مواليد العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، الذين كانت تنشئتهم داخل العالم الإمبراطوري الأوربي. حيث توفى أنطونيو سالازار، ديكتاتور البرتغال الحقيقي عام 1932، والذي أصبح غير قادرًا على القيام بمهام منصبه عام 1968 . بعد ذلك الوقت بعامين حيث توفى وينستون تشرشل في يناير عام 1965، بعد استقالته من رئاسة الوزراء بعشر سنوات. وقد شاهد جنازته على التلفاز حوالي ما يقرب 400 مليون من الأشخاص في كل أنحاء العالم. فقد كانت تمثل وفاة تشرشل بالنسبة لبريطانيا انقضاء وانتهاء عصر ما. وقد كان شارل ديغول، عندما جاء لحضور جنازة خصمه وصديقه وقت الحرب، رئيسا لفرنسا للعام السابع. ومع ذلك قام بتقديم استقالته من منصبه عام 1969، وتوفى أيضًا بعدها بخمس سنوات. كما شغل روبرت منزيس، بطل الإمبراطورية العالمية، الرجل الذي يبعد بجسده عن أوروبا ولكن يستقر بموطنه بلندن، منصب رئيس وزراء استراليا في الفترة من 1939 حتى 1941 ثم قام بالتنحي عام 1966. وقد أعلن روبرت منزيس في أكتوبر عام 1939 بأن استراليا حافظت على كيانها المستقل لسبب أساسي إلا وهو انتمائها إلى عائلة الأمم المتحدة . حيث كشفت تلك الحرب بعض من الخلافات القائمة بين عائلة الأمم المتحدة. وقد انهمك منزيس بعد عام 1949، عندما أصبح رئيساً للوزراء مرة أخرى، بقناعاته واعتقاداته الأولية. لذلك كان من المناسب فقط عند إحالته للتقاعد جعله فارس الشوك. حيث لم يأخذ أي من رؤساء وزراء استراليا القادمين لقب فارس الشوك أو أي فارس من نوع آخر. لقد تغيرت نظرة استراليا لنفسها ومكانتها وسط العالم. وفي عام 1970، أصبحت الشخصية العالمية العظيمة، امبراطور إثيوبيا، هيلا سيلاسي، إمبراطور لمدة أربعين عاما. حيث كان على تواصل متميز وفريد في تلك الفترة الحاسمة

بعصر الثلاثينات. وعلى الرغم من ذلك وبمشاركته في الانقلاب العسكري الذي وقع عام 1960 فقد تم خلعه من منصبه رسميًا وعزله بالقصر الخاص به عام 1974.

وقد تم حينئذٍ إلغاء نظام الحكم الملكي. وفي العام التالي وافته المنية. تولت إدارة إثيوبيا بعده لجنة تتكون من أفراد عسكريين شباب. مما أدى إلى ظهور كل من أديس أبابا وأفريقيا فجأةً بصورة مختلفة ومتميزة.

وفي تايوان خلال فترة الستينيات، بقي شيانج كاي تشيك بعد انصراف الآخرين على افتراض القيام بالتخطيط من أجل استعادة الصين. ومع ذلك فقد توفي في إبريل عام 1975 بعد توليه منصب رئاسة الجمهورية لمدة خمس وعشرين عامًا. كما أنه لا يوجد مقارنة بين الحضور العالمي لجنازته القائمة بمدينة تايبيه والتجمهر والاحتشاد الحادث بلندن عام 1965. فلم يعد أن يصبح هذا الرئيس الراحل رمز من الرموز العملاقة لحقبة من الزمن، حتى وإن تم وصفه بهذا بالفعل قبل ذلك. وعلى الرغم من ذلك، حافظت تايوان نفسها على بقائها في الحياة على الرغم من كل تلك الأحداث؛ وقامت بإعادة تشكيل كيانها كإقتصاد مزدهر ولكنه معزول ومتمسك بالمطالبة بحقها في استعادة الصين. وبصفة عامة، لم يظهر ماو تسي تونغ في تلك اللحظة للعيان مرة أخرى بعد إصابته بالشلل إلا أنه لا يزال حيًّا. فلا يستطيع أحد تخيّل السلطة الفعالة، إن وجدت، التي لا زال يمتلكها ويتمتع بها. وقد سافر فريق تنس الطاولة الأمريكي إلى الصين عام 1971 للمشاركة في المسابقات. وقد كان ذلك، كما سيتم إدراكه بعد ذلك، فقط بداية للتسلسل الغير العادي في التطورات القائمة بين أمريكا والصين على مر الأعوام القليلة القادمة. وقد توفى ماو في سبتمبر عام 1976 (حيث توفى تشو انلاي في وقت سابق من هذا العام). كما انتقل إلى رحمة الله المحاربون الصينيون الآخرون الذين ينتمون إلى نفس الجيل الزمني. وعلى أثر ذلك، أصبحت الحزبيّة (الشقاق الحزبي) أمر جامح ومنتشر. فقد كان هناك العديد من المباريات والانتصارات لكرة الطاولة تمت ممارستها داخل وخارج الصين.

غابت الشخصيات البارزة بتحالف حركة عدم الانحياز عن المشهد العالمي. حيث توفى الرئيس المصري جمال عبد الناصر عام 1970. وقد كان الرئيس التالي الذي خلف

عبدالناصر، أنور السادات الذي كان عسكري ومن معاصري الرئيس جمال عبد الناصر وأيضًا معاديًا ومعارضا لوجود البريطانيين داخل مصر. وتم اعتقاله في الحرب العالمية لتأييده ومناصرته للألمان. وقد شغل العديد من المناصب في عهد الرئيس جمال عبد الناصر. فلذلك كانت تعتبر فترة انتقالية داخل نظام الحكم. وقد كان هناك أناس كثيرون يعتقدون بعدم بقاء السادات في الحكم لفترة طويلة (حيث ظل في الحكم حقيقة إلى أن تم اغتياله عام 1981). وهناك بعض الآراء المصرية التي ترى أن المظهر والشكل الخارجي للسادات بعيدًا عن المألوف بالنسبة للمصريين (حيث كانت والدته سودانية). حيث كانت تشير ملامح وجهه إلى أن مصر تنتمي إلى مناطق مختلفة بالعالم – عربية وأفريقية. وسيظل مراقبة ما إذا كان سيحتفظ السادات بوجهة الناصرية أم لا وأخذها في الاعتبار. وقد تمت هزيمة سوكارنو (أول رؤساء اندونيسيا الذي توفى أيضًا عام 1970) في النهاية عام 1967. وقد خلفه في الرئاسة الجنرال سوهارتو (الذي ولد عام 1921) والذي كان ينتمي إلى الشعب الجاوي، وقد كان أصغر منه في السن بعشرين عامًا. وحيث أنه كان رئيس صغير السن، فقد كان يخدم في الجيش في ظل الحكم الهولندي ثم الياباني. وقد كان على معرفة بتغيير العالم. وقد قام بدور بارز ومهم للغاية بالتأكيد داخل الجيش الاندونيسي في هذه الأيام. حيث وعد وتعهد، بعد مرور سنوات على الأزمة، بوضع نظام جديد. حيث كان التحكم العسكري قوي لدرجة ما.

لقد انتهى حكم المشير أيوب خان بدولة باكستان الذي استمر لإحدى عشر عامًا. وقد خلفه عسكري آخر، اللواء يحيى خان عام 1969. وعلى الرغم من تشكيل حكومة مدنية في ظل عهد الرئيس ذو الفقار علي بوتو عام 1971، إلا أنه كما يبدو وجودها أمر متزعزع ومحفوف بالمخاطر في بادئ الأمر منذ عام 1956. وقد أصبح الحكم العسكري أمرًا عاديًا داخل العديد من أجزاء العالم بصرف النظر عن ما سيؤدي إليه هذا النوع من الحكم على وجه الضبط. فلم تكن الديمقراطية التعددية بشمال أمريكا أو أوروبا الغربية، كما يقترح المؤيدون والمدافعون، نموذج عالمي، يتم العمل بنظام الأحزاب المنافسة، الذي يتم فيه تناوب السلطة بدون أي عنف، فقط داخل الدول التي لا تكون محل نزاع في حد

ذاتها. ومع ذلك، يتم تطبيق الحكم العسكري في الدول المتحررة من الاستعمار غالبًا.

حيث يحافظ الحكم العسكري في مثل هذه الظروف على النظام العام ويوجه الحكومة لفعل ما هو "للصالح العام". وقد أشار النقاد مع ذلك إلى أن العسكريين يفسرون المصلحة العامة بالأحرى على نطاق واسع. وهناك بعض أنظمة الحكم التي تسمح لمؤسسات مماثلة بتقديم مشاركة ديمقراطية بعض الشيء، ولكن تظل السيطرة العظمى بشكل أساسي لجانبهم.

فمثل هذا الحال نجده في دولة بورما، على سبيل المثال. وعقب إجراء الاستفتاء في العام السابق، أصبحت الدولة جمهورية اشتراكية بنظام الحزب الواحد عام 1974؛ بسلطة تشريعية واحدة. وقد تم تقنين الحكم العسكري، ولكن كان هذا التقنين ناتجًا عن توجيه وإدارة العسكريين لحزب سياسي.

ومع ذلك، فقد كان هناك بعض من الاستمرارية وسط وجوه العالم الجديدة. فقد كان كل من شاه إيران والمارشال تيتو من المحاربين البارزين أثناء فترة الحرب العالمية. فلم يعد شاه إيران، مع ذلك، الحاكم الفتي لعام 1941. فمن خلال دعمه ومساندته من خلال أجهزة الأمن المحلية والقوات المسلحة الهامة وكذلك الثروة البترولية، قد كان مصمم على خلق وإيجاد إيران حديثة. فقد انتشل وحرّر بلده من الإذلال والهوان الذي عاش فيه هو بنفسه. وقد أصبح لإيران أهمية واعتبار بين دول العالم. حيث احتار المارشال تيتو داخل بلغراد بين الشرق والغرب؛ ولكنه لم يكن مدينًا لأي منهما على الرغم من العديد من الظروف المختلفة. وقد تولى منصب الرئاسة في خمس مناسبات متتالية بموجب الدستور الذي قام هو بصياغته عام 1953. وتم الاعتراف بالواقعية عام 1974. حيث أصبح رئيسًا مدى الحياة. فمن المحتمل أن يتمكن هو وحده عمليًا من إدارة الحساسيات الوطنية الشائكة الخاصة بدولته الموحدة بأي طريقة. وقد كان الحبيب بورقيبة واحدًا من الرجال الناجحين الذين حالفهم الحظ بالقدر الكاف؛ حيث قام عام 1975 بتأهيل وإعداد نفسه لكي يتم انتخابه كرئيس مدى الحياة. فقد قام بحكم تونس، بمزيد من الاستبداد والطغيان، خلال العقدين الأولين من استقلالها. وقد استمر لأجل طويل خلال الفترة

من 1939 حتى 1945 في تقلد زمام الحكم أو السلطة بمدريد إلى أن وافته المنية عام 1975. وقد حافظ القائد العام فرانسيسكو فرانكو على بلده بجعلها بعيدا عن أحداث الحرب العالمية، ولكن يقصد بتميز نظام حكمه بمصطلح "الفاشستي" استمرار وبقاء دولة أسبانيا دولة أجنبية ،إن لم تكن بلد مرفوضة أو منبوذة بعض الشيء حتى داخل أوروبا الغربية المقاومة للشيوعية.

لقد كان الرجال يتولون في الغالب زمام الحكم أو السلطة، ولكن هناك بعض الاستثناءات. ومع ذلك، أصبحت جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل عام 1969؛ واستمرت في هذا المنصب لمدة خمس سنوات. وقد كانت سيريمافو باندرانايكا، السياسية السريلانكية، أول امرأة في التاريخ الحديث تشغل منصب رئيس الوزراء عام 1960. حيث خسرت هذا المنصب عام 1965، وعادت إليه مرة أخرى عام 1970 واستمرت فيه حتى عام 1975؛ حيث تم تغيير اسم ودستور الدولة خلال تلك الفترة. وفي الهند، شغلت انديرا غاندي منصب رئيس الوزراء بوفاة شاستري عام 1966؛ واستمرت في هذا المنصب لعام 1975. حقاً إنها كانت امرأة أو سيدة، ولكنها كانت ابنة أول رئيس وزراء للهند جواهر لال نهرو. وقد تلقت تعليمها المتوسط والعالي بأكسفورد ليس بكامبريدج بإنجلترا.

لقد كان التأثير المتراكم لتلك التغيرات جدير بالاعتبار. حيث لا يمكن بالطبع إطلاق الأحكام العامة أو التعميم بشكل كبير من خلال رحيل وقدوم شخصيات خاصة. فلم يكن هناك رحيل عالمي منظم وسلس من الحكم الخاص بجيل كامل. وعلى الرغم من هذا، في مثل هذه الأحوال وغيرها، وحيث يكون خلفاء تلك الأجيال أصغر سنًا من الأجيال السابقة في الغالب؛ فيتم رسم وتصوير حياتهم من خلال أحداث وسياقات مختلفة. فهم ينظرون إلى المحيط العالمي بشكل مختلف ويتخذون اتجاهات جديدة. حيث تستعرض الفصول التالية التغيرات المترتبة داخل مواقع جغرافية مختلفة، التي تحدث جميعها تحت إشراف ومراقبة الدول العظمى.

# 13

# التغييرات الآسيوية

## الديمقراطية الهندية: حالة الطوارئ؟

كان لمستقبل دولة الهند أهمية عالمية لا جدال فيها. وعندما شغلت انديرا غاندي منصب رئيس الوزراء، كان هناك الكثير من الانتقادات بالداخل والخارج بشأن ما يتردد في الواقع بأن الهند تعتبر أكبر دول العالم ديمقراطيًا (حيث وقف جمهور الناخبين البالغ عددهم 250 مليون – وبلغت نسبة المشاركة 61.3 في المائة). وفي حال عدم تحقيق الهند الديمقراطية المطلوبة، فهذا سوف يشير إلى عدم وجود مستقبل لدولة الهند في الدول النامية. وقد أعلنت السيدة غاندي في مناسبة من المناسبات صراحة أنه من الصعب تفسير دولة الهند للعالم الخارجي. وفي المقابل، لم يتأكد العالم الخارجي ما إذا كان تقدم وتطور دولة الهند علامة ودلالة على استمرارها أو بداية لاتجاه جديد. لا يعد الوصف الموجز والمختصر للهند، داخليًا أو خارجيًا، كافيًا ومناسبًا. وقد أصبحت انديرا وزيرة في حكومة شاستري عندما توفى والدها. وقد حققت فوزا في الانتخابات التالية وأحرزت أصوات أكثر من تلك التي حصل عليها مورارجي تساي تقريبا بنسبة اثنين إلى واحد؛ بعد أن تم دعمها وتأييدها من جانب شخصيات بارزة بالكونجرس. ففتحت تلك المنافسة في حد ذاتها اتجاهات هندية مختلفة ومتنوعة.

وقد كان ديساي يناهز من العمر 70 عامًا عندما كان خبيرًا بالكونجرس؛ حيث تلقى تعليمه بـ (مومباي) وتم اعتقاله بدولة الراج البريطاني. وقد كان محنكًا ومتمرسًا بشكل واسع في السياسات الخاصة بمومباي – المركز التجاري والصناعي على نحو متزايد الخاص بالدولة – قبل الانتقال إلى جميع السياسات الهندية باتخاذ مسئوليات وزارية تجاه الشؤون التجارية، الصناعية والمالية برئاسة رئيس الوزراء نهرو. فلم يكن مسافرًا أو رحّالا عالميًا. حيث اختلفت الهند الذي قام بعرضها عن تلك المعروضة من جانب خصمه. حيث جمع بين سياسة التقشف الصارمة الخاصة بانديرا غاندي – على الرغم من تطبيقها بشكل عام – وإيمانه بالمشروعات التجارية الحرة. ولم يشاركه أحد من القادة السياسيين الغربيين في اعتقاده وإيمانه بأحاسن العلاج بالبول، على الرغم من تبرير تلك الأحاسن ظاهريًا في العصر القديم الذي عاش فيه بعد ذلك. ويعتبر أساسه ومنشأه الهندي الغربي أمر هام للغاية. وقد كان على علم بشكل أساسي بالجوانب السياسية للتوترات اللغوية الخاصة بالدولة. حيث تم بناء وتأسيس ولاية ماهاراشترا وعاصمتها مومباي عام 1960 لمواجهة بلبلة متحدثي اللغة المهاراتية. حيث تعد تلك الولاية ثاني أكبر الولايات المأهولة بالسكان وواحدة من الولايات الأكثر ازدهارًا في الاقتصاد بالهند (حيث يكون المدى بين أكثر وأقل ولاية كبير وهائل). وقد تجاوز عدد السكان بالولاية 50 مليون فرد عام 1971، وكانت تمثل واحدة من أكثر اللهجات أو اللغات أهمية بالهند. وقد شغل ديساي منصب نائب رئيس الوزراء ووزير المالية، ولكنه انفصل عن غاندي عام 1969. وقد انضم إلى مزيج متنوع من المجموعات التي تمثل المعارضة. وقد كان واحدًا من هؤلاء الشخصيات الذين تم اعتقالهم في ظل إعلان حالة الطوارئ عام 1975 (والتي سيتم الإشارة إليها بعد قليل).

قد كان للغة أهمية وشأن بالهند، لاسيّما في تلك الفترة. وقد اعترض الأفراد المتحدثون باللغة التاميلية في جنوب شرق البلد اللغة الهندية كلغة محلية. حيث ساعد اكتشاف ولاية تاميل نادو الهندية بعاصمتها مدراس (تشيناي)، مع ذلك، على نقل سياسة المنطقة بصورة تدريجية بعيدًا عن الاتجاه الانفصالي أو الانشقاقي. وعلى الرغم من ذلك، لم

تكن الحكومة بعد عام 1967 واقعة تحت سيطرة الكونجرس كما هو موضح من خلال الأمثلة الأخرى القائمة في نفس مستوى الدولة حيث من المحتمل أن يواجه ويتحدى هذا التطور قدرة دولة الهند على قيام أجهزتها التنفيذية بمهامها بشكل مترابط ومتماسك. ومن المحتمل أن يكون هناك صعوبات ومشكلات إضافية، في مثل هذا الحال، يقوم سكان شمال شرق ولاية سريلانكا الذين يتحدثون باللغة التاميلية بإحداثها. قامت السياسية باندرانايكا، بعد تحقيق مزيد من الفوز الانتخابي عام 1970، بتطبيق نظام الدستور الجمهوري بجزيرة الهند. حيث استمر الدافع لجعلها دولة سيريلانكية بشكل أكبر. فهل سيكون هناك في المقابل استجابة لدعوة توحيد اللغة التاميلية، وكيف يكون رد فعل نيودلهي أيضًا؟ كانت الهند دولة للعديد من اللغات أو اللهجات الإقليمية لدرجة يصعب حصرها. حيث يتطور هؤلاء الأفراد المتحدثين بتلك اللغات في الغالب بكل ثقة في النفس. لذلك على الرغم من هذا التنوع والاختلاف هل كانت تعتبر الهند بشكل جوهري دولة هندوسية؟ وما هي الديانة – إذا كان من الممكن القول – التي تعتنقها بالضبط؟ قام حزب بهاراتيا جانا سينغ، كحزب سياسي، بطرح نفسه للانتخاب على نحو سيء قبل عام 1967، ولكن استمرت العديد من المنظمات المختلفة بشكل صاخب في طرح هذا الحال بالنسبة للهند كولاية أو دولة هندوسية. فليس من السهل، مع ذلك، محاربة هذا الفكر أو النهوض به بدون الخوض في أدغال أو حيثيات تعريف مفهوم "الهندوسية". وبصفة عامة، من الممكن اعتبار الهندوسية تكوين مفهوم للعلم أو المعرفة الغربية. حيث ساعد تأكيدها على الأنشطة الدينية بالأحرى من العقيدة مئات الملايين من الهنود على جعلهم هندوسيين. قد جعلت مثل هذه المرونة والمطواعية من الصعب تحديد كيفية تطور الدولة أو الأمة بدقة خلال فترة تولي السيدة غاندي منصب رئيس وزراء الهند. وحيث أن كل من المركز والدولة يتدافعان ويتصادمان من أجل الحصول على المركز والسيطرة، وجد الأخصائيون في العلوم السياسية من الصعب توضيح وبيان كيفية قيام الدولة بتنفيذ مهامها بالفعل. وقد صرّح والدها نهرو قائلاً بأن دول العالم سوف تقر باحترامها وإعجابها بالنطاق الذي تم تطبيق النظام الدستوري الهندي من خلاله الذي لم يترك أي مجال للشيوعية. وعلى الرغم من ذلك، فلم تختفي أو تتبدّد تلك الشيوعية في الواقع.

وقد كانت انديرا عام 1947، بعيدًا عن فترة الثلاثينات، هي ووالدها حاضرين في تلك الساعة من منتصف الليل التي تم الإعلان فيها عن استقلال دولة الهند. فقد كان يرافقها، قبل وبعد تلك الفترة، والدها الذي سافرت معه إلى الهند وخارج الهند. فلم يكن هناك أي شخص يتفق مع تصوره بالنسبة لماهية الهند والدور الذي يجب أن تقوم به داخل العالم. فالآن وبعد مرور ثلاثة عقود تقريبًا أصبح وظهر الالتزام بالديمقراطية الذي كان يميز تطور الهند داخل قارة آسيا كما يبدو أمر متزعزع ومحفوف بالمخاطر. وخلال السباق من أجل الاستخلاف، قد نجح غاندي في الحصول على يسار الوسط بالكونجرس – حيث لم يوضح الانقسام اليساري / اليميني العوامل المتورطة بالكامل. ومازال يتم أخذ سحر والدها في الاعتبار بعض الشيء: البنت مثل الأب. فهي أيضا قضت فترة ما في داخل السجن أثناء عودتها إلى الهند خلال زمن الحرب. ومع ذلك تعمل تلك الاستمرارية القائمة ظاهرية، والتي تم التعبير عنها من خلال تعيينها، حتما على تغيير الظروف داخليًا وخارجيًا. بصرف النظر عن الوقت الذي كانت فيه بأكسفورد، قبل ذلك بثلاثة عقود، لم تكن غاندي أجنبية أو غريبة بالنسبة للعالم بعيدًا عن دولة الهند. حيث أبعدت تلك الخلفية العالمية غاندي عن معظم الهنود. وقد ساهم نقل الحكم إلى شاستري في انقسام الكونجرس؛ حيث تم التئام هذا الانقسام والانشقاق بالكاد. وتعد قصة السنوات الدخيلة واحدة من الأزمات التي شهدها الكونجرس وأثرت على مركز ومكانة شبه القارة بالنسبة للعالم داخليًا وخارجيًا. وخلال الانتخابات القائمة في عهد رئيس الوزراء جواهر لال نهرو حتى عام 1962، قد حصل الكونجرس على ثلاثة أرباع المقاعد بمجلس الشعب البرلمانى الهندي.

وعلى الرغم من حصول الكونجرس على غالبية الأصوات بالبرلمان، إلا أنه قد خسر عام 1967 ما يقرب من 60 مقعدًا. فهل كان ذلك بداية للنهاية؟ فربما كان الزمن ينقضي بالنسبة لهيئة أو جهة قد تعتبر شيء هام ومحوري لتحقيق الاستقلال. وعلى مر العقود، نادرا ما كانت تحدث الاختلافات السياسية العادية الناتجة من تلك القضايا المعاصرة فجأة أو على نحو غير متوقع. فبينما اتجه حزب الاستقلال إلى القيام باستبعاد أو إدخال أحزاب

أخرى في العديد من الأحوال الأفريقية، فقد أخذت دولة الهند المستقلة الوجود المستمر لكل من الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في الاعتبار. فقد كان على وشك أن نشهد تعددية للأحزاب بشكل أكبر. وقد انقسم الكونجرس بفئتيه وقام كل من غاندي وديساي بإدارة شؤون كل فئة على حدة؛ حيث ادّعى كل منهما بتمثيل فئتيهما "الكونجرس الفعلي". وبعد عام 1969، شغل رئيس الوزراء منصبه بدعم وتأييد من جانب الأحزاب الشيوعية والاشتراكية. وتم تأميم البنوك أو المصارف. وتم اعتماد الأخلاقيات والمبادئ الاشتراكية للإدارة أو الحكومة. لم تقم الهند بنبذ أو التخلي عن موقفها المحايد بل أصبحت على وعي وإدراك بأنها الآن دولة من الدول ذات القوى العظمى. فقد كان يستلزم عليها التعامل مع الدول العظمى الأخرى في جميع أنحاء العالم على أساس مماثل ومطابق للإجراءات التي تستطيع اتخاذها حيث كان يستوجب عليها القيام بأعمال التطوير داخليًا. فقد كان تركيز نشاط وطاقة السيدة غاندي على شبه القارة نفسها، على الرغم من أنه لم يكن هناك انسحاب رسمي من حركة دول "عدم الانحياز" العالمية.

لقد أصبحت الأمور في غاية الصعوبة داخليًا في 26 يونيه عام 1975 عندما قام رئيس دولة الهند بإعلان حالة الطوارئ بموجب مادة معينة بالدستور. وقبل ذلك بأسبوعين، تم اتهام رئيس الوزراء أمام المحكمة العليا بمدينة الله أباد لتورطه في ملف الفساد الانتخابي. واستمرت تلك القضية أربع سنوات؛ حيث قام خصمها راج نارين برفعها أثناء الانتخابات العامة عام 1971. حيث قضى الحكم باستبعاد غاندي من المشاركة في البرلمان، بالإضافة إلى منعها من خوض أي انتخابات أخرى لمدة ست سنوات. ومع ذلك، صرّح رئيس الوزراء بأنه في إمكانها استئناف هذا الحكم الصادر بالمحكمة العليا ومواصلة مهامها في منصبها إلى أن يتم الفصل فيه في النهاية. حيث تمكنت من إقناع الرئيس في مواصلة عملها نظرا لأعمال الشغب والفوضى التي حدثت في أعقاب الحكم الصادر من المحكمة العليا بمدينة الله أباد. بموجب الحفاظ على أحكام قانون الأمن الداخلي، تم اعتقال المعارضين السياسيين وفرض الرقابة على دور الصحافة. فذلك كانت البداية فقط. فلم ولن تكون دولة الهند دولة بوليسية، ولكن مصروفات الحكومة

المركزية على الشرطة تزايدت بشكل سريع على مدى السنوات القليلة الماضية؛ تجاوزت عدد رجال الشرطة وكذلك النمو السكاني (بالإضافة إلى ما يتطلبه راج). وقد أصبحت أكبر الدول ديمقراطيًا في العالم تعيش في فوضى واضطراب. حيث ذكر البعض بأن الهند أصبحت تشبه دولة باكستان بشكل أكبر فليس كان المقصود من تلك الملاحظة مدح أو إطراء.

### باكستان/ بنغلاديش: حلّ الاتحاد

لقد تم اتهام وإهانة الشعب الباكستاني بمثل تلك الملاحظات، ولكن لا يمكن إنكار أن الحوكمة الباكستانية أصبحت تنطوي على مشاكل معقدة منذ عام 1947. ومع ذلك، بعد مرور فترة الحكم العسكري بداخلها، تم انعقاد الانتخابات عام 1970 كجزء من إجراءات المرحلة الانتقالية إلى حكومة مدنية. وقد ضربت موجة المدّ والجزر الشهر السابق نهر دلتا الجانج؛ حيث أسفر ذلك عن وفاة مئات الآلاف من الأفراد. وقد تسبّب ذلك في تأجيل الانتخابات. وقد كشفت تلك النتيجة عن مدى الانفصال بين شرق وغرب باكستان. وقد فاز أخيرًا حزب رابطة العوامي بقيادة الشيخ مجيب الرحمن (الذي ولد عام 1925) بجميع المقاعد في البرلمان، ولكن لا يوجد له تمثيل داخل بلاد الغرب. وقد تم اعتقاله مؤخرًا بسبب اتهامه بالاشتراك مع الهند في حدوث انشقاق داخل بلاد الشرق.

وقد ادّعى شعوب البنغال، من جانبهم، أن بلاد الشرق على الرغم من كونها من أكثر البلاد المأهولة بالسكان؛ إلا أنها كانت تعتبر "مستعمرة" افتراضية باستثناء الجزء الهام الخاص بالنخبة العسكرية البيروقراطية لدولة باكستان. ولقد قام برنامج مجيب الرحمن القائم على ست نقاط بتمثيل دولة الباكستان بكونها اتحاد فيدرالي منحلّ. وقد كان حزب الشعب الباكستاني بقيادة ذو الفقار علي بوتو مسيطرًا في ذلك الوقت، إلا أنه لم يكن مسيطرا بدرجة كبيرة ببلاد الغرب. حيث حصل حزب مجيب الرحمن على غالبية الأصوات داخل مجلس الأمة الجديد، ولكن لم يكن هذا المجلس يعقد جلساته بشكل سريع. كما أن المفاوضات التي تم انعقادها بين قائدي الأحزاب الطموحين لم تحرز تقدمًا بدرجة كبيرة.

وقد وقف الرئيس يحيى خان والرئيس جنبًا إلى جنب بشكل متراخٍ مطلقًا. وقد انجرفت الدولة نحو حرب أهلية. وفي مارس عام 1971 حدثت اشتباكات واصطدامات بين المتظاهرين والقوات بشرق باكستان. فهذا هو الأساس الذي تم عليه تغيير وتبديل بعض من الاتفاقيات بانتظام. فقد أدت الظروف والأحوال التي أعلن عنها مجيب الرحمن صراحة إلى صدور إعلان الاستقلال فعليًا. فليس كان من المحتمل تطابق تلك الظروف أو الأحوال. حيث قام الجيش بعد ذلك باتخاذ إجراءات قمعية صارمة. وتم إلقاء القبض على مجيب الرحمن وترحيله إلى غرب باكستان. وقد كانت أعمال العنف العَرَقية التي حدثت بين "الباكستانيين" جلية وواضحة تماما. وتم استعادة بعض من مظاهر النظام، إلا أن أنشطة حرب العصابات والأعمال العدائية العامة جعل هذا النظام أو الاستقرار متزعزع ومحفوف بالمخاطر. كما قد يعتمد المحاولة الثانية للحصول على حكومة أو إدارة مدنية على الشعب الغير البنغالي.

ليس هناك شك في أن الهند نجحت في المشاركة في الأحداث فلم يكن هناك أرقام ثابتة لكنها كانت تتراوح ما بين عشرة ملايين فروا من شرق باكستان إلى الأراضي الهندية المجاورة، كان من بينهم سبعة ملايين من الهندوس. فقد تسبب تدفق السكان إلى الهند في الضغط الشديد على الموارد الإدارية الهندية وربما حدثت ستة آلاف حالة وفاة في مخيمات اللاجئين. أما في ولاية البنغال الغربية، فقد قام الناكسال والماويين الشيوعيون بشن حملة إرهابية تسببت في زعزعة استقرار المنطقة. في شهر أبريل لعام 1971، تم تأسيس حكومة بنجلاديش في المنفى في كلكتا في حين قام الجيش الهندي بقوة تحرير بنغالية (على الرغم من أنها لم تكن متماسكة في ظل التلاحم السياسي الكبير). السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ستقوم دلهي بأكثر من ذلك؟ بحلول شهر نوفمبر، كانت دلهي تتوخى الحذر من التدخل الهندي المباشر إما باعتباره تصرف يؤدي إلى السيطرة على الحدود أو مقدمة لهجوم واسع النطاق للقبض على دكا، لذا فقد قامت باكستان بشن هجوم جوي وقائي غير ناجح في شمال غرب الهند إلا أن الرد العسكري الهندي، سواء في الغرب أو في الشرق، كان ناجحا للغاية. بعد استمرار القتال لمدة أسبوعين، ربما فقدت باكستان نصف قواتها البحرية وثلث جيشها وربع قواتها الجوية لذا فقد كانت العواقب وخيمة.

أصبحت الهند قوة مهيمنة في شبه القارة الأفريقية حيث تم الكشف عن الطموحات العسكرية للجيش الباكستاني. كانت دلهي في عجلة من أمرها لاستعادة عدد كبير من سجناء الحرب الباكستانيين أو عودة الأراضي التي تم الاستيلاء عليها في البنجاب وكشمير. ظل هذا الوضع حتى يوليو 1972، فقد تم عقد اتفاق بين بوتو والسيدة غاندي في شيملا من أجل التوصل إلى اتفاق بشأن هذه المسائلة، على الرغم من أنه تمت العودة إلى الوطن قبل عام. وفي واقع الحال، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يكن موجود حينها، اعترفت باكستان بوجود بنجلاديش لكنها لا يمكن أن تقبل حدوث حرب التحرير واعترفت بنجلاديش بالكومنولث في عام 1972- الخطوة التي تسببت في مغادرة باكستان. لم يكن لدى الكومنولث القدرة على منع اثنين من أكبر أعضائها من الذهاب إلى الحرب ضد بعضهما البعض. بعد أن تم الإفراج عن مجيب الرحمن، قامت الحكومة البريطانية بتوفير طائرة سلاح الجو الملكي البريطاني من أجل نقله إلى موطنه ببنجلاديش حيث أنه قد جاء لرؤية رئيس الوزراء البريطاني في لندن إلا أن هذه الزيارة لم ينتج عنها أي مساهمة دبلوماسية كبيرة. اتفق بورتو والسيدة غاندي أنه يجب أن يتم حل مشكلة كشمير بطريقة دبلوماسية بينها احتج المتشددون في دلهي بأن يجب على الهند أن تستفيد من مكانتها القوية في الإصرار على التوصل لحل نهائي لمشكلة كشمير في جلسة منعقدة.

قد أصبحت الدوافع والحوافز للوساطة أو التدخل الهندي، في الوقت الحالي وفيما بعد، أمر يدور حوله النقاش والجدال. بالكاد ما تستطيع دولة الهند أن تورط نفسها ولكن يعد القيام بشن الغارات أمر آخر. حيث أن هناك بعض الآراء الهندية التي ترى أن الفرصة في إلحاق ضربة أو صفعة جسيمة بدولة باكستان أمر واضح وجلي؛ ولكن يظل تحديد كيفية توجيه تلك الرغبة للسياسة العامة أمر مبهم. وبالفعل تم توجيه تلك الصفعة الجسيمة. فلم ولن تستطيع دولة وحيدة، على الرغم من كونها دولة إسلامية، بأجزائها المنفصلة بآلاف الأميال أداء مهامها التنفيذية كما يجب. وقد كان هناك علامة استفهام حول (غرب) باكستان المتبقي. قد يصبح الجزء الخلفي أو الدبر سهل الانقياد بشكل أكبر ومحصور بين العالم الإسلامي المعقّد إلى جهة الغرب منه وبين الهند إلى جهة الشرق منه،

ولكن من الممكن ألايصبح ذلك أيضًا. لم تنحصر الشكاوي أو التظلمات حول "Punjabization" نحو الشرق. حيث من الممكن أن تفصل القضايا اللغوية والعرقية الدولة الغير متوازنة بعيدًا وتقضي في النهاية على عبث الانقسام الحادث عام 1947. ولكن حتى مع تحقيق تلك النقطة ببعض من الرضا والقبول من جانب مدينة نيودلهي إلا أن الهند كانت تشهد صراع لغوي وعنصري.

قد تم طرح العديد من الأسئلة حول الطريقة التي تعمل بها الحكومة الباكستانية. فإذا رجعنا للخلف، لن نجد أن هناك أحد كان معجبا بعملية صنع القرارات الباكستانية والقرارات التي كان يتم اتخاذها في الفترة ما بين شهر ديسمبر 1970 وديسمبر 1971. فقد كان من الممكن أن تبقى باكستان موحدة لو كانت القرارات التي تم اتخاذها أفضل من ذلك حتى وإن كانت هذه القرارات مختلفة. في لحظة نادرة من الرصانة ، استقال الرئيس يحيى خان وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية ثم خلفه الرئيس بوتو ثم عاد ليشغل منصب رئيس الوزراء لمدة عامين بعد ذلك. على الرغم من أن شعور الجيش بالفخر قد تراجع، فقد ظل عاملا سياسيا لا مفر منه. بدأت فكرة إنشاء عاصمة جديدة خطط لها اليونان في إسلام آباد تمضي قدما منذ عام 1960 ثم بعد ذلك بدأ التخطيط من أجل أن يكون هناك سكان متعلمين في أنحاء مختلفة من البلاد وبث روح في المناطق النائية التي كانت مختلفة عن ميناء مدينة كراتشي وتهدف هذه الخطة إلى إظهار وحدة الدولة الحديثة- لكن كانت ثقة الباكستانيين في أنفسهم مهتزة، على الأقل مؤقتا حتى بثت المدينة الخضراء الطموح في النفوس لكن لم ينعكس ذلك في الواقع.

أما فيما يتعلق بالدولة الجديدة، فلم تستغرق بنجلادش وقتا طويلا حتى أدركت أن الاستقلال لن يحل مشاكلها، حتى وإن حمتها معاهدتها مع الهند من أي معتدين محتملين (الذين كان من الصعب تحديدهم). فقد بدا وعد "جولدن بنغال" بعيد المنال بسبب ظروف الفقر والجوع والبطالة واسعة النطاق. فقد كان مجيب الرحمن يعاني من أزمة صحية ، مترددا ما بين الاشتراكية العلمانية والتشدد الإسلامي البحت. فقد تم ترقية هذا المزيج وإطلاق اسم الحركة المجيبة، كما تم تفسيرها، إلا أنها لم تفسح الطريق للتقدم

والتطوير. انهارت الحكومة البرلمانية وأصبح عبد الرحمن دكتاتورا حتى تم اغتياله في أعقاب الانقلاب العسكري في عام 1975 وقد واجه قائد الانقلاب نفس هذا المصير بعد عدة أشهر لذا فلم تكن هذه البداية السعيدة لبناء الدولة.

## الصين: بين الاغتراب الثقافي والإقامة الدبلوماسية؟

ليس هناك شك في أن دولة الصين كانت تحمل العديد من الهموم ففي نفس الوقت الذي كان الرئيس ماو، الذي كان يبلغ من العمر 73 عاما، يحتفل بالغطس في نهر اليانغتسي بآسيا بالقرب من ووهان لمدة 65 دقيقة في يوليو 1966، كانت الصين تسبح بعيدا عن التيار العالمي. من الجدير بالذكر أن ثورة الصين الثقافية لم تكن اندماجا في الثورة الثقافية الغربية على النحو المذكور في بداية هذا الجزء من الكتاب بل كانت تبدو وكأنها عهد إرهاب غريب أو حقبة من التفكير الجنوني الغير واعي الذي كان يكافح من أجل الفهم كما صنفتها العقول الأوروبية أو الأمريكية.

ففي هذا الوقت، كانت الصين وبشكل واضح منغلقة على عالمها الداخلي لدرجة أنه لم يكن هناك خريطة يمكن أن توضح على نحو كافٍ "مكانتها" العالمية بالإضافة إلى أن انشغالها بأمورها الداخلية ساهم أيضا في صعوبة تصور "شرق أسيا" على نطاق أوسع. قبل عام 1949، لم يكن هناك مدينة في الصين تحمل العديد من الدمغات التي كانت توضح علاقة الصين بالعالم الخارجي ووجود أجانب من جنسيات مختلفة بداخلها أكثر من شنغهاي. فقد كانت فترة استعادة نمط ما قبل عام 1937 المتعلقة بالعلاقات التجارية والمالية في عام 1945 قصيرة الأمد. أما بعد عام 1949 ، فقد أختفي العالم الخارجي من الصورة إلى حد كبير. وفي وقت ما ، كانت المدينة الصينية محرومة من فرض جوانبها العالمية وهي المدينة التي كانت تعمل بها جيانغ تشينغ وهي الزوجة الثالثة للرئيس ماو حيث كانت تعيش جزء جديد في حياة كانت في معظمها تمثيل وكان الرئيس ماو نفسه يعيش في شنغهاي في عام 1965 . بحلول شهر يناير لعام 1967 قام العاملون بالمطالبة بأهداف المساواة بإصرار وإعداد كومونة شنغهاي. خلال الأسابيع التالية ، حاول العمال جمع كافة الأملاك في المدينة ولكن سرعان ما تدخل الحزب المركزي لكبح جماح هذا

الحماس مرة أخرى. ومع ذلك، فقد أعلنت منظمتهم أنهم قد رفعوا العلم الأحمر الخاص بفكر ماو تسي تونغ ومن ثم فقد دخلوا في مرحلة جديدة في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في شنغهاي. عندما كان العاملين يتلفظون بكلمة "كومونة"، كانت تجول في أذهانهم فكرة كومونة باريس. على الرغم من ذلك، فقد كان هناك أمر متناقض في هذا النموذج كان جزءا من هذه الطاقة نابعا من الشعور بأن الصين الحديثة يجب أن تمضي قدما في الطريق بمفردها فلا ينبغي أن يؤثر ماضيها أو ماضي الدول الخارجية على مستقبلها وقد تحطمت الصلة التي كانت موجودة مع نظام ما قبل الثورة الصينية (تحطمت اللفظ الذي يستخدم حرفيا في حالة المعابد). كانت أخطاء الدول الأجنبية من كل نوع سواء الدول الغربية أو السوفيتي واضحة وجلية في كل مكان فعلى سبيل المثال يطلق الآن على الشارع الذي كانت تقع به السفارة السوفيتية اسم "شارع التحريفيين السوفيت". تعرض المفكرين الفاسدين للاضطهاد وتم التخلص من الكتب أو الموسيقى الأجنبية الموجودة في منازلهم وتم تدمير المكتبات. كان ذلك بمثابة مخاطرة من الصين في أن ترتدي الزي الغربي وكان واضحا أن تنخرط مكافحة الإمبريالية بسهولة مع الخوف من الغرباء.

وفقا للمبادئ الصينية، فقد كان هناك مجموعة من الثورة الثقافية مسئولة مع جيانغ تشينغ بصفتها نائب للمدير. كان من المفترض أن تتم السيطرة على الأحداث إلا أن ترك الأمور خارج نطاق السيطرة كان طريقة غير معتادة لممارسة هذا الاتجاه ويرجع ذلك إلى انه لم يكن هناك هدفا محددا يلوح في الأفق، كان حدث واحد يتسبب في حدوث الآخر. بدءا من عام 1966 فصاعدا، قد ساهم عنف اللغة وأحيانا العنف في السلوك في حدوث حروب ثقافية من العمق والتعقيد التي يستعصى على الغرباء فهمها فلم تكن الصين دولة منفتحة على العالم ونادرا ما كان يتواجد فيها أجانب. كان تفسير هذه الظروف يمثل تحديا لكل من المعاصرين والمؤرخين الذين جاءوا بعد ذلك ويرجع ذلك إلى أن الغموض والارتباك الذي كان يحيط بكل شيء حتى الرئيس ماو نفسه ، مع الأخذ في الاعتبار جانب الشيخوخة. كان الرئيس ماو يرى أن الحزب يخضع للبيروقراطية ومغريات الطريق الرأسمالي فكان لزاما أن تحدث ثورة جديدة. في حين أن المعلقين قد كشفوا ، وخاصة

الذين كانوا يشاركون بأنفسهم في هذا الأمر، عن وجود فئة جديدة تدير الحكم في كافة أنحاء العالم الشيوعي. فقد تم جمع أفكار الرئيس ماو في الكتاب الأحمر الصغير الذي ظهر باللغة الإنجليزية في عام 1966 في محاولة لوضع خط جماعي جديد. من الجدير بنا في هذا المقام أن نكرر ما قد قيل في عام 1948 ألا وهو بدون وجود سياسة عامة سوف يكون الشيوعيين وكأنهم ثوار أعمياء وغير مهيأين ومشوشين الفكر.

على الرغم من ذلك فقد كان الثوار، سواء مشوشين الفكر أم لا، يعتقدون أن الرئيس ماو قد أعطى الضوء الأحمر لتحطيم المعتقدات التقليدية بشكل متهور ومدمر (لم لا نغير دلالة اللون الأحمر من كونه لونا يدل على التوقف إلى لون يدل على إشارة البدء؟). لقد ظهر جيل جديد لم يكن يعرف دولة الصين قبل الرئيس ماو. لا يوجد أي سبب وراء الاعتقاد خلافا للتقاليد الصينية أن تقدم السن يجلب الحكمة (ما عدا في حالة الرئيس ماو نفسه). في أواخر عام 1966، أصطف آلاف من شباب الحرس الأحمر، مزودين بالكتب الحمراء الصغيرة، في موكب أمام الرئيس ماو في ساحة تيانانمن. قد يبدو ذلك أمرا جيد لكن على الرغم من مباركة العامة له إلا أن ماو لم يفكر قط في حجم الفوضى التي تلت ذلك. فقد توقفت المدارس والكليات والجامعات عن العمل (لفترات متفاوتة وبدرجات متفاوتة) ، بالإضافة إلى وجود مشاكل تنظيمية. وفي نهاية المطاف، تطلب الأمر قيام بعض فرق الدعاية الخاصة، التي تتكون من الفلاحين والعمال، الاستمرار وإجبارهم على استئناف الحياة التعليمية. كان الحرس الأحمر يتحرك بحرية، الأمر الذي ساهم في حد ذاته في متعتهم في سنوات نضجهم، الأمر الذي يوضح ما لا يمكن تفسيره بخلاف ذلك. ربما فقد نصف مليون شخص حياتهم في هذا الاضطراب وكان الجيران ضد بعضهم البعض وقد تم إرسال نحو أربعة ملايين أو ما يقرب من ذلك بعيدا في الريف. لذلك بعد أخذ جولة في هذا الأمر كانت الثورة الثقافية أهم ما يميز العقد بعد عام 1966. في شهر أغسطس لعام 1973، اقترح أحد المتحدثين في مؤتمر الحزب العاشر أن الصين لا بد أن تخضع دائما لثورة ثقافية.

بعد ما يقرب من مرور نصف قرن، لم يستطع أي تفسير فردي شرح ما يحدث. أدت

هذه الاضطرابات إلى بعض عمليات التطهير التي لا يستهان بها لاحقا في الحزب الشيوعي وبالتالي قد نجحت على الأقل في تلبية بعض أهداف الرئيس ماو الأصلية كما فعلت اللجان الثورية الجديدة التي تم تأسيسها على كل المستويات في جميع أنحاء البلاد. مع ذلك، فقد وجدت هذه اللجان أنفسها تخضع لممثل جيش التحرير الشعبي البارز الذي كان يعيش بين ظهرانيهم. ومع هذا يمكن القول بأن مشكلة البيروقراطية لا تزال قائمة. فقد لحقت أضرار كبيرة بالحياة التعليمية والاقتصادية والتي لا يمكن أن تعوض بشكل سريع. وفي أعقاب ذلك، كان لا يزال الرئيس ماو نفسه موجودا، لكن جاءت قضية الخلافة لتسيطر على السلوك السياسي على رأس الحزب لذا فقد أصبحت أسطورة ماو مهمة تماما مثل أهمية شخصيته. بعد مرور خمسة أعوام من الأيام الثورية حتى شهر يناير لعام 1967، فقد كانت كومونة، كما سوف نراها فيما بعد" مدينة شنغهاي" موقعا لإطلاق البيان الرسمي الذي لم يكن مفهوما وبغيضا بالنسبة للذين كانوا يناضلون من أجل محاربة ثورة الرياح الاقتصادية السوداء المضادة وبعد ذلك أعلنت الحكومتان الصينية والأمريكية للعالم عزمهما على تطبيع العلاقات الثنائية بينهما.

فمنذ بداية الثورة الثقافية، كان من الصعب إستخلاص إستنتاجات حول الرسالة التي كانت تهدف إليها فيما يتعلق بعلاقات الصين بالعالم الخارجي. قد كان استدعاء السفراء الصينيين إلى بكين، في العديد من العواصم، يوضح أن هناك أزمة عميقة تتعلق بهوية الوطن.

في شهر مايو لعام 1967، هاجم الغوغاء وزارة الخارجية في بكين وتم طرد وزير الخارجية أحد المقربين من تشو انلاي وقاموا أيضا بمهاجمة الدبلوماسيين البريطانيين والسوفييت الموجودين في العاصمة بالإضافة إلى القيام بمظاهرة ضخمة في بكين ضد السيطرة البريطانية المستمرة على هونج كونج ولذلك بعد مرور عدة شهور تم إعلان حالة الطوارئ. في شهر أغسطس لعام 1967، قام الحرس الأحمر الذي يشبه السفارة البريطانية في بكين وقد كانوا معروفون بإثارة الاضطرابات والشغب في بورما وكمبوديا وهونج كونج وحتى في موسكو. عند الأخذ في الاعتبار نوبات الغضب المستمرة ضد الولايات

المتحدة فيما يتعلق بتايوان وأماكن أخرى، يبدو الأمر كما لو كانت الصين تقوم بجلد كل من وفد إليها وإن كان هناك أحدا واثقا وعلى علم بماهية الصين في هذه المرحلة. مع ذلك ربما بدت كراهية الأجانب بمفهومها الواسع واضحة في الخوف الذي كانت تعكسه الثورة الثقافية. كانت دولة الصين لا تزال محاطة تقريبا من جميع الجهات بدول معادية لها بطريقة أو بأخرى. لذلك فقد كان للقضايا الجوهرية في الثورة الثقافية بعدا دوليا لا مفر منه.

لقد وصل العالم في هذه المرحلة إلى مرحلة حرجة وحاسمة حيث أنه كان لا يزال ثنائي القطب بإستثناء واشنطن وموسكو بدرجات متفاوتة فقد كان لديهم بالفعل انتشار عالمي على خلاف الصين التي لم تحقق أي انتشار عالمي. لقد انخرطت في شرق أفريقيا من خلال اتصال بسيط بتوفير قروض لتنزانيا وزامبيا من أجل بناء السكك الحديدية "تانزام" لكن لم يكن ذلك سوى صلة متواضعة خارج المنطقة. فقد كان لإعلان ألبانيا وحدتها في عام 1968 موضع ترحيب بلا شك ولكنه كان محدود القيمة ثم بعد ذلك تم استبعاد الدولة من حلف وارسو في عام 1961. إن كان إمتلاك سلاح نووي يجعل من الدولة التي تمتلكه قوى عظمى فالأمر في متناول اليد لذا فقد قامت الصين بتنفيذ أول إنفجار نووي في أكتوبر 1964 وأعلنت عن قنبلتها الهيدروجينية الأولى في يونيو 1967. فقد كان هذا الإعلان، وسياقه فيما يتعلق بالثورة الثقافية، بمثابة إشارة بأن الصين أصبح لديها الآن وضعا جديدا (على الرغم من أن إمتلاك قدرة نووية قوية بالفعل تحتاج لوقت طويل). ومع ذلك، كما هو الحال بالنسبة للدول التي تمتلك أسلحة نووية والتي كانت تعاني في فيتنام وغيرها من البلاد فإن حيازة هذه الأسلحة عاد بقليل من النفع المباشر مهما كانت قيمة التهديد العام الذي تواجهه. لذا فقد اشتبكت قوات الصين مع القوات السوفيتية عند نهر أوسوري في عام 1969. قامت كلا الدولتان بزيادة الفرق العسكرية المتمركزة بالقرب من حدودها. أحرزت محادثات لاحقة في بكين التي كانت تهدف إلى تخفيف حدة التوتر تقدما ملحوظا. وفي بعض الأماكن الأخرى، قامت الصين برفع طريقها على الساحة العالمية. في شهر أبريل لعام 1971، استعادة المملكة المتحدة محادثاتها الهاتفية مع

الصين (التي كانت قد انقطعت في عام 1949) ثم أقامت أكثر الدول الغربية (مثل كندا وإيطاليا) علاقات دبلوماسية في عام 1970. وفي شهر نوفمبر من نفس العام، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة للاعتراف بدولة الصين، على الرغم من أن نتيجة التصويت كانت أقل من الثلثين وهي الأغلبية المطلوبة، لكن تم بالفعل ذلك في شهر أكتوبر لعام 1971 إلا أن الجهود الأمريكية اليابانية فشلت في السماح لتايوان في الاحتفاظ بعضويتها. وعلى الرغم من مكانة الصين التي تم تعزيزها إلا أن كون الصين على خلاف مع كلا من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية أمرا غير مريح بالنسبة لها على أقل تقدير. في هذه الآونة، كانت بكين ممزقة بين الفاخر بالعزلة المحفوفة بالمخاطر والسعي للحد منها لذا فقد كان شكل العلاقات السوفيتية الأمريكية يحدد إلى حد كبير خياراتها.

زادت المسألة تعقيدا عندما دخلت نيودلهي وإسلام أباد في الصورة. على مدار العشر سنوات، كانت دائما للعلاقات الهندية- الباكستانية بعدا روسيا صينيا. لو كانت الحكومات في إسلام أباد ودلهي تتمتع بالحكمة فإنها لا تتخذ أي خطوات هامة في تعاملاتها الثنائية بدون الحصول على دعم من الصين والإتحاد السوفيتي على التوالي. اشتبكت القوات الهندية والصينية لفترة وجيزة على حدود سيكيم في سبتمبر لعام 1967.

في الوقت الذي بات استياء الصين فيه واضحا (في عام 1974)، حاولت الهند إحباط مزيد من النزاعات حول هذه المسألة من خلال إعلان سيكيم كدولة زميلة للجمهورية الهندية، مع تمثيلها في كلا من مجلسي البرلمان الهندي. في شهر يونيو 1968، قامت الهند بإتهام باكستان والصين بمساعدة المتمردين الذين كانوا نشطاء في ناجالاند (الهندية). كانت معاهدة الصداقة والتعاون بينها وبين الإتحاد السوفيتي ملائمة للتوجه المحلي لسياستها. ومن جانبها، تحدثت الإدارات الباكستانية عن أهمية علاقتها مع الصين. ومع ذلك ففي ظل الظروف الصعبة للأزمة الباكستانية الشرقية، أصبح من الواضح بأنه يتم تقديم قليل من المساعدة المباشرة لباكستان حيث وصلت بعض الإمدادات لكن بعد انتهاء بعض الأعمال العدائية. لم يكن لدى الصين النية في إشراك نفسها في حرب واسعة النطاق مع الهند.

لم تكن آسيا مجرد قضية آسيوية. فقد كان من اللازم أن يكون دور الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع الإتحاد السوفيتي والصين والهند وباكستان دورا حاسما. كانت العلاقات الهندية والأمريكية تتسم بالجمود والبرود على نطاق واسع وحتى تعاطف الخبير الاقتصادي كيه جيه غالبريث" سفير الولايات المتحدة" لم ينجح في أن يولد بينهم المزيد من الدفء. لم يكن هناك انجذاب بين نيكسون وغاندي بطبيعة الحال كما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف جنبا إلى جنب مع باكستان. في 4 من شهر ديسمبر 1971، قامت بتقديم قرار مجلس الأمن الذي دعا إلى وقف إطلاق نار فوري في باكستان الشرقية إلا أن الإتحاد السوفيتي قد اعترض على ذلك وبعد أربعة أيام قامت الجمعية العامة بإصدار قرار مماثل يهدف بطبيعة الحال إلى وقف زحف الجيش الهندي. قام نيكسون بإرسال حاملة طائرات إلى خليج البنغال والتي ربما كانت تشير إلى دلهي وأن الولايات المتحدة الأمريكية قد تتدخل في ذلك بالإضافة إلى أنه أيضا أقنع موسكو أن تحذر دلهي من استغلال الأزمة في محاولة تسوية قضية كشمير وقد ألمح أنه قد يلغي اجتماع القمة مع بريجنيف في الإتحاد السوفيتي الذى كان من المزمع عقده في شهر مايو لعام 1972 إلا أن بريجنيف كان لديه رغبة في عقد هذا الاجتماع لذلك قام نيكسون بذلك بالفعل لكنه كان لديه حيل أخرى. في منتصف شهر يوليو 1971، أعلن أنه سوف يقوم بزيارة الصين (التي حدثت في فبراير 1972) لذا فقد جاءت دعوة الإتحاد السوفيتي رد فعل على هذا الإعلان. ولذلك في غضون بضعة أشهر، أصبح نيكسون أول رئيس أمريكي يزور الإتحاد السوفيتي وهو في منصبه وأول رئيس يزور الصين على الإطلاق لذا فقد كان ذلك بمثابة نقطة تحول واضحة في الشؤون العالمية.

كانت الزيارة إلى الصين، التي استمرت لمدة عشرة أيام، حدثا ملفتا للأنظار. كما أكدت سجلات مكافحة الشيوعية ربما يكون الرئيس نيكسون هو الرئيس الوحيد الذي فعل ذلك. لقد كان كيسنجر من خلال القنوات الخلفية المفضل لديه، هو من قام بترتيب المناسبة بأكملها بينما كانت باكستان وسيطا متعاونا وقد كان هناك الكثير من سبل التعاون العامة. وفي الوقت نفسه، كان المسئولين يعملون بعيدا عن محتوى البيان الذي تم إصداره

في شنغهاي والذي كان ينص على أنه يجب على كلا البلدين عدم السعي وراء الهيمنة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. كلا البلدين قد يعارض أي دولة أو مجموعة من الدول من أجل السعي للقيام بذلك إلا أن بكين أكدت أن هذه الحكومة هي الحكومة الشرعية الوحيدة للصين حيث أنها تعهدت بتحرير تايوان كأحد القضايا الداخلية. ومن جانبها أعلنت واشنطن أنه يجب على الصينيين أنفسهم تحسين مستقبل الجزيرة بأيديهم ويجب أن تنسحب القوات الأمريكية في نهاية المطاف ويجب أن يبدأ الانسحاب بمجرد أن يتم تخفيف التوتر. على الرغم من أنه لا زال هناك صعوبات يجب التغلب عليها، فقد دخلت الصين والولايات المتحدة الأمريكية في عهد جديد.

و مع ذلك، فقد كانت هذه الثورة في جوهرها ثورة دبلوماسية في المقام الأول. لم تكن مصافحات الرجال أمام الكاميرات تحمل تأييدا داخليا كاملا من القلب.

ففي شهر سبتمبر لعام 1971، فر لين بياو، خليفة ماو المختار، هاربا إلى الإتحاد السوفيتي عندما فشلت المؤامرة التي كانت ضد ماو لكنه لقي مصرعه عندما تحطمت طائرته في منغوليا. ربما كان يفضل خيار الإتحاد السوفيتي للصين بدلا من الخيار الصيني. وبشكل عام، لم يتحول حجم الإدراك المتبادل، الذي كان متأصلا في مختلف المستويات، بين عشية وضحاها. لم يؤيد الاقتراع الأمريكي في يوليو 1971 زيارة نيكسون ولم تجر أي مناقشات عامة مفتوحة في الصين. لم يكن نيكسون وتشو أن لاي وماو تسي يونغ في وضع يساعدهم على تقوية العلاقات الشخصية. في هذا الصدد، كانت هذه الزيارة مجرد خاتمة غير متوقعة لمهن طويلة الأجل. يبقى أن نرى إن كان من الممكن إعادة بناء التفاهم بين الصين وأمريكا على نطاق أوسع.

## اليابان: إعادة الانخراط أم إعادة التشكيل؟

لم تكن هذه "الزيارة" سوى صدمة في طوكيو. ظل الحزب الحاكم في اليابان لفترة طويلة حليفا مخلصا لسياسة الولايات المتحدة المناهضة للشيوعية في آسيا. فقد حافظ العديد من الساسة البارزين في اليابان على تواصلهم مع الرموز القومية الصينية قبل وبعد انتقالهم إلى تايوان (التي كانت مستعمرة يابانية سابقة) إلا أنها بذلت جهودا قليلة، انطلاقا

من احترامها للولايات المتحدة الأمريكية، من أجل السعي في تحسين العلاقات مع بكين. الآن مضى نيكسون في طريقه قدما، دون الإفصاح المسبق عن نواياه وبالإضافة إلى ذلك كان هذا السياق واحدا من أسباب تزايد الخلافات التجارية مع الولايات المتحدة. كانت عودة أوكيناوا، التي عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ الاحتلال، موضوع واسع النطاق حيث أستمر التحريض لعدة سنوات. في نوفمبر لعام 1969، وافقت الولايات المتحدة على تسليمه في 1972 على الرغم من أنه لازال ينص على استخدام الولايات المتحدة. واصلت اليابان بعناية إدارة إعادة الانخراط مع العالم. تم إقامة معرض دولي (اكسبو 70 في أوساكا) من قِبل الإمبراطور خارج اليابان في نصف القرن بينما كان هناك زيارة إمبراطورية (زيارة هيروهيتو إلى أوروبا في عام 1971).

ثم تم تعيين تاناكا كاكوي (الذي ولد في عام 1918) كرئيس وزراء معين في يوليو 1972 من خلال القنوات المعتادة الذى كان يعمل حزبه بها لدرجة أنه قد حان الوقت للدخول في لحظة جديدة وبشكل مناسب لقد كان هو نفسه رجل جديد حيث كان رجل أعمال غني وغير فاسد بالنسبة للتعليم الجامعي العرفي أو الروتين البيروقراطي، على الرغم من أنه ربما كان المال سببا في إفساده. وفي الشهر السابق ظهر كتاب يحمل اسمه وكان هذا الكتاب من أكثر الكتب مبيعا "بناء اليابان الجديد: خطة لإعادة تخطيط الأرخبيل الياباني "وقد كان هذا الكتاب لافت النظر بسبب مبيعاته المذهلة لذا فقد كان الكتاب الذي يجب أن تقرأه. فقد كان لديه بالتأكيد أجندة محلية كبيرة إلا أن الصين كانت نصب عينيه. بعد أن تولى منصبه، قام تاناكا بزيارة إلى بكين في سبتمبر 1972 مع وزير الخارجية حيث كان تشو أن لاى في استقباله في المطار. قام الرجلان بإصدار بيان غير صريح وواضح بشكل مفصل إلا أنه كان ينص على مبادئ تحسين العلاقات في المستقبل. لم يكن لدى الرئيس ماو ما يقال فقد كان الجميع على بينة بمدى العلاقة التاريخية التي كانت بين البلدين. كان تاناكا كما لو كان قد فوض نفسه بالنيابة عن الأمة بأسرها قبل أن يسافر إلى بكين حيث قام بزيارة جميع رؤساء الوزراء الذين لا زالوا على قيد الحياة وقبور أسلافهم المتوفين في فترة ما بعد الحرب.

لم تكن زيارة تاناكا إلى الصين سوى مجرد السير على خطى نيكسون. يجب أن نذكر في هذا المقام أزمة النفط العالمية في ذلك الوقت بل لم يكن في ذلك الوقت هناك دولة تحتاج إمدادات الطاقة من الخارج أكثر من اليابان.

يجدر الإشارة أيضا إلى البيان العاجل الذي أصدرته اليابان لدعم الفلسطينيين في تقرير المصير ففي هذه المناسبة فكرت اليابان في مصلحتها أولا قبل كل شيء ولم تسير خلف الولايات المتحدة الأمريكية. قام تاناكا بالسفر إلى إندونيسيا وأستراليا وأماكن أخرى سعيا وراء الحصول على الطاقة، حيث أنه يدرك كل الوقت أن المفاوضات التجارية تحدث ضد الخلفية التاريخية وإشتباه الهيمنة الاقتصادية اليابانية. لم تنقطع تماما علاقة اليابان بالولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب لكنها تطورت بسبب حدوث قضايا متلاحقة واحدة تلو الأخرى. قد تقوم الولايات المتحدة والصين في الوقت المناسب بتطور فهم قضية " آسيا والمحيط الهادي" لكن كاستجابة لذلك كانت العلاقة الخاصة اليابانية والسوفيتية إما ممكنة أو مرغوب فيها. ثم قام تاناكا بعد ذلك بزيارة بريجنيف في موسكو لكنه فشل في استرداد مجموعة من جزر شمال الجزيرة اليابانية هوكايدو. وعلى الرغم من ذلك بحلول نهاية عام 1974، استقال تاناكا في أعقاب الانتقادات التي وجهت له بسبب التعاملات المادية إلا أن إعادة الهيكلة اليابانية لم تكتمل بعد لا محليا ولا دوليا. كانت علاقة الصين واليابان مع بعضهم البعض تتصل اتصالا وثيقا بحالة العلاقات السوفيتية- الأمريكية في أي وقت من الأوقات. لم تكن شرق آسيا في معزل عن العالم بل كانت أهميتها تزداد يوما بعد يوم.

## جنوب شرق آسيا: كانت مترابطة- إلى حد ما

في جاكرتا في شهر أغسطس لعام 1967، شكلت إندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند اتحاد دول جنوب شرق آسيا الذي كان مقره الرئيسي في المدينة. لم يكن هذا الاتحاد إتحادا سياسيا فقد كان الغرض منه تحفيز التنمية الاقتصادية من خلال تعزيز التعاون عبر العديد من المجالات لذا فقد كان غنيا فيما يتعلق بالطموح العام وقد ساهم في بث روح وشعور الهوية الإقليمية خلال الاجتماع السنوي لوزراء الخارجية. كان

هذا الإتحاد يطمح في تعزيز الاستقرار السياسي حيث أنه ساعد جميع الدول الأعضاء في أن يكون لديهم حكومات ضد الشيوعية. كان هناك أمين عام يقوم بأعمال الإتحاد (كان يحمل الجنسية الإندونيسية وظل في منصبه حتى عام 1975). فعلى الرغم من أن هذا الإتحاد قد حقق أهدافه المحدودة إلا أن بقاءه ونجاحه في الواقع لم يكن مضمونا بأي حال من الأحوال. كانت السيادة على شمال بورنيو سببا في الاحتكاك بين ماليزيا والفلبين. فلم يكن هناك انسجام وتوافق بصفه خاصة بين النظام الملكي البوذي في تايلاند (و دعامات جيشه) والفلبين. كانت الهيمنة الصينية على سنغافورة محاطة بدول مجاورة من الشمال والجنوب لذا فقد كانت عرضه لحدوث نوبات شعبية من حين لآخر من العنف ضد الأقليات الصينية الموجودة بهذه البلدان إلا أن هذه الأمور مع ذلك لم تؤد إلى حدوث حرب بين هذه الدول.

فأي إتحاد من هذا القبيل وكذلك بروز دور إندونيسيا بداخلها قد يفاجأ كل من يلاحظه في النصف الأول من عام 1965 حيث أنها كانت مؤشرا على كيفية حدوث ذلك في وقت قصير. أصبحت إندونيسيا دولة هامة بشكل واضح حيث أنها ثالث أكبر دولة في آسيا. كما تم عزل سوكارنو، اليد التي قادت الديمقراطية الموجهة، في شهر مارس 1966. قبل ستة أشهر وعلى الرغم من وجود سلسلة من الأحداث الدموية التي كانت محيرة، فقد بدا الجنرال سوهارتو مسئولا وقد تم إعطائه بديل إنساني للشرعية. قد أثيرت حملة عنيفة في البلاد تستهدف الشيوعيين بعد استيلاء الجيش على السلطة بسبب نواياهم حول الانقلاب العسكري. فقد نصف مليون شخص على الأرجح حياتهم بسبب إراقة الدماء في المناطق التي شهدت ذلك وبل ضد بعض الأقليات الصينية أيضا ومن ثم فقد تم بالتأكيد تولي نظام عسكري آخر الذي كان بمثابة قدوم نظام جديد. خارجيا، انتهت المواجهة في ماليزيا وعادت إلى الأمم المتحدة.

وفي ذلك الوقت تراجع مفهوم "عالم الملايو" بعيد عن الانسجام الإسلامي النسبي أما داخليا انتهز النظام الجديد جميع الفرص في جاكرتا مدعيا أنه أنقذ البلاد من الشيوعية. بالإضافة إلى ذلك تم صياغة اللغة التي كان لها أهداف خاصة وهي اللغة الجاوية

الإندونيسية التي كانت أرقى بكثير من اللغة الشائعة في الشارع وكذلك قامت الحكومة برعاية مهرجانات الديمقراطية، على الرغم من أن مفهوم الديمقراطية الذي احتفلت به الحكومة كان بعيدا عن المفاهيم الغربية حول الديمقراطية. وعلى الرغم من أن هذه الحكومة كانت ضد الشيوعية إلا أنها لبت احتياجات الغرب. لم يكن ما حدث من خلال إجراء انتخابات إلا أن نتائجه تتفق تماما مع المتطلبات المنصوص عليها بوضوح. وبالنظر إلى ذلك فقد افترضت العواصم الغربية أن إندونيسيا أصبحت شيوعية، لكنها كانت بمثابة لفت الأنظار لطبيعة النظام. يمكن القول مرة أخرى بأنه لا يمكن إبقاء مجموعة من الجزر معا إلا من خلال حكم عسكري مزين بزخارف من الديمقراطية. كان هناك وجهة نظر في عام 1975 تبرر عمل الجيش الاندونيسي عندما قام بغزو وضم النصف الشرقي من جزر المحيط الهادئ تيمور عندما أعلن استقلاله عن البرتغال.

وبالتالي، أسست جنوب شرق آسيا، على الرغم من وجود نزاعات عند الحدود، في عام 1975 نوعا من الهوية الإقليمية في ظل وجود الهند والصين لكن بدون أن تكون مدينة لأحد بأي شيء. كان النضال في الهند والصين وطبيعة الأمور التي وصلت إليها في الوقت الراهن تحول دون إمكانية تمدد أكثر داخل جنوب شرق آسيا لكن في يوم من الأيام قد تصبح دولها أعضاء وتوسعت المنطقة لتمتد من بورما حتى أستراليا. لم تحتج الحكومة الأسترالية تحت حكم غوف وايتلام ضد استيلاء اندونيسيا على شرق تيمور واعترف خليفتها رسميا بسيادة إندونيسيا. وبكل تأكيد كانت أستراليا مختلفة، لكن في عالم متغير، فإن جغرافيا العالم لا تسمح لها أن تكون مختلفة.

## كل مكان في غير محله؟

مع ذلك، في جميع أنحاء العالم، وجدت الدول نفسها، بدرجة واحدة أو بأخرى، مع التنوع في شعوبها أنها لا مثيل لها في التاريخ ثم بدأت الهجرة في طمس هوية القارات. فمن غير المرجح أن يكون المهاجرين الجدد، مع تصوراتهم المختلفة عن العالم، لهم تأثيرا مباشرا على السياسات في البلدان التي استقبلتهم ولكن في الوقت ذاته قد يكون للتعايش داخل الدول التي بها شعوبا لها أصول عالمية ووجهات نظر مختلفة قد يكون له عواقب

شديدة حيث أنها قد تعقد تحديد الأهداف الوطنية مما يؤدي إلى صعوبة القدرة على تنفيذ هذه الأهداف. وبالنظر إلى آسيا التي اعتبرت هذه الدول دولا متجانسة بشكل موحد أو افترضت أنه لم يكن هناك جوانب "وجود آسيا خارج نطاق آسيا" فكان من اللازم أن يتم تجاهل ذلك. تم تأسيس " ما وراء البحار الصينية" في جميع أنحاء العالم، مما أدي إلى وجود علاقات معقدة بين الدول بعضها البعض، أي بين زملاء المواطنين ومع كلا الكيانين اللذان أطلقا على أنفسهم اسم الصين كما تم الإشارة إلى ذلك.

فقد ساعد كلا من الإرث التاريخي وأنماط الهجرة الحالية في نقل شبه القارة الهندية إلى قارات أخرى. فقد ساعد استقلال شرق أفريقيا في جلب روح التنافس فيما يتعلق بمستقبل الهنود، مع الأخذ في الاعتبار، تداعيات ذلك عبر القارات. فقد أوضحت الحكومة الكينية في عام 1967 والحكومة الأوغندية في عام 1972 أن الهنود، التي كانت ناجحة في التجارة في كلا البلدين، يجب أن يغادروا. فقد بات واضحا أن "الأفارقة" لم تترك مكانا للآسيويين في شرق أفريقيا.

أصبحت مسألة إعادة توطينهم قضية مباشرة تخص لندن أكثر من نيو دلهي- كان هناك مناقشات تدور حول ما يعنيه مصطلح الرعايا البريطانيين. حتى مع ذلك فقد وجدت الهند نفسها مشاركة في " الهند في الخارج" وبالتالي أصبح ذلك في حد ذاته نوع من فرض الولاية الاستعمارية على الرغم من كرهها لذلك. كانت ردة فعل الحكومة الهندية على الأحداث في أوغندا من خلال قطع العلاقات الدبلوماسية مع كمبالا لذا فقد كان هناك قضية معقدة ثلاثية. فلم يكن الأمر يتعلق فقط بشرق أفريقيا لكن نشأت قضية متعددة الثقافات وكان ذلك نتيجة الشتات الهندي تحت رعاية الإمبراطورية البريطانية التي تلاشت أو اختفت. حصلت جمهورية غيانا (يطلق عليها جويانا باللغة البريطانية) في أمريكا اللاتينية في عام 1966 بعد مرور أربع سنوات من مكافحة شيدي جاغان وفوربس بورنهام من أجل السلطة في مرحلة ما بعد الاستعمار ودعم سكان جويانا من أصول هندية ومن الأصول الأفريقية على التوالي. شكل الهنود الحمر أقلية صغيرة في البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية أمريكا اللاتينية التي كانت بلدتهم يوما ما. ومع ذلك، فقد أيد بورنهام

الجهة المنتصرة. لم يكن عدد سكان الهنود في شرق أسيا مهيمنا، لكنه كان متركزا في ناتال فقد كان إلى حد ما موجود بين الحكومة البيضاء ورأي الأفارقة موقف وسط وصريح. بينما حصلت فيجي على استقلالها في عام 1970، كان عدد سكان فيجي حائز على الأغلبية وكانت علاقتهم بالأقلية الهندية متقلبة. أما موريشيوس فقد حصلت على استقلالها في 1968، كانت أغلبية السكان من الهنود ومن سكان موريشيوس وظل ذلك لسنوات عدة وقد كانوا داعمين للسيد رامغولام (الذي ولد عام 1900) كرئيس للوزراء. على الرغم من ذلك، كانت الجزيرة متنوعة عرقيا ولغويا ودينيا. وفي مثل هذه الحالات وغيرها، أصبح سكان شبه القارة الهندية والهندوسية والمسلمين، من خلال الأحداث التاريخية، ذو أهمية تصل حتى إلى خارج المواقع التي يعيشون بها.

في بريطانيا، كان عدد المهاجرين من شبه القارة في عام 1960 يفوق عدد سكان جزر الهند الغربية لذا بحلول عام 1971 وصل عدد السكان في شبه القارة إلى ما يقرب من نصف مليون نسمة. كان معظم هذا العدد من السكان إلى حد كبير من البنجاب وغجرتيس البنغاليين إلا أنه لا يمثل جميع سكان شبه القارة ككل. ومن بين هؤلاء السكان كان يوجد بعض السيخ من البنجاب وبعض الهندوس إلا أن الغالبية العظمى كانت من المسلمين. بعد عام 1947، كان من المتوقع مع مرور الوقت أن يحدث ضعف تدريجي في العلاقات بين شبه القارة الهندية وبريطانيا- وبالتأكيد لن يكون هناك سبيل لتجديدها بهذه الطريقة. في أواخر عام 1960، أصبحت الهجرة وآثارها في قمة القضايا السياسية البريطانية. بدأت الحكومات البريطانية تتحدث رسميا، كما لم يحدث من قبل، عن العلاقات العرقية في بريطانيا حيث تم وضع قانون جديدة لهجرة الكومنولث وقد تحدث وزير الداخلية روي جينكنز عن التكامل، بطريقة لم يستوعبها الكثير، واصفا إياه بأنه عملية تسطيح أي أنه "تكافؤ الفرص مع تنوع ثقافي" وقد أوضح أن هذا المفهوم يجب أن ينشأ في جو من التسامح المتبادل،على الرغم من أن ذلك لم يكن واضح دائما. فعلى الأرجح قد بدأ مفهوم تعدد الثقافات يظهر في عام 1971 وبدأ يستخدم في المناقشات البرلمانية البريطانية. في هذا الوقت كان يتم زراعة شبة القارة الهندية كما كانت. لم تعد

إنجلترا التي قام بزيارتها انديرا غاندي كرئيس وزراء كما كانت في نواحي هامة كما كانت تعرف بإسم التلميذة أو الجامعية. وبطبيعة الحال كانت إعادة التوطين والترحيل هذه جزء من صورة أكبر لذا فقد تغيرت البلاد التي كانت تستقبل هؤلاء الأفراد النازحين. فعلى سبيل المثال، فقد تركت أستراليا في هذا العقد وحتى ذلك الحين سياسة أستراليا البيضاء وفتحت أبوابها للمهاجرين الآسيويين وغيرهم وليس للبورصة البريطانية.

ونستخلص من ذلك، أن الأهمية الكبيرة لحركة السكان كانت من أجل المستقبل. فقد كان ما يتصدر عناوين الصحف هو إيجاد حل للأزمتين اللتان واجهتهما القوتين العظمتين خارج حدودهم: فيتنام وتشيكوسلوفاكيا.

# 14

# تحدي القوى العظمى

## العالم من البيت الأبيض: مهمة الولايات المتحدة

بدا أنه لا تزال المواجهة الملحمية بين العالم الحر والعالم الشيوعي"عام 1965 هو القصة المهيمنة على العالم، فلا يمكن التقليل من شأن مدى صعوبة عملية وضع سياسة عالمية حتى وإن كانت تتعلق بأمور الإدارة البسيطة حيث كانت النظرة السطحية العالمية هي السبب في إهمال مميزات الظروف المحلية أو التي أدت إلى سوء تفسيرها. فقد كانت فيتنام بعيدة – من الساحل الشرقي بالنسبة للولايات المتحدة– عن كل ذلك على المستويين الجغرافي والثقافي واعتقد الأمريكيون أنه يصعب على أي دولة أن تختار طوعاً أن تكون دولة شيوعية، ورغم ذلك فإن نظم الحكم في الدولة المهددة بسبب المذهب الشيوعي لا ضرورة لها في مشاركة القيم الأمريكية. وعليه كان من الممكن أن تؤدي عملية حماية الحربة من المذهب الشيوعي بالولايات المتحدة الأمريكية إلى منحدرات مختلفة كلياً عن تلك القيم وأظهرت الولايات المتحدة ثقة كبيرة في نفسها ولكن ربما كانت هذه الثقة محدودة؛ أما عن الاتحاد السوفيتي فكان لديه من الثقة ما جعله يتقين من حقيقة أن التاريخ يتحرك في اتجاه يمكن تمييزه لذلك كان من الضروري قمع المذهب التحريفي على المستوى الداخلي حيث جعل أي عناصر في النظام الحالي محلاً للتساؤل. وبحلول عام 1975 كانت

النتيجة واضحة وبسيطة ألا وهي: خسارة الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا وانتصار الاتحاد السوفيتي في شرق أوروبا وقد حدث ذلك على الرغم من سهولة التعامل مع العولمة الأمريكية وقبولها محلياً – وذلك قبل عقدٍ- عملاً على احتواء المذهب الشيوعي. وفي مارس عام 1965، وصلت القوات البحرية الأمريكية إلى مدينة "دا نانغ" الواقعة على الساحل الجنوبي من فيتنام وبعد وصولها بعدة شهور قليلة انتشرت القوات على وتيرة منظمة في معسكراتها وذلك على الرغم من تصريح الرئيس الأمريكي حينذاك في حملة إعادة انتخابه أنه لن ينوي إرسال الشباب الأمريكيين مسافة 15000 ميل بعيداً عن وطنهم ليقوموا بما يتوجب على الشباب الآسيوي القيام به بأنفسهم إلا أنه تزايدت أعداد الجنود بعد ذلك بثبات، وفي مطلع عام 1969 وصل عدد القوات الأمريكية في فيتنام لما يزيد على مليون جندي غير أن جميع الأمور اختلفت في إبريل من عام 1975 حيث أقلعت آخر طائرة مروحية أمريكية من أعلى سطح مبنى السفارة الأمريكية في مدينة سايغون الفيتنامية. فلقد غيّرت شبه الجزيرة الهندية الصينية العالم كله من ناحية إجبارها للولايات المتحدة على معرفة مفاهيمها العالمية المغلوطة وحدود قوتها وكيفية تعاملها مع ذلك، ورجع ذلك إلى من يتولون زمام الأمور.

فلقد أتى الرؤساء الأمريكيون إلى جانب مستشاريهم حتماً بمشكلاتهم ومعتقداتهم وأفكارهم الثابتة من الماضي للتعامل مع الوضع الحالي، وذلك متمثلاً في: من أين أتوا؟ وكيف خاضوا تجاربهم في العالم؟ لذا فذلك الأمر يهم، وجاء جونسون (مواليد عام 1908) ونيكسون (مواليد 1913) وأيضاً فورد (مواليد 1913) من نفس الجيل وانبثقت رؤية مرشح الرئاسة في الولايات المتحدة عن دور أمريكا في العالم على الأقل فيما يتعلق بالأمور العامة خلال الحملات الانتخابية التي لم يُجدد فيها على الأرجح نتيجة هذا الدور، وبمجرد انتخاب الرئيس يُصبح مستقلاً طوال فترة رئاسته على الرغم من مراعاته دائماً للرأي العام وبالنسبة للموارد فكان عليه مراعاة الكونغرس. وعلى غير العادة، فقد بات اثنان من نائبي الرئيس خلال عِقد أو أكثر – أحدهما في أول العِقد والآخر في آخره- تحت بؤرة الأضواء في البيت الأبيض على نحوٍ غير متوقع، فلم يكن الناخبون قد علموا بآرائهما

فيما يتعلق بالأحداث العالمية؛ علاوةً على ذلك فقد أدخل بالتأكيد حدث اغتيال الرئيس عام 1963 عنصراً غير متوقعاً في عملية رسم السياسات، حيث كان لدى كينيدي الكثير ليمثل جيلاً جديداً في الرئاسة وجاء من بعده "ليندون بينيس جونسون" والذي كان تقريباً لعِقدٍ من رجال الصفوة لدى كينيدي؛ فضلاً عن ذلك لم يكن ليندون بينيس جونسون الرجل العالمي - كما حاول أن يكون كينيدي- بل وإنه أيضاً كان كثير السفر خلال فترة شبابه.

أتى جونسون من أسرة مزارعة متواضعة ولكنها نشطة على الصعيد السياسي في تكساس، وبينما تخرّج كينيدي من جامعة هارفارد نجد أن جونسون تخرّج من كلية المعلمين الحكومية بجنوب غرب ولاية تكساس وبعد قضائه لفترة يعمل بتدريس فن إلقاء الخطابة دخل إلى عالم السياسة وبشكل مبدئي بصفته عضواً بمجلس الكونغرس في واشنطن، وخدم في القوات الأمريكية خلال الحرب العالمية في جنوب غرب المحيط الهادي وذلك في يونيو 1942 وزار سريعاً المنطقة الجبلية الأسترالية واعتقد أنها تُشبه كثيراً تلك الموجودة في ولاية تكساس كما كان لتأصله في تكساس أثراً في عثوره على التعبير الرمزي (على الرغم من كونه تصادفياً) عند قبوله منصباً على أراضي تكساس، ولم يُظهر جونسون اهتماماً كبيراً بزملائه ذوي الأصول الأوروبية، وبعيداً عن زيارته القصيرة لأوروبا عام 1945 لم يأتي إلى تلك القارة حتى أصبح نائباً للرئيس، فبتوليه هذا المنصب أخذ يجول في العالم بمعدل كل ثلاثة أشهرٍ حيث أن جميع مناصبه السابقة حتى هذا الوقت كانت داخل الولايات المتحدة كما أنه لم يأخذ العلاقات الدولية بتلقائية وبصورة طبيعية فبالنسبة له لم يكن هذا الأمر كالذي يُفكّر فيه ببداهة أثناء قيامه بالحلاقة كما كان يفعل وزير الخارجية آنذاك هنري كسينجر مثلاً. ولقد وضع جونسون أولويات بسيطة فيما يتعلق بالشؤون الخارجية فلم يكن ينوي أن يكون الرئيس الذي يشهد ضياع جنوب شرق آسيا بالطريقة التي ضاعت بها الصين، ففي مارس 1966 تفاءل جونسون آملاً أن يتذكر الفيتناميون الأمريكيون بالمدارس وليس بالسجائر، حيث صرّح قائلاً "سنعمل على تحويل نهر الميكونغ إلى وادي تينيسي"، مُشيراً إلى المشروع الأمريكي الشهير باسم "الصفقة

الجديدة" في فترة ثلاثينيات القرن العشرين. وبذلك تحول الأثر الأمريكي في فيتنام فعلياً ليُصبح مختلفاً بعض الشيء. وجد الرئيس الفرنسي ديغول في جونسون رجلاً مترفعاً عن ذاته فهو عبارة عن تجربة غير عادية؛ وعند حضوره جنازة كينيدي، أدرك الفرنسي كما يُعتقد وبصورة شخصية أن كينيدي كان قناع أمريكا أما الرجل الجديد فهو كان الوجه الحقيقي لها، ما زالت أمريكا تسمو على العالم؛ ومن جانبه، فقد وجد جونسون أن الأجانب يتحدثون لغات غريبة فلا يمكنهم المرح خلال المكالمات الهاتفية كما يمكن لبني بلدته.

في عام 1968، لم يسع جونسون لإعادة انتخابه وطارد كابوس فيتنام خليفته في الحزب الجمهوري، نيكسون، بدءاً من عام 1968 ومرة أخرى من عام 1972 وذلك رغم تحوّله ولكن ليس لمدة كاملة. ولقد أطلق والد نيكسون على جميع أبنائه أسماءً لملوك إنجليز وربما السبب في ذلك هو حبه الشديد لإنجلترا. بعد أن تخرج نيكسون من كلية الحقوق بكاليفورنيا انضم لجمعية الأصدقاء الدينية (الكويكر) حيث لعب دور البوكر، خدم نيكسون في البحرية الأمريكية خلال الحرب كما أنه توّغل في منطقة المحيط الهادي على الرغم من كونه غير مقاتل، ونمت حياته السياسية خلال سعيه الصارم وراء العدو الشيوعي في الداخل والخارج؛ وبصفته نائباً للرئيس أيزنهاور فقد شاركه تماماً في جميع آرائه الإدارية المتعلقة بالعالم كما تطلب الأمر منه السفر، وبالرجوع إلى عام 1959 في موسكو، فقد وقع على عاتقه المشاركة في المزاح النقدي الشائك مع السوفيتي خروتشوف، وقد واجه خلال العام السابق لذلك قدراً كبيراً من الزيارات العدائية من قبل بعض دول أمريكا اللاتينية، فضلاً عن قيامه بزيارة ليبيا وأكسفورد، حينما تغلّب عليه كينيدي عام 1960، فقد بدا وأن حياته المهنية قد انتهت بيد أنه في عام 1968 عاد النهوض من جديد، وعلى ما يبدو فقد تغيرت نظرته تجاه العالم في هذه الفترة الفاصلة، وجاء بصفته أول رئيس جمهوري بصورة صحيحة لما يزيد على ثلاثة عقود، أحد المثقفين الليبراليين المريبين الذين اعتقوا أنهم فهموا العالم.

في يناير عام 1969، عيّن نيكسون هنري كسينجر- الخبير الأكاديمي في السياسة الخارجية بجامعة هارفارد والبالغ من العمر 45 عاماً- بصفته مساعداً خاصاً له في شؤون الأمن الوطني. وفي سبتمبر 1973، أصبح كسينجر أول وزيراً للخارجية الأمريكية أجنبي المنشأ حيث إنه الرجل المعني بتهدئة – أو كما أعلن- التحليل الهيكلي للعالم، وكما افترض أن التاريخ لم يعرف مكاناً للراحة ولا الركود وكذلك كسينجر؛ فقد آل تحليله للعالم إلى السعي وراء الروابط التي ستحقق استقراراً مربحاً وإلى جانب ذلك فقد اعتقد أنه على الولايات المتحدة أن تفخر بمساهمتها العالمية بعد عام 1945 بيد أنه شعر أن الرأي العام المحلي القائم عليه هذه المساهمة كان ينهار: حيث ارتفع مستوى عدم الثقة بالوطن وحتى أيضاً زادت كراهية الذات فقد اعتقد أن لديه شعوراً خاصاً بما تعنيه أمريكا، شيء ما قد مُنح للمواطنين المولودين فيها ليتميزوا به، وعلى الرغم من عدم مثالية الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنها جسدت آمال البشرية، فكانت الحاجة بشكل ما إلى صياغة سياسة أجنبية جديدة من أجل عصرٍ جديدٍ كما أدرك كسينجر ذلك، وكان من الممكن تحقيق ذلك فقط من خلال التساؤل حول افتراضات ما بعد 1945 بشأن العالم ومكانة أمريكا فيه. ومن المحتمل أن تؤسس الدبلوماسية السرية التي تتعارض مع المفاهيم الخاصة بالاتفاقيات المفتوحة والمدركة صراحةً توازناً دولياً جديداً.

في أغسطس عام 1974، استقال نيكسون تحت تهديد الاتهام بتورطه في فضيحة السرقة بينما بقي كسينجر في منصبه، وخلف نيكسون في مقعد الرئاسة نائبه جيرالد فورد، وهو رجلٌ من عائلة لها تاريخ في كرة القدم؛ وفي ظل بيئة مشحونة كان من الجيد لتُعرف بأنك شخص أمريكي عادي، فقد كان لدى جيرالد فورد معرفة قليلة بالعالم الخارجي ومثله مثل أسلافه آنفي الذكر، خدم في القوات البحرية خلال الحرب في منطقة المحيط الهادي بيد أن ذلك لم يدفعه كثيراً للفضول بشأن الشؤون الخارجية. فقد تحدث فورد حول لم شمل الدولة مرة أخرى فاستعان بهذا المبدأ في خطوته التالية للعفو عن نيكسون. وعلى الرغم من ذلك فقد تبدد الحلم الأمريكي بقسوة، فدارت خُطُبات فورد عام 1975 حول حاجة أمريكا إلى استردادها حس الفخر الوطني الذي كان لديها قبل حرب فيتنام فقد

كانت الأحداث المُفجعة هناك تُنذر إما بنهاية العالم وإما بنهاية دور أمريكا القيادي في العالم، وذلك على حد قوله.

## الولايات المتحدة الأمريكية وشبه الجزيرة الهندية الصينية: التشابك ونهاية اللعبة

بعد سقوط مدينة سايغون عام 1975 في يد الشيوعيين أُطلق على المدينة بعد ذلك اسم "هو تشي منه" وكانت على وشك محي ماضيها الاستعماري والفاسد على نحوٍ كبير؛ فقد توفى هو تشي منه نفسه عام 1969 قبل أن يرى اليوم الذي تحققت فيه أهدافه بتأسيس حزب شيوعي فيتنامي منذ عام 1930 وذلك بعد نضال دام ثلاثون عاماً. ولقد أظهرت المدينة مراراً وتكراراً تماسكاً وإرادةً لتحمل خسائر متباينة في ميدان المعركة؛ والآن فقد أصبحت فيتنام دولة واحدة تحت قيادة حزبها الشيوعي، حيث أُخرج منها الأجانب جميعهم من فرنسيين ويابانيين وأمريكيين بنجاح من خلال مساعدة أجانب آخرين لهم مثل الروسيين والصينيين. وحينما استطاعوا ذلك فقد هرب خصومهم الفيتناميين المهزومين من البلد وبذلك شكّلوا مجتمعات مغتربة صاخبة في جميع أرجاء العالم، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر دولة مستقبلة في العالم لهذه المجتمعات، ولقد تخلص القانون الأمريكي للهجرة والجنسية لعام 1965 من نظام الحصص الموجود ووضع أول قيود للهجرة الآتية من نصف الكرة الأرضية الغربي، وبدايةً من مطلع سبعينات القرن العشرين، عني هذا التغيير أن شكّل أصحاب البشرة غير البيضاء الغالبية العظمى من المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع إعطاء الأفضلية للاجئين المعارضين للشيوعية إما كانوا من الكوبيين وإما من فيتنام ولاوس وكان ذلك بعد عام 1975، ولقد اشتكى المغتربون غاضبين بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد خذلتهم.

أصبحت الحرب محلية وعالمية في أن واحد فحرفياً كانت شجاراً في ميدان المعركة ومجازياً شجاراً من خلال وسائل الإعلام العالمية، ونتيجة لذلك فقد تضاربت الآراء ووجهات النظر – كما كان الحال في جميع الأرجاء- بشأن ما كان يدور حوله الأمر برمته، هل كانت فيتنام "كوريا أخرى"؟ ومنعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الشيوعيين من

الاستيلاء على كوريا وحافظت على الجنوب متبعةً الأسلوب العسكري، فكانت هذه الحرب وحشية من عدة نواحي حيث بقيت شبه الجزيرة مقسمة وبدا ذلك ملائماً لمثيلتها بعد مرور عقدين على ذلك. فقد اتسم الأمر بالرمزية الجوهرية المحددة فيما يتعلق بمدى جاهزية حكومة سيول لإرسال جنودها إلى جنوب فيتنام، فضلاً عن المساعدات المتواضعة التي أتت من تايلاند والفليبين ونيوزلندا وأستراليا فأعلام هذه الدول كان مُرحب بها في واشنطن وكانت الولايات المتحدة هى الجهة الداعمة الرئيسية. وقد أكّدت مشاركة التحالف الآسيوي على الرؤية بأن مستقبل جنوب شرق آسيا على المحك.

وفي بداية عام 1968 خلال هجوم "التيت" الكبير اجتاح رجال "الفييت كونغ" والجنود النظاميين المتسللين من شمال فيتنام معظم العواصم الإقليمية في جنوب مدينة سايغون وبعض المباني الحكومية فيها، ولكن لاحقاً انعكست هذه المكاسب إلا أنه لم يكن هناك شيء آمن حقاً حيث أقنع التراجع العسكري – حتى وإن كان مؤقتاً- الرأي الخارجي بصورة كبيرة بأنه لا يمكن الانتصار في الحرب، فكان من الحمق بل وكان مكروهاً حتى محاولة الخوض فيها. وأعلن المتظاهرون في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أن إنتصار هانوي سيكون بمثابة انتصار الشعب بيد أنه أنكر معارضيهم هذا الأمر، ومع ذلك استغرق الأمر بعض الوقت حتى مارست جنوب فيتنام نوعاً من الديموقراطية رأى الأمريكيون أنها كما يجب أن تكون عليه الديموقراطية وذلك بقيادة الجندي نغوين فان ثيو والطيّار نغوين كاو كى على التوالي. ولقد كان الوقت هو ما يمكن للأمريكيين توفيره.

بحلول عام 1969، العام الذي توفى فيه هو تشي منه، لم يكن الانتصار المطلق قد تحقق بعد وذلك بعد الكثير من المشاحنات وعقد مؤتمر السلام رباعي الجوانب في باريس في بداية هذا العام حيث لم تؤدِ مباحثات السلام خلال وجود جونسون في الرئاسة إلى أي مكان وشارك في هذا المؤتمر الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب فيتنام وشمال فيتنام بالإضافة إلى جبهة التحرير الوطني (متمردون نشطاء في الجنوب)، ورغم ذلك فقد أحرز تقدماً ضئيلاً. لم يكن الرئيس نيكسون من أرسل الجنود الأمريكيين إلى فيتنام ولكن وقع

على عاتقه العثور على طريقة لتخليصهم من هناك إلى جانب تعزيز الجزء الجنوبي غير الشيوعي؛ وفي يوليو خلال رحلته الخارجية الرئيسية الثانية أصدر نيكسون مرسوماً جديداً في جزيرة "غوام" في طريقه إلى الفيليبين وكان فحوى المرسوم أنه لا يجب على الدول الآسيوية الاعتماد على الولايات المتحدة من خلال سحبها إلى صراعات تشبه تلك الحادثة في فيتنام، وستبقى التزامات المعاهدة الحالية ولكن يتعين على الأمم الآسيوية نفسها زيادة مسؤوليتها للدفاع عن نفسها، فالمعدات والتوسعات وتدريب الجيش الفيتنامي الجنوبي ستمكنّه من احتواء المتمردين داخل أراضيه والتصدي للغزو الرسمي القادم من الشمال. وفي المقابل تم تقليل أعداد الجنود الأمريكيين بصورة منتظمة، فقد كانت القاعدة متوقعة حيث أملت الولايات المتحدة تراجع المعارضة المحلية الصاخبة بشدة حالياً من خلال الإشارة إلى نمط الانسحاب، وفي ذات الوقت ورغم ذلك سيكون هذا الانسحاب بكرامة، وسيعتمد الجنوب بنجاح على موارده الخاصة وبدون مساعدة أحد؛ وأظهر هذا المرسوم أيضاً أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن على أرض الواقع بسبب سحبها إلى هذه الصراعات لمدة طويلة. ولقد انتظرت الحكومة الفيتنامية الشمالية لوقتٍ طويل ويمكنها الانتظار لوقتٍ أطول.

حققت سياسة "الفتنمة" بعض النجاحات إلا أن هذه الإستراتيجية كانت مقبولة على الصعيد الظاهري فقط، حيث نُفذت بسرعة بيد أنها لم تكن متناسقة على الرغم من سرعة تنفيذها، فقد أخفق التشديد العسكري في إدراك المدى الذي له يُعد كسب "العقول والقلوب" أمراً حاسماً. فضلاً عن ذلك بدا مبهراً عدد جنود الجيش الفيتنامي الجنوبي الذي بلغ مليون جندي بيد أنه انتشر بعددٍ قليل في أرجاء البلد، حيث تراجع الترابط المفترض وجوده بين القادة الفيتناميين بوضوح ويرجع السبب في ذلك إلى قلة الثقة فيما بينهم، كما وجد الأمريكيون والفيتناميون التنسيق بينهم صعباً للغاية، فاكتشف الأمريكيون روابطاً أسريةً ونُظُم المحسوبية لدى الفيتناميين صعب عليهم فهمها، ولم يكن ذلك مجرد موقف واحد أظهر فيه الغرب عدم فهمه للشرق فقد وجد الأمريكيون أنفسهم مرتبكين عند التعامل مع الفيتناميين الأوروبيين الذين استمروا في التحدث باللغة

الفرنسية. وفي ربيع عام 1972، غارت القوات الشمالية والفييت كونغ مرة أخرى على الجنوب بيد أن هذا الهجوم أيضاً لم يعط نتيجة حاسمة مرة أخرى. وكان رد الأمريكيون على ذلك هو قصف الشمال بما فيها هانوي وهايفونغ كطريقة لمساعدة مدينة سايغون بالإضافة إلى بث الألغام في موانئ ومرافئ الدولة، وتم الاعتقاد لبعض الوقت بصورة خاطئة أن هذا الأمر بات نهائياً.

وبعيداً عن مؤتمر السلام المذكور سابقاً، فقد دارت محادثات بين كسينجر ولي دوك ثو استمرت لعدة شهور بصورة غير منتظمة، وفي أكتوبر قبل الانتخابات الأمريكية تفاوض كلاهما للتوصل إلى نتيجة، وعليه تم الاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية وشمال فيتنام على وقف إطلاق النار، وعليه كان من المقرر انسحاب القوات الأمريكية بالكامل مع إعادة السجناء الأمريكيين إلى وطنهم؛ وبالفعل فقد أُحجب ما قد يحدث في الجنوب بعد ذلك وبرفع هذا الغطاء رأى الرئيس ثيو أنه لا مستقبل له إلا أنه من خلال السلطة التي مُنحت له بالتزكية فقد حصد 94 بالمائة من نسبة الأصوات المدلى بها في انتخابات عام 1971 مما جعل اعتراضاته عامة. ولم يستطع الأمريكيون ترك حليفهم بشكل واضح، فقد ردّ نيكسون – المنتخب مرة أخرى–من خلال محاولة ضغط جديدة على شمال فيتنام حيث أمر بشن عدة هجمات جوية كثيفة على هانوي–هايفونغ مشبهاً ذلك بهدية عيد الكريسماس، وكانت هذه الهجمات مدمرة للغاية إلا أن خسائر سلاح الطيران الأمريكي كانت مرتفعة فقد بدا الأمر وكأن مجلس الكونغرس الجديد سيقتطع أموالاً من أجل القصف. في يناير عام 1973، ألغى نيسكون عملية القصف واتفق على وقف إطلاق النار على أساس مختلف بعض الشيء عن هذا المتفق عليه في أكتوبر على الرغم من إنه يمكن الادعاء بأن هذا الهجوم الجوي قد أجبر هانوي على استئناف المناقشات وبذلك انتهت المشاركة الأمريكية في القتال المباشر في فيتنام.

ولكن الحرب الفيتنامية نفسها لم تنتهِ، حيث تم مخالفة وقف إطلاق النار في عدة نواحي أكثر من مراعاته؛ وعُينت لجنة المراقبة الدولية لرصد الوضع وبدا الأمر مؤثراً ولكنه كان بلا جدوى، وافترض ثيو وحكومته أن الولايات المتحدة ستستمر في تقديم

مساعدتها لدعم جيشه الضخم، حيث استردت قواته بعض الأراضي بشكل مبدئي كانت واقعة تحت سيطرة الشيوعيين في وقت وقف إطلاق النار بيد أنه بحلول عام 1974 ارتطمت تلك القوات بحالات هروب من الخدمة العسكرية وقلة المؤن على نحوٍ سيء كما انتشر الفساد والمحسوبية بينها؛ فضلاً عن ذلك رمت مدينة سايغون إلى الاعتقاد بأنه من الممكن نشر قوة الطيران الأمريكي في حال انتهاك اتفاقات السلام انتهاكاً خطيراً؛ وأخطأت هذه الأوهام في تفسير وضع الرئيس المحاصر على نحوٍ متزايد في واشنطن، فكان حال الشمال الآن في وضع الاستعداد للدفعة الأخيرة. في بداية عام 1975، وبعد عدة تقدمات أحرزها الشيوعيون قرر ثيو سحب قواته إلى خطوط يمكنه الدفاع فيها بشكل أكبر وذلك حسبما زعم، ولكن بمجرد أن بدأ الانسحاب فإنه لم ينتهِ، فقد أُسقطت مدينتا هوي ودا نانغ في أواخر شهر مارس واستسلم ما تبقى من الحكومة الفيتنامية الجنوبية بلا أي شروط بحلول نهاية شهر إبريل إلى جانب ذلك رحل ثيو إلى منفى دائم لائماً الولايات المتحدة على ما حدث.

وبدا مستقبل الشيوعيين في أي مكان على شبه الجزيرة الهندية الصينية آمناً وسالماً فقد أطاح رئيس الوزراء اللواء لون نول بالأمير سيهانوك في مارس عام 1970 حيث حاول الأخير جاهداً إبقاء كمبوديا "محايدة" لعدة عقود، ولكن أراد نول التصدي لمتمردي شمال فيتنام وقد أعلن الرئيس نيكسون على شاشة التليفزيون أن الجنود الأمريكيين والفيتناميين الجنوبيين سيقومون بهذا الأمر له. فبدأ الاجتياح تلو الآخر وكأن الأمر تتطلب ذلك، وكان بإمكان نيكسون تفسير الأمر بأنه ليس بغزو وهي وجهة النظر التي عارضها النشطاء من الطلاب في الولايات المتحدة وقد حاول مجلس الكونغرس عام 1970 أن يخصص تمويلاً لعمليات القصف ولكنه لم يحقق نجاحاً كاملاً في ذلك، وكانت مسألة الإدارة فى توسيع منطقة الصراع بمثابة خطوة نحو السلام النهائي؛ غير ذلك من الناحية العسكرية، حققت عملية القصف بعض النجاحات على الرغم من تسببها في حدوث تفكك كبير في كمبوديا نفسها بسبب فرار السكان من القصف، فقد تزايد عدد سكان العاصمة لما يقارب الثلاثة أضعاف خلال خمس سنوات، وعلاوةً على ذلك فقد توسع

حزب الخمير الحمر الشيوعي بثبات كما أنه سيطر على العاصمة بنوم بن في إبريل 1975 بدعم من الحزب الفيتنامي الشمالي، ويمكن القول بأن تدخل الولايات المتحدة قد ساعد على تحقيق ما أعربت عن أسفها بشأنه وكان هناك أيضاً "الاجتياح المقابل" من الفيتناميين الجنوبيين لدولة لاوس بدعم أمريكي إلا أن الفيتناميون من الشمال ظلوا مُحصنين بقوة هناك. وبدءاً من عام 1973، وبالتكرار الكثير لمقولة "يجب سحب جميع القوات الأجنبية" أُجريت عدة محاولات لتشكيل حكومة ائتلافية في لاوس، بيد أنها سقطت في عام 1975 وهو نفس العام الذي شُكّلت فيه، ثم تولت حركة "باتيت لاو" الشيوعية السلطة بحلول نهاية العام وحولّت الدولة من الملكية إلى جمهورية شعبية، فقد كانت بالفعل عميلاً من فيتنام التي أصبحت في عام 1975 عبارة عن بلدٍ منكوبةٍ ومليئة بالرعب ومشوهة فمن المحتمل أن وزن القنابل بالطن الذي أُلقي على شمال فيتنام قد تجاوز ثلاثة أضعاف إجمالي ما قصفت به الولايات المتحدة جميع الجبهات خلال الحرب العالمية الثانية، وإن عملية توحيد فيتنام حقيقةً تُعد مهمة يتعهد بها المنتصرون من ذوي قلة الكياسة، ومن عانى كان من الفيتناميين من حيث الوفيات والإصابات، حيث بحلول عام 1973 كان قد قُتل حوالي 200000 جندي من جنوب فيتنام ومن المحتمل أن يكون خمسة أضعاف هذا العدد من قُتل من جنود شمال فيتنام ومقاتلي الفييت كونغ، فضلاً عن ذلك فربما قد وصلت الإصابات على مستوى العسكريين المليون وعلى مستوى المدنيين وصلت إلى رقمٍ مماثلٍ كما قُتل ما يزيد على 57000 من القوات الأمريكية ويوجد تقريباً ثلاثة أضعاف هذا العدد من المصابين، وكانت الأعداد في كوريا الجنوبية وأستراليا ونيوزلندا أقل بكثير.

بدأ المؤرخون عملهم سريعاً وكانت الملاحظة التاريخية العالمية الوحيدة بسيطة بأنه قد انتهت مشاركة القرن الفرنسية اليابانية الأمريكية- الناجحة- المباشرة في "شبة الجزيرة الهندية الصينية"، فقد تطلب استقلال أهلها تمسكهم بهدفهم إلى جانب عدم اكتراثهم بثمن ذلك، وتطلب أيضاً النجاح في تحقيق ذلك الدعم من كلٍ من موسكو وبكين ومساعدتها وكان لذلك الاعتماد ثمنه، ففي عام 1973 وقعت هانوي تحت قيد مناورات دبلوماسية ثلاثية متزامنة بين واشنطن وموسكو وبكين ولم تستطع هانوي التحكم في

نتائجها وما لم يمكن التكهن به – كان ذلك خلال عام 1975- هو أين ستتطابق الدول الثلاث وخاصةً فيتنام. ولقد تناقش الرؤساء الأمريكيين التاليين بشأن إذا سقطت فيتنام فإنه ستسقط جنوب شرق آسيا بأكملها. وهو ما يُسمى بالتداعيات المتعاقبة (تأثير الدومينو) وكان ذلك هو سبب مشاركتهم والآن وعلى الرغم من الجهود الأمريكية في حال سقطت فيتنام، هل سيتبعها الآخرين؟ وإذا كان الأمر كذلك فإنه يبدو على الولايات المتحدة أنها غير مرحبة أو غير قادرة على التدخل مرة أخرى -أياً كانت الدولة؟ فلم تكن الحرب كما كانت عليه فكانت القوة العسكرية لديها قيودها الواضحة ولم تكن الأسلحة النووية مستخدمة، حيث قد وصلت الولايات المتحدة إلى حد العولمة الأمريكية والسلطة الرئاسية، لذا كان قد حان الوقت لإعادة الأولاد إلى الوطن.

## العالم من الكرملين: البعثة السوفيتية

لم يملك الاتحاد السوفيتي ما يُشبه فيتنام إلا أن مشكلاتها أثّرت عليه بشكل وثيق وواجهت سيطرة تكتله الأيدولوجية تحدياً مرة أخرى حيث أحرزت الأعداد المعارضة في موسكو للرؤساء الأمريكيين – إذا أمكن وصفهم- تقدماً للوصول إلى رفعتها الحالية والتي بدأت من أسر الفلاحين/ العمال كما أنه لم يُشارك "الاستفتاء الشعبي" في ذلك، وأسماهم العالم الخارجي "بالروسيين" بيد أن الصورة كانت أكثر تعقيداً مما تبدوا عليه؛ أما عن القيادة السوفيتية فقد فهمت وعبّرت عن العديد من المسارات المختلفة الموجودة في الدولة التي تحكمها، كما قامت بالمواجهة في عدة اتجاهات بينما تجابه العالم.

وبدءاً من عام 1964 تولى ألكسندر كوسيغين رئاسة مجلس الوزراء السوفيتي، وُلد كوسيغين وقضى بدايات حياته المهنية في لينينغراد (سانت بطرسبورغ حالياً) كما أنه ظل باقياً بعد حدوث مكائد ستالين على نحوٍ محفوف بالمخاطر نوعاً ما؛ وبعد الإطاحة بخروتشوف أصبح هدفه العام هو إصلاح "العالم الشيوعي" فانعقد مؤتمرٌ للأحزاب الشيوعية على مستوى العالم في موسكو في مايو عام 1965 إلا أنه رفضت الأحزاب الصينية حضور المؤتمر فزار كوسيغين الصين مرتين كما أُشير إلى دوره بصفته "وسيطاً" بين الهند وباكستان عام 1966 فكان يطوق بوضوح إلى أن يكون الوجه الخارجي للدولة

السوفيتية حيث احتلت أهميتها في آسيا الصدارة على الرغم من عدم تحسُّن علاقات الدولة السوفيتية مع الصين حيث هاجمت أحد الحشود الشعبية السفارة السوفيتية في بكين عام 1967؛ علاوةً على ذلك لم تقبل بكين الادعاءات السوفيتية في العالم كما اتضح في تصرف موسكو في أوروبا الشرقية عام 1968 (سيتم التطرق إلى ذلك باختصار) وفي العام التالي اصطدمت الدولتان ببعضهما عند نهر أوسوري واستئنافا هذا الصدام لرفع مستويات قوتهما، بعد ذلك أُجريت عدة مفاوضات عالية المستوى لم يصلا فيها إلى اتفاق. ولقد آل هذا المستوى من التدهور إلى جعل مباحثات المذهب الشيوعي في العالم فارغة بصورة متزايدة وأفسح ذلك المجال لإحتمالية تأسيس عوالم جديدة غير ذلك نبهّت هذه الأزمة إلى أن القيادة في موسكو واجهت ناحيتين: في أوروبا وفي آسيا (وبالطبع أيضاً نبهت إلى تلك المواجهة مع الولايات المتحدة).

لم تُشيد أهمية كوسيغين به تماماً لدى أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي منذ عام 1957 (ويبدو أنه شغل هذا المنصب بصورة دائمة). لقد كانت معرفة جروميكو المباشرة بالعالم مختلفة، ففي السابق شغل منصب سفيراً في واشنطن ونيويورك ولندن. وُلد جروميكو فيما تُعرف حالياً باسم روسيا البيضاء وحصل على تعليمه الأولي بالقرب من العاصمة مينسك ثم انتقل إلى قلب الدولة السوفيتية؛ إلى جانب ذلك، قدّم جروميكو للعالم وجهاً آخر للدولة السوفيتية حيث في أغلب الأحيان كان ينطق مجيباً "بلا"، ومثله انتقل ليونيد بريجنيف أيضاً الذي أصبح السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي عام 1966 من محيط الدائرة إلى مركزها إلا أن بريجنيف تميز بعلاقة عمل جيدة مع ألكسندر كوسيغين كما أنه تحوّل إلى "النزعة الروسية"، فبينما يُصبح أكبر عمراً وأكثر شهرةً قدّم نفسه بصفته روسي الجنسية عوضاً عن كونه أوكرانياً على الرغم من أن مولده كان في أوكرانيا؛ وإلى جانب ذلك فقد حصل على تدريباً فنياً حيث خدم خلال الحرب بصفته مفوضاً سياسياً ذي رتبة عالية في الجيش الأحمر. كما أنه حصل على الكثير من الأوسمة بسبب حماسه، وبعد ذلك جاءت مشاركات الحزب في جمهوريتي المولدوفية والكازاخية حيث صعد بسرعة بمساندة خروتشوف وهو الرجل الذي كان له دوره في عزله، وفي

نهاية الأمر كان صوت بريجنيف هو ما يهم؛ إلى جانب ذلك لم يستقبل بريجنيف بعض شخصيات النخبة الأجنبية الأساسية فسافر لهم فلقد كان يجب أن تسير به السيارات الأجنبية الممنوحة له من الشخصيات الأجنبية الممتنة له. وباقترابه من عمر السبعين، لم يكن هناك ما يثير حماسته بالتعلق بالأشياء الأجنبية الأخرى، علاوةً على ذلك كانت أعمال الولايات المتحدة غامضة بالنسبة له كما كانت أعمال الاتحاد السوفيتي غامضة بالنسبة لجونستون.

ومن هذا المنعطف وعلى الرغم من كل ذلك أصبح تبادل الزيارات بين القادة الأمريكيين والسوفيتيين أمراً روتينياً، ولربما أبقى كوسيغين على ذاكرته الدائمة الخاصة بجلاسبورو وهي بلدة صغيرة بسيطة في ولاية نيوجيرسي وفيها قد قابل جونستون عام 1967، أما نيكسون فقد ذهب إلى في موسكو لمدة أحد عشر يوماً في مايو عام 1972، فقد كان هناك عدة مسائل خطيرة تتعلق بمحاولة حل نتيجة محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية (SALT) التي بدأت في عام 1969 ويمكن إيجاز الاتفاق المنبثق في مايو عن تلك المحادثات – دون شك وبصورة حاسمة – بقول أنه اتفق كلا الطرفان على إنشاء موقعين خاصين بهما حيثما يضعان قذائف دفاعية مضادة للقذائف التسيارية وكان من المزمع أن يتحقق رصد الساتل مما كان يجري هناك، كما أنهما اتفاقا على إجمالي الأسلحة الهجومية؛ علاوةً على ذلك فقد كان من المفترض أن يتوازن التفوق العددي للاتحاد السوفيتي مع التفوق الفني للولايات المتحدة الأمريكية لذا تم التوصل إلى بعض الاتفاقات من خلال البيانات العامة حيث يجب ألا تُعاق العلاقات الدبلوماسية العادية بسبب الاختلافات في الأيدلوجية أو النظام الاجتماعي كما يمكن تقوية الروابط والاتصالات في العديد من المجالات؛ فضلاً عن ذلك فقد زار بريجنيف الولايات المتحدة في يونيو عام 1973 كما ذهب نيكسون إلى الاتحاد السوفيتي في يونيو العام الذي يليه 1974. وكما حدث، كان هذا الأمر هو آخر تبادلاً للزيارات فيما بينهما. فقد حقق كلا الجانبان "دماراً متبادلاً مؤكداً" على الرغم من وجود جدل بشأن بعض نقاط التفوق أو نقاط العجز في حدود إطار ذلك العمل وغير ذلك لم يلتزم أي من الجانبين بإيقاف المشروعات

المحتمل أنها ستقلل من التوازن التقريبي الذي تم تحقيقه كما يبدو، على الرغم من تنازل كلاً من فرنسا والصين وتوقيعهما معاهدة الحظر الشامل عام 1969، فإن الشعور بوجود دولتين كبرتين يحركان العالم كان من الممكن أن يسموا على أي توتر بينهما حتى وإن لم يتلاشى هذا التوتر.

ومن الواضح أنه لم يكن رجال الصفوة عالمي الأفق وطليقي العنان في كلا البلدين فقد كانوا يتشبعون بالانطباعات الأجنبية من خلال حماسهم الأكاديمي ولم يكن هذا ما تطلبه أدوارهم إلى جانب ذلك فقد جسدت الدولتان التي يحكمونها أوجه نظر أيدولوجية، وبذلك بقي مذهبا "العالم الحر" و"الشيوعية" مُطلقين كما يبدو وخائضين في صراعهما المستمر. ولبرهة أصبح جروميكو مناهضاً للدين بقوة بيد أن الولايات المتحدة لم تكن مناهضة للدين رغم فصلها الدين عن الدولة. عاجلاً أم آجلاً كان على باقي العالم بالتالي أن يقرر أي عرض عالمي كان جاذباً له بصورة أكبر.

### الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية: هل هو تضامن دون سيادة؟

أوضحت صحيفة برافدا، الجريدة الرسمية للحزب الشيوعي السوفيتي، في 24 سبتمبر 1968 – كما سيتضح- بشكل رسمي أن العلاقة بين سيادة الدول الاشتراكية والتزاماتها الدولية مثل: تشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا وبولندا من ضمن دول أخرى يجب أن تنصاع للأوامر وأنه يمكن للدول السوفيتية غير الاشتراكية تحديد مسار تنميتهم شريطة عدم إلحاقها الضرر بحركة العاملين الاشتراكيين على المستوى الداخلي أو العالمي فينظر الاتحاد السوفييتي في سلوكياتهم ويضع لهم القواعد. وقد كان الإصرار على السيطرة على العالم هو ما رفضته بكين بقوة وغضب وكان مرسوم السيادة المحدودة يُعد مفاجأة بالكاد رغم حداثة أنه "مرسوماً" أعطى علامة قوية لوجود حركة للطبقة العاملة منتشرة على المستوى العالم وأكد على وجودها وأن الاتحاد السوفيتي ليس بدولة عادية فهو كان بمثابة الحارس الكوني لهذه الحركة.

ولقد تسبب التعقيد الموجود داخل تشيكوسلوفاكيا في أزمة الاتحاد السوفيتي وأنتج الوضع الرسمي للسيادة المحدودة وفي يونيو عام 1966 خلال مؤتمر الحزب

التشيكوسلوفاكي رفض ألكسندر دوبتشيك أمين الحزب الشيوعي السلوفاكي باعتبار ذلك "أثرٌ من الماضي" الادعاء بأن القومية كانت النقيض لمذهب الدولية حيث كان قد حُظر الاحتفال "باليوم الوطني" في الدولة منذ عام 1948 باعتبارها دولة برجوازية ولكنه أُعيد الاحتفال به في أكتوبر. وفي مدينة براغ كان هناك بعض النشاط الذي كان هادئاً ولكن غير واضحاً كما كانت تشيكوسلوفاكيا هي الأقل في مشكلاتها من بين السواتل السوفيتية وغير ذلك فقد كانت ممثلة للاتحاد السوفيتي نفسه في العديد من الأمور الخارجية المختلفة ورغم ذلك بقي ادعاء دوبتشيك مبهماً حول أي أمة كان يُشير إليها هل هناك جنسية تشيكوسلوفاكية أم هناك جنسيتين: تشيكية وسلوفاكية مرتبطتين بصعوبة في التصور السلوفاكي؟

ولقد عرف ليونيد بريجنيف مدينة براغ وأتى أولاً إلى عاصمة المحمية الألمانية المسماة "بوهيميا ومورافيا" في ذلك الوقت عام 1945 بصفته مفوضاً سياسياً مع الأقسام الأوكرانية بالجيش الأحمر"القوات الألمانية المستسلمة". ورغم ذلك عاد بريجنيف إلى المدينة سراً في ديسمبر عام 1967 بصفة مختلفة تماماً ولم يرغب في زيادة السخط على الوضع الحالي كما بحث أنتونين نوفوتني عن بريجنيف كي يدعمه حينما وقع في مشكلة سياسية فقد كان نوفوتني – بالطبع تشيكي الجنسية يبلغ نفس عمر بريجنيف- أميناً للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ثم تولى رئاسة الدولة لمدة عشر سنوات وفي بادئ الأمر لم يستوعب أمر توليه الرئاسة مباشرةً حيث قضى نوفوتني معظم الحرب داخل معسكر الاعتقال الألماني في ماوتهاوزن؛ ولقد تولى نوفوتني السلطة عام 1953 عند وفاة كليمنت جوتوالد أثناء حضوره جنازة ستالين ورغم وفاة ستالين إلا أن مذهبه لم يفنى فقد بقي في "المذهب الشخصي" لنوفوتني إلا أن هذا المذهب تدهور بسبب ضعف شخصيته. وفي أوائل ستينات القرن العشرين شهد اقتصاد الدولة مشكلةُ كبيرة وزادت الانتقادات بسبب قسوة النظام وكان الهدف هو لعب نوفوتني دوراً مزدوجاً على مستوى الحزب والمستوى القومي، وقام "الإصلاحيون" بدفع ألكسندر دوبتشيك إلى الساحة على الأقل في براغ وهو رجل سلوفاكي وغير معروف نسبياً وفي يناير عام 1968 انتخبته اللجنة المركزية

التشيكوسلوفية بالإجماع بصفته السكرتير الأول للحزب بدلاً من نوفوتني (الذي ظل رئيساً للدولة).

بعد ذلك كان قليلون من أعربوا عن تقديرهم للعوالم التي اجتمعت في شخص دوتشيك واستقبلت شيكاغو في نهاية القرن التاسع عشر العديد من المهاجرين التشيكيين والسلوفاكيين وكان من بينهم عائلة ألكسندر، ولكن لاحقاً عاد والديه إلى الدولة الجديدة المسماة تشيكوسلوفاكيا حيث وُلد ألكسندر عام 1921 وبعد سنوات قليلة انطلق والده بعائلته إلى قرغيزستان السوفيتية وهو يحركه حماسه تجاه المذهب الشيوعي ورغم ذلك فقد عادوا جميعاً إلى سلوفاكيا عام 1938، وبذلك وجد ألكسندر نفسه سريعاً يعيش في الدولة الجديدة "سلوفاكيا" خاضعة لألمانيا ويترأسها كاهن كاثوليكي يُدعى جوزيف تيسو. لاحقاً التحق ألكسندر بالموالين للأحزاب السلوفاكية خلال الحرب وأُصيب وبعد الحرب التحق بقسم الدراسات السياسية في أحد الكليات الحزبية بالاتحاد السوفيتي ثم تطورت حياته المهنية داخل جهاز الحزب في سلوفاكيا حتى وصل إلى رئاسته عام 1963 وحالياً هو في مدينة براغ.

كان هناك سبباً ضعيفاً لافتراض تعجيل تشيكوسلوفاكيا بإثارة أزمة في جميع أرجاء الاتحاد السوفيتي حيث كان يُشار إلى "التضامن السلوفاكي" أحياناً بالنظر إلى ما حدث عام 1938 فبدا أن التشيكيون قد أخرجوا أفضل ما في الوضع (كما حدث أيضاً عام 1948) ولم يكن الأمر بالنسبة لهم مثل الاندفاعات الألمانية أو البولندية أو التعنتر المجري؛ وبعيداً عن هذا النمط القومي، حيث أثبتت الشيوعية التشيكوسلوفاكية قوتها الأصيلة في الفترة بين 1945 و1948، حيث رُحب عموماً برفاق بريجنيف عام 1945. على الرغم من انسجام التشيكيين (السلوفاكيين) على نحو أكبر ومثير للريبة مع التحرريين الجريئين أو المخطط الديمقراطي في الغرب إلا أنه لم تصرّ موسكو بعد عام 1945 على الوضع الدائم للجيش الأحمر (على عكس بولندا أو المجر)، وغير ذلك فقد احتفظ بعض التشيكيون بتأثيرهم في الدور التاريخي بمدينة براغ وذلك على الصعيدين التجاري والثقافي بصفتها جسراً في قلب أوروبا. هل يمكن لهذا الدور بين الشرق والغرب أن يتجدد؟ فعلى سبيل

المثال، بدءًا من أواخر خمسينات القرن العشرين فصاعدا أثّر العالم اللاهوتي البروتستانتي التشيكي جيه. إل. هرومادكا والذي قضى فترة الحرب في الولايات المتحدة في مؤتمرات السلام المسيحية المنعقدة في براغ حيث فيها اجتمع فيها الشرق والغرب. فهل كان على المسيحيين الهروب من سجن التكتلات غير أنه هل كان من الممكن حقاً توفير طريقاً وسطاً؟

التفت هذه التصورات حول ما كانت عليه تشيكوسلوفاكيا أو من المحتمل أن تكون عليه وذلك في ربيع عام 1968، وأوصى بعض خبراء الاقتصاد المحليين بإضفاء بعض اللامركزية على الإدارة الاقتصادية كما ظهرت حرية ملموسة في الصحافة واستقال نوفوتني من الرئاسة وجاء بدلاً عنه لواءً مسناً كان اسمه الأخير يعني "الحرية" عند ترجمته ورغم كبر سنه إلا أنه قد أعاد تعيينه في الرئاسة الطمأنينة إلى موسكو بسبب قيادته للقوات التشيكية في الجيش الأحمر خلال وقت الحرب إلا أنه على الأرجح لم يكن الأمر مرضياً بالوعود الانتخابية والإصلاحات الأخرى، وغير ذلك حارب الإصلاحيون والمتشددون من أجل الفوز بالسلطة المطلقة في براغ وخلال فصل الصيف شعرت القيادة السوفيتية بالقلق والتذبذب خوفاً مما قد ينبثق من مؤتمر الحزب الخاص المقترح، وأُجريت تدريبات حلف وارسو إلا أنه كان لا يزال هناك أمل بإمكانية احتواء ما اعتُبر كعدوى المرض، غير ذلك فقد اقتنع دوبتشيك بوسيلة أو بأخرى بالسيطرة على التغيير حيث إنه في حال أقدم على ذلك كان من المقرر إبقائه في منصبه كما عُقد العديد من الاجتماعات. وفي براتيسلافا بتاريخ 3 أغسطس وبحضور القادة التشيكوسلوفاكيين اتفق القادة السلوفاكيين وقادة منطقة شرق أوروبا بوضوح على أنه يمكن لمدينة براغ مواصلة إجراء إصلاحاتها الداخلية في حال تأكيدها على عزمها البقاء في حلف وارسو ورغم ذلك في ليلة 20-21 أغسطس غزت قوات حلف وارسو في نهاية الأمر دون أي مقاومة من الجيش التشيكوسلوفاكي، ففي بادئ الأمر تعاملت موسكو مع دوبتشيك المتنمر فيما يتعلق بالتخطيط لعودة براغ إلى حالتها الطبيعية بيد أنه دُفع به إلى الخارج خلال شهور قليلة وفي إبريل 1969 أصبح غوستاف هوساك- رفيق سلوفاكي- الأمين العام للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي

وكان يتسم بأنه سلس القياد ورغم ذلك وجد نفسه مسجوناً من كلٍ من نظام تيسو وزملائه من الشيوعيين بصفته مخالفاً للمألوف "شاذاً" بيد أنه الآن ابتعد عن العناصر الإصلاحية. بعد مرور عام على ذلك ورغم كل ما حدث يبدو وكأن "ربيع براغ" لم يحدث مطلقاً ودوت المسألة التشيكية- السلوفاكية داخل تشيكوسلوفاكيا إلا أن النظام الحاكم هناك في براغ لم يثير أي تهديد بالنسبة لأوروبا السوفيتية وللتأكد من ذلك بقيت وحدات الجيش الأحمر في الدولة وقبل الاتحاد السوفيتي مساهمة تشيكية مقابل التكاليف التي تكبدها مع امتنانه لذلك.

وتوالت التطورات الحادثة في تشيكوسلوفاكيا عن كثب في العالم الغربي إلا أن الحكومات لم تُبد أي استعداد للتدخل كما أوضحت استنكاراتهم غالباً عدم اكتراثهم بذلك ولم تتوقع منهم أي من العواصم الأوروبية إحداث أي فرق؛ ففي براغ حد ذاتها ثار الطلاب بسبب الدبابات السوفيتية بيد أنها كانت سُدى. وفي الخارج فُسر انعدام المقاومة المسلحة التشيكية للغزو على إنه إما تخاذل مذموم وإما حس سليم متعقّل وسيطرت موسكو على تكتلها وفي أوائل أغسطس سافر كلٌ من تيتو وشاوشيسكو إلى براغ للتعبير عن دعمهما لدوبتشيك وكانت هذه الخطوة جعلت هذا الدعم ضرورياً بعيداً عن الحول دون العمل العسكري السوفيتي وبرغم ذلك فهناك عدة أسباب للتوقف لبرهة قبل بدء الغزو وذلك في تصور موسكو، وكان ذلك سيثير غضب الغرب حتى وإن كان فقط على وتيرة واحدة وبصورة مؤقتة في وقت شعوره بالقلق إزاء الصين التي اقترحت تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ولم يندفع بريجنيف في هذا الأمر، فيجوز أنه اتخذ إجراءً بالفعل في نهاية الأمر خوفاً من أن يدعوه المتشددون بالضعيف ومن ثم إقالته من منصبه. ورغم ذلك فقد كان الأمر مؤكداً فعلياً مسبقاً بأنه لن تُجرى معارضة هذا الغزو إلا أن أثره السلبي على الانطباع الخارجي عن الاتحاد السوفيتي كان سيئاً بصورة مثيرة للجدل بل أيضاً بصورة أكبر بالنسبة للمذهب الشيوعي ذاته في المستقبل. يجوز أن دوبتشيك كان ساذجاً إلا أنه كان صادقاً فعلياً فلم يستطع التصديق بأن الاتحاد السوفيتي الذي كرّس حياته كلها له كما ذكر يمكن أن يقوم بمثل تلك الأفعال، ولم ير نفسه بصفته معادياً للثورة

أو أداة في يد المنتقمون المفترضون من ألمانية الاتحادية، فقد حلم بالاشتراكية من منظور إنساني وبنوعٍ جديدٍ من الديموقراطية الاشتراكية ولكن الحقيقة الصادمة هي أنه ليس هناك طريق ثالث لذلك، فكان إشعال الطالب جان بالاش النار في نفسه في ميدان وينسيسلاس إشارةً على انقطاع الأمل.

وكان هذا قراءة أحادية للوضع، فقد أوضحت قراءة أخرى أن النظام السوفيتي كان متصلباً وعلى وشك الانحلال إذا بقي مطولاً عكس الانطباع بالاستقرار المترسخ الذي يعطيه؛ غير ذلك لم يبدو أن هناك احتمال بوجود نتيجة مؤكدة في هذه المرحلة. إن مشاركة قوات دول حلف وارسو أظهرت تضامن التكتل إلا أنه لم يكن الأمر كذلك وبالطبع خشيت جميع القيادات – ولكن بدرجات مختلفة- الخاصة بالدول المشاركة من تفشي "المرض التشيكوسلوفاكي" على الرغم من محاولة المجر بالقيام بشيء من الوساطة، ففي هذا الشأن لم تكن تلك الدول مجبرة على المشاركة في هذا الغزو، حيث حذر فالتر أولبريشت – على وجه الخصوص- رئيس جمهورية ألمانيا الديموقراطية (GDR) من محاولة الجمهورية الاتحادية (FRG) لتأسيس ما أطلق عليه التبعيات الاقتصادية في أوروبا الشرقية.

وللأسباب السابقة تركّز الاهتمام على تشيكوسلوفاكيا غير أن قادة الأحزاب في الدول الأخرى قد تابعوا "إصلاحاتهم" بحذر وتيقظ، وفي عام 1968 أجرى نظام كادار المجري بنفسه بعض الإصلاحات التي لا فائدة منها في "الاقتصاد الموجه" كما أجريت محادثات بشأن آلية اقتصادية جديدة بلغة تشبه تلك المنبثقة من براغ إلى جانب ذلك كان هناك إشارات أخرى للتحرير فمشاركة المجر في غزو تشيكوسلوفاكيا يمكن اعتبارها متعمدة إذا كانت النتيجة تناقضية حيث لا تزال المجر التي كانت تتسم بالولاء تتبع مساراً مختلفاً كما أنها شهدت بعض الانفتاحات ففي عام 1965 استقبلت المجر ما يزيد على مليون زائر أجنبي ربعهم من وراء الستار الحديدي واستمرت هذه الأعداد في الزيادة؛ ومثلهم سافر عدد من المجريين إلى الخارج إلا أن خمسون بالمائة منهم فقط سافروا إلى الغرب وبحذر أسس كادار الماكر ما كانت توصف أحياناً بالشيوعية اللينة على الرغم من

الاحتفاظ بصرامتها دائماً كما حاول الميل ميلاً طفيفاً على المستوى الخارجي فقد رُحب بأورهو كيكونين "ابن العم" الفنلندي للمجريين– البعيد نوعاً ما– في بودايست عام 1969 حيث أتى برسالة تفيد بأنه يمكن للدول المحايدة ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة فسح المجال للتعايش السلمي على المستوى الدولي. وكان الوضع الداخلي المجري قيد التغيير من عام إلى آخر ولم يكن هناك أي شيء سوى رغبة كادار في الرحيل أو استطاعته للرحيل حيث كان سعيداً بقوله – حسبما سمع منه بريجنيف– بأنه لا يمكن لأي أحد أن يدعو نفسه بالشيوعي ولديه آراء معادية للاتحاد السوفيتي. وفي العيد السنوي الثلاثين لتحرير الوطن عام 1975 تم اقتناص الفرصة للتأكيد على "الصداقة الأخوية الراسخة" بين المجر والاتحاد السوفيتي.

اختلفت بلغاريا للغاية عن المجر فقد قدم تودور جيفكوف أمين الحزب البلغاري منذ عام 1954 الدعم للاتحاد السوفيتي على نحوٍ منتظم مستخدماً لهجة الفلاحين الدقيقة ولم يكن الولاء لروسيا محطة إلزامية في بلغاريا كما كان الحال في المجر، وأرادت دولته – جيفكوف– أن يكون لها رفقة بعيدة حيث كانت محاطة بعدد من الدول الشيوعية "غير الموثوقة" متمثلة في يوغوسلافيا ورومانيا ودولتين غير شيوعيتين: اليونان وتركيا، وقد سعدت موسكو بتقديم هذه الرفقة كما أظهر جيفكوف ولائه لها وطور علاقة شخصية وثيقة مع بريجنيف إلا أنه في الماضي قد قلّص احتياجاته بقوة بما اقتضت به الظروف؛ ولقد أفسح مزاح بسيط بشأن حالات غموض السوق الاشتراكي المجال إلى التأكيد مرة أخرة وبقوة على المذهب الأرثوذكسي وذلك على أثر ربيع براغ. أكد الدستور الجديد وبرنامج الحزب عام 1971 على أن بلغاريا أصبحت دولة اشتراكية تمثلها الطبقة العاملة وغير ذلك فقد ألزم الحزب نفسه بإتباع نظام حيث تختفي جميع الفروق في الممتلكات والوظائف وتصبح الأمة بأكملها فعلياً طبقة عاملة فلا حاجة لقول أن إرسال فرقة ممثلة للقوات إلى تشيكوسلوفاكيا على وجه السرعة لم يُشكل مشكلة بالنسبة لأمين الحزب.

وأيضاً لم تكن بولندا مثل بلغاريا ولم يكن الأمر مصادفةً في وارسو حينما اختارها بريجنيف لإصدار مرسومه فكان الأمر بمثابة تذكرة لحالة بولندا المحدودة، وعلى مدار

الجزء الأول من العام خاضت الدولة أزمة سياسية جياشة حيث أُصيب الطريق البولندي إلى الاشتراكية بعدة صدوع، علاوةً على ذلك حدثت مناورة سياسية استثنائية تورط فيها بقوة وزير الداخلية اللواء موتشار. وكانت هناك حصيلة واحدة لهذه المرحلة الغريبة لما شهدته من اعتداءً على الخونة الصهيونيين وهي خروج معظم ما تبقى من الأقلية اليهودية في بولندا وكانت زوجة جومولكا يهودية ويجوز أن هذا كان أحد العوامل وراء هذا الهجوم الضار، واضطر جومولكا بث دعوة إلى الوحدة الوطنية وتحديد مثيري القلاقل ومع ذلك فقد عاش لمدة عامين إضافيين التحالف الجديد بين حزبي الديمقراطي الحر والديمقراطي الاجتماعي (SPD-FD) الذي تولى السلطة في مدينة بون خلال تلك الفترة بدء بحث المسألة الألمانية. وفي ديسمبر 1970، برغم ذلك أعلنت الحكومة عن ارتفاع كبير في الأسعار وهو ما اعتبره الشعب هدية عيد الكريسماس ودفع به إلى القيام بالتظاهرات والاحتجاجات في مدينة غدانسك وغيرها من المدن مما أدى إلى وقوع خسائر في الأرواح وعليه أُعلنت حالة الطوارئ وهذه المرة اضطر جومولكا إلى الرحيل حيث أثبت المذهب الشيوعي القومي المترابط به اختلافه ولكنه كان أقل اختلافاً عمّا أمله بعض المفكرين الماركسيين.

وجاء إدوارد جيريك بعد جومولكا بصفته أميناً أول للحزب حيث لا يزال رئيس الحزب في سيليزيا وهي المنطقة حيثما كان التاريخ الألماني كما يجب أن يكون، وحضوره في التاريخ الموافق للمعاهدة الموقعة مع الجمهورية الاتحادية (سيُشار إليها باختصار) منح بولندا ما لم تملكه منذ عام 1945 ما يُسمى بالأمن على حدودها الغربية مما عمل على تغيير شعور بولندا بالحاجة إلى المثابرة على الاتحاد السوفيتي باعتباره حاميها؛ ولقد نُفي الرجل الجديد من قبل في أوروبا الغربية — جزء من ذلك كانت بولندا وما بعد بولندا والتي كان دائماً لها أثراً في حياته الخاصة. نشأ إدوارد جيريك في فرنسا وبلجيكا حيثما أخذته والدته عندما كان طفلاً بعد وفاة والده في حادث ناجم عن التعدين، وكان نشطاً في الحزب الشيوعي البلجيكي حينما كان عاملاً في المنجم بالأساس كما أنه لم يعد إلى بولندا حتى عام 1948؛ إلى جانب ذلك كان الأمر يبدو غريباً بوجود أحد أبناء الغرب في وارسو في ذلك

الوقت رغم أن ذلك لم يشكّل أي عامل في رفعة شأنه، وفي عهده ومعه الرجال الجدد الذين أحضرهم شهدت سبعينيات القرن العشرين انتعاشاً اقتصادياً فقد وُجدت بولندا جديدة بوجهٍ آخر وللمرة الأولى في تاريخها عاش الكثير من الناس في المدن بدلاً من الريف، وما لم يتغير كان الحقيقة الأساسية من ناحية تحكم الحزب الشيوعي في الحياة السياسية بأكملها.

فضلاً عن ذلك، فقد أبقى الوضع في بولندا أيضاً على حاله في ظل التكتل، وشهد العِقْد – كما أُشير إليه- بعض التعديلات أو محاولة إجراء تعديلات في الأسلوب المتبع في ممارسة هذا التحكم إلا إنها كانت فقط هامشية حيث لم تكن هناك إمكانية النقاش بشأن الأساس المنطقي للدولة ولتحكم الحزب في الدولة، واتسع الوجود الشامل والمهيمن للاتحاد السوفيتي في كل مكان لذا لم يكن حمقاً الحديث عن "التكتل السوفيتي" وبدا حلف وارسو على المستوى العسكري مهيباً من الناحية النظرية حيث يعمل هذا الحلف فقط وإلى الآن في الظروف التي يُدعى للقيام بفعلٍ ما ويُقابل القادة بعضهم البعض بصورة منتظمة وأخوية حيث صنعت اللغة الروسية كلغة ثانية واصلاً مجتمعياً إلى حدٍ ما كما عُزز الدمج فيما بينه من خلال النمط الشامل للتجارة الداخلية للتكتل حتى وإن عجز مجلس التعاضد الاقتصادي (الكوميكون) عن الإيفاء بمتطلبات تصميمه الكبير إلى حدٍ ما. وعلاوةً على ذلك، تلاشت أواسط شرق أوروبا في مرحلة ما قبل الشيوعية من الذاكرة بمرور الوقت حيث إنها كانت تأسست عام 1939 واتسمت بالكاد بالمثالية في جميع النواحي، وبحلول ستينيات القرن العشرين لم تكن معياراً يجب أو يمكن الرجوع إليه، ويبدو أن كل ذلك التقسيم هوه الراسخ والأبدي داخل أوروبا ولذلك ففي الوقت الذي بدت فيه أوروبا كما لو أنها "أوروبا السوفيتية" عام 1975 كانت بالفعل قد أُنقذت كما أنهت اتفاقيات هلسنكي –سنتطرق إليها باختصار- على ما يبدو الوضع الراهن حيث عكست الدروس المستفادة بوضوح عن العِقْد الماضي.

ولقد خلص بعض المُعلّقون على الأنباء من الداخل ومن الخارج إلى الاستنتاج بأنه ليس هناك شيء على حافتها قد يُنهي "أوروبا السوفيتية" كما أنهم تناقشوا حول أنه من

الممكن حدوث النهاية فقط كنتيجة لحدوث انقلاب ما داخل الاتحاد السوفيتي ذاته وهو أمر يبدو بعيد الاحتمال، ومع هذا فهناك الكتّاب الذين كانوا يعملون على إظهار المسائل الشائكة لدى الجهات السوفيتية حيث تبنوا تكتيكاً بسيطاً وهو التظاهر لصالح الدستور السوفيتي؛ غير ذلك فقد جذبت مجموعة من الوثائق المجهولة المصدر الانتباه إلى إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي وقّعه الاتحاد السوفيتي إضافةً إلى ذلك نظّم بافيل ليتفينوف، حفيد وزير الخارجية ستالين، احتجاجاً موجهاً إلى "الرأي العام العالمي" وقد وقعت بعض حالات الانشقاق بيد أن الشيوع الذي أثارته آل إلى طرقٍ أقل شعبية لتقييدهم، وقد كانت مؤشرات تلك الانشقاقات وغيرها من المؤشرات التي عبّر عنها الكتاب بشكل رئيسي ولكن ليس وحدهم لا قيمة لها بيد أن "الرأي العام العالمي" لم يقدم مساعدة بنحوٍ كبير حتى وإن كان من المفترض إدراكه، كما أنه لم يأخذ بعض المراقبون الغربيون الأمر بجدية حيث إنهم يجهلون الدور التاريخي الذي لعبه الكتّاب في سرد الانشقاقات، وفي الوقت الحالي على الأقل بدا الأمر كما لو أن الاتحاد السوفيتي يعزم على اتخاذ ما يلزم بصورة كافية حتى يتمكن من البقاء.

إضافةً إلى ذلك فإن المدى الذي اضطر فيه الاتحاد السوفيتي داخل حدوده التعامل بنفسه مع المشكلات القومية المحددة فقط في تكتله أصبح أكثر وضوحاً لذا فهل كان إضفاء الطابع الروسي صراحةً أو ضمن الهدف من السياسة؟ ليس أن يكون ما يعنيه "إضفاء الطابع الروسي" واضحاً، فإن التحدث بالروسية لا يعني بالضرورة تحويل المواطنين السوفيتيين إلى روسيين حيث كان لدى الجمهوريات الفردية وأمنائها الأوائل تصورهم الخاص فيما يتعلق بتلك الأمور غير أنه كان هناك بعض التوترات بدرجة أكبر أو أقل في كل مكان تحيط بمظهر المهاجرين الروسيين كما زعم أن الوافدون الروسيون إلى دول البلطيق وغيرها لم يتجشموا عناء تعلّم اللغة المحلية وأنه عانى أهل البلد من ضغطٍ كبيرٍ للتحدث باللغة الروسية ولم تختفي ذكرى الدولة المستقلة في إستونيا ولاتفيا وليتوانيا المنتزعة عام 1939 ولم تُسترجع مرة أخرى؛ وفي مكان آخر في جورجيا مسقط رأس ستالين على سبيل المثال قد أدى احتجاج في الشارع في العاصمة تبليسي إلى تقديم اقتراح

بإعطاء المواطنين الروسيين حقوقاً مساويةً للمواطنين الجورجيين الذين تم التخلي عنهم؛ وكانت تختلف معدلات المواليد باختلاف الجنسيات وعليه تغير التوازن العرقي الكلي للدولة السوفيتية، بعد ذلك ظهرت مشكلات دينية/ قومية معقدة بدرجة كبيرة وتؤثر على وضع المسلمين واليهود. بحلول عام 1975 استمرت وسائل الإعلام الغربي في استخدام لفظ "روسيا" لوصف الاتحاد السوفيتي رغم أنه ذلك الوصف لم يكن في محله بشكل كبير، ولذلك فقد كان من المحتمل أن "التكتل السوفيتي" بما فيه الاتحاد السوفيتي يواجه أزمة نظامية مع إنها ثارت ببطء. وانعكس دوي الجزء الأول من كتاب أرخبيل غولاغ للكاتب ألكسندر سولجنيتسين انعكاساً واسع الانتشار حيث نُشر الكتاب بالخارج عام 1973 حيث كانت روايته لها عواقب وآثار مختلفة فقد أدت إلى اعتقاله وترحيله من البلاد في العام التالي، وعزماً على الوفاق في هذه المرحلة مع موسكو لم يحرص الرئيس فورد وأيضاً وزير الخارجية كسينجر على مقابلة سولجنيتسين وإلى جانب ذلك، ففي أوروبا الغربية وضعت قصة حياته في المعتقلات الحزب الشيوعي الفرنسي في موقف صعب للغاية. ومن المحتمل أنه لم يتم التأكيد كثيراً على تصريحات سولجنيتسين داخل البيت الأبيض أو أنها أصبحت عالقة بين المعارك الداخلية للحزب اليساري الفرنسي إلا أن سولجنيتسين لم يكن في وطنه أثناء وجوده في أي من هاذين المكانين؛ كما أنه أرسل خطاباً إلى الاتحاد السوفيتي نُشر في الغرب يُلح فيه بقوة على إنعاش روسيا فكان من المرجح أن الأمر يحتاج لتكون مستبداً كما اعتقد هو. وستقدم الكنسية الأرثوذكسية الإنعاش الروحاني المطلوب، كما أنه مقت الحال الذي كان عليه الاتحاد السوفيتي والذي لا يزال عليه على نطاق واسع بيد أن الغرب أيضاً كان له نصيب من هذا المقت، فحتى وإن كانت فلسفة الاتحاد السوفيتي لم يُفترض أن تتبع المذهب المادي إلا أن أسلوب الحياة فيه في الواقع كان مادياً سطيحاً. وبمعنى آخر لا يجب استبدال الشرق القديم بالغرب الحديث: حيث من المحتمل الإشارة إلى الطريق الثالث الروسي على المدى الطويل.

# 15

# الأمان والتعاون في أوروبا

كانت الطرق إلى مؤتمر الأمان والتعاون في أوروبا الذي انعقد في هلسنكي في يوليو/ أغسطس 1975 ملتوية. فقد كانت دول حلف وارسو التي اجتمعت في رومانيا عام 1966 قد اقترحت عقد مؤتمر عام حول أمان أوروبا. وكانت الفكرة تفيد أن جميع الدول الأوروبية عليها أن تؤكد قبولها للحدود والنظم السياسية الحالية. لم تتسرع دول حلف الناتو في الرد، وعندما فعلت، تمثل ردها في رغبتها في تحويل الأجندة إلى نقاش حول مستويات القوة. طُرحت المقترحات ذهابًا وإيابًا؛ ولم تشر الأحداث الذي شهدها عام 1968 وما تلاه، كما ناقشنا في الفصل السابق، إلى أن الوقت كان مناسبًا إجمالاً حينها. لم يكن عدم الاستقرار في ذلك العام – كما سنناقش لاحقًا- مقصورًا على الكتلة السوفيتية. فقد كشف الأحداث في فرنسا وألمانيا الاتحادية عن مقدار السخط على الوضع الراهن الذى وجد في بعض أحياء أوروبا الغربية. ولكن، كان ثمة تناقض؛ ففي الغرب كانت هناك "رأسمالية ليبرالية" كانت تتعرض لنقد قاس. وفي الشرق هيمنت حالة "عدم الحرية" لـ "الشيوعية القاسية" التي كانت تتعرض للهجوم. وفي بلد تلو الآخر في أوروبا، احتدم الجدل؛ ومرةً أخرى، خضعت مفاهيم مألوفة – مثل الديمقراطية والشيوعية والاشتراكية والطبقية والثقافة والاستهلاكية والمسيحية والعلمانية والرأسمالية والحرية

والاستبداد والمساواة- للجدل مرةً أخرى واقترنت ببعضها بطرق مختلفة. ومع ذلك، لم يكن ثمة تغير في نظام الحكم. وقد أعيد تدعيم النظام- على الرغم من الاختلاف من حيث الجوهر والهيكل- في باريس وبراغ. بيد أن الأسئلة التي طُرحت لم تختفي؛ حتى في غرف المؤتمر التعاوني الذي عُقد في هلسنكي.

ولكن، في نهاية المطاف، في نوفمبر من عام 1972، انعقد اجتماعٌ أول على مستوى السفراء في هلسنكي، وتم الاتفاق على أن العملية ينبغي أن تشتمل على ثلاثة مراحل ومستويات من المشاركة. وعندما اجتمع رؤساء الحكومات في يوليو 1975، بموجب ذلك، كان الاجتماع للتصديق على اتفاقية كانت تعمل بثبات على مدار العامين السابقين على ذلك الاجتماع. ولكن النتيجة الناجحة –مع ذلك- لم تظهر إلا عبر تشابك العديد من العوامل المتداخلة: الاستقرار في كلٍ من أوروبا الشرقية والغربية والحراك على صعيد المسألة الألمانية. بيد أن تلك المشكلات الداخلية الأوروبية كانت شاغلاً عالميًا أيضًا؛ ولم تكن لتحظى بالعناية الكافية دون تضافر واشنطن وموسكو. وعلى ذلك، كان لِزامًا أن توقع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في مؤتمر أوروبي. كان بريجنيف وفورد شديدي الانشغال بالوضع العالمي. وقد شهدت الأعوام القليلة السابقة على ذلك ثورةً دبلوماسية عالمية لم يكن مثلها ليخطر على البال عام 1966. ولم تكن الصين بالطبع من الموقعين ولكنها كانت ترقب الأمر من بعيد. وكان الأمريكيون يعلمون أن بكين تظن أنهم قدموا تنازلات أكثر من اللازم للاتحاد السوفيتي. ومن جانبها، ظلت القوى الأوروبية الغربية الكبرى على منظوراتها المتمايزة المتباعدة حول الأمن والأمان ومستقبل أوروبا.

## فرنسا: الانتفاضة والنظام

في مارس من عام 1966، أنهى ديجول اندماج القوات الفرنسية في حلف الناتو، وطلب من جميع القوات الأجنبية مغادرة التراب الفرنسي. لم تكن هذه الخطوة نهاية عضوية فرنسا في الحلف، ولكنها كانت أبعد ما يمكن أن يذهب عليه ديجول دون أن يلجأ إلى اتخاذ هذه الخطوة النهائية. لم يكن ديجول عازمًا على التورط في حربٍ في فيتنام. وكان ذوو الحنكة من الفرنسيين يعرفون أنه طالما لم ينجح ديجول في الفوز في الهند الصينية فإن

الأمريكيين سيخفقون لا محالة. كانت الحرب أمرًا كريهًا. ومع ذلك، بصورة عامة، كان قرار ديجول بمثابة إعلان لعزم فرنسا على نبذ السيطرة الأمريكية. وكان هذا متسقًا مع تنديده بالميول الإمبريالية للقوى العظمى في أمريكا اللاتينية عام 1964، وهو نفس العام الذي أرسى فيه دعائم علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية. لم يصدق ديجول أن عهد الدولة القومية قد ولَّى. كان بوسع فرنسا أن تتصرف باستقلالية، وإن كانت بصورة أو أخرى في المجال الأمريكي. افترض ديجول أن دول أوروبا الشرقية يمكنها أن تسير على نفس المنوال داخل المجال السوفيتي. وكانت تلك رسالةٌ حملها شخصيًا إلى موسكو؛ لقد آن أوان فك قيود العالم. كانت تلك رؤيةٌ تاريخية مقنعةٌ بدرجةٍ ما، بيد أنها لم تصمد في وجه التحديات لا في لندن ولا في بون. كما وضعت على حين غرةٍ في سياقٍ مختلف، ليس فقط بموجب الأحداث التي شهدتها براج وتباعتها، ولكن أيضًا بموجب التحول الداخلي الذي شهدته فرنسا ذاتها.

في أوروبا الغربية عام 1968، لم يكن من المفاجئ على الإطلاق أن تكون فرنسا أرضًا لمواجهة تؤدي إلى زعزعة الاستقرار؛ فباريس مدينة ألفت الثورة. وفي ذلك الحين، كانت الذكرى المئوية لكوميونة باريس 1870-1871 قد اقتربت، على الرغم من أن الاحتفال بهذه الذكرى كان حتمًا مدعاةً للنزاع. وكان هذا العام أيضًا عام الذكرى العاشرة للجمهورية الخامسة. وفي شهر مايو، ومع الإعلان عن الإصلاحات التحريرية في براج، كانت باريس على صفيح ساخن. ففي 2 مايو أُغلق الحرم الجامعي في نانتير، بعد أن كانت الدراسة قد جرى تعليقها بالفعل. وقد قام قسم الاجتماع في الجامعة بإنشاء تخصص جديد في إشعال فتيل الثورات. وفي اليوم التالي، صدرت الأوامر إلى الشرطة باقتحام جامعة السوربون، التي كانت بدورها مغلقة أيضًا، واندلعت اشتباكاتٌ عنيفة بين الشرطة والطلبة في الحي اللاتيني، وامتلأ الهواء بدخان قنابل الغاز. وبعد أسبوع، نُصبت المتاريس في شوارع باريس. أما السوربون - التي أُعيد فتحها بناءً على تعليمات رئيس الوزراء الفرنسي بومبيدو الذي عاد لتوه من عطلة استجمام في أفغانستان- فقد أصبحت واحةً ليوتوبيا تحررية. وتصاعد الشعور بالأزمة. وبحلول منتصف الشهر، كان الطلبة والمضربون

يحتلون المصانع ويقودون مسيرات احتجاجية- التي بلغ عددها إجمالي 164 حسب ما ورد - في جميع أنحاء فرنسا. واختلف المراقبون في تلك الفترة- وفيما تلاها أيضًا- حول المِزاج العام لتلك الاحتجاجات ودوافعها. ألم يكن جليًا أن الصراع لا يقتصر على كونه بين العمال والسلطة، ولكن أيضًا بين تلك الثورات التلقائية والاتحادات العمَّالية القائمة، في صورتيها الشيوعية وغير الشيوعية؟ ألم يكن عرض مطالب محددة متعلقة بالأجور وساعات العمل وظروفه والتي تم استبدالها بتوق الجماهير لقلب النظام الاجتماعي- السياسي/ الصناعي برمته، شيئًا لا يقل عن كونه إدارة ذاتية من جانب الطبقة العاملة؟

وقد شارك ما يمكن أن يصل إلى عشرة ملايين شخص في إضراب. كانت الدولة تهتز بلا شك، وظهرت الدبابات في ضواحي باريس. وتحدث ديجول حينها عن إجراء استفتاء بشأن زيادة المشاركة في إدارة الجامعات وقطاع الصناعة، وتجنب الظهور بخلاف ذلك، في حين أعرب سياسيون عسكريون آخرون عن رغبتهم في تولي مقاليد الأمور في دولة متهاوية. أما ديجول فاختار أن يستقل رحلة طيران هليكوبتر غير معروفة إلى قاعدة الجيش الفرنسي في بادن، ألمانيا. وهناك علم أنه ليس أمامه أي خيار عسكري. ومع ذلك، حين عاد أدراجه إلى فرنسا ليجد نصف مليون فرنسي متجمهر لدعمه أمام الشانزليزيه. ارتفعت روحه المعنوية. أُلغي الاستفتاء لصالح إجراء انتخابات عامة، وأسفرت الجولة الثانية من الانتخابات عن حصول الحزب الداعِم له على أغلبية ساحقة. انتفى التحدي. أما بومبيدو فقد تحمل -لخيبة أمله- مغبة سوء إدارته للأحداث. انعقد الاستفتاء في إبريل عام 1969، ولكن مقترحات ديجول رفضت، واستقال على إثر ذلك.

بدا نمط الأحداث- لمن يرقبه من الخارج- متسمًا بطابع فرنسي كبير، حتى الهتاف باسم ماو تسي تونج أو تروتسكي في الشوارع أعطت نوعًا من الدعم العالمي لبناء المتاريس. ونظر النشطاء لأفعالهم باعتبارها مشبعةً بالروح القومية للثورة. وكان العمل الاجتماعي الجماعي يسير يدًا بيد مع الفكر التقدمي لتحقيق التغيير. كان الأمر -كما بدا- يتعلق بجيل يعيش حالةً ثورية، تفضح فساد مجتمع برجوازي. والأكثر من ذلك، كان نظامٌ اجتماعي كاملٌ جديد - كما بدا حينها- قريب المنال. بيد أن هذا التحول السحري لم

يحدث. لم تنحني الجمهورية الخامسة في وجه سياسة الشارع. فقد خرجت الأغلبية الصامتة – التي لم تكن صامته تمامًا في الواقع– عن صمتها. أيعد هذا انتصارًا للديمقراطية أم هزيمة لها؟ فقد أصبحت إرادة الشعب عبارة عن إرادة فئوية؛ فالكل يزعم أنه يعلم ما يريده الشعب حقًا. اليسار والوسط واليمين كلهم يزعم ذلك. وجد الحزب الشيوعي الفرنسي نفسه بين شقي الرحى فقد كان عرضة للاتهام بأن موقفه المتحفز تجاه الأحداث يعد خيانةً للثورة. فقد ألف دانيال كوهين بنديت (المولود في 1945)، الشاب الفرنسي الألماني الذي غالبًا ما يُستشهد به للتعبير عن المزاج في ذلك الوقت، كتابًا مع أخيه يصف الشيوعية بأنها "قد عفا عليها الزمن". أما جورج مارشيه–الذي أصبح في غضون سنوات قلائل الأمين العام للحزب– فقد ذاع وصفه لدانيال كوهين بنديت بأنه "الفوضوي الألماني". خاض الشيوعيون والاشتراكيون الذين كانوا يعيشون حالة من الفوضى الداخلية– مناورات ضد بعضهم البعض ومع بعضهم البعض. ففي أواخر سبعينيات القرن العشرين، وبعد مفاوضات مطوَّلة، اتفق كلا الحزبين على "برنامج لتأسيس الحكومة". ومن حيث الجوهر، ألزم الاشتراكيون أنفسهم بحركة تأميم كبيرة تؤسس لـ قطيعة مع الرأسمالية. أما الشيوعيون من جانبهم فقد تراجعوا عن رأيهم فيما يخص ديكتاتورية البلوريتاريا. وقد جلبت الأحداث التي شهدتها براج مسألة امتلاك الحرية إلى السطح. وكان الحزب الشيوعي قد أعرب عن دهشته وإحباطه من غزو التشيكوسلوفاكيا، ولكنه سعى بصورة مؤقتة في اتجاه تحقيق الشيوعية الأوروبية. ونشب صراع على السيادة على اليسار، حتى مع تطلع كلا الحزبين – نظريًا على الأقل– إلى فترةٍ يشكلان فيها الحكومة بصورةٍ مشتركة. ومع ذلك في انتخابات عام 1974، أخفق اليسار في الفوز بالسلطة.

وكانت ظلال الحرب لا تزال تخيِّم على الحياة العامة في فرنسا. فقد خسر بومبيدو منصبه كرئيس لوزراء فرنسا عام 1968، بيد أنه ظل كامنًا يتحين اللحظة المناسبة ليعود لنشاطه. وبالفعل خلف ديجول في منصبه رئيسًا لفرنسا عام 1969. وكان ديجول قد شكَّل فكرةً عن فرنسا ودورها في العالم، ولكن ربما كان هو وحده من يستطيع تنفيذها. وفي عام

1971، أجرى بومبيدو مقابلةً تحدث فيها عن الشعور بالإثارة والمقت اللذان ولدا فيه المقاومة. أكان الوقت حينها غير مناسب لإسدال الستار على فترة لم تقتصر العلاقة بين الفرنسيين فيها على كراهية بعضهم البعض، بل وصل الأمر إلى أن قتلوا بعضهم بعضًا؟ في الواقع، كان الستار لا يزال مفتوحًا على تلك الفترة، وهو ما شكَّل مصدرًا لعدم الراحة. مات بومبيدو عام 1974؛ وكان الرئيس الجديد، فاليري جيسكار ديستان، من جيل جديد، وتمتع بـ استقلال كبير. لم يكن ديستان عضوًا في المقاومة، ولكنه كان قد انضم إلى الجيش الفرنسي الأول وهو في الثامنة عشر من عمره في أواخر عام 1944، بسبب غزو ألمانيا، وهي البلد التي ولد فيها (كان والده موظفًا مدنيًا أثناء الاحتلال الفرنسي لرايلاند).

كما أن أحد أجداده كان عضوًا في المجلس الوطني لفيشي. وبعد ثلاثين عامًا من عام 1945 أنزل "يوم النصر في أوروبا" من مرتبة الأجازة الحكومية التي كان موضوعًا فيها سابقًا. وربما كان السبب وراء هذا مجرد اتخاذ خطوة للمساعدة في تعزيز المصالحة الفرنسية-الألمانية، وربما كان غير ذلك. وظلت ملائمة ماضي فرنسا بصورةٍ ترضي جميع الفرنسيين أمرًا معقدًا.

## ألمانيا: حسن الجوار؟!

كانت ألمانيا حسبما أعلن محامو الحكومة في بون عام 1965 لا تزال كيانًا قانونيًا، وكانت الجمهورية الاتحادية خليفة الرايخ الألماني. وكانت أي دولة (باستثناء الاتحاد السوفيتي بطبيعة الحال، كما تجلى فيما بعد) تعترف بدولة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ترتكب عملاً غير ودي. وكان من الممكن أن يؤدي اعترافٌ كهذا إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع بون. وبالتالي، كان لدول التكتل السوفيتي سفارات في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ولكن لم تكن لهم سفارات في جمهورية ألمانيا الاتحادية (كالمعتاد، نجحت رومانيا عام 1967 في أن تكون استثناءً عن القاعدة). ومع ذلك في عام 1975، في هلسنكي، جلس كل من هيلموت شيميت - الذي يتولى حاليًا منصب المستشار الديمقراطي الاشتراكي الجديد لألمانيا - وإيريش هونيكر- من جمهورية ألمانيا

الديمقراطية- جنبًا إلى جنب أثناء توقيعهما مواثيق هلسنكي. ولم يكن مثل هذا المشهد ليخطر على بال أحد قبل عقد من ذلك. وكانت مسألة امتلاك ألمانيا الشغل الشاغل، على الرغم من أنها كانت موجودة قبل فترةٍ طويلة قبل عام 1954. وكان ماضي ألمانيا يعج بالانقسامات والتعددية؛ لدرجة أن فكرة وجود ألمانيا متحدة ربما كان نشازًا تاريخيًا عن هذا السياق. وإذا كان الأمر كذلك، ربما يكون وجود دولتين منفصلتين أمرًا ممكن التصور، حتى وإن كانتا دولتين غير أجنبيتين عن بعضهما البعض. وكان التفكير في وجود سياسة شرق جديدة متماشيًا مع المزاج المحلي الذي كان راغبًا في التغيير. وفي برلين وغيرها من الجمهورية الفيدرالية – كما هو الحال في باريس- هاجمت تظاهرات الشباب في الجامعات والشوارع البنى المتحجرة والفاشية اليومية. وفي إبريل عام 1968، أضرمت جوردون إنسلين وأندريس بادار النار في متجر في فرانكفورت بألمانيا. وقد لقبا مثل تلك المتاجر بوكالات إرهاب المستهلك. وبهذا بات من الممكن تقديم الهجمات التي استهدفت شخصيات حكومية وقيادات القطاع الصناعي، ومصرفيين، ومنشآت عسكرية أمريكية- والتي تصاعدت فما بعد على يد جماعة الجيش الأحمر- باعتبارها نوعًا من مكافحة الإرهاب. بدا بعض الشباب مصرًا- في غضبته الأخلاقية- على فضح إخفاقات الماضي السياسية التي سقط فيها آباؤهم. وقد قدمت حركة معارضة من خارج البرلمان عالمًا بديلاً: عالمٌ كان الرئيس ماو سيشعر فيه بوضوح أنه في بيته.

وكان هذا المناخ هو الأجزاء التي اعتبرت فيه الحكومة الائتلافية للحزب الديمقراطي الاشتراكي/ الديمقراطيين الأحرار بعد انتخابات عام 1969، والتي تولى فيها فيلي براندت باعتباره أول مستشار ديمقراطي اشتراكي، تغيرًا بارزًا في وجه الجمهورية الفيدرالية التي كانت مشكَّلة حتى ذلك الوقت بواسطة حكومات ألمانيا الديمقراطية المسيحية. ومنذ عام 1966، تولى براندت منصب نائب المستشار ووزير الخارجية في الائتلاف الذي رأسه المسيحي الديمقراطي كورت غيورغ كيزينغر. وكان كيزنجر- الذي قضى فترة الحرب في ألمانيا، مثل سلفه إيرهارد، عضوًا في الحزب النازي، وهو الأمر الذي لم يسمح له خصومه أن ينساه أبدًا. وقبل ذلك التاريخ بعشرة أعوام، في بادجودسبرج،

كان الديمقراطيون الاشتراكيون قد قرروا أنهم حزب الشعب بأكمله، وليس حزب الطبقة العاملة فقط. ولم تكن الماركسية في ذلك الوقت مرفوضةً بقدر ما كانت محل تجاهل. بعبارةٍ أخرى، كان الساسة الطامحين غير جاهزين لقبول وجود معارضة دائمة- وهو ما كان يمكن بشدة أن يكون مصيرهم.

وعلى هذا، عند هذه النقطة المفصلية، كما حدث، في كل من بون وبرلين الشرقية، كان ثمة رجال يديرون دفة الأمور ممن كانوا قد سُجنوا في ألمانيا بين عامي 1933 و1945 أو ممكن كانوا قد عاشوا خارج البلاد. فبرانديت مثلاً كان قد غادر ألمانيا عام 1933 متجهًا إلى النرويج، حيث اتخذ لنفسه اسمًا نرويجيًا وحصل على مواطنة نرويجية، وعاد إلى برلين بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستأنف مواطنته الألمانية عام 1947. ولم يكن هذا الماضي إلا ليشكِّل عبئًا على الحاضر؛ فهو قد ولد في لوبيك: المدينة التي باتت تتاخم بصورة مباشرة جمهورية ألمانيا الديمقراطية. وأثناء توليه منصب عمدة برلين الغربية (1957-66) كان واقفًا في الخطوط الأمامية بعيدًا عن بون الغربية والسعي الحثيث للحكومة هناك نحو إنشاء ألمانيا تتسم بالطابع الغربي. كانت جمهورية ألمانيا الديمقراطية تحيطه من كل جانب في برلين. وهناك كان فالتر أولبريشت- المهندس المنتمي لحزب الوحدة الاشتراكي- ممسكًا بزمام الأمور. وقد وُلد في لايبزيغ، وانتخب في ويست فيليا (التي باتت في جهورية ألمانيا الاتحادية) ليصبح عضوًا في الرايخستاغ عام 1928 باعتباره شيوعيًا. ويكبر ألبريشت برانديت بعشرة أعوام، وكان قد عاش في باريس وبراغ من عام 1933 وحتى عام 1937. وبعد ذلك انتقل إلى الاتحاد السوفيتي وعاد إلى ألمانيا بعد الحرب. وإبان الحرب الأهلية كان قد قضى بعض الوقت في أسبانيا بحثًا عن بعض الرفاق ممن يمكن أن يُطلق عليهم تروتسكيّين أو مهرطقين من أي نوع آخر، والترتيب للتخلص منهم. وكانت ثمة حاجة إلى أن يتم تحجيم حزب العمال للتوحيد المشترك. وفي ذلك الوقت كان ثمة من يُسمى بـ "فيلي برانديت" يعمل صحفيًا في أسبانيا. انتهت فترة هيمنة ألبرشيت عام 1971، عندما أزاحه عن الأمانة العامة للحزب لصالح إريش هونيكر (بدعم من الاتحاد السوفيتي). وفي أغسطس من عام 1970، في محادثة مع ليونيد بريجنيف،

عبر هونيكر عن رأيه بأنه في واقع الأمر هناك دولتين ألمانيتين: إحداهما هي جمهورية ألمانيا الديمقراطية الاشتراكية وجمهورية ألمانيا الاتحادية الرأسمالية. ولم يكن في الأفق أن دولة ألمانيا متحدة تتبع الاشتراكية ستبزغ. تعود أصول هونيكر إلى ألمانيا الغربية (فقد كان ينحدر من سارلاند). وكان قد قبع في سجون النازية لعشر سنوات بعد عام 1935. وفي سعي منه لإعادة التفكير في المسألة الألمانية في هذه المرحلة، اجتمعت أجزاء ماضيه الشخصي، وطبيعة الاشتراكية والديمقراطية بالإضافة إلى الأحجية التي كانت تُسمى ألمانيا مع بعضها البعض.

وفي ديسمبر من عام 1970، ومضت صورة درامي في جميع أنحاء العالم. وقد ظهر في الصورة فيلي براندبت جاثيًا أمام نُصُب تذكاري في وارسو المنصوب ليخلد ذكرى أبطال جيتو وارسو. كانت بولندا توقع على اتفاقية اعترفت بموجبها جمهورية ألمانيا الاتحادية بحدود الدولة مع بولندا في الغرب باعتبارها خط أودر-نايسه. ومع ذلك، كان البت في هذا الأمر مقتصرًا، نظريًا على الأقل، من الناحية القانونية على حكومة جميع التراب الألماني في مؤتمر سلام. وعلى الجانب البولندي، جاءت المبادرة من جومولوكا الذي كان على وشك أن يتم عزله (على الرغم من أن إبرامها لم يسبب رحيله). وكان حضور براندبت، وانحناءه أمام النُصُب التذكاري كعلامة للتكفير عن الذنب، واحدًا من أكثر المظاهر العامة شيوعًا للتعبير عن التغيير عبر التقارب، وهي المعادلة التي احتضنت سياسته الشرقية منذ البداية. وقد شهدت اجتماعات في شهري مارس ومايو، في ألمانيا الشرقية والغربية، على الترتيب (إرفورت وكاسل) بين براندبت ورئيس وزراء جمهورية ألمانيا الديمقراطية فيلي شتوف. بيد أن الاعتراف بخط أوردر-ناسيه لا يزال مصدر إزعاج لبعض الجماعات المنبوذة في جمهورية ألمانيا الاتحادية. وكانت تلك المنظمات قد ردعت الحكومات الديمقراطية المسيحية عن تناول القضية، بيد أن براندبت أدرك أنه لن يكون من الممكن تحقيق أي تقدم دون تقديم هذا الاعتراف. وكانت الاتفاقية مع بولندا قد سبقها- في شهر أغسطس- الاتفاقية المهمة مع الاتحاد السوفيتي التي تحدثت عن الحاجة إلى تهدئة أجواء التوتر ونبذ التهديد بالقوة أو استخدامها. أما فيما يخص سلامة الأراضي،

أشارت الاتفاقية تحديدًا إلى خط أوردر نايسه والحدود بين ألمانيا الشرقية والغربية.

ولم يكن ثمة مناص من أن تُجرى تلك المفاوضات الأوربية الداخلية دون أن يكون ماضي المنطقة مثقلاً لكواهل المشاركين. ولكن، يمكن أن يكون من الخطأ أن ننظر إلى تبعات الأحداث في هذا السياق حصريًا. فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي- بسبب انشغالهما في أماكن أخرى- ترغبان في رؤية حالة من الهدوء في أوروبا. ولو كان الأمر بخلاف ذلك، فلن يكون من الممكن تحقيق المزيد من ذلك. وفي مارس عام 1970، بدأت قوى الاحتلال الأربعة في برلين مناقشات حول مستقبل المدينة، انتهت – بشرط المصادقة- في سبتمبر 1971. وقد أكدت الاتفاقية على الحقوق الكائنة لتلك القوى. وتقرر أن يشرف الاتحاد السوفيتي على طرق المرور عبر ألمانيا الشرقية وأن يضمن أنها خالية من العراقيل. كما ذُكر أيضًا بنفس الوضوح الذي طالما كان حاضرًا عمليًا- أن ألمانيا الغربية ليست جزءًا مقوِّمًا من جمهورية ألمانيا الاتحادية ولا من جمهورية ألمانيا الديمقراطية. ومع ذلك، قبلت موسكو أن يسافروا مواطنو ألمانيا الغربية إلى الخارج بجوازات سفر تابعة لألمانيا الاتحادية، مع احترام الروابط القائمة.

ونشب الجدال حول المعاهدات الشرقية في البوندستاج في 22 مارس 1972. وكان الانقسام الأساسي في الخطابات التي ألقيت بشأن هذه المناسبة بين أولئك الذين اعتبروا الرايخ الثاني، اعتبارًا من عام 1937 باعتبارها ألمانيا وأولئك الذين لم يعتبروها كذلك مع وجود صور أخرى لهذا الانقسام. أجرى الائتلاف التصويت. وكان الطريق حينها مفتوحًا لعقد مفاوضات مباشرة وصعبة بين بون وألمانيا الشرقية. وفي ظل الاتفاقية الناتجة، التي وقعت في 21 ديسمبر 1972، اعترفت كلا الألمانيتين بالأخرى، وتبادلتا الممثلين الدبلوماسيين ودخلتا الأمم المتحدة. وأكدتا على قداسة الحدود القائمة بينهما وعلى رغبتهما في إرساء "علاقات حسن الجوار" مع بعضهما البعض. وبعد قبول أن كل دولة ليست لها ولاية قضائية أبعد من محيط أرضها، تخلت جمهورية ألمانيا الفيدرالية عن إدعاءها القوي في ذلك الوقت بأنها تمثل الشعب الألماني بأكمله. وأرجأت المسألة القومية فعليًا حينها.

اكتملت العملية في ديسمبر 1973 عند إبرام معاهدة بين جمهورية ألمانيا الاتحادية والتشيكوسلوفاكيا. بدت اتفاقية ميونخ لعام 1938 كبيرةً في المفاوضات المطولة التي أدت إلى المعاهدة. هل أصبحت ببساطة ممجوجةً بمرور الوقت، أم أنها كانت- منذ البدء- غير صالحة؟ أيًا ما كان، في نهاية المطاف بطريقة أو بأخرى، مع إدراك كافة التداعيات القانونية، تم التوصل إلى صياغة للكلمات يمكن لكلتا الحكومتين أن تقبلها. ويعد توقيعها علامةً على نهاية سنوات قلائل من الدبلوماسية. ويعود الفضل في هذا الإنجاز إلى برانديت على الرغم من أنه استقال من منصبه عام 1974 عند اكتشاف أن رمزًا مهمًا في بطانته كان عميلاً لألمانيا الشرقية. ومع الأخذ في الاعتبار العملية بأسرها، عادةً ما ينتهي المعلقون إلى أنه قد تم التوصل إلى تسوية بشأنها: ألمانياتان عالمان. ومضت أوروبا قدمًا، في هلسنكي، على هذا الأساس.

**بريطانيا: الهيمنة داخل الوطن؟**

لم تكن الحكومات البريطانية لتشعر بالسعادة من تكتلها – من المنظور الأمريكي أو أي منظور خارجي- داخل أوروبا الغربية، بيد أن الجغرافيا هي ما أملت على بلادها هذا الأمر. وقد احتفظت بريطانيا بحالتها باعتبارها عضوًا دائمًا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وكان لديها رادع نووي. ولم تكن حكومة بريطانيا عازمة على نزع السلاح من جانب واحد. وقد أعطى الإنجليز – كما يعرف الأمريكيون جيدًا- وزنًا للعلاقة الخاصة. كان هذا غريبًا إلى حد ما. فقد أشار كيسنجر- قبيل أول زيارة رسمية للرئيس الأمريكي إلى لندن في فبراير 1969- إلى أن الحل ليس في عدم تشجيع علاقة دافئة ولكن في رفع دول أخرى إلى حالة مشابهة. وكان الطريقة التي أبدى بها رئيس الوزراء البريطاني حميمة "عالم الأطلسي" هي دعوة نيكسون إلى حضور اجتماع لمجلس الوزراء. وهي دعوة لم يتلاقها من كانوا يعدون غرباء بالفعل عن الوطن- أي مسئولو الدول الأوروبية الأخرى. وكان هارولد ويلسون – الذي يقرب لنيكسون عمرًا- يتولى منصبه منذ عام 1964. ومنذ أيام الشباب التي قضاها موظفًا مدنيًا إبان الحرب، كان يكثر الزيارة للولايات المتحدة الأمريكية. ولم يكن هارولد "أوروبيًا" بالسليقة. عانت الحكومة من مشكلات اقتصادية

وصناعية. وفي نوفمبر من عام 1967، أقدمت على خفض قيمة الجنيه الإسترليني. ولم تجتاز "روح عام 68" البلاد بصورة كاملة- على الرغم من أن لندن لم تكن باريس أو برلين. وقد وصل الجيل الجديد المنتفض إلى المسامع. البعض يقول أن الدور الإنجليزي في العالم قد انتهى الآن. فقد كان خفض قيمة العملة أكثر من مجرد كونه أمرٌ اقتصادي. فربما كان يرمز إلى خسارة البلاد لمكانتها العالمية. ولم يتسنى لنيكسون أن يجد أحدًا في بريطانيا يمنحه دعمًا عسكريًا في جنوب شرق آسيا. ومنذ تولى منصبه كانت هناك العديد من المنعطفات والمنحنيات في تقييمات وزارة الدفاع في حكومة حزب العمال. وبدت مسوِّغات الحضور العسكري البريطاني البعيدة وكأنها تتلاشي. وكان الموظفون المدنيون يظنون أنهم رأوا عالم جديد ينبثق في حين كان كل المسارات الاستعمارية أو شبه الاستعمارية تقريبًا تُزال بسرعة. ومع ذلك، لم يكن من السهل على قاطني قصر الوايت هول ولا على البلاد بأسرها أن تتعامل مع تكأة الماضي السحيق؛ وانكشفت أمور كانت محل حساسية. إلى أي عالم انتمت بريطانيا؟ ففي عام 1968 اتخذ قرار بسحب الوجود العسكري من شرق السوي" بحلول عام 1971، باستثناء هونج كونج. ولم يكن لحكومة تالية أن ترجع هذا القرار. فانسحبت القوات البحرية الملكية من موانئ كانت تشغلها لعقود عدة، كما كان الحال في مالطا. رفض رئيس الوزراء ويلسون أن يدين علنًا السياسة الأمريكية في فيتنام، على الرغم من الضغط الذي تعرض له من جانب قطاع عريض في حزبه؛ بيد أنه رفض أيضًا إرسال قوات بريطانية لدعم القوات الأمريكية هناك. وظن البعض أنه كان هناك عنصر من قبيل رد الجميل عن الأفعال الأمريكية في عام 1956. وذهبت الجهود التي بذلها نيلسون- عبر الكومنولث- لتيسير تحقيق السلام في فيتنام أدراج الرياح. وقد أقر بالفعل بوجود مزاج متنامٍ من الميل إلى العزلة في بلاده عند هذه النقطة. ولم يكن هذا الأمر محل ترحيبه أو قبوله، ولكنه بدى- مؤقتًا ربما- أن بريطانيا كانت ضجِرةً من العالم. ولم يكن بوسع نيكسون أن يحوِّل هذا المد في زيارة واحدة. وكان دين راسك-وزير الخارجية الأمريكي- علمًا بارزًا في المحادثات الأنجلو-أمريكية في ذلك الوقت؛ وقد كان قبل ثلاثين عامًا من ذاك التاريخ مبتعثًا في منحة رودس بجامعة أكسفورد، وتخرج عام 1934. وكان بوسعه أن يستشعر في هذه النقطة إلى أي مدى بات "العالم الإنجليزي" نائيًا عما كان يعرفه سلفًا.

ولم يكن تعزيز شراكة بريطانية-أمريكية عالمية على جدول أعمال إدوارد هيث حين أصبح رئيس وزراء محافظ عام 1970. ومع أنه كان في نفس عمر ويلسون، وكان مثله أيضًا طالبًا في جامعة أكسفورد يردس السياسة والفلسفة والاقتصاد، كانت حرب هيث مختلفةً تمامًا عن سلفه؛ وقد قادته في خاتمة المطاف إلى ألمانيا كجندي. وقد أدى تفكره في تلك التجربة إلى التزام متميز وشخصي بصورة قوية تجاه تحقيق مستقبل أوروبي للمملكة المتحدة. ولم يكن يمكن أن يؤدي هذا بالضرورة إلى قطع الأواصر بين لندن وواشنطن، ولا أن يعني حل الكومنولث، ولكنه قد يعني ضمنًا قبول أن بريطانيا أوروبية، بالمعنى العالمي لهذا الأمر. كان هيث قد لعب دورًا رئيسيًا في المفاوضات الفاشلة في الفترة 1961-1962؛ وكان يعرف المنطقة معرفةً حميمة. كان لزامًا على المفاوضين الإنجليز أن يخوضوا غِمار العديد من المشكلات الفنية مرةً أخرى- بدءًا من مصير سكر القصب غرب الهند إلى الزبدة النيوزيلندية. وبعد ذلك برزت مسألة موازنة المجتمع الأوروبي. بيد أن ما كان محتملاً أن يكون قاطعًا هو سلوك الرئيس الفرنسي؛ فحقيقة أنه ليس ديجول كان يمكن أن تصنع الفرق بأكلمه. فهيث لم يكن صديقًا لبومبيدو ولا حتى كانت تجمعهما معرفةٌ سابقة. وكان من صور المسافة الغريبة التي تفصل الجارتين أنهما ربما لم يكونا قد التقيا إلا لمرة واحدة- في جناز ديجول. لم يكن بومبيدو يسير على نهج ديجول ولا يطمح إلى تنفيذ محاولاتها التي ترمي إلى إظهار فرنسا بمظهر الصوت العالمي المستقل (أو أن يعطي أوروبا - تحت إشراف فرنسي- صوتها المستقل). ومع ذلك، لم يصم آذانه عما ورد من إشارات بأن الإنجليز لن يلعبوا في واقع الأمر بموجب القواعد التي صيغت بدهاءٍ شديد تحت أعين الفرنسيين. أثار زملاؤه شكوكًا بأن الأمريكيين كانوا يختبئون تحت العباءة الإنجليزية. كان ثمة خوف أيضًا من أن تحل اللغة الإنجليزية محل اللغة الفرنسية في عمل المجتمع الأوروبي. كانت هذه المسألة تتسم بالحساسية، لأن مدى وصول لغتها إلى ما هو أبعد من فرنسا (وبالطبع إلى مدى لا يقتصر على أوروبا) كان مقياسًا لمركزها العالمي. ولم يكن الساسة الإنجليز الآخرين مقنعين في إيصال التطمينات بشأن تلك الأمور. ولكن هيث كان مقنعًا، لأنه قال ما يعتقده بصدق. واقتنع بومبيدو. وتم تحديد تاريخ 1 يناير 1973 لدخول بريطانيا إلى المجتمع الأوروبي.

أما في بريطانيا، كشف حالات الجدل التي سادت البرلمان والصحافة والبلاد بصورة عامة منذ عام 1971 فصاعدًا، كما كان سابقًا، خليطًا من الحماس والعداء والشك والجهل. هل كان الانضمام إلى المجتمع الأوروبي محض مسألة اقتصادية- تعتمد على وزن المزايا والمثالب المالية- أم أن من شأنه تقويض السيادة الوطنية والانتهاء إلى خلق أوروبا فيدرالية؟ وقد أملى التاريخ على البعض أن يفكر بطريقة تفضي إلى أن بريطانيا من شأنها الآن أن تقود أوروبا؛ في حين ظن آخرون أن بريطانيا في طريقها لتواجه مصيرها المحتوم بأن تصبح مقاطعة في هذا التكتل الجشع- ألم يكن هناك حديث عن الاتحاد الاقتصادي والمالي بحلول عام 1980؟ ووضعت مسألة العضوية أمام الناخبين في المملكة المتحدة في يونيو 1975. ومن بين الأصوات المدنية التي تم الإدلاء بها، صوتت نسبة 67.2٪ بـ "نعم"، وهو ما يبلغ 43٪ من الناخبين المسجلين- في حين صوتت نسبة 32.8٪ بـ "لا". بدت النتيجة قاطعة، ولكنَّ كان هذا الأمر خادعًا. كان الأمر جزئيًا يعود إلى أن حكومة حزب العمل الجديد- التي انتخبت عام 1974 مشغولة بعملية إعادة تفاوض، والأكثر من ذلك هي أن اللغة المستخدمة في حملة الاستفتاء أخفت بعض المسائل الأساسية حول المستقبل. وقد ثبت أن القضية برمتها – من الناحية السياسية الحزبية- صعبة التناول. واختارت الحملة المؤيدة للانضمام لنفسها عنوان "بريطانيا جزء من أوروبا". وحتى مع دخول الدنمارك وأيرلندا في نفس الوقت، بالكاد شكل المجتمع الذي انضمت المملكة المتحدة إليه أوروبا. وكانت المزيد من الانضمامات تلوح في الأفق في المستقبل، ولكن كما كانت الأمور تتبدى، لم تكن أوروبا هذه التي تحدثوا عنها إلا مقطع، وإن كان مقطع مهمًا جدًا من أوروبا الغربية.

## وثيقة هلسنكي النهائية، 1975

وبعد شهرين من نتيجة الاستفتاء في بريطانيا، اجتمع رؤساء الدول والحكومات من جميع أنحاء أوروبا في فنلندا. وكان وجودهم مجتمعين بصورة فريدة إنجازًا دبلوماسيًا جوهريًا. فقد كان الأمر قد استغرق سنين لينسجوا سويًا اتفاقًا مقبولاً، ولكن تم الوصول

إلى نوع من السلام لمدة ثلاثين عام بدءًا من 1945 فصاعدًا. فقد وقعت خمسة وثلاثون دولة ما يُشار إليه بـ الوثيقة النهائية. وقد وقعت جميع الدول الأوروبية على تلك الوثيقة أيضًا، باستثناء أندورا وألبانيا. وانضمت إلى تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وكندا. ولم يكن قد سبق لـ أوروبا والقوى العظمى الخارجية – المنخرطة في الشأن الأوروبي- الوصول إلى مثل هذا الاتفاق من قبل. وأصبح الاتفاق معروفًا بصورة عامة أكثر بـ "مواثيق هلسنكي". كان ثمة رمزية في مكان المؤتمر؛ فقد سوقت عاصمت فنلندا لنفسها باعتبارها المدينة التي التقت فيها الثقافات من شرق أوروبا وغربها. ولدواعي الرمزية أيضًا، كانت لها كاتدرائيتين، لوثرية وأرثوذكسية، تمتدان في أفقها. وكان للمدينة ثلاثة جيران: ستوكهولوم، ولينينغراد/ سانت بطرسبرج، وتالين. أشارت ستوكهولم إلى ماضٍ كانت فنلندا فيه جزءًا من السويد التي باتت محايدة. أما سانت بطرسبرج فأشارت إلى ماضي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين باعتبارها أكبر جراند دوقية روسية؛ في حين لم تكن لينينغراد إلا تذكرة بالقرب الحاضر من الاتحاد السوفيتي وبخسارة فنلندا لمنطقة كاريليا الكبيرة. وأشارت تالين إلى الرابط الثقافي/ اللغوي مع إستونيا، وهي دولة كفنلندا نفسها حصلت على استقلالها في 1919 ولكنها فقدت هذا الاستقلال في ظل الاحتلال السوفيتي عام 1939. وقد أرغم التاريخ والجغرافي فنلندا على أن تبسط يد العون. وكانت فنلندا تتحدث لغتين؛ وعانت من حرب أهلية في فترة ما بعد الاستقلال ظلت حيَّة في الذاكرة، كما عانت من حربين مريرتين، 1939-1941، مع الاتحاد السوفيتي. وفي فترة ما بعد 1945، نجح الساسة في هلسنكي في التفاوض مع الاتحاد السوفيتي بصورة أفضت إلى حصول فنلندا على استقلالها داخل إطار عمل من الحياد. وقد تطلبت التداعيات الدقيقة لهذه الحالة التوخي المباشر للحذر على الصعيدين الداخلي والخارجي. يممت فنلندا وجهها جهة الغرب ولكنها لم تكن في الغرب. ومن أن لآخر، كان يجري التفكير في "إضفاء الصبغة الفنلندية" لتقديم حلول في أماكن أخرى في أوروبا بل وحتى فيما هو أبعد منها. وكان العقل المدبر لهذه الدبلوماسية هو أورهو كيكونين، رئيسها (والذي لم يكن بأي حال من الأحوال مجرد منصب شرفي).

وفي عام 1975، كان أورهو على مشارف عامه العشرين في منصبه. ولم يكن موقع ولا شخص أفضل من ذلك لتنسيق التعاون الأوروبي.

ونصت الاتفاقية على عشرة مبادئ: المساواة في السيادة بين جميع الدول؛ رفض استخدام القوة أو التهديد بها؛ قداسة الحدود؛ سلامة أراضي الدول؛ التسوية السلمية للنزاعات؛ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى؛ احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، بما في ذلك حرية التفكير والاعتقاد والحرية الدينية وحرية المعتقدات الأخرى؛ تساوي الحقوق وحق الشعوب في تقرير مصيرها؛ التعاون بين الدول؛ الوفاء بحسن نية للالتزامات بموجب القانون الدولي. وقد صحب هذه "الوصايا العشرة" المزيد من الأقسام التي كان الهدف منها تعزيز الثقة وتضمنت تلك الأقسام تبادل المعلومات العسكرية، وإبرام اتفاقيات تجارية، وزيادة التواصل الثقافي والتعليمي. كان من المزمع مراجعة كيفية سير جميع تلك الأمور عمليًا في مؤتمر آخر كان محددًا ليتم عقده في بلغراد عام 1977. لم يكن تقدم المفاوضات أمرًا مثيرًا للدهشة؛ ولكن ما كان مدعاة للدهشة فعلاً هو أنها قد تكللت بالنجاح في نهاية المطاف في ظل أجواء من الشك حول نجاح تنفيذ ما تم التوصل إليه مستقبلاً. كانت ردود الأفعال متباينة بين الموقعين على اختلافهم. ففي كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كان هناك مشككون؛ وفي الأخيرة، أكد برجنيف لرفاقه أن حدود أوروبا لفترة ما بعد عام 1945 قد وصلت إلى صورتها النهائية (على الرغم من أن لم يكن ثمة اعتراف رسمي بدمج دول البلطيق في الاتحاد السوفيتي ولم يكن هناك ثمة اتفاق بأن الحدود غير قابلة للتغيير). كان بعض رفاقه غير معجبين بشروط التبادل الثقافي؛ وكان بوسعهم بسهولة أن يساووا بين هذا وبين التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى وهو أمرٌ تم استبعاده تحديدًا بموجب الاتفاقية. صحيح أن الاتحاد السوفيتي احتفظ بحقه في اتخاذ قرار بشأن مثل هذه الأمور، ولكن ربما يكون المارد كان قد خرج من القمقم. أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان العكس تمامًا هو الصحيح. لم يكن النقاد معجبين بالحد الذي أجازت به الوثيقة النهائية الوضع القائم في أوروبا الشرقية واستبعاد إطلاق سراح الأسرى. واعتقدوا أنه في مقابل الاعتراف بحدود الدول، كان

لِزامًا أن تكون شروط التبادل الثقافي أكثر توسعًا. اتهم فورد بأنه مفرِّط. ربما كان المستقبل يتسم بعدم اليقين، ولكن أوروبا كانت تطلعت إلى الاقتراب بأقصى صورة ممكنة من تسوية سلام رسمي. وكان ما تم التوصل إليه هو ما كان حماة أوروبا الخارجين جاهزين للتعايش معه. وبهذا المعنى، قلبت أوروبا الصفحة. بدا الأمر تسويةً تستند إلى "واقعية" مستقرة، وليس مجرد توقعات طوباوية عديمة الجدوى.

# 16

## الروابط المتداخلة: عالمٌ متوسطي

سعت أوروبا والشرق الأوسط، ناهيك عن أفريقيا وآسيا الغربية، إلى إلصاق نفسها بما يُسمى عالم متوسطي ممتد، وهو العالم الذي يمتد بدوره حتى الخليج. وقد حث أحد وزراء الخارجية الجزائريين في أواخر سبعينيات القرن العشرين العالم على أن ينظر إلى الجزائريين باعتبارهم شعبًا متوسطيًا في سياق عربي، بدلاً من النظر إليهم باعتبارهم شعبًا عربيًا. وعلى نحوٍ بديل، من الممكن أنه قد كان مستعدًا للقول أن الجزائريين كانوا شعبًا عربيًا، ولكن في سياق متوسطي. وربما كان الغالب هو وجود اختلاف بشأن ما ينبغي التأكيد عليه، ولكن على أية حال، كانت ثمة حقيقة كامنة خلف كل هذا؛ وهي وجود ازدواجية، سواءً تم التعبير عنها صراحةً أم لا. وكانت تلك الازدواجية موجودة أيضًا- ولكن بعناصر مختلفة، في مدن تونس، وطرابلس، والإسكندرية، وبيروت. كما لم يكن شعب شمال المتوسط الذي يعيش في نيقوسيا أو إزمير، أثينا أو فاليتا دون إزدواجية، بل زاد تعقيد الإزدواجية هناك في حالة الجزر استمرار عضويتها في الكومونويلث، والحضور الأساسي المستمر للغة الإنجليزي وللإنجليز، سواءً ممن يعيشون كمقيمين أو من يزورون المكان كسائحين. وكان المثال على ذلك جزيرة مالطا. عاد دوم منتوف الذي تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد- والذي كانت له جهود متحمسة لم تتكلل بالنجاح عن اندماج الجزيرة

مع المملكة المتحدة- إلى منصبه كرئيس للوزراء عام 1971. وكانت مالطا قبل ذلك مستقلة منذ عام 1964 مع بقاء ملكة بريطانيا على رأس الدولة فيها. تحوَّل اتجاه منتوف عند هذه النقطة إلى اتجاه آخر. أصبحت الجزيرة جمهورية (على الرغم من بقاءها داخل الكومونويلث) وفي سعيه إلى استخلاص ما وسعه استخلاصه من الناتو ليستخدمه في المنشآت البحرية للجزيرة، كانت له تطلعات متزايدة عبر البحر المتوسط. وقدَّم نفسه في صورة شديدة الاختلاف أثناء مؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في الجزائر العاصمة. وبالضرورة، جعل موقع مالطا الجغرافيا منها في حالة "الما بين"، ولكن الدهاء السياسي بدا في ذلك الحين وكأنها تحاول تحويل الجغرافيا إلى سياسة. وكان للشرق الأوسط/ شمال أفريقيا/ أوروبا الجنوبية/ آسيا الصغرى بالفعل روابطها الخارجية الخاصة المميزة في أماكن أخرى، بيد أن أحداثًا أخرى أشارت- على الرغم من تميزها- إلى أنها ستكون منطقة مفككة، على الرغم من أنها ستكون لها تناقضاتها العميقة. و تلك المناطق مغبشة باعتبارها عوالم مختلفة، متداخلة ومتقاطعة.

## العوالم العربية

لم يكن جوهر العالم العربي ومحيطه بيِّنة (وكانت بالطبع جزئيًا فقط "متوسطية"). وكان مدى اشتراك سكان مناطق مثل الخرطوم والكويت وتونس والجزائر العاصمة وعدن وبغداد وطرابلس والرباط ودمشق والرباط في المنظور أمرًا محل شك. فقد كان لكل منطقة، وكذلك كل بلد فرديتها الخاصة. ونظر العالم الخارجي إلى العالم العربي باعتباره عالمًا يحيطه غموض عصيٌّ على المعالجة تعايشت فيه دعائم التضامن مع التنافس الحاد والصراع الداخلي. وعلى الرغم من ذلك، ربما لم يكن شديد الاختلاف في تنوعه عن أوروبا التي أتى ذكرها في الفصل السابق. بيد أن أوروبا الغربية لم يكن لها لغة مشتركة مثل العربية (على اختلاف لهجاتها) التي تمتع بها العالم العربي. وفي ظل سياق اجتماعي كان يُفترض بقدرٍ كبير أنهم يتعلمن، كانت الخصومة الكاثوليكية/ البروتاستنتية الأوروبية قد ضعفت بقدر كبير، بيد أن الخصومة السنية الشيعية في الشرق الأوسط بدت في تصاعد. ولم يكن العالم العربي- بعيدًا تمامًا عن وجود أقلياته المسيحية المستمرة- بالطبع مرادفًا للـ

عالم الإسلامي. وبطبيعة الحال كانت الدولتان اللتان احتوتا أكبر عددٍ من مسلمي العالم- أي إندونيسيا وباكستان- غير عربيتين. ومع ذلك، وبسبب أهميه مكة وغيرها من المواقع في شبه الجزيرة العربية وبسبب السلطة المركزية للنص العربي القرآني حدد العالم العربي إلى حدٍ ما الإسلام.

ومع ذلك، عند هذه النقطة انتهت السيطرة الأوروبية المباشرة. فقد غادرت القوات الإنجليزية عدن في ديسمبر 1967. لم يكن هذا ما سيحدث لاحقًا بشأن الهيكل الفيدرالي في جنوب غرب الجزيرة العربية. وقد كان إنهاء الإنجليز لدورهم الحامي للخليج مباشرًا- مع استقلال البحرين وقطر وتشكيل الإمارات العربية المتحدة (أبوظبي، الشارقة، وعجمان، وأم القوامين، والفجيرا)، جميعًا عام 1971- بيد أنه كان لا يزال من غير المؤكد ما إذا كان هذا العالم الخليجي سيصمد أمام الظروف. وعلى ذلك، من الناحية النظرية، كان الشرق الأوسط العربي بعد طول انتظار، قد وصل إلى تسوية باستثناء أن بديهيات الأمور كانت لا تزال محل إشكال. فلم يكن سوى دولة واحدة فقط هي ما أطلقت على نفسها اسم الجمهورية العربية المتحدة، وهي مصر حتى عام 1971. وكان هذا اللقب هو التركة المتبقية للمحاولة الفاشلة لخلق وحدة مصرية/ سورية فعَّالة. بل ذهبت إمكانية إنشاء دولة عربية واحدة تمتد إلى نهري دجلة والفرات إلى مذهب أبعد من ذلك. وفي عام 1962، أرسل جمال عبدالناصر قوات مصرية للمحاربة في اليمن لدعم النظام الجمهوري الجديد. وكان هذا الأمر مصدر استنزاف مالي لمصر؛ فقد مكثت القوات هناك لخمسة أعوام دون أن تحرز نجاحًا عسكريًا واضحًا في أرض وعِرة تعج بالعداوات القبلية والطائفية. وقد دعمت السعودية الجانب الملكي بالمال والسلاح (فقد كانت هناك شكوك ترقى إلى مرحلة اليقين لدى الرياض بأن ناصر يسعى إلى بسط النفوذ المصري على جميع أنحاء الجزيرة العربية). وذهبت كل الجهود المبذولة للوصول إلى تسوية بالتفاوض أدراج الرياح. وعلى مستوى آخر، لم يكن في دمشق ولا في بغداد أي ذرة حماس لقبول قيادة ناصر. وأقل ما يمكن أن يُقال في هذا الصدد، أن الوحدة العربية كانت محيِّرة.

وكان الأمل ضئيلاً في أن يشهد "العالم العربي" انعقاد أي مؤتمر يمكن مقارنته

بالروح الجماعية الشمالية التي أسفرت عنها اتفاقيات هلسنكي. وكثيرًا ما كشف الصحفيون أنه كان نقطة ساخنة دائمة. وأصبح مرادفًا في أذهانهم للـ "نفط" ليس لأنه كان موردًا منتشرًا بجميع الأحوال بصورة متساوية في جميع دول الشرق الأوسط، وهو الأمر الذي كان في حد ذاته مصدرًا دائمًا للتوتر. وكانت السعودية قد أصبحت أكبر مستغل للنفط في العالم و، في هذه الفترة، امتلكت ما يقرب من ربع احتياطات النفط الثابت للعالم. وبدل إكتشاف وجود النفط في الخليج وأماكن أخرى أساس الاقتصاديات بصورة جذرية وسريعة، كما بدلت في ذات الوقت العلاقات المحلية وتوازنات القوى الراسخة. وقد أمدت الموارد الغزيرة للشرق الأوسط، التي عززتها الاكتشافات الجديدة، أوروبا الغربية واليابان وعلى نحو متزايد، الولايات المتحدة الأمريكية. وتطلع المشترون الخارجيون إلى ضمان الإمداد. ولم يكن مثار دهشة أن شروط الملكية والإنتاج قفزت إلى المقدمة. علاوةً إلى ذلك، لم تغب احتمالية استخدام النفط كسلاح سياسي عن الأذهان. وفي تلك الظروف، لم يكن ثمة جزء آخر من العالم بهذا القدر من عدم الاستقرار المزمن والعرضة إلى النزاع، نزاع جذب، كما حدث من قبل أطراف خارجية. وتشابكت القضايا الداخلية والضغوط الخارجية بشكلٍ لا يتغير.

## فلسطين: الحرب وتبعاتها، 1967

لم يكن من الممكن العثور على الوحدة في العالم العربي إلا في إتباع إستراتيجية مشتركة ضد الآخر الذي كان إسرائيل. في يناير عام 1964، بعد اجتماعه في القاهرة، كرر مجلس الجامعة العربية دعمه للشعب الفلسطيني في تحرير وطنه وتقرير مصيره. كان من السهل التعبير عن مثل هذه العواطف أما الأفعال فكانت أكثر صعوبة. ومع ذلك، كان من حصيلة ذلك منظمة التحرير الفلسطينية، التي تأسست في الأردن في مايو 1964 للتنسيق بين الفصائل الفلسطينية المختلفة. كما تم إقرار علم يحتوي على شعار لفلسطين. وبرز نجم ياسر عرفات (وهو الاسم الذي كان مشهورًا به) كرمز بارز، وإن كانت الساحة لم تخلو من المنافسين له دائمًا. ولم يكن لعرفات محل إقامة دائم؛ فقد كانت معظم تربيته في القاهرة، وكان والده من غزة وأمه من القدس. وكان قد حارب في غزة عام 1948 عاد بعدها إلى

القاهرة ليكمل دراسته للهندسة المدنية في جامعة الملك فؤاد. وبعد ذلك تجول في العالم، فقضى بعد الوقت في الكويت وأماكن أخرى. وشنت حركة فتح، التي شكَّلها عام 1959، أولى هجماتها في إسرائيل في يناير 1965. وكانت تلك الهجمة تتخذ نمط بداية حرب للتحرير. وأضافت النزاعات التي نشبت بشأن السيطرة على مياه نهر الأردن مزيدًا من التوتر الإقليمي الذي كان يشوب هذه الفترة. وشنت إسرائيل هجمات مضادة، تحديدًا ضد الأردن. وتدهورت العلاقات بين سوريا التي وصل فيها نظام جديد إلى الحكم وإسرائيل. واندلعت معركة جوية بين البلدين في إبريل عام 1967. وفي الشهر التالي، أعلمت سوريا ناصر بتمركز قوات إسرائيلية كبيرة أمام مرتفعات الجولان (التي انطلق منها قصف سوري إلى الداخل الإسرائيلي). وُضع ناصر في مأزق. فقد كان بالفعل محل نقد- مقارنة بسوريا- لأنه لم يفعل شيئًا. وفي منتصف مايو من عام 1967، زاد ناصر من حدة خطابه، بعد أن تلقى تطمينات بأن الجيش المصري جاهزٌ للقتال، إذا لزم الأمر. ومنذ حرب 1956، كانت قوات طوارئ تابعة للأمم المتحدة حاضرة، بعد الحصول على الموافقة المصرية، في شبه جزيرة سيناء. وفي ذلك الحين، امتثل الأمين العام للأمم المتحدة للطلب المصري بسحب تلك القوات. وبعد ذلك أمر ناصر بحصار مضيق تيران، عند مصب خليج العقبة، والذي كان ميناء إيلات الإسرائيلي يقع على رأسه. وبحلول نهاية الشهر، وضع الملك حسين ملك الأردن قواته تحت التصرف المصري.

تردد ليف إيشكول، رئيس الوزراء الإسرائيلي. وحيث إنه كان في أوائل السبعينيات من عمره، فإنه كان قد جاب العالم منذ وقت طويل، ووصل إلى فلسطين وهي تحت الحكم العثماني عام 1914 قادمًا من أوكرانيا، حيث ولد. وانتهى به مطاف الحيرة بقبول المشورة العسكرية التي أفادت أن قبول الحرب تدق وأن إسرائيل عليها أن تبادر بالضرب. بدأت "حرب الأيام الستة" في 5 يونيو. وانتهت بهزيمة ساحقة للقوات المصرية والأردنية والسورية بعد سلسلة من الضربات المميتة. احتلت إسرائيل مرتفعات الجولان، والضفة الغربية (بما في ذلك القدس الشرقية) وصحراء سيناء. وفي 9 يونيو، وبعد قبوله المسؤولية عن الفشل، أعلن ناصر قراره بالتنحي. بيد أن المطلب الشعبي، الذي ظهر في صورة

مظاهرات جيدة التنظيم، أقنعه بتغيير رأيه. في حين أُرغمت شخصيات أخرى داخل نظامه على دفع ثمن هذا الفشل. وتم سحب القوات المصرية من اليمن. تدهورت مكانة ناصر، ولم يتمكن أبدًا من استعادة وضعه السابق، بعد أن تدهورت صحته.

وعلى المدى القصير بدت السيادة العسكرية الإسرائيلية مضمونة. بينما أثار ما ينبغي فعله في الأراضي المحتلة وبها أسئلة أعمق. كان ثمة نزاع داخلي بسيط في إسرائيل حول إرفاقها القدس الشرقية رسميًا إلى أراضيها- والذي حدث على الفور، على الرغم من الاستهجان الدولي واسع الانتشار. وقد جلب الاحتلال المستمر لسيناء ومرتفعات الجولان مزايا عسكرية، ولكنها مزايا كان يمكن المساومة عليها ولو بثمن باهظ مستقبلاً. أما الضفة الغربية فكانت أمرًا آخر. فبالنسبة لبعض الإسرائيليين، كانت الضفة يهودا والسامرة، وينبغي أن تكون على نحو ملائم جزءًا من إسرائيل الكبرى. بيد أن تواصل الاحتلال جلب مزيدًا من السكان العرب إذ كانت إسرائيل/ الأرض المحتلة تعتبر وحدة واحدة. وربما كان ثلث هؤلاء السكان يتألف من لاجئين فقراء من حرب عام 1948. ولم يكن أثر عدد العرب هذا ليتم تخفيفه إلا عن طريق تشجيع المزيد من اليهود بالقدوم إلى إسرائيل وبإنشاء مستوطنات يهودية في تلك الأراضي. فيما عدا ذلك، فإن ديموغرافية المكان كان يمكن أن تشكل، على مدى يمكن ألا يكون طويلاً جدًا، خطرًا على الأساس اليهودي للدولة. علاوةً على ذلك، أيًا ما كان الماضي السحيق الذي يُستشهد به لتسويغ الاحتلال، فإن الاحتلال نشأ بصورة مباشرة من الغزو الحديث. وأشار هذا مرةً أخرى إلى تصنع الاغتراب الذي تتسم به إسرائيل. رفض وزير الخارجية الإسرائيلي آبا إيبان، وهو الرجل المعاصر من حيث العمر لعرفات، والمولود في جنوب أفريقيا والذي تربى على الموائد الإنجليزية، وتعلم في كامبريدج، وكان لغويًا ألمعيًا (وكان من بين ما يتقنه الترجمة من العربية)، هذا التوجه. وحاجج في الأمم المتحدة وفي غير مكان أن حق إسرائيل لا يقتصر فقط على الحق في الوجود، بل أيضًا على أنها جزءٌ أصيل وليس غريب من الشرق الأوسط.

ولم تتدخل أيًا من الولايات المتحدة الأمريكية ولا الاتحاد السوفيتي مباشرةً في

الحرب، على الرغم من أن الثانية، لوهلة من الزمن، بدت وكأنها تفكر في ذلك. وقد نأى الأسطول المتوسطي لكلتا الدولتين بنفسه عن الصراع. ولا يعني هذا أن القوى العظمى نأت بنفسها ببساطة. لقد كانت المخابرات السوفيتية هي ما وجه ناصر بشأن تمركز القوات" الإسرائيلية المفترض قبيل مرتفعات الجولان. وقد وردت الأسلحة المصرية من الاتحاد السوفيتي (أوقفت الولايات المتحدة المساعدات إلى مصر في عام 1965). بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا، وحتى مرحلة متأخرة، فرنسا، تمد إسرائيل بالسلاح. ولم يكن أيٌّ من الخصمين ليقدر على الحرب دون هذا العتاد الأجنبي. ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية لتقر تدمير إسرائيل، ولكنها أيضًا لم تكن توافق على توسعها. كانت الروابط وثيقة. وكان ليفي أشكول أول رئيس وزراء إسرائيلي يزور الولايات المتحدة الأمريكية رسميًا عندما ذهب إلى واشنطن في 1964. وقد لاق النجاح الإسرائيلي بدرجة كبيرة استحسان الرأي العام الغربي، في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، وهو أمر تم الحكم عليه بواسطة استطلاعات الرأي. وقد حث أصدقاء إسرائيل، البارزين لدى العامة وفي الحياة التجارية، أتباعهم من المواطنين غير اليهود على النظر إلى إسرائيل باعتبارها دولة ديمقراطية تحمل قيم الغرب. ومع ذلك، أبرز هذا التعريف غرابة إسرائيل بدلاً من شخصيتها الشرق أوسطية. ولقي تصويرها باعتبارها "داود" الذي يخوض معركة مع "جالوت" استحسانًا كبيرًا، ولكن العالم العربي وجد وسيواصل الوجود. وكانت روابط الولايات المتحدة والسعودية وثيقة. وحافظ ملك الأردن حسين على أواصر قوية مع بريطانيا، وهي الدولة التي تلقى فيها تعليمه. ولم تنظر الحكومات الغربية إلى نتيجة الحرب على الأرض باعتبارها نهائية.

وفي الخرطوم، التي كانت بعيدة كل البعد عن الصراع المباشر، اجتمع رؤساء الدول في أغسطس-سبتمبر 1967 للتأكيد على وحدة القوات العربية. وحينها تقرر أن لا سلام مع إسرائيل، ولا اعتراف بإسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل. وقد أصر الرؤساء على حقوق الشعب الفلسطيني في بلده الأصلية. وأقر الرؤساء أن النفط يمكن أن يكون سلاحًا في المعركة. ووافق الرؤساء على تقوية التحضيرات العسكرية لمواجهة كافة

الأحداث. وكان من الممكن أن يكون من مدعاة الدهشة ألا يكون أي بيان آخر في الأفق.

وعلى الرغم من هذا اللدد في الخصومة من المنتصر والمهزوم، كان من الممكن الوصول إلى نقطة تحول أخرى أو لحظة اختيار أخرى كما عبر عنها الرئيس جونسون. لم يكن ديجول الزعيم الوحيد الذي يربط الشرق الأوسط وفيتنام كمصادر محتملة لصراع عالمي جديد. وبدلاً من ترك الأمور تتأزم إلى أجل غير مسمى، كان على العالم الخارجي أن يرعى التوصل إلى حل. صاغ الإنجليز مسودة قرار (رقم 242) والذي مرره مجلس الأمن في نوفمبر 1967. وتحدث القرار عن انسحاب قوات مسلحة إسرائيلية من أراض (دون استخدام أي أداة تعريف) كانت قد احتلتها حديثًا. ودعا القرار إلى إنهاء جميع حالات الحرب. كما أوصى القرار بأن سيادة كل دولة وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي ينبغي أن يتم الحفاظ عليها وينبغي أن يتم الإقرار بها واحترامها. وتم تعيين ممثل خاص للأمم المتحدة (الذي تبدى أنه دبلوماسي سويدي اسمه جونار يارنج) للضغط في سبيل تنفيذ تلك المبادئ (والمسائل الأخرى المنبثقة عنها). وحتى مع ذلك، وعلى الرغم من أن القرار 242 وصل إلى حالة نص مقدس، يستشهد به في انتظام في المستقبل، لم تنشأ أي تبعات مباشرة من ذلك. وفي بعض الأحيان عبر السفير جونار في بعض الأحيان عن تفاؤل متحفظ، ولكن المطاف انتهى به إلى الإحباط.

وفي ديسمبر من عام 1969، أصدر وزير الخارجية الأمريكية روجرز بيانًا شاملاً يحدد القضايا الأساسية المتعلقة بالسلام، والأمن، والانسحاب، والأراضي الذي يمكن الاتفاق بشأنها، على أن يستتبع ذلك حلاً لمسألة اللاجئين ووضع القدس الشرقية. وقال في بيان يوضح ، أن السلام يعتمد على السلوكيات والنوايا لكلا الطرفين. ومع هذه الحالة، لم يتغير إلا القليل. ومن آن لآخر، بدت القوى العظمى وكأنها غير بعيدة تمامًا عن السعي إلى التوصل إلى حل. ومع ذلك، لم يكن أي منها جاهزًا لسحب الدعم الذي مُنح إلى العملاء التابعين لها. وتدفق المستشارون والمعدات من روسيا (بما في ذلك الصواريخ) إلى داخل مصر لدعم ناصر الذي كان في حالة من الوهن والتهاوي حينها. سعى الزعيم المصري إلى الحصول على دعم مالي من السعودية والكويت تحديدًا. وكانت إسرائيل قادرة

على تلقي دعم أمريكي مستمر. وكان من الممكن تفسير مثل هذا التعزيز، من جانب كل قوة من القوى العظمى، باعتبارها جعلاً لجولة أخرى من القتال أكثر احتمالية، بيد أن أيًا من القوى العظمى لم يكن يرغب في هذا.

أعلن ياسر عرفات أن الوقت قد حان بأن يأخذ الفلسطينيون زمام أمورهم في أيديهم. ولم يكن بوسعهم، في ضوء النقاط المذكورة أعلاه، أن يعتبروه مجرد تسوية ستفرض عليهم من الخارج. كما لم يكن بوسعهم أيضًا أن يعتمدوا على أن تقدِّم الدول العربية قضية فلسطين على أي من شواغلها الشخصية. ودعت منظمة التحرير الفلسطينية التي كان عرفات يترأسها حينها، إلى اجتماع في يوليو 1968 لصياغة نسخة مراجعة من ميثاق وطني. وأكدت المنظمة على أن النضال المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين. ودعت الأمة العربية إلى مساعدة الشعب الفلسطيني. وتم تعريف الفلسطينيين باعتبارهم مواطنين عرب كانوا يعيشون في فلسطين حتى 1947، وكذلك كل من كان له أبٌ عربي كان يعتبر فلسطينيًا. وكان من المزمع اعتبار العدد القليل من اليهود ممن عاشوا في فلسطين بصورة طبيعية قبل الغزو الصهيوني فلسطينيين. وذكرت المنظمة أن اليهودي هو من يتبع دين، وليس شخصًا يحمل جنسية. ولم يغير تقادم الزمن الحقيقة التي تفيد بأن إسرائيل تأسست بصورة غير قانونية. فقد خرقت إسرائيل مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

وكانت إستراتيجية عرفات المزدوجة، طالما اعتبرنا أن منظمته شديدة التداعي تمتلك إستراتيجية من الأساس، تتمثل في السعي إلى الحصول على درجة من الاعتراف الدولي بأنها شبه حكومة تمثل "الشعب الفلسطيني" وأيضًا في البدء في عمليات إرهابية، مثل اختطاف رحلات الطيران المدنية. وفي نهاية المطاف، حقق الشطر الأول من الخطة شيئًا من النجاح، حيث اعترف رؤساء الدول العربية في اجتماعهم في الرباط في أكتوبر عام 1974، بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني (وهو ما يعد تحذيرًا إلى الملك حسين بألا يفكر في عقد صفقة منفردة مع الإسرائيليين). وقد تمت بلورة هذا النجاح، بصورة ربما أكثر بروزًا، في الشهر التالي، عندما تمت دعوة عرفات لتوجيه خطاب إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة نيابةً عن منظمة التحرير الفلسطينية.

هاجمت إسرائيل هذه الدعوة، وكررت القول بأن "الأردن هي فلسطين". ومررت الجمعية العامة قرارًا أعاد التأكيد على الحقوق التي لا يمكن التفريط فيها للشعب الفلسطيني في فلسطين. وقد تسبب الجزء الآخر من الإستراتيجية في الهجوم على مقر الفريق الإسرائيلي في أولومبياد ميونخ لعام 1972- وهو هجوم حظي بالترحيب في ألمانيا من جانب جماعة أندرياس بدر وأولريكي ماينهوف. وبات هذا الهجوم أشهر مثال على الإرهاب المناهض للصهيونية.

وكان الحفاظ على هوية فلسطينية (أو خلقها) مع وجود عدد كبير من الفلسطينيين كلاجئين يعيشون في دول الجوار بلا شك أمرًا صعبًا. فلم يكن ثمة "وطن" تُبسط عليه السيطرة الفلسطينية. وكان وجودهم كمبعدين – بأعداد تقارب ثلاثة ملايين ربما- في الأردن، والضفة الغربية، وغزة، ولبنان، وسوريا و-بأعداد أقل- في مصر، والعراق ودول الخليج- أيضًا اختبارًا لقيم التضامن. وكان هذا هو الحال ، في هذه المرحلة، في الأردن. فقد سلبت الحرب مؤقتًا الأردن الضفة الغربية، بابها الخلفي لفلسطين. ولطالما كان إحداث توازن المملكة أمرًا صعبًا من قبل، ولكن الآن هرب مائتي ألف فلسطيني آخر من القتال ليدخلوا الضفة الشرقية للأردن. وتصاعد التوتر بين الوافدين والملك حسين (والبدو التقليدين الذين اعتمد عليهم للاحتفاظ بسلطته). وفي سبتمبر من عام 1970، ونظرًا لعدم رغبة الملك في قبول قيام دولة داخل الدولة وكذلك عدم رغبته في أن يقبل بصورة كاملة التخلي عن دعواه بأنه يمثل فلسطين، أعلن الأحكام العرفية. وأرسل الملك جيشه لمحاربة معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية. ووقعت إصابات بالغة، وبدا الأمر في مرحلة ما أن الأردن سيستعين بمساعدة سوريا لمحاربة منظمة التحرير الفلسطينية. وفي مؤتمر القاهرة، حاول ناصر التوصل إلى صفقة بين الملك حسين وعرفات؛ وهو ما أدى إلى إصابته بالأزمة القلبية التي أدت إلى وفاته. وفي العام التالي، غادرت قوات المنظمة وعرفات الأردن متوجهين إلى لبنان. وصدق على هذه الفترة ما أطلق عليها بأنها كانت أيلول الأسود. وأشار اسم العصابة –أيلول الأسود- المسؤولة عن هجوم ميونخ إلى أن الأردن أو أي حكومة أخرى معادية للقضية الفلسطينية أو لا تعبأ لها، يمكن مهاجمتها

أيضًا وببساطة صورت إسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية بأنها "مجموعة من القتلة".

## فلسطين: الحرب وتبعاتها، 1973

في يونيو 1975، أعاد أنور السادات- الذي تولى منصب الرئاسة بعد وفاة ناصر- رسميًا افتتاح قناة السويس التي كان سلفه قد أغلقها أمام حركة السفن لمدة ثمانية أعوام. ولم تعد أهمية القناة التي تعد بمثابة الشريان التجاري للعالم، في ظل استخدام الصهاريج الضخمة والكميات المتزايدة من الشحن البحري، كما كانت عليه سلفًا. ومع ذلك، ظلت رمزيتها باعتبارها القناة التي وصلت الغرب والشرق بقوة، كما كان السادات مدركًا جيدًا. ومع ذلك، كانت إعادة الافتتاح تلك مجرد خاتمة لسلسلة غير عادية من الأحداث. فقبل ذلك، وفي يونيو من عام 1971، كان السادات قد أعلن أن عام القرار قد جاء. وبطريقة أو بأخرى، كان ينبغي وضع نهاية لحرب فلسطين. وفي بادئ الأمر، ومع الأخذ في الاعتبار إعتماد جيشه على إمدادات السوفيت، لم يكن أمامه إلا توقيع اتفاقية صداقة مدتها خمسة عشر عامًا مع مورده، في الشهر السابق على ذلك. وفي أكتوبر، أثناء زيارته إلى موسكو، أخبر مضيفيه السوفيت أن القوة وحدها هي ما سينهي العدوان الإسرائيلي. أما الكرملين، سعيًا منه لإنهاء التوتر مع واشنطن في هذه المرحلة، فكان شديد الحذر. وفي يوليو عام 1972، بدَّل السادات مساره على حين غرة. فطلب من المستشارين العسكريين الروس مغادرة البلاد- مما حدى بهم بأخذ معداتهم العسكرية معهم. كان الأمل حينها أن تقدم الولايات المتحدة الأمريكية في مقابل ذلك على إلزام إسرائيل بالانسحاب. أما الإسرائيليون من جانبهم فظنوا أن مصر لم يعد أمامه خيارٌ سوى إقرار الوضع الراهن. وفي المقابل، لم تقدم أي تنازلات. حينها لجأ السادات إلى العالم العربي، وقدَّمت مصر وسوريا (وحتى على نطاق أضيق الأردن والعراق) قوات كبيرة، أما السعودية وغيرها من الدول المنتجِة للنفط فقد استخدمت سلاح النفط (على الرغم أنه كان من غير المحتمل أن تظهر فاعليته بسرعة). وعندها، وفي 6 أكتوبر 1973، بدأ هجوم عربي من جهتين، إحداهما من السوريين على جبهة الجولان في الشمال، والأخرى من المصريين بعبورهم قناة السويس- وأحرز الهجوم تقدمًا جيدًا في بادئ الأمر. وزعم إيدي أمين(حاكم أوغندا) أنه

كان يعمل شخصيًا خلف الخطوط الإسرائيليه وأنه أسهم في نجاح القوات المصرية.

طلبت رئيسة الوزراء الإسرائيلي جولدا مائير- المولودة في كييف عام 1898- الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت قد عاشت بها لمدة أربعة عشر عامًا قبل أن تهاجر إلى فلسطين عام 1921. كان الأمريكيون يخشون أن وجود إسرائيل نفسه بات على المحك. وربما أوحت اللغة التي استعملتها جولدا مائير أن بلادها –في ظل الظروف التي وجدت نفسها فيها- ربما اضطرت إلى استخدام قنبلة نووية. على الفور زودها جسر جوي بما طلبت من أسلحة إضافية. تبدلت دفة المعركة. وبعد العديد من البدايات الخاطئة، تم التوصل إلى وقف لإطلاق النار في 26 أكتوبر. انتهت رابع حرب تدور رحاها بين العرب وإسرائيل بالتعادل بصورة أو بأخرى بين القوتين. فقد كانت خسائر الطرفين مرتفعة. وأصبح دور القوى العظمى بمرور الزمن حرجًا. فقد أصبحت تلك القوى أكثر انخراطًا مما كان يُفترض لها في بادئ الأمر أو ربما أكثر مما أرادت هي. وقد مثلت احتمالية تدخل السوفيت عسكريًا لصالح العرب إنذارًا بالحرب بالنسبة للأمريكية (بما في ذلك إنذارًا نوويًا). وقد استغرق الأمر اتصالات مباشرة مكثفة بين موسكو وواشنطن قبل أن تتمكن كلتا البلدين من الاتفاق على شروط يصدر بها قرار من مجلس الأمن.

وقد حملت النتيجة متناقضات. لطالما كان من المفترض أن تكون الوساطة الخارجية أحد مصادر الأذى في المنطقة. بيد أنه في هذه المرة، إذا سعت كلتا القوتين العظمتين (أمريكا وروسيا) جادة في السعي لإيجاد حل، فإن التوصل إلى هذا الحل كان ممكنًا. لم يكن من الواضح ما إذا كان بوسعهما القيام بهذا بالتناغم. كما أن أزمة النفط التي شهدتها تلك الفترة، والتي سيأتي ذكرها لاحقًا، والموقف المعزز للدول العربية المنتجة للنفط، كانا عاملاً آخر في البحث عن تسوية. وفي ديسمبر عام 1973، افتتحت إسرائيل ومصر والأردن والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي – ولكن دون سوريا- محادثات في جنيف. واضطلع كيسنجر حينها بدور دبلوماسي شديد الفاعلية، ولكن لم يرَ حاجة كبيرة إلى المساعدة السوفيتية. وكان بوسعها أن تتوسط في صفقة مباشرة بين إسرائيل ومصر. وعند هذه النقطة –كما في غيرها- أضافت الأزمة الرئاسية في واشنطن تعقيدات التوصل

إلى تسوية. كما أضافت إلى الأزمة أيضًا وجود حكومة جديدة في إسرائيل برئاسة إسحاق رابين بدءًا من عام 1974- وهو أول رئيس وزراء إسرائيلي تكون فلسطين محل ميلاده (القدس). وشهدت حكومته صراعًا بين الحمائم والصقور. وفي سبتمبر من عام 1975، وبعد مفاوضات مطوَّلة، كان وزير الخارجية الأمريكي، بفضل ما عرضه من زيادة المساعدات الأمريكية للطرفين، هو من أنجح التوصل إلى اتفاق بين مصر وإسرائيل (على الرغم من أنه قد أُبرم رسميًا في جنيف). سحبت إسرائيل مزيدًا من قواتها من القناة، بما خلق منطقة عازلة، وسلمت الممران جيدي ومتلة اللذان لهما أهمية إستراتيجية. ومع ذلك، إحتفظت إسرائيل بمعظم سيناء. وافق المصريون على مرور الشحنات غير العسكرية الإسرائيلية عبر قناة السويس. ونصت المادة الأولى من الاتفاقية على أن الصراع بين البلدين ينبغي أن يُحل سلميًا. ولم تكن هذه لغة منظمة التحرير الفلسطينية. وربما كان هذا يعني أن الشرق الأوسط على مشارف تغير جوهري. فما فعلته مصر كان أمرًا مهمًا.

كانت هناك أحداث أخرى وتغيرات في الانحيازات في ذلك الوقت جعلت شكل العالم الممتد حول كافة أرجاء المتوسط والمناطق الواقعة خلف سواحله، إشكاليًا بدرجة كبيرة. لم توازي إتفاقية سيناء أي قرار يتعلق بقضايا أخرى شائكة مثل سوريا والأردن. وقد أكدت هذه الحقيقة في حد ذاتها الموقف الغامض الذي تبوأته مصر في العالم العربي. كان على السادات أن يتطلع شمالاً وجنوبًا وغربًا، على الرغم من أن هذا لم يكن شغله الشاغل. وهناك، في السودان كانت حكومة مدنية ائتلافية تحكم البلاد حتى عام 1969 ولكنها عانت لتحكم دولة تتقاطع فيها الانقسامات العرقية والدينية مع الجغرافيا. وبعد ذلك وصل الجنرال جعفر النميري إلى الحكم بعد انقلاب عسكري، ولبرهة من الزمن، كان مسموحًا لبعض المقاطعات الأفريقية في الجنوب أن تحصل على مزيد من الاستقلالية. لعبت مصر دورها اللازم لإبقاء النميري في السلطة. وأبرمت مصر والسودان اتفاقية دفاع مشترك. وعند هذه اللحظة، انتهى النزاع المسلح بين شمال السودان وجنوبها، والذي كان قد نشب بصورة متقطعة. بدا أن السادات يجهز لوضع مصر أولاً وأن يخاطر بإيجاد

عداوات له في بعض العواصم العربية. وكانت الحرب الأخيرة مع إسرائيل قد أظهرت أن العالم العربي له بالفعل شيءٌ من الجوهر. وكان التعاون بين الدول العربية التي كانت أنظمتها في واقع الأمر غير عابئة بأن تتخذ الوحدة العربية أي صورة رسمية.

## اليونان وتركيا وليبيا والجزائر: النظم العسكرية

في هذا العقد، كانت ثمة تطورات متوسطية كشف تشابهات بارزة بين شمال هذا البحر المتراكب وجنوبه: اليونان وتركيا، وليبيا والجزائر. ربما كان أبرز تلك التطورات هو الوجود الزائد لرجال عسكريين-بصورة مباشرة أو غير مباشرة- على رأس الأمور في بلدانهم. وحتى في إسرائيل، على الرغم من أن رابين لم يصل إلى الحكم عام 1974 إلا بعد انقلاب عسكري، فقد قضى معظم حياته وهو يخدم في قوات الدفاع الإسرائيلية. وفي إبريل عام 1967، استولت مجموعة من الضباط من ذوي الرتب المتوسطه على السلطة في أثينا، بعد أن ادعوا أنهم اكتشفوا مخططًا شيوعيًا لتدمير البلاد. وحينها، كان من المحتمل أن تعيد أي انتخابات تجرى في الشهر الذي أعقب الانقلاب حكومة أصولية، على الرغم من أن النمط الذي اتخذته الحياة الحزبية في اليونان لم يجعل أي شيء مؤكدًا. وكان شبح الحرب الأهلية، التي هُزم فيها الشيوعيون قبل ذلك بعشرين عامًا، لا يزال يخيم على المشهد السياسي لليونان. وعلى مضض أنعم الملك الشاب قسطنطين بإضفاء الشرعية على النظام الجديد، وبعد ذلك حاول محاولةً فاشلة للقيام بإنقلاب مضاد. وهرب من البلاد في ديسمبر. وتم إعداد دستور جديد في موعده أضعف سلطات البرلمان وأعلن بعد ذلك إنهاء الملكية. وتم عسكرة العمل الفعلي للحكومة بصورة مضطردة. وتم الحد من الحريات المدنية. كان الكولونيلات ينظرون لأنفسهم باعتبارهم راديكاليين مهمته تحقيق تجديد وطني، يتم تنفيذه بالرقابة النموذجية وإذا لزم الأمر بوحشية. وقد أعربت دول شمال أوروبا تحديدًا، من خلال المجلس الأوروبي، عن سخطها للهيمنة العسكرية على أوروبا. وشغلت الحكومات التي يتولاها كولونيلات، أو غيرهم ممن لهم رتب عسكرية أخرى، جانبي المتوسط. ولكن ربما كان اليونانيون يعتبرون شعبًا متوسطيًا في سياق أوروبي. ومع ذلك إستمر النظام. وقد ضمن له التزامه تجاه الناتو، بالإضافة إلى الأهمية

الإستراتيجية لليونان للتحالف شرقي المتوسط، غض الطرف عن مساوءه من جانب واشنطن. وبالفعل، افترض خصوم النظام أنه كان صنيعة الولايات المتحدة.

لم يكن التدخل العسكري أمرًا جديدًا في تركيا. كان الجيش قد "عاد إلى ثكناته" بعد التدخل عام 1960 ولكن الرموز القائده له كانوا لا يزالون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم الأوصياء الشرعيين على الجمهورية. وكان الدستور الجديد قد تم تنفذيه، تحت عين حارسة، عام 1961. وشهد العقد التالي تصنيعًا متزايدًا، وتمددًا للتعليم، وزيادة في التمدن. نجحت الديمقراطية البرلمانية في البقاء، ولكنها لم تنجح في الازدهار. كان الانقسام بين اليمين واليسار أمرًا متوقعًا ولكنه كان يزداد تعقيدًا باستمرار بسبب الإشكالية الدائمة المتمثلة في هوية الجمهورية والإرث المقدس للكمالية. ولم يترك المفهوم المحدد للقومية التركية أي فرصةً لوجود هوية كردية في دولة تعددية. وظل تناقض موقف تركيا مرةً باعتبارها داخل أوروبا ومرة باعتبارها خارجها. وفيما يتعلق بحروب فلسطين، وجهت قطاعات من المسلمين الأتراك نقدًا صاخبًا لإسرائيل، والولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها من يحمي إسرائيل. بيد أن تركيا ليست دولة عربية، وظل أمنها الداخلي بشدة داخل إطار عمل الناتو. ومرةً أخرى تعثرت ديمقراطيتها مع بداية سبعينيات القرن العشرين. انقسمت الأحزاب السياسية وأخفقت الحكومة. ووصف بعض المراقبين تركيا في عام 1971 بإعتبارها دولة الفوضى.

وفي مارس، تدخل الجيش مرةً أخرى، متهماً الحكومة التي كان يترأسها سليمان دميرل (المولود عام 1924) الذي أجبره الجيش على الاستقالة، بأنه يقود البلاد إلى حالة من الفوضى، والصراع بين الأشقاء والاضطرابات السياسية. وتطلع الجيش إلى إنهاء الوضع الفوضوي الراهن ولكن داخل سياق المبادئ الديمقراطية. ومع ذلك، وبعد تدخله، لم يرغب الجيش مباشرةً في إدارة البلاد. بيد أنه ثبت أن حكومة الإجماع والوحدة الوطنية التي كان الجيش يشرف عليها غير قادرة لا على إحداث إجماع ولا على إحداث وحدة وطنية. وكان الإرهاب والقمع يغذيان بعضهما البعض. وسقطت البلاد تحت حكم عسكري وخلال الأعوام القليلة المقبلة تم تأكيد سلطة الدولة بقوة. واجتمعت الفصائل

السياسية وأعادت لململة نفسها، وتبنت أسماء جديدة، ولكنها كانت لا تزال تلتف حول أفراد من ذوي الكاريزما بدلاً من الاصطفاف خلف برامج. واتحد حزبان، بقيادة بولنت أجاويد (المولود في 1925) ونجم الدين أربكان (المولود في 1926)، على الترتيب، لفترة من الزمن لتشكيل حكومة إئتلافية قوية. بيد أن صورة تركيا التي كانت يتطلع إليها كل واحد منهما كانت مختلفة جذريًا. في شبابه خطا أجاويد خطوة غير تقليدية تمثلت في تعلمه السنسكريتية والبنغالية. وكانت لغته الإنجليزية قد تحسنت بسبب دراسته في لندن. وكان أجاويد نفسه شاعرًا، وترجم أشعار الشاعر الإنجليزي تي إس إيلوت إلى التركية. وكان قد قضى شهورًا في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أنه كان غربي الهوى، يحمل التزامات تجاه أوروبا والناتو. أما أربكان، الذي كان من نفس عمره تقريبًا، فكان يحمل درجة الدكتوراه في الهندسة من ألمانيا، بيد أنه كان ذو منظور شرقي وإسلامي بقوة. فكان يرى أن تركيا عليها أن تصطف بصورة أكثر قربًا مع إخوتها المسلمين في العالم العربي في الصراع ضد الصهيونية. وقد تسبب هذا التنوع، الذي صحبته مشكلات إقتصادية، أن السياسة التركية في بدايات سبعينيات القرن العشرين كانت متقلبة وتشوبها أحداث عنف في بعض الأحيان.

وكان ماضي اليونان وتركيا، بطبيعة الحال طويلاً. ولكن بات من المألوف ملاحظة أن العضوية المشتركة للبلدين في حلف الناتو من شأنها أن تكبح كلاً من العداوات الموروثة من الماضي أو النزاعات الحديثة فيما يخص ملكية بحر إيجة الشمالي. بيد أن هذا الإفتراض أسقط من الحسبان قبرص. فنادرًا ما كانت تتخلل العلاقات المشحونة بين الأغلبية التي تتحدث اليونانية والأقلية التي تتحدث التركية في الجزيرة لحظات من الصفا في السنوات التي تلت إستقلال الجزيرة عام 1960. وهو ما أدى إلى وصول قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة عام 1964. وقد نجا الأسقف ماكاريوس من عدة محاولات إغتيال. وفي يوليو 1974، أرسل إلى المنفى عقب إنقلاب قام به ضباط مولودون في اليونان من الحرس الوطني لقبرص. وأخيرًا تمكنت حكومة أثينا، التي كان ضالعة في الانقلاب من إيجاد فرصة لإرساء الوحدة الوطنية وافترضت أن أمريكا ستمنع أي تدخل تركي

وهو ما يعد خطئًا قاتلاً- أدى إلى انهيار النظام. ورفضت بريطانيا، التي كانت لا تزال تحتفظ بـ قاعدة سيادة في الجزيرة وكان من المفترض أن تكون الضامن لتسوية الاستقلال التدخل. وعلى ذلك، تصرفت أنقرة من جانب واحد، بأن أرسلت قوات في حملتين إحداهما في يوليو والأخرى في أغسطس. وإحتلت تلك القوات ما يقرب من 40٪ من الجزيرة في الشمال. ولم تكن تلك القوات عازمة على الرحيل. وأصبح أجاويد – الذي تحول من شاعر إلى رجل المواقف القاطعة- إلى بطل زمانه في تركيا- ومن ثمَّ تقدم بإستقالته. منع خصومه إجراء الانتخابات العامة التي كان من المزمع عقدها، والتي كان من المتوقع أن يفوز فيها بجدارة. وبدلاً من ذلك، وبعد الكثير من المساومة وتوزيع الأدوار، تشكل ائتلاف يميني من أربعة أحزاب تحت رقابة الجيش"الجبهة القومية". وفي عام 1975، كان المزيد من العنف يلوح في الأفق وكانت وجهة شراع تركيا غير واضحة.

وبعد سقوط الكولونيلات، عاد قسطنطين كرامنليس، رئيس الوزراء العسكري لليونان لفترات متتالية في العقد السابق، من منفاه في باريس إلى وطنه. ومع شركاء ائتلافيين، عزم على استعادة الديمقراطية (وليس الملكية، التي تم رفضها بموجب استفتاء). وتم تعزيز التوجه المستقبلي للبلاد. وفي بدايات ستينيات القرن العشرين، كان كرامنليس قادرًا على إبرام بروتوكول تمهيدي بالانضمام إلى المجتمع الأوروبي الاقتصادي. علقت بروكسل هذه الاتفاقية في عهد الكولونيلات. وكان كرامنليس يرغب في تفعيلها. وكان من شأن أوروبا أن تحدث توازن في التأثير الأمريكي القوي في الحياة اليونانية. وكانت أيضًا ثمة أسباب ديمقراطية قوية للسعي لتحقيق مصير أوروبي. وكانت نفس الأسباب متوفرة في تركيا. وكانت أعداد كبيرة من مواطني كلتا البلدين، وتحديدًا تركيا، تعمل في ألمانيا، وكانت تحويلاتهم النقدية عمودًا فقريًا اقتصاديًا مهمًا. بيد أن عناصر التشابه في الموقف لكلا الدولتين عند هذه النقطة لم تخلق أي جبهة مشتركة. وقد أزعجت العداوة التركية-اليونانية الشركاء العسكريين المشتركين بين البلدين. فما كان قد حدث وما زال يحدث في قبرص خلق عقبة جديدة أمام إرساء علاقةٍ من شأنها تسهيل إضفاء صفة الأوروبية على كلتا البلدين.

وعلى الجانب الآخر من المتوسط، هيمن العسكريون على زمام الأمور. فقد تأسس نظام جديد في ليبيا عام 1969 بالإطاحة بالملكية التي تمت دون إراقةٍ للدماء. وقد قاد هذا النظام العقيد معمَّر القذافي الذي كان يبلغ من العمر حينها 27 عامًا؛ الذي كان قد ترك دراسة التاريخ في جامعة ليبيا ليلتحق بالجيش. ومثلت حركة الضباط الأحرار التي أسسها القذافي صدى لتلك التي أسسها ناصر قبل عقدين من ذلك في مصر. وتحولت مملكة ليبيا إلى جمهورية ليبيا العربية. كان تغيير العنوان مهمًا، ولكنه لم يتمكن وحده من حل المشكلة الجوهرية للـ هوية. لم يكن لـ ليبيا كبلد أي أهمية تذكر. كما أن الملكية التي كانت قد تمت الإطاحة بها لا تزال حديثة العهد. كما كان من الصعب أن يتم التوافق مع القذافي، الذي كان من خلفية بدوية، وبدا وكأنه يحب عيش الخيام، في بعض الأحيان على الأقل. وقد بدا أن قليلاً من السلطة يمكنه أن يلم شعث هذا البلد المنفسح بلا نظام. وكان من شأن الإسلام - بصورته التي أقرها القذافي- أن يوحد مجتمع فسيحًا على انقساماته القبلية. ولم تغير إقامته في إنجلترا عام 1966 لتعلم الإنجليزية ودراسة إجراء الإشارات من أجندته القومية العربية الإسلامية أو عداءه للإمبريالية الغربية (وإسرائيل). وكان البترول قد اكتشف في ليبيا عام 1959. وقد منح هذا الاكتشاف البلاد مستقبلاً جديدًا وهي التي لم يكن لها إلا مساحة ضئيلة من الأرض تصلح للزراعة، البلاد التي كانت قادرة على الالتفاف إلى جارتها الشرقية التي كانت تفوقها من حيث عدد السكان، مصر (والتي كان سكانها يقصدون ليبيا للعمل). وكان من بين أعمال القذافي الأولى هو تأميم صناعة البترول. وقد أُلغيت رسميًا اتفاقية الصداقة الإنجليزية-الليبية، التي جرى توقيعها عند استقلال ليبيا عام 1953، في يناير عام 1972. وعند هذه النقطة تحول الرجل إلى ابتداع مخططات لتنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي زُعم أن لها دلالة عالمية. كان هذا التنظيم هو "الاشتراكية الإسلامية" على الطراز الطرابلسي. رُسمت لشخصية القذافي عالميًا صورة شخص غريب الأطوار؛ ربما كان السبب وراء هذه الصورة هو أنه كان غريب الأطوار فعلاً.

وإذا ما أوغلنا في اتجاه الغرب، كانت لدى الجزائر أيضًا إحتياطيات نفط وغاز

طبيعي كبيرة. وبحلول بدايات سبعينيات القرن العشرين، استحوذت الحكومة الجزائرية بدرجة كبيرة على أغلبية شركات النفط والغاز. وقبل ذلك، كانت حرب فرنسية-جزائرية قد نشبت. انفتحت الحكومة الجزائرية على العالم، دون إيلاء عناية خاصة للأيديولوجية، لكي تكتسب المعرفة العملية التي كانت في حاجة إليها لتطوير مواردها. وفي إبريل من عام 1975، مع ذلك، ولرأب الصدع بين البلدين، قام الرئيس الفرنسي جيسكار بزيارة إلى الجزائر. وتم التوصل إلى درجة من الاستقرار في العلاقات الفرنسية-الجزائرية. بيد أن شيئًا من الازدواجية المتبقية كان واضحًا. وحضر ما يقرب من 7000 مدرس فرنسي إلى الجزائر بموجب شروط التعاون الثقافي لاتفاقية إيفيان التي كانت قد أنهت الحرب. ولكن هل كان هذا التعاون أمرًا هدئ من روع فرنسا فيما يخص الحفاظ على سلامة عالم فرنكوفوني أكثر من كونه أمرًا ساعد الجزائر على تشكيل هويتها الجديد التي كانت محل إشكال؟ ولكن، بالنظر إلى تكوين الجزائر، لا يزال بوسع المراقب أن يرى في بعض مبانيها دليلاً بيِّنًا على أن حضارة فرنسية مرت من هنا؛ وذلك على الرغم من إستبدال تماثيل رواد حركات التحرير الجزائرية بتماثيل الغزاة الفرنسيين، كما تم تبديل أسماء العديد من الشوارع، وتحويل الكتدرائية الكاثوليكية إلى مسجد. وظلت كنسية السيدة الإفريقية المذهلة قابعة في غياهب الإهمال. وكان عدد سكان المدينة قد تضاعف تقريبًا على مدار العقد السابق وتجاوز المليون، جاء نصفهم تقريبًا من خلفية تتحدث العربية ونصفهم من خلفية قبلية/ بربرية. بيد أن اللغة الفرنسية ظلت حاضرة بشدة.

### رسائل النفط: الجزائر العاصمة، 1973

وإستنادًا إلى موارد الهيدروكربون التي تتمتع بها البلاد، تطلع بوميدين إلى أن يجعل من الجزائر الوجهة الصناعية لبلدان المغرب وفي عملية إدارته الدولة، خطى خطوات واسعة، حتى وإن كانت بخطى غير مضطردة. أما رؤيته الأوسع، فتمثلت في أن تضطلع الجزائر بدور محورى في إعادة إحياء حركة عدم الانحياز. وفي الجزائر العاصمة عام 1973 حضر مؤتمر عدم الانحياز دول أكثر (75) من أي وقت مضى، بما في ذلك، من بين دول أخرى تحضر لأول مرة، دول لا ينكر أحد تواضع مكانتها، مثل بوتمان وعمان ومالطا

وموريشوس. كما حضرت أيضًا بنغلاديش، الدولة التي لا يزيد عمرها على عامين، التي حققت الاستقلال بعد حرب دامية دمرت الإقليم الذي كان تابعًا لباكستان عام 1947. ولطالما أثارت إمكانية وصف تلك الحرب بأنها حرب أهلية تساؤلات مثيرة للخلاف. وبعيدًا عن تلك الأمور، عمل المؤتمر- على حد قول بوميدين- على إظهار قدر من القوة الجماعية تجعلهم "أي الدول الغنية" يفهمون "أننا" نعني الأعمال.

كما كانت مدينة الجزائر العاصمة أيضًا في نوفمبر محل اجتماع الرؤساء العرب بعد حرب 1973. وساد شعورٌ حقيقي بالثقل الجماعي للعالم العربي. وقد اكتسب هذا الأمر وزنًا من إستخدام "سلاح النفط" في أكتوبر- نوفمبر 1973. فقد رفعت بعض الدول العربية أسعار النفط بصورة كبيرة. فقد فرضت السعودية بعد أن تم رفض طلبات إيقاف توصيل السلاح إلى إسرائيل حظرًا على توريد النفط إلى أمريكا. وعلى نفس المنوال سارت ليبيا والجزائر ومعظم دول الخليج. كما تم أيضًا تنفيذ خفض لإنتاج النفط. وتم تصنيف الدول التي تتلقى النفط باعتبارها صديقة أو معادية أو محايدة وتم الإبقاء على إمداداتها أو تقليلها وفقًا لهذا التصنيف. وكان أثر ذلك على هولندا -على سبيل المثال- بعد وضعها في الصنف الأول عميقًا- على الرغم من أن بلجيكا، التي وضعت في الصنف الثاني، تمكنت من مساعدة جارتها في الخروج من تبعات هذا الأمر. في حين قامت اليابان ببعض الضجيج الدبلوماسي مما مكن من إدراجها في صورة دولة صديقة بدلاً من دولة معادية. وبمرور ثلاثة أشهر، بحلول نهاية ديسمبر من عام 1973، كان سعر النفط قد تضاعف إلى أربعة أضعاف. ومع ذلك، لم يكن سلاح النفط قاطعًا في الحرب. فقد استلزم الأمر وقتًا لكي توحد الدول العربية المنتجة للنفط جهودها، ولم تشترك جميعها في هذا الجهد. فقد كان الشغل الشاغل لبعض الدول أكثر من غيرها هو خسارتها لعوائد تطبيق المقاطعة. ومع ذلك وفي حين نقر بأن إنشاء جبهة موحدة والحفاظ عليها شديد الصعوبة، كان الأمر ذا أهمية بكل تأكيد. وحينها تم خلق منظمة للدول العربية المصدرة للنفط، ومقرها فيينا، عام 1968 بواسطة أعضاء عرب لمنظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) التي تشكلت في بغداد قبل هذا بثمانية أعوام. وبحلول عام 1973، تشكل هذا العالم من النفط من اثنى

عشر عضوًا، كان أربعة منهم فقط (فنزويلا، ونيجريا، والإكوادور، وإندونيسيا) من خارج الشرق الأوسط.

وبعد انتهاء أزمة الحرب التي جلبت الزيادة في أسعار النفط، لم تهبط الأسعار فجأة مرةً أخرى، وبدأت الدول العربية وغيرها من الدول المنتجة للنفط في أن تشهد زيادة في عوائد النفط لديها. وبدت صدمة النفط أن لها تداعيات على المنتجين والمستهلكين على حد سواء. وقد عمت الفوضى الاقتصادية كافة أنحاء البسيطة.

في ختام مؤتمرهم أعلن القادة العرب أن الأمة العربية ستقوم بواجبها وستكون على استعداد للمزيد من النضال والتضحية لتحقيق العدالة في فلسطين. ألقي النزاع بين الجزائر وجارتها المغرب بعد ذلك بوقت قصير، بشأن مستقبل الصحراء الغربية، ضوء أخر على الأمة العربية. وكذلك فعل الوضع في لبنان عام 1973. ولأكثر من أربعين عاماً لها كدولة مستقلة، كانت ضوابطها وتوازناتها الدستورية لفهم المزيج المعقد للمسحيين المختلفين والأشكال المختلفة من الإسلام دوماً متزعزعة. لم تكن بيروت على الرغم من تطورها مدينة مجتمعية. أدي وصول شريحة جديدة من الفلسطينيين، الذين طردوا من الأردن، إلى تزعزع توازنها الداخلي. تذمر النقاد من أن الفلسطينيين، المحتشدين في المخيمات، يشكلون لأنفسهم دولة داخل الدولة. جلبت الهجمات الفلسطينية على إسرائيل الإنتقام الإسرائيلي إلى لبنان. هاجمت ميليشيا مسيحية يمينة، مخيمات الفلسطينيين في أبريل 1975 وألحقت بهم خسائر فادحة. تلقي الفلسطينيين بدورهم دعماً من الجماعات الإسلامية اليسارية. بدا الأمر كما لو أن الحرب الأهلية قد بدأت. وضعت هذه الصراعات، سواء الحالية أو الناشئة، الأمة العربية في موقف مختلف.

## شاه إيران: تتويج الإنجاز؟

نقل النفط إيران إلى العالم السياسي البحر متوسطي/العربي الذي تمت مناقشته في الأجزاء السابقة ولكن بشكل هامشي. تسببت قوة إيران في التخوف من الخليج لأسباب واضحة. كان لشاه إيران دوراً في دفع ارتفاع أسعار النفط ولكن كانت له أسبابه الخاصة. كان طموحه ينمو. في عام 1971 كان قد حكم لمدة ثلاثين عاماً (ولقد تولي عناء تتويج

نفسه في 1976 بشكل رسمي) وقام بالترتيبات المناسبة للاحتفال بهذه الحقيقة. ولحسن حظه تزامنت الذكري السنوية له مع الذكري الـ 2500 للإمبراطورية الفارسية. أقيم إحتفال باهظ في مدينة أنشئت خصيصاً بين أنقاض صحراء برسيبوليس. أصبح الطاووس، الرمز الوطني، في كل مكان وعلى العملات المسكوكة خصيصاً في فرنسا وعلى أطباق العشاء المقدمة لضيوفه. كان الشاه مسروراً بتقديم نفسه خليفة، أن لم يكن السليل، لكوروش الكبير. تألق هيل سيلاسي، وهو لاعباً أساسياً في التجمعات الاحتفالية العالمية، بشكل إمبراطوري على الستين رئيساً الآخرين للدولة الحالية. أقيم هذا الأمر خصيصاً لإثبات قدم وحداثة إيران. في أحد الأيام ركع الشاه أمام ضريح كوروش وفي اليوم التالي كان يحيي ضيوفه في مطار شيراز. أظهرت الحداثة نفسها في برنامج إصلاح الأراضي وإصلاح التعليم، وأحدها كان في مواجهة المعارضة الدينية. أصبح ارتداء الحجاب للسيدات غير قانوني. أثار إعجاب الشاه بمحلات السوبر ماركت، على الرغم من أنه ليس زبوناً غضب التجار التقليديين. كان لديه وسائل لفرض رأيه بشأن الحداثة. كان التصالح والاندماج غريبين على طريقته في التصرف. وفى مدينة "قم" وفي 1964 في منفاه في العراق، نشأ روح الله الخميني، إتباعاً لتقليد عائلي مثل آية الله، نتيجة عمل شاق يدمج بين الفلسفة الإسلامية والقانون والأخلاق، جميعها من وجهة نظر الشيعة. استنكر الأساطير الملكية لبيرسيبوليس ولمحاولات الأخرى للحد من الإسلام (مثل فرض تقويم جديد يبدأ من كوروش الكبير بدلاً من هجرة محمد). وبطبيعة الحال فقد أدان ما اعتبره تبعية الشاه للولايات المتحدة الأمريكية.

كانت العلاقة بين إيران والولايات المتحدة علاقة وثيقة. كانت الأخيرة مسرورة في أوائل السبعينات برؤية إيران بوصفها الوصي علي الخليج الفارسي. ومع ذلك لم ير الشاه نفسه مجرد مساعد محلي للولايات المتحدة. ظن العراق، وحكام الدول الجديدة على شاطئ الجنوبي، المحرومين منذ 1971 من الوجود البريطاني، أن الخليج عربي. كانوا أقل تقديراً للوصاية الإيرانية كما كان الملك فيصل في الرياض (تم عزل الملك سعود أخيراً في 1964). صدرت تصريحات من إيران معلنة أنها في طريقها لتصبح أحد القوي الخمس العظمي في

العالم. ظل مصنعي الصهاريج في الولايات المتحدة وبريطانيا مشغولون عن متطلبات الشاه. ساعدت زياراته إلى ألمانيا والهند والولايات المتحدة، ترافقه زوجته التي لم تكن محجبة بالطبع، في تقديمه كشخصية عالمية هامة. محلياً، لم يكن هناك إجماع حول انتماء إيران في العالم. سيكون للعجرفة أعدائها. لم يكن التطور في العلاقة بين إيران والعالم العربي وبين الشيعة والسنة بعيداً.

# 17

# عوالم أفريقيا

كان جزءاً من رسالة بومدين التي تسلمها من الجزائر تخبره بأنه على أفريقيا فرض نفسها. لقد حان الوقت، كما قال، للهروب من العالم الذي كان يدار من خلال إطار شرقي-غربي. متحدثاً في الأمم المتحدة عام 1974، تحدث عن ملايين الرجال الذين يغادرون من نصف الكرة الجنوبي إلى نصفها الشمالي. وهم لم يذهبوا إليها كأصدقاء ولكن لإحتلالها، كما قال. وقد ذهبوا لإحتلالها مع أبنائهم. إن أرحام نسائنا ستجلب النصر. لم يلقي هذا الخطاب استقبال جيد في نصف الكرة الشمالي. إلا أنه وعلى الرغم من هذه الشراسة، فقد تحدثت دول شمال أفريقيا، التي تركز سكانها على نحو متزايد في المدن الساحلية علي البحر الأبيض المتوسط، عن أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التي تقع على حدودهم. في الواقع كان لأفريقيا مجالاتها المتميزة الخاصة. كان من الصعب معرفة أين تبدأ أفريقيا ومن يتحدث بإسمها. كانت معظم الدول الأفريقية التي استقرت في العقد الأول أو نحو ذلك من الاستقلال، لا تزال تحمل بصمة الحكام الاستعماريين السابقين.

### ادعاء الهوية: الأصالة الفرنكوفونية

كانت العوالم الأفريقية الناطقة بالإنجليزية والناطقة بالفرنسية لا تزال مكتفية ذاتياً، على الرغم من مواجهة نفس مشاكل الوحدة. في تشاد، تحدت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد

منذ منتصف الستينات فرانسوا تومبالباي (ولد في 1914)، رئيس تشاد الأول، وهو معلم سابق وناشط نقابي من جنوب البلاد. جاءت المساعدة العسكرية المباشرة لدعم موقفه من جنود المظلات الفرنسيين. في أوائل السبعينات غير تومبالباي مساره معلناً إلتزامه بالأصالة، أي الأفرقة. وإلى الشمال كان لنظام الحكم الليبي وجهة نظره الخاصة حول ما يعنيه ذلك. أطلق على نفسه اسماً جديداً. وأطلق على عاصمته أيضاً اسماً جديداً" نجامينا" والتي كانت تزداد توسعاً في السكان بشكل سريع، مستبدلاً اسم فورت لامي الذي أطلقه الفرنسيين على البلدة الصغيرة التي احتلوها. على الرغم من ذلك كانت لغة التدريس في الجامعة التي افتتحت في 1971 هي الفرنسية. وفرض طقوس استهلال، على الرغم من أن ذلك كان شيئاً خاصاً جداً بشعب سارا. لم يتم الترحيب عالمياً بشكل الأفرقة الذي وضعه. وتم اغتياله في 1975.

شكلت ظروف تشاد تطورها الدقيق إلى هذا الوقت تاريخاً معيناً. على الرغم من ذلك فقد كانت مهمة تحقيق التوازن بين الشعب واللغات والمناطق المختلفة مشتركة بين جميع الدول المجاورة لها، والتي ضاعفها الفقر والهجرة الداخلية. لم يكن النداء من أجل الأصالة في ظل هذه الظروف سوي شيئاً معقداً. لقد كانت كلمة تلائم نوع معين من الخطاب الفرنسي حتى لو كان هدفها هو إعادة التعريج على الماضي الحقيقي الذي كان قبل الإستعمار. لم يفكر الكتاب أو السياسيون بأي حال من الأحوال في الرفض. تلقي الكثير من الحرس القديم في السلطة في هذا العقد تعليمهم في مدرسة ويليام بونتي بداكار. كانت الفرنسة جزءاً من تكوينهم. خدم مديبو كيتا، رئيس مالي، لفترة ما في الجمعية الوطنية بباريس. لم تعجب الحكومات الفرنسية بتوجهه السياسي وهو في منصبه. وكانت المناقشات السياسية لا تزال تصاغ في إطار المفاهيم الفرنسية. في السنغال نفسها، استمر سنغور، الذي ظل في منصبه لما كان في هذه المرحلة دولة ذات حزب واحد، في توسيع عالمه الفرنسي الإفريقي بأسلوب أنيق. إستضافت داكار المؤتمر العالمي الأول لثقافة وفنون السود، والذي خدم أيضاً البحرية الفرنسية: هل يعد ذلك تعايش متكامل؟ ظل لتعاون مع فرنسا رئيسياً بالنسبة لهوفويت بوانيي في ساحل العاج. شهدت البلاد نجاحاً اقتصادياً

من خلال التوسع في إنتاج الكاكاو والقهوة. تدفق المهاجرين من الدول المجاورة. احتفظ بقبضته المحكمة على السلطة، راضياً عن أي تلميح للانفصال الداخلي وساعياً لزعزعة استقرار أنظمة الحكم المجاورة، سواء في غينيا أو داهومي. لقد حلم ببناء كنيسة كبيرة جداً. في غينيا نجا توريه، مع تزايد اللجوء إلى سجن معارضيه في معسكرات سيئة السمعة، ولكن بحلول السبعينات خفت بعض من حماسه الثوري. وبدأ هو أيضاً في السعي للتقرب من فرنسا.

وضيقاً باللغة المتعالية والمباني المرتفعة، شخص النقاد، في الداخل والخارج، المشهد في أجزاء كبيرة من الغرب الفرنسي السابق ووسط أفريقيا بأنه "الاستعمار الجديد". وعلى الرغم من الاستقلال فقد ظل المستشارين ورجال الأعمال الفرنسيين بعض الأحيان داخل الوزارات. وبذلك كانت القوات الفرنسية في عدد من البلاد على أهبة الاستعداد. كان التدخل في الأزمة محصوراً في تشاد. وعلى الرغم من أن مشاركتهم كانت عن طريق الدعوة، فقد كانت هناك طرق لإرسال هذه الدعوات. لم يكن استقلالاً بشكل كبير، كما قال النقاد، بل كان تبعية. وحتى الضجة التي صاحبت الاتفاقات التي تمت في ياوندي عامي 1936و 1969، التي مولت المشاريع الزراعية ومشاريع البنية التحتية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، لم تستطع إخفاء الفوائد المتبادلة التي حصل عليها الممولين الأوروبيين، خاصة الفرنسيين، من الترتيبات التجارية المصاحبة. قد تكون الأخوة من نوع معين واضحة، لكن الأحضان الفرنسية لم تكن دائماً أخوية.

على الرغم من ذلك، لم تبدو الحرية والمساواة واضحة في ظل هذا العالم السياسي المتطور. كان العسكريين صغار السن يتحركون خارج ثكناتهم في هذا الجزء من العالم. لقد كان الجندي الشاب موسي ترواري، خريج الأكاديمية العسكرية الفرنسية، هو من أطاح بكيتا في مالي عام 1968. وقبل ذلك بعامين شرع جان بيدل بوكاسا في الخيانة والتي كانت بمثابة مهزلة. كان قد انضم للجيش الفرنسي في سن الـ 18 عام 1939 وحصل على كلا من جوقة الشرف ورتبة فارس. لقد كان رئيس جيش جمهورية أفريقيا الوسطي عند استقلال البلاد في 1960. وشن انقلاب ناجح في 1966. وهنا أصبحت دولة غير ساحلية وذات

كثافة سكانية منخفضة وتنوع عرقي تحت سيطرة شاذة. وغير مكتفياً بجعل نفسه مارشال، فقد كان ذو طموحات إمبريالية وسعي لتحقيقها في العقد التالي. في 1974، أطاح الانقلاب العسكري في النيجر بالحكم المدني ذو الحزب الواحد الذي حافظ عليه حماني ديون منذ الاستقلال. بدت عمليات الاستحواذ هذه، سواء الزائلة أو الدائمة، متوطنة. وكانت هذه هي الطريقة التي سار عليها العالم.

### ادعاء الهوية: الأصالة الناطقة بالإنجليزية

لم تبدو غرب أفريقيا الناطقة بالإنجليزية مختلفة تماماً. في نشر المنفي الغاني أفكاره في كتابه "تحدي أفريقيا". كان كوفي بوسيا يقضي بعض الوقت في بيئة أكاديمية في أكسفورد وهولندا. كان قد كتب فى وقت سابق أطروحة أوكسفورد، في 1951، عن موقف الرئيس في النظام السياسي الحديث للأشانتي، وقد جاء هو نفسه من سلالة ملكية. تشكلت مسيحيته من قبل الميثودية الإنجليزية التي زرعت فيه. لقد كان من أول الأفارقه الذين دخلوا في إدارة الاستعمار في جولد كوست، لكنه لم ير أي مستقبل في هذا الاتجاه. وكعالم اجتماع، أصبح هو أول أستاذ أفريقي في جامعته. لم يفكر أي غاني أكثر منه في حياة بلاده بعد الاستقلال. وبعد ثلاثة سنوات من الحكم العسكري التي تبعت خلع نكروما في 1966، أصبح بوسيا رئيساً للوزراء في إدارة مدنية. كانت المشاكل الاقتصادية التي يواجهها شاقة، لكن الإجراءات التي اتخذها، والتي تضمنت تخفيضاً قاسياً، لم تساعده كثيراً. لم يكن ذكائه ولا نزاهته في موضع شك لكن ملائمته كانت كذلك. في 1972، في حين كان بعيداً في لندن، تمت الإطاحة به من قبل لجنة عسكرية تسمي نفسها مجلس الخلاص الوطني. كان رئيسها عقيد آخر، أغناطيوس أتشيبونج. بالنظر للوضع الاقتصادي العالمي، كان من غير المرجح حدوث تحول اقتصادي سريع. اعتقد المجلس بأن الدولة بحاجة للخلاص. كان أحد شاعراته هو أن غانا يجب أن تظل على اليمين، ليس في السياسة، ولكن تخلياً عن العادة البريطانية السخيفة في القيادة على اليسار. في الحقيقة لم يكن بوسيا سياسياً وقد توفي في غضون بضع سنوات. صارعت كتاباته الأصالة. جلب الحكم الاستعماري كل من الاستعباد العقلي والتحرير. لم يكن من السهل

محو تأثيره، سواء الجيد أو السيئ، من الذاكرة المعاصرة. لقد اعتبر نفسه في موطنه في أوكسفورد ملما عما كان في أكرا. والآن في عالم ما بعد الاستعمار، شكلت كيفية تعايش مجتمعه ونوع الديموقراطية التي يمكن أن يحققها "تحدي أفريقيا". في الواقع كان هناك العديد من التحديات والعديد من أفريقيا.

في يناير 1967، استضاف الحاكم الغاني، الجنرال أنكراه، مؤتمراً في غانا لمحاولة حل الأزمة في نيجيريا وبدا أنه حقق بعض النجاح. ومنذ حدوث أول انقلاب عسكري هناك في العام الماضي، والذي شهد مقتل رؤساء وزارات شماليين، سيدي أبو بكر باليوا، وسوندرا رئيس سوكوتر وآخرين، احتفظ سلسلة من القادة العسكريين بالسلطة والهيمنة. كان آخرهم العقيد ياكوبو جوون، مسيحي شمالي. كانت هناك ضجة حول عودة الحكم المدني. كانت هناك موافقة مرة أخرى على التعريج على الهيكل الاتحادي. لا يزال يتمحور التوتر حول مصير شعب الإيبو. وباعتبارهم مهيمنين، عندما يكونوا خارج موطنهم وهو المنطقة الشرقية، فقد خشي هم أنفسهم من حدوث مذبحة. عين اودوميجو اوجوكو (ولد في 1933)، وهو من الإيبو ولكن ولد في الشمال، حاكماً عسكريا للمنطقة الشرقية في أوائل 1966. وقد خلص إلى أن شعب الإيبو لن يحصل على الأمن إلا من خلال الانفصال عن نيجيريا وتشكيل دولة خاصة بهم. كان والده رجل أعمال ثري جداً منح لقب فارس من قبل البريطانيين. أرسل الشاب إلى إنجلترا في المدرسة والجامعة (حصل على شهادة في التاريخ من جامعة أوكسفورد). وعند عودته لوطنه، انضم للجيش وتلقي ترقية سريعة. بدا في مؤتمر غانا معتدلاً في رغبته في الإنفصال عن نيجيريا ولكن في مايو، بعد الحصول على موافقة الجمعية الإقليمية، أعلن بيافرا دولة مستقلة.

كانت الرهانات مرتفعة. بالنظر لدول أخرى في غرب أفريقيا يمكن القول بأن نموذج بيافرا غير قابل للتطبيق. إلا أنه إذا كان قد نجح في الانفصال بنجاح، فسيكون من المرجح أن يؤدي إلى المزيد من الانشقاقات وإلى الانفصال الكامل ليس فقط عن نيجيريا، مما سيشكل نموذج يتبع في أي مكان آخر. أحدث جون توسعاً كبيراً في الجيش الاتحادي وتلا ذلك نشوب حرب أهلية مريرة. قاوم المشاركين المحاولات التي تقوم بها منظمة

الوحدة الأفريقية وغيرها للتهدئة. شنت حرباً إعلامية كبيرة. تحيزت الحكومة البريطانية للجانب الإتحادي وأمدته بالأسلحة (كما فعل الاتحاد السوفيتي). كان أوجوكو مشمئزاً. حصل على إمدادات بالأسلحة من فرنسا ومع تدهور الأوضاع جاءت المساعدات من جمعيات خيرية كاثوليكية في شتي أرجاء العالم. وفي ساحل العاج، والذي كان قد اعترف ببيافرا، وجد أجوكوا ملاذاً عندما انتهت مقاومة بيافرا في يناير 1970. سرت دول غرب أفريقية أخرى، والتي كانت على دراية تامة بتعددها العرقي، بالمراقبة والانتظار.

كانت النتيجة هي تأييد سلامة أراضي الدول. إلا أن ذلك ترك نيجيريا في حالة غير مستقرة وغير صالحة في هذه اللحظة لأي حكم بإسم أفريقيا. كان الإعتراف العاجي ببيافرا أحد الإشارات على أن الدول المتحدثة بالفرنسية تحمل العداء للهيمنة النيجيرية. جعلت هذه المشاعر من الصعب تطوير غرب أفريقيا كموقع عالمي. ومع ذلك في مايو 1975، أنشئت خمسة عشر دولة غرب أفريقية الجمعية الاقتصادية لدول غرب أفريقيا. في فبراير ووفقاً لبنود إتفاقية لومي التي عقدت بين الجمعية اللإقتصادية الأوروبية (كتلة جديدة من المستعمرات الأوروبية السابقة في أفريقيا ) ودول الكاريبي (المحيط الهادئ)، حصلت الدول الأفريقية على إتفاق تجاري أفضل مما حصلوا عليه بموجب إتفاقات ياوندي. بدا صندوق تثبيت أسعار السلع مفيداً بشكل خاص. ومع ذلك عارض النقاد ترسيخ وجود وجهات النظر الأورو- أفريقية التي عفا عليها الزمن، والتي كانت أفريقيا هي الشريك الأضعف فيها. كان لنيجيريا بالفعل إحتمالية القيادة. أعطت مواردها النفطية فرص استثنائية للدولة. لقد أعطوا الأفراد أيضاً فرصاً إستثنائية للعمل. قد يكون النفط لعنة محلية بقدر ما هو نعمة. كان هناك العديد من المشاكل الأخرى. أورثت الحرب جيشاً متفاخراً ونزاعاً مستمراً حول التوازن المناسب للدولة الإتحادية. زاد جون من عدد الدول ولكن توازن السكان، سواء من تكوين عرقي أو لغوي، وروابط الاتصال نادراً ما تطابقت. كانت أرقام التعداد دائماً مثيرة للجدل. ظل جون مسيطراً، كلما أمكن ذلك. كان الحكم العسكري هو النظام الحالي. وكذلك كان الحال في سيراليون بعد الانقلابات في عامي 1967 و1968.

وكانت النتيجة، بحلول عام 1975، هي تخلي جميع المناطق البريطانية الغرب أفريقية عن أشكال حكومتها في وقت الاستقلال. كانت مواقعهم المتفرقة وأحجامهم المختلفة تعني أنهم بالكاد يشكلون كتلة. كانت لديهم نقاط إتصال فردية وليست جماعية بلندن. إلا أن استمرار اللغة الإنجليزية في نيجيريا لم يؤدي بالضرورة إلى إدامة المحور البريطاني النيجيري (على الرغم من هجرة موجات صغيرة من النيجيريين إلى إنجلترا). أشار المعلقون إلى ما أسموه أمركة الحياة النيجيرية. إذا كان ذلك يحدث من الناحية التجارية والثقافية فكان من الغريب ملاحظة ضعف الهيمنة في ليبيريا علي نسبتها الضئيلة من الأمريكيين الليبيريين في هذه المرحلة الغريبة من خلق عالم في وقت سابق، كما بدا الأمر. تولي ويليام ريتشارد تولبرت، وهو حفيد عبد محرر من تشارلستون، منصب الرئيس في 1971. لقد تكبد عناء تعلم أحد اللغات الأصلية لبلده ولكن سكانها من الأفارقة لم يبدو متسامحين حيال هيمنة العشائر الأمريكية لفترة أطول من ذلك. وكانت هناك قضية مماثلة في سيراليون حيث انضمت المستعمرة الأصلية مع حكومة المناطق النائية.

## روديسيا: الحكم أحادي الجانب

في يناير 1966 عقدت رابطة الأمم مؤتمراً خاصاً في لاجوس. وكانت تلك هي المرة الأولي التي اجتمعوا فيها خارج المملكة المتحدة. وهذا في حد ذاته كان رمزياً. لقد اجتمعت في نيجيريا لأنها واجهت مشكلة أفريقية. في نوفمبر 1965، أعلن إيان سميث، رئيس وزراء روديسيا، استقلال بلاده من جانب واحد. كان سميث نفسه، والذي ولد لأب وأم روديسيين ولكن هاجروا من بريطانيا، قد عاد للطيران كطيار مقاتل مع القوات الجوية الملكية خلال الحرب العالمية الثانية قبل العودة للوطن. وبعد عشرين عاماً لم يتغير سميث ولكن العالم تغير. كانت لحكومته، المنتخبة من قبل الأقلية البيضاء–5.5٪ من السكان– في 1970، طريقتها الخاصة في الإدارة، مهما كان ما يعتقده من يديرون بريطانيا الآن. رفضت بريطانيا الإعتراف بالدولة وفرضت قيوداً تجارية وحظر على النفط. أراد أعضاء الكومنولث الأفريقية أن تذهب بريطانيا إلى أبعد من ذلك وأن تضع يدها بقوة في لاجوس. استبعد رئيس الوزراء ويلسون استخدام القوة وادعي أن العقوبات ستكون

فعالة بشكل سريع، لكن لم يكن هناك أي نتائج سريعة. لم تسفر المحادثات مع سميث، سواء مباشرة أو من خلال وسطاء إلى أي شيء. ومرت سنوات.

في مارس 1970 أعلنت روديسيا نفسها جمهورية وظلت كذلك لخمس سنوات. ولكنها الآن تورطت في حرب مع اثنين من قوات حرب العصابات، جيش الشعب الزيمبابوي الثوري والجناح العسكري لجوشوا نكومو (ولد في 1917- اتحاد الشعب الزيمبابوي الأفريقي) المؤسس حديثاً في زامبيا، وجيش التحرير الوطني الزيمبابوي لروبرت موجابي (ولد في 1924) والجناح العسكري للاتحاد الوطني الأفريقي الزيمبابوي المؤسس حديثاً في موزمبيق. كانت قوة كل منهما واضحة بين شعوب النديبلي والشونا، ولكن التنافس بين هذين الرجلين كان شخصياً بقدر ما كان عرقياً. كان عالم موجابي الأفريقي، الذي درس في كلية ماريست وكان كاثوليكياً مؤمناً، أكثر تنوعاً وشمولاً من عالم نكومو. كان للفترة التي قضاها في غانا الأثر الأكبر على تفكيره. وفي العقد الذي تلا 1964، قضي كلا من موجابي ونكومو معظم الوقت في سجون روديسيا. لم يتم التوصل بعد لنهاية اللعبة الروديسية.

اعتقدت دول الكومنولث الأفريقية أن بريطانيا، في ظل الحكومات المتعاقبة، فشلت في أخذ روديسيا على محمل الجد. أثرت هذه القضية بشكل سيء على الرأي البريطاني. لقد كشفت عن مدي تغير العالم ومدي عدم تماسك السياسة. لقد كان هناك دعماً ضئيلاً للتدخل البريطاني العسكري المباشر لإسقاط حكومة سالزبوري (هراري). كان هناك بعض الدعم، ولكنه ليس كبيراً، لحكم الأقلية البيضاء. ومن الناحية الأخرى، واعتماداً علي ما كان يبدو أنه يحدث في كل مكان في أفريقيا، تطورت السخرية حول حكم الأغلبية السوداء ومصير الحقوق الدستورية الراسخة. تم التخلي عن الطيار الروديسي بسلاح الجو الملكي والذي طار بشجاعة إلى بريطانيا للدفاع عن القيم المتحضرة، كما شعر بعض من أبناء جيله. شعر الجيل الأصغر بقليل من التعاطف. إن فشل حكومة المملكة المتحدة في إسقاط نظام حكم سميث أو إجباره على قبول الهزيمة على طاولة المفاوضات استمر في إثارة استياء أعضاء الدول الأفريقية بالكومونولث حتى أوائل السبعينات. لقد وضعت

الجمعية نفسها تحت مزيد من التدقيق. لقد كان لديها الأمانة الخاصة بها في لندن وكان الدبلوماسي الكندي هو أول أمين عام لها. وقام بزيارة عواصم دول الكومنولث. لقد كان يستخدم كتيب منظمات الكومنولث، الذي نشر في 1965، والذي أدرج أكثر من مائتي هيئة مصممة في مجالات متنوعة لتعزيز الاتصالات المهنية والصداقة الشخصية في جميع أنحاء عالم الكومنولث. وفي بريطانيا اختفت أي فكرة تشير إلى أن الكومنولث كان هيئة تعكس وجهة النظر البريطانية فقط. إستاءت الحكومة مع توجهها الأوروبي، من مدي تغطرس الدول الأفريقية. رأي مؤتمراً آخر للكومنولث، والذي عقد هذه المرة في أوتوا في 1973، أن الحكومة البريطانية لا تزال تؤكد على أن روديسيا تحت مسئوليتها وأنها ستفعل ما تراه مناسباً. تلاشت محادثات الكومنولث، ولكن أصبح هناك إدراك أكثر وضوحا في العديد من العواصم أنه لم يكن لديها سياسة عالمية.

## البرتغال في أفريقيا: الأولي في الدخول والأخيرة في الخروج

جلبت روديسيا تاريخاً أوروأفريقياً واحداً إلى محور التركيز، وجلبت أنجولا وموزمبيق تاريخاً آخر. أصبح مارسيلو كايتانو (ولد في 1906) رئيساً للوزراء في البرتغال في 1968. لقد كان مؤيداً قوياً للدولة الجديدة التي كانت عليها البرتغال لمدة أربعين عاماً. في حين قد يكون هناك تغيير في الحافة، فإنه سيحافظ على موقفه الاستبدادي. أعطته مؤلفاته في مجال القانون الإداري تميزاً أكاديمياً. لقد كانت المشاكل الإدارية والسياسية العملية هي ما واجهته. كان للبرتغال إقليمين، في أنجولا وموزمبيق، والتي أسمتها منذ أوائل الخمسينات "مقاطعات ما وراء البحار". وقد جعلها ذلك مختلفة عن مستعمرات الدول الأوروبية الأخرى والتي كانت في طريقها للاستقلال. حتى وفاته، كان سالازار يؤكد أن المهمة الأفريقية لبلاده كانت مهمة حضارية. وبعد 1945 ظلت البرتغال خارج نطاق دعم أوروبا الغربية. كانت الإمبراطورية تطمئن حكامها بأن الدولة لم تكن فقط رجعيةً وهامشيةً. كانت الفرص للقطاعات الفقيرة من السكان متاحة من خلال الهجرة عن طريق البحر. بخلاف بريطانيا وفرنسا في أفريقيا، فقد أحكمت البرتغال سيطرتها على الأراضي التابعة لها في أفريقيا، رغم بعض التعثر (وكانت أكثر إحكاماً على الساحل أكثر

منها في الداخل على نحوٍ لا يمكن إنكاره). وجدت موزمبيق قناة اتصال استطاعت من خلالها نقل الإمدادات الحيوية، على الرغم من الحصار البحري الذي فرضته بريطانيا، ليصل إلى جارتها روديسيا. كان نظام سميث بحاجة إلى التفاهم في ذلك مع السلطات البرتغالية في لورينزو ماركيز، فهم بالتالي كانوا يتعاملون مع فريليمو (جبهة تحرير موزمبيق)، وهي حركة حرب العصابات التي أُطلقت أخيراً لتطالب بالاستقلال. انضم الشباب الذين تلقوا تعليمهم غالباً باللغة البرتغالية وفي مدارس تبشيرية كاثوليكية تحت راية تدعي على الأقل أنها ماركسية. كان الخليج يفصل بين العالم الذي يتحدث البرتغالية لممرض يُدعى سامرا ماتشيل (المولود عام 1933)، أحد قادة فريليمو، وعالم البروفيسور كايتانو. لم يقم ماتشيل بزيارة البرتغال، ولم يكن كايتانو يعرف بشكل مباشر أقاليم ما وراء البحار. كان يبدو في البداية أن القوات البرتغالية قادرة على احتواء العصيان المسلح الذي كان ماتشيل العقل المدبر له هو ورفقائه مثيري النزاع. كانت الخصومة للعدو هي السمة التي تغلب على المظلومين أكثر من الوحدة. مرة أخرى كان الوضع هو أن القوات التي تحكم السيطرة على المدن لا يمكنها فعل ذلك في الريف، والعكس صحيح. قد يستمر الصراع لفترة طويلة. ونفس القواعد وُجدت في أنغولا على الرغم من أنه من البداية كان من الواضح أن النضال على أربعِ طرق. كانت أكبر الحركات، الحركة الشعبية لتحرير أنغولا والاتحاد الوطني للاستقلال التام لأنغولا والجبهة الوطنية لتحرير أنغولا، على قدر تناحرهم من أجل الحصول على مكانةٍ على قدر سعيهم لهزيمة الجيش البرتغالي. وبالتالي يعكس هذا حقيقة أن جميع هذه الحركات لها مؤيدون من الخارج تسعى لأهداف أكبر من مجرد كونهم مواطنين أنغوليين. توجه أوغوستينو نيتو، قائد الحركة الشعبية لتحرير أنغولا الذي قضى سنواتٍ كثيرة في البرتغال كطالبٍ يدرس الطب (وكسجينٍ أيضاً)، صوب الاتحاد السوفيتي (كوبا). سوف يسير التحرير والتحديث جنباً إلى جنب، وكان النموذج الكوبي جذاباً. أما بالنسبة لجوناس سافيمبي وروبيرتو هولدين لا يمكن التنبؤ بميولهم الأيدولوجية إلا أنه من الطبيعي أن تكون ذو نفسٍ غربي. وكان سافيمبي الذي قضى سنواتِ عمره الأولى في البرتغال وسويسرا وأماكن أخرى، يفخر بأنه يتقن عدة لغات – أوروبية وأفريقية، وهو ما جعله، حسب رأيه، أنه شخصية عالمية. كان الموقف

الأيديولوجي يسير جنباً إلى جنب والطموح الشخصي والولاءات الإقليمية. أياً كان المسار الذي اتبعوه في النهاية، لا يمكن إغفال الدور الهام الذي لعبته الإرساليات البروتستانتية والنسب في المرحلة الأولى من التنشئة، وهو ما خلف لديهم حماساً أقل للبرتغال الكاثوليكية. في مراحل مختلفة من الماضي، كانت البرتغال تحلم بأن تضم أنغولا إلى موزمبيق في دولة واحدة مركزية أفريقيةٍ تابعة للبرتغال تمتد بين الساحلين، إلا أن هذه الأحلام لم تصبح يوماً حقيقة. إذ وجد الجيش البرتغالي نفسه متورطاً في صراعات مديدة، ناهيك عن غيرها من الصراعات في غينيا البرتغالية. لم يكن الأمر يتعلق بالفوز أو الخسارة، ولكنها كانت تجربة بائسة للجنود، وسادت حالة من السخط بين صفوف الجيش من قمة هرمه إلى أدناه. ومن ناحيتها كانت الحكومة قلقة بشأن الميزانية التي خُصص منها جزءٌ كبيرٌ للإنفاق على الجيش. لم تكتفي حركة من القوات المسلحة بمجرد الشكوى للجنرالات سبينولا وجومس وذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما نجحوا في القيام بانقلاب عسكري عام 1974، وهو ما نتج عنه تولي مجلس عسكري الحكم إلى جانب سبينولا كرئيسٍ أولي، لكن كان من الواضح أن البلاد كانت موجهة إلى الجناح اليساري، نظراً لعودة المنفيين إلى البلاد. كانت الدولة الجديدة لعام 1928 قد انتهت بالفعل إلا أنه لم يكن من الواضح أي الأنظمة سيحل محلها بعد. ما يصدق على البرتغال يصدق على عالمها السابق وراء البحار. كانت الحقائق القديمة التي تتعلق بأفريقيا وأوروبا تتبدد.

كان الإرتياب الأوروبي يزداد بالعودة إلى البلاد، سواء فارين أو مطرودين دون أسف، لآلاف الأوروبيين من أفريقيا. نالت غينيا-بيساو، التي فُقدت فعلياً، استقلالها عام 1974 وتوحدت مباشرة بعدها مع كاب فيردي. أصبح كلُ من أنجولا (حينما كان رئيسها نيتو) وموزمبيق (حينما كان ماتشيل رئيسها) دولتين مستقلتين عام 1975، لكن هذا الاستقلال تبعه، مباشرة ولاحقاً، على التوالي حروب خلافة أكثر منها ثورة سلمية.

## جنوب أفريقيا: تعكير صفو السلام

كانت حكومات جنوب أفريقيا لا محالة تراقب تطور الأوضاع في أفريقيا بقلق، فمنذ حدوث مذبحة شاربيفيللو عام 1960، والسياسات الداخلية لها تتعرض لهجوم متواصل.

كانت الأمم المتحدة، التي كان أعضاؤها الأفريقيون في تزايد، هي المنتدى للإنتقاد الدائم. بُذلت محاولات، بموجب المادة 39 من الميثاق، لوصف جنوب أفريقيا على أنها تمثل تهديداً لعملية السلام الدولية، إلا أنهم إلى الآن لم يفلحوا في ذلك. كانت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على استعدادٍ لرؤيتها تعكر صفو السلام، لكن لم يكن للعالم أن يترك جنوب أفريقيا وشأنها ولم يتمكنوا من حسم إمكانية فرض عقوبات. كان الجدال حول جدوى وفائدة، وبأي تكلفة يمكن تغيير حكومة جنوب أفريقيا بشكل سري ومعلن. كان العالم كما تفهمه حكومة جنوب أفريقيا في العقدين الأولين بعد الحرب في حالة تغيرٍ مستمر. وكحائلٍ بينها وبين التوغل الشيوعي، كان نفوذها الدبلوماسي يتضاءل. وبشكل مفاجئ، بدا أن الحكومة البيضاء في غير مكانها في أفريقيا الجديدة بنفس القدر الذي كانت عليه إسرائيل في الشرق الأوسط: في الواقع كان البلدان اللذان كانا يشتركان في حالة النبذ يسعيان إلى رفاهية مشتركة.

ومع ذلك جاء إعلان روديسيا للإستقلال من جانب واحد في الوقت الذي كان اقتصاد جنوب أفريقيا في تراجع مستمر، فشعرت الدوائر الحكومية في جنوب أفريقيا بقوة موقفها، ولا زال الحظر قائماً على المؤتمر الوطني الأفريقي ومجلس عموم أفريقيا. واسترد سجن جزيرة روبن، الذي يبعد عن جزيرة كاب تاون، سجنائه مرة أخرى. وفي قارةٍ تنعم بالاستقرار، حتى جنوب أفريقيا تبدو مكاناً آمناً يصلح للاستثمار فيه. على نحوٍ بهيج فاز الحزب الوطني، تحت رئاسة هندريك فيرورد، بالانتخابات عام 1966. كان مهندس التفرقة العنصرية عازماً على المضي قدماً في تطوير بانتوستا. كان هناك تشريعا ما يعمل بالفعل، إلا أنه في سبتمبر، تم اغتيال فيرورد، وخلفه وزير العدل جوهانيس فورستر (وجوهانيس معروفة لمتحدثي اللغة الإنجليزية ب جون) (ولد عام 1915)، وهو أحد خريجي مدرسة رؤساء الوزراء في جنوب أفريقيا، وهي جامعة ستيلينبوش، إذ كان عليه أن يظل في السلطة لمدة اثني عشرة سنة خطرة. كان ماضيه يطارده وهو ما أعاقه عن صياغة تصور عالمي متماسك عن جنوب أفريقيا، فبسبب معارضته الشديدة وهو في سن الشباب لتورط جنوب أفريقيا في الحرب العالمية عام 1939 وعضويته في حركة

Ossewabrandwag (وهي منظمة مؤيدة لألمانيا في الحرب العالمية الثانية) ألصقت به تهمة أنه مؤيد للنازية. كان لا يكترث للعالم الذي يتحدث باللغة الإنجليزية وكان يرى أنه من الأنسب أن يتولى جمهورية خارج رابطة الكومنولث. لم تكن لندن تمثل له وطناً بأي شكل من الأشكال. ولم يكن الأفارقة هولندي ما وراء البحار. إذ كانت لهم حضارة ولغة أنشأوها في أفريقيا. كل هذا تم التدرب عليه مراراً وتكراراً. في الواقع كان هناك انقساماً مريراً داخل الشعوب الأفارقة، كما ظهر ذلك جلياً في المعارك الانتخابية عام 1970 و1974، كان أحد الأطراف، وعياً منه بطبيعة العالم، يسعى لعمل بعض التغييرات البسيطة دون المخاطرة بسياسة التطور المنفصل ككل، إلا أن خصومهم كانوا على خلافٍ معهم، على سبيل المثال، بشأن الرياضة المختلطة. خلافاً لسابقه، لم يكن فورستر صاحب أيدولوجيا. كل ما أراده ببساطة أن ينأى بنفسه عن جميع هذه الانحيازات. كان التطور الوطني قد وُضع على مساره المعقد، وهو ما لن يوقفه. ومع ذلك، بمرور الوقت، يثبت أن التنفيذ أكثر صعوبة. بل لم يستطع هو نفسه أن ينكر تماماً أن هناك خطأً ما في الخطة.

كانت القضية الخارجية المركزية هي ما إذا كانت منطقة جنوب أفريقيا توقفت عند حدودها أم أنها تجاوزتها. فأخذت هذه المشكلة عدة أشكال. حيث أن الدولة كانت تدير جنوب غرب أفريقيا الألمانية تحت انتداب من عصبة الأمم منذ عام 1920. وكان هذا علامة على درجة تغير العالم الذي تقع خليفته الأمم المتحدة تحت ضغط على مدى فترة طويلة لإلغاء الوصاية. وفي عام 1966، بدأت المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا في العمل على مكافحة وحدات جنوب أفريقيا. وفي عام 1970، أعلن مجلس الأمن عدم شرعية احتلال جنوب أفريقيا لما كان يشار إليها بناميبيا. وفي العام التالي اعترفت الأمم المتحدة بالمنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو) باعتبارها الممثل المعتمد الوحيد لشعب ناميبيا. فهل كان على جنوب أفريقيا أن تتنازل ببساطة عن أي إقليم لا يندمج معها أم أنه كان عليها أن تحارب من أجله بكل ما أوتيت من قوة حتى وإن تطلب الأمر الدخول لأنغولا حيث يوجد قواعد لسوابو؟ وفي حالة الدخول إلى أنغولا، إلى أي مدى يمكنها أن تتورط للحصول على ما تريده. كانت ناميبيا حالة خاصة، إلا أن القضية التي

أثارتها تنطبق على جميع حدود جنوب أفريقيا. وكانت قوات جنوب أفريقيا مجهزة على نحوٍ جيد إلا أنه لا يمكن الإفراط في استخدامها. بل روديسيا نفسها لها نفس الحالة. فما الذي يمكن أن يحمله مصير روديسيا يؤثر على مصير جنوب أفريقيا؟ في البداية لم تكن جنوب أفريقيا تنوي السماح لنظام سميث بالسيطرة عليها، لذلك لم تمنحه اعترافاً دبلوماسياً رسمياً. وبمرور الوقت، حُث سميث على البحث عن حلٍ داخلي. وسواء تم إضعاف جنوب أفريقيا أو تدعيمها بإقامة حاجزٍ يحيط بها فإن هذه مسألة يطول الجدال حولها – ومثلها في ذلك مسألة هل كان على جنوب أفريقيا أن تتملق إلى جيرانها أو تجبرهم على شكل من أشكال التعاون، على سبيل المثال إخضاع دكتور باندا للترغيب والترهيب. فهل كان بإمكان الحكومة أن تنجح في إقناع الدول الأفريقية النائية، ولنقل ساحل العاج، في أن تبنى موقفاً أكثر تعاطفاً؟ لم يكن هناك إجابة بسيطة متفق عليها حول تعريف عالم جنوب أفريقيا.

## وسط وشرق وشمال شرق أفريقيا: الجيران المتنازعة

جميع الدول التي تقع شمال وغرب روديسيا/موزمبيق ( سوازيلند، وزامبيا، وملاوي، وتانزانيا ) قد نالت استقلالها وانضمت جميعها لرابطة دول الكومنولث. خيمت الصراعات المجاورة على سياسات هذه الدول وجذبت إليها حكوماتها. وكل من يرغب في تحرير هذه الدول من الخارج كان يطلب الدعم والمؤازرة والملاذ الآمن قبل الهزيمة النهائية للاستعمار. كان التزامهم بالتحرير يسير جنباً إلى جنب مع إحياء اقتصادهم المحلي للتأكيد على أنها المالكة لأراضيها. كانت بالأساس نفس الثورة. كانت خطط التطوير الوطني هي العمل اليومي. فكانت حكومة زامبيا على سبيل المثال تعمل على مراحل وبشكل منظم لبسط سيطرتها على التنقيب عن النحاس. حيث كانت هذه الصناعة أساسية بالنسبة للاقتصاد والمصدر المهيمن على عائدات البلد من التصدير. من أجل ذلك، ترك هذا الاعتماد على النحاس الدولة مكشوفة، كما أثبت ذلك الأزمة العالمية عام 1973-1975، حينما هبط سعر النحاس إلى النصف. وهو ما أجبر كاوندا بعد سنواتٍ قليلة من الاستقلال أن يتخذ قراراً بأن الدولة ليست بحاجة إلا إلى حزبٍ واحدٍ، وهو

حزبه. سوف تصبح زامبيا دولة الحزب الواحد، على الرغم من كونه قائم على المشاركة، وهو وحده الذي يستطيع توجيه البلاد بفاعلية. على أي حال، كان على زامبيا أن تشمر عن ساعدها أمام العالم. لم يكن بإمكانها، وما كان ينبغي ألا تفعل، أن تكون مجرد مكان تغرس فيه الرأسمالية الغربية أو الشيوعية الشرقية غرسها.كانت القيم الأساسية لأفريقيا تميل إلى الشيوعية. وكانت المسيحية، على فهمها الصحيح، تعزز ولا تصطدم بهذه القيم. وعلى ضوء ذلك نشأت الإنسانوية في زامبيا بقبولٍ من الرئيس. من ناحية أخرى كان جوليوس نيريري، على الشمال من كاوندا، على الرغم من اختلاف اقتصاد بلده كثيراً عما عليه زامبيا، يكتب ويتحدث على نفس النسق من الأفكار. صدر تصريح من مدينة أروشا يعرض رؤية أفريقيا على أنها اشتراكية قائمة على القيم التقليدية، وهو ما افترض بأنها الرؤية السائدة. كلا الرجلين بدءا حياتهما كمعلمين ولازالت النبرة التعليمية قوية لديهما. لم يكن سوى الملك سبهوزا الثاني ملك سوازيلند، التي نالت استقلالها منذ عام 1986، الذي شعر بقدرته على الاستغناء عن الجانب الدستوري لمملكته دون إصدار إيضاح في عدد من صحيفة النيبورك تايمز. وفي ملاوي استحوذ هاستينغز كاموزو باندا على كثيرٍ من السلطات في يده. وإذا ذهبنا إلى الشمال أكثر، في كينيا، سنجد جومو كنياتا فعل نفس الأمر، حيث عززت التغيرات الدستورية المتوالية من سلطاته السابقة، حتى إذا وصل إلى الانتخابات الرئاسية وجد نفسه دون منازع. وبدخول السبعينات من القرن الماضي،أصبحت كينيا دولة ذات حزبٍ واحدٍ تقوم بدورٍ فعال، ذلك الحزب الذي كان يسيطر على جهازه جماعة الكيكويو وهم جماعة كنياتا نفسه. لم تصل معاهدة التعاون بين دول شرق أفريقيا، التي وقع عليها كلُ من أوغندا وكينيا وتانزانيا عام 1968، إلى أي شيء جوهري. كان لدى الرجال الكبار في كينيا نزعة قوية تجاه الرأسمالية المغامرة أكثر منها إلى مبادئ الاشتراكية الأفريقية. في شرق أفريقيا" البريطانية سابقاً" بخلاف غرب أفريقيا، لم تستولِ القوات المسلحة على السلطة على الرغم من أنه عقب الاستقلال دعت حكومات كينيا وتانزانيا على مضض القوات البريطانية للتعامل مع الاضطراب داخل صفوف الجيش. فقط في أوغندا تمكن قائد الجيش، عيدي أمين، من قلب نظام الحكم القائم على حزبٍ واحد وعزل الرئيس ميلتون أوبوتي الذي أسس لهذا النظام منذ الاستقلال. ويبدو

أنه لأسباب إسلامية* استهدف الأغلبية المسيحية، الإنجيلية والكاثوليكية على حدٍ سواء. كان رئيس أساقفة أنجليكاني ونائب مستشار وقضاة من بين الآلاف – ما بين 100,000 إلى 300,000 تقريباً – الذين قُتلوا في السنوات التالية على حكمه مباشرة. كان زميله الجنرال جوزيف موبوتو، منذ عام 1965، هو ما فرض النظام بنجاح ولكن بغير رؤية على الإقليم الممتد على دولة الكونغو الجارة. وهي الدولة التي كانت تتمتع بوحدة وطنية أفريقية، وهو ما يدل عليها رمزياً اتخاذ اسم جديد " زائير".

وفي شمال شرق أفريقيا، كان محمد سياد بري (ولد عام 1919)، الذي استولى على السلطة في الصومال عام 1969، أيضاً منشغلاً بقضية الهوية – فأوجد لهجة جديدة للغة، معززاً من استخدامها، ومقلصاً لغيرها من اللغات الإنجليزية والإيطالية، وحاول بكل ما في وسعه أن يوجد اللحمة بين العشائر لتصبح أمة. كان مستقبل أوجادين، ذو الكثافة العالية من السكان الصوماليين، لكنه داخل أثيوبيا، جرحاً ينزف. وظلت إرتريا أيضاً ذات إشكالية أخرى في القرن الأفريقي. وفي يوليو عام 1974 أبرم بري اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي تمنح موسكو بموجبها تسهيلاتٍ بحرية في ميناء بربرة المتواجد في خليج عدن مقابل التزام الاتحاد السوفيتي بتدريب وتجهيز الجيش الصومالي. كانت الرايات التي تحمل صورة بري جنباً إلى جنب مع صور لينين وماركس، وهم رفقاء غير متوقعين للرجل الذي تدرب على يد قوات الشرطة العسكرية الوطنية في إيطاليا، تمثل تصريحاً عالمياً. وفي سبتمبر استطاع منگستو هايله مريم، وهو كولونيل آخر، الإطاحة بهايله سِلاسي في إثيوبيا والشروع في تدشين نظام ماركسي لينيني معترف به عالمياً، وهو ما أربكَ موسكو، إذ كانت المرحلة تُعد لإلغاء التحيزات.

## الوحدة الأفريقية: بين الأمل والواقع

مع الوضع في الاعتبار ما يجري من عنف على الصعيد المحلي، نجد شيئاً من المفارقة في حقيقة أن مقرات منظمة الوحدة الأفريقية لا زالت في أديس أبابا. كانت الهوة بين الأماني وبين صورة العديد من المواقع التي جرى التخطيط لها أكبر من أن تُوصف. فقد عُقد آخر اجتماع لمنظمة الوحدة الأفريقية في مايو 1973 عندما كان هايله سِلاسي لا زال

على عرشه. كان المزاج العام في المدينة مختلفاً كثيراً عما كان عليه منذ عشرِ سنين مضت. وكانت إثيوبيا قد أصابها الجفاف والمجاعة وربما كانت على شفا الانهيار. ومع ذلك كانت أزمتها جزءاً من أزمةٍ كبيرةٍ طالت القارة كلها حيث تضاعف الدين العام أربع مراتٍ بين عامي 1970 و1976. فقد أصدر المؤتمر نداءً إلى النظام الاقتصادي العالمي الجديد يطالبه بتقديم زيادة كبيرة في المساعدات الإنمائية وإلغاء الديون الخارجية المستحقة. ووُضعت قضايا "الشمال/ الجنوب"، التي سوف نلقي الضوء عليها في الجزء اللاحق من الكتاب، موضع الصدارة. وقال أيضاً بأن المصادر الاقتصادية العالمية يجب أن تُوزع على أساس الحاجة. وفي مؤتمر عدم الانحياز، الذي أُشير إليه في آخر فصل، والذي عُقد في مدينة الجزائر، تمت الموافقة على هذا الاقتراح، كما فعلت ذلك أيضاً الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام التالي له. تم وضع هذه المبادرات في سياق أزمة البترول – لكن هذه الحقيقة أيضاً هي ما جعلت من إقتراح إعادة التوزيع الكبيرة غيرَ محتمل. حيث أن الوفرة الزائدة من المساعدات تؤدي إلى تزايد حجم الفساد. وفي دولة تلو أخرى، هُمش المجتمع المدني أو أُزيل تماما لحساب السلطة المركزية، المتمثلة دائماً في السلطة العسكرية. وأصبح الاغتيال هو الوسيلة الطبيعية لإنتقال السلطة. وفي كثير من الحالات، كان الأفراد حاملي مثل هذه السلطة لا يميزون بوضوح بين الثروات الخاصة وثروات الدولة. نمت الحلقة المفرغة، دون وجود حل واضح يلوح في الأفق، فولّد الفقر عدم الاستقرار، وعدم الاستقرار زاد من الفقر. حتى هؤلاء الذين يعيشون في عالم ما وراء أفريقيا الذين كانوا يحملون نظرة أكثر تفاؤلاً تولد لديهم الشعور باليأس عندما علموا أن القمة القادمة للوحدة الأفريقية، المزمع عقدها في صيف 1975، ستُعقد في كامبالا، أوغندا، تحت رئاسة عيدي أمين، الذي أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه لا يتحلى باللطف. خلال العقد الذي مضى، صعدت أفريقيا على المسرح العالمي، لكن يبدوا أن حجم مشاكلها الداخلية قوض من إمكانية أن يكون هناك صوت للقارة.

## قراءات مستقبلية ـ الجزء الرابع

Addison, Paul, *No Turning Back: The Peaceful Revolutions of Post-War Britain* (Oxford University Press, Oxford, 2010).

Babb, James, *Tanaka* (Pearson Education, London, 2000).

Balfour-Paul, Glen, *The End of Empire in the Middle East: Britain's Relinquishment of Power in Her Last Three Arab Dependencies* (Cambridge University Press, Cambridge, 1991).

Clogg, Richard, *A Concise History of Greece* (Cambridge University Press, Cambridge, 2002).

Dockrill, Saki, *Britain's Retreat from East of Suez: The Choice between Europe and the World?* (Palgrave Macmillan, Basingstoke, 2002).

Heimann, Mary, *Czechoslovakia: The State that Failed* (Yale University Press, London and New Haven, CT, 2009).

Iriye, A. ed., *The Chinese and the Japanese* (Princeton University Press, Princeton, NJ, 1980).

MacMillan, Margaret, *Seize the Hour: Nixon in China* (John Murray, London, 2006).

Pappe, I., *The Israel–Palestine Question* (Routledge, London, 2006).

Venn, Fiona, *The Oil Crisis* (Pearson Education, London, 2002).

Welsh, David and Spence, J.E., *Ending Apartheid* (Pearson Education, London, 2011).

Wasserstrom, Jeffrey N., *Global Shanghai, 1850–2010* (Routledge, London, 2009).

Zürcher, Erik, *Turkey, A Modern History* (I.B. Tauris, London, 2004).

# الجزء الخامس

## 1975 - 91/1989:
## الوصول إلى استنتاجات

هذا الجزء من الكتاب ينتهي فيما يتحرك العالم متذبذبا نحو نهاية الحرب الباردة/ السلام البارد، كما كان الحال المتقلب للعالم منذ عام 1945.

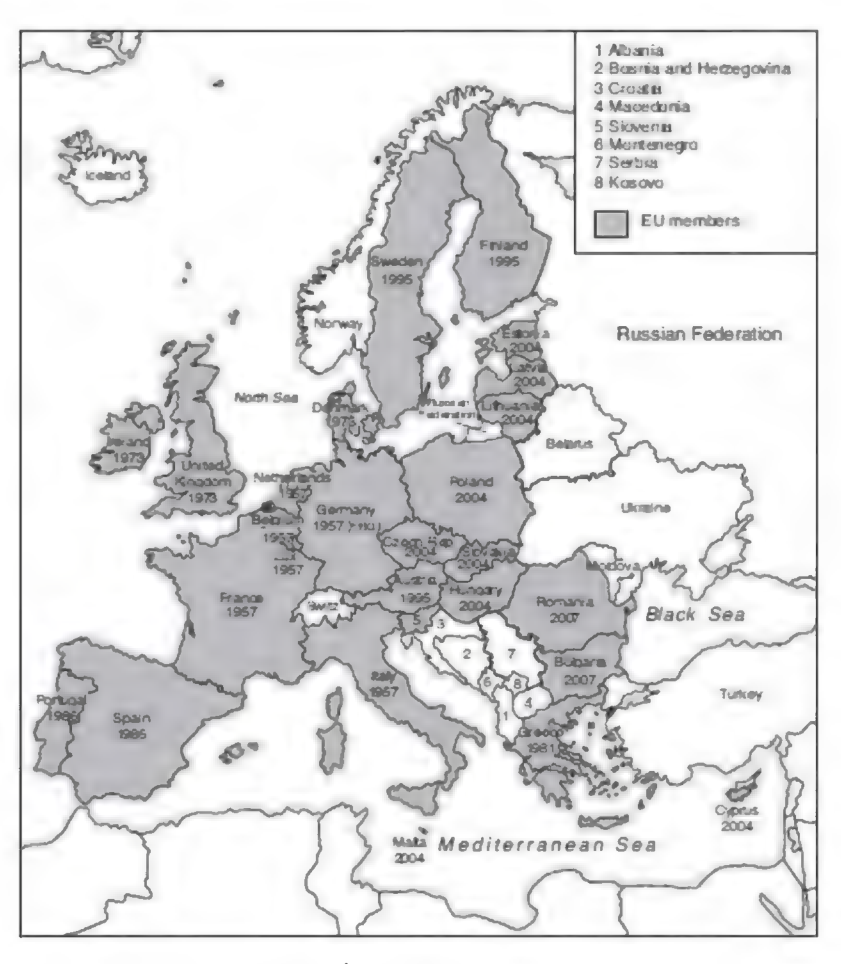
يعتبر الاستنتاج الرسمي والعواقب التي تلت الأحداث هي الجزء الأخير، فكلمة تذبذبات العالم ليست خاطئة، إذ أن الفصول في هذا الجزء لا تصف عملية يسهل فهمها، فقد دامت لمدة عقود وأدت إلى نهاية بدت متوقعة.

التغيير في العلاقات -التي بلغت ذروتها في نقطة تحول-اعتمد على عدة عوامل تفاعلت مع بعضها البعض، ومثلما كان للحرب الباردة معان عملية مختلفة وتأثيرات على أجزاء مختلفة من العالم، فإن وتيرة وطبيعة التغيير قد تنوعت.

إن الأسباب المحددة التي أدت إلى الصراع -سواء كانت لها علاقة قوية أو ضعيفة بالمواجهة العالمية-لم تفقد أصلها المستقل وحيويتها المستمرة، فإن الأحداث قامت بتغيير سياسة الدول والقارات الفردية.

على سبيل المثال، في عام 1975 في الهند، اعتقل انديرا غاندي زعماء المعارضة، واغتيل رئيس بنجلاديش، وكذلك الملك فيصل في المملكة العربية السعودية، واستبدل ضابط برتبة عميد الجنرال الذي كان يحكم نيجيريا آنذاك، وكان هناك محاولة لاغتيال جيرالد فورد -رئيس الولايات المتحدة، وقائمة الأحداث ليست كاملة بأي حال من الأحوال.

لا يوجد أجزاء من العالم استطاعت أن تنج من أمثلة عنف سياسي ضد الأفراد، أو التمرد ضد الحكومات القائمة، أو استمرار العنف بين الدول وبعضها أو داخل الدول ذاتها، حتى أن المملكة المتحدة وايسلندا استهلا في حربا متواضعة معروفة باسم "حرب سمك القد".




**خريطة (8) مجتمعات أوروبا 2012**

وما كان حقيقيا في عام 1975 ظل حقيقيا، مع اختلاف الشخصيات والأحداث على مدار سنين متعاقبة يشملها هذا الجزء من الكتاب. لم يكن هناك أي وجود لتدفق عالمي من الخير يقوم بإشعال تلك الرغبة العارمة في السلام والمصالحة، والمسائل التي كانت مثيرة للجدل لم تختف قبل وجود فعلي للسلام، سواء بين إسرائيل وجميع جيرانها، أو بين الهند وباكستان، وهما موضوعان يستمرا في العودة للظهور بانتظام في هذه الفصول، كما أن هناك مشاكل جديدة كبيرة تلوح في الأفق.

استقلال موزمبيق وأنجولا عن البرتغال أعطى المزيد من التأكيد لمسألة نهاية الإمبراطورية، ومع ذلك، فإن نهاية الامبراطورية الأوروبية لا تعني نهاية الصراع، فإن حكام جدد لدول جديدة قاموا بإخماد الشغب والتمرد والمقاومة بقدر من الشدة يشبه ذلك الذي استخدموه الحكام السابقين، والاكتمال الواقعي لخلق عالم من الدول –قومية في الأغلب – ترك وسما وعلامة وتصنيفا في نفس السياق، ولم يعن هذا أن النزاعات حول سيادة الأراضي ستصبح شيئا من الماضي، فحتى عندما انضمت جزر الرأس الأخضر لحشد الدول، كان ضعف هذا المفهوم يبدو واضحا.

تحليل أكثر تشائما لمح إلى أنه لا يوجد إمبراطورية انتهت بالفعل، وأن لا استقلال فعلي قد حدث أبدا، إذ واصلت القارات اختبارها لتسلسل محير من التكامل والتفكك فيما ازدادت وقلت التوترات بين المجتمعات. النظام السياسي في أفريقيا ما بعد الإمبراطورية كان لا يزال غير ثابت، ولم يستطع أحد توقع ما كان سيحدث في جنوب أفريقيا.

وعلى صعيد آخر، إذا كانت هناك دلائل على وجود نقص في الروتين الكلاسيكي للمواجهات بين العالم الحر والعالم الشيوعي، فإن استبداله بلقاء آخر شامل بين الشمال والجنوب يبدو محتملا، فالتحرر من عالم يتصدى فيه الغرب للشرق قد يكون فاتحة لمجموعة مختلفة من الأولويات والافتراضات، وقد يكون من الصعب على العالم التعامل معها

وبالتالي، فإن فصولا مختلفة من الكتاب ستعطي اهتماما لهذه التطورات المولدة محليا، ولا يصح سوى أن تكون البداية بقلب أوروبا، حيث العوالم الثابتة –التي قد نعتبرها أقل

توترا أحيانا-مازالت تواجه بعضها البعض وبقي الانقسام واضحا.

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قاما بتأمين الوضع الراهن، ولكن ما كان يحدث هناك هو ما أثار انتباه العالم لمدة عقد بعد عام 1975.

إن التغير الذي حدث -على الرغم من أن نتائجه لا يمكن التنبؤ بها-قد يموج إلى أماكن أخرى، الأمر الذي اجتمع عليه المحللون العالميون في 1975، ومع ذلك، فإن فكرة أنه في قلب التطورات في منتصف الثمانينات كان يوجد رجل يعتبر أول أمين للحزب الشيوعي في ستافروبول في شمال القوقاز كانت لتبدو غريبة.

# 18

# الأوروبيون: تحديد وطن مشترك؟

## غورباتشوف: مظهر خارجي للاعب جوهري

"أوروبا هي وطننا المشترك" كان تأكيد ميخائيل غورباتشوف المذهل في باريس في فبراير عام 1986، ومع ذلك فإن فكرة أن يكون هناك وطناً أوروبياً مشتركاً –حيث يوجد في الأطراف مكان معروف جيدا لدابلن وستافروبول— كانت تبدو طموحة بشكل مفرط، وإذا أخذت على محمل الجد، فستكون بمثابة تحولاً كبيرا في الإدراك، سواء في عواصم أوروبا أو في أماكن أخرى، إلا أنه لم تكن هناك أسبابا تدعو لأخذ الفكرة بشكل جدي، على الأقل ليس حاليا، وبقى تحديد مصير الأوروبيين مع أوروبا غير مؤكد في قارة لا تزال تعج بالحساسيات الوطنية، والتي قد تكون حينا تافهة وحينا عميقة.

هذا الفصل يبرز العديد من أشكال أوروبا المعروضة، والوطن المشترك القائم حاليا لازال لديه العديد من المعاني المتنوعة، والشرود بينهم لأغراض مختلفة -سواء اقتصادية أو عسكرية أو ثقافية أو سياسية-يمكن أن تكون نتائجه خطيرة، فالإقامة المشتركة كانت تأتي أحيانا مقابل ثمن غير مقبول حين كانت المفاهيم الوطنية المسبقة والمصالح على المحك.

وعند النظر إلى أوروبا على الخريطة نجد أن غير الأوروبيين يميلون إلى إعطاء أوروبا تماسكا أكبر من ذلك الذي يعطيه الأوروبيون أنفسهم لأوروبا، وقد يكون لهم وطنا

مشتركا في المستقبل، ولكن في أوائل الثمانينات جعلت الأيدولوجيات المتضاربة للحكومات في لندن وباريس على وجه الخصوص وجود رؤية عالمية أمرا مستحيلا، أما عن مسألة ما إذا كان الاتحاد السوفيتي سيستطيع أن يتلاءم، وكيف ومتى يمكن أن يحدث هذا الأمر، فتلك مسألة منفصلة.

ستافروبول -حيث كان غورباتشوف أمين الحزب، وحيث الخليط السكاني (الغالب) من الروس والأرمن والتتار ومجموعات عرقية أخرى-كانت تبدو بعيدة عن أوروبا، وكانت مهمة غورباتشوف الأساسية أن يعود للوطن بالحصاد، حيث كان الاتحاد السوفيتي يعاني من نقص الحبوب، وكان يشعر أنه على أرض وطنه كونه مولود لأسرة ريفية، فكان يعلم جيدا أمور تخص انتاج الحليب، ثم أتت الحرب العالمية إلى منطقته، وعلى حد تعبيره في وقت لاحق، "فإن هذه التجربة تركت أثرا على نظرتنا إلى العالم (في إشارة إلى جيله).

حينما اجتمع زعماء أوروبا في فنلندا في أغسطس 1975، مع استبعاد برجنيف، كان قليلون يعرفون أين توجد ستافروبول تحديدا، وكانت جنوب غرب روسيا عالما بعيدا عن الأوروبيين المجتمعين في هلسنكي -كما يشار إليها في الجزء الرابع-لمناقشة العلاقة الجديدة المحتملة بين شرق وغرب أوروبا، وكان الاتحاد السوفيتي يحمل المفتاح.

ستحتاج العوالم لوقت حتى تستطيع أن تقوم باتصالات فيما بينها، إلا أن رؤية غورباتشوف لم تقتصر على الحياة في شمال القوقاز، ففي عام 1955 كان قد تخرج في كلية القانون في جامعة موسكو الحكومية، وكان قد لمح ستالين مرة وهو في نعشه، وكعضو في الحزب الشيوعي منذ عام 1952، كان قد تقبل رؤية الحزب للعالم، وكان يعرف هو وزوجته جيدا الوحشية التي كانت تشق طريقها للمستقبل. فأجدادهما قد تعرضوا للضرب والتعذيب، حتى أن أحدهم قُتل. كانت هناك تهما ضد هؤلاء الرجال نابعة من أسس غير سليمة تناهض تخريب السوفييت، فقاما بإقناع أنفسهما حينذاك أن ستالين لم يعرف مطلقا تصرفات الشرطة السرية. عند مروره بجانب نعش ستالين في 1953، شعر غورباتشوف بعدة أحاسيس مختلطة، إلا أن لم يكن هناك واحدا منهم جعله يشكك في رؤية الماركسية للعالم.

وفي عام 1966 كانت زيارته الأولى لبرلين الشرقية بغرض دراسة الإصلاحات الاقتصادية في ألمانيا الشرقية، وأتت بعد هذه الزيارة بأعوام قليلة زيارته لبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والوضع ما بعد عام 1968 في براغ كان يعني أنه لم يجتمع بزدينيك ملينار، الأمين السابق للجنة التنفيذية الدائمة للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وصديقه منذ أيام الدراسة في موسكو.

بعد تعيينه في ستافروبول أصبح قادرا على القيام بزيارة إلى خارج الكتلة السوفيتية، فقام في منتصف السبعينات بزيارة إلى بلجيكا وفرنسا وألمانيا الاتحادية، وأثار تعجبه أن شيوعي أوروبا اختلفوا فيما بينهم نسبيا، وأن مستويات المعيشة في تلك البلاد كانت أعلى من مستويات المعيشة في بلاده، وأكدت جولة بالسيارة في أنحاء فرنسا صحة الانطباع الأخير.

كونه تربى على اعتقاد أن الديمقراطية الاشتراكية كانت متفوقة على الديمقراطية البرجوازية، فذلك جعل ملاحظاته تثير عدة أسئلة، رغم أنها كانت بسيطة، فقد كان مستقبل الزراعة السوفيتية أكثر إلحاحا من مقارنة عالمية لنظم الفلسفة السياسية.

وفي عام 1978 أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب، ما كانت نتيجته أنه أصبح عضوا في المكتب السياسي في 1980. وكانت تلك هي خلفية رجل قاد الحزب السوفيتي في عام 1985 كالأمين العام الجديد للحزب الشيوعي.

الجانب الوحيد الواضح والذي كان لا جدل فيه فى مسألة تعيينه هو عمره.

في نوفمبر 1982 تم وضع بريجنيف، وزيه، وميدالياته في تابوته، بعدما تخلى جسده المنهك عن الصراع بعد مدة طويلة، ولم يكن يهمل هو وأعضاء آخرين في المكتب السياسي الاحتياجات الشخصية لعائلاتهم.

يوري اندروبوف، الذي ظل رئيسا للجنة أمن الدولة فترة طويلة، استبدل بريجنيف، وظل الحزب مع الشرطة كيانا واحدا، وكذلك ظلت الكثير من التكهنات تحوم حول أصول أندروبوف الشخصية في شمال غرب روسيا، وكان قد عمل فترة في الجمهورية

الكريلية الفنلندية السوفيتية قبل أن ينتقل لموسكو، وفي عام 1954 أصبح السفير السوفيتي في بودابست، وكان هناك أثناء الثورة المجرية.

كان مقتنعا أن الأنظمة الشيوعية يجب عليها ألا تخشى إستخدام القوة للمحافظة على بقائها. وفي وقت لاحق كانت للجنة أمن الدولة دورا في سحق ربيع براغ في عام 1968، وبعد المجر، ترأس الاتصال بين الحزب السوفيتي والأحزاب الشيوعية في البلدان الإشتراكية، وقد كان الإتصال ضيقا، وربما افتراض أن أندروبوف أحب أن يتكلم اللغة الانجليزية (سرا) كان افتراضا متقدما، إلا أنه إذا كان صحيحا، فهو لم يعن إطلاقا أنه أحب العالم الناطق بالإنجليزية.

أندروبوف لم يحب اتفاقيات هلسنكي قط، فلغة حقوق الإنسان لم يكن مرحب بها في عالمه السوفيتي، ولم يكن شيئا في رقابته وقمعه للمعارضة يلمح إلى عكس ذلك، وبعد الاتفاق في عام 1975، كان هناك بند في معاهدة دولية وجده غير سار.

نشأت جماعات هلسنكي لحقوق الإنسان "هلسنكي هيومن رايتس ووتش" لمراقبة الإمتثال السوفيتي، وأصبح هؤلاء النشطاء معروفين لدى الشرطة -على سبيل المثال الفيزيائي يوري أورلوف- إلا أنهم وجدوا أن هلسنكي لا تمنحهم حماية حقيقية، وتعثرت محاولاتهم لتشكيل شبكة مع العقول المشابهة في الكتلة السوفيتية وحتى مع الشيوعيين الأوروبيين في أوروبا الغربية.

أُلقى القبض على أورلوف في فبراير 1977، وحُكم عليه بسبع سنوات في معسكر للعمل، وتلي الحكم خمس سنوات من النفي الداخلي.

في سبتمبر 1982، كشفت إيلينا بونر أن مجموعات هلسنكي لحقوق الإنسان كانت مُستنزفة بسبب الإعتقالات وعمليات النفي، مما أدى إلى عدم قدرتها على متابعة دورها. ثم في يناير 1980، تم نفى زوجها الأكاديمي ساخاروف إلى جوركي، وكانت مدينة لا يستطيع الأجانب زيارتها.

ولكن تلقت مجموعة من المنشقين من كهنة الأرثوذكس ممن يدعون أنهم يدافعون عن حقوق المؤمنين اهتماما بسيطا، وقد عُرفت حملتهم بأنها معادية للسوفييت.

حذر بريجنيف الرئيس القادم -ريجان- في 1980 من أن الشعارات الإنسانية الزائفة أدت إلى التدخل في الشؤون الداخلية للإتحاد السوفيتي، ومع ذلك، فإن حقيقة أن إتفاقيات هلسنكي نصت على بنود لعقد اجتماعات متابعة في بلغراد في 1977-1978، وفي مدريد من 1980-1983، كانت تعني أنه لابد من تقبل التدخل الخارجي، وبالتالي فإن على المدى الطويل كان للإتفاقيات بعض التأثيرات المزعزعة للإستقرار، وفي نهاية المطاف لعبت دورا في إنهيار الشيوعية.

رأي أندروبوف أن الانضباط سيخنق المعارضة، فالتساهل مع أكثر من حادثة فساد كان ملموسا بين طبقات الموظفين في كل مكان، وكان السُكْر واسع الانتشار مظهرا شائعا من مظاهر الانزعاج، ولإظهار تطبيق فضائل الصرامة، قام أندروبوف سريعا بتغيير عدد كبير من الموظفين على كل المستويات.

ولم تكن حالته الصحية جيدة، فشن هجوما "مُسنا "على رضاء النخبة المسنة، وبحلول فبراير 1984 كان أندروبوف ميتا.

كان للإنضباط بعض التأثير من حيث زيادة الإنتاج الصناعي والزراعي، إلا أنه لم يؤثر على الشعبية، وأندروبوف كان يعلم جيدا أن ذلك ليس حلا في ذاته للقضايا الاقتصادية الملحة لأن الصلة بين التخطيط المركزي والتنفيذ المحلي كانت مصيرية، كما هو حالها لمدة عقدين على الأقل من النقاشات المتقطعة، فقد أحضر نساء ورجالا لديهم أفكار للإصلاح، حتى أنه أعطاهم مجالا، إلا أنه لم يلزم نفسه، ولو كان الوقت سمح له، لكان ألزم نفسه.

ولكن لحذره تفسير جوهري، فحينما قام باعترافه النادر – بحذر - بأن القيادة كانت تحتاج أن تفهم المجتمع الذي نحيا فيه، إلا أنه لا يوجد فهم من القيادة سيستطيع أن يقوض الماركسية-اللينينية. فهذا شيء لم يكن ليتغير أبدا.

قسطنطين تشيرنينكو، الذي تلا أندروبوف في الخلافة، كان أحد آخر قادة السوفييت الذين ولدوا قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان تابعا مخلصا لبريجنيف إلا أنه فشل في أن يصبح خليفته رغم أنه في غياب أندروبوف لاحقا، ترأس المكتب السياسي، واستطاع مؤيدوه أن يأمنوا الخلافة له إذ لم يريدوا أن يزعجهم أحدهم في فقاعاتهم، أما بالنسبة لخصومه، فهم وجدوا إرتياحا في ضعفه الجسدي، غير مدركين أن أشياء أخرى كانت تقوية , لم يكن هناك تصفيق.

ربما كان أندروبوف يريد أن يكون غورباتشوف خليفته، ولكنه تأخر كثيرا في اتخاذ القرار، فبموافقة أندروبوف، كان غورباتشوف مشغولا بدراسة عدة خطط لإصلاح الاقتصاد، رغم أن أندروبوف لم يقل له بالضرورة كل ما أراد أن يعرفه.

وأصبح نائب تشيرنينكو، حيث التنافس على منصب في هذه المرحلة كان لا مفر منه، فخصوم غورباتشوف – الذين لم يكونوا سبعونيون كلهم- قالوا أنه كان ذا معرفة فقط عن الشؤون الزراعية، ولكي يهرب من تلك الصورة، بدأ في وضع نفسه في عالم ما بعد الاتحاد السوفيتي، والطريق قاد لروما، بدون النظر إلى الفاتيكان.

### أوروبا في مفترق الطرق: ما بين بولندا والبابا في روما

في يونيو عام 1984، سافر غورباتشوف على رأس وفد الاتحاد السوفييتي إلى إيطاليا لحضور جنازة إنريكوبرلينغير، الأمين العام للحزب الشيوعي الإيطالي. ولم تكن أي زيارة لروما في ذلك الوقت لتحُولَ دونَ حدوث التداعيات التي امتدت لخارج إيطاليا؛ وخاصةً بوجود بابا بولندي للفاتيكان، وهو ما لم يحدث منذ عام 1522 أن تَقلَّد شخصٌ غير إيطالي هذا المنصب، إضافةً إلى كونه من دولة شيوعية، وتلك سابقة هي الأولى من نوعها كذلك. ولذلك، فقد شاركت روما، وبقوة، في الحياة السياسية آنذاك؛ ليس لوقوع الحكومة الإيطالية – على حد زعمها – في أزمة فحسب، بل لوجود يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان، والذي كان تعيينه في هذا المنصب ذا أهمية عالمية على جميع الأصعدة. وبعد تعرضه لمحاولة اغتيال في روما عام 1981، لم يكن هناك شك في عدم وجود أيادٍ بلغارية آثمة خلف ذلك الحادث، والتي حركت منفذه التركي محمد علي آغا، كما لم يكن من

الصعب رؤية تورط الكرملين عن بُعد فيما حدث. ومنذ ذلك الحادث، فقد قرر المبعوث البابوي أن يطوف أوروبا في ركب من الزجاج المضاد للرصاص. وعلى عكس ما اعتقده بعض الإيطاليين، فلم تكن الفاتيكان شأنًا إيطاليًّا. وبالرغم من انتشار المذهب الكاثوليكي في جميع أنحاء العالم، وعدم وجود ما يمنع – نظريًّا – أي كاردينال من أن يتقلد منصب البابا، فلم يكن من المحتمل بعد أن يصل مِن غير الأوروبيين إلى ذلك المنصب. ومع ذلك، فقد منحته جنسيته البولندية مركزًا هامًّا في صميم ما بعد هلسينكي، ما بين أوروبا الشرقية والغربية، واللتين اتفقت كلتاهما على إقرار حدود مشتركة بينهما وحقوق تحدد طابع العلاقة بينهما. وعلى ذلك، فقد كان لزامًا على الاتحاد السوفيتي أن يضع هذا البولندي الخارج عن السيطرة في الحسبان، في ذات الوقت التي كانت تمر فيه بولندا بأزمة طاحنة.

وبصفتي شرق أوروبي يعيش في غرب أوروبا، فأنا شخصيًّا أرى أن يوحنا بولس الثاني يشكل مزيجًا ثقافيًّا فريدًا. ولم يكن – بصفته بابا الفاتيكان – بوسعه أن يسمي أي مكان بالوطن؛ فهو لديه متحدثي سبع لغات على الأقل تحت إمرته. كما يربط روما بالعديد من الثقافات، كان الكثير منها – وربما يظل – أجنبيًّا بالنسبة له بالرغم من زيارته لأمريكا الشمالية، وأستراليا، ومعظم دول أمريكا اللاتينية وأوروبا. وقد كان – بالنسبة لكونه بابا الفاتيكان – حديث السن، مما كان له كبير الأثر في تكوين رؤيته الفريدة الخاصة به. وبمرور الوقت، فسوف تسنح له الفرصة أن يسافر حول العالم كما لم يسافر أي من الباباوات الذين سبقوه. جديرٌ بالذكر أنه قد زار أيرلندا، بريطانيا، إيطاليا، فرنسا، البرازيل، المكسيك، الفلبين، والولايات المتحدة الأمريكية قاطعًا بذلك ما يقارب ال 670,000 ميل، ومع ذلك فهو لم يبلغ النطاق الكامل من هذه الزيارات بعد. وقد ظلت بولندا، والتي صار وزير خارجيتها، هي الأقرب إلى قلبه، وقد ساعدته خبرته من هذا المنصب – كما كان مُتوَقَّعًا – على تشكيل رؤيته الشاملة حول كل شيء. وقد كان حازمًا حيال عدم كون الكنيسة في حد ذاتها مصدر تشريع، فلم يكن لديه تصور خبيث حول سلطته كما ظن اليسوعيون، واللاهوتيون اللاتينيون، والكنيسة في هو لندا. ففي زيارته

لهولندا عام 1985، حذره رئيس وزرائها، والذي كان ديمقراطيًّا مسيحيًّا، من الفجوة بين روما وهو لندا، ومن تمسك الشعب الهولندي بعاداته الديمقراطية تمسكًا شديدًا. وعلى الأرجح، فقد غامرت الملكة إليزابيث الثانية بالخوض في زيارة مثيرة للجدل عندما ذهبت إلى الفاتيكان في أول زيارة رسمية من المملكة البريطانية بصفتها المشرف الأعلى على الكنيسة البريطانية.

في يونيو 1979، قام يوحنا بولس الثاني بأول زيارة إلى وطنه، وقد كان في استقباله الملايين من المحتشدين في وارسووكراكوف، حتى أن النظام الحاكم قد رحب به. ولم تكن سلطة البابا سلطة ناعمة فحسب، بل كان يوحنا بولس يملك بموجب هذه السلطة قوة التوقيت "توقيت الفاعل". وقد اتحدت العوامل المختلفة من تشدد العاملين، والنقد الفكري، وتعنت الكنيسة لمواجهة الحكومة الشيوعية والتي كانت بدورها تتجه إلى رفع أسعار السلع الغذائية للصمود في وجه الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها. وعلى إثر إتفاقيات هلسنكي، فقد أخذ مثقفو المجر وتشيكوسلوفاكيا وغيرهما يتحدثون – وبكثرة – عن حقوق الإنسان، وقد أضاف أكثر من مائتين منهم أسماءهم إلى الوثيقة التي اشتهرت بعد ذلك باسم ميثاق 77. وربما كان ذلك هو رد الفعل الوحيد من الحكومة التي أعارت ذلك الموضوع بالكاد أية أهمية. ولكن الشعب بأكمله لم يكن مهتمًّا بشكل كبير باستيعاب الاعتبارات الفلسفية التي من شأنها تدعيم المجتمع المدني مستقبلًا. وعلى النقيض، فقد كان لدى بولندا على رأس فريقها ليخ فاليسا، ذلك الرجل كهربائي أحواض السفن، والذي لم يكن من قراء الفلاسفة أمثال هو سرل وهايدجر. وبعد مواجهات متوترة في أحواض السفن، فاز فاليسا في 31 أغسطس 1980 بتنازلات أساسية كما نصت اتفاقية غدانسك. ثم جاءت استقالة الأمين العام للحزب البولندي إدوارد جايريك في الشهر التالي، وخلَفَه بعد ذلك شخص غير ذي تأثير يذكر وقد ألقيت على عاتقه مهمة تجديد الحزب. وفي نوفمبر 1980، تم الاعتراف رسميًّا بحزب التضامن كاتحاد تجاري حر، فتهافت الملايين على الانضمام للحزب غير واثقين من كيفية تقبل موسكو لذلك؛ فلم يحدث قبل ذلك أن تمادت أي من دول الاتحاد السوفيتي إلى هذا الحد ونجت بفعلتها.

وتلقى البابا مكالمة هاتفية من مستشار الأمن القومي الأمريكي زبيغني وبريجنسكي في منتصف ليل 15 ديسمبر 1980، يخبره فيها بأن وقوع غزوسوفيتي على بولندا كان وشيكًا. وقد جرت تلك المحادثة باللغة البولندية؛ فقد ولد بريجنسكي في وارسو، وكان والده الدبلوماسي يعمل في كندا عند اندلاع الحرب فبقي هناك. وقد قام بريجنسكي بزيارته الأولى إلى بولندا بعد انقضاء طفولته عام 1957، وذلك قبل أن يصير مواطنًا أمريكيًّا بعام واحد. وقد كتب بريجنسكي عن الشمولية متحدثًا عن التجربة التي مرت بها أسرته في سياق عمله الأكاديمي، ثم انتقل إلى منصبه الأساسي في فريق إدارة الرئيس كارتر. فما كان من البابا بعد هذه المكالمة إلا أن بعث برسالة تحذيرية إلى بريجنيف، يحذر فيها من وقوع أي اعتداء على بولندا، وكان بريجنيف بدوره قد علم من كانيا، خليفة جايريك، أن الاعتداء على بولندا من شأنه أن يثير انتفاضة وطنية، ولم يقع ذلك الاعتداء في وقتها. وفي فبراير 1981، تقلد وزير الدفاع فويتشخ ياروزلسكي رياسة الوزراء، وهو ما لم يحدث قط أن تقلد هذا المنصب رجل عسكري في دولة شيوعية. وفي نفس الشهر، أصدر حزب التضامن برنامجه لدمج التقاليد الوطنية مع المبادئ الخلاقية المسيحية والديمقراطية السياسية والفكر الاجتماعي الاشتراكي. وقد نمَّت الصعوبات الاقتصادية التي واجهتها البلاد حسًّا فريدًا من العمل الجماعي على نطاق واسع. وفي ديسمبر 1981، وبعد إلحاح من قبل بريجنيف استمر لعدة أشهر لاتخاذ إجراءات ضد الثورة المضادة، أعلنت الحكومة البولندية الأحكام العرفية، وأرسلت قوات الأمن إلى الشوارع، كما تم حظر حزب التضامن وسجن الكثير من النشطاء البارزين. وقد رأى ياروزلسكي من ذلك أن يحبط – ضمنيًّا – الغزو السوفيتي، ولكن بعض المصادر قد كشفت أن أندروبوف قد حذر المكتب السياسي من المجازفة بإدخال القوات إلى بولندا. ولا يزال هناك مجال للمضاربة حول نوايا ياروزلسكي ودوافعه الحقيقية لاتخاذ مثل تلك الخطوة، والتي كانت نتيجتها الوحيدة هي استبدال النظام الديكتاتوري العسكري السوفيتي بالنظام الديكتاتوري المدني السوفيتي. وفي يونيو 1983، تواجه يوحنا بولس الثاني والجنرال ياروزلسكي بقصر بلفيدير بوارسو، وقال الأول – في ردائه الأبيض وصليبه الذهبي – إنه يجب تمجيد الاتفاقية مع حزب التضامن، في حين زعم الثاني – في زيه العسكري المُزَيَّن بصفوف من

الشرائط – أن الأحكام العرفية التي أصدرها قد جنبت بولندا تكبد خسائر فادحة في الأرواح. وقد دعا يوحنا بولس في رسالته التي وجهها عبر التلفاز إلى عودة بولندا إلى مكانتها التي كانت تحتلها بين شرق وغرب أوروبا، ولكن يبدو أن الانتظار حتى تلك اللحظة سوف يطول.

## جنازة في روما: الكاثوليكية والشيوعية

بمجيئه إلى روما عام 1984، فقد كان غورباتشوف على دراية كاملة بهذه الحقبة من التاريخ الحديث؛ فقد جاء لدفن برلينغير الشيوعي، لا لمقابلة رجل الدين الكاثوليكي. ورغم لقاء الرئيس السوفيتي بودجورني بالبابا بولس السادس في روما عام 1967، إلا أنه لم يكن هناك طريق واضح بين روما وموسكو، وقد جاءت زيارة غورباتشوف في الوقت الذي كانت تبدو فيه الحكومة الإيطالية مترنحة. ولم يكن برلينغير رئيس الحزب الشيوعي الإيطالي منذ 1972 من أصل بسيط كغورباتشوف، وقد كان الاتحاد السوفيتي بأسره يدرك جيدًا توتر العلاقات بين برلينغير وبين موسكو . حتى أن البعض قد زعموا أن حادث التصادم الذي نجا منه برلينغير في بلغاريا منذ بضع سنوات كان من تدبير الكرملين للتخلص منه وقتله. ولم يكن الحزب الشيوعي – والذي كان يمثل الحركة الوطنية للطبقة العاملة – في موقف محمود؛ فقد كان يواجه أزمات هو الآخر. وقد حضر نحو مليون شخص جنازة برلينغير، والتي كانت حدثًا جللًا في إيطاليا؛ وذلك نظرًا للشعبية الجارفة التي كان يتمتع بها داخل وخارج نطاق الحزب الشيوعي. وقد بدأ برلينغير طريقه نحو الشهرة عام 1970 مع أقرانه من الفرنسيين والإسبانيين من أنصار الشيوعية الأوروبية . وفي يونيو 1976، فشل مؤتمر الأحزاب الشيوعية الأوروبية في تزكية الدور القيادي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وأكد على حق كل حزب أن يمهد طريقه إلى الاشتراكية. وقد انتقد الحزب الشيوعي الإيطالي الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا علنًا عام 1968. وقد صرح برلينغير بأنه يجب التخلي عن ديكتاتورية البروليتاريا، في حين دافع عنها البرلمان المتواجد وقت ذاك بحجة أن إيطاليا على وشك الانهيار. وفي ظل قيام كل من اليمين واليسار بأعمال إرهابية، فقد عرض برلينغير تسوية تاريخية تحورت بعد ذلك إلى

بديل ديمقراطي حيث يتعاون الشيوعيون مع بقية الأطراف لحماية مؤسسات الدولة، ولكن من تداعيات تلك التسوية أن كبار رجال الدولة كانوا متورطين في صفقات تجارية مع المافيا، ومع ذلك، فقد كان برلينغير – الاستقلالي – يتلقى تمويلًا سريًّا من الاتحاد السوفيتي، مما عجَّل بنجاحه الانتخابي. وفي يونيو 1976، نجح الشيوعيون في حصد ما يقارب ثلث إجمالي عدد الأصوات، مما جعلهم يظهرون في الساحة السياسية – رغم قلة حصتهم بالمقارنة بالديمقراطيين المسيحيين – كبديل محتمل للحكومة الحالية وقتها، هذا وقد قدم الشيوعيون الدعم البرلماني لحكومة الحزب الديمقراطي المسيحي بقيادة جوليو أندريوتي في مارس 1978؛ فقد قدم برلينغير منشورًا عام 1977 أقر فيه بالتزام الحزب الشيوعي باحترام الكنيسة، وباستعداده لمنحها دورًا إيجابيًّا وفعالًا في بناء المجتمع الاشتراكي. وقد طالبت لوسيرفاتوري رومانو– صحيفة الفاتيكان الرسمية – برلينغير بتوضيح موقفه الذي انطوى على احترامه للكنيسة؛ حيث صحب زوجته لحضور القربان المقدس، ولكنه مكث بانتظارها خارج الكنيسة.

لقد كان اختطاف ألدو مورو عضو الحزب الديمقراطي المسيحي ورئيس الوزراء الأسبق في مارس 1978 عملًا إرهابيًّا صادمًا من جماعة اللواء الأحمر، والتي طالبت الحكومة بالإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين في مقابل إطلاق سراحه، وهو الطلب الذي قوبل بالرفض من كل من برلينغير ورئيس الوزراء في حين أن البابا كان يتوسل بكل الطرق الممكنة لإطراق سراح زميله، ولكن دون جدوى. وقد وُجِدَت جثة مورو بعد مرور شهرين على اختطافه في سيارة في قلب روما، هذا وقد شارك البابا بنفسه في المأدبة التي أقيمت في جنازة مورو الرسمية. وبالرغم من الإجماع على إدانة ذلك الحادث على جميع المستويات، إلا أن ذلك لم يخفف من حدة الشكوك التي كانت تساور الديمقراطيين المسيحيين نحو الشيوعيين؛ فقد كان الشيوعيون في نظر الديمقراطيين – بسبب إعلانهم للاستقلال – موالين للاتحاد السوفيتي، والذي شرع يغزو أفغانستان عام 1979. وقد أدان الحزب الشيوعي الإيطالي الغزو السوفيتي لأفغانستان، إلا أن بعضًا من أعضائه كانوا لا يزالون يجدون صعوبة في تقبل تصريحات برلينغير حول أن الثورة البلشفية التي قامت عام

1917 قد استنفدت قواها. وباستثناء المستوى الإقليمي، فلم يكن للحزب الشيوعي – والذي فشل في الحفاظ على ازدياد نسبة الأصوات له – أي دور يذكر في الحكومة. وعلى صعيد آخر، فقد أخذت هيمنة الحزب الديمقراطي المسيحي – والذي كان موجودًا منذ تأسيس الجمهورية الإيطالية – في التراجع. وفي الفترة ما بين 1981 – 1982، تقلد جيوفاني سبادوليني منصب رئيس الوزراء، وهو أول من تقلد هذا المنصب من خارج الحزب الديمقراطي المسيحي في إيطاليا بعد الحرب، هذا وقد خسر الديمقراطيون سُبع إجمالي عدد الأصوات عام 1983.

عندما جاء غورباتشوف إلى إيطاليا عام 1983 لحضور جنازة برلينغير، كان بيتينوكراكسي – أول رئيس وزراء اشتراكي – رئيس الحكومة الائتلافية الإيطالية التي شكلها الحزبان الاشتراكي والديمقراطي. وفي فبراير 1984 تم إبرام اتفاق جديد مع الفاتيكان نص على إلغاء الكاثوليكية كديانة رسمية للدولة، وإقرار روما مدينة مقدسة. وفي المقابل، فلم تعد الفاتيكان في حاجة لإبلاغ الحكومة بتعيينات الأساقفة، ولم يعد الأساقفة بحاجة لأن يقسموا بالولاء للدولة الإيطالية. وقد أثيرت العديد من القضايا حول الهوية الإيطالية في ذلك الوقت؛ فقد كانت فكرة وجود إيطاليا ذاتها في تلك الفترة أشبه بالخيال، وهي التي تبدو متماسكة بتلك الشبكات في صورة أحزاب سياسية. وكانت رؤية الحضارة المسيحية التي تبناها الحزب الديمقراطي بعد الحرب في حالة فوضى. ولذلك، فقد كانت هناك حالة عارمة من الغموض والضبابية لدى زيارة غورباتشوف لروما، والتي كانت العاصمة للحكومة الإيطالية، والحزب الشيوعي الإيطالي، والفاتيكان معًا. فهل كانت جميع الأطراف على حافة تسوية تاريخية جديدة، أو ربما مواجهة أشرس وأعمق؟ بالنسبة لغورباتشوف، فقد كان هناك هذا الحزب الشيوعي الذي رحب بعضوية إيطاليا في حلف شمال الأطلسي – أو لم يعارضها على الأقل – ومن ثم مكانها في غرب أوروبا. كما كان هناك ذلك الحزب الذي أبدى انزعاجه وقلقه بشكل علني تجاه ما يحدث في بولندا، وربما ينأ بنفسه أخيرًا عن النموذج السوفيتي. وربما كان غورباتشوف يمثل وجهًا سوفيتيًّا جديدً في أوروبا، حتى وإن كان ذلك بمجرد وجوده في روما في تلك

المرحلة، وقد كان غورباتشوف ذكيًّا بما فيه الكفاية ليأخذ شعبية برلينغير في اعتباره، والتي أدرك جيدًا أن بإمكانه استقطابها والفوز بها هو الآخر. ولم تكن مهارات التواصل تلك واضحة لأعضاء الأمانة العامة السوفييت، ولكن غورباتشوف لم يكن ليتركها جميعها لسكان الفاتيكان ليتحلوا بها وحدهم. وفي نهاية زيارته، عاد غورباتشوف إلى موسكو وقد ضم أوراق لعبه إليه.

## بريطانيا والاتحاد السوفيتي: فرص للتعاون في مجال الأعمال؟

بعد مرور ستة أشهر على زيارة حزبه لروما، توجه غورباتشوف إلى لندن على رأس وفد برلماني. وقد صعَّب تاريخ بريطانيا وروسيا المشترك دعم الفكرة الأوروبية بشكل كامل. وفي 18 ديسمبر 1984، ألقى خطابه على كلا مجلسَي البرلمان اللندنيين، ثم ذاع صيته في الأوساط العلمية والرسمية بصفته رجل المرحلة المقبلة. وقد نجح غورباتشوف في مقابلته الأولى مع رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر في أن يحوز إعجابها؛ بضحكاته وابتساماته اللطيفة، وجاءت احتمالية التعاون المشترك بين موسكو ولندن في مجال الأعمال كأهم نتائج هذا اللقاء على الإطلاق. وبالفعل، فقد كان هناك الكثير من الأعمال لإنجازها؛ فلم يشهد العِقد الذي تلي عام 1975 - وهي السنة التي أطاحت فيها تاتشر بمنافسها على زعامة حزب المحافظين إدوارد هيث - تحسنًا مطردًا على صعيد الوفاق بين القوى العظمى، والذي كان قد بدأ يلوح في الأفق من قبل.

وقد أشارت دعوة بريطانيا لغورباتشوف، وتلبيته لها إلى أن بريطانيا لا يزال بإمكانها أن تلعب دورًا فعالًا في المفاوضات بالرغم من تضاؤل قوتها. وكما سيتضح لاحقًا، فقد ساهمت التطورات التي حدثت في هذا العِقد - وخاصةً في الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا اللاتينية - في إيجاد مناخ من البرودة العالمية المتجددة، في ظل السباق المحموم على التسلح، والذي كان يهدد كل شيء وقتئذٍ. وفي محادثة خاصة أجراها مع تاتشر، عرض غورباتشوف رسمًا تخطيطيًّا لجميع الترسانات النووية حول العالم، مقسَّمًا إلى آلاف المربعات التي يمثل كل منها ترسانة كفيلة بتدمير البشرية كلها، كما أخبر نواب البرلمان البريطاني أنه قد حان الوقت لإجراء مفاوضات حول الخروج من النزاع بين الشرق والغرب.

اكتسبت مارغريت تاتشر – والتي كانت تكبر غورباتشوف بستة أعوام – نفوذها بفوز المحافظين بالانتخابات العامة في مايو 1979، بعد أن تم سحب الثقة من حكومة كالاهان في مارس 1979. وبالفعل فقد كان هناك تشابه كبير بين وصول كل من تاتشر وغورباتشوف إلى السلطة؛ فكلاهما كان يشعر بأنه حان وقت التغيير خاصةً في ظل عدم عمل المؤسسة الاقتصادية السياسية في كلتا الدولتين بشكل فعال. وبصفته الأمين العام الجديد للحزب، تحدث غورباتشوف عن تحول أسس الإنتاج المادية الفنية؛ حيث لم يكن هناك بُدٌّ من وجود دور فعال في الارتقاء بالاقتصاد السوفيتي إلى أعلى معدلات الإنتاج في العالم. ومع ذلك، فلم يكن هناك – على ما يبدو – أي تغيير في المسار الاستراتيجي الذي وضعه أسلافه. غير أن المعنى الحقيقي لذلك لم يكن واضحًا بعد، ولكنه أوضح أن غورباتشوف كان رجل فعل، تمامًا كما كانت تاتشر سيدة فعل كذلك، والتي بدورها كانت تتوق لإحداث التغيير الخاص بها؛ فتعين عليها ابتداع "المذهب التاتشري". ولذا، فقد كان كلا السياسيين حريصًا على إيجاد فرص جديد للتعاون المشترك في مجال الأعمال، كما كانا على دراية كاملة بتوسع الاتحاد الأوروبي بشكل كبير في نطاق أوروبا الشرقية والغربية.

### القادمون من الشمال: انضمام بريطانيا والدانمارك وآيرلندا لأوروبا:

في 1973، انضمت كل من الدانمارك، أيرلندا والمملكة المتحدة إلى عضوية الاتحاد الأوروبي، وقد ساهم التاريخ المميز لكل من هذه الدول على تغيير النظرة لأوروبا، فصارت أيرلندا أو ل الدول الأعضاء من خارج حلف شمال الأطلسي. وقد تقدمت النرويج بطلب للعضوية في ذات الوقت، ولكن جاء تصويت جمهور الناخبين النرويجي بالرفض، فتم سحب الطلب. وكان من الواضح أنه لا مفر من التوسع الشرس للاتحاد الأوروبي؛ فقد كان لكل من الأعضاء الجدد أسبابه الخاصة للانضمام، ولكلٍ كان هناك تبعات وعواقب. فمثلًا، منح انضمام الدانمارك للاتحاد الهوية الأوروبية الكاملة للدول الاسكندنافية، وتطلعت أيرلندا إلى تشكيل هوية أوروبية متجددة لنفسها، فقد كانت –

على الرغم من تشتتها – ذائعة الصيت بين الدول الناطقة بالإنجليزية حول العالم. وفي ظل أزمة شمال أيرلندا في تلك المرحلة، وتدهور العلاقات بين دبلن ولندن، لم يكن من المحتمل أن تتبنى كلتاهما – كدولتين في ذات شبه الجزيرة – موقفًا واحدًا تجاه القضايا السياسية في أوروبا.

هذا وقد كان لعضوية بريطانيا أوضح أثر في إثارة أكبر المشاكل؛ فقد كان من الممكن أن تتسبب الصعوبات الاقتصادية والصناعية التي تواجهها في أن تصير رجل أوروبا المريض، ولكنها طالبت بمقعد على الطاولة العليا. على كل حال، فقد كان هناك الكثير من النقاش الدائر حول بنود وشروط مشاركة بريطانيا في ظل الشكوك، بالأحرى العداوة، المثارة ضد أوروبا والتي باتت واضحة للجميع. في يناير 1977، جاء السياسي البريطاني روي جنكينز رئيسًا للمفوضية الأوروبية ، ولكن وجهة النظر البريطانية التي عرضها كانت بالكاد نموذجية. وقد عقدت المملكة المتحدة أول دورة رئاسية للجماعة في النصف الأول من عام 1977، لكنها لم يكن لديها رؤية شاملة لأوروبا لتقدمها؛ فقد كان انشغالها بالسياسة الزراعية المشتركة. وكان البريطانيون حذرين تجاه أية مؤشرات على المركزية المتنامية، ولكن ذلك لم يفلح في تجنيب المؤسسات ذات الطابع الأوروبي بعض الشيء. ولم ينجح مقترح العملة الموحدة في جذب الكثير من الانتباه في لندن، وفي 1979، أعلنت بريطانيا أنها لن تنضم بشكل كامل لعضوية النظام النقدي الأوروبي. وبطبيعة الحال، لم تكن تلك المشكلات لتؤخذ بعين الاعتبار في الانفصال الأكاديمي، ولكن بريطانيا كانت تواجه أزمة طاحنة على الصعيدين السياسي والاقتصادي؛ فقد كان معدل التضخم في تزايد مطرد ووصل إلى قمته عام 1975 بـ 26٪. مما اضطر حكومة حزب العمال أن توافق – وبصعوبة –على إجراء التخفيضات التي طلبها صندوق النقد الدولي كشرط لقبول طلب القرض. في نظر البعض، فإن انضمام بريطانيا للاتحاد الأوروبي لم يسهم في حل أزماتها بقدر ما زاد منها؛ فباختصار شديد، لم يكن التنسيق الأوروبي نشاطًا بهدف التعاون والتفاعل.

لم تكن مارغريت تاتشر تتصور فكرة الهوية الأوروبية لبريطانيا؛ وذلك نظرًا لخلفيتها

المعرفية والتي لم تكن تاريخية بقدر ما كانت تعليمية وقانونية. فلم يكن تزلجها في سويسرا منذ عام 1960 ليعطيها الدراية المكثفة بالثقافة. ولم تقتنع تاتشر بمقولة "أوروبا أو لَا"، بل لم تكن تعتقد أن أيًّا من قادة أوروبا الآخرين قد يقتنع بها ويطبقها. وقد كان جوهر الاتحاد هو المفاوضات الشاقة بين الأعضاء المتقاتلين حول مصالحهم القومية؛ فرئيس الوزراء البريطاني – على سبيل المثال – يتعين عليه أن يرعى المصالح البريطانية في المقام الأول. رأى الشعب البريطاني أنه يجب إصلاح السياسة الزراعية المشتركة التي وضعت قبل عضوية بريطانيا بالاتحاد. وبالفعل، فقد شهدت السنوات الأولى من تولي تاتشر رئاسة الوزراء معارك حول الميزانية وتسديد الديون. وقد لاقى أسلوبها استحسانًا كبيرًا لدى البريطانيين، في حين أثار غضب حكومتي فرنسا وألمانيا الاتحادية اللتين أكدتا سرًّا وعلنًا أن بريطانيا لم تكن مجتمعية بشكل كافٍ.

**القادمون من الجنوب: انضمام اليونان وإسبانيا والبرتغال لأوروبا:**

أضاف قبول ثلاثة أعضاء جدد: اليونان (1981) والبرتغال وإسبانيا (1986)، بعدًا جديدًا للاتحاد. وفي 1981، بعد الانتخابات العامة، قام أندريا باباندريو، وهو والد وابن لرئيسي وزراء يونانيين، بتشكيل أول حكومة اشتراكية في تاريخ اليونان. وقد نظرت جميع الدول إلى نتيجة هذه الانتخابات كدليل قاطع على أن اليونان قد تقبلت الديمقراطية بكل صدر رحب. في 1979، قاطع كل من حزب باباندريو والحزب الشيوعي الجلسات البرلمانية، ونظريًّا، فقد كانت الحكومة الجديدة بحاجة إلى استفتاء مبدئي، وهو ما لم يحدث قط. وبعد اكتساب الحق لإجراء بعض التغييرات البسيطة جراء إعادة المفاوضات عام 1984، بات واضحًا أن الانسحاب ليس من الخيارات المطروحة لدى باباندريو . استفادت اليونان كثيرًا من المعونات الزراعية، ومع ذلك، فلم تكن توجهات اليونان بقيادة باباندريو واضحةً بالشكل الكافي. وقد نُفِيَ باباندريو مرتين على مدار حياته: أثناء الحرب العالمية الثانية، وأثناء فترة حكم العقداء، كما صار مواطنًا أمريكيًّا، ولكنه تنازل عن الجنسية بعد ذلك. وفي ثاني عودة له إلى اليونان، ورغم عدم انسحاب بلاده من حلف شمال الأطلسي، فقد كان خطابه السياسي معاديًا لأمريكا، وقد برز خارج الصفوف بقيامه

- كأول غرب أوروبي يقدم على خطوة كتلك - بزيارة رسمية للقاء الجنرال ياروزلسكي في وارسو عام 1984.

ولذلك، فقد كان من الصعب التكهن بالوضع الذي أرادته اليونان لنفسها بالتحديد بزعامة باباندريو، مما أصاب المراقبين الخارجيين بالقلق حيال قاعدتهم الميزانية دون النظر إلى ترحيبهم بسياساته الاجتماعية من عدمه. إضافةً إلى العلاقات اليونانية التركية، والتي دقت ناقوس الخطر في الغرب الأوروبي. فيما بقيت قبرص نقطة مضيئة، فكان باباندريو أول رئيس وزراء يوناني يزور تلك الجزيرة. وقد مارست الحكومة اليونانية ضغوطات، بعيدًا عن تركيا ذاتها، لتضمن عدم اعتراف أي دولة أخرى بما يسمى بجمهورية شمال قبرص التركية، والتي أعلنها القبارصة الأتراك في نوفمبر عام 1983. ولما كان حلف شمال الأطلسي في اليونان يشكل تهديدًا واضحًا لوحدة أراضيها، فلم يكن من المفاجئ أن تحتل اليونان مكانًا فرديًّا في الاتحاد. ورغم تطبيعها لتصير جزءًا أوروبيا فريدًا، إلا أن هذا التطبيع لم يسهم على الإطلاق في تخفيف حدة الشكوك التي ساورت اليونانيين بأنه يتم تخويفهم ليتوافقوا وهذه المعايير الدخيلة عليهم. ومن جانبهم، فقد خشي متنمرو الشمال والغرب إلا يتم الضغط على اليونان بالشكل الكافي، ولكنهم أقروا - ضمنيًّا - بأنه يجب احترام بعض خصوصيات الشأن اليوناني، في ظل وجود أمل بأن تعزز عضوية اليونان ديمقراطيتها وسط انعدام الاستقرار المتزايد في جنوب شرق أوروبا بأسره.

في مايو 1980، توفي المارشال تيتو، الرئيس اليوغوسلافي المرموق، متعدد القصور والزيجات، والحاصل على الكثير من الميداليات، في سلوفينيا، بعد حياة حافلة بالمفارقات. فقد تنقل بين جنسيات مختلفة: جنسيته اليوغوسلافية، وشرق وغرب أوروبا، ودوليًا بين واشنطن وموسكو إلى التحالفات المتقلبة بين دول عدم الانحياز. ولما لم يكن هنالك أحد ليقرَن به خلفًا له، فقد أثيرت فور وفاته التساؤلات حول بقاء الدولة اليوغوسلافية؛ فقد كان تيتو هو الوحيد القادر على إبقائها متماسكة. ولم تزل الحرب الباردة، وإن بدأ دورها في التراجع، هي التي تحدد تشكل التحالفات في شبه جزيرة البلقان. ومع ذلك، فقد خططت اليونان على المدى الطويل لضم البلقان إلى صفها في النزاعات على بحر إيجة مع تركيا. لم

يستطع أحد أن يتوقع إلى أي تحالف قد ينضم نيكولاي تشأو شيسكورئيس رومانيا لاحقًا، ولا ما سيشكله وجوده بعد ذلك. فعلى سبيل المثال، حل تشاوشيسكو ضيفًا على الملكة إليزابيث الثانية في قصر باكينجهام في يونيو 1978، وقد أشادت الحكومة البريطانية بتفكيره الاستقلالي. كانت رومانيا تتبع استراتيجية قديمة في التصرف كدولة غرب أوروبية أوجدها حظها السيئ في جنوب شرق أوروبا، في ظل مخاوف عالمية من اشتعال النزاعات العرقية في البلقان مرة أخرى بعد أن خمدت لفترة.

شكل قبول عضوية اليونان في الاتحاد الأوروبي سابقة مشجعة لإسبانيا والبرتغال للإبقاء على طلب العضوية؛ فقد تقدمت دولتا شبه الجزيرة الأيبيرية بهذا الطلب في أواخر السبعينيات، لكن لم يتم قبول طلبيهما حتى عام 1986. وقد كانت البرتغال منشغلة انشغالًا تامًّا في العقد الفائت في ثورتها المشتعلة؛ فعلى الصعيد البرتغالي، تشابكت العلاقات الشخصية والتنظيمية. وقد حشد ماريوسوريس مؤيديه من الاشتراكيين في وجه الشيوعيين، ولكن حكومته التي شكلها عام 1976 لم تلبث أن استمرت لعامين فقط، وتلاحق رؤساء الوزراء بعد ذلك سريعًا حتى عودة سوريس مرة أخرى عام 1983، وإن لم تستمر حكومته طويلًا هذه المرة كذلك. نجح سوريس في إقناع الرأي العام البرتغالي بأن البرتغال يجب أن تنضم هي الأخرى للاتحاد الأوروبي، مستغلًا السنوات التي قضاها في المنفى في فرنسا في تكوين علاقات وطيدة بالقادة الاشتراكيين في أوروبا كميتيراند وبرانت. وقد ساهم نجاحه في ذلك – وإن كان وقتيًّا – في توجيه البرتغال نحو أن تصير جزءًا هامًّا من أوروبا تطبق الديمقراطية الاشتراكية وتلتزم بها، وقد نجح بكل تأكيد في جعل العالم ينظر إلى البرتغال كدولة لا محافظة ولا كاثوليكية المذهب رغم عدم تأكد توجهاتها حتى ذلك الوقت.

لم تكن السياسة الإسبانية الجديدة – رغم عدم انفتاحها بالشكل الكافي – معقدة. ورغم وفاة فرانكو عام 1975، لم يندثر المذهب الفرانكوي؛ فقد رأى خوان كارلوس، المولود في روما والذي تلقى تعليمه بين سويسرا وإسبانيا، أنه الأحق بعرش إسبانيا. ولم يكن الهدف من الدعوة إلى التحول إلى الديمقراطية في إسبانيا هو تخويف المحافظين، وقد

كان أدولفوسواريز – والذي كان ماضيه فرانكويًّا لكنه عمل مع مجلس وزراء ذي قاعدة عريضة – الساعد الأيمن للملك، والذي عهد إليه الملك للاضطلاع بمهامه. وظلت الحرب الأهلية معلقة على السياسات الإسبانية، لكن تم بذل الكثير من الجهود على جميع الأصعدة حتى لا يصير انتقال السلطة فرصة سانحة لتصفية الحسابات القديمة. وقد توجه الملك إلى سواريز وفيليب غونزاليس – الزعيم الاشتراكي - وهما الاثنان من جيله. وقد رأت أوروبا أن إسبانيا حازت قيادات شابة. بقي سواريز في السلطة ما بين عامي 1977 و1981 بعد انتخابات برلمانية كاملة، والتي فاز فيها حزب اليمين المركزي بأغلبية المقاعد. أرسى دستور 1978 قواعد الدولة الدستورية، كما منح السلطة لنحو 17 منطقة مستقلة على درجات متفاوتة. وبعد أن جاء كالفوسوتيلوخلفًا لسواريز، فشلت محاولة للانقلاب العسكري عام 1981. في العام الذي يليه، وبعد نصر برلماني ساحق، قام غونزاليس بتشكيل حكومته الاشتراكية، والتي انضمت إسبانيا في عهدها إلى الاتحاد الأوروبي، وبذلك حان وقت التحول للمعاصرة. وفي وقت قصير بالفعل، كانت إسبانيا قد نجحت في التأقلم على النمط الأوروبي المعتاد في تأرجح النظام الانتخابي بين أحزاب اليمين واليسار.

على كل حال، فقد منح الثلاثة أعضاء الجدد، وإيطاليا، بعدًا متوسطيًّا واضحًا. وكما يتضح لاحقًا، فقد كان التناقض بين شمال أوروبا وجنوبها يزداد وضوحًا بمرور الوقت. وعلى صعيد الثروة الاقتصادية ورأس المال السياسي، فقد كان الشمال والجنوب ملتزمين بتطبيق قواعد الاتحاد ذاته. فيما بقيت اليونان، وإسبانيا والبرتغال والمملكة المتحدة خارج آلية معدل التبادل المخصصة لتشغيل نظم الإدارة البيئية الجديدة. وشكل خلق التناغم من الاختلاف – مع مراعاة التفرد – تحديًا ضخمًا.

ظل التكهن بمستقبل أوروبا صعبًا، ومع ذلك فقد كان تشوش صورته مع كل ارتقاء يحدث – سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي – أمرًا واقعًا لا يقبل الجدل. انضمت البرتغال واليونان مع أيرلندا والدانمارك وهولندا إلى مصاف الدول الصغيرة، ولكن وضع إسبانيا كدولة منبعثة من جديد كان مختلفًا؛ فقد كان من المقرر لها أن تنضم إلى التيار الأوروبي بشكل واضح. وقد عززت عضوية إسبانيا، وتليها البرتغال، في الاتحاد

الأوروبي من تعاملاته التجارية والثقافية واللغوية مع وسط وجنوب أمريكا – مع قدوم بعض الجنوب أمريكيين إلى ما أسموه وطنهم. في زيارته لسانتياجودي كوزموبوليتان بغاليسيا في نوفمبر 1982، دعا البابا يوحنا بولس الثاني، في حضور الملك خوان كارلوس، إلى أن تكون أوروبا القديمة منارة الحضارة للعالم أجمع. على كل حال، فسرعان ما اتضح أن إسبانيا الكاثوليكية لم تكن صلبة بقدر ما توقع البابا؛ فقد باشرت حكومة غونزاليس في إجازة الإجهاض، واتخاذ العديد من الخطوات التحررية على سبيل الليبرالية، مما رأت فيه الكنيسة إهانةً لها. وفيما يتعلق بموقفها السياسي، فقد أكدت إسبانيا بزعامة غونزاليس عضويتها في حلف شمال الأطلسي، الذي كانت البرتغال من أعضائه المؤسسين، بعد إجراء استفتاء في عام 1986، رغم معارضة حزبه لهذا الأمر في الماضي. ولكن مستقبل جبل طارق هدد علاقات إسبانيا الممتازة مع المملكة المتحدة.

## دمج وانتقال: الشعب، والدولة، والأقاليم

انطلقت إسبانيا الجديدة انطلاقًا ملفتًا. وعلى الصعيد الداخلي، فقد أثار التوازن بين الأقاليم، وخاصة كاتالونيا والباسك وغاليسيا، والحكومة المركزية في مدريد، التساؤل الأزلي حول من الذي يتحدث بالنيابة عن إسبانيا. وكان لهذا التوازن أصداءٌ عديدةٌ لدى جميع الدول الأعضاء، مع تفاوت درجات تلك الأصداء. إلا أن تنظيم الأقاليم والشعب والدولة والموازنة بينهم وقع تحت ضغط، وتحدث بعض المحللين عن صعود أوروبا الإقليمية. وعلى الصعيد الداخلي بين الحكومات، مثَّل تكوين الاتحاد ضغطًا هائلًا، وإن لم يكن ذلك التفويض معلنًا بشكل رسمي. وقد ساد لفترة طويلة اعتقاد أن فرنسا دولة مركزية غير متهاونة مع التنوعات الثقافية واللغوية الباقية فيها حيث تتحكم باريس في تقرير كل شيء. ومع ذلك، فقد منح قانون اللامركزية الذي صدر بفرنسا عام 1982 دفعة جديدة لمبدأ التقسيم الإقليمي في ظل ظهور هياكل إدارية جديدة. ولم تعد فرنسا نقيض ألمانيا الاتحادية، بالرغم من أنها لم تكن قد صارت دولة فيدرالية هي الأخرى بعد. وقد أعجبت الكثير من الدول المركزية بمبدأ المقاطعات الألمانية، لكن بعض الاستقلاليين الإقليميين هددوا بتقويض أسس الدولة القائمة. فعلى سبيل المثال، كان مدى الحكم

الذاتي الذي ستتلقاه كورسيكا في ظل وقوعها ضمن فرنسا موضع نقاش متجدد ومع ذلك غير محلول. كما كان التفويض موضع نقاش كبير في المملكة المتحدة، ولكن في استفتاء 1979 الذي أُجرِيَ في اسكتلندا وويلز، لم يتوافر الدعم الكافي للهياكل الجديدة، بالرغم من احتمالية تجدد هذه القضية. ظلت المملكة المتحدة في مشهد الصراع السياسي في أيرلندا الشمالية؛ فقد كانت الخلافات بين الكاثوليك والبروتستانت هي أساس الصراعات بين الهويات الإقليمية والقومية. فلم يكن انتماء الحكومتين الأيرلندية والبريطانية لذات الاتحاد يعني بالضرورة أن يتوصلا لحل مقبول لتلك النزاعات.ومع ذلك فقد كانت بروكسل، وهي معقل المفوضية الأوروبية ، مدينة مليئة بالحساسية تجاه القضايا اللغوية بين الفرنسية والفلمنكية الهولندية. وقد كانت عاصمة الاتحاد الأوروبي هي ذاتها عاصمة بلجيكا، التي كان من الممكن أن يضيع قسماها في ظل تراكم القوى والصلاحيات عليهما أكثر فأكثر. وبلا شك، فقد كانت بروكسل مثالية لتكون عاصمة الاتحاد المبدئي ذي الأعضاء الستة، لكن موقعها بدا بعيدًا عن كل من أثينا ولشبونة.

تضم الكثير من الدول الآن العديد من الهياكل الاتحادية وشبه الاتحادية بتفاوت. استقبل المتحمسون مزيدًا من الديمقراطية بترحاب شديد، فيما شكك المشككون في معايير الحكومة الإقليمية. وقد بدا في بعض الأحيان أن مستقبل الدولة القومية ووجودها كان على المحك، وقد مسَّت هذه الاحتمالية طبيعة الاتحاد في صميمها. وفيما كان الاتحاد يواصل اندماجه، كانت الدول المكونة له تتفكك، مما جعل أوروبا، التي كانت ترسي قواعد القومية، تبدو وكأنها تهجر تلك القومية مع مضيها قُدُمًا. فيما رأى البعض الآخر أن الإقليمية لم تكن قط لتعني إعطاء السلطة للشعب، بل إضعاف الدول الموجودة لصالح مشروع المركزية الذي وصلت أوروبا الاتحادية إلى نهاية طريقه، سواء أقبلت الشعوب به أم لم تقبل.

## اللاعبون الكبار: فرنسا وبريطانيا وألمانيا الاتحادية

بالرغم من وجود الاتحاد الأوروبي، إلا أن شيئًا لم يكن ليغير من حقيقة أن اللاعبين الكبار، وبالأخص فرنسا وبريطانيا، لم يكونوا على استعداد للاتحاد سويًّا والتخلي عن الأدوار العالمية التي اعتادوا أن يلعبوها على مر تواريخهم؛ فلم تبد أي منهم ترحيبًا كبيرًا

بالسياسة الخارجية المشتركة إلا إذا كانت وفق شروطها الخاصة. ورغم كون ألمانيا الاتحادية جزءًا هامًّا من الاتحاد الأوروبي وأحد لاعبيه الكبار، إلا أنها – على عكس قرينيها – كانت تفتقر إلى الروابط اللغوية والثقافية المتصلة التي منحت فرنسا وبريطانيا درجة من الحضور الدولي بالرغم من التصفية الاستعمارية. وقد ساعد ماضيها الخاص، ودستورها الحالي بالأحرى، على استبعاد أي دور عالمي قد يتطلب إسقاط القوى. إضافة إلى ذلك، فإن التساؤل عن مستقبل ألمانيا قد وضعها في وضع مختلف عن أقرانها. وفيما بينهم، فقد صاغ اللاعبون الكبار – بعد نقاشات كثيرة – رؤية أوروبا لأمريكا. وكما ذُكِرَ سالفًا، فقد أضعف الموقف الداخلي الإيطالي من وضعها الدبلوماسي في الاتحاد، فيما حاولت الدول الصغيرة اللحاق بالركب قدر استطاعتهم. وظلت إشكالية أن يتمكن اتحاد مؤلف من اثنتي عشرة دولة أن يصوغ رؤية مشتركة للعالم، وفي المقابل فلم يستطع العالم الخارجي أن يحدد من يتحدث بالنيابة عن أوروبا رغم معرفته التامة بلاعبيها الكبار.

لم يتم التوصل لاتفاقية إصلاح السياسة الزراعية المشتركة والميزانية – التي تشمل استجواب بريطانيا حول مساهمتها – حتى انعقاد قمة وزراء الاتحاد الأوروبي في يونيو عام 1984 بفونتينبلو، ثم أنشأ المجلس في حركته لجنتين لدراسة مستقبل الاتحاد الأوروبي في أعقاب ذلك. وقد كان البرلمان الأوروبي المنتخب بشكل مباشر، فيما كانت سلطاته محدودة قبل ذلك، حريصًا على تأكيد ذاته وتعطيل ما أسماه البعض قبضة الحكومة على تنمية الاتحاد، الأمر الذي ذاع صيته كتصرف اتحادي. وفيما ساد اعتقاد أن الاتحاد كان فوضويًّا، فقد تعين عليه أن يسعى نحو مزيد من الدمج على الصعيد الرسمي، وإلا كان سيتوقف. هذا وقد تم طرح الكثير من وجهات النظر؛ فعلى سبيل المثال اقترح حزب العمال البريطاني في انتخابات 1983 أن تترك بريطانيا الاتحاد الأوروبي ورُفِضَ هذا الاقتراح. لم تكن مارغريت تاتشر، والتي أعيد انتخابها مرة أخرى، متحمسة نحو بقاء بريطانيا في ركب الاتحاد، فعملت على إنشاء سوق داخلية حقيقية لتحقيق الاستفادة الاقتصادية القصوى، لكنها لم ترد تنفيذ مشروعات اقتصادية متكلفة. كان يجب أن تسترجع الدول حق الفيتو الذي كانت تمتلكه، وفي مارس 1985 ذكرت إحدى لجان الفونتينبل ذلك

الأمر. وبعد عدة أشهر، تم تقديم وثيقة فرنسية - ألمانية بعنوان "مسودة اتفاقية الاتحاد الأوروبي" إلى قمة مجلس ميلانو بادئةً بذلك صيفًا طويلًا من المفاوضات على أمل تحديد مستقبل أوروبا مرة أخرى. ومع ذلك، فقد ظلت التوجهات الفردية للاعبين الكبار على قوتها.

كانت فرنسا قلقة حيال كون الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ميالًا إلى الأطلسية أكثر منها إلى الديغولية، وهو ما افترضه بعض المحللين سلفًا، وقام بومبيدوبتأكيده، وقد صح ذلك بشكل بسيط. كان لدى فرنسا مصالح محددة في الشرق الأوسط لتبني وجهات نظر بسيطة لكنها هامة فيما يخص الولايات المتحدة. وعلى الأرجح، فلم يكن الآوان قد فات لفرنسا أن تشكل شبكة من العلاقات العربية والأفريقية والأوروبية في الشرق الأوسط. عاد آية الله الخوميني إلى طهران من منفاه في باريس على متن الخطوط الجوية الفرنسية في فبراير 1979. وقد بدا جيسكار حريصًا على مقابلة بريجنيف - سواء في فرنسا، موسكو، أو وارسو- أكثر من حرصه على مقابلة أي رئيس أمريكي. هذا وقد بدت مقابلة بريجنيف في وارسو محاولة متعمدة لإظهار عدم إنزعاج فرنسا من الغزو السوفيتي لأفغانستان. تزامنت ولايتا جيسكار وكارتر في الفترة من 1977 حتى 1981، ورغم ذلك فلم يلتقيا بشكل فردي إلا مرة واحدة عام 1978 في باريس حيث زارا شواطئ النورماندي. وأبدى كارتر امتعاضه من برود دي غول تجاه الولايات المتحدة، محررة فرنسا، فأوضح جيسكار أن الجنرال دي غول تحتم عليه أن يستعيد التقدير الذاتي الفرنسي. وتأكيدًا منه على دخول فترة جديدة، ألقى جيسكار خطابه في نورماندي باللغة الإنجليزية التي أجادها إجادة تامة، ولكن فرنسا لم تكن لتقبل بدور هامشي في عالم إنجليزي - أمريكي.

انتخب فرانسوا ميتران رئيسًا لفرنسا عام 1981. وقد كان لديه اقتراح قيم بأن تتنازل إنجلترا عن عضويتها الكاملة في الاتحاد الأوروبي نظرًا لتصرفاتها الغريبة مؤخرًا، وأن تطالب بوضع خاص لها، وهو ما رفضته تاتشر رفضًا تامًا. وقد كانت المواجهات بين تاتشر وميتران جزءًا من المناورات الفرنسية - البريطانية التقليدية على المنصب

الاستطلاعي لعب الاثنان فيها دورًا مشتركًا. على أي حال، فقد كان الأمر متعلقًا بالخبرات الفردية؛ ففي عام 1943 بدأت تاتشر حديثة السن في تعلم الكيمياء بجامعة أكسفورد، في حين انضم ميتران إلى جبهة المقاومة عاملًا لحساب أسرى الحرب في ظل حكومة فيشي منذ هروبه من معسكر أسرى الحرب الألماني، فقد كان ماضيه المثير للجدل إبان فترة الحرب على النقيض تمامًا من ماضيها الهادئ، ولم يكن ما يفصل بينهما هو قلة ذكرياتهما المشتركة فحسب.

فعَّل ميتران دستور الجمهورية الخامسة بقوة، غير ملتفت لانتقاده لتلك القوة سابقًا، وقام بحل الجمعية الوطنية في ظل تأمين الانتخابات لتأييد الأغلبية المطلقة من الاشتراكيين وحلفائهم. ضمت حكومة بيير موروا أربعة وزراء شيوعيين بالرغم من الانخفاض الحاد الذي شهده رصيد الحزب من المقاعد في الجولة الثانية من التصويت. وقد بدت نية النظام الحاكم الجديد تجاه القطيعة الحاسمة مع الرأسمالية واضحة، تمامًا كما كانت نية تاتشر تجاه مقاطعة الاشتراكية. ولكن مع مواجهة أزمة ميزان المدفوعات، وعجز الموازنة والتضخم السريع، اضطر ميتران لكبح إجراءات المقاطعة بعد جدالات ونزاعات كثيرة داخل الحزب. وقد اتهمته بعض الأوساط بأمركة الحزب الشيوعي، وتقليل ولائه للماركسية. ويبدو أن فرنسا لم تكن لتستطيع المقاومة بمفردها، وذلك – جزئيًّا – بسبب نظم الإدارة البيئية؛ فقد انهزم أولئك الذين قاوموا هذه النظم. ثم جاء جيل جديد من الوزراء الفرنسيين الذين تنكروا للمبادئ التي تبنوها بحماس عام 1968.

في بداية فترة ولايته، تبنى ميتران موقفًا باردًا تجاه الولايات المتحدة. وقد أعطى خط سيره من المكسيك إلى الجزائر والهند بين عامي 1981 و1982 انطباعًا بعدم الانحياز، إضافة إلى الوثيقة الفرنسية – المكسيكية التي أقرت التضامن مع المتمردين ضد المجلس العسكري في السلفادور، والذي كانت تدعمه أمريكا. ولكن بعد مرور عامين، استُقبِلَ رئيس هذا المجلس العسكري في باريس. ولم تكن لدى ميتران أي نية لانسحاب فرنسا من حلف شمال الأطلسي، أو التخلي عن أسلحتها النووية. وفي زيارته لموسكو عام 1984، ألقى محاضرة عن حقوق الإنسان، وقد خاطب البرلمان الألماني في العام الذي سبقه مناشدًا إياه بقبول إدخال صواريخ البيرشينغ II وكروز، التي عارض اليسار استخدامها في العديد

من دول أوروبا. وقد أثار طلبه ذاك تعجب البرلمان الألماني في ظل رفض الأول إدخال أية صواريخ أمريكية إلى الأراضي الفرنسية. ورغم موقف فرنسا الواضح تجاه القضايا الشرق أوسطية وإبدائها التعاطف والتفهم للوضع العربي، فقد كان ميتران أو ل رئيس فرنسي يذهب إلى إسرائيل في زيارة رسمية. كان موقف فرنسا المعادي للولايات المتحدة واضحًا على طول الخط لكل من اليمين واليسار، إلا إنه لم يكن مطلقًا، فقد بدا أن هذا الموقف قد تغير وأبدى الرأي العام الفرنسي إعجابه بالرئيس الأمريكي الجديد رونالد ريغان. ولم يرحب الرأي العام الفرنسي بفرض بولندا للأحكام العرفية، ولذلك فقد ظلت فرنسا في صف غرب أوروبا مع إصرارها على وجهة النظر الخاصة بها. وفي الفترة ما بين عامي 1976 و1984، انشغلت فرنسا عن أوروبا بإجراء تجارب نووية سرية في بولونيزيا الفرنسية دون الالتفات إلى معارضة دول جنوب المحيط الهادئ لهذه التجارب، بل قامت عناصر الأمن الفرنسي بتفجير السفينة غرينبيس رينبوواريور في ميناء أوكلاند بنيوزيلندا في يوليو عام 1985. فاستقال وزير الدفاع الفرنسي، لكن ميتران ذهب بنفسه إلى جنوب المحيط الهادئ حيث أجريت تلك التجارب لإعطاء الموافقة على استمرارها.

انشغلت بريطانيا هي الأخرى بالعالم الخارجي عن أوروبا. فمثلًا، لم يكن الكثير من الشعب البريطاني يدرك وجود جزر فولكلاند حتى وقعت فيها تلك الأزمة عام 1982. ففي أعقاب الغزو الأرجنتيني لتلك الجزر في ذلك العام، أرسلت بريطانيا قواتها لاستعادة تلك الجزر؛ فقد كانت حياة ألفي مواطن بريطاني على تلك الجزر أمرًا هامًا للحكومة البريطانية، ولم تكن بريطانيا لترضخ لأي عدوان على أراضيها مهما كانت بعيدة، فيما ظل التضامن المجتمعي مع تلك القضية غير واضح. ولم يكن من المحتمل وقوع حوادث مشابهة، مثل العدوان على جزر تريستان دي كونها النائية في جنوب المحيط الأطلسي. لم تشعر رئيسة الوزراء بالحماس تجاه مجلس الكومونولث، والذي كان رئيسه الفخري هو ملكة بريطانيا ذاتها، والذي شعر به الجميع بشكل واضح. كانت جمهورية آيرلندا غير مساعدة على الإطلاق في ظل وجودها في الأمم المتحدة، مما اضطر السفير البريطاني إلى الاعتماد على الكومونولث في الحصول على الدعم الدبلوماسي بشكل أكبر من اعتماده على شركاء بريطانيا الأوروبيين. وقد كان لهذا الموقف الفاتر من جانبهم أسباب عدة؛ فقد

ضمت الأرجنتين عددًا كبيرًا من السكان ذوي الأصول الإيطالية. لهذا، فإن أزمة جزر فولكلاند نمَّت الحس الوطني البريطاني أكثر من التعاطف الأوروبي العام. وفي تلك المرحلة، فقد كان ما يهم الحكومة البريطانية هو موقف الإدارة الأمريكية، والعلاقة بين رئيس الوزراء والرئيس، والتي كانت أساسية. وعلى الرغم من وجود بعض الاضطرابات، كانزعاج تاتشر من الغزو الأمريكي لجزيرة غرينادا في الكاريبي والتابعة للكومونولث، فقد اتفق الزعيمان على بدء مرحلة جديدة من العلاقات الأنجلو-أمريكية، وعلى نطاق أوسع فقد تشارك الاثنان الرؤية ذاتها تجاه العالم.

كانت قناعة هيلموت شميت( المستشار الألماني للاتحاد الاشتراكي الديمقراطي في الفترة ما بين عامي 1974 و1982) الأساسية هي عدم مقدرة ألمانيا على قيادة العالم سياسيًّا أو عسكريًّا؛ فقد كان بريطاني النزعة إلى حد كبير. ساعده على ذلك طلاقته في الإنجليزية لا الفرنسية، التي اكتسبها من عمله كسائق لسيارة أجرة في ماساتشوستس، بوسطن. وقد استمتع بحياته الهانزية حين جاء من هامبورغ، وكان على استعداد تام لإبرام صفقات مع برلين الشرقية، والاستفادة من القوة المالية لبون لزيادة تدفق الزوار الألمان من الغرب إلى الشرق، وبالتالي الإبقاء على وحدة الأمة الألمانية. لكن ماهية هذه الوحدة لم تكن واضحة، وقد ظل مؤرخو ألمانيا يتجادلون حول كون الأمة الألمانية بدعة فيها بعد أوروبا الاتحادية جدالًا قويًّا. هذا وقد سببت عدم رغبة شميت في التعامل مع الحيادية توترًا متزايدًا داخل الحزب. وبسقوط حكومته عام 1982، كان على خليفته هيلموت كول - من الحزب المسيحي الديمقراطي - أن يتعامل مع أكثر الأوضاع الألمانية مأساوية في الثمانينيات، كما سيتضح لاحقًا. وقد اختبر رد فعل الدول الأوروبية للوحدة الألمانية المدى الذي تقبلت به تلك الدول خلافات الماضي ومضت قُدُمًا نحو تقبل أنهم يعيشون على أرض واحدة.

# 19

## منطقة الشرق الأوسط : هل يتمّ إصلاحها؟

لقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحةً أنها قامت بإستبعاد دولة واحدة خارج نطاق المنظومة. فإذا لم يتمكن القادة الخارجيين من التوصل إلى رقم الهاتف الخاص بـ أوروبا، فسيتم التحدث إلى أمريكا على نحو مباشر. لقد كان هناك بيت أبيض واحد فقط على الرغم من كونه قصر ضيافة داخل مدينة مغمورة بآراء السابقين. ومع ذلك، كان لدى القليل من سكان السهول بجمهورية جورجيا قلق بشأن التعقيدات القائمة بالعالم ووضع أمريكا بالنسبة للعالم. وقلّما ما كان يتم الاعتداء على العالم الخارجي بطريقة مباشرة، داخل مثل هذه الجالية التي تتكون من حوالي 500 فرد. فلقد كانت زراعة الفول السوداني، بالنسبة لعائلة كارتر، نشاط تجاري صعب بدرجة كافية. حيث تبعد ولايات السهول كثيرا عن واشنطن، بينما تبعد أطلنطا، التي تعتبر أقرب مدينة، عن واشنطن بحوالي 120 ميل. إلا أن مدينة ستافروبول كانت معروفة ومشهورة عالميًا. فإنه من بالغ الحكمة إدراك أن وجهات النظر التي تم صياغتها بشأن العالم هي وجهات نظر خاصة بالسياسيين والمسئولين داخل مدن العاصمة. ومع ذلك، لقد وصل الأفراد داخل واشنطن إلى قمة السلطة من خلال الفرضيات والتصوّرات المسبقة التي تمّت صياغتها في كل مكان في غموض وابهام. فلقد كان يظهر في بعض الأحيان ارتباط القوى المحلية بالقويالعالمية بدرجة أكبر مما كان يتوقعها الفرد.

## السهول تتحدث

لذلك تمّ انتخاب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 1976 بمعاونة السيد جيمي كارتر، المحافظ الأسبق لولاية جورجيا. فقد ذكر البعض أن انتخابه يقصد به ضمّ الجنوب إلى دولة أمريكا أخيرًا. وقد كان يقصد بذلك اختفاء الحرب الأهلية أخيرًا التي ألقت بظلالها لفترات طويلة. ومع هذا، فقد تحققت الوحدة الأمريكية في ظل ضغوط جديدة. فلا تزال دولة أمريكا تقلّد عدد كبير من الجماعات السكانية حيث ظلّ العالم يؤثر في الولايات المتحدة الأمريكية مثلما كانت تؤثر الولايات المتحدة الأمريكية في العالم. حتى أن ولاية جورجيا، في أعقاب انهيار وسقوط فيتنام، قامت باستجلاب عدد قليل من سكان فيتنام. لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية مستودع للحريّة العالمية. لقد ساهم التأكيد على ذلك في شفاء جراح الدولة. حيث كان يعتقد ذلك أيضًا الرئيس القادم.

لم يتم استضافة اجتماعات القائد العظيم العالمي داخل مزرعة الفول السوداني الخاصة بوالد كارتر. ولم يحضر جيمي كارتر كورسات الجامعة المتميزة ولكنه قام بتسجيل اسمه داخل الأكاديمية البحرية الأمريكية التي تخرّج منها عام 1946. لذلك لم يرى هو أيّ من خدمات الحرب كما حدث مع نظرائه السابقين له. ولقد قام هو بالسفر على نطاق واسع كقائد للغواصة داخل الاسطول البحري على مرّ السبع سنوات القادمة، على الرغم من حصول احد رجال الغواصة على وجهة نظر محدودة بعض الشيء عن العالم.

ومع ذلك، كان هناك بعض اللحظات الظاهرية – التي قضى أيام قليلة منها داخل موانئ بحرية متعددة القائمة على طول الساحل الصيني عام 1949. حيث تمّ رؤية نيران مخيّم القوات الشيوعية على التلال القائمة خلف الموانئ الواقعة تحت سيطرة الوطنيين. لقد استعادت ذاكرة كارتر صور فترة الصبا التي تم تقديمها في شرائح من خلال الإرساليات المعمدانية؛ أثناء قضاء إجازة قصيرة داخل جورجيا. ثم قام بعد ذلك بإنقاذ النيكل والدايمات الخاصة به من أجل مساعدة المبشرين في عملهم بتوفير المدارس والمستشفيات؛ إلى جانب معرفة السيد المسيح. لقد قام عم له بإرسال بطاقات بريدية لشنغهاي وتشينغداو . لذلك تم زحف العالم الخارجي حتى داخل السهول.

لقد كان كارتر، خلال الحملة الانتخابية القائمة عام 1976، قادرًا على عرض الفضيلة والقيم حيث كان أجنبيًا وعلى علم بالحالة المزاجية للبلاد. فلم يكن محاميًا أو عضوًا داخل الكونجرس بل لم يؤدي خدمته العسكرية داخل واشنطن. فلقد كان هناك أمريكيين آخرين يرغبون في تجديد مكانة دولتهم بالنسبة للعالم. ولقد استدعى كلمات خاصة بنبي العهد القديم، ميكا أثناء إلقاء خطابه الافتتاحي. فقد تتطلب أخطاء الماضي الحديث إعادة تأكيد على المبادئ الأساسية للدولة. فهذا يعني التزام مطلق بحقوق الإنسان، تقيّد أو تحديد التسليح بالإضافة إلى التخلص من جميع الأسلحة النووية كهدف نهائي. لقد ذكر كارتر أن أمريكا تعتبر دولة نموذجية ومثالية ولكنها ربما تحتاج إلى الاعتراف بحدودها. فلم تتمكن من الإجابة على جميع التساؤلات القائمة ولا من طرح حلول لأي مشكلات أيضًا. لقد أكّد كارتر على المسئولية المالية، أثناء تحدثه عن اقتصاديات الدولة. لا يمكن اعتبار الحكومة الفيدرالية مثل قرن الخصب العميق جدًا. لقد تعارضت خطابات كارتر مع المراقبين الأكثر حنكة وتهكمًا. حيث آلت تلك الجهود إلى الفشل بالطبع. حيث اختلف المنهج الخاص به بشدّة عن الترابط المسهب للسياسة الواقعية التابعة لـ كيسنجر. وبعد مرور أشهر قليلة عندما وجب على مدير الموازنة التابع لكارتر تقديم استقالته بسبب التجاوزات التي حدثت خلال وظيفته المصرفية السابقة، كانت تلك الإدارة تشبه كثيرًا غيرها من الإدارات الأخرى. لقد تسببت القناعات المسيحية الجريئة الخاصة بالرئيس في إثارة قلق واضطراب أيضًا. فليس من المتوقع من جانب الرؤساء اتخاذ تلك القناعات بجدّية تامة. لقد كان كارتر يشير عادةً إلى الأوروبيين ولكن اكتشف في الحال من خلال تعاملاته مع كل من تاتشر، شميت، جيسكار واندريوتي أنه كان لا يوجد نموذج قياسي لـ الأوروبي. كان يبدو أن الشقوق الثقافية داخل العالم الأمريكي الأوروبي واسعة ومتزايدة وليست متناقصة. حتى أنهم أكثر اتساعا من العالم في حد ذاته، كما اكتشف ذلك الرئيس.

لقد صرّح كارتر أنه ليس في إمكان الولايات المتحدة الأمريكية أبدا التعامل بلامبالاة تجاه مصير أو مستقبل الحريات في مكان آخر – وبعبارة أخرى في كل مكان –

على الرغم من قيامها في الواقع بالتعامل بتلك اللامبالاة في بعض الأحيان. فقد كان لديها علاقات قوية عسكرية أو اقتصادية، مع الدول التي تلتزم بالحريات بشكل معتدل. فلن يساهم حتى القيام بإنشاء أو تأسيس مكتب جديد لحقوق الإنسان داخل وزارة الخارجية الأمريكية في حدوث أي تغيرات. لقد تمت المصادقة على حقوق الإنسان عالميًا ، لمدة ثلاثين عامًا منذ القيام بالتوقيع على ميثاق الأمم المتحدة. حيث أكدّت اتفاقيات هلسنكي التأكيد عليهم من جديد. ومع ذلك لم يكن هناك آليات لتفعيلها أو تطبيقها. كما لم يكن هناك اتفاق عالمي بشأن تحديد تلك الحريات أو تفضيل ملائمتها. حيث كان يعتبر الترابط الاجتماعي، بالنسبة لبعض الدول، أمرًا أكثر أهمية. كما قام الفلاسفة بالتفكير مليّا في تلك المسائل والأمور. حيث كان يستلزم على البيت الأبيض اتخاذ القرارات.

## إيران: الحقوق والثورات

عندما قام شاه إيران بقراءة الخطاب الافتتاحي لكارتر في يناير 1977، فلم تكن تلك المرة الأولى لذهاب منظمات حقوق الإنسان إلى المكتب الخاص به.

لقد قام كل من اللجنة الدولية للحقوقيين ومنظمة العفو الدولية بتقديم مستندات هامة بدرجة كبيرة تتعلق بقمع الحريات داخل إيران واستخدام أساليب التعذيب من جانب جهاز السافاك (جهاز الأمن الداخلي). لقد ساهم التأكيد من جانب كارتر في تشجيع المفكرين الإيرانيين على نشر خطابات وعرائض عامة تدعو إلى التغيير. وقد يضغط الدبلوماسيّون الأمريكيّون الآن على شاه إيران من أجل القيام بتطوير الحقوق المدنية. لقد تم الإشارة إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان داخل بعض من هذه العرائض، على الرغم من عدم اعتماد المعارضة الدينية على أي واحدة من تلك العرائض. وفي نوفمبر 1977 بواشنطن، قام رجال الأمن الأمريكيين باستخدام الغاز المسيل للدموع من أجل تفريق حشود الطلاب الإيرانيين – حيث كان هناك في ذلك الوقت مئات الآلاف من الطلاب الإيرانيين الذين يدرسون داخل أمريكا الشمالية وأوروبا – في مظاهرة واحتجاج ضد شاه إيران الذي قام بزيارة البيت الأبيض. لقد كان كارتر الرئيس الأمريكي الثامن الذي التقى به شاه إيران. كما دفع هذا الغاز المسيل للدموع شاه إيران

لإنتاج مناديل خاصة بمسح تلك الدموع. حيث بذل الرئيس أقصى ما في وسعه لعدم فتح وإغماض عينيه بسرعة أمام الكاميرات. فقد كان ذلك أمرًا جديدًا. لقد صرّح كارتر بعد ذلك أنه كان يعتبر شاه إيران رجل محبوب وحليف قوي. كما تم انعقاد مباحثات خاصة فيما بينهما اقترح الأمريكيين من خلالها تخفيف السياسات الصارمة المتّبعة من جانب الشرطة. فقد أجاب شاه إيران قائلاً إنه بينما تم انحصار أعداد مثيري الشغب في أقليّات ضئيلة، فقد ظل تهديد الشيوعية خطير جدًا.

ومع هذا ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، اختفى الاستقرار على نحو متزايد. حيث أصبحت إيران واحدة ضمن المناطق المتعثرة أو المضطربة التي أثارت الجدل الإعلامي. فقد كان هناك ، مجموعة من المعارضات لشاه إيران بالأحرى من جبهة واحدة منفردة. كما افترض الليبراليون الغربيون أن المظاهرات التي اجتاحت الشوارع في فصل الصيف دفعته إلى قيام انتخابات حرة – فقد قام بعمل تلك الضوضاء والشوشرة لهذا الغرض. لقد مهدّت تلك الانتخابات الطريق لإيران التي قد تكون بالفعل ملكية دستورية. فهؤلاء المفكرين لم يتوقعوا حدوث تلك الثورة التي تركتهم عالقين ومحصورين. حيث كان للمعارضة اليسارية والدينية (المختلفة في حد ذاتها) أهداف أخرى. كما قام شاه إيران بتغيير الوزراء التابعين له وإغلاق الكازينوهات من أجل مواجهة هذا الانشقاق المتزايد. كما تسببت المظاهرات الحاشدة التي اندلعت في سبتمبر في صدور أحكام عرفية – وفي وقوع العديد من القتلى والضحايا. وتم تعيين حكومة عسكرية بعد ذلك في نوفمبر داخل تلك الدولة التي أصبحت خارجة عن السيطرة. كان يعتقد البيت الأبيض بصورة استثنائية أنه لابد أن يكون مثل هذا الحاكم المحنّك، إلى جانب جيشه الضخم الذي يقف وراءه، معرّضًا للهجوم بشكل مفاجئ. وفي يناير 1979، غادر شاه إيران بلاده في أجازة ممتدة إلى مزيج غير عادي من الاتجاهات. ومع ذلك، لم يتنازل هو عن ملكيته: وبالتالي قد كان هناك اشتباه شائع بتكرار ما حدث عام 1953 حيث قام الأمريكيون بالتخطيط لعودته مرة أخرى. فلم يكن ذلك الهدف داخل واشنطن التي كانت تبحث باستماتة عن "طريق وسط" داخل إيران بين النظام الملكي والجمهورية الإسلامية.

لقد قام الخميني بتنسيق الثورة الإسلامية التي اندلعت من باريس حيث كان يقطن هناك منذ عام 1978 بعد مغادرته دولة العراق. حيث عبر الرجال الغربيين المثقفين داخل حاشيته عن طموحات ديمقراطية. لقد كان يعتقد الخميني نفسه، على الرغم من هذا، أن الديمقراطية ما هي إلا تصوّر أو مفهوم غربي أجنبي. لقد كان الإسلام وحده كافيًا. ولقد تلقي الخميني ترحيبا واسعًا بالمطار خلال عودته إلى طهران في فبراير 1979. على مدى الأربع سنوات القادمة، قام هو وأتباعه بالسيطرة على سواحل ثورية مختلفة حتى الآن. وفي مثل هذا الوضع الجديد، اكتشف الأجانب، بصرف النظر عن سكان البلد الأصليين، أن العلاقة بين السلطة الدينية من جانب واحد والبرلمان المنتخب والرئاسة من جانب آخر علاقة مبهمة وغامضة. فلم يتم الحصول على دولة تحترم حقوق الإنسان كما قام كارتر بتفسيرهم، بسبب تلك العلاقة المبهمة.

ومع ذلك، لم تكن تلك الإدارة تعتزم التدخل وإعادة النظام القديم. لقد تسبّب القيام بالسماح لشاه إيران بدخول الولايات المتحدة الأمريكية لتلقي العلاج الملائم لمرض السرطان في القيام بإحتلال السفارة الأمريكية بطهران في نوفمبر 1979. حيث اشتعل فتيل أزمة الرهائن واستنفدت الكثير من تركيز وانتباه الرئيس إلى ما يقرب من أربعة عشر شهرًا. حيث كانت السياسة النموذجية التي انتهجها هذا الرئيس هو التقدّم بطلب إلى واشنطن من أجل التعامل معها. كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بقطع العلاقات مع إيران في ابريل 1980. لقد تم إبرام صفقة مع طهران وإطلاق سراح الرهائن في آخر يوم له كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية في يناير 1981 بعد أن حقق رونالد ريغان فوزًا ساحقًا عليه أثناء الانتخابات القائمة عام 1980. فقد كان هناك تعليقات مخزية بشأن الخطاب الافتتاحي لكارتر الذي ألقاه قبل ذلك بأربع سنوات. بالتأكيد لم يؤدي دعمه أو تأييده لحقوق الإنسان إلى اتجاه الثورة الإسلامية إلى نفس المسار مباشرة، ولكن قد أدى تأييدهم بشكل عام لذلك في جميع أنحاء العالم إلى ظهور تداعيات غير متوقعة بشكل واضح. لقد قام القائد الخميني بوضع الدولة على مسار جديد كان يبدو للغرب أنه إنكار جميع ما كان يعتبره الغرب من العصرية أو الحداثة. حيث لم يكن آية الله الخميني مرتبكًا أو

حائرًا. وفي ظل الاضطراب الهائل للسياسات الإيرانية، لا أحد يستطيع بالفعل معرفة كيفية استمرار رؤيته حتى النهاية. ومع هذا فلن يتم تحقيق هدف الحضارة العظيمة الذي كان يتطلع إليه شاه إيران لفترات طويلة. فقد تسعى إيران الآن لتقديم نموذج ثوري جديد لمنطقة الشرق الأوسط، بل من المحتمل تجاوز هذا النموذج لمنطقة الشرق الأوسط أيضًا.

في سبتمبر 1980 قامت القوات العراقية التابعة للرئيس صدام حسين بغزو إيران. ولقد ظلت حدود منطقة شط العرب، التي تم تحديدها نظريًا بالمعاهدة الموقعة بين العراق وإيران عام 1975 بالجزائر، مثيرة للجدل والنزاع بالفعل. لقد رأى صدام حسين فرصته في ذلك. لقد كان يبدو أن إيران معرّضة للهجوم بشكل غير عاديّ كما كان هناك سبب معقول لافتراض أن، كما تشير الأمور الآن، العالم الغربي بأكمله يعتبر صدام حسين أهون الشّرّيْن. وبعد تحقيق بعض من النجاح الأولي، قاومت القوات المسلحة الإيرانية وكذلك المتطوعين الإيرانيين هذا النجاح. حيث ساهم هذا الغزو في تعزيز النظام الإيراني. حيث قام كل جانب منهما بتفجير المنشآت النفطية أو البترولية الخاصة بالجانب الآخر. وقد نشأ عن ذلك حالة لا انفراج عسكري، ولكن لم يتخلى أي جانب منهما عن القتال والنزاع. لقد قام كارتر بإقناع البابا جون بول الثاني بإرسال خطاب كتابي إلى الخميني بشأن الرهائن الأمريكية ولكن بدون أي تأثير. فليس من حق المسيحيين إدراج أنفسهم داخل العالم الإسلامي. ومع ذلك، فهناك معركة متعددة الجوانب داخل ذلك العالم الآن. وخلال الصراع والنضال من أجل السلطة، قد حدث اضطراب وبلبلة لكل من الدولة والدين مرة أخرى. من الممكن إغواء أغلبية الشيعة داخل العراق، الذين يعيشون داخل الدولة تحت حكم أقليات السنة، من خلال تدخل دولة إيران (مثلما قد يحدث مع الأكراد في شمال العراق). ومن الممكن أيضًا إغواء الأقليات العربية الموجودة داخل منطقة خوزستان الغنية بالنفط والبترول بإيران (بالقرب من الحدود) من خلال دولة العراق العربية. فلم يكن هذا برمّته معركة واضحة بين الدول. وعلى أي حال، يبدو أن النصر الواضح بعيدًا على نحو متزايد. ومع هذا، لم تكن تلك الأزمة مناسبة لكل من الدول

المجاورة والدول الغربية البعيدة.

لم يتم توقع أي شيء من ذلك قبل حدوثه بعامين. وفي نهاية ديسمبر 1977، قام كارتر برد الزيارة إلى إيران ومدح الدولة بكونها جزيرة الاستقرار داخل منطقة الشرق الأوسط المتعثرة. لقد كان يبدو أن هناك توافق، بشكل عام، بين هذا التقييم المؤاسي ومصادر المعلومات التي تم تدفقها داخل وزارة الخارجية الأمريكية. لم تقم الجالية الأمريكية داخل إيران، التي تعتبر جالية تجارية بشكل كبير، بدراسة علم العقائد الشيعيّ. كما لم يقم بذلك الرئيس أيضًا. قلّما ما تقدّم محطات التوقف، على أي حال، التي تم تمثيلها بذكاء من قبل المضيفين، مشاركة جادة بين الثقافات. فلم يحدث ذلك في هذه المناسبة.

## فلسطين : الأرض الواعدة؟

لقد قام كارتر بجولة زار فيها كل من بولندا، الهند، المملكة العربية السعودية، فرنسا، بلجيكا ومصر. كما كانت إيران اللاعب الأساسي. وظلت منطقة الشرق الأوسط بالفعل واحدة من أكثر المناطق المتعثرة والمضطربة بالعالم. لقد انضم ملك الأردن إلى كل من كارتر وشاه إيران عشية رأس السنة بطهران من أجل بحث الخيارات الممكنة لإيجاد سلام مقبول داخل المنطقة مرة أخرى. حيث استطاع هؤلاء القادة التحدث إلى بعضهم بطريقة مباشرة؛ لكونهم بارعين في التحدث باللغة الانجليزية بطلاقة. وفي صباح اليوم التالي، اتفق كل من شاه إيران والملك حسين على التوجه إلى المملكة العربية السعودية ومصر لإظهار دعمهما وتأييدهما للرئيس السادات. لقد كانت المرحلة النهائية من تلك الجولة، من وجهة نظر كارتر، تمثلت في اجتماعه برئيس جمهورية مصر العربية الذي اعتمد عليه الآن بدرجة كبيرة. كما استطاعت كل من مصر وإيران، القوى المعزولة، من تحديد مصير الأراضي المحصورة بينهما.

لقد كان هناك حينئذٍ رجل أمريكي كان يعتبر الأرض المقدّسة جزءا خاصا به. ومن ناحية أخرى، كان يمتلك تلك الأرض المسيحيون. كما أنهم عرفوا الكثير عن الطريق المؤدي من بيت المقدس إلى مدينة أريحا من خلال قراءتهم للكتاب المقدّس" الإنجيل". كما كان لدى كارتر، باعتباره المعمداني القارئ للإنجيل، شعور أيضًا بأنه يعرف ذلك الطريق

بحميمية. وبالرجوع إلى ما حدث عام 1973، فقد قبل دعوة رئيسة الوزراء، جولدا مائير، بزيارة إسرائيل. ومن بين الخبرات الأخرى، لقد انطلق مع رئيس بلدية مدينة الناصرة. حيث كان يعتقد أن اليهود الذين تم إنقاذهم من محرقة اليهود يستحقون أن يكون لهم دولتهم الخاصة؛ كما أوضح هذا بعد ذلك. لقد كان هناك توافق وانسجام بين مفهوم الوطن وتعاليم الكتاب المقدس"الإنجيل" لذلك تم فرضه من جانب الربّ. كما كان معجبًا بما يفعله الإسرائيليون. وعند قيامه باستلام السلطة، لا يزال معتقدًا أن إسرائيل هي الأصول الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.

ومع ذلك، لم يكن لديه مشاعر قوية تجاه الدول العربية. حيث اعترف أنه ليس لديه بالفعل أي مشاعر قوية تجاه أي دولة عربية كما أنه ليس لديه معرفة شخصية بأي قائد عربي. حيث ساهمت سلسلة الاجتماعات التي قام بها داخل الولايات المتحدة الأمريكية مع السادات (رئيس جمهورية مصر العربية) والحسين بن طلال (ملك المملكة الأردنية) وكذلك فهد (ولي عهد المملكة العربية السعودية ) إلى جانب الاجتماعات التي تمت داخل سويسرا مع الأسد (رئيس دولة سوريا) في إنهاء هذا الاختلال والعجز. ومع هذا، كلما تعامل كارتر مع القادة العرب كثيرًا كلما اكتشف بأن هناك اختلاف مربك بين الضمانات الخاصة والتعليقات العامة التابعة لهم. وكلما تحدّث إليهم كثيرًا، كلما اكتشف أيضًا الاختلاف القائم بين العالم العربي. وعندما سافر إلى الرياض في يناير 1978، كان قد تلقي دروسًا غير متوقعة في صيد الصقر وبشأن نمط الحكومة السعودية. لقد كان للولايات المتحدة الأمريكية العائلات الملكية السياسية الخاصة بها، ولكن تبيّن أن للمملكة العربية السعودية شؤون عائلية ممتدة. لقد كان يواجه عالماً غريبًا – فهذه تلك العبارة التي كان يستخدمها خلال زيارته التالية لتوليه الرئاسة. ومع ذلك، لقد كان دمجه بين الثروة والتعصب أو التزمّت أمرًا مغريًا وجذّابا للكنيسة المعمدانية الجنوبية. وعلى الرغم من هذا لقد قدّمت وسائل الترفية الكثيرة داخل قصر الرفاهية وجهة نظر محدودة بشأن الدولة. لقد كان للمملكة العربية السعودية، نظرًا لاعتمادها على توظيف العمالة الأجنبية بشكل أساسي، العالم الخاص بها داخل البلاد الذي لم يتمكن من ملاحظته. لقد أخبر الملك خالد

كارتر أنه لم يوافق إلا على استقلال دولة فلسطين على الرغم من أنه كان هناك تعديلات بسيطة في الحدود الخاصة بإسرائيل قبل عام 1967.

ومع هذا، كان هناك عامل جديد داخل منطقة الشرق الأوسط. وفي يونيه 1977، بعد إجراء الانتخابات العامة عقب استقالة رابين، تولّى مناحم بيجن (الذي ولد عام 1913) مقاليد الحكم في النهاية. حيث عرقل وصوله إلى السلطة، كما اعتقد المراقبون بالخارج، مسألة الاستقرار. كما سيطر حزب العمال على الحكومات الإسرائيلية منذ عام 1948. لقد كان يرمز حزب الليكود، الذي قام بيجن بإصلاحه ككل، إلى شيء من التغيير بعيدا عن سيطرة وهيمنة اليهود الأوروبيين (اليهود الاشكناز).

وفي هذه الآونة، كان عددهم يفوق عدد اليهود من شمال أفريقيا وأماكن أخرى (يهود سفارديم). فقد كان، هو نفسه من أصل أوروبي لذلك فقد ساعد ماضيه إلى حد كبير في تشكيل حاضره. قُتل كل من والديه وشقيقه في المحرقة وقد وُلِد في إمبراطورية روسيا في بريست ليتوفسك ثم بعد ذلك تلقى تعليمه في جامعة وارسو. كان يري حقيقة معسكر العمل السوفياتي حيث أنه قد وصل إلى فلسطين التي كانت تدار من جانب بريطانيا في عام 1942، بعد التحرك في السنوات القليلة التي كانت تعم فيها الفوضى بعد اندلاع الحرب عام 1939. كان البريطانيون في مكان آخر يحاولون هزيمة ألمانيا النازية إلا أن ذلك لم يردعه عن النشاط الإرهابي ضد إدارتهم في فلسطين حيث أنه كان يرأس عصابة الأرغون منذ عام 1944. كان أكثر عمل إرهابي سيء السمعة قام به كان تفجير فندق الملك دايفيد (الذي خلف خسائر فادحة في الأرواح) في القدس عام 1946. فقد كان على استعداد أن يحارب أي شخص يقف أمام إسرائيل التي يريدها حيث أنه كان دائما ما يتحدث على نطاق واسع عن إسرائيل العظمى بنفس القدر الذي كان يتحدث به الرئيس الأسد في دمشق المجاورة عن سوريا العظمى.

عندما قام بيجن بزيارة واشنطن في صيف عام 1977، فقد إكتشف كارتر أنه رجل جيد إلا أن الرأي الرسمي البريطاني لم يكن يتفق تماما مع ذلك على الرغم من أن كلا الرجلان لم يكن جيدا إلا أن بيجن كان رجل يمكن التعامل معه. أما الإسرائيليين فقد

أخبروا الأمريكيين بأن دولة فلسطين غير قابلة للمناقشة. فقد تصبح على الفور قاعدة سوفيتية الأمر الذي قد يجعل إسرائيل في خطر حقيقي لذلك فأي ضمانات تقدمها الولايات المتحدة سوف تكون عديمة الفائدة. فقد كان يرى أنه من المفترض أن يتم التفكير في كيان فلسطيني لكن ليس دولة بالتأكيد. فقد أكد كارتر وجهة النظر الأمريكية بأن المستوطنات الأمريكية المقامة على الأراضي المحتلة بالقوة العسكرية منذ عشر سنين كانت غير قانونية بموجب القانون الدولي إلا أن بيجن ظل صامتا وفي خلال عودته إلى وطنه، صرحت الحكومة الإسرائيلية أن بعض هذه المستوطنات دائمة.

فقد أعطت هذه الاجتماعات جنبا إلى جنب مع التدقيق الشديد في الخرائط للرئيس بعض اللمحات عن عوالم الشرق الأوسط المختلفة. فلم يكن ذاق من قبل الصحراء أو شرب حليب الإبل إلا أن هذه اللقاءات كانت أكثر من دروس ثقافية. فقد كان كارتر مؤمنا أن لا يزال ممكنا أن تكون هذه بمثابة مقدمات لتسوية سلمية شاملة رافضا أي تعبيرات مألوفة تعبر عن اليأس. في أكتوبر لعام 1977، اتفق كلا من واشنطن وموسكو على أنهما سوف يقوما بعقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط في جنيف في ديسمبر تحت رئاستهم المشتركة حيث سيتم دعوة جميع الدول المعنية. لكن تعرض هذا المخطط لبعض الصعوبات وعلى رأسها اعتراضات إسرائيل على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية إلا أن المشهد قد تحول بسبب الأخبار التي جاءت من القاهرة في نوفمبر عام 1977. الأمر الذي جعل كارتر يتوقف لفترة وجيزة من أجل مقابلة السادات في أسوان في يناير لعام 1978 وبشكل غير متوقع وجدت فرصة لالتقاط الصور مع زائر آخر وهو هيلموت شميت حيث أن مصر قد تحمل الحل.

### مصر: ذهاب السادات منفردا

كان أنور السادات متخصص في المناورات حيث كان طرد مستشرين السوفيات عام 1972 ومن بعده إلغاء معاهدة الصداقة من جانب واحد عام 1976 بمثابة تحديد نمط شخصيته ثم شرع بعد ذلك في تحقيق سياسة الانفتاح أو الباب المفتوح للاستثمار الأجنبي. قام العديد من فاتحي الأبواب المحلية للاستثمار أيضا بضبط الفرص التجارية في هذا الوقت لذلك فقد كان التعبير العلني عن الثروة الفردية واضحا.

ظل الجيل الناصري من ضباط الجيش (الذي كان السادات نفسه واحد منهم) والبيروقراطيين والتكنوقراط في السلطة إلا أن الاشتراكية الناصرية والفكر الذي كان يصاحبها قد اختفوا. لم يعد النظام مهتما بعدم الانحياز الدولي ولكن بدلا من ذلك ركز، إن لم تكن هذه الكلمة مبالغ فيها، على مفارقات الموقف المصري. استمر عدد السكان في الزيادة بشكل سريع وزاد الضغط على الأراضي الصالحة للزراعة. ازدحمت القاهرة وأصبحت مدينة خارج السيطرة. كانت القاهرة، بشكل ما، أقوى دولة في العالم العربي لكنها كانت ضعيفة إلى حد كبير حيث كان اقتصادها غير مستقر. كان متوقعا أن تزيد قدرتها الإنتاجية نتيجة وجود الاستثمار الأجنبي إلا أن ذلك لم يتم بعد. كانت التحويلات التي يرسلها أكثر من مليون مصري الذين يعملون في العديد من البلدان العربية تعمل بشكل حيوي (إلى جانب دخل السياحة وقناة السويس) بالإضافة إلى أن المهنيين المصريين بدأو يبحثون عن فرص لما هو أبعد من ذلك. كان الحاملين لفكرة الباب المفتوح لديهم شغف بالسلع الأجنبية للأقلية التي يمكن أن تتحمل تكاليفها. كان الكرتون المعاصر دائما ما يذكر "ممتاز" يجب أن يتم استيراده عند التحديق في الهرم الأكبر. حدثت أعمال شغب بسبب الغذاء في بداية عام 1977 والتي أدت إلى وجود مقترحات للحد من الدعم الحكومي ولأول مرة منذ سقوط النظام الملكي تم استخدام القوات لوقف هذه الاضطرابات. كانت هذه الاضطرابات بمثابة تحذير للولايات المتحدة الأمريكية والحكام العرب أن الجماهير لن تقبل المزيد من التقشف. كان النظام يسمح بتكوين أنماط سياسية مختلفة بحذر شديد لعدة سنوات. بدأت المنصة الموالية للحكم تظهر بعد ذلك بوقت قصير من خلال الحزب الوطني الديمقراطي الذي أدى إلى إغراق التجمعات الأخرى بالإضافة إلى أن ذلك التحرر الجزئي قد أدى إلى زيادة النشاط الديني. دعت منشورات الإخوان المسلمين، المحظورة، جميع الكيانات المصرية أن تلتزم بأحكام الإسلام وانتقدت النظام بأنه وكالة للتغريب. كان هناك بعض العلامات على وجود توتر بين الجماعات الإسلامية وبعض المسيحيين الأقباط. وعاد السؤال القديم مرة أخرى: هل كان المصريون عرب أم مصريين في المقام الأول أم مصريين فقط؟

كان كل ما تقدم هو الخلفية المحلية التي دعا على إثرها الرئيس السادات إلى التحدث في مجلس الشعب في القاهرة في 9 نوفمبر 1977. وبعد بضعة أشهر من الافتتاح الذي قام به كارتر، قام السادات بزيارة واشنطن- ليكون أو ل رئيس مصري يقوم بذلك- لمعرفة ما تعنيه حقوق الإنسان العالمية في الممارسة العملية. وخلال محادثتهما، شعر كارتر بأن مصر لديها نية لتحقيق التقدم والازدهار بدون تأخير. وفي خطابه في نوفمبر، رفع السادات نفسه فوق المجادلات الإجرائية حيث أنه أعلن أنه مستعد للذهاب إلى جنيف لحضور مؤتمر السلام متعدد الأطراف المقترح حيث أنه قال أنه سيدعم شرعية حقوق الشعب الفلسطيني في هذا المؤتمر بما في ذلك إقامة دولتهم. كان هناك العديد من الأمور الغير متوقعة في هذه الملاحظات- حتى الفقرة الأخيرة منها التي أعلن فيها استعداده للذهاب إلى أقاصي الأرض لتجنب إراقة الدماء في المستقبل فأنضم إليه عرفات الذي كان يستمع إليه وأخذ يصفق إلى أن شعر بالفزع عندما أكتشف أن أقاصي الأرض التي يقصدها السادات في الواقع تعني البرلمان الإسرائيلي (الكنيست). وبعد ذلك التصريح بيومين وجه بيجن الخطاب للشعب المصري مباشرة على التلفزيون الإسرائيلي قائلا بأن محاولات تدمير الدولة اليهودية سوف تكون بدون جدوى وأنه ليس هناك سبب لهذا العدوان. في العصور القديمة، كانت كلا من مصر وإسرائيل حلفاء ضد العدو المشترك من الشمال وكانت النتيجة واضحة حيث وصلت الدعوة على النحو الواجب في القاهرة 20 نوفمبر عندما وصل السادات وقام بإلقاء خطاب مطولا الذي رد عليه بيجن.

كان كلا الرجلين يعلمان بأن العالم بأجمعه يشاهدهما في ذهول كما قال السادات. كان خطابها يحمل العديد من الكلمات والعديد من التلميحات الرمزية حتى وأن كان تحقيق التقدم الحقيقي أمرا آخر. لم يحمل رد بيجن المطول أي إشارة للشعب الفلسطيني. ومع ذلك، فقد صرح السادات بأنه ليس هناك سلام بدون الفلسطينيين وبدون الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة من قبل قوات الاحتلال إلا أن الجانب الإسرائيلي أنكر أن شعبه قد استولى على دولة أجنبية حيث أنهم عادوا إلى موطنهم.

و على ما يبدو فلم يتم اغتنام هذه الفرص لعدة شهور بعد هذا الخطاب. وكالعادة،

أعربت التجمعات العربية عن تضامنها حتى وأن لم يكن هناك مجال لهذا التضامن. إلا أن هذه المرة، فقد أدانت وسائل الإعلام الرسمية في دمشق والرياض حج السادات فيما عدا الرباط ومسقط اللتان كانتا موافقتان على ذلك أما في القاهرة نفسها فقد كان هناك ردود أفعال متضاربة ومتباينة. كانت فكرة أن يتحدث السادات عن الأمة العربية أمرا موروثا. كان السادات يتطلع إلى تحول كبير في الموقف الإسرائيلي الذي من شأنه تخفيف عزلته. كانت المحادثات المباشرة بين كلا من المصريين والإسرائيليين تسير وفي هذه النقطة، فقد دعا كارتر كلا الرجلان إلى كامب ديفيد في الميريلاند في سبتمبر 1978 لفترة من المفاوضات المكثفة التي سوف يسهلها هو وقرنائه ومن ثم فقد تبين أنها تجربة جيدة. أما باقي العالم فقد كان يزعم تلاشي عقول المشاركين. في نهاية المطاف، تم الاتفاق على وثيقتين متعلقتان بالسلام المصري/ الإسرائيلي وبشأن عملية السلام في الشرق الأوسط وبطبيعة الحال فقد كان هناك الكثير من التفاصيل في كلا منهما. كان أهم ما جاء في هذا الاتفاق هو انسحاب إسرائيل من سيناء خلال فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات. في المقابل، تعترف مصر بإسرائيل كدولة والموافقة على دخول قناة السويس ومضيق تيران. كان لابد من إجراء المزيد من المفاوضات بشأن أي شكل من أشكال الحكم الذاتي الذي يمكن الفلسطينيين (تحت السيادة الإسرائيلية) من امتلاك الضفة الغربية وقطاع غزة. احتفظت كلتا الحكومتان بموقفهما بشأن القدس. كان من المفترض أن يتم إبرام معاهدة رسمية في غضون ثلاثة شهور إلا أنه لم يتم إبرامها إلا في 26 مارس 1979. قام كارتر بنفسه بزيارة كلا من القاهرة والقدس من أجل تقديم المساعدة الدبلوماسية. كان من المفترض أن يكون هناك بعض المفاوضات من أجل انسحاب الأردن وإقامة حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي من شأنه أن يوفر حكما ذاتيا كاملا للسكان إلا أن هذه الكلمات بدت فارغة وخاوية.

فقد تسببت كامب ديفيد ومعاهدة مارس 1979 في إدانة مصر في عواصم عربية أخرى وقد سخروا من السادات وكأنه خائنا للقضية. وفي هذه الأثناء، قاد الرئيس الأسد جبهة الصمود للمخلصين. فقد تم طرد مصر ونبذها من جامعة الدول العربية وتم إزالة

مقرها من القاهرة. كان هناك حديث أيضا حول الوحدة السورية- العراقية بالإضافة إلى أن معظم الدول العربية قد قطعت العلاقات الدبلوماسية مع مصر. كانت هذه التدابير توضح أن ذلك كان اتفاقا ثنائيا وليس مستوطنة شرق أوسط كاملة. ظلت الكثير من القضايا المحرجة، على الأقل الأمور المتعلقة بالقدس، متوقفة بدون تسوية أو توضيح- كل ذلك كان بلا شك نتيجة محاولة تحقيق شيئا ما. فقد صرح المنتقدون أن الفلسطينيين قد خانوا وطنهم مقابل دولارات أمريكية (حيث كانت الملفات المرفقة مع كامب ديفيد تنص على مساعدة أمريكية لمصر تقدر سنويا بحوالي 1.5 بليون دولار أمريكي، المبلغ الذي زاد بشكل مطرد بعد ذلك).

فقد تضرر السادات من الهجوم الكلامي عليه سواء خارج أو داخل مصر، الأمر الذي أدى إلى إصابته بنوبة تشنج مؤقتة. على الرغم من أنها كانت واحدة إلا أنها استمرت بشدة لعدة سنوات ثم بعد ذلك بدأت بعض الاتصالات مرة أخرى والتي بدأت مع الأردن ومن ثم فقد عادت أموال النفط العربي تظهر مرة أخرى في القاهرة.

و على الرغم من ذلك، لم يكن السادات نفسه هو من قام بالخطوات المبدئية (حتى تم إعادة مصر إلى جامعة الدول العربية حتى عام 1989). في أكتوبر لعام 1981، بعد تصاعد العنف الطائفي، قام القتلة الإسلاميين باغتياله حيث أنه قام ببعض التنازلات وتعديل الدستور لتسميه الشريعة باعتبارها المصدر الرئيسي للقانون القومي المصري. وبالتزامن مع ذلك، مضى النميري في السودان في نفس الاتجاه، وعند القيام بذلك فقد فاقم التوترات بين الشمال والجنوب في بلاده. فقد اقترح المعلقين أن السادات قد ختم مصيره بلده عن طريق اتخاذ هذه الخطوات. ومع كل ذلك، فلم يذكروا كيف ينبغي أن يتم استيعاب الإسلام.

كان التواجد الأمريكي كبيرا في الجنازة حيث كان يحضر ثلاث رؤساء أمريكيين سابقين وهم نيكسون وفورد وكارتر وهو حدث غير مسبوق. بعد وفاة الشاة في مصر في الصيف فقد أصبح الشرق الأوسط الذي كانوا يعتقدون أنهم يفهموه ويمكنهم الاعتماد عليه، قد ينتهي قبل نهايتهم. ووجد الباحثون أن جنازة السادات كانت غير أي جنازة اعتادوا عليها. فبالنسبة لكارتر، كان كل شيء يبدو غريبا حيث أنه قال أن حقا لا يفهم

الوسط الذي جاء منه الرجل الذي كان يسميه صديقه. فإذا تم انتخاب كارتر مرة أخرى عام 1980، فقد افترض السادات أن كلا الرجلان باستطاعتهما أن يعودوا للقضية الفلسطينية بقوة جديدة والتوصل إلى التسوية النهائية بعيدة المنال. كان السادات يعتقد أن جبل سيناء سوف يكون الموقع المثالي للاحتفال ويمكن أن يحضر البابا لاتخاذ الإجراءات المناسبة. كان كل ذلك مجرد خيال. فقد أظهر الحاضرين في الجنازة أن دول العالم لم تجتمع حيث أن حضور بيجن يضمن أنه لا يوجد دولة عربية ممثلة إلا السودان.

وعلى المدى القصير، فقد كان المنهج الجديد الذي بدأه السادات أمنا. تم ترشيح حسني مبارك، نائب الرئيس منذ عام 1975، من قبل مجلس الشعب بعد يوم من اغتيال السادات. وقد أوضح على الفور أن مصر مستمرة في التزامها باتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام. فقد كان يحاول تحقيق التوازن بين الحزم في التعامل مع المتشددين والإفراج عن بعض منتقدي نظام السادات. كانت الحكومة الجديدة في عام 1982 تتضمن اثنين من الأقباط يشغلون مناصب بارزة. كان مبارك أصغر عشر سنين من الرئيس السابق ولم يكن أحد الضباط الذين وضعوا مصر في مسارها الصحيح. وفي هذا الصدد، فقد كانت هذه بداية جديدة ولكن النظام لا يزال في الأساس نظام عسكري. أصبح مبارك سياسيا رئيس الحزب الوطني الديمقراطي إلا أن تدريبه وحياته المهنية كانت في القوات الجوية المصرية. وفي عام 1983، تم استعادة العلاقات الدبلوماسية مع الإتحاد السوفياتي. ظل مبارك لعدة سنوات، قبل عقدين من الزمن، يتلقى تدريبه كضابط قوة جوية في الإتحاد السوفياتي وموسكو وغيرها. فقد كان العالم السوفيتي هو العالم الذي كان يعرفه بشكل مباشر وليس الغرب الذي كان منحازا له بقوة بالإضافة إلى أن زوجته ولدت في مصر وكانت من أم بريطانية وكان والدها المصري يدرس الطب في بريطانيا. في هذه المرحلة بالذات لم يكن هناك توضيح أفضل من أن مصر ظلت في مفترق طرق حيث يتقاطع الشرق والغرب والشمال والجنوب.

لم يتم توقيع معاهدة السلام المصري الإسرائيلي مارس 1979 في الشرق الأوسط ولكن تم توقيعها علنا في حديقة البيت الأبيض بواشنطن حيث تشارك كلا من الشرق

والغرب على حد سواء. لكن هل كان ذلك مجرد عرض؟ ففي العام الماضي قام الناشر الأمريكي راندوم هاوس بإصدار كتاب تحت عنوان "الإستشراق". فقد كان من المتوقع أن يصبح هذا الكتاب ظاهرة عالمية حيث تم ترجمته إلى العديد من اللغات الأوروبية بالإضافة إلى الفارسية واليابانية والصينية. كان مؤلف الكتاب إدوارد سعيد أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن بجامعة كولومبيا في نيويورك على الرغم من أنه ولد في القدس عام 1935. فقد قضى والده رجل الأعمال وقتا في الولايات المتحدة وأصبح مواطنا أمريكيا وأصبح فيما بعد مسيحيا أنجليكيا وانتقل إلى القاهرة. التحق إدوارد بمدرسة هناك وأصبحت اللغة الإنجليزية هي لغته الأولى على الرغم أنها كانت تتزاحم مع اللغة العربية طوال حياته. بدأ إدوارد في التدريس في برينستون وهارفارد وكولومبيا إلا أنه وجد في أمريكا أصله الفلسطيني مرة أخرى على الرغم من أن سيرته الذاتية فيما بعد أو ضحت أنه كان دائما رجل في غير موضعه. كان كتاب "الإستشراق" مثير للجدل. فقد كان له منذ البداية معجبيه ومنتقديه إلا أنه لم يتم أبدا تنقيح النص لذلك فقد كان له طابعا مقدسا على الرغم من أن كاتبه كان مفكر علماني (كان هناك القليل جدا من الكتاب حول الدين). كان موضوعه يتحدث عن الكتابة الغربية عن الشرق مع تعبير قاسي عن التمييز العنصري وتشويه سمعه الشرق تمهيدا لاستعماره. فقد كان يعتقد أن هذه العقلية لا تزال متوارثة. وذهب آخرون أن الغرب الذي يتحدث عنه سعيد كان انتقائيا وبناء بشكل غير قابل للتصديق. لكن ماذا عن الألفية التي وجد فيها الغرب نفسه في موقف دفاعي ضد إسلامية الشرق؟ لذلك، فقد قالوا بأنه ليس هناك توازن إلا أن قيمته كعرض تاريخي كان مشكوك فيه ولكن بعض القراء سواء في أوروبا أوأمريكا أوالشرق الأوسط كانوا يرون أنه يوضح كيف كان العالم في الشرق والغرب من عام 1978/ 1979.

خسر كارتر الانتخابات في شهر نوفمبر 1980. فلم يكن لديه الكثير ليقدمه لتأكيده على الحقوق. كانت الفجوة بين الطموح والإنجاز في اتساع وتزايد مستمر إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية في العهد الذي خلفه بقيادة رونالد ريغان سوف يكون لها ملاحظات وتعليقات مختلفة. ومع ذلك، فلا يزال الشرق الأوسط كما هو .

# 20

## سؤال من خط العرض : الشمال والجنوب

نادرا ما اختفي مصطلح الغرب والشرق من عناوين الصحف في الشرق الأوسط. حيث كان هناك محاولة متزامنة، على الرغم من بساطتها لرسم العالم. أصبح مصطلح " شمال / جنوب " شائعا، حيث كان في نظر العديد من المعلقين أنه لا يوجد فرق كبير بين الشرق والغرب .منذ تأسيس مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) عام 1965، في سلسلة من المؤتمرات، كان بانتظام الضغط على ادعاءات الدول النامية من أجل نظام اقتصادي دولي جديد. ومع ذلك، وكان في تقديم مثل هذه الحالة، لا في أمريكا الجنوبية ولا في أفريقيا هناك تجانس للجنوب ضد " شمال " تجانس على قدم المساواة (أمريكا الشمالية وأوروبا). وكان المدى السياسي والثقافي إلى شمال أفريقيا " الشرق الأوسطي " لا يحتاج هنا إلى مزيد من تذكير الجديد، حيث لم تقابل جنوب أفريقيا مباشرة " شمال أفريقيا "، وكان هناك في بعض الأحيان صدمات ومعارضه مع شمال / جنوب أفريقيا. أي اتحاد من قبل جنوب أفريقيا ضد نصف الكرة الشمالي من التي كانت مستعمرة، لذلك لفترة وجيزة لأنها كانت قد بدأت في الظهور، أصبحت هشا. أقسام هذا الفصل استكشاف لهذه الالتباسات.

## لجنة براندت

لقد وافق ويلي براندت في سبتمبر 1977، المستشار الألماني الاتحادي السابق، ، على رأس ما وصفت رسميا باسم الهيئة المستقلة للتنمية الدولية. في وقت سابق من العام أن الأمريكي روبرت مكنمارا، رئيس البنك الدولي، حث على مثل مثل هذا الاستعلام .في باريس، قبل بضعة أشهر، استضافت جيسكار ديستان مؤتمر للنظر في العلاقة بين البلدان المتقدمة / الصناعية "و" إنتاج البلدان النامية / الابتدائية. كان إدوارد هيث، رئيس الوزراء البريطاني السابق، من بين أبرز أعضاء لجنة جديدة. لذلك كان شريدات رامفال (1928) الذي كان قد أخذ منصب في عام 1975 منصب الأمين العام الثاني لرابطة الأمم. كان الكومنولث 34 دولة عضوا في عام 1975، وبحلول الوقت خلص رامفال الفترة الثالثة والأخيرة له في عام 1990، وارتفع عدد الأعضاء إلى 49. ومن بين الهند وغيانا، تلقى تعليمه في لندن وكان هارفارد، وزير خارجية سابقا في غيانا، ناطقا للغة الانجليزية. منطقة البحر الكاريبي. لذا كان مؤهلة فريد لاستكشاف علاقات شمال / جنوب. الكومنولث نفسه، كان ما يقرب من ثلث دول العالم وربع سكانه في صفوفها، قللت الشمال والجنوب (و الشرق والغرب)، ويمكن أن تساعد العالم للتفاوض. "عرض الكومنولث "، يمكن أن يأتي عن طريق التفاوض الداخلي الصعب في بعض الأحيان : لا يوجد الآن اجتماع "طبيعي " على آراء الكومنولث.

عقدت لجنة "برانت" اجتماعه الأول في ديسمبر عام 1977، وظلت قائمة حتى عام 1983، عندما أصدرت وثيقة ختامية بعنوان الأزمة المشتركة. تلقي تقرير عام 1980 الكثير من الدعاية العالمية. وكانت نقطة الانطلاق من أن العالم، كما أنه موجود، لم يوفر المساواة الاجتماعية والاقتصادية للبشرية. كان هناك حاجة ملحة لمعالجة التفاوت بين نصفي الكرة الشمالي والجنوبي. للقيام بذلك يتطلب نقل على نطاق واسع من الموارد إلى الجنوب. لقد سيطر الشمال على النظام الاقتصادي الدولي بقواعده وأنظمته. وذكرت اللجنة أنه لا بد من إعطاء الألوية إلى البلدان الأشد فقرا. يعتبر التقرير بشكل منهجي تلك القضايا - الفقر والصحة والإسكان والتعليم ووضع المرأة - فوجد التفاوت الأكثر وضوحا.لقد

صب مع توصيات للإصلاح. فقط قبول "مسؤولية عالمية" يمكن أن تنقذ العالم. قمة لزعماء العالم قد تتغير وجهة النظر الدولية بشأن هذه المسائل. فإنه قال، سؤال بسيط من تقليص الشمال من أجل إثراء الجنوب. يمكن أن يكون هناك المنفعة المتبادلة على الرغم من ذلك، للشمال، سيكون هناك بعض التضحيات "على المدى القصير". وكانت الفكرة المتكررة من الوثيقة أن التقدم الوطني والعالمي يسير جنبا إلى جنب، فقد رحبت حكومة بعد حكومة "التقرير"، ولكن بعد عشر سنوات من نشره رأى أدلة قليلة على أن "المسؤولية العالمية" كانت في الواقع مقبولة عالميا. وكانت طبيعة مستقلة عن اللجنة أنها تبين كل من قوتها وضعفها. أعضائها، "مؤثرين" على الرغم، أنهم لم يكونوا تنفيذيين في السلطة. قبل فترة طويلة، جلس التقرير على الرفوف جنبا إلى جنب لعمل بيان عالمي آخر. " الإرادة السياسية " هناك حاجة لإحداث تغيير، ولكن كيف يحدث ذلك؟ فقد حثت الحكومات الغربية، من جانبها، لعمل " خطوات عملية " ونمت الصبر مع قرارات شاملة مميزة للمؤتمرات الأونكتاد. تعني "خطوات عملية" هذا النوع من المناقشات المطولة عقدت تحت آليات الاتفاق العام للتعريفات والتجارة (الجات). وبدأت المباحثات جولة أوروغواي في عام 1986. وبالتالي خرج تعزيز تركيز "شمال/ جنوب" جنبا إلى جنب ببطء في عالم ما بعد الحرب الباردة الذي لا يزال معتادا في المقام الأول إلى التفكير في حد ذاته من حيث "الغرب" و" الشرق ". كما أصبح من الواضح أن تقسيم العالم تقريبا على خط عرض 30 درجة شمالا كانت خطوة بسيطة جدا. أقرت لجنة براندت أن تقسيم نصف الكرة الغربي في عين بعض البلدان غير دقيق. وعلاوة على ذلك، كانت اللجنة نفسها، بل ولا يمكن أن تكون شاملة على مستوى العالم. لم يتخذ أي بلد شيوعي المشاركة في أعمالها. أعطى الهند واليابان وكوريا الجنوبية والمملكة العربية السعودية بعض الدعم المالي ولكن جاء الجزء الأكبر من أوروبا الغربية (من هولندا على وجه الخصوص). وجاء أعضاء اللجنة من أوروبا (فرنسا وبريطانيا والسويد)، من آسيا (الهند واندونيسيا واليابان وماليزيا) من أفريقيا (الجزائر وتنزانيا وفولتا العليا) من أمريكا الشمالية (كندا والولايات المتحدة الأمريكية)، من أمريكا الجنوبية (شيلي وكولومبيا وغيانا) ومن الشرق الأوسط (الكويت) وكان هذا التنوع في الواقع، ولكن تركيبة مختلفة كان يمكن أن يرى الأمور

بشكل مختلف. وعلاوة على ذلك، يمكن لمنظور " البلاد " أن تكون خادعة. كانت " شمال / جنوب يقسم " المشترك داخل البلدان في نصفي الكرة الأرضية. النضالات المحلية للسيطرة على الموارد أو لفرض الهيمنة الثقافية أو الدينية أو العرقية داخليا، إعاقة، أو حتى منعه، وهو "التضامن " في نصف الكرة الغربي إما من " شمال " أو " جنوب ". لذلك كان من الضروري عدم اختيار الأمم المتحدة للمصطلحات.

## أمريكا الجنوبية: المواقف المتغيرة

وجود ثلاثة من جنوب أمريكيا في لجنة براندت، وكذلك تمثيل سابق من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك وبيرو وفنزويلا في مؤتمر باريس السابق، وربما أخيرا أشار وجود كبير لأمريكا الجنوبية على " المسرح العالمي ". خصصت المفوضية براندت كل أمريكا اللاتينية إلى وضعها في إطار " جنوب. " ومع ذلك، ينظر إلى أمريكا الجنوبية من خلال التشيلي، عيون الكولومبية وجايانا - كان رامفال بالكاد " نموذج " لأمريكا الجنوبية - لا يمكن أن يوصل الصورة كاملة. ظهر تقرير براندت في الوقت الذي كان فيه " الباريسي خمسة "، وبعض من جيرانهم، قد تظهر توسعا كبيرا في مجال التصنيع. تحدث الاقتصاديون حول ديناميكية التي تقودها الصادرات. يجري تحديدها الأرجنتين والبرازيل وأوروغواي باسم " الدول الصناعية حديثا " التي كانت " الانضمام إلى العالم أكثر شمولا من ذي قبل. في هذه المرحلة، وهذا الإسقاط من الديناميكية جلس الغريب مع إدراجها في جنوب تسمى " الراكدة. " و إذا كان هذا التوسع يمكن أن يستمرفهذه مسألة أخرى. في الواقع، في غضون بضع سنوات، كان يجري عرض صورة مختلفة جدا. أعطى تحسين ديناميكية الطريق فجأة إلى الانهيار المالي - كما حدث في الأرجنتين في 1981-1982. ثم وضعت أزمة أعم عندما أصبح واضحا أن بلد تلو لأخرى، في حالة ركود اقتصادي عالمي، لم تعد قادرة على توليد ما يكفي من الدخل لخدمة الديون المستحقة. وكانت المكسيك حالة معينة. وكان صحيحا أن تسارع معدلات النمو لم يكن في حد ذاته قضاء على الفقر في جميع المجالات. وهكذا كانت صورة "أمريكا اللاتينية" مزيج محير من الخيال والواقع. سنة واحدة بلد يمكن أن تظهر حيوية مسممه، وفي اليوم التالي كان غير قادر على دفع الدائنين

الأجانب. ككل، وأمريكا اللاتينية لا يمكن تخفيضها إلى خصائص بسيطة وموحدة. قد يعتقد الزوار الأوروبيين أو الأميركيين إلى ساو باولو أنهم كانوا في المنزل. إذا ذهبوا إلى أجزاء أخرى من البرازيل، ومع ذلك، انطباعاتهم يمكن أن تكون مختلفة جدا. رأوا ما لا يقل عن كيف كانت البلاد واسعة ومتنوعة. وتعتقد الحكومة العسكرية، التي كانت في السلطة منذ عام 1965، وحدها قادره على حفظ وحده البلاد. تنحت فقط في عام 1985. بعد وضع دستور جديد، وشهدت الانتخابات عام 1988 عودة حكومة مدنية. تقاسم البلاد مع جوانب أخرى من بلدان أمريكا اللاتينية على حد سواء "العالم الأول" و" العالم الثالث ". في الواقع، التهجين – كان من سمات العموم، مع العناصر الغالبة تباينت على نطاق واسع – عرقيا وثقافيا ولغويا ودينيا حتى : كانت الأرجنتين لا الإكوادور، وكولومبيا لا أوروغواي، وهلم جرا. كانت أميركا اللاتينية لم تعد بشكل موحد والكاثوليكية تماما، وداخل الكنيسة الكاثوليكية، اشتبك أنصار "لاهوت التحرير" و"التقليد". وقد أخذت الصور النمطية وقتا طويلا للتحويل.فإن السمات المشتركة لمعظم الدول، هي أن القاعدة الأساسية للحكومة ظلت مشكلة وخلاف. رجال الجيش، مرتدين الأزياء العريقة، استغرقت السلطة وتم تعديل الدساتير لرضاهم. النظام العسكري بينوشيه في تشيلي، ثابتا في مكانه، الترويج لفكرة الخصخصة وعلى ما يبدو ستحقق "المعجزة الاقتصادية ". ولكن لا للمعجزات، وتم قتل كل من عاد إلى هذا النظام. كان الأرجنتين أيضا في "المختفين" على يد النظام العسكري الذي كان قد أطلق في عام 1982 الهجوم على جزر فوكلاند. وقد تلقى رسالة دعم من فيدل كاسترو، ولكن كان تعبيره عن التضامن في النضال ضد التدخل الأوروبي عفا عليها الزمن ولكن دون جدوى. في أعقاب الفشل، كافح راؤول ألفونسين للحفاظ على الحكومة المدنية واستعادة سيادة القانون. "الثورات"، في اتجاه واحد، ومن ثم العودة مرة أخرى، أصبحت كمرض مزمن بحيث كثيرا ما يوصف بأنها "عادة أمريكا اللاتينية ". ظلت كوبا مصدر إلهام للجماعات حرب العصابات المختلفة. عملياتها، ومع ذلك، كان هذا سوى نجاح محدود. وكانت غواتيمالا ونيكاراغوا والسلفادور مدمرة – الحروب الأهلية في أمريكا الوسطى. كان اغتيال رئيس الأساقفة روميرو في سان سلفادور مارس 1980 صدى في جميع أنحاء العالم المسيحي. بعد ثلاث

سنوات، قام البابا بزيارة لأمريكا الوسطى ولكن وجدت الملاحة عبر الانقسامات السياسية الصعبة. ونيكاراغوا ليس مثل بولندا، حيث يجري امتدات الحدود بين الدولة والأمة والإيمان، وأحيانا إلى نقطة الانهيار. كان عليه بصعوبة كبيرة، أن رئيس كوستاريكا جمع بين خمسة بلدان أمريكا الوسطى في عام 1987 في تجديد الالتزام الديمقراطي ونزع السلاح. كانت في الخلفية، وأحيانا في المقدمة الولايات المتحدة الأمريكية. في كلمة أمام جلسة مشتركة للكونجرس عام 1983، كشف الرئيس ريغان أن السلفادور كانت أقرب إلى تكساس مما كان تكساس إلى ماساشوستس، فإن النتيجة الطبيعية أن حركات حرب العصابات في أمريكا الوسطى قد يهدد أمن الولايات المتحدة الأمريكية. العالم خارج الأمريكتين يشتبه أن هذه المبالغة في الموقف. واستمرت العلاقة بين "الشمال" و"الجنوب" في "الأمريكتين" للتحول. وفي وقت سابق قال كارتر لم تغفل أمريكا اللاتينية منذ أشرقت له الضوء "حقوق الإنسان" في كل مكان. وقال إنها خطوة جريئة في الموافقة على الانسحاب الكامل من منطقة قناة بنما تسيطر عليه الولايات المتحدة بحلول عام 2000. وحتى الآن كان ينظر إليه على أنه أمر حيوي لأمن الولايات المتحدة الأمريكية. التركيز في واشنطن تحرك، ولكن ليس تماما، من "مكافحة التمرد" على التبني كينيدي من التحرر السياسي والإصلاح الاجتماعي (بشكل عام). زيارات منتظمة إلى البيت الأبيض من الجنوب / تمكين قادة أمريكا الوسطى مشجعة التكهنات السياسية في هذا الشأن. في يناير عام 1986، ورئيس الإكوادور، وملء حكومته مع الذات جعلت رجال الأعمال مثل نفسه، اعتبر رفيقة الفلسفي والسياسي. وكانت هذه "القرابة" لم تكن مفاجئة تماما، لأن الرئيس تلقي تعليمه في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الأهمية بمكان أن تجد التجمعات السياسية في أمريكا الجنوبية التي كانت ولا اليسار المتطرف ولا اليمين المتطرف (كما فسرت واشنطن هذه الشروط). لم يكن ذلك سهلا. فقد تواجه تمرد، سرعان ما اتهامه من قبل خصومه من انتهاكات حقوق الإنسان. ثبت نيكاراغوا أن يكون الموقع الذي تعرض إلى تناقضات السياسة. في فبراير 1979 تم التخلي عن دعم الولايات المتحدة للنظام الدكتاتوري أناستازيو سوموزا وفي يوليو هرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية .شكل الثوار جبهة الساندينستا الحكومية. إدارة ريغان واردة، شكلت انطباعا بأن

الساندينية كانوا أكثر اهتماما في تعزيز الشيوعية من تعزيز "حقوق الإنسان". واشنطن، عن طريق وسيلة واحدة أو أخرى، مولت " الكونترا " في هندوراس المجاورة في محاولة لإسقاط حكومة نيكاراغوا. انها لا تدخل مباشرة مع هذا الهدف. كما دعمت حكومة السلفادور ضد التمرد اليساري. غزت غرينادا في عام 1984 بحجة أن هذه الجزيرة الكاريبية الصغيرة كانت على وشك أن تصبح كوبا آخر .لم يكن هناك أي شك، أن الراعي في البيت الأبيض لا يزال يتوخى " الأمريكتين " كمجموعة خاصة من العلاقات. يشكل الشمال والجنوب (و الوسط) سلسلة متصلة ثقافية الذي يتحدثها العالم بالانجليزية والاسبانية (و الناطقة بالبرتغالية البرازيل) على حد سواء اشتبكت وتعاونت بطريقة معينة. حتى التفكير في هذا " العالم "، الإفراط بدا مجموعة الصوتية على نحو متزايد من "خليط" الثقافية والعرقية يجري التأكيد في جميع أنحاء أمريكا الجنوبية. كان يجري التوصل إلى الحد إلى " هيئة الرقابة " الولايات المتحدة. على سبيل المثال، رفضت منظمة الدول الأمريكية (OAS) الموافقة على اقتراح الولايات المتحدة أنه يجب إرسال قوة حفظ السلام إلى نيكاراغوا. وكان أهم أعضائها لا ترغب في أن تصبح اللاعبين أنفسهم "للخروج من منطقة " ورفض ضغوط واشنطن. أنها أصبحت أكثر وأكثر ضرورة للتفكير في مشهد العلاقة بين الدول وليس لقاء أحادية اللون بين "الشمال" و"الجنوب" (مع مجموعة "مصغرة" متقلبة). المكسيك، وبطبيعة الحال، لم تكن مصغرة ولكن، كما ألمح بالفعل، جعلت عائداته النفطية عرضة بشكل خاص للتقلبات. كان ذلك، بطبيعة الحال، الجار الفعلي للولايات المتحدة الأمريكية. استمرار مكسيكو سيتي في معدل المتهور للتوسع وتصنف كواحدة من المدن الكبرى في العالم. وكانت بالتالي مشاكل الإسكان والنقل والتلوث الذي كان القليل منهم معفاة، حيث كان متقلب ديناميكي. كانت هذه عاصمة الجنوب " أمريكا الشمالية " "أو من " أمريكا الجنوبية " شمال " ؟ وضعت في هذا الشكل، وكان الجواب صعب. كمهاجرين، شرعيين وغير الشرعيين، وجاء إلى الولايات المتحدة بأعداد متزايدة، ظهرت التعبيرات الأولى من إنذار الشمالي عنHispanization. بدأت الولايات المتحدة الأمريكية لتسلق جدول البلدان ذات الكثافة السكانية الناطقة بالاسبانية. لاعبي البيسبول من جمهورية الدومينيكان لعبت الآن في الدوري الأمريكي.

كاليفورنيا، قال بعض، عند نقطة لا ببعيد أن "المفقود" إلى الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر "أساسا" لتكون الناطقة باللغة الإنجليزية. إذا كان كل الحدود لا يمكن حراسة تماما ثم صلابة من الدول أنه المغلقة قد حل مع مرور الوقت. خطوة متناقضة أخرى في هذا الصدد قد يكون اتفاق للتجارة الحرة بين البلدين. تم توقيع مثل هذا الاتفاق بين واشنطن وأوتاوا في عام 1983. وقد تقدم إلى منطقة التجارة الحرة الشاملة لأمريكا الشمالية، وهي خطوة لها آثار سياسية كبيرة. اتفاق بين الولايات المتحدة وكندا، كان في حد ذاته ليس مجرد واحد بين الجيران الناطقة بالانجليزية. استمرت "الأزمة الكندية بشكلها الحالي، لمدة عشر سنوات. قلق الناطق بالإنجليزية الكندية، بدرجات مختلفة، حول الاختراق الأمريكي لكندا اقتصاديا وثقافيا. قلق الناطق بالفرنسية الكندية حول الإنجليزية الكندية. استفتاء في كيبيك على السيادة-جمعية للمحافظة لم يحمل (60/ 40 في المائة)، ولكن استمر حقوق كل المجموعات اللغوية أن ظلت المسائل السياسية المثيرة للجدل وفي نهاية المطاف، كانت هناك ضغوط الفيدرالية المركزية في البلدان الثلاثة "أمريكا الشمالية" الجديدة التي قد تكون الناشئة. وخلاصة القول، كما في أفريقيا والمصطلحات "الشمالية" و"الجنوبية" لم فقط اجب على المستوى الأساسي. وكانت حدود "الأمريكتين" التي يسهل اختراقها. فلوريدا، مع الشعب الكوبي الكبير، كان فقط عبر المياه من كوبا - وفي تلك الجزيرة والتقى العديد من عوالم مختلفة.

## كوبا في أفريقيا : شمال / جنوب يلتقي الشرق / الغرب

كانت كوبا أكثر إزعاجا من الكاريبي. وظلت الجزيرة العالمية غنية بتقارير "الثورة العالمية" .و ظل كاسترو على قيد الحياة لمده ربع قرن، حيث ازدهر في بعض النواحي، على الرغم من المقاطعة الاقتصادية والضغوط الأخرى من الشمال. بدا واضحا للريغان القادم على انه كان البديل، وهو الرجل الذي أعطى موسكو موطئ قدم لها في الأمريكتين. ذهب كاسترو إلى جميع أنحاء العالم، أو على الأقل تصرف كجندي موسكو في أفريقيا. قد عبرت في عام 1975 حوالي 25.000 من القوات الكوبية المحيط الأطلسي عن طريق البحر والهواء لتلعب دورا حيويا في ضمان نجاح الجبهة الشعبية في الصراع على السلطة في أنغولا.

كاسترو أصبح من المحصورين حتى يمكن للمرء أن يعتقد أنه عاش في أنغولا طوال حياته. هكذا كتب صديقه الكاتب الكولومبي الشهير غابرييل غارسيا ماركيز.وكانت هذه المبادرة الإفريقية في الواقع ربما كاسترو الخاصة. وجاءت المساعدة السوفياتية بعد بدأ العملية. زار كاسترو أنغولا مارس 1977، وتلقى ترحيبا عاما. واصلت المساعدة الكوبية في الجوانب التقنية والطبية والتعليمية. عند نقطة واحدة قيل أن ثلثي جميع الأطباء في أنغولا كانوا كوبيين. قمة عدم الانحياز المنعقد في كولومبو، سري لانكا، وأشاد في عام 1976 دوره ومنحه 1979 المؤتمر القادمه لكوبا. ومع ذلك، كانت القوات الكوبية أيضا في العمل في منطقة القرن الإفريقي. هذه المرة، شارك الاتحاد السوفياتي منذ البداية، ونقل 16.000 من الكوبيين في أوائل عام 1978 لطرد القوات الغازية الصومالية من محافظة الاثيوبية لكن يسكنها صوماليون من أوغادين. تحولت مشاركتهم ضد الصومال وتدعيمها النظام الماركسي الجديد منغستو في أديس أبابا. وظلت القوات الكوبية في إثيوبيا لمدة عشر سنوات، على الرغم من أنها لم تشارك مباشرة في الحرب الإثيوبية / الإرترية. وكان هذا الصراع الأخير الذي توغل خلال 1980، اكتسبت المميزات مع الإريتريين. انتقل المستشارين السوفييت في أديس أبابا. قال كاسترو أن كوبا لم تكن سوى اقتداء الولايات المتحدة في إرسال قوات في الخارج. كانت هافانا المكان الذي التقى فيه "الشرق/ الغرب"و "الشمال/ الجنوب". تدخل الأنغولي، من وجهة نظر واحدة، كان ممارسة في المساعدة الذاتية "للجنوب"، بوساطة، وسخرية، من خلال اللغات الايبيرية. "أفريقيا" و"أمريكا الكاريبيه" كان يجري إعادة تأسيس "كمحور التقدم". كان يجري عكس التاريخ. وضع كاسترو البطولي كزعيم (جنوب) العالم الثالث .وقد القي التشابك وتحويل الصراع بين إثيوبيا والصومال، وإريتريا، وبالكاد تشكل المجال الطبيعي لكوبا أو نموذج محلي واضح من "الجنوب" في ثورة ضد "الشمال". ما يعطل كاسترو، من حيث تحديد المواقع العالمية بكوبا، وكان الغزو السوفياتي لأفغانستان، قد انتهي نحو ثلاثة أشهر بعد مؤتمر هافانا 1979. في الأمم المتحدة، صوتت كوبا ضد القرار الذي صدر بأغلبية كبيرة، يدين الغزو السوفياتي. النظام الأفغاني، وقال: يجب أن تكون معتمدة ضد "الأصوليين" – ثم ينظر إليها على أنها " الموالية للغرب ". ومع ذلك، تضررت مكانته، وجرى انتشال

فقط جزئيا حملته حماسي لإلغاء ديون العالم الثالث. يتحدث إلى الصحفيين في أمريكا اللاتينية في عام 1985، على سبيل المثال، جادل بأن إقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد كان أكثر أهمية من تحقيق عدد قليل من أكثر الثورات. وبحلول أواخر 1980، كانت كوبا قد استأنفت العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع القوى الاقتصادية الرائدة في أمريكا اللاتينية، كما فعلت مع اسبانيا: آخر "العالم" لم تنتعش. أوروبا الغربية، كان جزء لا يتجزأ من "الغرب" كما الولايات المتحدة في الإصرار على سداد الديون. يعكس تركيز كاسترو الجديد الوعي بأن المزاج العام في موسكو سوف يتغير. انه دائما كان ينظر هناك كنوع من مستقل. الآن الاتحاد السوفياتي كان يحدث في المقام الأول لحضور لمشاكلها الداخلية. ثم كوبا لن يتم التخلي عنها، ولكن أيا منهما لن يكون عقبة تمنع الإقامة السوفياتي للولايات المتحدة. هذه أولوية السوفياتي، ومع ذلك، تغذيه فقط الزعم "الجنوبي" أنه على الرغم من جميع عقود من التوتر بين الشرق والغرب بين أنظمة المعارضة، كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وأساسا القوى العظمى "الشمالية" الحفاظ على العلامات التجارية خاصة بهم من "الشمالية "القيم والمصالح.

## المشهد الأفريقي: لا مركز للجاذبية ؟

كان هناك وقت، وعلى الفور بعد الاستقلال، عندما بدأت نيجيريا لتصبح "الصوت" العالمي لأفريقيا. بعد عشرين عاما، مع الصراع بين الأعراق والأديان، والإسقاط الخارجي لا يمكن أن تكتسب زخما. كانت أكبر دولة في أفريقيا من حيث عدد السكان، على الرغم من وجود خلاف دائم بين السكان. الرجال الذين في القمم، مدنين أو عسكريين، جاءوا وذهبوا. لم يكونوا معروفين ليصبحوا أكثر فقرا من المناصب القابضة. اختفي الكثير من إيرادات النفط، والتي كان من المفترض أن تقدم تميز عالمي، إلى المصالح الخاصة. وقد وصف بالفساد المتوطن. ونيجيريا التي " تقاد " أفريقيا تعرض في صورة مصغرة مشاكل القارة ككل. تصارع منظمة الوحدة الأفريقية خلافات غير فعاله .كانت هناك تعبيرات وافرة من تصميم وعزم لتحقيق "استراتيجية أوروبيه". كان هناك تأييد على نقابات العموم الأفريقية بين الدول، سمة من سمات السنوات الأولي لمنظمة

الوحدة الأفريقية هي الخطابات الفارغة. لم تترك هذه " النقابات " بين الدول أي شكل واضح، ولا سيما تلك التي أعلن عنها في طرابلس. كافح الحكام للحفاظ على سلامة الدول ومحاولة، لإنشاء وحدة "وطنية". حتى عندما ينظر العالم الخارجي إليها في بعض الأحيان يجد هناك الثقافة / الدين والتراث المشترك - كما هو الحال في المغرب - كان هناك صراع طويل. حيث انحصرت موريتانيا والمغرب والجزائر في الخلاف حول مستقبل "الصحراء الغربية". عدت الثقافة/ التراث الديني المشترك بين "المغرب" على القليل. وكان استمرار الحرب الأهلية في تشاد، تذكير للصراعات التاريخية بين الشمال والجنوب بامتداد الصحراء. القذافي في ليبيا، الذي كانت عائلته /عشيرته قد تتدخل أصلا من تلك المنطقة من الحدود بلا حدود. كانت "غرب أفريقيا" ليست لها تواجد كبير، على الرغم من تحدث اللغة الفرنسية والنطق بالإنجليزية دولها والتي سعت بشكل منفصل لتطوير التجمعات الاقتصادية. واصلت لغات أوروبا لتكون وسيلة حيوية كلا من التواصل مع "العالم الخارجي" والحفاظ على الحكومة الداخلية وإدارة وسط مجموعة كبيرة من لغات السكان الأصليين. أثبتت الحدود التي وضعتها القوى الاستعمارية دائمة بشكل غير متوقع، على الرغم من غرب أفريقيا، كانت القوات الفرنسية في كثير من الأحيان تمد اليد للحفاظ عليها. التوترات بين الأديان والأعراق، أشير إليها في الفصول السابقة، بقت مدمره. كان العنف ليس بعيدا. كان النمو السكاني السريع. في حين الإطاحة ببعض الحكام العسكريين المستبدين - على سبيل المثال، قدم عيدي أمين في أوغندا طريقه (عبر ليبيا) إلى التقاعد في المملكة العربية السعودية في عام 1980 - بقي آخرون ثابتين في أماكنهم. انقلاب صامويل دو في ليبيريا في عام 1980 بدا من انتهاء هيمنة البلاد أمريكو-ليبري، ولكن بعد عقد من الزمن تشارلز تايلور، وهو أمريكو - ليبيريا، وأدت قوة الغزو وبدأت حرب أهلية. على سبيل المثال أفظع من الحكم العسكري، ومع ذلك، تم توفيره من قبل جوزيف موبوتو في الكونغو. وفي ولايات أخرى كان هناك مشكلة التحول عندما "الأب المؤسس" للأمة مات - كما حدث في كينيا وفاة كينياتا في عام 1978.

خليفته، دانيال أراب موي (b.1924) ، وكان مدرس سابق. في البداية كان لديه حذر

شديد، بوصفه عضوا في قبيلة الأقلية، على دعم الكيكويو. كان هناك حساسية، وليست حساسية كبيرة، مناورات القبلية. أعلن الاتحاد الوطني الأفريقي كينيا (كانو) الحزب السياسي القانوني الوحيد في عام 1982 (كما كان قد أعلن حزب كاوندا في زامبيا). اقترح خطة التنمية الطموحة لمزيد من " التجارة الحرة " المستقبل من الاشتراكية الأفريقية التي ناضلت جوليوس نيريري أن تنتج في تنزانيا المجاورة. وقفت نيريري عليها في عام 1985. ومن أهم انجازاته الغير عاديه ،ترجمة شكسبير يوليوس قيصر إلى السواحلية. أن امكانية اغتياله في الواقع ليست بعيدة عن أذهان معظم القادة الأفارقة. ولكن كان العقد تحطيم المعنويات. كان هناك مفارقة في علاقات أفريقيا مع العالم الخارجي. على الرغم من الاستقلال، " التدخل الخارجي "، كان قد تم إعطاء بعض الأمثلة منها، بدأ التسريع مبكرا عام 1980. كان هناك بالكاد بلد في أفريقيا حيث القوتين العظميين، أو حلفائهم أو وكلاء، لم تكن إلى حد ما نشط، سرا أو علنا. انهم يؤيدون الأفراد والفصائل أو الأحزاب المتعاطفة مع مصالحها أو الأيديولوجيات. أحيانا يتخذ العملاء جانبين. وجد البيت الأبيض في سبتمبر 1985 الرئيس ماشيل، رئيس موزامبيق رجل مناسب. كان من الجيد أن نعرف أنه يقصد به أن يكون " عدم الانحياز " بدلا من " الباتسي السوفياتي".

زيارة قادة من توغو أو بوتسوانا يمكن أن يكون المسمى هش : الموالي للغرب، ومكافحة الشيوعية، أو " المشاريع الحرة والديمقراطية". لم يكن هناك أي شيء آخر للحديث معهم. في دوامة من الصراعات الأصلية، أثبتت الأهداف الحقيقية للعملاء صعوبة التمييز. الملصقات المتعلقه بالأحزاب السياسية أو برامج التنمية لا يبدو أن تعني الكثير. أصبح التورط الخارجي في تفاقم، أن لم يكن يسبب في عدم الاستقرار. " أفريقيا " بوصفها مجمل، في هذه الظروف، يمكن نادرا ما تترك بصماتها في العالم. وبدلا من ذلك، كان ظهور نوع جديد من " تقسيم المجالات ". وكانت الحجة أنه إذا كانت القوى العظمى لم تتدخل، أفريقيا يمكن أن تكون أكثر استقرارا. فإن الجدال يتعارض، حيث هذا التنافس يمكن الحكام الأفارقة لكسب أنواع مختلفة من المساعدات من أسيادهم (أيا كانت المساعدات). إذا كانت شاملة لتقليل "صراعات العالم"، أو نهاية، القوى الخارجية

فقد يفقد الاهتمام في أفريقيا. أظهروا بالفعل رغبة كبيرة للتدخل العسكري المباشر إلى " الحفاظ على الاستقرار ". تجربة الولايات المتحدة غير سعيدة في مساعدة الصومال لمقاومة الغزو الإثيوبي، فقد نصح أوغادين بعدم التدخل في أي مكان آخر. حيث وجد الكوبيين أنفسهم مقيمين لفترة أطول، مما جعلت الأمور أكتر تعقيدا مما كان متوقع.تفتقر إلى أي شيء أفضل، وجدت القوى العظمى أنفسهم دعم الأنظمة التي تفتقر إلى النقاء الإيديولوجي أو الشرعية الديمقراطية : عزز جوزيف موبوتو بالكاد هدف الديمقراطية الأمريكية. وعدم وجود مصلحة في مشاكل الأفريقية، ومع ذلك، قد تنتج ببساطة "فشل الدول "، مع عواقب وخيمة بالنسبة للعالم. صورة من " أفريقيا المستقلة " وابل من يزاوج بين الفقر والفساد والاستبداد والعنف وضعت نفسها خارجيا إلى درجة التسارع. في الدول الأوروبية مثل هذه التقييمات السابقة للاستعمار اختلط برعونة مع الشعور بالمسؤولية، أو حتى الشعور بالذنب، للصورة التي يتم الإفصاح عنها. شهدت الآن القوى الأوروبية من مسافة بعيدة، أنماط القصوى من الهيمنة الأصلية واستغلال بالسوء أو أسوأ من فرض أنفسهم، أو هكذا كانوا يتصورون.. إلى أي مدى يمكن أن تعقد الحقبة الاستعمارية مسؤوليتها عن الحاضر؟ وأيا كانت الإجابة على هذا السؤال، "العالم الأفارقي"، يبدو على نحو متزايد، لن يتابع حق التقادم الذي وزع في "تصفية الاستعمار". الماضي ما قبل الأوروبي لا يمكن أن يعود، ولكن لا يمكن في الواقع أو ينبغي أن استعلاء الأوروبي يتلاشى بقسوة "التقاليد". ولكن ما يحسب "التقليد" بذل جهد بعقول أجناس وعلماء الأنثروبولوجيا. كان الوقت قد حان، إلى إعادة تعريف الزنجية ،هل تتقاطع حيث الدين/ السياسة، "الأورو- أفريقيا"، "أمريكا وإفريقيا" أو "إفريقيا والشرق الأوسط"؟ مصطلحات "الشمالية" و "الجنوبية"، باستثناء ما تبين بشكل عام " الثروة " و" الفقر"، لا يمكن أن تنصف هذا التعقيد.استمرت الإسلامية والمسيحية والعوالم الدينية " الأصلية إلى التداخل. قد تكون بالفعل "أفريقيا"، إذا الحماس والأرقام والتزام تشكل مقياسا، الرقص كان لضعفاء القلوب " العالم المسيحي ". إذا كان الأمر كذلك، لن يهيمن عليها أن العالم المسيحي الأوروبي – مع الانحرافات المعاصرة المفترضة – التي كانت قد انتشرت. كان هناك، علاقات العطاء التي كانت تربط القارات، لكن شروطهم يحتاج إعادة

التفاوض - وربما لا تنجح. وعلاوة على ذلك، بنسب متفاوتة، يوجد المسيحية والإسلامية في جميع أنحاء القارة، وكان هناك كثير من الأحيان حافة الصعب التعايش والتي لم تكن واضحة جدا، على الأقل حتى الآن، في أوروبا. تلك القارة تبدو عازمة، في الغالب، على تحقيق " العلمانية " العامة، على الرغم من اتخاذ أشكالا عديدة. كانت الصور التاريخية التي تميز القارات في حالة تغير مستمر.ظلت في جنوب أفريقيا العلاقات بين البيض والسود الأصليين مركزية. وكانت جنوب أفريقيا قضية العالم. فقد تقاطع المحلي والعالمي مره أخرى. في عام 1977 عين الرئيس كارتر الأمريكي الأفرو ليكون سفيرا لبلاده لدى الأمم المتحدة (الأول). نيو اورليانز ولد أندرو يونغ(b.1932 )، وهو قس بروتستانتي، كان بارزا في مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية. واغتيل مارتن لوثر كينغ في ممفيس. كان قد تم انتخابه في الكونجرس الأمريكي. " متحدثا عن أمريكا من هذه الخلفية في الأمم المتحدة يعلن للعالم أن أمريكا قد تغيرت. سفيرها، ومع ذلك، رأى انه لا يزال لم يتغير بما فيه الكفاية. كان العالم له وجهة نظر حول جنوب أفريقيا، على الرغم من توحده النادر. في روديسيا، وإن كان في موقف لا يسمح لهم ممارسة هذا الحق، كانت لا تزال بريطانيا لها المسؤولية الدستورية. خلف الماضي الجدل البريطاني في جنوب أفريقيا. ومع ذلك، في عام 1975، فإن الحكومة البريطانية لم تحاول توسيع استخدامها للبلدة القاعدة البحرية سيمونز في جنوب أفريقيا. الولايات المتحدة الأمريكية، من جانبها، وكان شعور الشامل لأهمية عالمية في جنوب أفريقيا. ولم يكن غريبا أن هنري كيسنجر، في عدة زيارات، سعي، على الرغم من عدم وجود الكثير من النجاحات، لإيجاد حلول مقبولة على حد سواء إلى "جبهة" الدول الأفريقية المجاورة وحكومة جنوب أفريقيا. استمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة العديد من استنكارات الفصل العنصري. وقد اجتاحت فكرة " القديمة " التي كانت الشؤون الداخلية للدولة أعمالها وحدها جانبا. وقد تم تشكيل اللجنة الخاصة على الفصل العنصري. أن الدول الأفرو - آسيوي الأصوات لتمرير قرارات الإدانة ولكن ليس لديها وسائل تنفيذها. تم تعيين الشباب لدى الأمم المتحدة في هذا السياق. في لندن وواشنطن، وهي مستوطنة لها الأولوية في روديسيا. إعطاء موجز الأفارقة، جال الشباب وزير الخارجية البريطاني، ديفيد أوين، العواصم

الأفريقية.استقلال موزمبيق، وضعف الدعم من جنوب أفريقيا واتحاد حرب عصابات، من خلال هذه المرحلة، إلى وضع زيادة الضغط على نظام سميث. بدأت المناقشات بين جميع الأطراف، وانتهت وبدأت مرة أخرى. مصطلح " حكم الأغلبية " يجري تفسيرها بأشكال مختلفة. اقترح سميث مستوطنه بديله خاصة به، إلا أن الحكومة البريطانية لا تقبل ذلك، بالطبع، أن الجبهة الوطنية (التي تنصهر فيها ظاهريا الأطراف الاتحاد الوطني الإفريقي الزيمبابوي و ZAPU متنافسة من موغابي ونكومو، على التوالي).في عام 1979 تم الاتفاق على تسوية دستورية جديدة مقدمة من قبل حكومة المحافظين البريطانية الجديدة. من خلال هذه المرحلة، لم يعد مركز الشباب. وكان قد جهر بحرية كبيرة، ليس فقط على المسائل الأفريقية، ولكن قد وضعت أيضا اتصالات سريه مع منظمة التحرير الفلسطينية. ويمكن فقط للوجه الأسود الجديد الذهاب. شهد تنفيذ اتفاق لندن فترة وجيزة من الحكم البريطاني، وجاء في فبراير 1980 من قبل الانتخابات على الاقتراع العام (على الرغم من بعض المقاعد المخصصة للبيض)، وأصبحت روديسيا مستقلة كما زيمبابوي في ابريل. حقق الاتحاد الوطني الافريقي الزيمبابوي موجابي فوزا ساحقا في انتخابات لا تخلو من التخويف. لم يستغرق وقتا طويلا، من أجل الاتحاد الوطني الافريقي الزيمبابوي / ZAPU و، جنبا إلى جنب، وزادت العلاقات بين شونا / نديبيلي سوءا. رؤية مستقبل الماركسي في دولة الحزب الواحد تحت الكاثوليكية المقبلة، تجمهر نزوح الأبيض وتيرة. وجد البيت الأبيض موجابي رجل متشبث برأيه. فقط بقي الردف متفائل بشأن الأسود / الأبيض في مستقبل البلاد، مع ذلك ظل البيض بارزين في مجال الأعمال التجارية. في عام 1985 ألغيت المقاعد المحجوزة في البرلمان. مسائل ملكية الأرض انتقلت إلى المقدمة. كان هناك عمل لم يكتمل .فإن كان مستقبل جنوب أفريقيا حيث كانت القضيه الرئيسية. الحقائق كانت لا تزال بسيطا، ولكن أصبحت أكثر وضوحا، وأصبح السكان البيض من 3.7 مليون من أصل مجموع السكان البالغ 21.7 مليون نسمة في عام 1970 بلغ 4.9 مليون من أصل ما مجموعه 33.6 مليون في عام 1985. جنوب أفريقيا يمكن أن يدعي أن تكون ديمقراطية برلمانية متعددة الأحزاب فقط تعمل بكامل طاقتها في أفريقيا – ولكن كانت واحده فقط سكانها الأبيض التي تشارك فيه و" العالم "، سواء كانت ديمقراطية أو

لا، لا يمكن أن يقر هذا الوضع. تسارعت عملية تحويل جنوب أفريقيا إلى دولة منبوذة. يمكن قطع منتجاتها. و يمكن فرض العقوبات والحظر. وهذا ما يمكن أن يفعله العالم الخارجي، وقد فعلت إلى حد ما. عدم اتخاذ مثل هذه الخطوات، قد يبدو أنه تغاضى عن وضع لا يطاق. ولكن هذا الضغط لا ينتج التغيير المنشود، أو فقط بشكل بطيء جدا. وعلاوة على ذلك، كان اقتصاد جنوب أفريقيا متطور و"متقدم". إذا انهياره سيكون من السود الذين عانوا أولا. سيحفز حظر مبيعات الأسلحة إلى بريتوريا، إنتاج الأسلحة المحلية. بعض الدول، بالإضافة إلى ذلك، لم تحب مثل هذا "التدخل" في الشؤون الداخلية .تعتقد بعض الدول أن "التعامل الإيجابي" بدلا من النبذ سيقنع حكومة جنوب أفريقيا لتغيير المسار. الدبلوماسية الهادئة، قال الرئيس ريغان عند زيارة الأسقف، ديزموند توتو، والذي أخذ بالاعتبار. وأعرب عن اعتقاده ضيفه ساذجا، غير مدرك مدى كانت مشكلة جنوب أفريقيا القبلية، ليست عنصرية. ترددت الدول الغربية. في عام 1987 أنشأ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة "مجموعة اتصال " تتألف من الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، بريطانيا، ألمانيا الاتحادية وفرنسا لإجراء محادثات مع جنوب أفريقيا حول مستقبل جنوب غرب أفريقيا/ ناميبيا. وفي وقت لاحق، في 1985–1986، وهو "فريق الشخصيات البارزة" مستمدة من الكومنولث محاولة للتوصل إلى اتفاق بين الحكومة وحزب المؤتمر الوطني الأفريقي. الانهيار التام لاقتصاد جنوب أفريقيا، كان من المسلم به، زعزعة استقرار الدول المجاورة الهشة. هذه الدول تم بالفعل "تصدير " العمل إلى جنوب أفريقيا. إذا كان هناك أي ضغط من الخارج، ومع ذلك، بدا من المرجح ذروتها الكارثية.وزير الدفاع .P.W بوتا (b.1916) أصبح رئيس وزراء جنوب أفريقيا في سبتمبر 1978. ولم ينس أبدا أن والده كان قد خاض ضد البريطانيين في الحرب الأنجلو الأفريقية والجنوب. وكان لديه رأي واضح من العالم خارج حدود بلاده، على الرغم من أنه كان يعرف القليل منه على نحو مباشر. وقال ما رآه جمهور بعد بضعة أشهر من تعيينه، كانت الحرب العالمية الثالثة بالفعل في التقدم. كانت هناك محاولة خارجية للسيطرة على العقول والأرواح وتخفيف الناس حتى قبيل الهجوم العسكري. وكانت الماركسية في العمل و، من خلال إطلاق العنان لحرب ثورية، كانت محاولة لإجبار جنوب أفريقيا لتغيير السياسة

الداخلية لصالح ما أسماه " الوحدة الأفريقية ". حكومته لن الذبول. ما كان محيرا جدا، وقال انه يعتقد، أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن ترى جنوب أفريقيا باعتبارها حليفا قويا في المعارضة الشيوعية. ولا يمكن إنكار بالتأكيد أن هناك شيوعيون على أعلى مستوى في حزب المؤتمر الوطني الأفريقي ؟ أن واشنطن تعرف بالفعل ذلك، ولكن تعتبر السياسات القمعية للحكومة من المرجح فقط لزيادة أهميتها. عرف الأفارقة، بوتا ضمنية، أن العالم كان دائما ضدهم، لكنهم لن يستمروا. هذه اللغة أثارت رد جاهز. وكان من الصعب الحفاظ على الحزب الوطني معا وتقسيم التيار المحافظ الخارج .أصبح بوتا فجأة "ليبرالي". فقد تحدث عن عمل "العدالة إلى كل مجموعة من السكان"، وحاول أن يقلب مائدة المجادلة .، على حد زعمه، اعترفت الحكومة الرشيدة بتنوع جنوب أفريقيا : الأفارقة، الملونة، البيض والهنود. كان ذلك مناسبا، لجعل النص الدستوري الجديد لهذا التنوع. وكانت النتيجة تغيير دستوري في 1983-1984 الذي شهد بوتا ليصبح رئيس الدولة التنفيذية مع البرملان تتكون من ثلاث غرف للبيض والهنود والملونين، كل نظريا مسؤولة عن شؤونها الخاصة. وكانت الطريقة التي كان من المفترض العمل بها كانت غريبة. كان من المفترض أن خليط غريب على قدم المساواة القائمة من "أوطان" الإفريقي لتصبح مستقلة - وبالتالي إثبات أن جنوب أفريقيا كانت خاصة "بإنهاء الاستعمار". ومع ذلك، عندما رفض رئيس وزراء كوازولو، مانجوسوثو بوتيليزي، لاتخاذ عرض "الاستقلال"، فقد أصبح العالم حلم مشروع واضح. وكان الزولو أكبر جماعة عرقية ولغوية أفريقية جعل بوتا بعض التغييرات، بما في ذلك اعتراف النقابات الأفريقية وعدم تجريم العلاقات الجنسية عبر اللون. وقال انه على الرغم من ذلك ما زال يرى نفسه في الدفاع المحاصر للحضارة. كانت هذه الحرب. داخليا، أنه ينطوي بضرورة استخدام الرجال السيئين واتخاذ إجراءات سيئة. أصبح أمن الدولة أهمية قصوى. قوي "الدفاع"، في هذه العملية، وتآكل القيم التي تدعي الدفاع عنها. سواء خارجيا، هو أفضل وسيلة للدفاع الهجوم - توغل في أنغولا، غارات على زامبيا، ومساعدة المتمردين في موزمبيق - ظلت مشكلة على الدوام. وكانت قوات الدفاع جنوب أفريقية قوية ولكن سوف تضعف من انتشار الجند. وأشارت الحملة المتصاعدة التخريبية إلى مستقبلا قاتما، ولكن شهدت المزيد من العناصر

المتشددة داخل حزب المؤتمر الوطني الأفريقي التخريبي ولكن مقدمة لحرب لا مفر منها. هو ما إذا كان يمكن الفوز بها مثل هذه الحرب مسألة أخرى.وأنتجت جنوب أفريقيا فتوحات متعددة الطبقات. يمكن أن يكون مستقبله سوى مسألة للمضاربة، ولكن أشار بعدم وجود حلول سهلة. تركز كثيرا على ما إذا كان هناك أو يمكن أن تكون أمة " الدولة الإفريقية الجنوبية " التي يمكن أن تنتمي جميع. وكان حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ليس مؤتمر جنوب إفريقيا ولم يكن المؤتمر الوطني الأفريقي. ولكن " دولة أفريقية " كانت طموحة. لم يكن هناك أمة الزولو، على سبيل المثال احتمال واحد فقط ؟ وقال أن الحزب الوطني لا تضيف كلمة الأفريكانية لعنوانه، ولكن لا أحد يشك اي شعب كان في الاعتبار. و" البريطانية في جنوب أفريقيا لا يزال لا يعرفون تماما ماذا يطلقون على أنفسهم. قدموا الملونون طريقة واحدة .وكذلك فعل الهنود. " الهيئة " يشمل بطبيعة الحال العديد من الاختلافات في السلوك الاجتماعي، فإن أيا منها، نظرا للتعددية في البلاد، يمكن أن يعتبر المعيارية. كانت المسيحية المهيمنة فيه ولكن، على الرغم من دور معين قادة الكنيسة، مثل ديزموند توتو، والكنائس نفسها غالبا ما تنعكس بدلا من تجاوز العرق .رسل العالم الخارجي إلى حد كبير مع جنوب أفريقيا من خلال وسيط في اللغة الإنجليزية، على الرغم من أن الأفريكانية اللغة الأولى لمجلس الوزراء. فقط أقلية من سكان جنوب أفريقيا، وربما يتحدث 10 في المائة، عادة الانجليزية في المنزل. ولا يوجد فرد من عائلة نيلسون مانديلا ذهب إلى المدرسة قبله. هناك كان قد سمي باسم نيلسون - أنه لا يمكن أبدا أن نفهم لماذا – عن طريق مدرس اللغة الإنجليزية. من سجنه في جزيرة روبن، قال انه لا يمكن أن يشارك مباشرة في مشهد الفض، ولكن عين نيلسون ليست عمياء. بلدان مختلفة في مكان آخر شاهدت أيضا وانتظرت، فقط على علم أيضا أن القضايا المنقسمة للدولة والأمة والإيمان في جنوب أفريقيا كانت لهم أيضا. كان الطريق طويلا لحرية الجميع. وكان اتحاد جنوب أفريقيا أنشئت بموجب قانون البرلمان البريطاني في عام 1910. والجمهورية وحدها، من جميع الدول في أفريقيا، كان " أفريقيا " في اسمها. وكان مستقبل غير مستقر. في المستقبل الحصول على اسم الجديد. كان الاحتفاظ به حتى الآن ليس فقط لأن يمكن إيجاد بديل متفق عليها ولكن أيضا لأنها تشكل بيان أن " أفريقيا موجودة

# 21

## من أفغانستان إلى سريلانكا " جنوب آسيا"؟

ليس هناك دولة آسيوية بها كلمة آسيا في اسمها. لم يكن هناك اتحاد جنوب آسيا. لقد كانت مسألة رأي، كما اتضح من قبل، حيث بدأت وانتهت. إذا كانت قد امتدت من كابول إلى كولومبوفلربما كان ذلك فقط لأنها كانت سابقاً بشكل رسمي "بريطانية"، على الرغم من أنهم لم يديروها ككيان واحد. هذه الصفة في حوالي منتصف السبعينات قد تمت إزالتها لمدة ربع قرن على الرغم من أنها لم تمحى بشكل كلى. لم يحل محلها أي شيء بشكل مباشر. كان من الجلي وجود نوع من الفراغ "الجنوب أسيوي" ولكن من يسيطر عليه وبموجب أي شروط كان محل إشكال. على النقيضين فإن شئون أفغانستان وسريلانكا قد تعدت حدودهما. اعتقد البعض أن أفغانستان جزء من الشرق الأوسط وأنها ليست جنوب أسيوية على الإطلاق. لقد كانت مسألة رأي. لم يعد هناك خلاف بأنها وجدت نفسها حبيسة عوالم أوسع.

### جماعات كابول

لقد كانت كابول منذ منتصف السبعينات وما بعدها مدينة لم يشعر فيها أحد بأنه آمن في مكانه. سعي الرئيس داوود، بعدما أطاح بابن عمه، الملك، وأنهى النظام الملكي عام 1973، لطلب المساعدة من كل من يمكنهم مساعدته، من موسكو وطهران وغيرهم.

وقبل أن تصبح الدولة متصلة بالعالم الخارجي كانت اتصالاتها الداخلية بحاجة للتغيير. كانت أفغانستان كما عرفها البريطانيون بشكل خاص في السابق صعبة التوحد والتماسك. الطغاة فقط هم من تمكنوا من إداراتها. في 1978 تمت الإطاحة بداوود وقتله. تولي حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، والذي تشكل سراً في يناير 1965، زمام الأمور. والذي انقسم إلى فصيلين، الخلق والبرجم. الأول تكون بشكل كبير من البشتون والآخر اتجه إلى الطاجيك وهزارة وإلى الأقليات العرقية الأخرى. بدت الخصومات الشخصية مستشريه داخل هذه التجمعات العرقية. أعلن محمد تركي (ولد في 1917)، والذي تخرج في وقت مبكر من جامعة كابول، الجمهورية الديموقراطية الأفغانية وقام بشكل نظري بتوحيد الفصيلين. ولم تغب رمزية استبدال العلم الأخضر بآخر أحمر. وقد تمحور برنامجه في 1978 حول إعداد أفغانستان للعالم الحديث: إصلاح الأراضي، محوالأمية، وحقوق المرأة. وفي عام 1978 قام بتوقيع معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي. عند هذا المنعطف، وعلى الرغم من كونه شيوعي، إلا أنه كان يواجه بالفعل تمرد مفتوح. أعلن العديد من المتمردون عن رابطة إسلامية. وقد زاد الوضع القتال بين الفصيلين. لم يكن من المستطاع الاعتماد علي الجيش. تواجدت الجيوش السوفيتية والمعدات والمستشارين في الدولة بحلول ربيع 1979. كان للجنود الأفغان عادة التسلل بالليل آخذين معهم أسلحتهم.

كابول، موطن النخبة المثقفة في الدولة، كما كان معروف خارجياً، كانت مليئة بالجماعات. قام حفيظ الله آمين، رئيس مجلس الوزراء، بالإطاحة بطارقي وتولي الحكم. لم تستطع أي حكومة في كابول مهما كانت وحشيتها من السيطرة علي دولة كانت أغلبيتها الساحقة ريفية وقبلية. استخدم الغرباء الصورة النمطية للأفغان إذا كانوا موجودين بأنهم مستقلين بشدة (وراثياً). على الرغم من ذلك كان لكل من واشنطن وموسكو وطهران وإسلام آباد (بجانب صلتها ببكين) ودلهي رأي في هذا الأمر. إن الأحداث في إيران قد تنتشر وتمتد إلى أفغانستان بشكل غير مناسب لكلا من الشرق والغرب (ليس لأن موسكو كانت تقع شرقي كابول).

قرر الاتحاد السوفيتي التحرك. بريجنيف رغم سعادته بجائزته الأخيرة الغير متوقعة

وهي جائزة لينين في الآداب لم يفقد في ظل فرحته سيطرته على المسألة. إن نظام الحكم في كابول على الرغم من اختلاله قد أنشأ دولة اشتراكية. إن مسار التاريخ لا يمكن تحديه من قبل مجموعة متداعية من المحاربين الإسلاميين الرجعيين. ومع ذلك فإن جميع المناشدات طلباً للمساعدة قد تم تجاهلها. في أواخر ديسمبر 1979 نجحت القوات السوفيتية في الغزو. كان الاتحاد السوفيتي ببساطة يذهب بالإمبراطورية الروسية إلى مرحلة أبعد. مبدئياً وكدليل على الأخوة جاءت بعض القوات السوفيتية المنتشرة عمداً من جمهوريات آسيا الوسطى. ويبدو أن هذه القوات أصبحت أخوية بشكل زائد وتم سحبها. وثبت أن حفيظ الله أمين كان ضحية هذا الغزو التحرري والذي كان قد دعا له في الظاهر. لقد كانت موسكو دائما تشك في أنه كان يرسل من يستقصي الأوضاع في عواصم العالم مع أنه لا يمكنه فعل ذلك. كان أمين، مثل سعيد، قد قضي فترة دراسته في جامعة سعيد، كولومبيا في نيويورك (بالطبع قبل وجود سعيد). كانت لغته الإنجليزية ممتازة ولكنه لم يجد اللغة الروسية. لا يمكن إنكار كونه ماركسي ولكن ذو طبع أفغاني وبالتحديد كواحد من البشتون. لذلك تم التخلص منه واستبداله بمن هو أكثر مرونة بابراك كرمال (ولد في 1929) والذي جاء مع الحقيبة السوفيتية. كان نجل أحد أبرز الجنرالات في العائلة المالكة ومن جيل أُعجب بالماركسية الغير مشروعة. لقد حاول رأب الصدع مع رجال الدين الإسلامي من خلال إظهار احترامه للمبادئ الإسلامية المقدسة. تم إرسال بعض رجال الدين ليروا بأنفسهم كيف ازدهر الإسلام في الاتحاد السوفيتي، وهي رحلة بحثية تطلبت الاختيار الدقيق للوجهات. لم تكن الوحدات المحدودة التي كانت تمثل وجود القوات الروسية وعددها 100.000 فرد تتوقع مثل هذا النوع من الحروب التي كانت تخوضها. عاجلا أم آجلا افترض بريجنيف وأندروبوف وتشيرنينكوومبدئياً غورباتشوف أنه يمكن هزيمة مجموعة المجاهدين بطريقة أو بأخرى على الرغم من أن التكلفة ستكون باهظة. كان الجيش الأفغاني يحتشد في المنتصف، على نحو عابس وغير مستقر. تم الحفاظ على الحد الأدنى من المعلومات حول أفغانستان داخل الاتحاد السوفيتي لكن الأخبار كانت تتم تنقيتها. كان من الصعب تبين من سيخرج في النهاية منتصراً في هذا الصراع المحير.

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية مستاءة من تعثر الاتحاد السوفيتي في أفغانستان. لقد كانت تخوض فيتناماً خاصة بها. أحياناً كان يبدو أن فخاً قد نُصب لموسكو . من خلال مساعدة أمريكية استطاع المتمردون جعل الحياة صعبة للغاية بالنسبة للحكومة الأفغانية بحيث يشعر الاتحاد السوفيتي بأنه ملزم بالتدخل. ثم عندما تدخل الاتحاد السوفيتي بالفعل سخر منه الغرب لتجاهله سيادة الدولة. اقترحت دول أوروبا الغربية، بالرغم من هلسنكي بأنها لا تزال عرضة لمثل هذا العدوان. كانت أحزابهم الشيوعية تشعر على الأقل بالإحراج بسبب الاتحاد السوفيتي. كانت الولايات المتحدة الأمريكية، المعتادة على السماع من الشرق الأوسط ومن أماكن أخرى حيث أن اللوبي اليهودي كان هو المسيطر على سياستها الخارجية، كانت سعيدة بأن أكثر أنظمة الحكم العربية عداءً للسادات قد أدانت الانتهاك السوفيتي للأراضي الإسلامية. في الأمم المتحدة استنكرت بشدة 108 دولة ما فعله الاتحاد السوفيتي في حين لم تقم 18 دولة بذلك (مع امتناع 18 دولة عن التصويت). وقد تعمق كارتر في التفكير في رد فعل تأديبي مناسب. لقد كان الحصار على الحبوب، والذي اعترض عليه دائماً، يعد سلاحاً. كان بريجين يعرف أنه ليس من المرجح حدوث أي إجراء عسكري أمريكي. لم تستطع قوات الانتشار السريع المكونة من 100.000 فرد التي أسسها كارتر، والتي أُعلن عنها في وقت سابق من عام 1979، من الانتشار في حينها. ثم برز خياراً واضحاً في ظل هذه الظروف وهو مقاطعة دورة الألعاب الأوليمبية. كانت موسكو تنوي أن تجعلها (في 1980) أكبر حدث رياضي في العالم. أثناء الحدث، ضغطت 45 دولة علي لجانهم الأوليمبية الوطنية المستقلة للانسحاب من دورة ألعاب موسكو . لسنا بحاجة للقول بأن هذا التصرف العالمي لم يؤدي إلى الانسحاب السوفيتي من أفغانستان. استمرت الحرب.

### الهند: سجادة أنديرا الحمراء

لقد لعبت روسيا وبريطانيا لعبة القرن التاسع عشر الكبرى في أفغانستان. على الرغم من ذلك، في 1979 أصبح كل ذلك من التاريخ. لم تفترض أي حكومة بريطانية أن القوات البريطانية سيكون باستطاعتها أن تقاتل في أفغانستان مرة أخرى. ولكن في حين كانت

أفغانستان في الماضي تمثل معضلة لكتلة واحدة، وهي الهند التي تحكمها بريطانيا، فإنها الآن تؤثر على دولتين متنازعتين. علاوة على ذلك فإن كلا الدولتين، الهند وباكستان، كانتا منهكتين داخلياً بسبب قضايا الهوية والولاء المماثلة. أثرت أفغانستان عليهما. بالنسبة للهند، كانت هناك كشمير في الشمال الغربي وآسام في الشمال الشرقي، جنبا إلى جنب مع قضية التأميل في الجنوب الشرقي (وفي سريلانكا). زادت الأمور تعقيداً مع بحث الأمم والدول عن ذاتها وعن سيادتها.

قامت أنديرا غاندي بتنمية علاقة وثيقة بالاتحاد السوفيتي والذي كان أحد الجوانب الأساسية في سياسة الهند الخارجية. وفي ظل ديموقراطيتها المنضبطة كان الاتحاد السوفيتي على استعداد للمساعدة في العمل الشاق لمحاربة الفقر في الهند. أعلنت غاندي أنها لا تنوي فرض حكم الحزب الواحد لكن هذا التعهد لم يتم الحفاظ عليه. كانت عمليات الحكومة البرلمانية، التي بدأت منذ عام 1947، متوقفة. كان لدي رئيسة الوزراء دائرتها الداخلية من المستشارين كما أصبح نجلها الأصغر سانجاي (ولد عام 1947) مؤثراً جداً. أصبحت وجوه الروسيون مألوفة في العاصمة وفي المدن الهندية الرئيسية. كما انتشرت سلسلة من المكتبات السوفيتية في جميع أنحاء البلاد. وقد ظهرت الرغبة في إعداد الخطط الخمسية بشدة في دلهي. تم تأميم المزيد من الصناعات. لم تكن الهند متوجهة نحو الشيوعية ولكن نوعاً من الرأسمالية المنظمة كان يسود أكثر، آخذاً الهند بعيداً عن الولايات المتحدة الأمريكية.إن توجه نيكسون نحو باكستان وتصرفه إزاء أزمة بنجلاديش قد أثار استياء الرأي الهندي. ساعد وصول رئيس ديموقراطي في تحسين العلاقات نوعاً ما، على الرغم من أنه من المزعج حقيقة أن الأمريكيين كانوا أكثر اهتماما بزيارة الصين عن الهند. كان هناك عامل آخر أيضاً. في عام 1974 نفذت الهند انفجاراً نوويا ناجحاً في صحراء راجستان. لقد هز هذا الانفجار باكستان بشكل حرفي ومجازي. كان هناك إنكار هندي بأن تصبح الدولة ذات أسلحة نووية. وبرغم ذلك فقد تم إرسال رسالة إلى الصين وباكستان بشكل خاص وإلى العالم بشكل عام. ربما تكون الهند دولة فقيرة ولكنها قد تصبح من الدول صاحبة القوة العظمي. خلال هذه السنوات كانت حكومة دلهي منشغلة

في تنظيم حدودها الشمال شرقية المطلة عل الصين وبورما مع أخذ عامل الأمن في الاعتبار. ومع ذلك وعلى الرغم من موقفها الإيجابي تجاه الاتحاد السوفيتي، ظلت الهند جزء من هذا العالم الناطق بالإنجليزية حيث وجدت كيانها السياسي/ الثقافي في رابطة الأمم. حافظت الهند على عضويتها على أساس عملي أكثر منه عاطفي. لقد أخلت الطوارئ بالمبادئ التي كانت تطمح إليها رابطة الأمم لكن لم يكن هناك خرق. ومع ذلك فلم تكن الحضارة الغربية، على غرار سابقتها البريطانية، والتي اعتدلت مؤسسياً في 1947، في جميع الأوقات جزءاً لا يتجزأ من الهوية الهندية. اعتاد الهنود، كما قبل، على أن يكونوا محكومين لعدة قرون. وفي ظل الظروف الراهنة، كانت هذه ربما الحقيقة الأكثر وضوحاً. عام 1974 تقبلت أنديرا غاندي علناً فكرة أن العالم يجد الهند صعبة الفهم: لقد كانت عميقة جداً متناقضة ومتنوعة بحيث يصعب على المرء فهمها. إن حريتها في التعبير عن الرأي، بشكل نسبي، تعني أن وحدتها الأساسية كانت مفقودة. وبعد سنوات قليلة لم تكن حرية التعبير موجودة بشكل واضح. وفي السجن كتب ج. ب. نارايان، وهو الصوت المحنك لفقراء الريف، أنه لم يؤمن في أي وقت أن السيدة غاندي كانت ديموقراطية. ومن خلال التوجه والإدانة كانت السيدة غاندي ديكتاتوره. كان الاتحاد السوفيتي يدعمها إلى أقصي درجة. ولكن سيأتي الوقت عندما يتركها الروسيون في مزبلة التاريخ ويضعون رجلهم الخاص بدلاً منها. يا للعار! قالها بتعال، ستصبح الهند باكستان أو بنجلاديش أخرى. على الرغم من ذلك فإن الناخبون الهنديون في مارس 1977 هم من تركوا أنديرا في مزبلة التاريخ وليس الاتحاد السوفيتي. في يناير قامت بإطلاق سراح معارضيها من السجون كما علقت الحظر المفروض على الأحزاب السياسية. توحد معارضيها، كبار السن، من جديد مكونين الجاناتا وهو تحالف من أربعة أحزاب وحظوا على أغلبية ساحقة في مجلس شيوخ أنديرا وبذلك أنهوا ثلاثون عاماً من حكم الحزب الذي لم يقاطع سلطته أحد. بدأت الهند بداية جديدة تحت حكم الثمانيني موراجي ديساي بمساعدة، إذا صحت هذه الكلمة، زملائه الوزاريين من مختلف الاتجاهات. لقد انشغلوا بتنصيب أنفسهم للحفاظ علي رئيس الوزراء في منصبه مع إبقاء نجله يعمل في ظل حكمه، وكانت تلك هي الرسالة الوحيدة الواضحة. شيء واحد فقط بدا جلياً: القوة البارزة للقومية الهندوسية

التي كانت تمثلها جماعة سانا سينغ داخل الائتلاف. وما وصف بأنه الفرصة الأخيرة للديمقراطية لم يدم طويلاً. قام الرئيس الهندي بإحلال البرلمان عندما لم يجد من يعينه رئيساً للوزراء وأمر بإجراء انتخابات جديدة في يناير 1980. تمت إعادة تدوير محتويات صندوق مهملات نارايان. فازت أنديرا غاندي وحزبها بأغلبية الثلثين. هذه المرة ستتشكل حكومة تعمل بالفعل على هذا الأساس. ربما كانت الهند في واقع الأمر بحاجة لإدارة السيدة غاندي. تمت إعادة الانتخابات للمرة الأولي لصالح نجلها سانجاي. وبدت مسألة الخلافة مؤكدة.

أثناء إجراء الانتخابات إحتلت أخبار الغزو السوفيتي لأفغانستان عناوين الصحف. قامت حكومة جاناتا بتهميش اتصالاتها السوفيتية نوعا ما ولكنها أبقت على معاهدة الصداقة. على الرغم من ذلك فإنها لم تقم بتطوير أي سياسة خاصة بشأن أفغانستان. كان احتمال إدانة حكومة غاندي الجديدة للتصرف السوفيتي ضعيفاً. بعدما أجري كارتر مكالمة تهنئة لها، وجدها الرئيس الأمريكي مهذبة ولكن باردة. في الأمم المتحدة بدا أن كوبا كانت أكثر تحفظاً من الهند من حيث التأييد الشعبي للتحرك السوفيتي في أفغانستان. وبشكل خاص وبرغم انعدام التأثير كانت دلهي تحث موسكو على الانسحاب. لقد عرف صناع السياسة في الهند جيداً وعلى مدي القرون أن الغزاة من الشمال الغربي هم من صنعوا الهوية متعددة الطبقات للهند. هل كانت أفغانستان تمهيداً لغزوآخر؟

لقد كان ذلك صعب المنال ولكن لم تكن أكثر الحكومات ميلاً للتعاطف متأكده من ذلك. ربما كان من المتصور، لكن ليس أكثر من مجرد تصور، أنه في ظل هذه الظروف ستقوم الهند وباكستان وبنجلاديش معاً بالدفاع عن هذا الفضاء المربك المسمى بـ "جنوب آسيا". في الوقت الراهن ومهما كانت التحفظات لم ترى دلهي سوى العيوب في أي نصر قد يأتي في نهاية المطاف لصالح المجاهدين. في ظل حكم فخر الدين علي أحمد (1974-1977) حظيت الهند برئيسها المسلم الثاني. وكان تعيينه إشارة بأن للمسلمين مكان واضح في النظام السياسي الهندي. لم ينس العالم قط أن عدد المسلمين في الهند كان أكثر من عددهم في باكستان. إن أصداء نجاة أفغانستان الإسلامية ربما تكون مثيرة للقلق على الأقل داخل باكستان.

## باكستان: حكام مختلفون واتجاهات مختلفة

تم قطع العلاقات الدبلوماسية بين باكستان وأفغانستان في 1973 ولم يتم إعادتها حتى 1977. كلتا الحكومتين، اللتين لا تخلوان من العدل، اتهمت الأخرى بإيواء المعارضين والتحريض على العصيان. كانت القضايا الحدودية بين البلدين مستشريه منذ بداية تأسيس باكستان. وكانت أكثر الأماكن اشتعالاً هي بلوشستان، في الغرب، وهي جزء طالما طالبت به أفغانستان. تم نشر الجيش الباكستاني لمحاربة التمرد هناك في منتصف السبعينات. لم يكن من السهل أن تتصالح المعارضة في هذه المنطقة المتنوعة ثقافياً. إن جعل باكستان دولة فيدرالية حقيقية لتعبر عن كلا من وحدتها وتنوعها كان فقط في البداية. الدستور الجديد الذي تم إقراره في 1973 قد مهد الطريق ولكن الإنجازات كانت مسألة أخرى. كانت المهام التي تواجه بوتو ضخمه. لقد فشل في التوجه بالتأييد الشعبي الذي كان يحظى به نحو نظام برلماني فعال وذو أحزاب سياسية قابلة للاستمرار لا تقوم علي أساس التحيز والمحسوبية. البعض كان يري وجهي بوتو: التقدمي خريج أكسفورد والسلفي الطاغية الإقطاعي. لم يستطع التوفيق بين هذين الصفتين لتجميل صورته. الوصول لهذه الصورة شيء مغري ولكنه سطحي. أما باكستان ككل فكان لها وجهان أو بالأحرى العديد من الوجوه. إن عمليات الإحلال التي حدثت في 1947 والتي أصبحت مرتبطة بخسارة بنجلاديش تركت مكانا إشكالياً في العالم. كان لدي بوتو احتمال ضئيل بأن يجعل لباكستان صوتا هاما في جنوب أو جنوب شرق آسيا. كان يتوجه غرباً ولكن ليس إلى الغرب. لقد أخرج باكستان من الكومنولث في 1972، كانت عضويتها ستنتهي في وقت لاحق. وبشكل أكثر تحديداً تمثلت مناهضته للغرب في انسحاب بلاده من منظمة حلف جنوب شرق آسيا. وقد بدا أن محور مستقبل باكستان سيكون ذوطابع إسلامي. المسلمين فقط هم من تولوا الرئاسة أو رئاسة الوزراء. وعلي الدولة تيسير المعيشة للمسلمين. مُنحت الأقليات، وعلي رأسها المسيحية، حقها في العبادة ولكنهم تعرضوا لضغط اجتماعي داخل الإطار الإسلامي الذي يغلفهم. لاقي هذا التحزب المزدهر تأكيداً عندما عقد مؤتمر الدول الإسلامية جلسته لعام 1974 في لاهور. لقد جاء بياسر عرفات

والملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية والرئيس السادات والرئيس الأسد وبومدين معاً. وبشكل مدهش، متحدثين في ملعب القذافي الجديد في المدينة، أعلن الرئيس الليبي أن موارد بلاده هي موارد باكستان. حتى لوبدا ذلك غير دقيق، فقد تم تحديد مسار باكستاني. هذا المسار الذي من شأنه أن يؤدي بباكستان إلى إنتاج السلاح النووي "القنبلة الإسلامية" (وقد لوحظ أن الهندوس والمسيحيين وربما اليهود كان لديهم مثل هذه القنابل). تلخصت المسألة على وجه التحديد في أنه بعد 1971 كانت باكستان بحاجة إلى درع نووي ليحميها من جارتها الأكبر. أما الولايات المتحدة الأمريكية والتي شعرت بأن ميلها نحو باكستان لاقي القليل من الاستحسان فقد حاولت باستخدام سياسة العصا والجزرة، ولكن دون جدوى، إحباط المشروع النووي الباكستاني. وقد تواجد جنباً إلى جنب التوجه الباكستاني الشرق أوسطي/ الإسلامي المزدهر مع تعزيز العلاقات القائمة مع الصين. فهي لم تكن فقط أكبر مورد أسلحة لإسلام آباد ولكن كلتا الدولتين وافقتا على إنشاء طريق سريع يربطهم معا عبر ممر خونجيراب.

بحلول عام 1978 عندما تم الانتهاء من طريق كاراكورام السريع، لم يعد بوتوفي منصبه ووصلت تجربة الديموقراطية إلى نهايتها. وبعدها بعام تم إعدامه بعدما أدين بمسئوليته عن وفاة خصم له. قام الجنرال ضياء الحق (ولد عام 1922)، رئيس أركان الجيش الباكستاني، بانقلاب عسكري ضد بوتوفي يوليو1977 وتمت العملية تحت اسم رمزي وهو عملية فيربلاي. سرعان ما أصبح واضحاً أن ما حدث كان أكثر من محاولة لاستعادة النظام (حيث حدثت الكثير من الفوضى فيما بعد) والإعداد لانتخابات نزيهة. ما حدث إنما دل على بداية فترة خطيرة من الحكم العسكري. احتفظ ضياء، الذي أعرب عن تشككه من مدي ملائمة الديموقراطية الغربية لباكستان، بمنصبه العسكري وأضاف إليه بعد 1978 منصب الرئيس. لقد استمر في الحكم لفترة أطول مما اعتقد الكثيرون. وقد تمكن من تحقيق تأييد واسع لحكمه في 1985 كما قام برفع الأحكام العرفية في هذا العام مع استمرار تعزيز سلطاته.

عرف ضياء عوالم مختلفة. لقد ولد في شرق البنجاب وتلقي تعليمه في جامعة سانت ستيفن بدلهي (والتي أخرجت في عهد فخر الدين علي أحمد، كما لاحظنا، رئيس مسلم للهند)، لقد جاء من طبقة متوسطة ذو خلفية عسكرية. خدمته العسكرية وقت الحرب في الجيش الهندي (البريطاني) كانت في بورما والملايووجاوة. في 1947 عبرت عائلته الحدود من جالاندهار، مسقط رأسه في الهند، وصولاً إلى بيشاور في باكستان. ومع خدمته في الجيش الباكستاني الجديد تدرج ضياء في الرتب. عندما انتقل إلى الأردن في 1969 لتدريب الجيش الأردني، ساعد في إدارة عمليات الملك حسين ضد منظمة التحرير الفلسطينية. وقد بدا توجه باكستان نحو العالم العربي مؤكداً، حيث كان الكثير من العمال الباكستانيون وخاصة من البنجاب يعملون في دول الخليج. داخلياً، كان ضياء مناور ماهر حيث كان يعين بعض العسكريين في الوظائف المدنية الرئيسية مما عزز من مكانة الجيش المركزية في الدولة. عندما لاحظ ريجان أن ضياء كان رجلاً جيداً وقع في غرامه على الفور في أو ل لقاء معه في ديسمبر 1982. خلفية ضياء جعلته مستعداً للميل نحو الأسلمة. القناعة الشخصية والإستراتيجية السياسية بالنسبة لضياء كانتا هما المفتاح لاستقرار باكستان. على الرغم من ذلك كانت الأسلمة عملية طويلة ومثيرة للجدل. لا يمكن تنفيذها على الفور. حيث ظلت بعض العناصر التي تلقت تعليماً غربياً في المجتمع متعلقة بالقانون البريطاني الموروث. كانت الإشكالية تتمحور في الاتفاق على ماهية النظام الإسلامي. تفاقم هذا الوضع أدي إلى الخلاف بين تفسيرات الشيعة (الأقلية) وتفسيرات السنة (الأغلبية). وظهرت على السطح الاختلافات في الممارسات الدينية بين التزمت الصارم من ناحية والاحتفالات في الأضرحة الصوفية من ناحية أخرى. وفي نهاية الأمر وإرضاءً للأرثوذكسية، نجحت حملة تصنيف الطائفة الأحمدية بأنها غير مسلمة. في ظل هذه الأحداث وجد المسيحيين أنفسهم تحت خطر العقوبة الشديدة إذا فُسرت أي ملاحظات لهم حول "محمد" بأنها ازدراء.

في الوقت الذي قتل فيه ضياء في حادث تحطم طائرة غامض في 1988، كان الأثر التراكمي للعملية التي قام بتسريعها كبير. بالنسبة للعالم الخارجي، كانت باكستان دولة إسلامية أكثر مما كانت عليه في 1977، على الرغم من أن ماهية هذه الدولة الإسلامية كان

موضع شك. وجد العالم الغربي الذي بدا مشغولاً بحقوق المرأة أن المرأة لها مفهوماً آخر في باكستان. لم يتفق الجميع أن الحكومة الرئاسية (على نظام ضياء) تشكلت على الشكل الأقرب للإسلام أو أن الأحزاب السياسية غير إسلامية، كلا الاتجاهين ظهرا في بداية الثمانينات في المجلس الاستشاري للعقيدة الإسلامية. لذلك ربما كان سعي النظام للوحدة المضللة من خلال الإسلام يكشف فقط عن أوجه التصدع في الإسلام نفسه. كانت التيارات المتعارضة صعبة التحديد. كانت أوجه التصدع في الإسلام جزء لا يتجزأ من التحزبات العرقية واللغوية والثقافية. وفي هذا الشأن، لم تنجح الأسلمة في حد ذاتها في خلق وحدة قومية. كان هناك ادعاء مستمر بأن باكستان لا تزال خاضعة للبنجاب ولكن سواء صدر هذا الإدعاء من السند (موطن الشهيد بوتو) أو بلوشستان أو أي مكان أخر، فلم يعيره النقاد اهتماماً كبيراً. كم عدد القوميات داخل دولة باكستان؟ لم تكن هناك إجابة واضحة. من يذهب لزيارة كراتشي، التي لم تعد العاصمة ولكنها لا تزال الميناء الرئيسي والمركز التجاري للدولة، بعدد سكان أكثر عشرين مرة من النصف مليون الذي كانوا عليه في 1947، سيجد مدينة تقاوم من أجل المواجهة. احتلت مجموعات عرقية مختلفة عدة مناطق واحتكرت مهن معينة. انتشر الإدمان والاتجار في المخدرات. تواجدت العصابات المسلحة بالشوارع. وكان من الممكن انهيار القانون والنظام في أي لحظة.

لعبت أفغانستان دوراً في هذا الموقف بطرق متعددة. تدفق اللاجئين بسبب القتال إلى باكستان، اختلفت التقديرات ولكن ربما اقترب العدد من بضعة ملايين. أصبحت باكستان بدورها القاعدة التي انطلقت منها بعض الجماعات الأفغانية (التي أدارها عقل واحد ونفذها العديدون) لتنفيذ عملياتها عبر الحدود. ظهر ما يمكن تسميته سلسلة متصلة من الصراعات حيث تداخلت القضايا الداخلية في الصراع الأوسع. سمح كارتر بإمدادات الأسلحة لمقاتلي المقاومة في أفغانستان، والتي جاءت من أصول شرق أوروبية حتى تبدو أنها جاءت من المنشقين عن الجيش الأفغاني. كان التعاون مع جهاز المخابرات الباكستاني هاماً من أجل فاعلية هذا التواصل. كان خليفة كارتر أقل خوفاً، منذ 1981، والأسلحة التي وصلت أفغانستان كانت شديدة التطور. والأهم من ذلك هو أن

الإدارات الأمريكية المتعاقبة اتفقت على منح باكستان المزيد من الدعم المالي. وقد دعم ذلك نظام حكم ضياء علي الرغم من أنه لم يمنع المستوي العالي من الإنفاق العسكري الذي أخل باقتصاد البلد ودفع بها إلى أزمة كبيرة. وفيما يتعلق بأفغانستان، حاول ضياء التنسيق مع العالم الإسلامي لدعم المقاومة (كانت السعودية ممولاً كبيراً جداً). ولكنه لم يعش ليرى نهاية اللعبة السوفيتية في الدولة.

بعد وفاته حلت بينظير بوتومحل ضياء (ولدت 1953). خاضت مجموعتين كبيرتين الانتخابات وفاز حزب الشعب الباكستاني التابع لها بأكبر عدد من المقاعد، ولكن ليس الأغلبية. ومنذ البداية وعلى الرغم من أن الجيش تراجع رسمياً فإن العداء تجاهها كان بالكاد مُقَنّعاً. لو كانت حكومتها قد أظهرت أنها ذات كفاءة وغير فاسدة لكان موقع بينظير أقوي، ولكنها لم تكن كذلك. كانت قاعدتها القومية ضعيفة (كان لحزبها الأغلبية فقط في السند والشمال الغربي). في 1989 لم يبدو مستقبلها مشرقاً، كما تأكد في وقت لاحق. وعلى نطاق أوسع، أوضح موقفها الشخصي مفارقات بلدها. قام والدها بتعليمها تعليماً غربياً (قضت بجامعة هارفارد وأكسفورد معاً 8 سنوات، 1969-1977). كانت الإنجليزية لغتها الأولي وبجانبها الأردية. لم تستطع أي من هذه الجامعات أن تحد من غطرستها الزائدة التي كانت متأصلة فيها. أين كانت هي بالمنزل؟ لقد وجدت نفسها أول امرأة تتولي رئاسة الوزراء في دولة دُفعت للاتجاه الإسلامي. كانت لها قاعدة سياسية قوية في بلد أجدادها "السند"، ولكن يبدو أنها كانت بالكاد تتكلم السندية. لقد كانت أول سياسية تتولي منصباً بدون أي ذكرى شخصية عن الهند البريطانية. جميع هذه الحقائق كانت ذات مغزى ولكنها لم تترجم إلى استراتيجية واضحة.

### الهند: من الأم إلى الابن

إذا كانت سيطرة بوتو على السلطة في 1989 ضعيفة، مثلها مثل راجيف غاندي (ولد 1944)، لكانت جرفتها الانتخابات العامة في هذه السنة. قبل ذلك بخمس سنوات، حظي الكونجرس تحت قيادته بنصر انتخابي كبير اقترب من الأغلبية المطلقة لأصوات الناخبين. لوكانت والدته هي من قادت هذه العملية لما حظي بمثل هذا النصر. اغتيلت

والدته برصاص الحرس في 31 أكتوبر 1984. وبطبيعة الحال حصل على أصوات متعاطفة. لكن شبابه كان موضع إعجاب بجانب التحضر الذي لابد وأن يرافق طيار سابق. أُرسل إلى جامعة جده، كامبريدج، لدراسة الهندسة إلا أنه لم يكن علي قدر من الاجتهاد. كانت زوجته والتي التقي بها هناك إيطالية. وكان ذلك أيضا يعتبر شيئاً حديثاً. وعلى افتراض أن راجيف سانجاي سيخلف والدته، فقد ظل راجيف بمنأى عن السياسة. ولكن الخلافة أصبحت من نصيبه عندما قتل سانجاي في حادث تحطم طائرة. وفي منصبه قام وبحذر شديد بفتح الاقتصاد الهندي المقيد بالتنظيم، مشاركاً وجهة النظر القائلة أن الاقتصاد كان محاطاً بروتين واضح. ومما أثار الاستياء في دلهي أنه حتى باكستان كانت تحقق معدلات عالية من النمو الاقتصادي في هذه المرحلة. بدأت النمور الآسيوية الأخرى في الصعود والظهور. لقد حان الوقت للتغيير وأرادت الطبقة الوسطي بعض التحرر، والتي بلغت مائة مليون (إلا أنها تمثل فقط ثمن عدد السكان). المشاريع الغامضة المشبوهة كانت هي ما أنجزه. هاجم وزير مالية راجيف، سينغ، بعض المؤسسات الصناعية والتجارية للتهرب من الضرائب. بعدما انتقل إلى وزارة الدفاع، رفض التخلي عن تحقيقاته. اقتربت أحد هذه التحقيقات من رئيس الوزراء نفسه، وكشف النقاب عن الرشاوي التي يدفعها متعهد شركة أسلحة بوفورز السويدية. استقال سينغ وتضررت مكانة غاندي. أكدت خسائر الانتخابات فكرة أن محور تركيز الحكومة كان خاطئاً. كان سينغ هو الشخصية البارزة في هزيمة غاندي في انتخابات 1989.

إن التخطيط الذي تم تنفيذه في العقود الأولي بعد الاستقلال ارتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء الأمة وبالسياسة القائمة على التواجد بالكونجرس. وعلى الرغم من الانتصار الانتخابي في 1984، فلم يكن الكونجرس على سابق عهده، سواء مركزياً أو في العديد من الدول. كل هذه العناصر تزامنت في صعوبتها. وتعالت الأصوات التي زادت شعبيتها وحدتها بأن الهند أصبحت ولاية هندوسية. وكانت علمانية ما بعد الاستقلال قد أفقدت الدولة روحها وجعلتها ضعيفة وهشة. إن استعادة رام مسقط رأس أيوديا من محتليه المسلمين كان هو الهدف الأساسي لهذه الحركة.

ثم ظهرت قضية أخرى. كان الحراس الشخصيين لأنديرا غاندي كلاهما من السيخ. وكانت قضية السيخ في السنوات القليلة السابقة وخاصة في 1984 قد وصلت لمرحلة متطورة. البنجاب، والتي كانت مقسمة في حد ذاتها بين البلدين في 1947، تم تقسيمها أكثر في 1966 بواسطة حكومة دلهي إلى ثلاثة ولايات: البنجاب وهاريانا وهيماشال براديش. هذه البنجاب الصغيرة (التي تتحدث البنجابية) كانت أغلبيتها من السيخ وهاريانا كانت أغلبيتها من الهندوس. وكانت مستويات المعيشة في الأولي أعلي بكثير من الأخيرة. لقد تشاركوا العاصمة في شانديغار (والتي كانت تدار مركزياً). كانت شانديغار مسألة رمزية. عندما ضاعت لاهور اضطرت الهند لخلق مدينة جديدة تنافسها. تم توظيف معماريين أوروبيين للقيام بهذه المهمة، وكان أكثرهم شهرة "لوكوربيزييه". تطلع نهروفي شانديغار أن تصبح هنداً متطلعة للمستقبل وغير مقيدة بالماضي.

على الرغم من ذلك، لم يكن من السهل عدم التقيد بالماضي. أطلق حزب السيخ، أكالي دال، دعوات للانفصال ومن بينها دعوات لأن تصبح شانديغار عاصمة البنجاب فقط. تولي الحزب السلطة في البنجاب في 1977. أصبح زيل سينغ رئيس الهند الأول من السيخ في 1982 لكن ذلك لم يؤثر كثيراً في تهدية سخط السيخ. أصبح جارنيل سينغ بندرا نويل متطرفاً، وقد كان مدعوماً من الكونجرس ليواجه زعيم سيخي آخر. في بداية 1984 سيطر هو وأتباعه المسلحين على الحرم المقدس للمعهد الذهبي في أمريتسار. سيرحلون فقط عندما تتعهد دلهي باستقلال البنجاب. أصبح الوضع شديد التأزم ولكن في يونيووتحت اسم "عملية بلوستار" تحركت الأسلحة الثقيلة للجيش الهندي. وتم انتهاك مقر سلطة السيخ. قتل بندرا نويل وأتباعه كما قتل آلاف أخرين. لقد كان استعراضاً وحشياً للقوة أكثر مما فعل الجنرال البريطاني داير أيضاً في أمريستار في 1919. رأي بعض المراقبين، والذين لاحظوا إقالة شخصيات بارزة أخرى في كشمير وأندرا براديش، أن ما حدث في البنجاب ليس إلا إشارة علي عزم السيدة غاندي على إنهاء الانفصال في الهند إلى الأبد (لقد قامت بدورها بإرسال رسالة وحدة واضحة للبرلمان الهندي، لوك سابها، عندما حظت بمقعد جنوب الهند الذي أُنتخب له واستحقته أكثر من أحد أفراد عائلتها التي

تعيش في قلب الشمال). إن أم الشعب، كما وصف راجيف والدته، قد وقّعت على مذكرة وفاتها بشنها معركة "بلوستار". وتلا ذلك المزيد من العنف تجاه السيخ في دلهي حيث فقدت الحكومة السيطرة. وكان تأثير هذه الأحداث طويل الأمد. وقّع راجيف اتفاقية البنجاب في 1985 والتي تعهدت بانتقال شنديغار إلى البنجاب. ومع ذلك فإن زعيم السيخ الذي وُقعت معه هذه الاتفاقية تم اغتياله بعد ذلك بوقت قصير. وتم تأجيل عملية الانتقال. تم فرض الحكم الرئاسي على البنجاب في مايو1987 وحُكمت الدولة بشكل مستبد. كان موقعها الحدودي، في نظر دلهي، يشدد على أهمية القبضة الأمنية الحازمة. وفي الواقع قامت الهند بممارسات عسكرية كبيرة في 1986 للتأكيد على موقعها المُطل على باكستان. ومع ذلك استمرت الاضطرابات والاعتقالات، كما استمرت في كشمير، حيث لم يكن الاضطراب بعيداً عن السطح. كانت الهند وباكستان لاتزال بعيدة عن هذه المسألة. وقد توازي تحرر غاندي المتواضع مع بعض الإصلاحات في علاقته بالولايات المتحدة الأمريكية. لقد عرفوا والدته بصفة التغطرس ولكن ريجان ظن أن ذلك لكونها خجولة وصغيرة. بدا راجيف مألوفاً أكثر. وقام بأول زيارة رسمية في منتصف 1985. مخاطباً الكونجرس، فقد شدد على الديموقراطية التي تربط الولايات المتحدة الأمريكية بالهند، لكنه لم يوضح نتائج ذلك. وكان لزيارة أخرى بعد عامين أثر إيجابي أيضاً. ولكن هذه المودة الواضحة لم تعنِ أن الهند قد تراجعت عن اتفاقية الصداقة التي تربطها بالاتحاد السوفيتي كما لم تعنِ أن الولايات المتحدة تتخلي عن باكستان. إنما كانت تعني أن كلا الدولتين أرادت التخفيف من حدة الخلاف. ومع ذلك فإن عام 1989 لم يشهد التسوية النهائية بين الهند وباكستان. ربما باستطاعة الانتخابات التي تجري بين اثنين من رؤساء الوزارة الشباب، الذين لا يتمتعون بأي إرث تاريخي، أن تجعل الفصل ممكناً. اجتمع راجيف وبينظير بشكل ودي في إسلام آباد في ديسمبر 1989. قدمت ملاحظات حول التعاون الثقافي ووافق كلا من رؤساء الوزارة على عدم مهاجمة المنشئات النووية للدولة الأخرى. ربما يذهب كلا الزعيمين إلى ما هو أبعد من ذلك إذا كان هناك المزيد من الوقت، لكن الوضع ليس كذلك.

اجتماع إسلام آباد المشار إليه لم يكن متعلق بكلا الجانبين. بل كان تجمع لرابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي التي تأسست في دكا في ديسمبر 1985. تأسس المقر الرئيسي لهذه المجموعة المكونة من سبع ولايات-الهند وباكستان وسريلانكا وبنجلاديش ونيبال وبوتان وجزر المالديف-في كاتماندو عام 1987. وقد بدا ذلك تأكيداً واعداً بهوية جنوب آسيوية في العالم، والهند في قلبها. أدرك جميع المعنيون أنه بموجب هذه الهوية المزعومة فإنه لا تزال هناك قضايا ثنائية معلقة. لم تكن فقط مسألة الهند/ باكستان. فعلي سبيل المثال أدت الاضطرابات في جزر المالديف إلى تدخل الهند في 1988. كانت هناك بعض الاضطرابات في الولايات الشرقية الهندية في أعقاب استقلال بنجلاديش والتي استمرت في توريط دلهي ودكا. أدت محاولة النشطاء الذين كانوا يريدون تحويل منطقة متحدثة بالنيبالية في غرب البنغال إلى ولاية جوركالاند إلى توتر العلاقات بين الهند ونيبال.

ومع ذلك فإن أكثر العلاقات تعقداً كانت بين الهند وسريلانكا. كانت جبهة نمور تحرير التاميل إيلام الأكثر تشددا من بين مجموعات التاميل على الجزيرة. لقد أرادوا استقلالاً غير مشروط في المناطق الشمالية والشرقية لشعبهم (إيلام). وحسب ما قاله رئيس سريلانكا في يونيو 1984 فقد أصبح الموقف مشابهاً لما كان عليه في إيرلندا الشمالية، وذلك كما رأي رونالد ريجان. رأي شعب التاميل نفسه أقلية مهمشة في سريلانكا السنهالية. وجد سكان جزر التاميل الكثير من الدعم والتعاطف من تاميل نادو وبالطبع من التاميليين حول العالم. لم يكن باستطاعة غاندي عدم التحيز ولكن التدخل كان محفوفاً بالمخاطر. حدث قتال عنيف. وبعد فشل المحاولات في التوصل للسلام، عقدت الهند وسريلانكا اتفاقاً في كولومبو في يوليو1987. بدا الأمر بسيطاً. سينسحب الجيش السريلانكي إلى الجنوب ويبقي في ثكناته. ستدخل قوات حفظ السلام الهندية جافنا لنزع سلاح مقاتلي التاميل (الذين كانوا من المفترض أن يمتثلوا لذلك طواعية). ولكن ما حدث هو أن القوات الهندية التي تم إرسالها بأعداد كبيرة وجدت نفسها منخرطة في صراع دموي مع النمور. ظلت المعركة مستمرة بعدما استقال راجيف من منصبه. وكان خليفته هو من قام بسحب القوات الهندية بعد أشهر قليلة. كان هناك مخرج واحد أخير من

هذا التورط الهندي الغير ناجح. اغتيل غاندي في مايو 1991 علي يد انتحاري تاميلي (كما اغتيل رئيس سريلانكا بعدها بعامين). واستمر الصراع الداخلي السريلانكي.

خلاصة القول، كان الشعور بأن جنوب آسيا أصبحت مميزة في العالم، تلك التي امتدت من شمال غرب باكستان، وربما أفغانستان، إلى جزر المالديف في المحيط الهندي، لا يزال غير مكتمل. كان السؤال الغالب، الذي سبق أي رغبة في منطقة أوسع، هو هل ستتمكن الدول القائمة من الاستقرار قومياً وديموقراطياً. إن وضع الهند في حد ذاته هو ما سيحدد مكانتها في العالم. ستكون هناك إجابة كشميرية مختلفة في مدينة سريناجار عن تلك الموجودة في مدينة جامو، وستكون هناك إجابات مختلفة في أمريستار وبيهار وستكون هناك إجابات مختلفة أيضاً في الدول التي بلغ فيها معدل الثقافة 90٪ عن تلك المناطق التي يكاد يكون فيها معدل الثقافة 50٪. ستكون هناك ردود مختلفة تقدمها النخبة العالمية للهند عن تلك التي يقدمها ملايين الهنود الذين يمكثون في منازلهم. إن التنوع الشديد الذي كانت عليه الهند هو عالم بحد ذاته.

# 22

## شرق آسيا / المحيط الهادئ: استعراض العضلات؟

وبنظر الدول الأخرى إلى أحوالها المختلفة من حيث المساحة، والتعداد السكاني المتزايد باستمرار، والتحديات التي تواجهها لمحاربة الفقر وتحقيق التحول الاجتماعي، فقد مالوا لدمج الهند والصين تحت مُسَمَّى "العملاقين الآسيويين"، متدخلين بذلك في علاقتهما الحدودية. ولكنهم عمالقان غريبان، يصرحون بأنهم يتملكون أو يستطيعون امتلاك أسلحة نووية، فيصنفون على هذا الأساس كـ"قوى عظمى". ولكنهم لا يملكون أو لا يمتلكون حاليًا على الأقل مستوى عام من السيادة في التقدم التكنولوجي. فقد وقفوا في جنوب آسيا وشرق آسيا، على التوالي، ولكن لم تكن ملامح الأخير أكثر بديهية من السابق. فقد قضت شرق آسيا وقتًا مع آسيا والمحيط الهادئ وأوقيانوسيا ومع هذا الهجين الأكثر حيرة جنوب شرق آسيا. كان مستقبل الصين على بال الجميع في منتصف السبعينات. كيف أثر حكامها –بل وشعبها– على العالم اليوم؟

### عهد الصين الجديد؟

نشأت حركة "جدار الديمقراطية" في بكين في نوفمبر 1978. وانتشرت ملصقات على الجدران تنتقد الحكومة. أثار بعضها الجدل الصريح حول امتلاك الشعب الصيني لحرية أقل وتحكمًا أقل في حكومته مقارنةً بباقي العالم. بل وانتُقِد ماو بالاسم. وانتهت

الحركة في نهاية 1979 بسبب تجاوزاتها"الخطيرة التي قادتها في سبيل آخر غير الذي تنشده. وفي هذه الواقعة، خاصة بالمقارنة مع الدول الأخرى ظهرت دلائل على نمو الوعي العالمي -بالرغم من عدم وجود دليل على بلوغ الحرية لأي مكان آخر-. كان هناك مجالًا واسعًا للنقاش حول العلاقة بين أنظمة الحكم والنمو الاقتصادي، وبين الحرية وتوجهاتها، بل وبين التخطيط والسوق. في الصين حينئذٍ، أصبح دنغ شياوبينغ – والذي أصبح رمزًا عالميًا الآن – رمزًا محوريًا.

بدأ مسيرته نحو حاضر الصين في مقاطعة سيتشوان غرب الصين. هيمنت هان الصينية في المحافظة، ولكن كانت هناك أيضا أقليات لغوية وعرقية ودينية، وخاصة في الغرب. هناك صادف عوالم مختلفة لأول مرة. في عام 1911 وعندما كان طالبًا في المدرسة الابتدائية في سن السابعة، كانت الصين وبالأخص سلالة جينغ في أزمة. اندلعت الثورات في أنحاء البلاد، بما في ذلك سيتشوان. في تشنغدو، عاصمة الولاية، حيث كان والده دنغ وهو مالك فلاح بسيط قد حضر دورات في القانون والسياسة، كان يوجد الكثير من عدم اليقين حول الحداثة. واتخذت الشعور الشعبي ضد النفوذ الغربي منعطفًا عنيفًا. بل وكانت فضيحة أن تشجع على قص شعر أحدهم أو أن تحل وثاق أقدام النساء.

ولكن الثوار رأو أن الضفيرة ما هي إلا علامة من علامات التبعية العرقية. تلقت تكلفة السكك الحديدية الجديدة في المحافظة انتقادًا كثيرًا (جنبا إلى جنب الشك حول ضرورتها). انشغل كل من المبشرين المسيحيين من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة في تشنغدو بإنشاء المستشفيات والمؤسسات التعليمية. وكان هذا العالم مختلط صبا دنغ (والذي قد فرغ في عام 1919 من تعليمه في المدينة الثانية فى سيتشوان وتشونغتشينغ). والذي مكن تشيانغ كاي شيك من الحفاظ على عاصمته في زمن الحرب هناك. ومع ذلك، فهذا كان معناه قطع إمدادات سيتشوان من تيارات الأفكار التي تجتاح الصين آن ذاك. كان هذا بعد ثلاثين عامًا من تركه لمدرسته هناك حين عاد دنغ إلى تشونغتشينغ حاكمًا ليدشن جمهورية الصين الشعبية.

وبعد ثلاثين عامًا أخرى، في عام 1979 ناقش ذلك المخدن الضال -والذي لم يمتلك

منصبًا كحاكمًا للدولة أو رئيسًا للحكومة أو أمينًا عامًا للحزب الشيوعي ولكنه وبالغرم من ذلك قاد الصين لعصر جديد في ذلك الوقت- العالم مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في البيت الأبيض. واتفق الرجلين، وفقا لكارتر، على أن التوحد ضد الاتحاد السوفياتي سيكون خطأ فادحًا، ولكن دنغ ظن أن الولايات المتحدة لم تفعل ما يكفي لاحتواء الاتحاد السوفيتي. دعم غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان ظنون شعب بكين حول طموحات الهيمنة السوفيتية. قطعت الولايات المتحدة الأمريكية أخيرًا العلاقات الدبلوماسية الرسمية - وكان هذا لإلغاء معاهدة الدفاع عنها - مع جمهورية الصين (تايوان )ومن الواضح أن واشنطن لا تزال تحافظ على اتصال وثيق مع حكومتها، وهو الذي قبلت به بكين.

ومما لا يثير الدهشة، فلم يستمر مستوى الود الظاهر في هذه المحادثة على مدى العقد المقبل، وظل مستقبل تيوان موضع خلاف. أزعجت القيود الأمريكية على التجارة بكين وكان هذا موضعًا للتفاوض. كان هنالك تحسن مقبول في العلاقات الصينية السوفيتية. ألقى بريجنيف خطابًا يبدو تصالحيًا في عام 1982، خاصة في طشقند وباكو، مشيرا إلى أن الاتحاد السوفيتي لم يكن له مطالب إقليمية في الصين. ومع ذلك، واصلت الصين مطالبتها بانسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان ومن منغوليا الخارجية. وقد أثار هذا غضب الدعم السوفيتي للقوات الفيتنامية في كمبوديا. وباختصار، فقد تباينت حالة العلاقات ما بين البرودة والدفء بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في الوقت الذي كانت فيه الصين تمهد الطريق لنفسها. القوى العظمى بدورها نظمت وعززت وعمقت علاقتها مع الصين في نمط ثلاثي معقد. أصبح للصين ماكنة وسط العالم ولكنها لا تصنف كـ "قوى عالمية" على حد فهمهم للتعبير لم تكن هذه الدوامات متوقعة، ولكن على المستوى الشخصي، هل أصبح الاتصال المباشر في الإمكان؟ العوالم التي تجمت مرة، ولكن تمزقت منذ إذ، يمكن تجميعها ثانية في الحاضر. فقد استعاد رجل من سهول جورجيا دعمه الذي كان منذ الصبا للبعثات المسيحية في الصين. فقد استعاد رجل من قوانغان، سيتشوان، وجودها واعترف على مضض، أن هناك بعض المبشرين جيدين. ولكن أصر دنغ أن

العديد منهم قد انخرط فعلا في تغيير نمط الحياة الشرقية إلى النمط الغربي. لا يجب عودة المبشرون ولا يريد المسيحيون الصينيون لهم العودة. ورغم ذلك كان رأي النقاد أن العصر الجديد الذي سيترأسه دنغ كان له أثره الخاص في أساليب الحياة الشرقية. وصل دنغ إلى واشنطون مرتديًا سترة قصيرة بدون ربطة عنق. عندما زار الأمين العام للحزب الشيوعي ورئيس مجلس الدولة تشاوتسي يانغ واشنطن في عام 1984 لم تسفر بدلته وربطة عنق عن شيء أكثر جودة من بدلة وربطة عنق رونالد ريجان. وفي زيارة الأخير عام 1984 إلى الصين، كان قد غلبه أشيع قبالة أثناء الاستماع، في الترجمة، إلى ما عرضه دنغ شياوبينغ. هذين الرجلين -من الواضح- لم يناقشا مزايا وعيوب البعثات المسيحية. ورغم ذلك، ففي أوقات معينة كانت عادة رجال الدولة التراوح خارج الحدود المسموح بها. وأشار هذين أنه بدى أن كلًا من الصينيين والفرنسيين يظنون أن حضارتهم تفوق الآخرين. قال دنغ: "دعونا نضع الأمر بهذه الطريقة: في شرق آسيا، الطعام الصيني هو أفضل وفي أوروبا، الطعام الفرنسي هو الأفضل."

كان لدنغ ذكرى بعيدة تخص المطبخ الفرنسي، ولكن هذه التجربة لم تكن راقية جدًا. وصل إلى مارسيليا مسافرًا على متن عنبر البضائع عام 1920. وبعد تعلمه بعض الفرنسية في شنغهاي، ذهب إلى فرنسا ضمن المخطط الذي تولى الشباب الصينين من الجنسين للدراسة في المدارس الفرنسية واكتساب خبرة العمل. فقد أخبره معلموه في تشونغتشينغ بأنه سيكون قادرًا على تعلم المعارف والحقيقة من الغرب لإنقاذ الصين. تلقى دنغ العلم النافع كفني في مصنع سيارات رينوفي (واحدة من ضاحية باريس، بيلانكور ). واكتشف في فرنسا حقيقة الماركيسية، اكتشاف تعمق من خلال الدراسة في موسكو في عام 1926. وكانت عودته إلى الصين في عام 1927 تعني إنفاقه مرحلة شبابه خارج وطنه. مسيرته هناك- في الحزب الشيوعي- قبل وبعد عام 1949، كانت ملئيه بالتجارب الجيدة والسيئة. واستهدف هو وعائلته خلال الثورة الثقافية.

اعترض التطهير طريقه. في عام 1976، بعد وفاة تشوان لاى، تم تكريمه من قبل حشد في ميدان السلام السماوي. وقد تم تحديد مسؤولية دنغ عن هذا العرض وجُرِد من

مشاركاته الحزبية، ولكن لم يجرد من عضويته. بدا الأمر كما لوكان مرة أخرى وسُخر منه بصفته الشيوعي المائل إلى الرأسمالية الثاني. انسحب بحكمة إلى قوانغتشو(كانتون). ومع ذلك، بعد وفاة ماو ، أيضا في عام 1976، فقد فاق هو قوه فنغ خليفة ماو المُعَين دهاءً، وعزز تدريجيًا موقف قيادته في وقت من الارتباك العام وعدم اليقين. يمكن إلقاء لوم تجاوزات الثورة الثقافية على عصابة الأربعة الذين خضعوا للمحاكمة وحكم عليهم بالسجن. وبالرغم من تحاشيه الألقاب الفخمة وعبادة الشخصية، فقد أضحى دنغ الزعيم الأعلى في الصين، تقريبا في الفترة من 1978 وحتى 1989. وكان العهد الجديد هو المصطلح الصيني وقت إذ.

كان على العهد الجديد التوافق مع كل ما تعنيه "الاوية". وهذا بدوره انطوى على التصارع مع ماو الإنسان. من المحتمل أن يكون وحشًا –توصل كتاب السيرة الذاتية من البلدان المختلفة حول العالم إلى استنتاجات متضاربة– ولكن كان هناك شعورٌ لا يمحى في الصين ما بعد حكم ماو حيث وضع الصين على خريطة العالم. لم يفعل ذلك، ولكنه حقق ذلك من خلال عرضه نفسه بأنه "رجل دولة عالمي"، شخص مطلع على عواصم العالم وثقافتهم.على الرغم من أنه لم يعد بإمكان الجيل الثاني الحفاظ على الصين ناعمةً في عالم الفلاحين الذي صنعه خيال ماو الرومانسي. وفي حياته الخاصة، انخرط دنغ بأمانة في الكثير من الأحداث المؤثرة التي شكلت بلاده في نصف القرن بعد عودته في عام 1927.

في سن ال 74، مضى قدما في ما كانت تعرف بالـ "التحديثات الأربعة" التي كان من هدفها تحويل العديد من جوانب الاقتصاد على مدى العقد المقبل. ومع ذلك فقد كان من المقرر لها أن تصبح التحديث الاشتراكي، على الرغم من عدم وضوح معنى ذلك. واحدة من بعثات دنغ الأولى الخارجية في نوفمبر عام 1978 كانت لزيارة لي كوان يو، وكدنغ فهو أيضًا من شعب الهان هاكا (شعب عرف عنه المضي قدمًا في العالم). اقترح رئيس وزراء سنغافورة أن هناك أشياء أفضل للصين لتصدرها بدلًا من الأيديولوجية الشيوعية. فالرأسمالية باقية في عالمنا لوقت طويل آتٍ.

لا يمكن متابعة تفاصيل الفتح الهيكلي هنا، ولكن ظلت مسألة هوية الصين نفسها

وبالتالي رأيها في العالم الكامنة تحت كل جانب من جوانب التغيير. وقد علق الرئيس هو يأو بانغ عام 1984 بأن ما يهم هو الوحدة الوطنية الهائلة بين المليار صيني. وقد أُعتُمِد هذا الرقم نقلًا عنه بأنه نتيجة للتحليل السكاني للإحصائية التي قام بها 29 حاسب إلى عملاق عام 1982. كان يبدو على ماو أنه لا يصدق أن من الممكن أن يكون تعداد الصينيون بهذا الحجم ولكن بعد بضع سنوات بدت سياسة الطفل الواحد حلًا ضمن سياسة التنمية الشاملة. تعداد الصين جعلها مختلفة عن أي دولة أخرى في العالم حتى الهند. وهذا يمكنه أن يفسر لماذا كانت مختلفة في جوانب أخرى أيضًا.

لم يكن الإنفتاح بالشيء الذي يري حقيقة الدولة الصينية تغرق بفعل الغرب، لا حضاريًا ولا تجاريًا. وكان إعلان تعبئة كوكاكولا في شنغهاي في ديسمبر 1978 في بعض الأوساط يُقبَل على مضض. ازدادت الاتصالات التجارية مع الدول الأجنبية بالفعل بسرعة، ولكن ليس من دون مضاعفات. في عام 1979 أنشأ دن شياوبينغ أربع مناطق خاصة للتصدير(تشوهاى، وشنتشن، شانتووشيامن) التي عرضت المرافق الأجنبية والمراجع المختلفة إذا كانت لهم إقامة. فى شنتشن، وفي وقت لاحق، تم نصب تمثال نادر لتكريم دنغ. وكان قد تم إنشاؤه في المدينة تقريبا من لا شيء. الأخيرين كانوا موانئ المعاهدات (وسميا بأسماء بريطانية) المفروضة على سلالة من قبل البريطانيين في القرن التاسع عشر. ولكن هذه المرة، أكد الإشراف الصيني أن الماضي لن يتكرر. لم تكن المناطق ناجحة على حد سواء، وأضيفت شنغهاي لاحقًا، ولكنهم أرسلوا رسالة ذات مغزى.

وبالتالي وعلى مدار بعض سنوات توقفت الصين عن كونها دولة لا يكمن اختراقها نوعًا ما، بل وعن كونها غريبة غير مألوفة للسياح. انطلقت السياحة (وصل عدد السياح لـ 200 ألف زائر وتزايد العدد منذ ذلك الحين). ورغم ذلك ظل التفاعل الاجتماعي مع السياح مقيدًا. ما هو الحد في العصر الجديد؟ ومن سيضعه؟ على سبيل المثال، هل للناس الحق في ارتداء ما يشاؤون؟ إعتقد الشباب ذلك على نحو متزايد. بل وكانت حركة المرور في الاتجاه الآخر أكثر أهمية. احتاجت الصين للمعرفة التي توفر فقط في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ولهذا فقد كان من اللازم إرسال الطلبة إلى هناك؛

طلاب الجامعات الرئيسية القادرين على الاستفادة وإفادة بلدهم عبر دراسة مجموعة هائلة من المواد العلمية. يمكن افتراض أنهم قد حصلوا بالفعل على معرفة جيدة باللغة الإنجليزية، أو سيفعلون قريبًا. ولكن رغم ذلك، ما لا يمكن جزمه هو عودة جميع هؤلاء الطلاب إلى وطنهم. اتصل الأكاديميون الصينيون – بحرص- بالأكاديميين من جميع أنحاء العالم.

لحق بعض العلماء الصينيين في جامعة أكسفورد بنظرائهم البريطانيين قبل عام 1939. هل كانت الجامعة كما هي؟ بعد 30 عامًا كان من الممكن الانخراط في حوار ثقافي مع الكتاب الغربيين بعض الشيء على الأقل. ولكن رغم ذلك لم ينخرط أي صيني في هذه الأمور في جو من الاحترام المذعن للحكمة الغربية. كان يجب للصين أن تعطي لا أن تأخذ فقط. كان يجب عليها أن تقتبس من الغريب ولكن تحرص على عدم الانغماس فيه. استأنفت مناقشات حول اللحاق بالركب، وهي سمة من الربع الأول من القرن العشرين. كان وقتًا لتكون العملية ذات اتجاهين. يجب أن يتطابق التشجيع على تعلم اللغة الانجليزية في الصين في وقت ما مع تعلم الصينية في الغرب ولكن ليس بعد. ومع ذلك أي نوع من الصينية كان مشكلة. ربما لم تكن أنماط خطابات دنغ التي تخون أصوله السيتشوانية مثالية بالكامل. كان أي تحليل دائمًا ضد أي تنوع حظيت به دولة كبيرة. في الحديث عن الثقافة الصينية كانت الكلمتان الصين والثقافة عائقًا. كان هناك حديث عن الكونفوشيوسية الجديدة. وكانت هناك تقارير عن حمى المسيحية في بعض مناطق نائية نوعًا ما. وكانت النتائج الهائلة التى نجمت عن هذا الخلط لا يمكن التنبؤ بها على المستوى المحلي والدولي. تجنبت هذه القضايا حول ما كان يشار إليها أحيانا باسم التحديث الخامس، وهي الدمقرطة.

وقد قال دنغ باعتراف الجميع في جمع العلم في عام 1978: "دع مائة مدرسة فكرية تدعي، ولكن ذلك لا يعتبر حرية تعبير". فالتعددية السياسية، كما تحدث في الغرب، ببساطة لا تناسب الصين. فهي تنطوي على خطر كما أظهر التاريخ وأن البلد ستتجزأ. عمليا، كان دنغ يدشن نوعًا من الرأسمالية الاشتراكية، وهو مزيج صنع في الصين لا

يتناسب مع الأفكار المسبقة سواء كانت أمريكية أو سوفيتية. يمكن أن يحين وقت يصبح فيه النظام السياسي أكثر ديمقراطية ولكن لم يحن هذا الوقت بعد. لا يمكن حكم مليار شخص بكفاءة كما لو كانت الصين ديمقراطية أمريكية، هذا بافتراض أن الديمقراطية الأمريكية تحكم نفسها بفاعلية بالفعل. وأوضح دينغ لكارتر، الذي لم يعرف حماسه لحقوق الإنسان حدودًا، أن الصين تكافح من أجل إنشاء نظام موحد للعدالة. امتلكت البلاد عددًا من المحامين ونظرًا لبقية العالم شك في أن مزيدًا منهم سيكونون ذوي قيمة. وكان هذا أحد مزايا التوقعات العالمية.

## الصين: توحيد وطننا المشترك

كانت الصين لا تزال تحتاج أن تأكد على الوحدة. وهذا يعني توسع كبير في السكك الحديدية بل وأكثر من ذلك، الطرق والشبكة. بحلول عام 1989، قيل أن كل قراها كانت مرتبطة بنظام وطني. مكن التجريف وبناء رصفان الموانى السفن من السير لمسافات أبعد عبر الأنهار الرئيسية. وكان لهذه البرامج فائدة مزدوجة. كلاهما روج للتماسك الداخلي والاتصال ولكنهما أيضا سهلوا الوصول للعالم الخارجي تجاريًا. كانت هناك معالم أخرى للمستقبل. في ديسمبر عام 1978، أعلنت شركة بوينغ للطائرات في سياتل أن الصين قد طلبت ثلاثة طائرات من طراز "747 جامبو". استمرت الحملة لـالاتصال بلا هوادة. ومع ذلك، وبغض النظر عن مدى التطور العام، فتعايش الحداثة والرجعية لم يكن بالأمر السهل. كانت الفجوة بين الريف والحضر كبيرة وحادة. وكانت المباني الشاهقة في شنتشن على بعد عالى عن الكثير من المناطق الريفية في الصين. اقترحوا المعيشة في هونج كونج المجاورة، التي ما زالت تحت الحكم البريطاني. كما تم تصور استعادة الوحدة الصينيه الكاملة وتأكيد مكانتها في العالم على أنها نفس العملية. لا يمكن أن يكون هناك تخفيفًا للقيود والضوابط في منطقة ذاتية الحكم صينية كالتبت وشينجيانغ. في كلا الحالتين كانت علاقات الاتصال المحسنة مع الصين والتنمية الاقتصادية العامة وعزم السكان الأصليون على الحفاظ على العادات الثقافية والدينية، البوذية منها والإسلامية، تسير في اتجاهات مختلفة. تم التعامل مع شدة الهجوم على الأخير خلال الثورة الثقافية ووضعت بكين

معظم الأمل في الهدوء على منافع التنمية الاقتصادية. مع ذلك وجود الدالاي لاما وأتباعه في الهند قد ضمن أن مستقبل التبت استمر في تلقي بعض الاهتمام الدولي، ولكنه لم يدفع بكين لتعديل موقفها. ورغم ذلك، كان حكيمًا كما في مناسبة زيارة هو جين تاو ياو بانغ إلى التبت في عام 1980. أحيانا لاستنكار غطرسة هان وتعاليه. احتاجت الصين لإظهار أنه يمكن إدارة التكامل. تطلب الأساس الذي من شأنه تمكين هونج كونج من العودة لديارها الكثير من النقاش بين الحكومتين، البريطانية والصينية. توصل الطرفان للاتفاق على أن مستقبل مستعمرة الجزيرة، التي تم التنازل عنها لبريطانيا إلى الأبد في عام 1842، وعن الأقاليم الجديدة الذي عقد في البر الرئيسي بموجب عقد إيجار من المقرر له الانتهاء في عام 1997، يجب أن يأخذه الاثنين في عين الاعتبار. في البداية، عندما بدأت المحادثات رسميا عام 1982، اعتقد رئيس الوزراء البريطاني أنها مستعمرة قد يتم الاحتفاظ بها ولكن الصينيون عاندوا. تم التوصل لإعلان مشترك بين الصين وبريطانيا في هونغ كونغ في سبتمبر 1984 والموافقة رسميا عليه في حفل التوقيع في بكين في ديسمبر. عادت السيادة على هونغ كونغ إلى الصين في يوليو عام 1997، مع استمرار بريطانيا في الإدارة في هذه الأثناء. وفقط في عام 1986 تم وضع عضوية المجلس التشريعي للجزيرة موضع الانتخاب. واتفقت الحكومتان أنه وعلى مدى نصف قرن ستصبح هونج منطقة إدارية خاصة (SAR) ذات اقتصاد رأسمالي. وكان على القانون أن يكفل الحقوق والحريات المنصوص عليها. وكانت المعادلة هي "دولة واحدة، ونظامان". على افتراض أنه إذا تم تنفيذ التسوية بالفعل فإنها ستعكس نتيجة الحقائق العالمية الحالية. وأدركت السيدة ثاتشر والتي عرف عنها صرامتها في المفاوضات، أنها ليست في موضع قوة تخولها للعب. وكان دنغ شياوبينغ مهذبًا ولكن متعنتًا. كان للانجليزية أن تظل اللغة الرسمية للـمنطقة الادارية الخاصة، ومثلت التجربة برمتها العالم في مصغرة. وتعايش الشرق والغرب في وئام ويبقى أن نرى ما إذا كان للمعادلة أن تعمل. هو يأو بانغ، في تأكيده عام 1984 عن وجود مليار صيني، مخاطبا تشيانغ تشينغ كو، نجل تشيانغ كاي شيك، الذي كان أعيد انتخابه رئيسا لتايوان في تلك السنة بالذات. كان يعيش ما يقدر بـ31 مليون من المليار في تايوان وهونغ كونغ وماكاو . ناشد دنغ أيضا تايبيه في عام 1984 لحث القوميين للانضمام

إلى نسل الإمبراطور الأصفر (سلف مشترك صعد إلى السماء في 2697 قبل الميلاد). وكانت المفارقة أنه ولسنين قصار، منذ ستون ين عامًا، كان الرجلان زملاءً في موسكو .. وكان تشيانغ تشينغ وقد تزوج من امرأة سوفيتية وعاشوا في الاتحاد السوفيتي لعشر سنوات قبل أن يعود إلى الصين في عام 1937. وتبع والده عبر المضيق في نهاية المطاف. ولهذا كان هناك العديد من التقلبات في الماضي الصيني حديث العهد الذى كذب تفسيرها البسيط.

كانت هذه النداءات إلى تايوان في عام 1984 تهدف إلى إقناع الحكومة هناك أيضا للعودة للوطن، ولكنها لم تفلح. جرت التحولات السياسة في الجزيرة. عين تشيانغ تشينغ كو-لمنصب نائب الرئيس في عام 1984- لي تنغ هوي؛ وهو سياسي من مواليد تايوان. والذي تبعه في موته عام 1988. عرف لي عوالم مختلفة أيضًا. وكان قد نشأ على الجزيرة عندما كانت تحت السيطرة اليابانية وحصل على تعليمه الجامعي في اليابان. ولكنه حصل على درجة الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب. ولكنه بدا أن أيام اعتبار تايوان إقطاعية من النخبة القومية للبر الرئيسي قد شارفت على الانتهاء. وبدا لتشيانغ تشينغ كو الازدهار كديمقراطي. واتجه نحو إضفاء الشرعية على الأحزاب السياسية وإنشاء نظام برلماني سليم. وأكد بعض الساسة المنتخبين حديثا استقلال تايوان، والتخلي عن أي ادعاء لإنتماءهم للجمهورية الصينية. انتهي العمل بالأحكام العرفية في يوليو1987. واصلت الجزيرة ازدهارها الاقتصادي. وظهرت النزعات المعاكسة على غرار ذلك. وكان من وجهة بكين التي طمح لها دنغ أن الرخاء هو شيء يمكن للصين ككل وقتها أن تحققه ولكن بدون الديمقراطية. ومع ذلك شرعت تايوان في طريق أكثر ديمقراطية. ورحب التايوانيون ذوي الأصول التي ترجع إلى محافظة جنوب الصين فوجيان بالاتصال الثقافي والتجاري مع الدولة الصينية على شرط عدم الانغماس فيهما، ليس الآن على الأقل. وظل مشروع الوطن المشترك في هذه اللحظة على الأقل، غير مكتمل.

## اليابان: قيود النجاح

كانت اليابان عملاقًا أسيويًا أيضًا.كانت ما تزال نواه اقتصاد آسيا والمحيط الهادئ،

اقتصادًا لربما امتد فشمل استراليا ونيوزيلاندا. وظل وضع اليابان ، ومكانتها السياسية المتعارضة مع مكانتها الاقتصادية، معقدًا. وكانت ما تزال غير واثقة من دورها العالمي "عملاق غريب ". وجاء صعود الصين وتطبيع العلاقات الصينية الأمريكية ليعكر صفو الافتراضات السائدة منذ عام 1945. لم يكن تطبيع العلاقات الصينية اليابانية وهو اهتمام مركزي بالأمر السهل. فما حدث قبل عام 1945 كان ما يزال يحمل الكثير من الذكريات. بدأ بعدها بوقت قليل إبرام معاهدة السلام والصداقة مع الصين في عام 1978. ومع ذلك كان هناك تدفق كبير للمعونات اليابانية للصين، إما في شكل قروض ومنح أو مساعدة تقنية في مشاريع البنية التحتية الكبيرة. لم تدفع اليابان تعويضات ولكن لعب برنامج الإصلاح هذا الدور بدلًا منها. تم قبول هذه المشاركة ولكن لم يتم تقبلها بحماس بالغ. ولكنها كانت بالطبع ذات منفعة لليابان أيضًا، من حيث توفير سوق مزدهر للصادرات اليابانية. أصبحت العلاقات الاقتصادية وثيقة لكنها لم تمحو الشكوك والتوتر الكامنين وراءها. أدى التواجد الياباني الحذر لبعض الاتهامات أن الصين تتعرض لاحتلال ياباني ثانٍ. زادت الصين نفسها –من حيث علاقتها مع هونج كونج وتايوان ومكاو – على صينيتهم المشتركة. بنيت المتاحف والنصب التذكارية مساكنها على حساب معاناة الشعب الصيني على يد الغازي الياباني. فعلى سبيل المثال، أُفتُتِح متحف في نانكين في استجابة حاسمة على محاولات الجناح اليميني الياباني في التكرمن أو التقليل من حجم مذبحة 1937-1938. (جاءت بعض التقديرات الصينية بأن عدد الوفيات وقتها قاربت من النصف مليون).

في عام 1982، اشتعل نزاع حول موضوع الكتب المدرسية اليابانية وغربلة المصطلحات من قبل وزارة التربية والتعليم. أكانت تحظر كلمة العدوان؟ احتجت وزارة الخارجية الصينية بأن مناقشة مجازر نانجينغ تمثل تشويها واضحا للحقائق التاريخية. وانضمت الحكومات والصحافة والجماعات المدنية في تايوان وهونغ كونغ وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وسنغافورة وماليزيا وتايلاند واندونيسيا والفلبين وفيتنام لهذا النقد.

وظهر خلاف دبلوماسي خلصت به الحكومة اليابانية نفسها بصعوبة. واشتعل ثانيةً بعد عدة سنوات. وصرح النقاد أن المجتمع الياباني أحجم عن دراسة ماضيه في تركيزه الأحادي لتحقيق النجاح الاقتصادي في الوقت الحاضر. كانت لا تزال بعض الآراء اليابانية تفسر الحملات اليابانية في جنوب شرق آسيا، إن لم تكن في الصين على وجه التحديد، على أنها تحرير أسيوي من التحكم الغربي. هذا التفسير لم يكن شائعًا بنفس القدر في بريطانيا وفرنسا ولا حتى في هولندا. كان في استطاعة المسؤولون الإشارة إلى أن المظاهرات نبعت من البلدان الأسيوية الحرة فيما يتعلق بالجدل المثار حول الكتب المدرسية. ولم يمكن تقبل الحركة اليابانية في جنوب شرق آسيا بدون تردد.

ولهذا حام غموض مستمر حول مكانة البلاد في اليابان نفسها وفي البلدان المجاورة خاصة في بلدان شرق آسيا والمحيط الهادئ بل وأيضًا في العالم ككل. عملت اليابان على الصعيد العالمي باعتبارها مستورد للمواد الخام وكدولة مصدرة للمنتجات الاستهلاكية الكاملة على حد سواء. ونظر لها الخارج غالبًا على أنها حيوان اقتصادي مكرَّس بشغف غير عادي للعمل، ولديه قدرة ببراعة استثنائية لتخليص نفسه من الصدمات النفطية. وبحلول أوائل الثمانينيات، أصبحت اليابان أكبر مصنِّع للسيارات في العالم. كانت دولة متقدمة أغرقت الأسواق الأمريكية والأوروبية بسلع عالية الجودة. وغمرت أيضًا مواقع العالم التاريخية بسياح يابانيين يستعملون كاميرات يابانية. كانت قوتها الاقتصادية شيء ولكن قوتها السياسية شيء آخر. سعت اليابان للتعلم من الغرب لقرن. والآن أنقلبت الآية. وقيل لكبار رجال الأعمال بالخارج أن عليهم التعلم من اليابان. كانت روح شركاتها والتعامل بين حكومتها والصناعة مثلًا يحتذى به. ورغم ذلك، عندما جرت محاولة للتقليد في مكان آخر، أصبح من الواضح أن الحلول اليابانية لا يمكن تطبيقها ببساطة. وكانت هذه الترتيبات انعكاسًا للافتراضات الثقافية اليابانية وتوافقها الاجتماعي بعد عام 1945. كانت اليابان بالفعل ديمقراطية ولكن، كأي ديمقراطية أخرى، فإنها تعمل بطريقتها الفذة الخاصة. بدى توطن الطائفية في سياستها ولم تكن نفحة من الفضيحة بعيدة أبدًا. لم يستمر أي رئيس للوزراء في منصبه بما فيه الكفاية لعدم امتلاك

منصبه ما يكفي من السلطة أو عدم قدرته على التوفيق بين العناصر المتناقضة في صورة اليابان الذاتية ومكانتها العالمية. كانت غنية إذا نظرنا لحالها ككل لكن، التوافق الاجتماعي، بطبيعة الحال لم يكتمل، بدأ بالتفكك عندما أصبح مدى التفاوت المحلي واضحًا. كان شعب اليابان يشيخ. فقد كانت حتى يومنا بلدًا ذات عدد قليل من الأقليات العرقية، ولكنها بدت الآن كمن يحتاج إلى عمالة خارجية. كانت اليابان تنضم إلى العالم بمعنى جديد ولكن، هل أمكن لإحساسها القوي بالهوية أن يصبح متعدد الثقافات؟ ولهذا، كان هناك قلق متزايد حول المستقبل. ظلت القوة الصناعية الثانية في العالم وأول قوة مالية -كما أصبحت، وفقا لمعظم الحسابات، في منتصف الثمانينيات- مجموعة من الجزر المكتظة بالسكان خالية إلى حد كبير من المواد الخام ومصادر الطاقة التي يعتمد عليها ازدهارها.

ومع ذلك، ظلت ناجحة ولا تزال سببًا في المشاكل. استمر الفائض التجاري الياباني في جلب الاحتكاك الجديد في الساحة التجارية الدولية رغم "التباطؤ" المفترض ردًا على الانتقاضات. خفض ما يسمى باتفاق بلازا لعام 1985 قيمة الين في محاولة أخرى لتقليص الفائض. كان لهذه القضية تشعبات تجارية في جميع أنحاء العالم، ولكن كان لها تداعيات أوسع في العلاقات اليابانية الأمريكية. هل كانت الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت ثمل اليابان لها أمانًا بالاستعانة بمصادر خارجية، تعاني دون مبرر؟ أكان هناك شيء لا يمكن تحمله للمكانة العالمية السياسية لليابان الخاصية؟ لو كانت الصين قد أصبحت أكثر أهمية من اليابان لرؤية واشنطن لآسيا في العالم، إذا فقد يكون قد حان الوقت لإعادة النظر في أمن اليابان. ومع ذلك، وحتى مجرد التفكير في السماح لقوتها الدفاعية التافهة للعمل خارج اليابان ستعيد إحياء كل المخاوف الإقليمية القديمة من الإمبريالية اليابانية. ولهذا كانت توجد مفارقة بارزة على نحو متزايد.

## دول شرق آسيا الأخرى: صنع بصمتهم الخاصة

كان التركيز العالمي على الصين واليابان مفهومًا، ولكن كان هنالك دولة "شرق أسيوية/ المحيط الهادئ" غير سعيدة بوجودها دائما في ظل العمالقة. وبالمقارنة، فإن معظمهم كان صغيرًا للغاية، سواء من حيث الأراضي أو السكان. لم يكن النجاح

الاقتصادي، كما أثبت البعض وليس الكل، مجرد مسألة حجم. يتحرك هذا القسم من خلال سلسلة من الدول المتميزة، من كوريا الجنوبية وحتى أستراليا، وبشكل ما كانوا جميعهم جيران، ورغم ما أدى إليه هذا – من حيث التصور الذاتي الإقليمي أو المواءمة- فقد ظل مثيرًا للمتاعب. وكما قلدت اليابان الغرب، فقد بدأ بعض جيرانها الصغار في تقليدها.

واستطاعوا التفوق على قدوتهم عبر استهداف منتجات محددة. انتقلت كوريا الجنوبية وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورة بذكاء لتصدير إصدارات أرخص من الأصناف التي نشأت لأول مرة في اليابان. دمجوا إدارة الدولة واقتصاد عدم التدخل الرأسمالي مع العالم ككل واعتبروهم سوقًا. ومحليًا وجدت جنوب كوريا مركزًا مهيمنا في أن تضطلع بها التكتلات العائلية. وبدى أن مزيجًا من مهارة تكنولوجية رفيعة المستوى وقاعدة تعليمية متينة وأجور عمالة منخفضة، في بعض القطاعات، تقوم بالمهمة. وفي وقت ما كان يشار إلى تلك البلاد مجتمعة كـ"عصابة الأربعة". تفوق أدائهم في الإصدارات المصنعة على أي جزء آخر من العالم النامي. لم تستطع المنتجات الغربية المنافسة في أسواق شرق آسيا. اشتكت الحكومات الغربية من الأجهزة التي قيدت وصولهم إلى تلك الأسواق، وسعت في المقابل إلى ابتكار أجهزة إقصائية خاصة بها. ومع ذلك، فقد ظل عالم محتوى يتطور بسرعة، ولكن في هذه الحالة تجاوزت الروابط المغلفة، عندما ظهرت اليابان أيضًا في الصورة ( أي احتواء بسيط أو بناء لشرق آسيا التي كانت متكاملة).

لم يكن الأربعة بأي شكل من الأشكال متشابهين. وبينما استمرت أزمة شبه الجزيرة الكورية (كوريا الجنوبية) وبغض النظر عن أدائها في التصدير العالمي، فقد اعتمدت على الولايات المتحدة الأمريكية في الحفاظ على أمنها ضد الشمال. جرت المحادثات بين الكوريتين بشكل دوري. ولكن نتج عنها تقدمًا ضئيلًا. زعم الجانبين بأن التوحيد سيعني انتصار الآخر. في الشمال، حافظ كيم ايل سونغ على النظام في الوقت الذي كان يزف فيه ابنه كيم جونغ ايل ويتم استقباله باسم "الزعيم الحبيب" المقبل. أعلنت بيونغ يانغ عن ثلاث ثورات كبرى، التكنولوجيا والأيديولوجية والثقافة، من شأنها التأكيد على أن

الاشتراكية هي العلوم. ورغم ذلك، فقد كان الجنوب أكثر ازدحامًا وازدهارًا. لوقت طويل كان هناك نمط للهجرة الكورية للبلدان الأخرى ولكن، وبشكل ملحوظ، فقد انقلبت آية هذا النمط في الجنوب. بعد اغتيال بارك تشونغ هي في عام 1979، فقد استولى قائد آخر، تشون دوهوان، على الحكم بعد إيماءات خليفة بارك نحو الحكومة المدنية. قوبلت المظاهرات ضد الحكم العسكري بالقوة. وفي هذه الظروف، لم تشكل المواجهة الدائمة في شبه الجزيرة نموذجا كلاسيكيًا للخلاف بين الدكتاتورية و الديمقراطية. قدم كارتر احتجاجات بل وهدد سيول بسحب القوات الأمريكية ولكن لا هو ولا خليفته إستطاع فهم سقوط كوريا الجنوبية. في عام 1988 أظهرت كوريا الجنوبية نفسها للعالم عندما نظمت دورة الألعاب الأولمبية في سيول. وكان أعضاء العصابة المزدهرة الثلاثة الآخرون، وبطرق ودرجات مختلفة مستبدين. كانت هو نج كونج تعيش تحت الحكم الإمبراطوري، ولكن حُكمًا في الوقت الضائع. بدى أن تايوان تعمل في الخارج، غير مبالية بحقيقة أن بعض الدول كانت مستعدة للاعتراف بوجودها. وكانت سنغافورة كما هي، رخاء اقتصادي تحقق بدون ديمقراطية، ربما –كما قال البعض– بسبب عدمها، وقد يكون هذا ما أثار انتباه الناس في شرق آسيا. بغض النظر عن أن ما كان هذا صحيحًا أم لا، فازدهارعصابة الأربعة كان قابلًا للتقليد من قبل الجيران الآخرين

أثناء تشكيل رابطة (آسيان)، أظهرت دول جنوب شرق آسيا عدم ارتياحها من كونها موردة النفط والخشب وغيرها من الموارد لجيرانها في الشمال. ويمكن أن تستمر في تصدير هذه السلع، رغم تقلب الأسعار، لكن يمكن التصنيع والانتقاص من قدرة "عصابة الأربعة" بأنفسهم مما ينتج عن مجموعة من التوترات بين المناطق الحضرية والريفية. فانتشرت العواصم ومن بينها بانكوك. في حين أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية متشابهة، ظلت السياقات الثقافية والدينية مختلفة.

في بروناي، البلد صغير الغني بالنفط، التي استقلت عن بريطانيا في عام 1984، احتفظ السلطان الثلاثون بكل المناصب الهامة لنفسه كما تمت المحافظة على علاقات شخصية وسياسية قوية مع بريطانيا.

في تايلاند كان الوضع الفعلي أو الرمزي للحكام التقليديين ودورهم السياسي مثير للجدل. ملك تايلاند بومابول ادولياديج تم تتويجه عام 1946 وكان يسعى ليكون الملك الأطول خدمة في العالم وفي التاريخ التايلندي.وكان أغلب تعليمه فرنسي في سويسرا. يعتقد بعض التايلانديون أن دوره كان سياسي للغاية ويعتقد آخرون عكس ذلك. أبحر الملك في الأنظمة العسكرية والديمقراطية بإعتبارها رمزا للوحدة التى لا يجب أن تهان.

وكان محمد مهاتير (b.1925)، الذي أصبح رئيس وزراء ماليزيا في عام 1981، عقد العزم على الحفاظ على حكام الولايات في أماكنهم. مهاتير جاء من خلفية متواضعة في ولاية كيدا، لذلك، لم يتلقى تعليمه في انجلترا مثل الأرستقراطية الماليزية وعلى الرغم من ذلك أتقن اللغة الإنجليزية وهو صبي صغير، وبعد ذلك تخرج من كلية الطب.

مارس الطب بنجاح في بلدته قبل الانتقال إلى السياسة وتتدرج بصعوبة في المناصب حتى وصل إلى القمة. كان الازدهار الكامل لسياسته، التي تدعم التحرر الاجتماعي والاقتصادي الماليزي، في طريقها إلى الظهور، ولكن كان اتجاهه واضح. يجب على ماليزيا أن تركز اهتمامها على الشرقوألا تكون مدينة بالفضل إلى الغرب – على الرغم من أنه كان غامضا أي"شرق يقصد. أدى الخلاف مع الحكومة البريطانية في قضية تخص الطلاب الماليزيين في بريطانيا إلى أمر قضائي، وإلغائه في وقت لاحق، علي أن شعبه يجب أن يشتري البريطاني آخرا. ومع ذلك، استمرت ماليزيا عضوا في الكومنولث.

العلاقات مع سنغافورة، في العهد البريطاني ظلت شائكة. مبادئ مهاتيير كانت تقوم علي أن تكون ماليزيا إسلامية بشدة وهو الأمر الذي سبب مشاكل للأقليات الماليزية منهم ذوي الأصول الصينية المعنيين بتحسين الاقتصاد. في يناير كانون الثاني عام 1984، كان الرئيس ريغان سعيد بالاستماع إلى ضيفه مهاتير وهو يؤكد علي سير ماليزيا بخطي سديده نحو الديمقراطية وجذب رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار.

في كمبوتشيا / كمبوديا في عام 1976، سالوس سار ("بول بوت")، الذي ولد في نفس عام ولادة مهاتير كان له نظرة أخرى للمستقبل. بعد عام 1949 عاش أربع سنوات

في باريس يدرس الكترونيات الإذاعة التي أتاحت الفرصة لإنتشار الماركسية هناك، في فرنسا وسط الطلاب الكمبوديين كان سالوس سار يتميز بالسحر والقسوة في آن واحد.

على مدى العقدين المقبلين، الأخ رقم 1 كان يقود الحزب الشيوعي في البلاد بعد عام 1963، شق طريقه إلى السلطة وسط التيارات الهندية الصينية. يعد العام 1976 نقطة البداية لكمبوديا التي حملت أصداء ثورة مماثلة لثورة فرنسا عام 1789، وكانت الهام حقيقي لبول بوت أثناء إقامته في الصين وقت الثورة الثقافية عام 1966. شعب الخمير الذي يوصف بـ "عالم جديد شجاع" حظر جميع الأديان وأبعد الأشخاص المتأثرين بالمعرفة الفرنسية والأفكار الغربية من السلطة (وهو ما لم يطبقه بول بوت على نفسه).

العاصمة بنوم بنه كانت مليئة باللاجئين، والمباني والشوارع الإستعمارية الفرنسية وهو الدليل الكافي علي المعرفة الفرنسية والأفكار الغربية لذلك كان من الأفضل تغيريها.

الرأسماليين المحرومين من محيطهم تقطعت بهم السبل ودون تأخير، تم إعلان الاشتراكية الزراعية. كانت الخطوات الوسيطة غير ضرورية. وفي أثناء ذلك كان القتال مشتعل ولا تزال الأرقام مثيرة للجدل، ولكن علي الأرجح لقي ما بين 1.7 و2.5 مليون من سكان العاصمة مصرعهم أي نحو خمس السكان المدنيين في البلاد.

يتم إستخدام كلمة الكامبوشيين علي الضحايا لكن النسب الأعلى للوفيات كانت من نصيب الأقليات العرقية من الفيتناميين، التايلانديين والصينيين، لأسباب أيدلوجية وعرقية مختلطة، أكثر الأعراق التي تأثرت كانت شعب التشام في كمبوتشيا والمسلمين في فيتنام والهندوس

تحالف بول بوت مع الصين تماشي مع إقصاء الصين لمواطنيها المحليين اللذين لم يكن أغلبهم من الرأسماليين وبقي الدعم الصيني بسبب سياسة بكين العدائية تجاه الإنحياز الفيتنامي للسوفييت وبقي مصير النظام مرتبطا بالصراع الدائر على خلافة التيار الهندي-الصيني.

في عام 1979 بدأ الغزو الفيتنامي، بدعم من الداخل وهو ما أدي إلى نهاية نظام بول

بوت ومع ذلك، كان من الصعب القول أن الأمور عادت إلى طبيعتها. وظلت القوات الفيتنامية في البلاد، بدعم من الحكومة التي تلت ذلك. الغريب أن تلك الحكومة أعتبرت دمية فيتنامية يتم التحكم بها من قبل الولايات المتحدة ورابطة دول جنوب شرق آسيا.

دول (آسيان)، لم تعطي كمبوتشيا مقعد في الأمم المتحدة. تراجع بول بوت نفسه إلى الشئون الداخلية وظل وجوده خطرا وإن كان بعيدا وبقي المشهد السياسي المرتبك ما بين تدخلات الجيران والتجمعات المتصارعة علي الحكم

وفي أماكن أخرى أيضا، كما تشير الأمثلة التالية، كان توجه الدول غالبا ما يعكس التراث والولاءات الشخصية للحاكم. في ظل عدم وجود أي رؤية عالمية لدول شرق آسيا والمحيط الهادي.

تنقل فرديناند ماركوس الذي توفي في المنفى في هونولولو في عام 1989 بين الحضارات المختلفة. وكان قد أعطي، ما لم يحصل عليه أي زعيم اسيوي آخر، وهو الاسم المسيحي الشرفي لملك اسبانيا وكان قد عمد في الكنيسة المستقلة الجديدة للفلبين (بالتواصل مع الطائفة الإنجيلية في جميع أنحاء العالم)، وهو في حد ذاته مؤشرا على الهوية المسيحية الفلبينية المميزة (رغم أن معظم المسيحيين الفلبينيين بقوا علي ملة الروم الكاثوليك).

الالتزام الديني لماركوس، لم يكن كافيا لدعمه في الرئاسة التي انتهت بالثورة الشعبية عام 1986 بعد 21 سنة من الحكم وبقي مقربا من الولايات المتحدة الأمريكية والتقي بشكل دائم مع أميركيين بارزين في مانيلا. وارتفع شأن الأمريكيين المتحدثي اللغة الانجليزية في قطاعات محددة بالمجتمع الفلبيني علاوة على ذلك، اتجه العديد من الفلبينيين للعمل في الخارج كانت تحويلاتهم المالية عنصرا هاما في الاقتصاد المحلي. وزاد هذان الأمران من الصبغة الغربية للفلبين، وكانت المحسوبية الرأسمالية تبرر باعتبارها وسيلة تحرير الفلبينيين من السيطرة التجارية الصينية المحلية الخانقة .وشمل الطابع السلطوي المتزايد لحكومة ماركوس فترة من فرض الأحكام العرفية وهيمنة سياسة المحسوبية.

تطوير البنية التحتية في الفلبين الجديدة سار جنبا إلى جنب مع الفساد. وبمساعدة زوجته المستحوذة حصل ماركوس علي منصب ثاني أكثر القادة فسادا في العالم وفقا لأحد الأبحاث.

استمر سوهارتو بترأس النظام الجديد في إندونيسيا، وشُرِع نظامه عن طريق انتخابات بالتزكية كل ثلاث سنوات.

ابتعد نظامه العسكري عن المكانة التي وضعها سوكارنو لإندونيسيا فى العالم، فموقف سوهارتو كان مناهضا للشيوعيين على نحو راسخ. في عام 1986، تشجع الرئيس ريجان بمعرفة أن سوهارتو كان مناهضا لليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، فقد زل لسان سوهارتو وصرح أن التضخم، والذي قد بلغ معدله 600٪، أصبح تحت السيطرة وان إنتاج الأرز عاد وارتفع. وكان يجادل بأنه التصنيع والنماء الاقتصادي لن ينطلقوا من دون الاستقرار الذي قام بفرضه. بذلك بدى أن إندونيسيا أخيرا تأخذ وضعها على خريطة العالم .

ومن بعدها تم تشجيع الاستثمار الخارجي. دخولاً في الثمانينات، سجلت الدولة معدلات سنوية قوية فى النمو وقامت ادعاءات لخفض الفقر. في نهاية المطاف، قامت اندونيسيا بفرض مكانتها الكبيرة فى العالم. ومع ذلك كان معدل نمو ثراء عائلة سوهارتو يتحقق بضخامة. فقد كان هو من تلا ماركوس واحتل المرتبة الثانية في ذلك اللغز العظيم، وهو مؤشر الثروة العالمي .

كان مُصرَح لحزبين سياسيين بالعمل ولكن ليس إلى الحد الذي يسمح لهما بأن يكونا مؤثرين. على الرغم من نجاحه القسري (المفروض بالقوة)، لم يستطع سوهارتو إخفاء الوجود المستمر للميل للانقسامات. ففي عام 1976، تم إخماد تمرد في اتشيه (شمال سومطرة) بالقوة ولكن السخط استمر.

استمر التعامل مع المشكلة الصينية عن طريق إغلاق المدارس الصينية ومنع المخطوطات الصينية فى الأماكن العامة وتم تشجيع الصينيين على اتخاذ أسماء تبدو

اندونيسية. كانت البلاد لا تملك أي علاقات دبلوماسية مع الصين ومع ذلك لم يمنع كل هذا سوهارتو من التعامل الوثيق مع بعض رجال الأعمال المقربين من ذوي الجنسية الصينية الاندونيسية .

قدم النظام الجديد طرحاً ثالثاً، يختلف عن الشيوعية والإسلام السياسي. وقد واجه سوهارتو صعوبات متزايدة بسبب النوع الأخير. بالنسبة للمسلمين، تتداخل التأثيرات الخارجية بشكل كبير مع حالة التشدد المحلية. ولم يرغب سوهارتو نفسه في تقديم المشروع الإسلامي في بلاده، في ظل انتشار هذا الطرح في أماكن أخرى، واتخذ في بعض الأحيان إجراءات صارمة ضد المتشددين. بالنسبة لجاوة، يمكن أن نعتبره ملك "تقليدي" لديه سلطات روحية. اتسمت علاقات زوجته بالتواضع مع الطبقة الملكية. ولم تحظى الطقوس الملكية برضا الأئمة والتي ظهرت بوضوح في حفلات الزفاف التي أقامتها أسرة سوهارتو . أما النخبة البيروقراطية، والتي تعرفت على الحداثة عن طريق اللغة الإنجليزية، أبقت على علاقة الدولة بالجيش وضيقت الخناق على المعارضين.

استقال الجنرال ني وين (مواليد 1910) من رئاسة بورما – ميانمار في عام 1981، إلا أنه إحتفظ برئاسة الحزب الاشتراكي البورمي حتى عام 1988. كان وين شخصية بارزة منذ البداية، وهيمن على البلاد مع انقلاب 1962. لم يكن أيضاً الرجل الذي يقبل بالمعارضة. وساعدته الخبرات السابقة في علم التنجيم على تشكيل سياسته. وكانت هناك الكثير من أوجه الشبة بين مشكلات بورما والدول المجاورة. واستوحى وين فكرة السيطرة التجارية من الهند (وكذلك الصين)، حيث عاد حوالي 200 ألف هندي إلى بلادهم في عام 1962. وظلت قضية المواطنة معلقة دون حل حتى مرر الجيش قانوناً للمواطنة في عام 1982.

المواطن الكامل هو البورمي أو أفراد الجماعات العرقية أو اللغوية الأصلية الأخرى والتي يثبت نسبهم للسكان الذين يعيشون في البلاد في عام 1823 (عندما بدأت الحرب الأنجلو– بورمية الأولى).

المواطنين المرتبطين هم أولئك المتجنسين أو مواطنين أصليين ولكن ولدوا بعد عام

1823 – من الهنود والصينيين على وجه الخصوص. لم يحصل المواطنين المرتبطين على بعض الحقوق المهمة. هذه التشريعات، التي وضعها محام بورمي تدرب على أيدي الهولنديين، تجاهلت العالم الخارجي في إطار سعيها لإصلاح الهوية الحقيقية للبلاد. لم يكن هناك إستثمار أجنبي أو تشجيع للسياحة (حتى عام 1988). وعلى الصعيد الدولي، أصبحت بورما غير مرئية تقريبا.

كان النظام متقارباً بالفعل تجاه الصين، وأعرب عن تضامنه مع إدانة بكين للتدخل السوفيتي في أفغانستان. بالرغم من أن سيطرة البوذية على بورما كانت واضحة، لكن بناء المعابد كان صعباً، لم يرد وين أن يجعل البوذية هي دين الدولة. وكانت هناك قيود على التجارة التي يملكها الرهبان البوذيين. وكان دور ني وين واضحاً في عودة سلطة الملوك البورمية قبل أن يضع البريطانيون نهاية النظام الملكي. وعاد الأمر إلى وضعه القديم.

في ويلينغتون، بدأ التفكير حول تبعية نيوزيلندا لآسيا والمحيط الهادئ، خاصة بعد شعور الحكومة بالخيانة في قرار البلد الأم بالانضمام إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية في عام 1973. وكان على نيوزيلندا أن تجري تعديل اقتصادي عاجل. هل كان هناك اصطفاف سياسي يدعم ذلك التفكير؟ هل يمكن أن تنضم إلى آسيا؟ الطبيعة الجغرافية تجعل هذه الاحتمالية بعيدة. وهناك اختلافات واضحة مع ثقافة الدول المجاورة، كما سبق أن أوضحنا في الفقرات السابقة. فمعظم المهاجرين في فترة ما بعد الحرب من المملكة المتحدة. وعززت بريطانيا من حس الانتماء في نيوزيلندا برغم بعد المسافة. فإذا كان هناك تعديل ثقافي، لا بد أن يكون من داخل البلد نفسها – في إعادة ضبط العلاقة بين الماوريين والأوروبيين.

بإختصار، حاولت نيوزيلندا التقرب من معسكر الشمال خلال فترة الحراك السياسي، ثم غيرت وجهتها بعد ذلك.

قد يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لأستراليا. يقترب الإقليم الشمالي في استراليا من بابوا غينيا الجديدة، والتي حصلت على استقلالها من كانبيرا في عام 1975، وتقترب أيضا من النصف الغربي من جزيرة غينيا الجديدة، والمعروفة الآن بمقاطعة بابوا الإندونيسية.

ويعتبر استقلال بابوا غينيا الجديدة هو آخر حدث كبير قامت به حكومة حزب العمل برئاسة جوف وايتلام. اعتمد النظام الديمقراطي للدولة الجديدة والتي أشاد بها وايتلام فيما بعد على المعايير الاسترالية. ولكن ما هي هذه المعايير؟ يعمل العديد من المؤرخين بنشاط كبير لكشف النقاب عن هوية جديدة لأستراليا تتحرر من أغلال المسافات.

على الصعيد السياسى، وجد وايتلام نفسه معزولاً من قبل الحاكم العام للبلاد. حل هذا القرار مأزق إصدار التشريعات بين غرفتي البرلمان الاسترالي. يقول النقاد أن ملكة أستراليا، والتي تعيش في لندن، لم تكن تجرؤ على إصدار مثل هذا القرار في المجتمع المحلي. لذلك، هناك من يقول أن الحاكم العام والذي أدى واجبه في مسألة كانبيرا، لم يتصرف بشكل صحيح هذه المرة.

ساعد هذا النزاع، بغض النظر عن سلبياته وإيجابياته، على استيطان الهوية الأسترالية. سعى وايتلام إلى تحقيق سياسة خارجية أكثر استقلالية ولكنه أغضب المتعصبين في حزبه بسبب اصراره على مواصلة التحالف الأمريكي باعتباره عنصرا أساسياً في السياسة الخارجية للدولة. تسبب نمط حياة المهاجرين الأوربيين في خلق أستراليا جديدة، يلعب سكانها الكريكيت ولكنهم غير مرتبطين عاطفيا بوطنهم الأم "المملكة المتحدة". مع بداية الثمانينيات، تكونت طبقة من اليونانيين في ملبورن تجاوز عددهم 200 ألف مواطن، مما يجعلها واحدة من المراكز الرئيسية للسكان اليونانيين في العالم. ساعد هذا التجمع اليوناني على طرح أسئلة حول ماهية مقدونيا وإلى أي شعب تنتمي.

لم يفقد اليوغوسلافيون شهيتهم للدخول في منازعات، حتى مع بعد المسافة، إنه مصير وطنهم، إذا اعتبرنا أنها بلد واحد. ساهم التدهور الاقتصادي في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات في تزايد شعور الأستراليون بالحاجة إلى هوية جديدة، سواء كانت آسيوية، أو أى هوية أخرى.

أعاد بوب هو ك (مواليد 1929)، خريج جامعة أكسفورد، حزب العمل مرة أخرى إلى السلطة في عام 1983 (وتبع ذلك المزيد من النجاحات الانتخابية). أكد هو ك على

ضرورة التحالف مع الولايات المتحدة ولكنه فتح المجال لوزير الخارجية لتطوير الدور الإقليمي للبلاد. لكن لم يحدث شيء يذكر.

ساعدت كانبيرا الولايات المتحدة بعد عام 1984 عندما رفضت حكومة حزب العمال الجديدة في نيوزيلندا أن تسمح للسفن الأمريكية النووية بالشحن على موانئها. رفضت الولايات المتحدة الأمريكية تحديد أي من سفنها كانت مسلحة نووياً. كشفت هذه الحادثة عن فجوة بين أستراليا ونيوزيلندا، خاصة مع تردد إشارات من وقت لآخر تنادي بالوحدة بين البلدين. الآن أصبح الانفصال وشيكاً.

بعد فترة من الزمن، لم تمنع الاعتبارات الاقتصادية والسياسية كلا البلدين من التفكير في المعسكر الآسيوي. ولم يكن جنوب شرق آسيا سيرحب بالضرورة بالأنجلوسكسون الآسيويين، حيث لم يعتاد حكام الدول المجاورة على نكهة العتاب الديمقراطية. فنجد مهاتير محمد، وهو مدني وعضو رابطة الكومنولث، يشير إلى أن أستراليا، على الرغم من أنها بلد كبير، إلا أن عدد سكانها صغير.

كانت، بعبارة أخرى، على هامش المحيط الهادئ وشرق آسيا. بعد تشكيل مجلس التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ في عام 1989، والذي جمع دول أسيان " كندا، أستراليا، نيوزيلندا، اليابان وكوريا الجنوبية" أصبح هناك منظور مختلف للعلاقات.

# 23

## جورباتشوف وريجان : نقطة تحول "1985-1989"

في مارس 1985، عندما أصبح ميخائيل جورباتشوف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي، وكان رونالد ريغان قد أمضى بضعة أشهر في ولايته الثانية كرئيس الولايات المتحدة، لم يستطع أيهما قياس التغيرات في العلاقات بين الشرق والغرب بدقة. على مدى أربعة عقود، كان العالم قد تشكل بشكل كبير عن طريق العلاقة المتقلبة بين كتلتيهما. غالبية الدول وقعت بشكل أو بآخر في تشعبات هذه العلاقة. أجيال قد كبروا دون أن يعرفوا أي عالم آخر. ولدت الحرب الباردة في الخصومة وانغمست فيها، سواء من الاكوادور إلى إريتريا أو كمبوديا إلى كولومبيا، واللتين كان لهما حياة خاصة بها. حتى لو توقفت الأطراف الأساسية عن خلافاتها، قد يستمر التابعين في ذلك لأسبابهم الخاصة. لذلك، تماما كما كان في ظهور الحرب الباردة نفسها، كان لإنهائها بدايات متعددة.في ديسمبر 1989، على متن سفينة سوفيتية قبالة سواحل مالطا، أعلن الرئيس الأميركي الجديد جورج بوش الأب وغورباتشوف أن الحرب الباردة قد انتهت بالفعل. كان ليكون تسرعا التنبؤ مثل هذا البيان قبل أربع سنوات. لم يكن إعلانهم استنتاجا عالميا تم التوصل إليه من خلال مؤتمر شامل متعدد الأطراف. كان في النهاية إعلانا ثنائيا مفاجئا ومقتضبا.

أمور كثيرة اعتمدت على اثنين من الرجال في عام 1985. تم تبادل العديد من الرسائل بين واشنطن وموسكو خلال الصيف فيما كان كلا الجانبين يتحسس طريقه نحو

الاشتباك المباشر. تم استبدال غروميكو المتجهم دائما بشيفاردنادزه المبتسم كوزير الخارجية السوفييتي في يوليو تموز. وتم الاتفاق في نهاية المطاف على أن يجتمع الطرفين الأساسيين على أرض محايدة. وقع الاختيار على جنيف، كموقع للكثير من محاولات خلق السلام العالمي الدائم في القرن العشرين. كان تواجد الكاميرات العالمية كثيفا. في مناقشة خاصة، ضرب ريغان على وتر شخصي مع غورباتشوف. قال: ها نحن اثنين من الرجال الذين ولدا في القرى الريفية الغامضة، فقراء ومن أصول متواضعة.ربما كانا الرجلين الوحيدين الذين يمكن أن يبدأا حربا عالمية، وعلى نفس المنوال، كانا الوحيدين الذين يمكن أن يضمنا السلام العالمي. التقيا أربع مرات، حتى يتفق الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية. أعلن البيان المشترك أن الحرب النووية لا يمكن أبدا أن يكون بها فائز وبالتالي ينبغي أن لا تبدأ أبدا. وحقا ، لا حرب بين البلدين يجب أن تبدأ.

إسع إلى التفوق العسكري على الآخر.بث الرجلين الرسائل المتلفزة على حسن النوايا تجاه شعوب بعضهما البعض في يوم رأس السنة الجديدة 1986، وتعهدوا على الاجتماع مرة أخرى.

رحلة جورباتشوف من قرية ريفية إلى قمة المنصب الرفيع شكلت ديباجة هذا الفصل. وكان ثمة تساؤل في واشنطن ما إذا كان الرجل الجديد يعني ما قاله. نيكسون، الذي أرسل لإجراء تقييم وجها لوجه في يوليو 1986، اعتقد أنه لمح "قبضة حديدية" تحت قفازات الصداقة الناعمة. في رأيه، بقيت أهداف الاتحاد السوفيتي على حالها. لم يكن غورباتشوف من سلالة سوفيتية جديدة ولكن مجرد عينة أذكى والأصغر سنا من أسلافه. كان الحذر ضروري. إذا كان حقا يحاول خلق اتحاد سوفيتي أفضل، ربما على الولايات المتحدة أن تساعده، ولكن هل يكون هناك عالم أفضل بدون أي نوع من الاتحاد السوفيتي؟ ينبغي أن يكون هناك أمل في أكثر من مجرد لينينية جديدة محسنة. ما اعتقده ريغان نفسه كان مبهما.ومع ذلك، فإنه لم يكن الديناصور الذي اعتقده غورباتشوف في البداية وبطريق الخطأ.

بدى ريغان الذي اجتمع بغورباتشوف لأول مرة في عام 1985 مختلفا نوعا ما عن

الرجل الذي راقبه الكرملين لمدة أربع سنوات. بالطبع كان مسار ريغان للبيت الأبيض أكثر إنفتاحا وعلانية من ميار جورباتشوف للكرملين. التماثل في خلفياتهم،وإن تم إقحامه قليلا لأغراض الحوار، قد يضع في الواقع الأساس لنظرة جديدة على العالم. لم يكن لأسرة ريغان شأنا عظيما خلال تنقلها في أنحاء إلينوي في طفولته. لم تكن مؤسسة إلينوي الفنون الحرة، كلية يوريكا، التي ارتادها مرموقة أكاديميا. وكان كوالدته يؤمن بالمسيحية الغير عَقَديّة.كان قد ذهب إلى الإذاعة وبعد ذلك، كما يعرف الجميع ، إلى عقد فيلم في عام 1937 مع شركة وارنر براذرز. وكان قصر نظره قد منعه من الخدمة العسكرية خارج الحدود. لم يكن مسافرا عظيما. خلال السنوات التي قضاها كممثل أفلام، كان قد سافر للخارج مرة واحدة فقط، وكان ذلك إلى بريطانيا ولأغراض التصوير. قبل انتخابه حاكم ولاية كاليفورنيا في عام 1966، وخلال سعيه الحثيث للرئاسة، لم يصبح الرحالة المعتاد، على الرغم من انه قبل بعض البعثات الأجنبية نيابة عن نيكسون.بعد عام 1981، كرئيسا للولايات المتحدة، ذهب بالفعل في أسفاره، رغم ادعائه بالاشتياق إلى زمن كان الرؤساء في وطنهم. كانت للزيارات دورا تلعبه في ترسيخ التفاهم في الصين قبل صيحة نيكسون بإلتهام كل ما يوضع على الطاولة دون الأسئلة. وكانت زياراته للخارج انتقائية وللمناسبات الكبيرة. عمل بقية العالم على زيارة واشنطن لنوع من عمليات التفتيش المنتظمة "الملوك والملكات والرؤساء ورؤساء الوزراء" وكانت كلها محسوبة بعناية.لم يكن أحدهم أكثر زيارة وتواترا من ملك الأردن، حتى وإن كانت بلا سبب. مؤكد أنه كان من المفيد معرفة أن رئيس توغو كان الموالي للغرب ومناهضا للشيوعية أو أن رئيس بوتسوانا وقف بعناد مع العمل الحر والديمقراطية، ولكن لم يكن هناك حاجة لمعرفة المزيد عنهم أو عن بلدانهم.لم تكن لهم مكانة بارزة على خريطة البيت الأبيض للعالم الحقيقي. ما لم يفعله ريغان خلال فترة ولايته الأولى، كان زيارة أو استقبال نظرائه السوفيت. كانت هناك نكتة أنهم لا يعيشون طويلا بما يكفي لجعل التخطيط المسبق لعقد الإجتماع عملا مفيدا، ولكن لم تكن هذه هي القصة كاملة. ريغان الرئيس كان رجلا في السبعين من عمره، وكان راضيا بالعالم الأمريكي كما عرفه.

نظرته للعالم، ومكانة أميركا في هذا العالم، لم تتأثر كثيرا بالتعرض للتعقيدات البعيدة. المريض الذي كان بين يديه، والذي كان على وشك الاستفادة من التفاؤل الذي جاء به، كان الولايات المتحدة نفسها. المبشر بيلي غراهام أطلق عليه لقب "قسيس إلى الأمة".

كان على الشعب الأمريكي استعادة ثقتهم بأنفسهم، إنهاء عقدة فيتنام، إنهاء الانجراف، وإنهاء هذا التآكل الواضح في قوة الولايات المتحدة ونفوذها في العالم. سيتم التغلب على المشاكل الحالية عن طريق استعادة الاقتصاد الحيوي (التخفيضات الضريبية تقوم بالواجب). وكان ميلاد إقتصاد ريغان. أول ضيف أجنبي يظهر في البيت الأبيض، كان تشون، رئيس كوريا الجنوبية.وقيل له أن القوات الأميركية ستبقى في بلاده. بعد أربع سنوات، اصطف مليون من الكوريين في الشوارع وهم يلوحون الأعلام الكورية والأمريكية للترحيب بآل ريغان. كان تنشيط الحس الوطني الأمريكي لمواجهة التهديد الشيوعي حتميا.إعتقد أنه رأى الوجه القبيح لهذا التهديد الذي في العمل، في هوليوود في 1950s، بناء على أوامر مباشرة من الكرملين. لم يختف الأمر. بقي تركيز ريغان منصبا على الإتحاد السوفيتي. لم يعتقد أن تقسيم العالم يعكس واقع جيوسياسي أبدي. يمكن أن يكون هناك عالم أفضل وغير شيوعي. تراث أجداده ايرلندي وبريطاني. كان ريغان مرتاحا سياسيا للقدوم إلى لندن (مع زيارة عائلية واحدة لشركة تيبيراري في أيرلندا).

من وجهة نظره، لجأ البريطانيون إلى ألاعيب دبلوماسية أقل من الفرنسيين.وكان من دواعي سروره أن عددا قليلا من رؤساء الدول الذين زاروا لندن أتيحت لهم فرصة ركوب الخيل مع الملكة إليزابيث. فهم مارغريت تاتشر بسهولة، وهي حرصت على ذلك.

في يونيو حزيران 1982، في حديثه خلال جلسة مشتركة مع البرلمان البريطاني، وكان أول رئيس أمريكي يقوم بذلك، قال أن الاتحاد السوفيتي هو بؤرة الشر في العالم الحديث. ومتحدثا أمام الجمعية الوطنية للإنجيليين في أورلاندو، فلوريدا، مارس 1983، وصف الاتحاد السوفييتي بأنه "إمبراطورية الشر"، وهو علق ذلك اللقب بالاتحاد السوفيتي. هذا المصطلح، على الرغم من أنه خفت في غضون عام، كان ذو نبرة قتالية متعمدة. مسيرة الحرية والديمقراطية، طبقا لفهمه لهذه الشروط، ستترك الماركسية- اللينينية أعلى كومة

رماد التاريخ (وهو ذات الموقع الذي ظنه آخرون مناسبا للرأسمالية).ومع ذلك، كان من الضروري دفع هذه المسيرة إلى الأمام من خلال إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية. اعتقد البعض أن الاتحاد السوفيتي لن يكون قادرا على مواكبة الأمر، سوف ينهار. صار الأمر سهلا جدا للإمبراطورية السوفياتية . وهذا لا يعني بالضرورة أن القوة العسكرية الأمريكية ستنتشر حقا. استخدام وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي ايه) قد يكون كافيا لفضح الضعف السوفياتي خارج قلب أراضيه. مذهب ريجان أكد على الدعم الأمريكي للمقاتلين من أجل الحرية في كل مكان، طالما لم يتضمن ذلك تدخل عسكري أمريكي كبير مباشر. وكانت السلطة هناك في الاحتياطي ووجودها كان سيشجع موسكو للتفاوض حول الأسلحة النووية على وجه الخصوص. عاد خوف الولايات المتحدة الأمريكية من الإبادة المفاجئة والكاملة للجنس البشري. شاهد ريغان سرا التصوير التلفزيوني لـ "اليوم الأخير" (نوفمبر 1983). وشاطر هذا المزاج العام وشاهد معتقدات التدمير المتبادل المؤكد

ومن هنا كانت حماسه لنشر درع المركبة الفضائية للدفاع (مبادرة الدفاع الاستراتيجي، أو SDI)، أعلنت في وقت سابق ذلك العام، والتي كان من شأنها وقف الصواريخ النووية من الوصول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مما يجعلها عديمة الفائدة وعفا عليها الزمن.وبالتالي، بحلول مارس عام 1985 كان هناك خلط في الانطباعات الخارجية لسنوات ريغان. رأى ريغان نفسه في إعادة انتخابه عودة صباح ثقة سعيد في أمريكا.

أما صباح جورباتشوف فلم يكن بهذه الثقة. في الاتحاد السوفياتي كانت هناك تساؤلات داخلية عند كل منعطف دوره الخاص والبيروقراطية والجيش والتخلف التقني وأفغانستان. كانت كلها مترابطة ولم يكن هناك الكثير الذي يتعين القيام به. تحتاج الدولة السوفيتية إلى إعادة الإعمار الشامل (البيريسترويكا). كان من الصعب تحديد ما ترتب على ذلك، لأن العلامات توالت واحدة بعد أخرى في السنوات التالية. ومع ذلك فإن تسارع وتيرة التغيير لا يعني أنه كان محكوما على النظام الاشتراكي بالهلاك. رسالته في مارس

1985 كانت أن التغيير الوشيك يتطلب عدم الانحراف عن اللينينية الأصيلة والصحيحة. كان توقعه ، غير الصحيح كما اتضح، أن حماسته غير المكتملة ستنتشر إلى القادة الشيوعيين متصلبي الرأي في أوروبا الشرقية. ولكن ما انتشر في أبريل 1986، ولكن ليس لجميع البلدان، كان الجسيمات المشعة من انفجار محطة للطاقة النووية في تشرنوبيل في أوكرانيا.تم الكشف عن صورة لعدم الكفاءة. وكان الوقت قد حان ليكون هناك مزيد من الانفتاح (غلاسنوست) حول ما كان يحدث في الاتحاد السوفيتي. التحولات والانعطافات السياسة في هذه السنوات لا يمكن تفصيلها هنا، ولكن ما أصبح واضحا، حتى لغورباتشوف نفسه مع مرور الوقت، كان أن النظام بأكمله في أزمة. لم تعد وجهة الاتحاد السوفييتي واضحة.كان هناك أهمية جديدة للتعايش السلمي. موسكو ببساطة لم يكن يمكنها الحفاظ على عبء الإنفاق العسكري.ليس من المستغرب، إذن، أن المحادثات حول الأسلحة؛ التقليدية منها والنووية، كانت محورية في تلك السنوات.

لم يجتمع غورباتشوف وريغان مرة أخرى حتى أكتوبر 1986 في ريكيافيك، أيسلندا. كان الأول قد اقترح عقد قمة أولية للنظر في صواريخ متوسطة المدى. ثم تم ترتيب اجتماع رسمي للتصديق على كل ما أمكن الاتفاق عليه. وكان الإيقاع قد تغير إلى حد ما. كان هناك حادث تجسس وكانت الولايات المتحدة قد قصفت ليبيا (اعتقادا بأن وفاة جندى امريكى فى برلين كان مقترحا ليبيا. شعرت موسكو أنها مضطرة للإشارة إلى استيائها من هذا الانتقام. وعلاوة على ذلك، ألمح ريغان أنه في نهاية العام قد لا تبقي الولايات المتحدة على حدود SALT II الخاصة بعدد الصواريخ العابرة للقارات. وكان الاجتماع ريكيافيك غير عادي. قال غورباتشوف أنه في غضون عشر سنوات فإن الاتحاد السوفيتي سيتخلص من جميع أسلحته النووية إذا جمد ريغان جميع أعمال التطوير على SDI. رافضا القيام بذلك، مشى الرئيس مبتعدا ببساطة. قال غورباتشوف للمكتب السياسي في أعقاب ذلك أن الأميركيين "اللصوص الحقيقيين"، سيزيدون من الضغط. لم يمكن أن ميول الأوروبيون الغربيون تتباعد عن الأمريكيين.زاد الضغط بالفعل. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتجربتين نوويتين في أوائل فبراير 1987 ورد الاتحاد السوفيتي

بتجربة في وقت لاحق من ذلك الشهر. في أغسطس، وفي زيارته لبرلين، أصدر ريغان تحديا عند بوابة براندنبورغ" سيد غورباتشوف، ادم هذا الجدار".ولكن مثل هذا الخطاب العام لم يوقف المحادثات التي كانت تجري على المستوى الرسمي حول قضايا الصواريخ الشائكة، سواء متوسطة أو بعيدة المدى.

في سبتمبر، أعقب التقدم الكبير الذي أحرز في محادثات في جنيف، اجتماع القمة الثالث الذي عقد في واشنطن في ديسمبر كانون الأول 1987 (كانت زيارة غورباتشوف الأولى لأمريكا). تم التوصل إلى اتفاق لإزالة جميع الأسلحة النووية متوسطة المدى من أوروبا بحلول عام 1991 – كان على الاتحاد السوفيتي تدمير ضعف ما ستدمره الولايات المتحدة الأمريكية. تم وضع آلية للتفتيش. لم يكن هناك أي تعهد أمريكي للتخلي عن SDI.

زار ريغان موسكو بعد ستة أشهر للتصديق رسميا على اتفاق واشنطن وللاتفاق على مزيد من المفاوضات التي تهدف إلى الحد من مبدأ الأسلحة النووية لدى القوتين.مشى الرجلين عبر الساحة الحمراء. كان هوس غورباتشوف قد انتشر في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي فبراير 1988 أعلن غورباتشوف أن القوات السوفيتية ستنسحب من أفغانستان.تم التوقيع على اتفاقية بهذا الخصوص في أبريل في جنيف. الولايات المتحدة الأمريكية بدأت في رفع الحظر التجاري الذي فرضته بسبب الغزو.وفي ديسمبر كانون الاول في الأمم المتحدة، أعلن غورباتشوف أن الاتحاد السوفياتي من شأنه أن يقلل 500،000 من قواته المسلحة من جانب واحد في غضون عامين. وقد رافق هذه القرارات المحددة رنين الإعلانات أن القيم الإنسانية العالمية كانت لتكون أساسا للسياسة الخارجية السوفيتية جنبا إلى جنب مع تغييرات أخرى، بدى أن العالم الجديد كان قادما بسرعة. لم يمكن استعجال جورج بوش الأب، خليفة ريغان من يناير 1989. قال البعض أن ريغان كان شديد الثقة أكثر من اللازم. لم يمتلك بوش أبدا تواصلا خاصا مع الشعب الأمريكي كالذي حظى به ريغان. كان غورباتشوف يواجه انتقادات مماثلة وربما زيادة في الضعف.استراتيجية السلام خاصته قد تكون مدفوعة بالرغبة في منحه الوقت لمعالجة

المشاكل الاقتصادية الكثيرة التي واجهته. كان أكثر شعبية في الخارج منه في وطنه. ولكن بعد تفكير، حافظ بوش على الزخم وذهب في طريقه للقاء غورباتشوف قبالة مالطا. سنتعرض لهم بإيجاز في بداية الجزء الأخير من الكتاب. إن التفاعل بين ريغان وغورباتشوف، في إنهاء الحرب الباردة كان شخصيا. ختم نتائجه على يد خليفة ريغان، كان وطنيا فقط.

كان بقية العالم يشاهد، دون أن يستطيع أحد فهم تفاصيل ما يحدث . عمل المؤرخون دأبا لمواكبة الأحداث، ولم يستطيعوا ذلك. بول كينيدي، وهو مؤرخ الإنجليزية كتب في الولايات المتحدة الأمريكية، خلص تحليله لمشاكل الاتحاد السوفيتي في عام 1986 إلى رفض فكرة أن الاتحاد السوفيتي كان على وشك الانهيار، على الرغم من أنه لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه بلد ذو قوه شبه خارقة للطبيعة.اقترح تحليله للولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تزال رقم واحد في الانخفاض النسبي .لم يكن لأي مجتمع أن يبقى متقدما بشكل دائم عن كل الآخرين.وكان نصيبها من الثروة والسلطة في العالم منذ عام 1945، والتي يمكن اعتبارها 40 في المائة، يزيد كثيرا عن 16 أو 18 في المائة، وهو ما قد يعتقد طبيعيا نظرا لحجما وعدد سكانها ومواردها الطبيعية. حتى لو سقطت الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة ما إلى موقعها الطبيعي – مع القدرة على إدارة انخفاضها بذكاء فإنها تبقى على الرغم من ذلك دولة عظمى في العالم. في الوقت الحاضر، ما فعلته الولايات المتحدة أو لم تفعله كان أكثر أهمية من قرارات أي دولة أخرى. يأتي القوة في أشكال مختلفة. قد يبدو انتهاء الحرب الباردة انتصارا للولايات المتحدة الأمريكية والغرب. إذا كان الأمر كذلك، فقد كان انتصارا ترك العديد من الأسئلة من دون إجابات.

ولكن لم يكن هناك شك، أن شعور العالم بأسره كان يتحرك بعيدا عن مراسي العقود السابقة. مباشرة، نبع من سحب الدعم البعيد بعض العثرات. خلال عام 1989، كان النظام القائم في أوروبا الوسطى والشرقية يتداعى بمعدل متسارع، والدليل الأكثر رمزية كان افتتاح بوابة براندنبورغ، يوم 22 ديسمبر، التي تحدث ريغان أمامها قبل ذلك بأكثر من عامين.بدأ تدمير أجزاء من جدار برلين في 10 نوفمبر تشرين الثاني. وسوف نتناول بمزيد من التفصيل في الجزء الأخير ما استتبع ذلك في أوروبا ومكانتها في العالم. ويكفي أن نشير

هنا إلى أن لا شيء يبدو الآن تماما كما كان عليه منذ عام 1945. دهش قادة أوروبا الغربية عندما علموا بأمر الصفقة التي قد انبثقت من قمة ريكيافيك. وحثوا بوش الذي كان متوترا بما يكفي عندما زارهم في صيف عام 1989، أن يقابل غورباتشوف وجها لوجه. لم يمكن إغلاق الباب. كان زعماء أوروبا الشرقية يواجهون نهاية العالم الذي عرفوه. الاتحاد السوفيتي نفسه قد يكون في خطر.

بعد ذلك، تم سحب القوات الفيتنامية من كمبوتشيا الديمقراطية، التي استأنفت الحياة في العالم، ولكنها لم تكن بعد حياة سلمية، ككمبوديا. تم سحب القوات الكوبية من أنغولا على الرغم من أن الحرب الأهلية التي دامت أربعة عشر عاما قد لا تكون قد انتهت. وكان غورباتشوف قد زار كوبا في إبريل 1989، ومما لا يثير الدهشة، لم يكن كاسترو معجبا بالتفكير الدولي الجديد للسوفيات. الانسحاب السوفيتي قد يهدد بسرعة الأمن والجدوى الاقتصادية لكوبا ويضر دورها في العالم الثالث. ما كان صحيحا في كوبا انطبق أيضا على إثيوبيا وأماكن أخرى.، أثرت نهاية الحرب الباردة على السياسة في جنوب أفريقيا بشكل قد يكون أقل مباشرة، ولكن لازال ملحوظ. وأعطى ذلك مجالا لمحاولة جديدة للتوصل إلى اتفاق بين الطوائف في البلاد. أصبح دي كليرك رئيس الدولة في سبتمبر 1989. لم يعد من ذات المصداقية تصوير حزب المؤتمر الوطني الأفريقي كحصان طروادة للعدوان الشامل من قبل الاتحاد السوفيتي، وهو أمر احتل الأذهان لفترة طويلة من قبل أسلافه. قد تم التوصل إلى منعطف جديد في تاريخ العالم: كان كما قال كأنه تدخلا إلهيا. حدثت تحولات أخرى جديدة. بعض الشخصيات العظيمة ببساطة توفيت. في يونيو توفي آية الله الخميني في إيران، ولكن ليس قبل إصدار فتوى في فبراير تدعوا لموت هندي المولد بريطاني الإقامة "سلمان رشدي"، الذي اعتُبرت روايته آيات شيطانية كفرًا. كان لذلك تأثيرا عالميا بحق. في الشهر السابق في برادفورد (إنجلترا)، حرق المسلمون البريطانيون الرواية علنا ، واختبأ صاحبها. توفي إمبراطور اليابان في يناير كانون الثاني، بعد عهد دام 62 عاما. وبذلك لم يكن الإمبراطور حاضرا ليقبل، خلال الأشهر التي تلت ذلك، استقالة رؤساء وزراء متعاقبين نتيجة فضائح الرشوة والجنس على التوالي. كان

هناك انقلابا عسكريا في باراغواي، أنهى نظام الفريدو ستروسنر الذي استمر 35 عاما. وهلم جرا. لم تتوقف الأحداث، كما سيتضح، كان للنظام العالمي الجديد بعض الأسس الواهية وغير المستقرة إلى حد ما.

## قراءات مستقبلية – الفصل الخامس


Bradnock, Robert, *India's Foreign Policy since 1971* (Routledge, London, 1990).

Brown, Archie, *The Gorbachev Factor* (Oxford University Press, Oxford, 1996).

Carter, Jimmy, *Keeping Faith: Memoirs of a President* (University of Arkansas Press, Fayetteville, 1995).

Cohen, Warren, *America's Response to China: A History of Sino-American Relations* (Columbia University Press, New York, 2010, 2012).

Hirst, David and Beeson, Irene, *Sadat* (Faber & Faber, London, 1981).

Keddie, Nikki R., *Modern Iran: Roots and Results of Revolution* (Yale University Press, London, 2006).

Kingston, Jeff, *Contemporary Japan: History, Politics and Social Change since the 1980s* (Wiley-Blackwell, Oxford, 2010).

McDermott, Anthony, *Egypt from Nasser to Mubarak: A Flawed Revolution* (Croom Helm, London, 1988).

Morley, Morris H., *Imperial States and Revolution: The United States and Cuba, 1952–1986* (Cambridge University Press, Cambridge, 1987).

Okey, Robin, *The Demise of Communist Eastern Europe: 1989 in Context* (Arnold, London, 2004).

Preston, Paul, *The Triumph of Democracy in Spain* (Methuen, London, 1986).

Schoenbaum, David, *The United States and the State of Israel* (Oxford University Press, Oxford, 1999).

Waswo, A., *Modern Japanese Society 1968–1994* (Oxford University Press, Oxford, 1996)

# الجزء السادس

## 1991 - 2011:
## أنظمة العالم الجديد

لا يمكن أن يكون للجزء الأخير نهاية حاسمة. سوف تتجاوز الأحداث أي وضع ينهي الأحداث دائمًا. لم يتم استثناء النهاية المكتوبة في 2012، ولم يتم التأكيد عليها. كان عدم اليقين منتشر عالميًا في هذه الحقبة.

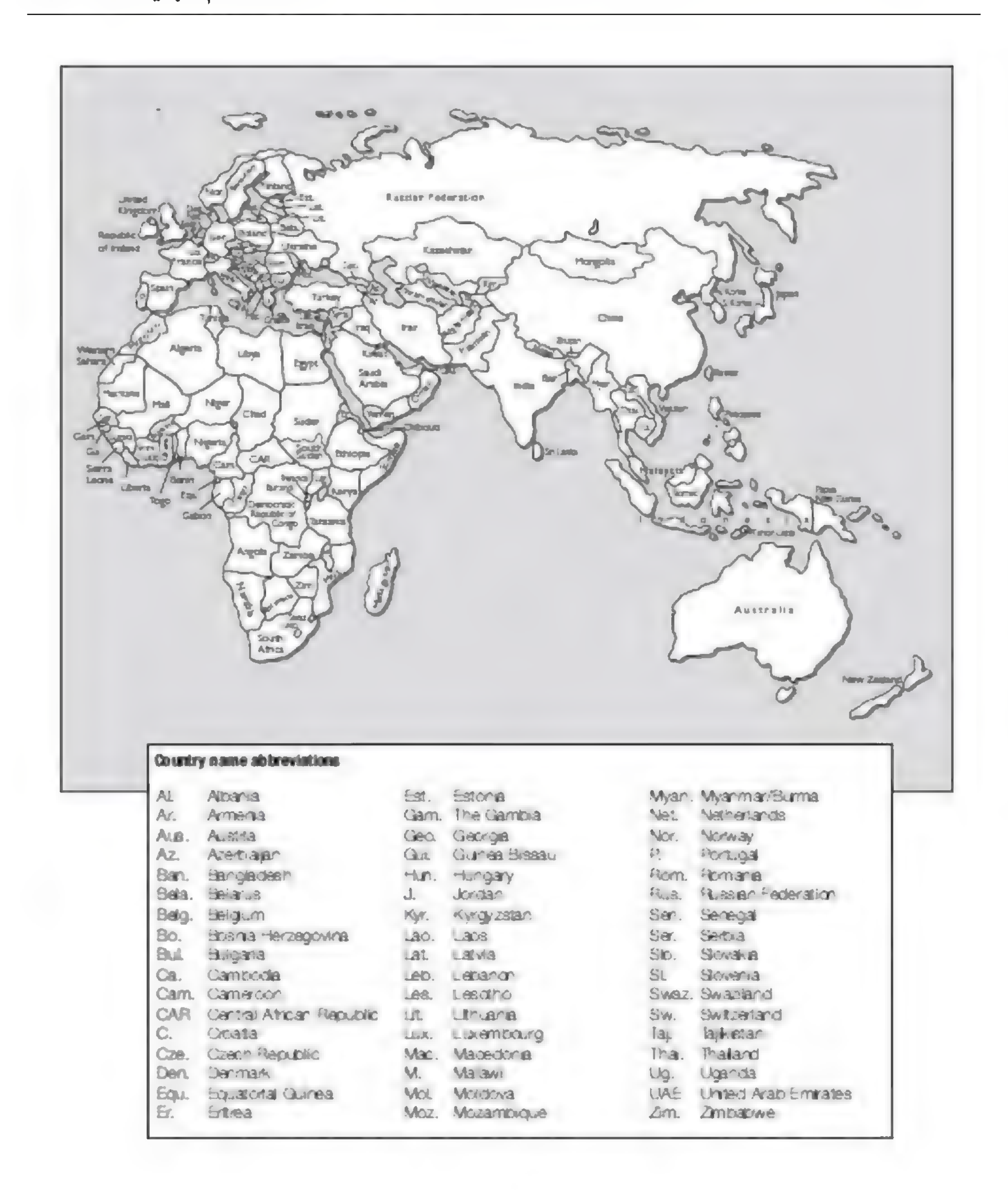
يبدأ الجزء الحالي في حوالي 1991، حيث ظهرت نقطة التحول الأساسية (نهاية الحرب الباردة). حيث لم يخلو موضع من الحديث عن النظام العالمي الجديد. كانت هناك صعوبة في تحديد ملامح هذا النظام مع مرور الوقت. الفصل الأول، على وجه الخصوص يدرس تأثير هذه التطورات على القوى العظمى المهيمنة منذ 1945. كان ملفتًا للانتباه، حيث كان بسيطًا في عرض نصر العالم الحر. مر عقد من الزمان منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي وقعت في عام 2001، حيث حدث هجومًا جويًا على نيويورك وواشنطن؛ قيل فيما بعد أن هذا الحدث "غيّر كل شيء". لم يكن هناك نقطة تحول واحدة فقط بل اثنين مذكورين في هذا الجزء. لنفترض أن كل شيء يتغير، سواء في عام 1991 أو عام 2001، يعكس منظورًا ضيقًا لما نراه. على الرغم أن الهزات التي حدثت في هذه الأعوام كانت

بعيدة المدى، إلا أنها لم تحدث تأثيرًا في كل مكان بالتساوي. بعض الأمور لم تتغير، وبعضها تغير لأسباب مختلفة. تنوع الخبرات كان كبيرًا للغاية مما جعل الأمر صعبًا، إن لم يكن مستحيلاً، لجعل أي تقييم عالميًا بالفعل. تتواصل توابع الحادي عشر من سبتمبر، ولم تصل نقطة التحول الحالية إلى وضع منح هذا الجزء نهاية بديهية. باختصار كل شيء يظل مؤقتًا وغير دائم.

يعرض الوقت الحاضر - يُحتسب هذا الوقت من عام 2011 والأعوام السابقة له – صعوبات وراء غياب وضوح نقاط الانتقال. يعتبر السياسيون والمعلقون في جميع القارات أن العالم فقد طريقه. يوجد أزمة عالمية. وكثيرًا ما تم الإعراب عن الشك حول قدرة العالم على العمل. تم الطعن في صحة الادعاءات، المعلن عنها وغير المعلن عنها،




الخريطة (9) العالم في عام 2012




بشأن نظام العالم الذي كان مهيمنًا لعقود. لم يتباطأ المعلقين الإعلاميين في الاستقراء من الأوقات الحالية. فهم ينتجون تقييمات للعناوين التي تتصدر الصحف: "انهيار الولايات المتحدة الأمريكية"، "فشل أوروبا"، "بزوغ نجم الصين"، "نهوض روسيا"، "الظهور الأول للبرازيل"، وما إلى ذلك. وهناك اتفاق إجماعي على أن العالم اختل توازنه

حاليًا، ومعرض لخطر الجمود . لا يُمكن تحديد طريقة لإنشاء توازن بين الدول والأنظمة بناء على جدول زمني في هذا الكتاب.

ينبغي أن يحدد التاريخ العالمي موقعه داخل شبكة العلاقات هذه. يمكن أن يطمح عدد قليل جدًا من البلدان، ليست البلدان الكبيرة، إلى عدم المشاركة في عالم متشابك. يُمكن أن تذهب القرارات الفردية والجماعية على مستوى الدولة أدراج الرياح قبل أن يتم تقييدها بعوامل وقوى خارجة عن سيطرتنا. لا يمكن أن تكون الحكومات والوكالات والشركات، على مستوى المواجهة بين القطاعين العام والخاص متفاوتة الحجم والنطاق، أكثر وضوحًا وسهولة وسرعة في إدارة عمليات التواصل من المؤرخين الذين يمكنهم تحديد جوهرها ومركزها. في هذه الظروف ، في عام 1991، توصلنا إلى نقطة الأزمة التاريخية؛ الذي لخصها المؤرخ البريطاني إيريك هوبسباوم. الذي صاح بأنه يجب تغيير عالمنا (1991)، والذي أوضح في كتاب لاحق الطريقة التي يتم بها تغيير العالم. وصف الأزمة التاريخية كذلك يفقد أثرها كما يخيم عليها وتصبح كيف تسير الأمور. تغيرت العديد من خصائص العالم بالطبع في عام 1991، لكن لن يستجيب ببساطة لتعليمات المؤرخين البارزين. يبدوا أن العالم ليس لديه سوى القدرة على الاستجابة بشكل جماعي وفعال لتلك القضايا التي تهدد الحياة العالمية، بناء على اتفاق مشترك ومن بين تلك القضايا؛ التضخم السكاني، والتغير المناخي، والبيئة، والموارد الطبيعية. في حين أن هذه المسائل عالمية وستظل هكذا، إلا أن المؤتمرات الدولية التي لا تحصر ولا تعد على جميع الأصعدة، مثل هذه اللقاءات تكشف أن العالم على هذا النحو لا يمكنه أن يتخذ موقفًا بشأنها. ينشأ الاتفاق الجماعي على هذه الأمور، حيثما أمكن، عندما يتم الكشف عن وجهات النظر المختلفة. لذلك الأجزاء البارزة، مثل الفصول التالية، تكشف كل من المخاوف والطموحات وأوجه عدم المساواة.

# 24

# القوى العظمى: إعادة التفكير المنشود

## العهد الجديد؟ بوش وغورباتشوفي في مالطا

حدد هذين الاثنين الاتجاه في بداية الأمر. كانت اللغة التي استخدمها كل من ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش على متن السفينة الراسية في ميناء مالطا في ديسمبر 1989بعيدة الشأن، حيث أعلن السالف ذكره أن العالم أنهى عهدًا وبدأ آخر جديدًا. وأعرب الأخير عن تحول العلاقة بين الشرق والغرب إلى علاقة دائمة التعاون. عرف جورج دبليو بوش (1924) الكثير عن العالم بالفعل أكثر من معظم رؤساء الولايات المتحدة. ولقد احتفى زملائه الجمهوريين بتحذيره الأولي، إلا أن آخرين، بما في ذلك بعض من زملائه في الحزب، شعروا أن الوقت قد حان للانطلاق. لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون في المركز الثاني بعد الاتحاد السوفيتي، لذلك تسعى الآن لجعل العالم آمنًا للديمقراطية. ومن المفارقات على الرغم من ذلك، تجلى التعاون الدائم في البداية في المنافسة الفعلية لامتلاك هذا العالم الجديد. تم وضع القاطنون في مالطا في عام 1989، ليتذكروا زوارهم الأقوياء. على مدى القرون لم يوضح تاريخهم الانعزالي التي بين العوالم التعاون الدائم بين الشرق والغرب. التحول الذي تحدث عنه بوش لأسباب غير مفهومة تأخذها موسكو وواشنطن في الاعتبار في المقام الأول. ومع ذلك قد يكون من الصعب التعاون المؤقت بين الشرق والغرب، المتخيل حدوثه على نطاق واسع. حتى في الميناء،

كانت المياه المالطية في ديسمبر 1989 متلاطمة. كان ليكون هناك عبورًا سلسًا للعهد الجديد. لم تختفي العوالم القديمة بين عشية وضحاها. انهارت بعد ذلك بعض هياكل الدول، والتي على ما يبدو كانت آمنة في عام 1991. وتم إحياء العداوات القديمة التي كانت قد ذهبت أدراج الرياح .إن خطاب النظام العالمي الجديد، على الرغم أنه كان غالبًا باطلاً، لم يعبر إلى حد ما عن الشعور الجماعي للعالم الذي يتطور، حيث تم تصويره على نطاق كبير آخر عام 1945. ويجرى استبدال الإطار القديم من قبل جانب واحد حيث أن مفهوم النظام بدا إشكالية. أفسحت العوالم الحرة والعوالم الشيوعية والعوالم غير المنحازة، التي لديها على الأقل اتجاهات تفسيرية واضحة، الطريق أمام الحركية وعدم اليقين.

### الأمم المتحدة: هل تفي بالغرض؟

بحلول عام 1989، تابع غورباتشوف بشكل مستمر لبعض الوقت عرض "التفكير الجديد لبلادنا والعالم". في ديسمبر 1988، تحدث عن هذه الشروط أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة. لقد ذكر أنه حان الوقت للتأكيد على مركزية المنظمة. وذكر أيضًا أن الحرب الباردة أردعت مجلس الأمن من تنفيذ دوره المصمم له، لكن الأمور ستختلف كثيرًا.كان المناخ الجديد بين أعضائه الدائمين واضحًا في الواقع. على سبيل المثال، لاحظ المندوب البريطاني ظهور مجموعات جديدة من الدول. في بعض القضايا، وجد نفسه أقرب لخصومه السابقين من أصدقائه القدامى. كانت مجموعة دول عدم الانحياز الـ 77 دولة مشتتة إلى حد ما وغير منحازة. في الوقت الحالي كانت هناك حركة على الأقل، وكانت هناك قضايا جديدة. في عام 1987، أثار تقرير لجنة برونتلاند عن البيئة والتنمية جدلاً دائمًا عن المسائل التي تتجاوز حدود الدول.

لكن ليس بالبساطة التأكيد بالعودة إلى ما قد يكون قد بدر في أذهان القوى العظمى في عام 1945. كانت الأمم المتحدة نتاج العصر الحديث، على الرغم أنها أصبحت متعددة الأبعاد. قد يحتاج العالم المعاصر إلى إعادة إحياء الأمم المتحدة، لكن من سيتمكن من إحيائها؟ تم تجميع مسائل التمويل، والتنظيم، والكفاءة، والنزاهة، والعمل، والتكوين معًا ووضعها على طاولة الأمم المتحدة نفسها للمناقشة. هل سيتمكن الأمين العام للأمم

المتحدة تجسيد طموحات العالم؟ في عام 1982، شغل هذا المنصب الدبلوماسي البيروفي بيريز دي كويلار (1920)، وكان سلفه النمساوي كورت فالدهايم، الذي أصبح رئيسًا للنمسا من عام 1986 حتى 1992، وهو الرجل الذي تضاءلت منزلته نتيجة الخلاف حول عمله وقت شن الحرب. كانت أمريكا الجنوبية في هذا المنصب علامة متواضعة للظهور العالمي، لكن كانت ولايتها قد شارفت على الانتهاء. سيكون هناك ضغطًا لا مفر منه لإيجاد وريث مقبول. لذلك تحولت الأنظار إلى بطرس بطرس غالي (عام 1922)، كان مسيحيًا قبطيًا مصريًا، يتمتع بروابط فكرية وشخصية قوية مع باريس، وفيما بعد مع العالم الفرانكوفوني (الناطق بالفرنسية). وكان إصدار ما يُسمى "خُطة للسلام" من أولى خطواته في عام 1922. على الرغم أنه وضع خطة، إلا أنه لم يفعل أي شيء بها أو بمعنى آخر لم يُسمح له بفعل شيء آخر. لا يمكن لأي قدر من الحديث عن مركزية الأمم المتحدة في العالم الجديد أن يخفي مدى قدرتها التشغيلية، حتى على أبسط مستوى أساسي للتمويل، اعتمادًا على مشاركة دول العالم، مع كل مصالحها الخاصة. انتشار المنظمات الدولية التي ترغب في عمل شيء للتوسعة ليست فقط المفاهيم القانونية للسيادة من الناحية النظرية ولكن أيضًا من الناحية العملية التي يرغب فيها القادة الوطنيين في الاحتفاظ بها لأنفسهم.

وفي خطاباته أمام الكونجرس في سبتمبر 1990 وأماكن أخرى، رسم بوش مخططًا لعمل شراكة من شأنها أن تُمكن الأهداف المذكورة في الأمم المتحدة أن تؤتي ثمارها. ومع ذلك ظلت التفاصيل مبهمة، وبقدر ما تم إسناد النظام الجديد إلى العلاقات الشخصية بين الرجلين، حيث تحول جورباتشوف لكن سيظل لمدة عامين في منصبه. لم يكن أيضًا لبوش فترة ثانية. حيث انهزم في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 1992. لذلك لم يدم العهد الجديد الذي كان يُجرى تحديده في مالطا طويلاً. حل بدل الشراكة السوفيتية الأمريكية الجديدة نمطًا معقدًا من العلاقات العالمية، على الرغم أنها كانت تبدو في أوج انتعاشها. وفي حديثه أمام الأمم المتحدة، يجري غورباتشوف في ترتيبات العلاقات، في نفس الوقت الذي يشارك العالم فيما قام بتحديده بالقوى الكبرى، وهي الولايات المتحدة

الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وأوروبا، والهند، والصين، واليابان، والبرازيل. يتم التركيز على هذه الكيانات، بالإضافة إلى الشرق الأوسط وأفريقيا الغائبة في الفصول المتبقية إلى حد كبير.

لا زال العالم يحسب حسابات القوى العظمى. حيث كانت هذه القوى أقوى منهم، وفي غضون بضع سنوات، تلاشت إحدى القوى العظمى السبعة وهي الاتحاد السوفيتي. وكان لابد من تعريف قوى أخرى، وهي أوروبا من جديد. ومن المرجح أيضًا أن هذه القوى العظمى اعتقدوا أنهم قوى رئيسية بالطريقة ذاتها، إلا أنها قد تتغير. وحسب الوضع الحالي للأمور، كان هناك احتمالاً ضئيلاً في الرغبة في المشاركة من جانبهم لدعم العالم من خلال الأمم المتحدة. إلى جانب ذلك، كان هناك تعسفًا واضحًا في تحديد هذه القوى وغيرها من الدول المرشحة الأخرى (إيران أو إندونيسيا) التي قد تكون مؤهلة لذلك. كانت هناك أيضًا قوى صغيرة، لا سيما في منطقة الشرق الأوسط، وهي قوى تتحكم في موارد العالم المهمة مما يجعلهم لاعبين رئيسيين. وبالطبع حملت قائمة غورباتشوف رسالة إلى جميع القارات. كانت الرسالة الأكثر وضوحًا أن أفريقيا ليست من القوى العظمى. أما بالنسبة للشرق الأوسط فاستمر في التقلب وكان بالفعل يقوم بطرح المسائل الرئيسية والمسببة للخلاف للمجتمع الدولي.

## الحضارات: هل يوجد صدام حضارات؟

ظهرت سُبل أخرى للنظر إلى العالم في التسعينيات. نشر العالم السياسي في جامعة هارفارد صموئيل هنتجتون (1927) "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي" في عام 1996، حيث أعرب بالتفصيل عن آراءه في وقت سابق في مجلة الشؤون الخارجية. تخصص في تصادم الحضارات في كتاباته. لفت عنوان كتابه انتباه العالم بأجمعه. يجب أن يتم إلغاء الخريطة العالمية المصورة وكل ما يتعلق بالعالم الحر/ العالم الشيوعي/ الدول الصغيرة المحايدة تمامًا. ومن هذه الناحية، اعتقد إنه ينبغي أن يأتي بخريطة توضح هذه الحضارات. حيث تعني كلمة "غربي" أمريكا الشمالية وأوروبا اللذين يمتدان من الشرق، لكن ليس بعيدًا جدًا عن الشرق، هذا يترك مساحة للعالم الأرثوذكسي. كانت أمريكا اللاتينية

واليابان عالمين لوحدهم. كان هناك أيضًا العوالم البوذية والهندوسية و الإسلامية. العالم الإسلامي يُشكل كتلة واضحة إلى حد ما (شمل ذلك شمال أفريقيا والسواحل الإفريقية الشرقية)، لكن ذكرها التخطيط تحت مسمى العالم الإفريقي، وليس تحت مسمى العالم الإسلامي. بالكاد كان تصوير عالم الحضارات ارتقاء كبيرًا. ولت الشهرة العالمية للمؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي"، الذي بذل مجهودًا مضنيًا في سبيل تذليل التحديات والاستجابات على نقيض الحضارات. كان اعتقاد هنتنجتون أن الأشخاص عرّفوا أنفسهم بناءً على النسب، واللغة، والدين، والعادات. لم تعتمد الفروق المميزة على الإيدولوجية أو الحالة الاقتصادية، لكنها اعتمدت على الثقافة. الصراعات التي ظهرت أو التي استمرت لفترة طويلة لم تحل، يمكن العثور على حل لها حيث حضارات العالم كانت الأكثر وضوحًا، البوسنة، والشيشان، والقوقاز، وآسيا الوسطى، وكشمير، والشرق الأوسط، والتبت، وسريلانكا، والسودان. استنتاجه كان قاسٍ. سيكون صراع الحضارات، بدلاً من الدول أو الأمم هو السمة المميزة للعصر الجديد. في هذه القراءة لم يعد يركز العالم على الدول والأمم.

أثرّت طبيعة العالم نفسها مرة أخرى على المعلقين من جميع أنحاء العالم في أعقاب الجدل الذي أثاره الكتاب. استمرت مقومات الحضارة في مقاومة الاستيعاب والاستغراق أو الإدماج في عالم محكم. لقد لمسوا العولمة المؤسسية، والتعويم الحر، وهوياتهم المعتزين بها المهددة، ومعتقداتهم، وتراثهم. أصبح هذا التوتر الأساسي أكثر حدة في أواخر القرن العشرين، كما تسارعت الثقافات بعيدًا عن الممارسات الإقليمية التي منحها لهم التاريخ. التطورات التكنولوجية أنشئت مواقف في تلك المجتمعات، على الرغم أن المقيمين في إحدى الدول تمكنوا من الاستمرار حتى الآن في مشاهدة حياة وطنهم والمشاركة فيه. من الممكن أن الثقافات لم تعد بحاجة إلى أراضي.

على الرغم أنه ادعى عدم وجود حل شامل، إلا أن غورباتشوف كان مشغولاً في الكشف عن العوالم الجديدة في كل مكان. كما أمن بطريقة متعددة الأبعاد (على الرغم من التناقض) كان هناك توق للاستقلالية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية. كانت هناك

عدة مشكلات، مثل الطعام، والطاقة، والبيئة المطلوب من العالم حلها. ساعد اجتياح ثورة النقل والاتصالات على جعل العالم مكان واحدًا بشكل واضح وملموس، وربما أكثر تنظيمًا أكثر مما قبل. هذه الأوصاف العامة لها أثار محلية مختلفة حتى الآن. كان برج التلفزيون، في فيلينيسو عاصمة ليتوانيا السوفياتية، جزءًا من ثورة الاتصالات العالمية التي أشار إليها غورباتشوف، لكن وجد أيضًا لها أهمية محلية مربكة.

## البداية من بحر البلطيق

لم يكن العالم الجديد، الذي تلاشى فيه وجود الاتحاد السوفيتي، أمرًا أراده غورباتشوف في عام 1989. في الواقع، كلا الحالتين لديهم هدفًا غريبًا. على الرغم من ذلك، إنه هيكل حالي موجود تحت الضغط. في ربيع 1990، كان هناك اضطراب في مدينة فيلنيوس. صوت البرلمانيون الليتوانيون لصالح الانفصال عن الاتحاد السوفيتي. في أغسطس السابق، شكّل نحو مليوني شخص، من ثلاث جمهوريات سوفيتية بلطيقية، سلسلة بشرية للاحتجاج. ظهر الهدف من الاستقلالية المستأنفة لهم أكثر جاذبية وإمكانية. حاول غورباتشوف فرض حصارً اقتصاديًا على ليتوانيا، لكنه لم يتمكن من تغيير العقول. في 13 يناير 1991، اقتحمت قوات الأمن السوفيتية برج التلفزيون بفيلنيوس. أراد المتشددون في موسكو السيطرة على هذا لا سيما موقع الاتصالات. ولم تكن تلك الإجراءات المتوقعة من الدولة التي حاز رئيسها (أصبح غورباتشوف في الآونة الأخيرة) جائزة نوبل للسلام في أكتوبر السابق. عندما تهجمت قوات الامن على البرلمان الليتواني في هذا الشهر، ربط آلاف الأشخاص أياديهم لإيقافهم، وتم قتل أربعة عشر شخصًا. على الرغم من ذلك، لم يتم التركيز على التقدم العسكري. أخذ غورباتشوف مسارًا مختلفًا، يؤكد طابع الدول الاشتراكية للاتحاد السوفيتي. ما من كلمة تعبر أكثر من كلمة السيادة في هذه المرحلة. في فبراير 1991 فضّل أكثر من 90 في المائة من الليتوانيين الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي (كما حدث وضعًا مشابهًا في لاتفيا، وإستونيا في مارس، على الرغم من أن الغالبية كانت صغيرة). استمر غورباتشوف في التفكير في عقد معاهدة اتحاد جديدة واختيارية يُمكنه بها النجاح في الاحتفاظ بوحدة الاتحاد السوفيتي بطريقة أو بأخرى. كان

لديه دولة مُستعدة للتوقيع في أغسطس 1991، وذلك بعد حدوث محاولة انقلاب عليه. ادعى المتآمرون أنهم كانوا يحاولون الحفاظ على وحدة الاتحاد السوفيتي وإيقاف انهياره. حدث ذلك الانقلاب في موسكو. كان غورباتشوف في شبة جزيرة القرم (ولم يستسلم)، لكن فشل الانقلاب. في أعقاب ذلك، لم تتمكن موسكو من عقد معاهدة الاتحاد. بحلول سبتمبر، اعترف رسميًا اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاثة ودعم طلباتهم للحصول على عضوية الأمم المتحدة. لم يكن هناك أمرًا بسيطًا لإعادته، على سبيل المثال بشأن فيلنيوس، فهي مدينة متعددة الأسماء. ففي فترة ما بين الحربين، كانت بولندا ونحو ثلثي سكانها يعدون أنفسهم بولنديين وثلث يعد نفسه يهوديين. ونادرًا ما يتم التصنيف كـ "ليتوانيين". إلا في 2001، اعتبرت أغلبية ضعيفة نفسها من الليتوانيين. تعد قصة فيلنيوس المعقدة بمثابة مثال عن تعريف الانتشار وإعادة التعريف التي كانت تدور في عالم دول البلطيق. تختلف هذه الدول عن بعضها البعض، لا سيما السكان الروس، على الرغم من انضمام إستونيا ولاتفيا إلى ليتوانيا في مواجهة المشاكل الكبرى للتكيف الاقتصادي. بمجرد إنتهاء المناخ المتدهور من الاستقلالية المستعادة، ازدادت صعوبة تطوير الديمقراطيات العاملة بطريقة فعالة، حيث لم يمنح ماضيهم أي دليلاً مفيدًا يؤخذ في الاعتبار بخصوص هذا الشأن. انتشرت أحزاب سياسية بأعداد كبيرة، مع ظهور الحكومات الائتلافية بنتائجها المحتومة والتي كانت في بعض الأحيان غير مستقرة. وجرى تكوين عالم البلطيق في سياق آخر حيث التوازنات العرقية الحالية والإصدارات الأهلية للأزمان الماضية الوطنية التي يمكن أن تشتبك بسهولة. كان يجب على ليتوانيا، ولاتفيا، وإستونيا، وبولندا، وبيلاروسيا/ روسيا البيضاء، والسويد، وفنلندا، وبالطبع روسيا إقامة علاقات جديدة. مجازًا، أخذت دول البلطيق الثلاثة المُشكلة الطريق إلى الغرب (وبالنسبة لبعض المواطنين، لم يكن الطريق قط مجازيًا)، على الرغم من ذلك قد تكون الرحلة معقدة. نجحت طلبات الحصول على عضوية الناتو والاتحاد الأوروبي في 2004. أدوا دورًا مهمًا على الرغم من أن الدور كان ضئيلاً في سياسات الاتحاد الأوروبي بعد ذلك.

## إعادة تشكيل روسيا

امتدت روسيا (هذا يعني الاتحاد الروسي) من كالينينغراد في بحر البلطيق وفلاديفوستوك في المحيط الهادي المجاورة للصين وكوريا الشمالية. وظلت واسعة سواء في مداها أو تعقيدها. تبع ذلك مسألة أخرى، كانت مسألة قديمة لكنها أساسية. ماذا كانت روسيا هذه؟ وما العالم التي تنتمي إليه الآن؟ تتجلى المسألة الروسية في نزاعات 1990 –1991. حيث أتى بوريس يلتسين (مواليد 1931)، الذي كان على خلاف مع غورباتشوف، وأوضح الحالة الروسية بدلاً من الحالة السوفيتية. حيث كان دوره في أزمة الانقلاب في موسكو الذي حدث في أغسطس 1991 أمرًا حاسمًا. ففي الشهر السابق للأزمة أدى اليمين كرئيسًا للاتحاد الروسي، وتلقى مباركة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. ربما كان هذا العلامة الأولى على التجديد الروسي بأكمله. كان الوقت قد حان لاستلام الرجال الروسيين المعمودية التي أهملها عائلاتهم لأسباب مجهولة. ربما ظهرت هذه النسخة الجديدة في حقبة القومية. كان كيريل الأول أسقف الكنيسة الأرثوذكسية وبطريرك موسكو وعموم روسيا منذ فبراير 2009 في خدمة الرئيس ميدفيديف ورئيس وزرائه فلاديمير بوتين. وفي الماضي كان قد أجرى اتصالات خارجية واسعة النطاق من خلال المجلس الكنائسى العالمي. على الرغم من ذلك، هذا الأمر لا يعني أنه قد أصبح نوعًا من الليبرالية الغربية. في الواقع فضل المادية الزائفة المزعومة لتكون متأصلة في عصر نهضة أوروبا، والإصلاح والتنوير (يتخيل أن هذا الأمر مستمرًا). كان لديه سيمفونية جديدة لكن تتمتع بروحانية قديمة لهذا الغرض. لكن إذا كانت هذه الرؤية حقًا "الطريقة الأرثوذكسية" للمستقبل، فكم عدد المواطنين الروس الذين يتشاركون فيها؟

ولد فلاديمير بوتين (عام 1952 ميلاديًا)، واختاره يلتسين في شهر أغسطس عام 1989 ليكون رئيس وزراءه، في لينينغراد. عنى عمره أنه لم يملك أي ذاكرة شخصية عن الحرب الوطنية العظمى. لم تؤثر وفاة ستالين في عام 1953 على أي شخص. استمرت تجربة لينينغراد في زمن الحرب لوقت طويل وبشكل عميق في حياتها المعاصرة. لن يهرب أي صبي ينمو هناك ويدرس في جامعة بلده من هذا الإرث المطوق من الحصار التاريخي

في زمن الحرب. عبرت لينينغراد عن مجد روسيا وضعفها، محافظة على التوازن بين الشرق والغرب. دخل خريج الحقوق هذا الاستخبارات السوفيتية (وكالة الأمن القومي). في عام 1985، كان من المرابطين في دريسدن (كانت إحدى المدن التي أصابتها لعنة الحرب). لم يحضر بوتين إلى هناك، على الرغم من استكشاف التراث الثقافي الأوروبي للمدينة أو التحرّق شوقًا إلى الوطن الأوروبي المشترك. ركز تجسسه على الشئون الأخرى في الدولة، مثل الحصن السوفيتي، التي إلى حد ما ظلت بعيدة عن الغرب.

كان من الصعب القول أن النظام السياسي والاقتصادي يتطور في هذا الوضع الفوضوي للتغيير الروسي في التسعينيات. وحان الوقت للكشف عن الصفقات الكبيرة والفساد المصاحب لها. لقد تعرّف العالم الخارجي على أعضاء في حكومة الأقلية للثورة المفاجئة العظيمة الذين ظهروا على ما يبدو من العدم كما بيعت أصول الدولة. كان هناك نوعًا من الديمقراطية، على الرغم من أن هناك شك بشأن ما اعتقده الغربيون من وجود الديمقراطية. لم تكن يلتسين آمنة لأسباب عديدة، لكنه نجا. يرى المعلقون الخارجيون أن السياسة الخارجية تتجه إلى اتجاه واحد أو أكثر، واعتقدوا أن التحول في روسيا سيتطلب إلى عقد أو ربما اثنين. أما المطلعين على الأمر اعتقدوا أن الأمر ينبغي أن يأخذ ستة أشهر. كانت المشكلة الرئيسية، الشائعة في أي مكان في ظروف مماثلة، اكتشاف ماهية أي حزب سياسي على أرض الواقع. تكونت الجماعات السياسية وانحلت بسرعة كبيرة. يجب أن تتدبر روسيا أمرها وتعمل على إصلاح الوضع. في عام 1999، كان بوتين رئيس وزراء غير معروف في البداية. بدا الأمر كما لو كان يجري على أن بوتين خليفة ليلتسين. في عام 2000 أُنتخب رئيسًا في الانتخابات الوطنية. بعد أربع سنوات، حصل على 71 في المائة من الأصوات. أثبت أنه بارعًا كأي زعيم غربي في تمييز نفسه. القاعدة الشخصية الذي طورها ليست الديكتاتورية ولا المناخ الغربي، لكنه أنشأ واستفاد من الشعور بأن روسيا قادمة وفقًا لشروطها. كان يريد يلتسين رؤية روسيا التي كانت تحتل وضعًا عالميًا تحت مسمى الاتحاد السوفيتي، لكن في الظروف المحلية للتسعينيات التي كانت من الممكن أن تتحمل هذا الوضع. عمل نظام الإحياء الذي عمل به بوتين على تغيير الوضع. لم يتخذ المراقبين

الخارجيين، سواء الأمريكيين منهم أو الأوروبيين الغربيين، قرارهم بشأن ارتياحهم للاستقرار والازدهار المحلي المستقطب أو انزعاجهم من قوة نظام بوتين المهجن. عنت عملية انتخابه لفترة أخرى كرئيس للاتحاد السوفيتي، بعد أن كان رئيسًا للوزراء، في عام 2012 استمرار حالة الريبة هذه. كانت هناك شكوك حول نزاهة الانتخابات وبعض الأدلة العامة عن حالة الاستياء. اعتقد البعض بعد ذلك أن هناك تطورات تفيد أن هناك شيء يُدعى الطابع القومي الروسي. هناك مفارقة أخرى أن روسيا الجديدة لم يكن بها شيخوخة سكان فقط، بل أيضًا انحطاط في القيم.

## الاتحاد السوفيتي السابق: إعادة البناء

قد يكون هناك بعض "السلافيين" الذين لا زالوا على قيد الحياة. ضمن البيئة المحيطة بها ربما ما زالت روسيا تمارس نوعًا من الهيمنة بما أن العديد من الطرق لا زالت تؤدي إلى موسكو. يُمكن بالكاد للجيران المجاورين تجنب بعض العلاقات الخاصة معها. بعد كل شيء، كان لا يزال هناك روسيين في كل مكان في الاتحاد السوفيتي السابق وبلا أدنى شك أرادوا العودة إلى أوطانهم (أو حتى عرفوا مكان وطنهم). في مولدوفا، استاء عدد كاف من الروسيين من المثالية ليتمكنوا من إقامة جمهوريتهم الخاصة في شرق البلاد. مكنت الحماية الروسية هذا النظام من البقاء، وبمرور الوقت، طورت الحكومتين في مولدوفا علاقات العمل الغريبة. كان لموسكو كل الحق للضغط لاستمرار اللغة الروسية كلغة مشتركة لا زالت تربط العالم السوفيتي السابق. ظهرت رابطة الدول المستقلة في عام 1991، باستثناء دول البلطيق، وانضمت جميع الدول الخلف بشكل مبدأي إلى الرابطة. كان مقرها في مينسك في بيلاروسيا وليس في روسيا، على الرغم من سيطرة الأعضاء الروسيين. من البداية كان لابد للرابطة من تحقيق المستحيل. المسائل التي تم مناقشتها كانت متوقعة "العملة المشتركة، أو منطقة اقتصادية مشتركة، أو قوات عسكرية مشتركة، أو على الأقل الإستراتيجية العسكرية". لم يتم إثبات انعقاد أي اتفاق ممكن في أي مسألة من المسائل السابقة على مر عقدين من الزمان. لم يكن هناك لائحة واحدة معتمدة. انضمت الدول بشكل فردي رويدًا رويدًا. أكدت جميع الدول استقلاليتها، لكن مع ذلك

استمروا في الاجتماع، على الرغم من عدم استقلاليتهم تمامًا على أرض الواقع. في أعقاب الصراع العسكري مع روسيا، انسحبت جورجيا من العضوية فعلاً.

تكّون السلافيون الأصليون للاتحاد السوفيتي القديم الآن من ثلاث دول: بيلاروس، وأوكرانيا، والاتحاد الروسي. كان السؤال المُحيّر أكانوا مختلفين عن بعضهم بشكل جوهري أم لا، بعد عقدين من الزمان، أي قرار نهائي. انعكست الخلافات بين الدول أيضًا على تغيّر الثقافات والتوازنات الاقتصادية والديمغرافية بين هذه الدول، لذلك كان من الغريب ظهور أي نتيجة واضحة أو مبكرة. من الممكن أن يكون قضي البعض كثيرًا من الوقت في الإشادة بالروابط العائلية المزعومة أو انتقادها. اُستشهد بتاريخ، سواء دوقية ليتوانيا الكبرى أو خقانات روس، لدعم الوضع الجديد أو تقويضه. قُدمت العديد من الأساليب لكلا الاستراتيجيتين. أكثر صعوبة واجهتها روسيا البيضاء كانت هويتها، والجدير بالذكر أنها تُسمى الآن بيلاروس، كما لم يسبق لها أن تكون دولة مستقلة. كانت طريقة تحديد اللغة البيلاروسية أمرًا يستدعي الكثير من التفكير، حيث كان يتحدث عدد كبير من البيلاروسيين بالروسية أكثر مما يتحدثون بالبيلاروسية. سعى ألكسندر لوكاشينكو، الذي جاء إلى السلطة في الانتخابات الرئاسية في عام 1994 والذي بدا أن منصبه كان دائم حتى الآن، إلى توثيق العلاقات مع الاتحاد الروسي لا سيما إذا تمكن من أن يكون في دفة القيادة في كلاهما. لا تزال العلاقات بين مينسك وموسكو غير ودية. ومن ناحية التعاملات بين الحكومتين، وأيضًا في أماكن أخرى داخل دول الاتحاد السوفيتي السابق، كانت معدلات التبادل التجاري مثيرة للجدل. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن اتجاه سفر لوكاشينكو بالتأكيد نحو الغرب. لم يكن مشيدًا بنفسه فيما يخص أسلوبه في تأمين سلطته وتعزيزها أمام الاتحاد الأوروبي. لقد شكل مستقبل أوكرانيا مسألة أكثر تعقيدًا وأكثر أهمية. بعد الاستفتاء، انسحبت أوكرانيا رسميًا من الاتحاد السوفيتي في أوائل ديسمبر 1991. كانت دولة، على الرغم من معاناتها من تصدعات داخلية شرقًا وغربًا من الناحية اللغوية والثقافية والدينية. بعد مرور عقدين من الزمن، ليس من المستغرب أنها هنا أيضًا حيث ظلت أوكرانيا منفتحة. دفع بعض الأفراد، وخلفهم قسم كبير من السكان

للانضمام إلى الغرب (بمعنى أن تكون أحد أعضاء الاتحاد الأوروبي والناتو) كوجهه لهم. على النقيض شدد خصومها على أهمية وجود علاقة وثيقة بالاتحاد الروسي. مرة أخرى، هل استغلت روسيا قوتها الاقتصادية للتحكم في أوكرانيا أم هل توقفت ببساطة عن الهيمنة على الأسعار التي تحملتها الدولة الجديدة؟ تردد أشخاص ذو شأن على علم بالمشاكل المعقدة في ميراثهم بين هذين المسارين. أيضًا كان التشعب واضحًا من ناحية أخرى. كان يوجد أعداد خفيرة من العمال الأوكرانيين في روسيا وأوروبا الوسطى. ولد أول رئيس للبلاد، وهو ليونيد كرافتشوك (1934) في منطقة كانت حينذاك جزءًا من بولندا. لم يكن طريقه نحو خيار الاستقلال واضحًا. كان لا يزال الماضي السوفيتي حاضرًا، على سبيل المثال شكل أسطول البحر الأسود الروسي، هذا الموضوع في المفاوضات المطولة قبل التوصل إلى اتفاق في عام 1997. كانت شبه جزيرة القرم نفسها مضطربة. بعد فترة من الاضطرابات، أصبحت جمهورية مستقلة داخل أوكرانيا لكن من حين لآخر حينما كانت العلاقات بين موسكو وكييف متوترة، زعمت أوكرانيا أن روسيا تتدخل في شؤون شبه جزيرة القرم. كان الرأي العام الروسي يجد صعوبة في الاعتقاد بأن شبه جزيرة القرم جزءًا لا يتجزأ من أوكرانيا. بالتأكيد لم تكن فيلا تشيخوف في دولة أجنبيه. لعبت قضايا الهوية دورًا بارزًا في المسار المضطرب للسياسات الداخلية الأوكرانية بعد عام 2004. كانت القضية الروسية دائمًا حاضرة. وأصبحت الانتخابات متكررة، على نقيض وجود حكومات فعالة. ظهرت سلطة شعب واختفت، نقص عدد السكان، كل هذا كان يشير إلى أن التحول قد بدأ على مر عقدين من الزمن. للإشارة إلى تفكك الاتحاد السوفيتي، على الرغم أنه كان هناك العديد من المعلومات المضللة التي كانت تنقل انطباعًا بشأن التمزق المطلق الحادث أو ما كان يتضمن أن الدول الخلافة محت بسهولة جميع العناصر الماضية المشتركة.

اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لم يكن راج الذي تراجع عن الحكم سابقًا للحصول على بعض الانعزالية..

ستظل روسيا دائمًا الباب المجاور. قد تتبدل شبكة الروابط في عصرالاتحاد ، سواء

كانت شخصية أو غير ذلك، من ناحية وزنها وأهميتها، لكن من غير المرجح أن يتم طمسها. ومع ذلك فإن الأمر بشكل كامل من شأنه أن يكون أمرًا غير واضحًا. أثار التحرر الوطني أسئلة بشأن هوية الأمة في كل مكان.في الماضي، غيرت موسكو لعدة أسباب حدود الجمهوريات، وأمكن الاعتراض على تلك الحدود التي كانت قائمة في عام 1989 مرة أخرى. كانت هناك مقاطعات من جنسية واحدة داخل إقليم دولة أخرى. استطاع المستقبل أن يثبت هذه الاعتراضات. صنعت حرب عام 1988 التي نشأت بين أرمينيا وأذربيجان تحولات جوهرية للأرمن والأذريين من الناحية العرقية بين الدولتين. تطلعت بعض الدول إلى التشتت العالمي، مثل أرمينيا، للحصول على دعم. هناك عدد مماثل للأرمن مشتتين في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في روسيا (على الأقل في فلاديفوستوك في الأماكن النائية) كما عاشوا في أرمينيا نفسها. كانت التحويلات المالية الخارجية كبيرة. أدت الروابط مع دول العالم في هذا الأمر وغيرها من الأمثلة، دورًا مهمًا في المساومة المحلية.نحو نصف مليون من الألمانيين الذين يعيشون في كازاخستان رحلوا من أوطانهم في التسعينيات. لذلك سواء حدث ذلك في وقت تفكك الاتحاد أم بعد فترة زمنية طويلة، كان من المحتمل أن يُصاحب تفكك الإمبراطورية المزيد من محاولات الانحلال وإعادة البناء والرحيل. تغيرت موازين السكان بشكل كبير خلال العقدين اللذين أعقبوا التفكك، ليس فقط بين مدينة ودولة ولكن أيضًا بين المجتمعات العرقية. وظهرت قيادات جديدة، حيث كانت تعكس أنماط حياتهم وأعمارهم عملية إعادة التوجيه التي كانت تجري. من بين هؤلاء القادة ميخائيل ساكاشفيلي (مواليد 1967) الذي خلف إدوارد شيفاردنادزه كرئيس لجورجيا، وكان ينتمي لعالم مختلف عن عالم سلفه. حصل على الإجازة في القانون من جامعة كييف الحكومية، كما حصل على منحة دراسية في الولايات المتحدة، كما درس في فرنسا. لم تكن خبراته هذه وإلمامه باللغة الإنجليزية من ضمنت له الحكمة. هدأت الصراعات الانفصالية في أوسيتيا الجنوبية وابخازيا التي أعقبت استقلال جورجيا بعد ذلك. وبحلول عام 2008، دخلت جورجيا في نزاع مُسلح ضد جارتها الكبيرة روسيا. تجلى هذا النزاع في النهاية باعتراف روسيا باستقلال الإقليمين أوسيتيا الجنوبية وابخازيا. وفي أعقاب هزيمتها، تعثرت طموحات الحكومة الجورجية

بالانضمام إلى الناتو والاتحاد الأوروبي. بغض النظر عن الانحيازات العقلية، إلا أنه كان هناك حقائق جيوسياسية لا يُمكن تجاهلها. كان انفصال الدول غير السلافية عن الدول السلافية الطريقة الوحيدة الواضحة، إذا كانت صحيحة، للنظر في الحالة التي تتبدى. قد تكون السلافية مشكلة في حد ذاتها، إلا أن الدول غير السلافية لم تقدم بديل لشبه التجانس – سواء عقائديًا أو ثقافيًا أو دينيًا: تركمانستان، وليست أرمينيا، وجورجيا وليست كازاخستان. لم تقدم الدول الخلافة أي رؤية عالمية مشتركة. على الرغم من ذلك دعمت الدول ذات الأغلبية المسلمة روابطها مع أخوانها المسلمين خارج حدودها على الرغم من الحذر الشديد من ذلك. لوحظ أيضًا أن الرؤساء المخولين من شعوبهم، مثل نور سلطان نزاربابيف (مواليد 1940) رئيس كازاخستان وكان من الأنصار السابقين لإلحاد السلافيين، عملوا على استعادة المساجد وقاموا بالحج بأنفسهم. لم يكن نزار بابيف من المتحمسين لحل الاتحاد السوفيتي. حتى بعد مرور عشرين عامًا من حدوث ذلك، كان لا يزال متحكمًا في الأمور. في أماكن أخرى أيضًا، كان لا يزال هناك بعض الوقت ليأتي جيلاً جديدًا من غير السوفيتين إلى السلطة.ازدادت أهمية آسيا الوسطى عالميًا حيث سعت دولها إلى تغيير نفسها، وذلك من خلال بعض مصادر البترول وغيرها المستمدة من الصراعات التي نشأت على حدودهم (في أفغانستان على وجه الخصوص). خاض بحر القزوين العديد من المنافسات بشأن الهوية. كان العالم الخارجي على بينة بهذه القضايا على وجه التحديد "القضية الشيشانية"، فهم شعب صغير مر بتجربة النزوح المريرة من الماضي الستاليني، على الرغم من أن هذه القضايا لم تكن منقطعة النظير على مستوى العالم. من الممكن ملاحظة التعقيدات التي تمت مواجهتها في هذا العالم المتفكك في التقدم الذي أحرزه جوهر دودابيف (من مواليد 1944)، الذي عمل في القوات الجوية السوفيتية الشيشانية في إستونيا، ورفض الانصياع لطلب روسيا بضرب حركات الاستقلال في دول البلطيق. تزوج دودابيف من إمرأة روسية. في ديسمبر/ آب 1991، عاد إلى العاصمة الشيشانية غروزني، وأعلن استقلال الجمهورية الشيشانية. إلا أن بوريس يلتسين أصرّ على انتماء الشيشان إلى الاتحاد الروسي. وأعقب ذلك صراعًا مريرًا ودمويًا على السلطة. قُتل دودابيف في عام 1996، لكن استمرت المقاومة، وأدى ذلك إلى نشوب حرب استمرت

بضع سنوات. وبدا في هذه الفترة أن عقد تسوية سيستغرق وقتًا طويلاً. وحدثت معركة غروزني المدمرة، وسويّت المدينة بالأرض. أيا كانت درجة الحكم الذاتي" القائمة أو التي كانت وشيكة، إلا أنه كان واضحًا أن وجود القوات العسكرية الروسية سيستمر لفترة، ومن المحتمل أن ينتج عنه إرهاب شيشاني في موسكو وغيرها. وأصرّ بوتين أيضًا على إتباع منهج الحرب على الإرهاب بدون أي تحفظات. وفي 25 ديسمبر 1991، عندما رفرف علم الاتحاد الروسي فوق مبنى الكرملين لأول مرة، ارتفعت أعلام الدول الأخرى لترفرف في جميع أنحاء العالم السوفيتي السابق. في أماكن في الاتحاد السوفيتي السابق، أعربت النغمة التي خرجت بها موسكو على عزم روسيا استرداد أصول الاتحاد بقدر الإمكان. كان هناك انتقادات لكل ما تم، أدت إلى ظهور اختلافات في التصور. حيث رأي الروسيين لا سيما الذين يقيمون خارج روسيا من مهندسين وغيرهم من الخبراء الفنيين على سبيل المثال، أن دورهم إيجابي للغاية. وإعتقدوا أن الكزخستنة التي شجعت مغادرة الروسيين ستكون أمرًا سيئًا لكازاخستان. إعتقد غير الروسيين، الذين يصور أنهم مستغلين، أن الروسيين يستبدون المستعمرات. وعليهم أنه يعودوا إلى وطنهم.

ومن المستغرب أنه في ظل هذه الظروف استمر النزاع على جوهر روسيا، سواء داخليًا أو خارجيًا. لاحت أوروبا في الأفق واكتسبت أهمية جديدة، لكن كانت لا تزال موسكو تبحث في جميع الاتجاهات الأخرى. لا يمكن أن يكون هناك سوى قوة عالمية واحدة حتى لو قنع الانتقال الفوضوي في البداية أهميتها العالمية المستمرة. تم دعوة روسيا لحضور اجتماعات مجموعة الدول السبع لافتراض أهميتها في معالجة القضايا العالمية الاقتصادية والبيئية بشكل غير رسمي. والأساس المنطقي لمثل هذه الاجتماعات كانت أن الأعضاء مسؤولين عن ما يقرب من نصف الإنتاج، ويتقاسمون على نطاق واسع نفس الأنظمة السياسية والاقتصادية. كانت مثل هذه التجمعات تجعل تلك الدول الرائدة تتجاوز العالم المنصوص عليه في الإجراءات الدبلوماسية الرسمية الخاصة بالأمم المتحدة. والرئيس الروسي ينتمي الآن إلى هذا النادي. كانت هناك سخرية من هذا الوضع لأنه كان في السنة التالية التي انهار فيها الروبل وأعلنت روسيا تخفيض قيمة العملة والديون

الافتراضية. في حين أن هذا كان مهينًا ولم يكن أمرًا مرضيًا للمستثمرين الأجانب، إلا أنها نقطة تحول؛ حيث أصبح الاقتصاد الروسي أكثر تنافسية واستؤنف النمو مرة أخرى. من المحتمل أن ينتهي الأسوأ.

## الولايات المتحدة الأمريكية: هل كانت صاحبة السمو الوحيدة؟

كان كل من "Out of Control" و"Pandemonium" عنوانين لكتابين نُشروا في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1993 من قبل زبيغنيو بريجنسكي ودانيال باتريك موينيهان، على التوالي؛ عكس الرجلين في الكتابين رؤيتهم عن الولايات المتحدة الأمريكية ومكانتها عالميًا. وأشار الكتابين إلى مفارقة، سواء كان الأمر في هذا الوقت أو بعد ذلك، إلا أن هناك خلاصة ذات أهمية كبيرة في فكرة فوز العالم الحر في الحرب الباردة وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد مرور ما يقرب من عامين، عندما تم الكشف عن تمثال لرونالد ريغان أمام السفارة الأمريكية في الولايات المتحدة، أعلن السياسيون البريطانيون هذا الاستنتاج مرة أخرى على الملأ. ففي الولايات المتحدة ذاتها، على مر أكثر من عقد، سعى الباحثون في الشك "نصر ريغان". كما أشار البعض أن القدرات العسكرية الأمريكية قد نشأت في ظل حكم كارتر. وناقش البعض مسألة أن الجيل الجديد من قادة الاتحاد السوفيتي لم يكونوا بحاجة إلى ظهور ريغان واقناعهم بالتخلي عن سياسات أسلافهم. وعلى الرغم من الانتقادات العلمية للباحثين، إلا أنه ظل الشعور العام بشأن فوز شمال الأطلسي بالحرب الباردة. على أقل تقدير ظل هذا الأمر مقبولاً بشكل عام. وبالنظر إلى ما حدث في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي نفسه، بدا أن هذا التقييم لا يمكن دحضه.

على صعيد آخر، جلب هذا النصر وخصوصا للولايات المتحدة المزيد من الغموض، فالكتابان أعلاه ينقلان القلق والانزعاج اللذان كان يعاني منهم عالم يترنح نحو كارثة. وفي بعض الأحياء الامريكية كان هناك شعورًا باتمام المهمة. لم يكن هناك أمرًا غير طبيعي أو حتمي بشأن شكل المشاركة العالمية الأمريكية التي تطورت منذ عام 1945. كان مطلوبًا دورًا متوازنًا بين الانعزالية والتدخل. كانت لدى الولايات المتحدة الأمريكية قضايا

داخلية وفيرة لمشاركة صانعي السياسة بدون تقديم أي عمليات إلهاء عن طريق النشر خارجيًا بشكل دائم. وبدت تلك الآراء على حد سواء جذابة ومقنعة للكثيرين. أصبح اتساع الولايات المتحدة الأمريكية أمرًا مشوهًا ومفرطًا. كان الوقت قد حان بالنسبة للشعب الأمريكي للعودة إلى وطنهم. تمامًا كما أعاد الاتحاد السوفيتي وضع نفسه، فبالتالي كان ينبغي أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة ضبط نفسها.تحررت أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا وأسيا من القيود الشاملة للحرب الباردة، وكان ينبغي على كل منهم العثور على مكان خاص بهم في العالم. إذا كانت العملية الناتجة عن ذلك بدت كأنها فوضى، فلا مانع من ذلك. كانت عملية ضرورية. مجرد التفكير في هذه السطور شمل نهجين مختلفين إلى حد ما. فمن ناحية يعكس الأنانية، فحتى في ذروة الإسقاط العالمي لأمريكا، القسم الأساسي للرأي الداخلي لا يزال يبدوا منفصلاً عن الرأي العام العالمي. أغلقت شبكات التلفزيون الأمريكية المكاتب الخارجية وخفضت بشكل كبير المحتوى الأجنبي للبرامج الإخبارية في العقد بعد عام 1989. فعلى ما يبدوا أن الناس لم تكن مهتمة. ومن المفارقات، ربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية محدودة إلا إنها كانت واسعة الانتشار عالميًا. التجاهل الداخلي للعالم الخارجي لم يكن بالطبع إنجازًا أمريكيًا فريدًا، لكن كان أمرًا غير مألوف من هذه البلاد المتقدمة. ربما كان أوضح فيما يتعلق بحجم الولايات المتحدة. كان ذلك صحيحًا، من ناحية أخرى سافر حوالي 55.5 مليون أمريكي فى رحلات دولية من مطارات الولايات المتحدة في عام 2000، وهو الذي يزداد باستمرار على مدى العقدين المنصرمين. تشير بعض المعلومات هذه إلى بعض الغموض. سافر أمريكيون إلى الخارج لعدة أماكن أكثر من أي أشخاص آخرين في هذا الوقت (على الرغم إنه لم يكن واضحًا عدد مرات سفرهم المتكرر). كان العديد من هؤلاء المسافرين فضوليين بشكل كبير، وظل الكثير في وطنهم ولم يريدون معرفة. لم يكن الأمريكيين الجمهوريين كيانًا بسيطًا. وينبغي مراعاة كلا الشعورين للأمريكيين أولاً وهذه المثالية العالمية.

دعا أيضًا أولئك الأمريكيين إلى "الاشتباك"معاداةً للعسكرية الأمريكية والإسقاط

السياسي. قالوا أيضًا أن الخوف المُسبق من الشيوعية أدى إلى تعاقب الإدارات، خوفًا من الشيوعية لدعم الأنظمة غير اللائقة في جميع أنحاء العالم. كان هناك العديد من العروض الغامضة التي جالت باسم أمريكا. في الوقت الحالي، اعتقدوا أن هذا النوع من التدخل لم يعد أمرًا مبررًا. اعتقد خصومهم أن هذا الموقف أساء من فهم العلاقة بين الداخل والخارج.يجب أن تعمل الشبكة العالمية لجميع الحكومات في كل من المجالات الداخلية والخارجية. كان الأمر سطحيًا أن نفترض أن الانسحاب التام أمرًا ممكنًا. قد يكون هناك مجال لبعض التوجيه الدقيق للسياسة، ولكن فكرة أنه يمكن استبدال المجالات المحلية بأخرى أجنبية بضربة واحدة أمرًا سخيفًا. علاوة على ذلك، في حين أن العالم تغير، إلا أنه لم يتغير تمامًا. فكان الهرج والمرج للوقت الحاضر أمرًا حقيقيًا. ومع مرور الوقت، سحبت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها المتمركزة على طول حدودها، لكن سيكون من الحماقة التعجل. إلا أن البلاد لازالت تدعم أوامر إقليمية معينة (في كوريا على سبيل المثال)، ولا يمكن العودة ببساطة بدون عواقب وخيمة. قد تكون شيوعية العالم الآن أمرًا ماضيًا، لكن ظلت المخاطر الأخرى، من وجهة نظر أمريكية. ليس أمرًا شرعيًا أن يكون هناك مصالح وطنية، ومن غير اللائق للولايات المتحدة الأمريكية الإبقاء على نشر قدرتها العسكرية في الخارج إذا كانت هذه المصالح (على سبيل المثال الوصول إلى النفط) معرضة للتهديد.

وضعت الولايات المتحدة الأمريكية مواردها العسكرية في مكانة فريدة عالميًا. اجتمعت الظروف معًا لجعلها القوة العظمى الوحيدة بالقدرة والخبرة للعمل عالميًا إذا اقتضت الضرورة. ظلت هذه القوة أمرًا قريبًا. لا يمكن أن تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية العالم. قيّد وجود الأسلحة النووية، وإمكانية زيادة انتشارها، قدرتها على التدخل في أي مكان في العالم (بافتراض أنها تريد القيام بذلك). لا يوجد هناك شيئًا على الرغم من ذلك دائمًا بالضرورة بشأن الميزة العسكرية التي امتلكتها الولايات المتحدة الأمريكية. في وقت سابق، اعتقد نقاد الإفراط في التمديد أن هناك تكاليف غير مقبولة، بل تكاليف لا يمكن تحملها، سعيًا للحفاظ على وضعها العالمي. وحتى مع افتراض

إمكانية توفير التكاليف - بطبيعة الحال لم يكن الموضوع الذي تحدث عنه الاقتصاديين بالإجماع - هل أنتجت فوائد مناسبة؟

كان من المتوقع إثارة جدل حول ماهية المصلحة الذاتية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة فقط. على الرغم من ذلك، ثار الجدل بجانب الشعور المتجدد بأن البلاد في مهمة للسعي وراء مصلحتها الذاتية. قال جورج دبليو بوش أمام الكونجرس في سبتمبر 1990 أن هناك عالم جديد يكافح من أجل الخروج من البوتقة. سيكون عالمًا مختلفًا عن المعروف سابقًا. حيث ستحل سيادة القانون محل قانون الغاب، وسيحترم فيه القوي الضعيف. مثل هذا الخطاب وغيره من الأحاديث الأخرى الأمريكية التي ضربت على وتر حساس. ذلك نذيرًا بالانفصال غير المتحمس له لكنه مشاركة جديدة. لا يمكن للعالم أن يترك آلياته الخاصة. كانت الولايات المتحدة نوعًا من المختبرات العالمية للبشرية. كان ينظر إلى هذه القناعات المكررة في بعض الأحيان من الخارج خصوصًا على أنها دليلاً خطيرًا على خداع الذات. اعتادت الولايات المتحدة على تحديد سيادة القانون بالطرق التي تناسبها. لم يمر الأمر بهدوء وبشكل محايد في هذه الغابة. واصل العالم الخارجي في النظر إلى هذا المزيج المحيّر من التنمر والخير في موقفها العالمي. تكلم النقاد عن الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحدى العالم أو حتى قد تشن حربًا عليه. على النقيض، اعتبرها الأنصار أنها مرساة العالم، والتي تمنعه من الانزلاق في الصراعات الإقليمية الخطيرة. أعربت هذه الأحكام المتناقضة عن حالة عدم اليقين السائدة. ما لا يمكن القيام به في أي مكان تقريبًا هو تجاهل وجود العلامة التجارية الأمريكية سواء كان الأمر متعلق بالمواد الغذائية أو الأزياء أو الموسيقى. هل كان القرن الأمريكي قريبًا من نهايته، أم أن انهيار شيوعية الاتحاد السوفيتي على حافة أقصى تأثيرها؟

بخصوص هذا الصدد، تلقت القضايا المألوفة اعتياد لا نهاية له على مر عقدين من الزمان. أنتجت تشخيصات الاقتصاد أحكام متناقضة (لم يكن ذلك على مدى العقود التي تلت ذلك، بل كان هناك وقت لتحليل حالة الدولة). تم مقاومة المفاهيم التي جاءت عن الشرايين الصناعية التي كانت قاسية بشكل خطير من خلال دليل حيوي مثل ثورة

تكنولوجيا المعلومات المتسارعة. كانت صورة الولايات المتحدة التي كشفت تنوع الولايات المتحدة. أفهمتنا بوضوح الآثار المترتبة على الاقتصاد العالمي الذي انغمست فيه الولايات المتحدة الأمريكية، الآن أكثر من أي وقت مضى موضوع الاهتمام. فُحصت المزايا والعيوب النسبية للعولمة من جديد. يمكن رؤية العولمة دائمًا خارج الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الأمركة، لا سيما الذي تم رؤيته من النواحي الاقتصادية، لكن إذا كان الأمر كذلك فإن الأمركة أصابت هدفها. ليس لدى الإدارات المتعاقبة سوى خيار واحد في مواجهة الضغوط الداخلية الأمريكية، وتحديد الطرق التي يعتقد الأمريكان أن بها يمكنهم أن ينجحوا في الاقتصاد العالمي الذي كان في طريقه إلى الانحدار. كشفت المناقشات بشأن هذه المسائل الانقسامات الحادة التي لا تعني شيئًا بناء على أسس حزبية. يبدو أن العصور الجديدة مشكوك فيها كما أعلن الرؤساء. وامتنعت الدول ليصبحوا الجهات الفاعلة الدولية الوحيدة كما انتقلت الشركات التجارية المتعددة الجنسيات من بلد إلى بلد. منحت حجم ميزانية الدفاع الأمريكية وحجم التطور التقني لقواتها المسلحة مادة لاستمرارها في مكانتها كقوة عظمى وحيدة في العالم. لا يمكن لأي بلد أخرى أن تنشر هذه القوة في جميع أنحاء العالم. ومع هذا التفوق، ظهر سؤال مزعج. ففي العالم الجديد، أي ظروف يمكن استغلالها بفعالية؟ كان من الصعب تحديد العدو في عالم المنافسات المختلفة والنظم السياسية. ربما كان هناك عدم تطابق بين امتلاك القوة المهيبة والقدرة على ممارستها بشكل فعال. قد تكشف الظروف المتاحة على أرض الواقع مرة أخرى حدود القوة الصعبة كما أثبتت الأحداث الماضية. كانت هذه المسائل معروضة للنقاش وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية. قليل من التميز وضعها على المحك. ومن الواضح أن الإسقاط الخارجي والتصور الذاتي الداخلي يسيران جنبًا إلى جنب بشكل طبيعي. إذن ليس من الغريب أن يصبح نفس الخليط المحير من الثقة والشك دليلاً داخليًا. لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك التفتيت، مثل ما حدث مع الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، كانت أسس هويتها معرضة للضغوط. قد تصل أمة من المهاجرين إلى حد عدم استيعاب قدرة الأعداد الكبيرة. زادت الضغوط من أجل التشريعات التي تهدف إلى تقييد هذا التدفق من الأعداد الكبيرة. وصل تسعة ملايين من المهاجرين بشكل قانوني في

التسعينيات أكثر ممن وصلوا في أول هذا القرن. لم يحتسب بشكل دقيق عدد المهاجرين غير الشرعيين، ولكن قد يكونوا بلغوا سبعة ملايين نسمة في جميع أنحاء العالم في مطلع القرن. جاءت كلتا الفئتين من أمريكا اللاتينية إلى حد كبير لكن أيضًا أتى بعض منهم من الفلبين وفيتنام. في الواقع، واصل العالم في تيسير طرقه إلى الولايات المتحدة، بدرجات متفاوتة، كما واصل المهاجرين الاتصال بحياة أوطانهم. واستمر تدفق الناطقين بالأسبانية الأمر الذي زاد من القلق الثقافي. وتم تقليب بوتقة صهر الأمريكيين بالمعلقة التي تُسمى اللغة الإنجليزية. ما يحدث من دخول اللغة الإسبانية كان يهدد الأمة الواحدة. أحيت النقاشات التي تلت ذلك والمحاولات في بعض الولايات لتعزيز موقف اللغة الإنجليزيه الخلافات القديمة. أدت الموجة الجديدة في خلق قصة أمريكية تتعلق بشروط السود/البيض التقليديين. كان هناك شعور مشترك بين السود والبيض بشأن عدم الاستقرار الذي يجري قبل إعادة توازن السكان الأمريكيين. أدت التعددية الثقافية إلى حدوث تقليل من تفوق البيض وتراجع التضامن مع البيض. لم يهب هذا الأمر المزيد من التطلعات للسود فقط، بل أيضًا الأمريكيين الجدد والإيرانيين والفيتناميين وغيرهم حيث شغل السود الساحات الثقافية والاقتصادية. كشفت مزايا وعيوب الهجرة الناطقين باسم كل منهما. كان الأمر الأكثر خلافًا هو كيف ومتى ينبغي جعل الأمور قانونية؟ وزُعم أن الأجانب متورطين في تهريب المخدرات للبلاد بشكل غير متكافيء. سُجن سجناء من أنحاء العالم في السجون الأمريكية بأرقام كبيرة، وكانوا ينتظرون الترحيل في نهاية فتراتهم. هذه الصورة المتنوعة يُمكن أن تؤدي إلى وضع متناقض حيث شعرت فيه القوة العظمى بنفسها أنها تحت الحصار. لذلك كانت هوية أمريكا في هذه المرحلة أيضًا أمرًا غريبًا ومعقدًا ومحصورة في مستقبل العالم. كيف طور الأمريكان هذا الأمر وكيف فسروا هذا التطور. كان أحد هؤلاء المفسرين هو فرانسيس فوكوياما (ولد عام 1952) الذي لفت نظر العالم بمقالته عام 1989 التي كانت بعنوان "نهاية العالم" عندما ظهرت في كتابه منذ بضعة أعوام. لم يكن العنوان يوحي بنبؤة الهلاك. فهو آمن أن الشعب الأمريكي حقق مستوى معين من الرخاء المادي وفهم حقوقه. هذا الإنجاز لم يكن شيئًا غريبًا وأساسيًا للأمريكيين على الرغم من ذلك. شكل هذا نموذجًا لما يمكن للعالم أن يحققه دون إخماد التميز. على الرغم مما درسه

هنتغتون، لم يتوقع فوكوياما حصر الحضارة الغربية بعناد في صراع الحضارات الأخرى. وقال أنه لا يتجاهل المآسي التي قد تشوه العالم في القرن العشرين قبل أن يولد، لكنه يعتقد أن تكرارها أمرًا لا مفر منه. حيث كانت الاتصالات بين الحضارات أمرًا خلاقًا. تضاءلت نسبة الحروب حيث أدركت الدول أنه لا يوجد بديلاً معقولاً للمنظمة الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية. يُمكن تفسير هذه الأطروحة على وجه التحديد، حيث وصل الأمر إلى دعم جداول الأعمال التي لم يدعمها، لكنه لم يصرح بأن أمريكا والعالم كانوا في نقطة تحول. اكتسب وجهة نظره من الطريقة التي ينسجم معها تاريخ عائلته. جلبت الحرب الروسية اليابانية جده الياباني إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحيث اعتقل هناك في الحرب العالمية الثانية لبعض الوقت. أصبح والده وزيرا مسيحيًا (ينسب لطائفة) وعالم اجتماع. وكانت والدته ابنة أكاديمية يابانية. نشأ فوكوياما نفسه في مانهاتن. وقال أنه لم يتعلم اللغة اليابانية لكنه أُعجب بما حققته اليابان منذ عام 1945. لم تكن قصته قصة مثالية أمريكية، لكن يوجد في أمريكا الكثير من التواريخ العالمية المختلفة التي كانت موجودة ولم يزورها التاريخ الجديد. إنها كانت عملية مستمرة.

# 25

# الشرق الأوسط: لا يزال في المنتصف

كان ينتمي كل من جورج بوش وفوكوياما لأجيال مختلفة لكن رسالة كل منهما لم تكن مختلفة بشكل جذري. في تصريحه عن الأمة في عام 1990 صرح بوش أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مجرد مكان بل فكرة. يُمكن أن تكون هذه الفكرة ملك العالم بأجمعه. فالعالم بحاجة إلى وجود فكرة ليتمحور حولها. في أماكن أخرى، على الرغم من ذلك كان هناك أفكار أخرى، وأيضًا كان منها ما لم يتجاوز حدود المكان. بمجرد أن تصدر الشرق الأوسط بما يحويه من أماكن للعنف الواجهة مجددًا في الظروف المستحدثة، التقى الشرق والغرب مجددًا. ما لم يكن متوقعًا حدوثه في عام 1991 حدث في 2001، حيث انتقلت أحداث العنف إلى الولايات المتحدة الأمريكية. على ما يبدو أن هناك نوعًا جديدًا من الحروب يظهر على الساحة مع مظهر من مظاهر حرب الحضارات على الأقل.

### الكويت: على المحك

في أغسطس عام 1990، غزا الجيش العراقي الإمارة المجاورة الموروثة التي تسمى الكويت، وبالتالي ضاعف الأمر من سيطرة صدام حسين على الاحتياطي النفطي العالمي. وقد ينتقل الأمر إلى السعودية ودولة الإمارات في الخليج. لذلك وضع نظام العالم الجديد على المحك. ما كان على المحك كان أكثر من مجرد مصير دولة صغيرة كما صرح بوش في

عام 1991. كان الأمر يتعلق بوقوف الدول معًا في قضية مشتركة لتحقيق التطلعات العالمية للبشرية. هذا هو الأمر فقط. وبناءً على ذلك أصدر مجلس الأمن قرارًا يدين الغزو ويدعوا إلى انسحاب القوات العراقية. طال الأمر حتى أواخر نوفمبر واستدعى الأمر طلب سحب القوات العراقية بحلول 15 يناير 1991. وإذا تعذر هذا، فقد تستخدم جميع الوسائل اللازمة لضمان هذه النتيجة. ولم يستخدم الاتحاد السوفيتي حق الاعتراض، على الرغم من محاولتهم التوسط في الأمر. لم تنسحب القوات العراقية، ولم يتم تحرير الكويت. كانت الحرب البرية الفعلية في عملية تُسمى "عملية عاصفة الصحراء" مركزة للغاية وفعالة. وصار قرار وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في 28 فبراير 1991. تراجع الغزاة الذين تكبدوا خسائر فادحة إلى الحدود في حالة من الفوضى. وأعلن صدام حسين أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تقاتل العراق. وصرح جورج بوش أن العراق كان يقاتل العالم. ولم تكن هناك مطالب صحيحة بدقة. كانت الولايات المتحدة الأمريكية في القيادة بما كان لديها من نصف مليون جندي منتشرين، لكن الدول الأخرى جمعت ما يقرب من نصف هذا الرقم. صدقت الأمم المتحدة على الإجراء، وبهذا المعنى وافق العالم عليه. تحمل ائتلاف بعض الدول الأوروبية والعربية الأمر مع الدعم المالي من البعض. وحتى مع ذلك، كان الأمر بعيدًا عن كون العالم يعمل. لم يشمل التدخل واحد من الثمانية من مجموع أعضاء الأمم المتحدة. وأضفى غياب الدول الكبرى في أسيا سمة غير متوازنة وترك غموضًا لنوع من السابقة العالمية، إن وجدت في الحقيقة الواقعة. لم يكن في الإمكان أن يكون جانب الولايات المتحدة ممكنًا، لأنه كان هناك بعض التذبذب، حيث لم يعارض الاتحاد السوفيتي التدخل، على الرغم إنه لم يشارك بنفسه.

تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من الاستنتاج أن عقدة فيتنام تم التغلب عليها. ومن موقع الحدث، وبحكم تفوقها التكنولوجي، كان من الممكن تحقيق النصر مع الحد الأدنى من الخسائر في الأرواح. ومع ذلك فيما كانت الأحداث تثبت ذلك، كانت كلمة انتصار طموح العالم. استعادة استقلال الكويت دلت على أن عدد كافيًا من الدول وقفت وراء الدفاع عن الدولة. لم يدفع العدوان. وتم التصديق على مبدأ محدد. على الرغم

إنه لم يدل على أي إعادة تشكيل متعمقة لمشهد الشرق الأوسط. لم يعني الأمر أن الشرق الأوسط أصبح كتلة متماسكة في عالم ما بعد الحرب الباردة. كان هذا جزءًا بسيطًا لاستمرار الانقسامات داخل الدول العربية أو العالم الإسلامي، كما هو موضح في أجزاء سابقة من هذا الكتاب، لكن تم أيضًا توضيح أن العالم الخارجي أملى النتائج. لم تصبح حدود الشرق الأوسط أقل غموضًا، ولكن مليئة بالألغاز كأنها مليئة بالخبايا الداخلية من الإقصا والإندماج. كان الموقف أكثر تعقيدًا من فكرة أن مواجهة الغرب والشرق القديمين للحرب الباردة مع العملاء من جانب واحد.

وبالتالي كان ينبغي على العالم نتيجة هذه النظرية التحرك في اتجاه واحد. فإذا كان الأمر كذلك، سقطت الرسالة على أرض حجرية في الشرق الأوسط. ربما كانت القوى الغربية فقط من لامت نفسها كما قال البعض. طلبت السياسة الواقعية منهم المحافظة على العلاقات الحميمية مع الأنظمة التي كانت بعيدة عن الديمقراطية في الطريق إلى عالم المحيط الأطلسي الذي استخدم هذا المصطلح. في ظل الظروف الجديدة، لم يكن بساط الدعم الراسخ الذي منحته الحكومات من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية في طريقة للزوال على الفور ولكن في هذا الحين تغيرت أهميته.

### العراق: ما المهمة التي أنجزتها؟

في يناير 2002، في تصريحه عن حالة الاتحاد، تحدث جورج بوش عن محور الشر والتي تم حصرها على وجه التحديد في كوريا الشمالية وإيران والعراق باعتبارها الدول المارقة. ومن خلال وكالاتهم قد يحصل الإرهابيين على أسلحة الدمار الشامل. خلال السنة التي تلت ذلك، بدأ الخطاب السياسي في التحول. والاعتماد على الاحتواء كان خطرًا كبيرًا جدًا. قد تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية إجراءات ضد التهديدات الناشئة قبل أن يتم تشكيلها بالكامل. تحول التركيز مرة أخرى إلى العراق. وكان أكثر ما هدد به صدام حسين هو حماية القاعدة، وقد يكون ساعده فى الحصول على نوع من الأسلحة التي كان يعتقد أنها متطورة. فكرة أن الوقت قد حان لإخراج صدام حسين اكتسبت شعبية كبيرة. وكان المحافظون الجدد واثقين أن الولايات المتحدة في موقف فريد من نوعه

للمضي قدمًا، وإذا لزم الأمر عليها فرض وجهات النظر. فمن شأن هذا أن يجعل العالم مكانًا أفضل. غالبًا ما كان ينظر إلى الهيمنة على أنها غطرسة جاهل. كانت منطقة الشرق الأوسط على المحك. تجمعت قوات التحالف لتحرير الكويت في عام 1991 ولم تستمر قوات التحالف الذي كرهها أسامة بن لادن كرهاً شديدًا (سيتم مناقشته أدناه) في بغداد لإنهاء أعمالها والإطاحة بصدام حسين. لم يكن من الممكن تجميع قوات التحالف على هذا الهدف. وبافتراض أنه الإطاحة بصدام حسين داخليًا أثبت خطأ ما هو التقليل من قوته ومرونته. تم معالجة مشكلة الأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب بقسوة ولكن على نحو فعال. لم يحصلوا المتمردين على دعم خارجي مباشرة، على الرغم أن حظر الطيران في المناطق الغربية عرض بعض الحماية. لا يمكن نفي مرونة النظام. وهل كان هذا يعزز قدرة أسلحتها، المحظورة بعض الشيء بموجب الشروط التي أنهت الحرب؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكان كل من حجمها وطبيعتها مثيرة للجدل. طلب فريق مراقبة الأمم المتحدة من صدام حسين الانسحاب. زادت الاتهامات والنفي المتعلق بأسلحة الدمار الشامل. بشكل مطرد، انتقلت الأزمة إلى ذروتها. يُمكن أن يؤدي التعاقب في العراق إلى ظهور مرحلة جديدة للسلام في الشرق الأوسط والاحتفال في التقدم نحو الدولة الفلسطينية كما أعلن بوش في 23 فبراير 2003. في مارس 2003، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية حربها للإطاحة بنظام صدام حسين. وحققت هدفها بسرعة. ووصل بوش بنفسه للإعلان عن إنجاز المهمة. وزعم بوش أن المناشدة الدائمة لحرية الإنسان على ما يبدو قد انتصرت. لكن سرعان ما وجد الغزاة أنفسهم في مواجهة صراع داخلي عنيف والتي لم يتمكنوا من السيطرة عليه. سيحل الانتصار البسيط ولمسة من ولاية تكساس المشاكل التي عانت منها البلاد طوال فترة وجودها القصيرة بأكملها، ولا سيما القضية الكردية والعلاقات بين السنة والشيعة. جعل فشل العثور على أسلحة الدمار الشامل ذريعة للتدخل. وبدا أن الانسحاب بشكل سريع أمرًا غير وارد. على الرغم من استمرار الخسائر البشرية، وقيام الولايات المتحدة بكل ما في وسعها للحفاظ على الديمقراطية الواهية التي تكافح لأن تظهر. لكن كما قتل العراقي أخوه العراقي في تسلسل على ما يبدوا لا نهاية له، وكما لحقت أيضًا بالقوات الأجنبية خسائر متواصلة، كانت المهمة بعيدة عن تحقيق المطلوب. تم

تصوير مشروع العراق بأكمله مرارًا وتكراراً في الدول المعتدية نفسها باعتبارها من غير القانوني ومن غير الأخلاقي الإقلاع. لن تتغير العراق بين عشية وضحاها إلى منارة الديمقراطية، حيث كانت تكلفة التدخل عالية للغاية. فالغزو وما تبعه شوه سمعتها السياسة. أدى ذلك في الحالة البريطانية، في نهاية المطاف إلى تحقيق واسع النطاق في كيفية إتمام التدخل. ومن جانبهم أكد المسلمون حول العالم رأيهم حول أن الغرباء "الصليبين" ليس لديهم أي أعمال في أراضي المسلمين. لم يعجب ذلك الأجانب غير المسلمين، مشيرين بسخرية إلى حماسة المسلمين المعروضة في وقف المسلمين في هذه الأراضي، بفكرة أن الأراضي المسلمة التي شكلت منطقه الحظر العالمية. كان شائعًا في وقت لاحق بين الغزاة أن الأخطاء التي ارتكبها الغرب والشرق التقت في العراق، ولكن ليس بالضروري أنه يجب التفكير في التدخل في أي وقت مضى. مشكلة العراق باختصار انتشرت في جميع المجالات. وذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب دون تصديق من الأمم المتحدة. الأفضل من ذلك أن ما يمكن استنتاجه من الديمقراطية أن الأمم المتحدة أصدرت قرارًا يحس صدام حسين على التخلي عن كل ما لديه من أسلحة دمار شامل. ولم تصرح بالحرب إذا لم يمتثل. هذا الأمر هو ما جعل الحرب غير قانونية بالاعتماد على ما هو مفهوم من القانون الدولي. الواقعيون الذين لم يأبهوا كثيرًا لهذا القانون، قالوا أن الغزو حماقة؛ ببساطة لا يمكن أن تفيد بشيء. قد تنهزم الولايات المتحدة الأمريكية لكنها لن تفوز. وسادت فكرتها ذات الأفق الضيق. وجادل المدافعون عن الإجراء الأمريكي بينما قد كان هناك ترحيب بتصريح الأمم المتحدة، ولكن الواقع أن الأمم المتحدة لا تتمكن من حشد العالم. وتم الإشارة إلى العيوب التنظيمية الخاصة بها في الفصل الأول. وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن لأحد أن يشكك أن صدام حسين كان حاكمًا وحشيًا. وكان يمكن للولايات المتحدة الأمريكية فقط عزله. لكن متى قد يتمكن التدخل من إنهاء هذا؟ وقد تنطبق نظرية الضربة الاستباقية من الناحية النظرية على الأقل في العديد من المناطق المضطربة حول العالم. لكن كانت هناك أيضًا أولئك الذين يرون أن الحرب ليس لها هدفًا راقيًا على الإطلاق. وأن كل شيء حقًا كان يدور حول النفط. يمكن سماع المزيد عن الاختلافات حول العالم عن هذه الحجج. ربما كان الجدال على أشده في الدول الأكثر ارتباطاً بالولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما في أوروبا.

## مصر وسوريا: هل هما في انتظار الحرية؟

ظلت الفجوة بين الرسالة الغربية والعلاقات الغربية بدول الشرق واسعة. وهكذا، ظلت رؤية الرئيس الأسبق مبارك رئيس جمهورية مصر العربية حليفًا قويًا للولايات المتحدة الأمريكية. وتم تجنب كلمة دكتاتور في اللغة الدبلوماسية لوصف نظامه. كان الضغط للإصلاح أمرًا غير مسموعًا عنه وتم استبداله باستقرار البلاد. لعقدين من الزمان، نجا هذا النمط لفترة طويلة. كان لدى مصر نظامًا يرجع في أصوله لانقلاب عسكري ثم بعد ذلك حصلت على تأسيسية. كان هذا أفضل من لا شيء. وقيل أن المنشقين المصريين إذا حصلوا على السلطة فقد تكون أكثر قمعية. فقد كان يسبب ظهور شبح السلطة في أيدي جماعة الأخوان المسلمين المحظورة رجفة. وقد نشرت الحجج نفسها في جميع أنظمة العالم العربي مع اختلاف الطابع المحلي المضفى عليها سواء كانت التقليدية أو الثورية. ظن العالم الخارجي أنه رأى النموذج العربي حيث ظل الحكم شخصية قوية وحيث أن السيطرة السياسية تم التمرن عليها من قبل الدوائر الداخلية التي ترتكز على العائلة أو على الولاءات التي وصفت بإنها قبلية أو طائفية. أثارت هذه الصورة استجابات مختلفة ومتقلبة. في بعض الدوائر، انتصار الأنظمة التي كانت على نطاق واسع من الاستبدادية في جميع أنحاء العالم العربي أشار إلى أنها كانت مناسبة في ظروف هذا العالم. أتت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية معًا بطريقة معينة، ومن المرجح أن تستمر رؤية الطغاة في دفة القيادة. ففي بعض الأحيان كما في حالة عائلة الأسد في سوريا أصبحوا السلالة الحاكمة. ففي عام 2000 خلف بشار (ولد في عام 1965) والده حافظ الأسد بعد وفاته. وعلى أية حال لا يشبه الطغاة بعضهم في الأسلوب والجوهر. ولا حاجة لترديد الدعاوي غير الواقعية للعقيد القذافي. كان مقدر لبشار الذي يجيد الإنجليزية أن يكون طبيب عيون، وتدرب في مستشفى العيون في لندن في أوائل التسعينيات. تزوج من فتاة سورية ترعرت في لندن والتقت به في هذا الوقت. عرف الغرب بمواجهته المباشرة معه. وعلى الرغم أن الغرس المباشر لأنظمته السياسية الداخلية الحالية لم تكن شيء يعتقد أنه أراده أو ممكن الحصول عليه. لا زالت تحاصر خطوط الصدع في السياسة السورية هويات المجموعات وتركيزاتها الإقليمية. صعدت سلالة الأسد الحاكمة على الأقلية

العلوية، لكن تلك الأقلية أكثر وقاية من غيرها من الأقليات والمسيحيين (على سبيل المثال نظام الأغلبية السنية). باختصار، كانت قضايا الهوية والولاء ليسوا مجرد مسمى للوطنية، هذا ما يقال عليه من بعض المراقبين أنه الرجل القوي الذي لا مفر منه، وربما الرجل الضروري لهذه المرحلة. حيث كانت بلدانهم بحاجة إليهم لاسيما أن الأفراد والعائلات متلاحمين معًا في المقام الأول. إذا كان هذا صحيحًا فلن يكون هناك إمكانية لتغير العالم العربي في كل الأحوال. في ضوء هذا، فإن استعادة استقلال الكويت في عام 1991 بشرت بقليل من الأمل. لم يكن تحرير الكويت فقط، كانت جميع الدول العربية قصص بمخطوطات أعيدت كتابتها من قبل الحكام الذين كان لديهم طموح في شخصيتهم بقدر الوطنية. تدخلت سوريا بلا شك في لبنان على جميع المستويات، والانسحاب الرسمي بكل الطرق أنهى مشاركتها. لكن ماذا كانت لبنان؟ إنها مسألة تتعلق بالانقسامات الداخلية المطلوب السؤال عنها. وبالمثل يمكن أن يكون القول بأن التوتر لوقت طويل بين دمشق وبغداد لم يكن بين سوريا والعراق بل كان بين علاقة الأسد وعلاقة صدام حسين.

## إسرائيل/ فلسطين: لا توجد اتفاقيات دائمة

ظل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني "الصراع الأساسي" في الشرق الأوسط دون حل في 2011. وفي نوفمبر 1988، تم حث منظمة التحرير الفلسطينية على الاعتراف بالكيان الصهيوني، وفي المقابل إمكانية الوصول المباشر إلى واشنطن. في أكتوبر 1991، تمكن جيمس بيكر، وزير الخارجية الأمريكي، من الحصول على موعد لعقد اجتماع حول الطاولة المستديرة مع الإسرائيليين والفلسطينيين والقادة العرب في مدريد. فقط بعد عام 1992 مع فوزه في انتخابات حزب العمل تحت اللواء السياسي إسحاق رابين كان من الممكن تحقيق أي تقدم. أنتجت الاتصالات السرية بين الجانبين في النرويج اتفاقية أوسلو. وقد انعقدت مشاورات في حديقة البيت الأبيض مرة أخرى في سبتمبر 1993. جاء الرئيس كلينتون ورابين وعرفات لحفل التوقيع الرسمي وقد بدا التردد أمام كاميرات التلفزيون. كان من الممكن أن توضع الفرضية وراء الاتفاقيات التي كانت مسائل صعبة

حقًا – القدس، والاستيطان الإسرائيلي، وعودة الفلسطينين – في جانب واحد. يمكن أن يكون هناك تقدم في الحكم الذاتي الفلسطيني في غزة والضفة الغربية، كما ظهرت ثقة كما قيل لتناول المسائل المستعصية. وقعت الأردن وإسرائيل اتفاقية سلام رسمية في أكتوبر تشرين الأول عام 1994. وقبلها ببضعة شهور، سمح عرفات بالعودة إلى غزة التي تحتلها إسرائيل وإقامة سلطة فلسطينية وطنية جديدة. استغرق الأمر جولة أخرى من المفاوضات في عام 1995 قبل أن تكون العلاقات المعقدة بين سلطة الكيان الصهيوني والحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية متفق عليها نظريًا. كان من المفترض أن يكون مايو 1999 التاريخ المتفق عليه رسميًا للوصول إلى حل بشأن وضع الأراضي المحتلة، بما في ذلك القدس. لكنه لم يكن كذلك. وفي نوفمبر 1995، قتل إسحاق رابين برصاص طالب في تل أبيب. كان هناك عناصر تابعة لكلا الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني لهم صوت، ولهم وجهات نظر معارضة، ممن اعتبروا أن الاتفاقيات بمثابة خيانة ورفض للفرضية الكامنة ورائها. ومن السخف أن نعتقد أن التوصل إلى تسوية بشأن القدس على سبيل المثال أمرًا قريب الحدوث. رأى بنيامين نتينياهو (ولد عام 1949)، زعيم حزب الليكود الجديد ورئيس الوزراء 1996-99، أن مستقبل المدينة غير قابل للتفاوض. وربما وافق أغلب الإسرائيليين على هذا. ومضت المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة في طريقها. إن دفاع الفلسطينين الذي يطلق عليه الإسرائيليين إرهاب عن أرضهم قد يجعلنا نرى الأمر من جوانب أخرى. جعل هذا الإسرائيليين يرفضون أي تفاوضات. وفي صيف 2000، بائت محادثات كامب ديفيد بالفشل. وشهد سبتمبر انتفاضة فلسطينية ثانية. وفي عام 2001، صرح مسؤول عسكري/ سياسي بناء السياج الأمني. وكان له مغزى رمزي. وفي أعقاب انتخابات يناير 2003، شرع شارون بسحب المستوطنين الإسرائيليين من غزة، الأمر الذي عارضه وزير الخارجية نتنياهو الذي استقال من منصبه. كان لابد أن يكون متفائلاً ومؤمنًا بأن النجاح في العراق من شأنه في الواقع تحديد وضع التقدم نحو إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية. وعلى مدى السنوات اللاحقة، بدأت محادثات بين الجانبين وذهبت هباءً منثورًا. في المقابل، اختلف الفلسطينيين، الموجودين في غزة والضفة الغربية، فيما بينهما. جاءوا سويًا إلى الأمم المتحدة في عام 2011 للحصول على الاعتراف الدولي

بدولة فلسطين. قابلت هذه الخطوة معارضة شديدة من إسرائيل والتي اعتبرتها أمريكا خطوة لا داعي لها. كان لابد من إجراء مفاوضات.

عدم اليقين سلط الضوء على الطابع الاستثنائي للعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. كان بقاء إسرائيل في شكلها الحالي أمرًا غير قابل للتفاوض في نظر معظم يهود أمريكا (ولكن ليس من وجهة نظر اليهود فقط)، ولم يكن هناك جهدًا مبذولاً لضمان غياب تردد الإدارة الأمريكية في دعمها. ولد بول ولفويتس (ولد في عام 1943) نائب وزير الدفاع في إدارة بوش، في أسرة يهودية بولندية في نيويورك التي سكنها من هربوا من الهلوكوست الأوروبي. لم يكن هناك دفاعًا أكثر ثباتا من فترة قصيرة وسريعة ورخيصة في العراق. لم يعد النجاح في العراق حركة مهمة لحل المسأله الفلسطينية. وأُصيب بعد ذلك شارون بجلطة مما أخرجته من الحياة السياسية. وبحلول عام 2008، عاد نتنياهو رئيسًا للوزراء. وبهذا يعتبر أول شخص شاغلاً للمنصب ولد في إسرائيل، وصرح أنه لن يقوم بأي شيء يهدد أمن إسرائيل. بالنسبة للفترتين الخمسينيات والستينيات، عاشت عائلته في الولايات المتحدة الأمريكية حيث ذهب إلى المدارس. وأصقل علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية. عندما تحدث أمام الكونغرس في عام 2011، قال أنه يتكلم بلهجة فيلادلفيا بعض الشيء من شبابه. احتفى به الكونغرس. ومع ذلك كان الرئيس في البيت الأبيض مخيبًا للآمال نتيجة استمرار الاستيطان اليهودي في الأراضي المحتلة مما جعله يحدق له بنظرات باردة. ولم يكن تعبيرًا عن المحبة الأخوية. كان من المتوقع قيام جولة أخرى من الحرب، التي كان لها عواقب لا يمكن التنبؤ بها. الصعوبات الكبيرة التي واجهتها القوات الإسرائيلية في معارك جنوب لبنان أثناء توغلها في عام 1982 أشارت إلى أن تفوق الجيش الإسرائيلي لفترة طويلة قد يكون أمرًا مبالغًا فيه. قد يُسهل الربيع العربي الذي تم مناقشته من التسوية التي قد تقبلها إسرائيل أو قد تزيد من عزلة إسرائيل وتحدي وجودها في الشرق الأوسط. لكن ظهرت مفاجآت في الشرق الأوسط. هذا النوع من الصور ساد في العالم الخارجي. ونصح بالتقاعس عن العمل، ووصل الأمر إلى اللامبالاة. ذلك ما كانت عليه الأمور. في عالم الدول السادية لم يكن هناك قوى خارجية يمكنها أو

ينبغي عليها القيام بشيء لإنتاج المزيد من الأنظمة المستنيرة. ومع ذلك، ولعوامل أخرى في العالم الخارجي، اشتم فكرة أن الاستبداد الشرقي كان أحد الجوانب الموروثة والتي تتجزأ عن العالم العربي. وهذا بالتأكيد ليس الحال. فلا توجد دولة أو مجتمع لديه سمات وطنية أساسية. ينبغي معرفة أن السعي خلف الحرية لا حدود له. حتى الآن لا يمكن أن تكون أي دولة تعتمد على إمدادات النفط أو غيرهم من منتجي الشرق الأوسط غير مبالية بالتنمية الداخلية.

## هل تغير العالم تمامًا في أحداث سبتمبر؟

أدت الهجمات في 9 سبتمبر عام 2001 على مركز التجارة العالمي في نيويورك (وعلى البنتاغون في واشنطن) إلى مقتل 3000 شخص. في الولايات المتحدة الأمريكية، تأسس عصرًا جديدًا، حيث أنه من المفترض أن تحول الشحنة العاطفية الكبيرة نمط عقد من الزمان. ضرب الهجوم أيضًا العالم حيث فقد مواطنين من حوالي 90 دولة أرواحهم. لكن كانت الصدمة قتل عدد كبير من الضحايا في حادث واحد، كما دمر فرضية أن الولايات المتحدة الأمريكية غير معرضة للخطر. وعادت ذكريات الهجوم على ميناء بيرل هاربر عام 1941. لم يكن تم تحديد أي غزو عسكري رسمي من قبل الدولة. واستخدمت الطائرات التجارية المختطفة من المطارات الأمريكية في الهجوم. كان ينقص العالم ضماناته العقلية المعهودة (غياب الحدود القانونية، والنظم الرسمية التابعة للدولة، والجيش وساسة العالم). ارتبط الرجال المشاركين بتنظيم القاعدة الذي أسسه أسامة بن لادن. كانت القاعدة تنتشر في كل مكان. كان عالمًا غامضًا لكنه تم تكهنه. حيث لم يكن بن لادن (ولد 1957) مهمشًا في المجتمع السعودي. درس الاقتصاد في جامعة الملك عبد العزيز في الرياض عام 1981. كان على اتصال جيد بعائلته التي ملكت واحدة من أكبر شركات المقاولات في الشرق الأوسط. على الرغم من اهتمامه بالمقاولات في شبابه، إلا إنها لم تكن مجرد تجارة. كان الأمر إعادة بناء للعالم الإسلامي من بخاري إلى جنوب أسبانيا. كان التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة من وجهة نظره في الحقيقة احتلالاً للأراضي الإسلامية المقدسة. وتم بالفعل توجيه المقاتلين والأموال للمقاتلين الأفغان ضد

الاحتلال السوفيتي. وفي عام 1994، أُلغيت جنسيته وتم تجميد أصوله ودعم الحركات المتشددة الأصولية على الرغم من تميز البلاد بالوهابية المتشددة للإسلام في البيئة الدينية، إلا أنها في بعض الأحيان عندما تخرج عن حدودها توصف بالأصولية. لم تكن تحركاته بعد ذلك معروفة على وجه التحديد لعدة سنوات، إلا أنه كان يعمل في أفغانستان. كان هناك شخصيات أخرى معه وخصوصًا من مصر ممن أُعجب بتفكيره. وتم تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين في عام 2000 والتي أعلنت أن جميع المسلمين من الواجب عليهم قتل الأمريكيين وحلفائهم. ودمر بناءً على ذلك برجي مركز التجارة العالمي بعد عام واحد من هذا. تدفقت التعبيرات الرسمية المتعاطفة مع الولايات المتحدة. وكانت الكراهية الشديدة لأمريكا في بعض الدول الإسلامية تجاوزت فهم البيت الأبيض، وربما معظم الأمريكيين. أعلن الرئيس بوش الحرب على الإرهاب مفسرًا التعاطف العالمي بوجوب اتخاذ إجراءات عالمية أثبتت تهرب بن لادن، والذي كان معروفًا أنه الهدف الرئيسي. لم يتمكن العالم من التحرك في وئام بشكل عام. في الولايات المتحدة نفسها، وبعض حلفائها، كانت الطريقة الوحيدة لضمان الأمن الداخلي هو التعمق في معرفة الشرق الأوسط، على الرغم من أنها منطقة كبيرة. في نهاية المطاف، سيتم إنشاء شرق أوسط ممتد يتعامل بسهولة ويسر مع نفسه، وقد يكون مرتاحًا للعلاقات مع أمريكا، لكن تحقيق ذلك قد ينطوي على مسار مؤلم في كل جولة.برر صناع السياسة في واشنطن ذلك وسعوا لتحقيقه. لكن هذا العمل ستستفيد منه إسرائيل ولن يحظي باهتمام الإسرائيليين وأعضاء الإدارة اليهوديه وغير اليهودية المؤمنين بشكل راسخ بقضيتهم.

## أوجه غموض الحرية الدائمة من كابول إلى القاهرة، ومن طرابلس إلى دمشق، ومن الجزائر إلى طهران

كانت "عملية الحرية الدائمة" بمثابة رد أمريكي محدد على هجمات 11 سبتمبر. فقد فتحت الطريق أمام الولايات المتحدة وبعض حلفائها إلى أفغانستان في أكتوبر/ تشرين الأول لعام 2001 للقضاء على نظام طالبان الموجود بها حيث كانت مأوى ل بن لادن وكان بها مجموعة من الأصوليين. وقد بدا أن نوع من النجاح قد تحقق على الفور بالتعاون

مع تحالف الشمال الأفغاني الحر. ومع ذلك، وبعد مرور حقبة من الزمن لا تزال القوات الأمريكية والبريطانية وقوات أخرى غيرها من دول حلف شمال الأطلنطي NATO العاملة وفقًا لقواعد الاشتباك منتشرة بأفغانستان. وتخيم علامة استفهام على الأفق بمجرد عودة القوات الأجنبية إلى ديارها أو إنهاءها دورها القتالي. كان من الممكن إزالة حكومة طالبان ولكن تشكيل حكومة أفغانية تعمل بفعالية واستحسان تطلب بعض الوقت: ما مقدار الوقت الذي كان يُحدد باستمرار؟ لقد صار الأمر عقيدة أن القوات الأجنبية لن تبقى إلى أجل غير مسمى بالأعداد اللازمة لإضعاف (إن لم يكن لهزيمة) قوى المعارضة الطالبانية. فسيمنح الجيش الوطني الأفغاني الدولة ككل الحماية التي تحتاجها إذا ما أنشأت حكومتها. لقد كانت هناك حلقة مفرغة في تلك التأكيدات وبمرور الوقت أصبح حجم الدول المختلفة في الصراع والشراكة أكثر وضوحًا، فقال البعض أن استمرار وجود القوات الأجنبية كان له نتائج عكسية. ومع الازدياد المطرد في حجم الخسائر التي أصابتهم، ازدادت الضغوط المحلية للعودة للوطن. لقد سعت حكوماتها لجعل سياسات الخروج التي وضعتها مسبقًا مقنعة. ولم يكن جليًا أن الحرية، كما ظنتها القوات المحتلة أو الداعمة لها، ستستمر. كما تضررت السمعة الأمريكية نتيجة للمعتقلين الذين اعتقلوا نتيجة للحملة على أفغانستان، والذين سجنوا في سجن خليج غوانتانامو في المنشأة الأمريكية في كوبا. مما أدى إلى تصاعد حجم الانتقادات الخارجية والتركيز على السبب الرئيسي لأسرهم وتسليمهم ومعاملتهم ووضعهم. ولقد كان الأخير عسيرًا في المناقشات القانونية في الولايات المتحدة مما أحبط نية الإدارة الأمريكية الجديدة في عام 2009 لإغلاق السجن. ومن ثم فقد بقيت تهمه أنه دفاعًا عن الحرية فقد لجأت الولايات المتحدة لوسائل لا تقبلها الدول المتحضرة. ولم يكن هناك أدنى يقين بأنه حتى لو أصبحت أفغانستان آمنة فإن ذلك سيحبط آفاق الإرهاب في أي مكان آخر سواء أكان هذا الإرهاب ينبع من الداخل (كما هو الحال عليه في لندن أو مدريد) أو تم تدبيره من الخارج نظرًا للقاعدة التي تقول أن تنظيم القاعدة متنقل. وعندما تم تحديد مكان بن لادن في نهاية المطاف وقتله بواسطة القوات الخاصة الأمريكية في عام 2011 كان يعيش بمأمن في باكستان. أما كيف حدث ذلك وما مثله فقد اكتنفه الغموض. وأينما وجدت الحقيقة في هذه الحالة، فقد

ألقت الضوء على مدى تداخل الصراعات وإمكانية اختراق الحدود. لقد كان مستقبلي أفغانستان وباكستان مرتبطين في تحالفات معقدة. وغالبا ما حملت العلاقات الحكومية علاقة بسيطة بالواقع عند مستويات مختلفة. فلم يتم بالتأكيد حل جميع المسائل التي أفسدت باكستان منذ قيامها ومنها العلاقات المدنية والعسكرية والفساد والعنف والكوارث الطبيعية وأعمال العنف العرقي (سواء في كراتشي أو في الشمال الغربي) والحرية الدينية وكشمير. لقد كان في الصومال واليمن ونيجيريا والمغرب وأماكن أخرى في العالم الإسلامي لا يمكن استيعابها بسهولة ضمن فئات العقيدة والسلوك التي يطبقها الغرباء. ومع ذلك، فما يجب أن يكون عليه الشرق الأوسط أصبح مسألة أكبر من الشرق الأوسط. لقد كانت هذه الحقيقة في حد ذاتها مزعجة في المنطقة التي ظلت خليطًا من الأنظمة المتنافسة. وقد يكون الحكم الاستبدادي، والذي انتشر للغاية بصور مختلفة، قمعيًا بوجه عام ولكن ذلك لم يكن دون فائدة بالنسبة للأفراد أو المجموعات في الأنظمة الأسرية. وفي مواجهة رجال أقوياء، اختلط الخوف والإعجاب بدورهم سواء في ليبيا أو اليمن أو العديد من الأماكن أخرى. وفي مثل تلك الظروف سيكون الحث صراحة أو ضمنيًا على الموافقة على التوصيف الغربي الذي يأيده الغرب بالنسبة للحكومة والمجتمع، مهينًا مرة أخرى. ومع ذلك، فقد كان من المهين أيضًا العيش على الدوام مع فكرة أن العالم العربي كان يرزخ بالفعل تحت أنواع مختلفة من الاستبداد وتقليص الحرية أو القضاء عليها. ومن ثم فقد لوحظت ردود فعل مختلفة. لقد كان هناك رفضًا متجددًا، في بعض مناحي الأجندة الديموقراطية. أن قبولها كحزمة إجمالية سيكون استسلامًا غير إسلامي للنظرية الديموقراطية وتنازلاتها الضمنية والتي حرفت كيفية تصور الإسلام لتنظيم المجتمع. ولكن هل كان هذا صحيحًا؟ أحيانًا ما أضاف المسلمون في الغرب المسيحي أو العلماني أصواتهم المعارضة- أصوليين أو محدثين- إلى النقاش. ومن ناحية أخرى فقد كان هناك مسارات غير دينية لمستقبل الشرق الأوسط. فقال البعض أن على الديموقراطية أن تأتي ولكن بدون تسرع ويجب أن تتمتع بخصائص أصلية واضحة في العملية. في حين رأى بعض المتشككين الآخرين أن هناك حاجة لثورة كاملة. وسيتطلب ذلك أكثر من مجرد انقلاب مألوف يحل فيه فرد محل آخر في رئاسة نظام ثابت.

ومع ذلك، فإن مثل هذه الثورة قد لا تحدث أبدًا في ظل القوة العسكرية والتدابير القسرية المتاحة للأنظمةالقائمة. وحتى لو حدثت في ظل الخلافات التي من المحتمل أن تنشأ فقد كان من الصعب تصور كيف يمكن أن تترسخ الديموقراطية ترسخًا سهلًا ودائمًا. لقد كان من اليسير الحديث عن الأحزاب وعن معرفة ما الذي يطمحوا إلى تحقيقه. وكان من الواضح أن الإسلام يمكنه أن يوحد ويفرق في أن واحد. لقد كمنت المفارقة في أن صناديق الاقتراع إذا ما استخدمت بسخاء زائد فقد تؤدي إلى انتصار حزب أو ائتلاف غير مبال أو معادي للديموقراطية.

إن ما حدث في الجزائر في عام 1992 أوضح تلك التعقيدات. فقبل ذلك بثلاث سنوات أخذ الرئيس شاذلي بن جديد (ولد عام 1929)، الذي كان رجلًا عسكريًا خدم من قبل في الجيش الفرنسي في الهند الصينية، خطوة ديموقراطية. فقد صادق على دستور جديد أقر التعددية الحزبية إلى جانب جبهة التحرير الوطني (-FLN التي سيطرت منذ الاستقلال). مما مكن الجبهة الإسلامية للإنقاذ (FIS) من إحراز تقدم كبير في الحكم المحلي فقد حصدت حينها عدد ساحق من المقاعد في الجولة الأولى لانتخابات البرلمان الجزائري. وفي تلك المرحلة، تدخلت القيادة العسكرية فأُلغيت الانتخابات وعُلِق البرلمان وأُطيح ببن جديد. وفي المقابل شن الجناح العسكري ل FIS هجمات على الجيش وأهداف أخرى. وأعقب ذلك حرب أهلية مريرة وخسائر فادحة في الأرواح بلغت ما يقرب من 100.000 شخص. لقد تطلب الأمر بعض الوقت لعقد هدنة اتفق عليها في عام 1997 لتكون فعالة بالفعل في إنهاء العنف. لقد بدا أن عقد مصالحة وطنية تتضمن عناصر إسلامية وعلمانية مختلفة أمرًا شاقًا. كما ظلت العلاقات المدنية- العسكرية مشكلة صعبة الحل. وجرى التنازع على الحق في الثورة الجزائرية الحقيقية . وفي عام 1999 أصبح عبد العزيز بوتفليقه (ولد عام 1937) أول رئيس مدني للدولة. وقد ظل بعد مرور عقد من الزمن محتفظًا بمنصبه بعد أن أزال حد الفترتان الرئاسيتان للترشح لمنصب الرئاسة وبعد أن حاز على غالبية 90٪ من الأصوات. ولم يكن السياسيون من جيل ما بعد الاستقلال قد وضعوا بصمتهم على الساحة بعد. وبطبيعة الحال فقد كانت هناك جوانب محددة في

التجربة الجزائرية ولكن القضايا المتنازع عليها تردد صداها في جميع أنحاء العالم العربي. ولم يكن تحقيق توازن منفرد أو بسيط أمرًا محتملًا.

أما في العراق وبالتالي في باقي أنحاء الشرق الأوسط فقد بدا من المعقول في كثير من الأحيان، لبعض المراقبين استنتاج أن الشعوب الإسلامية لم تكن في انتظار أن يتم تحريرها. فلم يكونوا مثل الأوروبيين الشرقيين في الفترة التي سبقت سقوط الشيوعية في انتظار أن يتم تحريرهم. حيث أظهر انتخاب محمود أحمدي نجاد رئيسًا لإيران في العام الماضي أن الشعوب يمكن أن تنساق وراء نزعة شعبوية معادية بشدة للغرب تعتمد على استغلال الشعور الدائم بأن إيران قد تعرضت لمضايقات في الماضي. لقد أعلن النظام أنه لن تتم مضايقة إيران مرة أخرى ولم يتردد في سحق المعارضة الداخلية. لقد كانت سياسة إيران النووية تعبيرًا عن هذا الشعور سواء أكان هدفها إنتاج أسلحة نووية أو لم يكن كذلك. إلا أن السياسة الداخلية للدولة ظلت معقدة من حيث التفاعل بين القيادات الدينية والعلمانية. كان الخوميني قد توفي في عام 1989 ولم تحظ شخصية دينية بالدور الذي كان يتمتع به. لقد بدا أن موقف أحمدي نجاد العالمي سيحول دون إجراء تسوية مع الغرب وإن بدا في بعض الأحيان أن هناك احتمالية طفيفة بالتوصل لاتفاق بشأن القضية النووية. لقد كانت عدائيته تجاه اسرائيل أمرًا لا هوادة فيه عبر عنها بدعمه لحزب الله، حيث تعهدت المنظمة الشيعية المتطرفة في لبنان بالإطاحة "بالإمبريالية الصهيونية". وأحدث فشل إسرائيل في هزيمة حزب الله في جنوب لبنان الشرخ الأول في فكرة أن إسرائيل ستربح دومًا في أية مواجهة عسكرية. مما صعد إحساسها بعدم الأمان وجعلها ترى يد إيران في كل مكان. ومع شعور إسرائيل بأن إيران سيصبح لديها أسلحة نووية فقد أملت أن تستأصل الولايات المتحدة تلك الإمكانية. ومع ذلك، ففي واشنطن كان هناك بعض القلق بأن الاسرائيليين سيفعلون ذلك بأنفسهم بغض النظر عما يراه "العالم". ومن المحتمل أن لا يمكن التكهن بعواقب أي المسارين.

إن نجاح العراق جعل من الهام بالنسبة للإدارات الأمريكية تحسين علاقتها بالعالم العربي. ولما الحكام العرب التقليديين المتشككين في الأقليات الشيعية وإيران غير

مستجيبين. ومع ذلك فلم يتمكنوا من الإفصاح عن التزام علني تجاه القضية الفلسطينية (في حين كانوا فعالين في إعداد العديد من الحلول الممكنة). لقد رغبت الولايات المتحدة الأمريكية في إظهار تقديرها لأهميتهم. فأبدت إدارة بوش تلميحات وجربت بعض المداهنة والنقد لإسرائيل ولكنها ما كانت لتتجاوز الحدود التي وضعتها وإلا سيلحظ جمهور ناخبيها المحليين ذلك. ومع ذلك فتحريك عملية السلام لم يكن سهلًا في 2010-2011 عما كان عليه في أي مرحلة سابقة. إن الأمر لم يكن غيابًا للإرادة، في نهاية المطاف، ولكن افتقارًا للقدرة الأمريكية والذي حال دون تحول تلك المنطقة الحيوية التي أنفق عليها الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين وقتًا كثيرًا، على ما يبدو دون جدوى. وبالتالي مع دخول عام 2011 يبدو أن القليل قد تغير في مشهد الشرق الأوسط فكما حكموا في 2001 وبالفعل في عام 1991 حكم مبارك مصر وبن علي تونس والقذافي ليبيا وصالح اليمن والأسد سوريا. وسرعان ما تغير المشهد في الشهور الأولى. فقد أدى أول احتجاج شعبي في تونس إلى فرار بن علي الذي اتهم بالفساد وأسرته من البلاد. وثانيًا بعد صراع أطول في قلب القاهرة تنحى مبارك عن الحكم ثم قُدم للمحاكمة. وفي ليبيا كانت انتفاضة تجاه القذافي في بني غازي بداية صراع طويل معه خلال الصيف أدى إلى انتصار المجموعات التي شكلت مجلس انتقالي والذين دعمت انتصارهم القوات الجوية بموافقة الأمم المتحدة ومن خلال بعض دول حلف الناتو لاسيما بريطانيا وفرنسا حيث لقي القذافي ميتة شنيعة. كما كان يجري في الوقت ذاته صراع على السلطة أيضًا في اليمن. أما في سوريا فلم يتردد بشار الأسد في استخدام القوة ضد المتظاهرين في صراع طويل للاحتفاظ بالسلطة. لقد اشتد بمرور الشهور وتردد صداه في العالم العربي وعلى نطاق المجتمع الدولي . وعلى الرغم من استنكار القوى العظمى للخسائر في الأرواح فلم يتمكنوا من الاتفاق على أن أي حل للصراع الداخلي سيتضمن إجبار الأسد على الرحيل. وفي وقت كتابة هذا الكتاب، كان النظام لا يزال في مكانه والمستقبل غامض. واخترعت لغة الصحافة مصطلح الربيع العربي بالطبع بعد أن رغبت بالفعل جميع الشعوب في الحرية. ثم حدثت حادثة مفاجئة وهي أن الشعب سُلِبَ منه انتصاره في الانتخابات العامة الإيرانية. لقد أخبر الشباب تليفزيونات العالم أنهم رغبوا في الحرية قائلين أنهم لم يعرفوها من قبل. ومن

ثم فهل كان هذا جيل جديد يخلق مستقبل جديد أم كان أمر مؤقت؟ لقد كان نظام القذافي يرثى له ولكن لم يكن من الواضح ما هو نوع الحكومة التي قد تخلفه وسواء كانت ليبيا على هذا النحو ستبقى. لقد كان من المحتمل أن يكون للإطاحة بالنظام عواقب تؤدي إلى عدم الاستقرار جنوبًا- في مالي على سبيل المثال. وفي مصر كذلك، لم يكن إنشاء نظام حكومي صالح ومقبول أمرًا محتمل الحدوث بين عشية وضحاها. لقد ترك ذلك الغرب في حالة من الحرج: حذر من التدخل ولكنه يوافق عليه بشكل عام. لقد مورس ضغط دبلوماسي على مبارك على سبيل المثال. وعلى الرغم من ذلك، فباستثناء ليبيا وربما، عند مرحلة ما في المستقبل، في سوريا، كان على الشرق الأوسط أن يحل مشاكله بنفسه. ولم يعد بمقدور أي مراقب القول بما يعنيه كل هذا فربما يكون ما عليه الحال هو أن كل شيء آخذ في التغير الآن في الشرق الأوسط وربما لا يكون الأمر كذلك.

# 26

# تحديد التعقد متعدد الأطراف

## العالم أصبح عالما واحدا: باراك أوباما

انْتُخِبَ باراك حسين أوباما (ولد عام 1961) رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 2008. لقد كان نجاحًا حمل في طياته تعقيدًا وربما رسائل سعيدة عن الولايات المتحدة ولصالحها وعن العالم أيضًا. فمن ناحية كونه ديمقراطي، فقد مثل ذلك نجاحًا مما دل على التحول بعيدًا عن هيمنة الحزب الجمهوري الذي كانت تسيطر عليه عائلة بوش. وقد يكون ذلك تخفيفًا من السياسات الخارجية الحازمة التي نوقشت في الفصول السابقة. ومع ذلك فلم يكن التأرجح بين الحزبين مثيرًا للدهشة في حد ذاته. ربما ما كان ليثير الدهشة هو أن يكون المرشح الناجح امرأة. ومع ذلك، فقد خسرت هيلاري "زوجة الرئيس الأسبق كلينتون" في السباق لترشيح حزبها. ومن ثم فلم تكن هناك أدنى دهشة في انتخاب رجل ولكن المثير للدهشة كان الرجل ذاته. فبحلول الوقت الذي أصبح فيه بالغًا كان المشهد العالمي الذي أثر على من كانوا أكبر منه سنًا قد تغير. ففي حين ركزت أغلب التعليقات في الولايات المتحدة والخارج على أوباما كأول رئيس أمريكي من أصول أفريقية فإن هذا التصنيف قلل تعقيدات ميراثه العالمي. كونه ولد في هاواي لم يكن غريبًا في حد ذاته، ولكن والدته البيضاء (من أصول بريطانية/ أيرلندية) قابلت والده الكيني الذي كان من اللولو وتزوجته عندما كانا في جامعة هونولولو . كان الزوجان يدرسان

اللغة الروسية. كان والد أوباما قد التحق بمنحة دراسية أتت بقادة محتملين من أفريقيا الجديدة إلى الولايات المتحدة في ذلك الوقت. وبالتالي فلم يكن"سواد" أوباما سواد رجل انحدر من أجيال من "الأمريكيين الأفارقة". كان عليه رؤية ذلك بنفسه، كما حدث، عندما عمل كمنظم مجتمعي في الطرف الجنوبي من شيكاغو. لقد كان ماضيه الأفريقي حاضر أمريكي جديد حيث أتت به إلى شرق أفريقيا والتعقيدات القبلية لدولة ناشئة. لم يبق والده شخصية مؤثرة في طفولته- فقد انفصل أبواه وعاد والده إلى موطنه حيث مات في سن العشرين- ولكن زيارته لكينيا لاحقًا كانت زيارة للوطن. ثم تزوجت والدته من طالب أندونيسي أُعيد مرة أخرى إلى وطنه بعد أن انتخب سوهارتو رئيسًا في عام 1967 ومن ثم فقد ذهبوا جميعًا للعيش في اندونيسيا حيث التحق باراك أوباما بالمدرسة لمدة 4 سنوات. لم يحدث من قبل أن اعتلى رئيس أمريكي السلطة بمثل تلك الخلفية وبالتأكيد لم يكن واحدًا من خريجي جامعة هارفارد. ومن ثم فمن غير المدهش، وفقًا لروايته، أن تقلقه هويته في وقت مبكر. حمل كتابه الأول (1995) عنوان "قصة عرق وإرث". لقد أعلن نفسه مسيحيًا وإن كان قد أمضى أربع سنوات من طفولته في دولة إسلامية كبيرة وعرف عن الإسلام بطرق أخرى. لم تعلم أي شخصية عالمية أخرى في تلك المرحلة الكثير عن الدول خارج بلدها: أفريقيا وجنوب شرق آسيا على وجه الخصوص(كما قام بزيارة قصيرة لأصدقائه في الهند وباكستان). وكان من الواضح للغاية أيضًا أن صلاته لم تكن غير عادية فحسب وإنما كانت لديه موهبة غير عادية في الكتابة عنهم وإسقاط رؤيته على ما يكتبه. لقد جعله ذلك كله، رجل عالمي إلى درجة غير عادية. فكان المزيج الذي قدمه خاص به ولكنه وضعه عند نقطة التقت فيها العوالم واختلطت على الأقل. ومع ذلك، فماضي أسرته علمه على المستوى الشخصي مخاليط لم تنجح أبدًا. كما علم جيدًا أن الكلمات في حد ذاتها لا تحل المواقف الصعبة. لم ينتخب الشعب الأمريكي نوعًا جديدًا من الرؤساء العالميين. لقد انتخبوه لتمثيل أنفسهم والاهتمامات الأمريكية كما تصوروها. وعلى افتراض أنه يرغب في فترة رئاسية أخرى، فكان عليه أن يقنع الناخبين بأنه رئيس فعال ويمكنه النجاح في التعامل مع المشكلات الاقتصادية التي ألقيت على عاتقه عند انتخابه. وقبل عشرة أعوام، لم يتردد البيت الأبيض بقيادة كلينتون في رسم صورة لعالم متحد. فبمقدور

الولايات المتحدة تشكيل عالم أكثر سلام ورخاء وديمقراطية. استمر كتاب أوباما الثاني جرأة الأمل في (2006) الذي نُشر عندما كان عضوًا جديدًا بمجلس الشيوخ عن ولاية إلينوي على هذا المنوال. ومع ذلك فسرعان ما أظلم المشهد الاقتصادي في الوطن في أعقاب الأزمة الاقتصادية. لقد شهدت الأعوام التالية صراعًا ممتدًا مع وضع متدهور في دولة سريعة الاستقطاب. لقد تغير حالها كما أشير إليه في الفصل 3 وشهدت تساؤلًا متجددًا حول ما تعنيه أمريكا وعما إذا كان الحديث عن تشكيل العالم كان مجرد تفخيم. وعلاوة على ذلك، وكما نوقش في الفصل السابق، فقد ظلت قضايا الشرق الأوسط وظلالها مستعصية. فقد لا يرغب رئيس أمريكي في أن يكون حيث كان ولكنه لا يستطيع الهرب بسهولة: وكما لاحظنا فقد بقيت إسرائيل وأفغانستان ومصر وباكستان في الصدارة. إن بإمكان أوباما توصيل رسالة للجمهور المصري في القاهرة بلهجة فريدة وترك انطباع. لقد كان هناك نوع من الالتقاء حيث تقابل الإسلام والمسيحية، والشرق والغرب مرة أخرى من خلال أمريكي من أصل أفريقي ولكنها كانت مجرد بداية جديدة. وقد تصبح سريعًا نهاية أخرى. لقد كانت مستقبلات الحساسية جميعها جيدة جدًا ولكن النقاد قالوا بأن مشاعر أوباما لم تتمكن من حل المشاكل. فقد تم تجاهل رسالة معدة بعناية أرسلت إلى جمهورية إيران الإسلامية. وباختصار، فقد أشار باراك إلى التغيير ولكن التغيير لم يمكن تحقيقه ببساطة. ومع توتر الرغبة الأمريكية كان باقي العالم عازم على المضي في طريقه. ويبدو أن القارات والدول توقفت عن افتراض أن أنظمة عالمية جديدة يمكن أن تنتج عند طلب واشنطن أو موسكو أو أي مكان آخر. لقد نشأت العوالم الآن بمزيد من الثقة من العديد من الاتجاهات.

## أفريقيا: رؤية الأمل، وتعاني من مأساة

مع رؤية الأمل، والمعاناة من مأساة غورباتشوف، التي ذكرت في الفصل الأول، فلم يذكر أفريقيا بين القوى الكبرى في العالم التي رأى أنها ستنشأ. وبالفعل لم تكن هناك دولة واحدة مثلت صوتها. ومع ذلك فقد كان هناك تغير رئيسي واحد. ففي عام 1981 ألقى أوباما البالغ حينها 20 عام أول خطاب سياسي جاد له في مؤتمر الشباب الديمقراطي يدعو

فيه شركة أمريكية إلى التوقف عن العمل في جنوب أفريقيا. وبعد مرور عشر سنوات وبعد العديد من البدايات الخاطئة بدأت في جنوب أفريقيا مفاوضات جادة لإيجاد حل بشكل رئيسي وإن لم يكن بسيط بين حزب المؤتمر الوطني الأفريقي والحزب الوطني. لقد كانت هناك حجة دامغة بأن المصالح المتداخلة قد وصلت إلى مانديلا ودي كليرك ومساعديهم للتوصل إلى تسوية مقبولة.

ليس بمقدور السود أو البيض الفوز في ظل الظروف القائمة أو على الأقل بثمن يدمر البلاد لجعل حياة المنتصر بائسة. ومع ذلك فهذا يبسط الأمر. لقد دوى صدى العنف خاصة في ناتال بين أنصار حزب المؤتمر الوطني الأفريقي (ANC) وحزب الحرية إنكاثا (IFP) لبوثيليزي. وتم التوصل إلى اتفاق حول دستور مؤقت في نوفمبر 1993. لقد كانت القضايا التي يتعين حلها أو على الأقل التوقف لبحثها بمزيد من الدقة متعددة: ومن بينها اللغات والعلاقات المركزية الإقليمية والحقوق النقابية وحقوق الملكية وانتخاب السلطة القضائية وحياديتها وضمان التوظيف. هل كان للمجموعات حقوق أم كانت للأفراد فقط؟ لقد عقدت أول انتخابات عامة في أبريل عام 1994. وبغض النظر عن التجاوزات في التصويت والتي تنبع جزئيًا من صعوبة إنشاء اقتراع سليم فقد اعتبرت النتيجة إنجازًا هائلًا. حصلت الأحزاب الرئيسية وهي حزب المؤتمر الوطني والحزب الوطني وIFP- على 62 و20 و10 بالمائة من الأصوات على التوالي. لقد أصبح مانديلا رئيسًا للدولة وقَبِلَ تعيينه لمدة خمس سنوات(فترة رئاسية واحدة). وبالنظر إلى النتائج المروعة التي تم التنبؤ بها من قبل بالنسبة لجنوب أفريقيا فقد كان الانتقال انتصارًا ليس أن كل شيء حينها كان واضحًا وممهدًا.

سعت لجنة الحقيقة والمصالحة لجعل الأفراد من جميع الأطراف يواجهون حقيقة ما فعلوه أو سمحوا به في الماضي. وفي هذه المرحلة التقت بعض العوالم وليس كلها معًا. لقد كان لعمليات الشفاء تلك مكانها وكان لها تأثيرها في نشأة علاقات جديدة.كان هناك الكثير للاحتفال به وقد اتخذت ديموقراطية جنوب أفريقيا كمثال يحتذى به في قارة كانت الديموقراطية بها هشة للغاية. ومع ذلك فقد كانت هناك تساؤلات. كان الفوز الانتخابي

ل ANC هائلًا واستمر في الانتخابات اللاحقة. لم تكن جنوب أفريقيا دولة الحزب الواحد بمعنى حظر أحزاب المعارضة ولكن الأغلبية كانت ساحقة بحيث بدا أنه لم يكن هناك أي احتمال لتشكيل المعارضة للحكومة. وبالفعل"أن تكون في المعارضة فأنت عدو". حدث نقاش مستفيض وجدال وانقسام داخل ANC وهدد سواء أكان ذلك جيدًا أم سيئًا بتقسيمه. إن الخير الانتقالي الذي حققه مانديلا (على الرغم من أنه نفسه كان ضامنًا للخلفية) لا يمكن تكراره. أما خلفه ثابو مبيكي والذي شعر أنه محاط بمتآمرين أدنى منزلة فقد انطوى على ذاته في عزلة متغطرسة. لقد تخرج من إحدى الجامعات الإنجليزية عندما كان في انجلترا. أطيح به في عام 2007 وحل محله جاكوب زوما. لم يتخرج زوما من أي مكان ولكنه كان ذو وجود قوي. لقد غرس أسلوبًا أفريقيًا أصيلًا على الأقل في حياته الخاصة. لقد جسد أسلوبه معضلة جنوب أفريقيا بصورة واضحة. لقد منحت رئاسة مانديلا جنوب أفريقيا رصيدًا أخلاقيًا كبيرًا في العالم وقد كمنت الصعوبة في تقرير رفضها وقد أشار هذا إلى غموضها الداخلي المستمر. لقد كانت أصولها مقارنة بالدول الأفريقية الأخرى واضحة " التزام تاريخي تجاه حكومة برلمانية على الرغم من اعتراف الجميع بأن البيض يتمتعون بحس قوي بسيادة القانون ومجتمع مدني قوي".

كان العام 2010 شاهدا على مرور مائة عام على كيان دولة جنوب أفريقيا- في حين لم يكن الشعور بملكيتها على القدر ذاته. فبجانب مبدأ سيادة القانون انتشرت الفوضى والجريمة والعنف في البلاد. وأثّر هذا بدوره في النظام الجديد على تسليم البضائع للأغلبية السوداء وتقديم الخدمات الاجتماعية لهم "الفجوة بين التوقعات المبشرة والواقع المرير". ومن ثم تم توجيه التركيز مرة أخرى نحو محور السياسات المتعلقة بملكية الأرض أو رأس المال، التي ربما تم تجنبها خلال المرحلة الانتقالية في البلاد. مما دعا مجالا للشك بسؤال جنوب أفريقيا عن مكانتها في العالم. فلم يُرحَب تماما بدورها الأفريقي في الدول الأفريقية الأخرى ولا سيما نيجيريا، على لسان مانديلا، عندما سعى إلى التدخل في الشئون الداخلية لدولة أخرى. وقد حبتها أصولها ومواردها مكانة عالمية كقوة وسطى تتميز باستقرارها الواضح والجلي عن كثير من سياقات أفريقية أخرى. ولكن هل هذه

الصورة من وهم الخيال أم أنها بمثابة خيانة لما يجب أن تكون عليه دولة أفريقية بحجمها؟ أم ما زال النخبة، على اختلاف أشكالهم وألوانهم، يتشبثون ببقايا الدولة التي تأسست في الحقبة الأوروبية؟ ولم يكن هذا التساؤل يطرحه سوى شخصية عالمية كـ "ديزموند توتو". وكان قد طرحه على نفسه أولا. وهناك تساؤل آخر عما إذا صح أن يتم سؤال حكومة يهيمن عليها الحزب الوطني الأفريقي بالأسئلة التي كانت تُطرَح يوما على حكومة تسعى للحرية والنزاهة يهيمن عليها البيض. وقدمت سياسة زيمبابوي نموذجا لحالة اختبار. حيث شهد اقتصاد البلاد حالة من عدم الثبات بسبب انخفاض الإنتاج الزراعي بشكل كبير واحتدام التضخم. وكان مكان روبرت موجابي كرئيس للبلاد محصنا، على الرغم من مواجهته لمعارضة متباينة من حركة تشكلت حديثا من أجل التغيير الديمقراطي. وسياسيا، إنه من الشك أن تُجرى أية انتخابات فى مكان من دون إرهاب أو تخويف. ومع ذلك، حققت حركة التغيير الديمقراطي فوزا في الانتخابات البرلمانية بفارق بسيط على الاتحاد الوطني الأفريقي الزيمبابوي/ الجبهة الوطنية. في حين رفض زعيم الحركة أن يشارك في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية على أساس أن النتيجة سيتم تزويرها بأي حال من الأحوال. وكانت قضية الأراضي معلقة على كل شيء، بمعنى استمرار وجود حيازات كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة في أيادي البيض. ولقد تغاضت الحكومة إن لم تكن شجعت على الاستيلاء بالقوة على الأراضي المملوكة للبيض من قبل قدامى المحاربين في الحرب. فيما تدهورت العلاقة بين الحكومتين البريطانية والزيمبابوية واشتعل الخلاف بين العملية العسكرية والتعويض. وبشكل متقطع، لا تزال التطورات التي تشهدها البلاد تجذب الاهتمام في بريطانيا. وقد استخدم موجابي سياسة الإرهاب والتخويف بل وبنفس القدر وجه الدعم داخليا من منطلق أنه حال دون رجوع بلاده للماضي الاستعماري.

في عام 2009 تم التوصل نظريا لاتفاق تسوية بين الرجلين والحزبين تحت ضغط دولي. ومع ذلك فبعد مرور ثلاثين عاما، لا يزال موجابي في السلطة، مع أنه منبوذ من القوى الغربية وفي نفس الوقت لا يزال يحظى بالإعجاب على نطاق واسع في أفريقيا، إن لم

يكن يسلم من الانتقاد، فهو بطل مناهض للاستعمار يكرس جهده للنهوض بشعبه. وقد وجد مبيكي نفسه في موقف غير مريح. إن من شأن الوساطة الفعالة تعزيز مكانة جنوب أفريقيا ولذا فإن تكرار إدانة موجابي ببساطة كنتيجة للانتقادات التي تأتي من بريطانيا على وجه التحديد تلغي مثل هذا الدور. حيث أنه لا يزال هناك مسائل متعلقة بالأراضي في جنوب أفريقيا نفسها. ومع ذلك إذا غضت حكومة جنوب أفريقيا الطرف عن أساليب موجابي، فيمكن أن يرسل ذلك إشارة تكون لها تداعياتها داخل جنوب أفريقيا نفسها. وقد قدمت جنوب أفريقيا / زيمبابوي صورة متناقضة للعالم خارج القارة.

وفي أماكن أخرى، في البلدان الأفريقية التي حكمتها أوربا دون استعمارها ظلت الصورة بها إلى حد كبير لقارة تعاني من الفقر والفساد والزيادة السكانية والحكومة السيئة. وقد دعمت وكالات المعونة الخارجية خلال مطالباتها بالحصول على أموال للمساعدة في تخفيف حالات الجفاف والمجاعة في أثيوبيا والصومال وفي أماكن أخرى من إيجاد تصور عالمي للقارة غير القادرة على إحداث أي تأثير خارجها ولم يكن ذلك موضوعا في الخطة. وقد كان التصور المناقض هو أن البلدان الأفريقية ما زالت منهوبة الموارد وأنها فريسة للصيادين الخارجيين، ومن بينهم يمكن ذكر الصين. وهناك إجماع خارجي مؤكد على أن المساعدات دون وجود حكومة جيدة يؤدي فقط لتغذية الفساد ولكن كيفية ظهور هذا الأخير لم تكن واضحة. ولم تكون الصورة واحدة أوثابتة في أي وقت مضى. ولقد بقيت القضية الوطنية الأساسية دون حل، عرضة للتمزق بسبب العنف، وخاصة في أعقاب الانتخابات التي ادعى منافسيه بالإنتصار فيها.

ومن الدول التي كانت تعاني أشد المعاناة رواندا، المستقلة منذ عام 1962، والتي تعاني من الصراع العنيف بين الهوتو والتوتسي على مدى فترة زمنية طويلة، والذي بلغت ذروته في عام 1994 في مجزرة الإبادة الجماعية التي نتج عنها حوالي 800000 قتيل. وفي مكان آخر نجد أن المنافسين حصلوا أيضًا على دعم من مجموعات عرقية / ثقافية / دينية محددة بدلا من التنافس أمامهم على أساس برنامج معين. ويمكن أن تكون النتيجة انهيار القانون والنظام، مع خسائر فادحة في الأرواح، حتى في تلك البلدان التي أطلق عليها في

مراحل مختلفة من فترة ما بعد الاستقلال أنها مستقرة نسبيا وكذلك مزدهرة.

وفي العالم الفرنكوفوني المتحدث باللغة الفرنسية كان هذا ما عليه الحال في ساحل العاج، وفي الدول الناطقة بالإنجليزية، مثل كينيا. هناك عدد قليل من البلدان التي لديها سيطرة مطلقة على القوة العسكرية داخل حدودها ولكن بينما كان هذا صحيحا لم يكن مؤشرا واضحا على جودة النظام. وظل الوجود العسكري الفرنسي الموجود على أهبة الاستعداد والجاهز لكي يتم إستدعائه عاملا مؤثرا في غرب إفريقيا الفرنسي. وقد عادت القوات البريطانية إلى تمزيق سيراليون لاستعادة النظام. قد فشلت بعض الدول بشكل أكثر من غيرها. وكان يشار في معظم الأحيان إلى محنة الصومال. وقد شهد القرن الأفريقي عودة القرصنة التي تشكل تهديدا حقيقيا لسفن العديد من الدول. كما شهد أيضا المجاعة المستوطنة / الجفاف. وبينما كانت هناك حالات من العودة للحكم المدني كما هو الحال في نيجيريا كان نادرا ما يتم إيجاد حلول للانقسامات الداخلية.

في عام 2011 تم الوصول لإنهاء أحد أطول النزاعات في القارة مع استقلال دولة جنوب السودان ولكن كان افتراض أن المنطقة الحدودية بينها وبين جارتها الشمالية ستكون سلمية متسرعا. ومثل هذه النتيجة يمكن اتخاذها لتكون علامة على زيادة الاستقرار، ولكن سيكون أكثر تسرعا القيام بتحديد أي توجهات واضحة ومستقرة في أي مكان. فالوحدة الأفريقية، من حيث الخطاب القديم قد فشلت. ويمكن إعادتها مرة أخرى على الأساس الأكثر نفعية الناتج عن الترتيبات الاقتصادية المحددة بين الدول على أساس إقليمي. وحتى يحدث ذلك، مع الاستثناء غير المؤكد الذي تقدمه جنوب أفريقيا، يظل التصور الخارجي بأن أفريقيا لم تقدم أي فاعل عالمي رائد.

### أوروبا: فقط حتى الآن، وليس أبعد من ذلك؟

أوروبا التي يعرفها غورباتشوف باعتبارها فاعل رئيسي في العالم لم تعد أفضل على الخريطة في عام 2011 مما كانت عليه عندما تحدث عنها. فالفرضيات المعتمدة على أسسها ونشاطها الحيوي المصممة لتشكيل توحدها المقبل الضروري كانت شائعة خلال هذه الفترة. ومما لا جدال فيه أن أحداث 1989-1991 قد أعادت فتح "أوروبا" التي كانت

أجزاءها السابقة تبدوا أكثر انقساما من أي وقت مضى. وكان الجدار قد أزيل. والستار الحديدي قد بلى. والسرعة التي تم بها التحول وتوقيته غير المتوقع قد أعاق المجالس الرسمية من أن تنعكس بجدية على أمجاد وويلات الماضي الأوروبي التي ربما تدعم المستقبل. ويمكن طمس الغرب والشرق إلى حد ما ولكن ما يقرب من نصف قرن من الانفصال لا يزال يترك آثاره المؤسسية والثقافية الراسخة. وإذا كان في الحقيقة أن الأحداث في الشرق كان ينظر إليها على أنها تحرير في الغالب صحيح، فإن هذا لا يعني بالضرورة أن كل شيء كان في الغرب كاملا. والوصاية الغربية، عندما تشوبها الغطرسة، يمكن مع ذلك أن تؤدي إلى نتائج عكسية والتغريب بمعناه الواسع هو ما كان مطلوبا.

ولم يكن هذا أكثر وضوحا مما كان عليه الحال في بولندا، وبفضل حجم هذا البلد والسكان والمهارة الواضحة في تحولها فقد إحتلت جزء كبير من الفضاء الأوروبي فهي الدولة الشرقية / المركزية الأوروبية الوحيدة التي تقترب من الوزن السياسي لبريطانيا أوفرنسا أوألمانيا. ليس هذا فقط. فقد كان البولنديون منتشرون في كل مكان. ومع ذلك لم يكن هناك مكان أكثر حساسية للضغط المطلوب، والذي لم يكن دائما موجود ، مما كان عليه الأمر في إنشاء المانيا الجديدة. كل هذا كان مسألة بناء الجسور وأحيانًا ما سقط بناة الجسور. وقد كانت هناك قضايا أساسية تكمن وراء الدبلوماسية والعلاقات المتبادلة. فالتوحد القادم قد قدم للجمهور في شكل هياكل وآليات محددة هدفها ضمان عدم إنغماس أوروبا مرة أخرى في الحروب بين الدول، أو ربما يمكن القول الحروب الأهلية الأوروبية. وفي عام 2007، مع مرور خمسين عاما على توقيع معاهدة روما يمكن القول أن الموقعين المؤسسين لم يكن يبدو عليهم أنهم كانوا يفكرون في الحرب مع بعضهم البعض.

وإذا كان تطور أوروبا هذا تحت أسماء مختلفة ومع تغيير المؤسسات التي أحدثت هذه النتيجة المرغوب فيها يمكن أن يكون هو المسئول عن النجاح: فكلما إزداد كلما كان الحال أفضل. وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول أن الدول الأوروبية لم تكن في حاجة للهياكل المؤسسية لمنعها من مقاتلة بعضها البعض. فالرعب من الحربين العالميتين كان درسا كافيا. فقد أصبحت ناضجة جدا وحكيمة جدا للقيام بذلك مرة أخرى، على الرغم من أن ذلك

سيظهر حتما للأجيال الجديدة بأنها كانت أحداث بعيدة، ولكن هذا في الآخرة. في الواقع لا شيء يمكن تأكيده بشكل قاطع بأي طريقة. والسؤال المطروح هو هل التكامل كان حدثا أم عملية، حيث تم مناقشة ذلك في عدد كبير من الندوات. فهو كحدث أكد على أنه ينبغي أن يكون هناك أوروبا محددة وثابتة - دستوريا واقتصاديا وثقافيا. ويمكن الوصول لوضعية الهضبة البيانية التي تحدد بحزم وفي جميع الأوقات ميزان القوى بين أوروبا في المركز وأوروبا من وجهة نظر قاعدة الدولة الوطنية. حيث أن الوصول لهذا التوازن يمثل إشكالية كبرى، نظرا لاتساع وتنوع وجهات النظر، ولكن يمكن وينبغي أن يتم ذلك. وقد أدى ذلك لإحداث راحة في جميع المستويات لمعرفة كيفية تقاطع وعمل طبقات صنع القرار. وكعملية عبرت عن التشكك في الجدوى أو الرغبة في محاولة تجميد العلاقات في مرحلة معينة. والتوحد المقبل ينبغي أن يكون مرنا وسائلا، ومتكيفا مع الظروف المتغيرة في أوروبا وفي العالم ككل. والغموض كان بلا شك إبداعيا، ولكن لم يكن هناك رؤية، وهدف نهائي، فأوروبا التي يمكن أن تكون قوة عظمى، وليست مجموعة من القوى والدول الصغيرة، التي لم تكن قد نسيت تماما أنها كانت قوى كبرى؟ والنقاشات قد حدث لها استقطاب بشكل أو بآخر في جميع البلدان "المؤهلة " حول هذه النقطة. وهناك أقلية، تلمع أو تخفت في جميع البلدان،لم تكن ترغب في أوروبا كحدث ولا كعملية. وقد ذكرت أن العالم المتعدد الأقطاب كان أوشك على الظهور بأي حجم كان. فـ أوروبا فقط يمكنها التحدث بشكل فعال مع الصين أو الهند. وتكامل أوروبا بهذه الطريقة كان رد فعل المخضرمين على الطريقة التي كان العالم عليها.

ومع ذلك فهناك صعوبات "الأمة والدولة والأيديولوجية والإيمان الديمقراطية والآخر". والمشروع الأوروبي خلال تطوره كان أمة تابعة وأحيانا ما كانت تثار الشكوك حول وجوده. فلم تكن هناك أمة أساسا. ودائما كانت الأمم تصنع ولا تصنع. وكانت الصعوبة أنه كان واضحا أن قطاعات واسعة من السكان الذين ربما لم يكونوا قوميين لا يزالوا بالتأكيد يعتبروا أنفسهم وطنيين. ويأتي مع ذلك الارتباط بمؤسسات معينة والتي كان لها على أصول تاريخية. فالمواطنين، على الأقل المواطنين المجادلين، يمكن أن ينزلقوا

بسهولة بين مستويات وجودهم السياسي الحقيقي ولكنهم سوف يشعرون بالحسرة إذا تم نقل عملية صنع القرار حتما في الاتجاه المركزي بعيدا عنهم. وكانت تلك مشكلة أساسية للنظام الديمقراطي. وهناك مشكلة أيضا أساسية للديمقراطية أن العملية مهما كانت ينبغي دراستها والموافقة عليها في الحقيقة بشكل ديمقراطي. وقد تختلف الدول في كيفية القيام بذلك وكيفية القيام به بشكل منتظم (الأصوات البرلمانية، الاستفتاءات أو أي شيء أخر) لكن إذا لم يتم القيام بذلك، فإن الديموقراطيات سوف تقوم بتفريغ نفسها من الأنشطة الديموقراطية دون الشعور بذلك حتى تجد أنه قد فات الأوان.

وقد أثارت كل معاهدة تالية هذه القضايا. بينما بلدان معينة، بريطانيا، على سبيل المثال تم تعريفها بأنها منشأ المتشكك تجاه الإتحاد الأوروبي وغيرها منشأ داعمي للفيدرالية، ولم تكن الصورة أبدا ثابتة. فالآراء في هولندا، على سبيل المثال، يعتقد بشكل عام أنها قد تحولت أكثر نحو اتجاه المتشككين مع مرور الوقت. والقومية من النوع السيئ، من النوع الذي يعتقد معظم وليس كل الأوروبيون الغربيون أنهم قد تجاوزوه خلفهم، قد برزت في جنوب شرق أوروبا. أو على الأقل هذا هو ما يعتقد العديد من المعلقين في أوروبا الغربية انهم قد رأوه عندما تحدثوا عن الأحقاد القديمة التي تطفو مرة أخرى على السطح مع تفكك الاتحاد اليوغوسلافي. وقد كان مزعجا بشكل خاص أن الحروب قد وصلت مرة أخرى للقارة الأوروبية التي كان من المفترض أن تكون قد اعتزلتها. وتعقيدات الولاءات - العرقية والدينية والاقتصادية واللغوية - كانت مفصلة جدا لكي يتم دراستها بعد ذلك هنا.

وقد ظهرت دول جديدة على دفعات ولكن لا تزال تزخر بالتوترات التي لم تحل بعد. أسماء جديدة، أو قديمة تم إحيائها، الآن تظهر على خريطة أوروبا - صربيا، كرواتيا، سلوفينيا، الجبل الأسود، وجمهورية مقدونيا اليوغوسلافية السابقة وأكثرها جدلية كانت كوسوفو. فما حدث خلال كل هذه الفترة، كما تم رؤيته من خلال عدسات الكاميرا بأوربا الغربية، أدى إلى ظهور فكرة أنه على الرغم من هذه كانت أوروبا، فقد كانت عالم آخر. وكانت واحدة، ومع ذلك تم استخدام حلف شمال الاطلسي عندما شن حملة قصف

على صربيا ردا على حملتها ضد كوسوفو. وقد كان مصطلح "التطهير العرقي" من العناوين النادرة. فحلف شمال الأطلسي الخارجي هذا كان مثارا للجدل. وبدا للبعض أنه تفسيرا غريبا لما تم تشكيل المنظمة للقيام به. ولكن أيضا كان هناك دفاع قوي عنه باعتباره عملا إنسانيا. وأي شيء آخر أظهرته المعارك والمجازر، وأين يمكن توجيه اللوم، فقد أظهرت الأزمات أنه لا يمكن أن يكون هناك فرضية طبيعية بأن الدول سوف تتوحد بشكل عفوي. فقد كان هناك تناقضا. فانهيار يوغوسلافيا الاتحادية ذكر المراقبون بأن الفدرالية ليست مثالية لترتيب العلاقات (على الرغم من أن اتحادا يوغوسلافيا مختلفا ربما قد يستمر فترة أطول). ومع ذلك فكانت الفيدرالية الغير كاملة للاتحاد الأوروبي قد وفرت آلية لتمكين البوسنة من العمل، وإن كانت غير مستقرة، مع وجود حكومة مركزية، ورئاسة دورية من ثلاثة أعضاء وبرلمان من مجلسين كانت مسؤوليته تنسيق الشؤون الخارجية والسياسة النقدية وكل شيء آخر تقريبا يجري إحالته إلى إثنين من الكيانات التي تكون الدولة. وكانت هناك قوة حفظ سلام للاتحاد الأوروبي ، تحت قيادة ممثل سامي خارجي، وكان من المفترض أن تجعل كل شيء تحت السيطرة.

وعلى النطاق الأوسع للشئون الأوروبية أيضا، فوجود أوعدم وجود شعور كافي بالمجتمع الأخلاقي، كان الأقرب للب الموضوع. فأي محاولة لتعريف "القيم الأوروبية"، كجزء من أي عملية دستورية، كان محفوفا بالصعوبات، وكان مؤثرا كما حدث حول الحدود المتنازع عليها بين العلمانية والمقدس. وإمكانية قبول تركيا في الإتحاد الأوروبي كان مثال على ذلك حيث كان هناك طلب على الطاولة بدون قرار. وأهمية تركيا المتزايدة، اقتصاديا وسياسيا يمكن أن تقلل التنازع عليها. وكل من العلمانيين والمسيحيين، على الرغم من الخلافات بينهم يشتركون في الشكوك (ومع ذلك فقد كانت درجته تختلف في بلدان مختلفة) ولكن إذا لم تعلن تركيا بالفعل أنه سيكون إقصاء ثقافيا لـ "دولة إسلامية". في الواقع، مع ذلك، لا تزال تركيا بلد علمانية بها سكان مسلمين ، على الرغم من أنه في ظل حكم رئيس وزرائها الحالي رجب طيب أردوغان، قد توضح للدول الأوروبية الطريقة المعقولة التي يمكن بها استيعاب كل من الديمقراطية والعلمانية والدين. فواقعية

أو غير واقعية المجتمع كانت مرتبطة بطبيعة الحال بمسائل الدفاع (والسياسة العسكرية الخارجية) والوحدة النقدية (التقاسم لدرجة كبيرة في الشعور بالمسؤولية المشتركة).

وكان واضحا جدا في وقت الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للعراق أن الاتحاد الأوروبي لم يكن لديه وجهة نظر مشتركة. فبريطانيا وايطاليا واسبانيا (لبعض الوقت) أرسلت قوات مقاتلة. ولم تفعل فرنسا ولا ألمانيا، وكانت الانتقادات الفرنسية للولايات المتحدة الأمريكية عالية. والولايات المتحدة الأمريكية بدورها رحبت بالقوات البولندية في التحالف، وتحدثت عن أوروبا من حيث القديم والجديد. وقد عكس مستوى المساهمة وقواعد المشاركة المنصوص عليها من قبل الدول الأوروبية في أفغانستان الاختلافات في التصور. وقد ابتعد الرئيس ساركوزي عن الوجود الفرنسي التقليدي البعيد داخل حلف شمال الأطلسي. وكان حلف شمال الأطلسي في عام 2011 هو من قاد الحملة الجوية في ليبيا للدفاع عن المدنيين ولكنها أيضا أبقت على المتمردين في هذه العملية. ولم تكن عملية مشتركة من قبل جميع أعضائها الأوروبيين. وكانت بريطانيا وفرنسا، جنبا إلى جنب، تتولى زمام المبادرة. هذا، وأشياء أخرى كثيرة، أشارت إلى الأراء المعقدة والمختلفة حول ماهية مجال الأوروبيين. والحديث عن السياسة الخارجية المشتركة لم يكن بعيدا ابدا ولكن، على الرغم من الطابع المؤسسي لـ وزير الخارجية الأوروبية ، وهو المتلقي المفترض لرسائل الحماسة من جميع أنحاء العالم، لم يتم الوصول لسياسة خارجية مشتركة. وهذا لا يعني أنه لا يمكن الوصول إليها.

ولكن الأزمة المالية/ المصرفية الجارية التي حدثت في عام 2011 تسببت في إبراز واقع المجتمع الأخلاقي الأوروبي أو ربما سببا في عدم ظهوره، وكان اعتماد العملة الأوروبية (اليورو) في عام 1995 وطرحه في يناير كانون الثاني في عام 1999 بمثابة خطوة رائدة فقد أتاح لتلك العملة أن تصبح ثاني أعلى العملات الاحتياطية في العالم وثاني أكثر العملات تداولا بعد الدولار، واستخدمها أكثر من 332 مليون من المواطنين الأوروبيين. وأعربت منطقة اليورو عن اعتقادها بأنه هناك نوع من القواسم المشتركة الكافية لنجاح عملة اليورو. وفي المقابل فإنها تمثل حجر الأساس لتكامل هذا النجاح. وللوصول لتلك الغاية

فإن على الأعضاء المتعهدين بميثاق الاستقرار والنمو ضبط النظم المالية وفرض العقوبات في حالة انتهاك ذلك الميثاق. وكان من المفترض أن يتم فحص المتقدمين للتأكد من جدارتهم كما أنه من المفترض أن يقدموا البيانات الكاملة الصحيحة. ومع ذلك فإن كل أعضاء الاتحاد الأوروبي وتحديدا البريطانيين لم يعتمدوا اليورو كالعملة الأساسية (17 دولة فقط من أصل 27 هم من اعتمدوا اليورو). وقد كان ذلك النجاح الملحوظ الذي عكر صفو الماء. وكانت أزمة الديون السيادية التي استمرت من عام 2009 إلى عام 2011 سببا في تعرض أساسه للخطر حيث كان التراخي في إدارة الدين لبعض الدول مثل (إيرلندا والبرتغال واليونان بشكل خاص) سببا في دفع الدول الأعضاء لتقييم المدى الذي عنده تصبح أزمات بعض الأعضاء - مهما كانت أسبابها – بمثابة أزمة على دول الاتحاد بأكملها.

وأثناء كتابة هذا التقرير فإن الحلول –هذا وإن وجدت –يمكنها أن تتشعب في اتجاهات مختلفة، فقد خلص بعض الخبراء إلى أن مشروع اليورو قد وصل لنهايته وقد كان هذا تصورا خاطئا في البداية. ورأى البعض الآخر أن مشروع اليورو يمكنه أن يظل قائما وأنه على أوروبا أن تسعى لذلك، واستمرت الأزمة في الزيادة ولم تتوفر أي حلول واضحة. وكان انتخاب فرنسوا هولاند المدعي الاشتراكي رئيسا لفرنسا في عام 2012 سببا في زيادة التفرقة الأيدولوجية بسبب تصارع الدول الأعضاء بسبب الأزمة التي تركزت على مصير اليونان في الأساس ولكن عواقبها قد امتدت إلى أكثر من ذلك.

ومهما كانت النتيجة في نهاية المطاف فإن ما أصبح واضحا للعيان هو إشكالية طبيعة التوسط في أوروبا المعاصرة. فالوقت وحده كفيلا لمعرفة هل ستختفي تلك التوترات إذا وجدت مستويات أعلى من السياسات المشتركة، على الأقل على مستوى مجموعة معينة من الأعضاء، أو التراجع كما يقول البعض بإعادة بعض القدرات إلى الدول الأعضاء. ويدعي البعض أن أوروبا ستصبح أكثر انسجاما إن كانت أقل طموحا مما هي عليه. كيف يمكن للأحداث أن تكشف الدور الرئيسي الذي تلعبه أوروبا في العالم.

## الهند: تتخطى أعلى مستوياتها

إذا كانت أوروبا التي تشمل 27 دولة سيادية -أو ربما أكثر-تصارع بشكل أو بآخر لكي تتصرف كما لو أنها دولة اتحادية فإن الهند ظهرت كأنها دولة واحدة والتي تتضمن بداخلها 28 دولة غير سيادية بالإضافة إلى بعض (الأقاليم الاتحادية). في عقود الهند الأولى كما لوحظ فإن نزاهة الاتحاد قد واجهت تحديات عديدة ولكن على الرغم من عدم اختفاء تلك التحديات بشكل كامل أصبحت "الهند" ذو سلطة رسمية بعد مرور نصف قرن، واضطر أعضاء الاتحاد الأوروبي إلى التصالح مع حقيقة أنه بالرغم من توفر التعددية اللغوية ضروريا ومرغوبا فيه أيضا إلا أن اللغة الإنجليزية تظل اللغة السائدة في جوانب عدة، تجاريا وعلى المستويين الحكومي والبيروقراطي. وتظل اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية التي كُتب بها الدستور الهندي (بالرغم من ترجمته باللغة الهندية مع اللغة الإنجليزية). وكان الدافع للتخلص التدريجي من اللغة الإنجليزية قويا في العقود الأولى إلا أن ذلك الدافع قد تضاءل ولكنه لم يختفي تماما، وظلت الأعمال التبشيرية الهندية بدون تغيير. وكانت تهديداتها المعتدلة تعكس درجة من الوعي حيث تسببت إثارة قضية اللغة في الوصول إلى فائدة تُذكر. وتمركز تقسيم اللغات في شبه القارة على المستوى المركزي ومستوى الدولة بموجب تشريعات مخصصة.

وكان هناك سببا آخر، حيث سجل عام 1991 تحولا ملحوظا منذ الاستقلال. فقد أبرز العلاقة الجديدة بين الهند وباقي دول العالم. وقد كان ذلك التحول ناتجا عن أزمة اقتصادية. وأفسح استخدام اللغة الإنجليزية المجال أمام الهند للتعامل مع العديد من الدول. وقد واجهت محاولة جعل الهند دولة مقيدة الاقتصاد رفضا ملحوظا من العالم بسبب ما يُعرف برخصة راج غير المستخدمة بشكل أو بآخر، وكان الرفض تحديدا بأمر قضائي من صندوق النقد الدولي الذي اضطرت الهند للجوء إليه. مانموهان سينج (1932) كان وزيرا للمالية في الفترة ما بين عامي 1991-1996، وكان سينج رئيس وزراء الهند في عام 2011 مثلما كان في عام 2004 حيث أنه أعيد تعيينه في عام 2009 مرة أخرى في أحد أكبر الانتخابات الديمقراطية التي عرفها العالم. وكان مانموهان رمزا للتعددية الجديدة.

كان مانموهان من السيخ وأول شخص غير هندوسي يصبح رئيسا للوزراء. وظلت الأزمات الناتجة عن أزمة أمريتسار -التي تمت مناقشتها مسبقا-جارية مع أن من يمثل واجهة الهند الآن هو من أصل سيخي من أمريتسار. درس مانموهان في جامعة البنجاب في مدينة شانديغار العالمية كما أنه تميز كطالب للاقتصاد في جامعة كامبريدج وطالبا في الدراسات العليا من جامعة أكسفورد في كندا.

وكان موضوع أطروحته عن دراسة التجارة الخارجية للهند. وحصل على خبرات دولية أخرى من الفترة التي عمل فيها في هيئة الأونكتاد أو مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في الفترة ما بين عامي 1966 و1969. لم يكن مانموهان سياسيا تقليديا وكان من أكثر الجوانب غير اللائقة في السياسة الهندية هي الوساطة في السلطة والتي امتدت إلى داخل نطاق الكونجرس التي تسيطر عليها أرملة راجيف غاندي. ولكن مع مرور الوقت أصبح مانموهان أكثر من كونه تكنوقراطي (أي من يمارس السلطة على أساس أكاديمي). وانطلق الاقتصاد الهندي نحو القمة ووصل إلى معدلات لم يسبق لها مثيل. وأخيرا حققت ثاني أكثر دول العالم ازدحاما بالسكان التي بلغ عدد مواطنيها 1210 مليون مواطن في عام 2011 نجاحا اقتصاديا بالرغم من أن دول جنوب شرق آسيا التي تعتبر أقل تعدادا بإمكانها أن تكون أفضل، حيث أن بإمكانها أن تتميز وتظهر ريادتها التكنولوجية أمام العالم.

ويمكن اعتبار الهند ككل كمجموعة مترابطة من التقدم الذي يظهر على هيئة أشكال مختلفة. فقد اشترك فيها تطور العالم الأول جنبا إلى جنب مع فقر العالم الثالث، فوصلت معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة عموما إلى نسبة 75٪ بحلول عام 2011 وأخفى ذلك الاختلافات الكبيرة بين الدول (مثل الفرق بين كيرلا التي جاءت في المقدمة وبهار التي أتت في المستوى الأخير). ولكن اختفت الروح الهندية رويدا رويدا. وتعايش ميراث غاندي السلمي مع أحد أكبر الجيوش الموجودة في العالم والتي كانت معداتهم تلعب دورا مهما في واردات الهند، سواء كانت تلك الواردات من روسيا أو من إسرائيل تحديدا.

وتسببت التكتلات الصناعية الهندية في صناعة الاستحواذات الأوروبية وتحديدا من بريطانيا وأصحابها الأثرياء من باقي القارات. وبدا تعزيز التنمية الهندية في تلك الظروف التزاما غير مدروس كما ارتأت بعض الأطراف الخارجية، ووقفت العديد من الشخصيات الهندية أمام ذلك التعزيز.

وتابع ظهور الهند الجديدة نوع من الهدوء والمواقف المترسخة من عدم الانحياز المتأصل التي كان يمر العالم بها أو التي قد ولَّت بالفعل. ومن الممكن أن تحافظ الهند على علاقاتها أو تطورها عالميا بتطوير علاقات ثنائية الجانب مع القوات العظمى سواء كانت روسيا أو الولايات المتحدة أو الصين حسب حاجتها بدون اللجوء إلى الحزم الأيدولوجية. وكانت زيارة الرئيس جورج دابليو بوش إلى الهند في مارس عام 2006 أحد تلك العلامات الدالة على تطور العلاقات بالإضافة إلى التوصل إلى اتفاقية للموائمة على الشؤون النووية. وكانت زيارة مانموهان سينج إلى الصين في عام 2008 (ردا على زيارة هو جين جين تاو إلى دلهي قبلها بعامين والتي تزامنت مع مناسبة إعادة فتح معبر رئيسي بين الدولتين والذي كان مغلقا لأكثر من أربع عقود). وأصبحت الحركة التجارية للدولتين العملاقتين ذات أهمية كبيرة لكليهما وللصين بالتحديد. ولكن تلك الشراكة الآسيوية لم تستطع أن تحل المسائل الحدودية الخاصة بجبل الهيمالايا كما لم تستطع أن تتخلص من الشوكة التي كان سببها زيارة الدالاي لاما للهند. وظلت الهند بارزة في الاتحادات الإقليمية في جنوب آسيا. إلا أنها لم تتدخل بأي شكل من الأشكال في الصراع العسكري في سريلانكا حيث أنها انتقلت إلى قمة هزيمتها لانفصال التاميل عنها. فلم تكن تلك المسألة هي بؤرة الاهتمام الآسيوي.

واستضافت مدينة دلهي القمة الهندية الأفريقية في أبريل عام 2006 التي حضرتها 15 دولة أفريقية. وقد كانت الهند في مثواها الأخير أمام شرق أفريقيا وكان لابد من إقامة علاقات جدية جديدة تتميز بالحساسة. وكانت الهند تمثل دورا مهما لجنوب أفريقيا. فمن الممكن أن تصبح أفريقيا الجنوبية شريكا مناسبا للهند وأيضا العكس. وفي عام 2011 كانت الحكومة البريطانية مهتمة بتجديد العلاقات مع الهند التي أصبحت في أوج مجدها.

وبمرور الوقت قام رئيس الوزراء الهندي بزيارته الرسمية الأولى لواشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكي الجديد في عام 2009 لنقل الخبرات العمرية الآسيوية للرئيس الشاب الذي كان أمريكيا من أصل آسيوي.

ولم تكن الهند تنعم بذلك الكم من الراحة والهدوء، ولكنها كانت تعج بالإرهاب أيضا. فقد ذاع صيت الهجمات التي حدثت في فندق مومباي في عام 2008 وانتشر عالميا، ولكنه حادث واحد من أصل عدة حوادث. وهناك أيضا أحداث العنف التي حدثت في الهند الشرقية والوسطى في الناكساليت، كما أن قضية كشمير لا تزال قائمة. وفي الواقع ولد مانموهان فيما أصبحت تعرف بباكستان ومن ثم انتقلت عائلته للجهة الشرقية عند منطقة الحدودية.

يمكن تحديد حجم الجيش الهندي في حالة حدوث جولة أخرى من الصراع مع باكستان. فقد نجحت الطقوس المعقدة التي كانت مطلوبة لتقليل الخلافات الهند باكستانية في تحقيق الهدف المرجو منها في آخر الأمر ولكنها استغرقت الكثير من الوقت. ولكن ظلت كشمير تتأرجح على حافة الصراعات المستمرة، حيث أن العلاقة المعقدة والمتأرجحة بين باكستان وأفغانستان -أو بالأحرى بين الأفغانستانيين والباكستانيين - فرضت على الهند أن تقدم يد العون جزئيا.

حامد كرزاي (1957) المتعدد اللغات هو رئيس دولة أفغانستان. بدأ مسيرته المهنية الصعبة ذو الجوانب المتعددة كطالب ماجيستير في جامعة (شيملا) الهندية. في أكتوبر عام 2011 وقَّع كرزاي اتفاقية مع مانموهان سينج. وكباقي الاتفاقيات التي وقعها كرزاي سواء مع الدول المجاورة أو النائية فإن تلك الاتفاقية لم تكن ضد صالح أي دولة أخرى على حد قوله. وعلى الرغم من أن الهند ثالث أكبر دول العالم الإسلامي من حيث التعداد السكاني المسلم إلا أنها نجت من الاضطرابات القائمة في العالم الإسلامي. فقد شاركت مع الولايات المتحدة والدول الأوروبية رؤيتها بأن تُصبح دولة بوليسية على أساس مراقبة مواطنيها وحماية أمنهم. وعلى الرغم من ذلك فإنه في عام 2011 وبالرغم من الانتخابات المذهلة التي أحاطت به فإن مانموهان سينج البالغ من العمر ثمانين عاما كان بإمكانه أن

ينجح في حماية الهند بشكل أكبر والحفاظ على موقعها بين دول العالم بشكل أفضل مما كانت عندما دخل وزارة المالية في وقت سابق منذ عشرين عاما.

وقد تعارض تقدم الهند الجديدة مع بنغلاديش، وربما لا تتحقق معظم التكهنات القائمة التي حامت حول مستقبلها فقد ارتفع معدل الإنتاج الصناعي والزراعي، ولكن لم يكن هناك بدا أو مفرا من تعرضها للكوارث البيئية. كما أنها لم تكن قادرة منذ عام 1991 على تحقيق النظام السياسي الذي يجعلها تهرب من التأرجح بين الحكم المدني والعسكري. وكانت جنوب آسيا تفوق الهند بلا شك ولكنها لم تستطع السيطرة على جنوب شرق آسيا أيضا. وهنالك إندونيسيا التي كانت تؤكد على مطلبها لكي تظل قوة عظمى بحد ذاتها. ولكنها مازالت تعاني من قضايا الجزر البينية وقضايا الإرهاب التي يتسبب فيها السكان الأصليين التابعين لتيارات إسلامية أكبر. ولم تكن الديمقراطية المطروحة مثالية آنذاك ولكنها عكست صورة الدولة الحرة والمنفتحة والتي تتمتع بالنجاح الاقتصادي عما كانت عليه عندما كان الرئيس الأمريكي يتلقى تعليمه هناك في أواخر الستينيات. وبالنظر إلى عدد سكانها فإنها تمتلك ثقلا عالميا لا تمتلكه بعض دول جنوب شرق آسيا التي بدورها حققت نجاحا اقتصاديا. وكانت تلك هي الفترة التي شهدت عودة ظهور فيتنام والبعد التدريجي عن اهتمامها بالشؤون المحلية والإقليمية الخاصة بها والتي نبعت من الفترة التي ظهرت فيها وكأنها مركزا للصراعات الدولية. كما أنه من السهل أن يتحول النجاح إلى فشل طبقا للغة الاقتصادية. فعندما صرح البنك الدولي في عام 1993 أنه يبدو أن هناك معجزة قد حدثت في الشرق الآسيوي. وأصبحت كلا من سنغافورة وماليزيا وأستراليا وتايلاند والهند وإندونيسيا ضمن الدول الواحد والعشرون ضمن أكبر الدول المصدرة في العالم. وبالرغم من ذلك وبالرغم من تنوع واختلاف وجهات النظر يمكن اعتبار الهند قوة عالمية.

### البرازيل: التقدم؟

من الممكن القول أن برازيليا – عاصمة البرازيل الحالية – نشأت من لا شيء إذ أنها حلت محل ريو دي جانيرو عام 1960؛ فمن البداية صُممت هذه المدينة لتكون المركز

الإداري للبلاد بهدف تحفيز الجهة الشمالية الشرقية، إلى حد ما، واستدراك الخلل المتعلق بكيفية توزيع السكان. وقد مثل عدد سكان هذه المدينة (في عام 2010) الوجه الحقيقي للبرازيل؛ حيث يمثل البيض 50٪ من كثافتها السكانية، و45٪ من ذوي البشرة الحنطية "مختلط - القوقازيين" و5٪ من السود (هذه النسب تقريبية)؛ أما من هم من أصول أسيوية أو من الهنود فلا تتعدى نسبتهم نصف في المائة من نسبة السكان. وينتمي معظم سكان برازيليا إلى الطائفة الكاثوليكية إذ أن نسبتهم مقارنة بمن ينتمون إلى طائفة البروتستانت 3:1. ومع أن برازيليا قد تجاوزت تصورها الأساسي بسرعة كبيرة كونها عاصمة إدارية للبلاد، إلا أنها لا زالت تمثل الابتكار فقد استضافت هذه المدينة ابتداء من العقد التالي لعام 2011 عددا من الاجتماعات من أجل خلق تحالفات جديدة والدخول في عوالم جديدة. منذ ذلك الحين توالت الإعلانات والدعوات لأسباب أخرى غير متعلقة بكرة القدم ورأت البرازيل أنها بأخذها لزمام المبادرة قد أعطت أمريكا اللاتينية منبرا عالميًا.

في شهر يونيو (حزيران) لعام 2003م، عقد وزراء خارجية كل من البرازيل والهند وجنوب أفريقيا اجتماعًا أسموه "اجتماع الرواد" لثلاث دول من الدول النامية التي كانت نشطة على المستوى العالمي، كما أنهم أطلقوا على أنفسهم بعد ذلك لقب "الديمقراطيات المتذبذبة". بالنسبة لوضع دولة البرازيل، يعتبر هذا التذبذب نوع من أنواع الإبداع لأنها منذ خمسة عشر عاما مضت كانت قد أعدت دستورا ينص على الانتخابات الرئاسية المباشرة بعد فترة طويلة من الحكم العسكري الاستبدادي. وقد استقال أول رئيس محافظ تم انتخابه على هذا الأساس من منصبه في عام 1992 بعد أن تم اتهامه بقضايا فساد، كما تم اعتماد عملة جديدة للبلادة في عام 1994 بناء على الدولار الأمريكي؛ وقد أعطى هذا الأمر فرصة للبرازيل للإفلات من التضخم الخطير الذي كانت بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية عرضة له. وكان مهندس هذه الخطة فرناندوكاردوسو الذي خدم لفترتين رئاسيتين متتاليتين للعمل على نجاحها. وعلى الرغم من ذلك، تعرضت العملة مرة أخرى لضغط شديد بحلول انتخابات عام 2002 (بعد أن تخلفت الأرجنتين عن سداد ديونها).

وبشكل عام، يبدو أن أمريكا اللاتينية تمر بفترة أخرى من الاضطراب الاقتصادي والمالي المستمر للتحقق من الفترة التي تبشر بالنمو المستمر. وقد فشل المرشح الذي تم اختياره ليخلف كاردوسو في انتخابات عام 2002 أمام زعيم حزب العمال والنقابي (لولا – المولود في عام 1945) حيث أنه خدم لفترتين متتاليتين حتى شهر ديسمبر بعدما أكدت روسيف التي كانت ملازم أول لديه أنها سوف تستمر في برنامجه بعدما ربحت الانتخابات الرئاسية التالية. وينتمي كلا من لولا وروسيف، هم ومن في دوائرهم، إلى اليسار أو الماركسيين وفقًا لأي وصف ولكنه لم يعد هناك ما يُسمى بالـ " العالم الشيوعي" بعد عام 1991 حتى يتقرب منه أو يتبرأ منه أحد.

أدى النمو الاقتصادي إلى اكتمال إجراءات الإصلاح الاجتماعي المرحب بها، كما أنه أدى إلى تغيير وضع البرازيل من دولة مدينة إلى دولة دائنة، كما أن ثراء البلاد وتنوع مصادرها أدى إلى استمرار سيرها على الطريق الصحيح. وقد نضج العنصر الأيدولوجي في الخليط الديمقراطي الخاص بفترة حكم (لولا)، كما أن نجاحه ونجاح بلاده قد أزال أي ميل إلى تقليد النظام القديم في كوبا أو الأنظمة الأكثر حداثة. وقد فشل البديل العالمي الغني بالنفط الذي وضعه الضابط العسكري السابق وقائد الانقلاب الفاشل والفائز بالانتخابات الرئاسية لعام 1998 (هوجو تشافيز) ضد الرأسمالية الشمالية لأنه صمم على البقاء في موقعه بالرغم من عدم وجود أي تأييد شعبي.

تمتلك كل من الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا عاملا مشتركا مهما إلا وهو كبر مساحة أراضيهم؛ فالبرازيل – التي تعتبر دولة اتحادية – تمتلك عدد ولايات أقل قليلا من تلك التي تمتلكها دولة الهند وقد واجهت تلك الدول الثلاث تحديًا هاما للغاية ألا وهو الحفاظ على وحدة أراضيهم، وقد أعلنت هذه الدول في بيان مشترك عن تطلعاتها التي تتوقعها. وعلى الرغم من أن هذه الدول بعيدة جغرافيًا عن بعضها البعض (من الجنوب للجنوب) إلا أن قيمة اجتماعهم مع بعضهم البعض كانت أكثر قوة وأهمية عن تلك الاجتماعات الكبيرة الواهية في الماضي. ويعتبر الاجتماع المنعقد في عام 2003 هو الأول من ضمن سلسلة اجتماعات مستمرة في جميع الدول التي تشمل رؤساء حكومات (عُقدت

القمة الرابعة في شهر أبريل لعام 2010). وتناقش اجتماعات هذه الدول القضايا العالمية الحالية والتطورات في المناطق التي يعتبرونها ضمن منطقتهم مثل مدغشقر، وغينيا وهاييتي. وعلى الصعيد العالمي، ما يغضب هذه الدول الثلاث أن الأمم المتحدة – باعتبارها منظمة دولية – لازالت تتحدث عنهم في مجلس الأمن باعتبارهم دول نامية تفوقت عليها الكثير من الدول. وبالرغم من أن الإصلاح في هذه الدول الثلاث تعيقه العديد من الأشياء إلا أنهم شاركوا فيما يُسمى بمجموعة العشرين وقد بدا أن مكانة هذه الدول الثلاث آخذة في التطور لدرجة أن الحكومة الائتلافية البريطانية (عام 2010) قامت بحجز العديد من تذاكر الطيران لهذه المناطق.

في ختام اجتماعها مع الدول العربية وجنوب أفريقيا أعلنت البرازيل في عام 2005 أن توجهاتها الخارجية تحتوي على عناصر أخرى، كما تم تحديد المناطق الإقليمية الثنائية المتعاونة وتم قطع وعود بعمل متابعات دورية. وقد أرضت البيانات العالمية كافة الأطراف المشاركة (حرصًا على سلامة السودان وملكية مالفيناس "جزر فوكلاند"). أما في عام 2010، قامت البرازيل باستضافة القمة الأولى لقادة دول الاتحاد الكاريبي (CARICOM) وقد انتهت هذه القمة باتخاذ مجموعة من القرارات متعلقة بالتعاون المتزايد بخصوص السياحة، والتجارة ، والمناخ والتعليم والثقافة بهدف تقريب الجزر الناطقة باللغة الانجليزية من أمريكا اللاتينية. في واقع الأمر، انتشرت في هذه السنوات العديد من المنظمات الإقليمية التي تحوي العديد من المشاركات والاستثناءات التي تعكس الخلاف الشخصي والأيدولوجي المستمر، كما تجدر الإشارة إلى أنه تتواجد أمانة للبلاد الأيبرية الأمريكية مقرها مدريد من أجل العمل على لم شمل الأسر. ويتضح من هذا كله أن بلاد أمريكا اللاتينية تستطيع أن تصنع لنفسها موقعًا مميزًا بمنأى عن أمريكا الشمالية ، وعلى الرغم من أن مكانة منظمة الدول الأمريكية قد تضاءلت (خصوصًا في الجنوب الذي كان تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية وكندا التي انضمت عام 1990. وقد حاولت منظمة الدول الأمريكية إعادة إحياء هيبتها السابقة عن طريق تبني الميثاق الديمقراطي للبلدان الأمريكية في عام 2001 الذي يحدد نوع الديمقراطية الذي سيتم

تطبيقه ومراقبته، ولكن تكمن صعوبة تطبيق الديمقراطية في أن عدد قليل من الأعضاء لا يزال يعرض الفئات النموذجية التي تم تحديدها وهذا قد يشكل مفارقة غير جيدة؛ فقد خسر الحزب الذي يحكم المكسيك – جارة الولايات المتحدة الأمريكية – منذ عام 1929 في الانتخابات الرئاسية المنعقدة عام 2000 وقد أدى ذلك إلى تراخي سلطات الحزب مما أدى إلى تعزيز التعددية الديمقراطية ولكنه في نفس الوقت أدى إلى زيادة احتمالية دخول بارونات المخدرات وإزداد تهديد العصابات للمدنيين وقد أظهرت انتخابات 2006 هذا الأمر وجعلته جليا إذ أن البلاد (المكسيك) كانت مقسمة ما بين اليمين واليسار حول من منهما يمكنه تقديم أفضل طرح للمشاكل المتنامية.

وبالتالي؛ كان هناك العديد من الطرق التي دخلت من خلالها أمريكا اللاتينية إلى عالم الدول الساعية للتقدم ولكنها لم تفعل ذلك بشكل موحد (بانتظام) ولا وفق جدول أعمال مشترك وهذا كله بسبب تنوعها المستمر واقتصادها المتأرجح وديمقراطيتها المتذبذبة المحفوفة بالمخاطر.

## الصين: هبوب رياح الشرق العاتية.

في مايو 1990،قام الرئيس الصيني يانج شانج كونج بزيارته الأولى، وهو أول رئيس صيني يقوم بمثل هذه الزيارة، للبرازيل (في جولة زار خلالها المكسيك وأوروغواي والأرجنتين وشيلي). وعلى مدى العقدين التاليين قام العديد من القادة الأجانب بزيارتهم الأولى للصين أو العديد من القادة الصينيين الذين قاموا بزيارة أجزاء من العالم لم يسبق لهم زيارتها. وبالطبع عملت الأنشطة الدبلوماسية التي تقوم بها السفارات على إتمام دور هذه المناسبات رفيعة المستوى وفي بعض الحالات كان ذلك سببًا في إقامة العلاقات الدبلوماسية للمرة الأولى. وفي أغسطس 1990، على سبيل المثال، أصبح رئيس الوزراء لي بينغ أول من زار إندونيسيا من زعماء الصين منذ 25 عامًا. وفي نوفمبر عاود زيارة سوهارتو وقضى بها نفس الفترة. وقد قام لي بينغ بزيارة سنغافورة واتفق مع رئيس وزرائها لي كوان يو على إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين. لاحقًا وفي نفس العام قام لي بينغ بزيارة ماليزيا والفلبين ولاوس سريلانكا. وفي وقت سابق من العام، قام بزيارة

موسكو وهي الأخرى تعد الزيارة الأولى منذ 26 عامًا لزعيم صيني. وتعد زيارة لي بينغ للهند هي أول زيارة يقوم بها رئيس وزراء صيني منذ 1960. زَخرت القائمة بالزيارات خلال هذه الأعوام وزادت الزيارات فيما بعد. وتزاحم الملوك والرؤساء ورؤساء الوزارة ووزراء الخارجية ووزراء التجارة للحصول على مكان وانشغلوا بتبادل الدعوات. أقيمت دورة الألعاب الأسيوية في بكين 1990، وأتاحت الصين للدول المجاورة الفرصة لرؤية إنجازات الصين بأنفسهم. فازت الصين حتى الأن بأكبر عدد من الميداليات.

وقد كانت الصين في حاجه للفوز بميداليات دولية، إلا أنه سرعان ما تسببت أحداث يونيو 1989 في بيكين في نزع الفتيل. ومباشرة علقت الولايات المتحدة الأمريكية جميع الزيارات بين كبار المسؤولين في الجيش الأمريكي والمسؤولين العسكريين في الجيش الصيني، وغيرها من التدابير. وأرجأ البنك الدولي النظر في منح القروض الجديدة للصين. وفي يوليو أدان قادة مجموعة الـ 7 بباريس القمع الموجه لحركة مناصرة الديموقراطية. ومُنح الدالاي لاما جائزة نوبل للسلام عام 1989. وكان من الممكن الإدلاء بالمزيد من البيانات الأجنبية القوية التي تدين ذلك. وفي الصين صرح رؤساء الأحزاب بضرورة قمع الحركات المضادة للثورة. وبعد مضي خمسين عامًا على الثورة، أعلن جيانغ زيمين (1926) بمحاولة القوات الدولية المعادية لتفويض النظام الاشتراكي بالصين. وقد أصبح رئيسًا للبلاد في 1993.

لم تمض سوى بضع سنوات قبل هذه الاستجابات الخارجية العقابية لأحداث 1989، ولم تمثل تلك الردود سوى بوادر لتتلاشي، واتصالات لاستئناف التعددية في جميع أنحاء العالم، ولاسيما مع جيران الصين. وأجري تسوية الخلافات فيما يخص التطبيع مع فيتنام، على الرغم من استمرار النزاع حول ملكية الجُزر. وكان من الممكن أن تفتح البعثات التجارية لسول مجالًا للتواصل مع كوريا الجنوبية(وجهت الدعوة لكل من كوريا الشمالية والجنوبية لحضور الألعاب الآسيوية). ونادرًا ما مضى أسبوع بدون تقارير الناشئة عن مشاريع البنية التحتية الكبيرة التي يتم إنشائها في جزء من أجزاء الدولة. أعلن العلماء من الأكاديمية الصينية للعلوم أنها، باستخدام تقنيات الاستنساخ، قامت بتطوير مضغة

للباندا العملاقة. يمكن إنقاذ الأنواع المهددة بالانقراض. وهنا تكمن الاستعارة. ولم تعد الصين ذاتها أحد الفصائل المعرضة للانقراض. وتعددت تصريحات أكاديمية العلوم الصينية. وفي عام 1999، حرر المؤرخ باي تشوبي التاريخ الصيني كاملا وتم نشره في 22 مجلد. ولا يوجد مجال للشك فيما يخص عظمة واستمرارية الماضي الصيني رغم الظروف المتقلبة. وفي عام 1998، قدمت أوبرا توسكا لبوتشيني العديد من الأداءات في القصر الإمبراطوري في بكين. وقد كان القائد صينيًا والدليل هنديً والسوبر انو أمريكيًا. وكانت الرسالة واضحة. فبمقدور الصين تنظيم مثل هذا الأداء لأنواع الفن الغربي دون أن يُهلكها الغرب. بنفس القدر يمكن للمسرح والأوبرا الصينية أن تجوب العالم.

كانت وتيرة التغير أخاذة. وتفشى التركيز على التعليم. تسارع النمو الاقتصادي وزاد الناتج المحلي الإجمالي للفرد من 524 دولار في 1980 إلى 6200 دولار في 2009. وأصبحت الصين، بعد الاتحاد الأوروبي، أكبر المصدرين. وأصبحت ثالث دول العالم استيرادا (بينما كانت الصين تصدر بغزارة للولايات المتحدة الأمريكية، فلا تصنف تلك الدولة كأحد كبار موردي الصين- اليابان والاتحاد الأوروبي وكوريا وتايوان). انتشرت السلع الصينية في جميع أنحاء العالم. وذخرت بها المحلات التجارية في أوروبا وأمريكا الشمالية وغيرها ولذلك أصبح الصينيون جزءًا من الحياة اليومية. وأصبحت الصين تمثل مصنع الخصومات الأكبر في العالم ولكن طموح الصين كان أن تصبح في قمة سلسلة التوريد. واضطر المستثمرين الأجانب لجلب التكنولوجيا فضلًا عن رأس المال. مما أدى إلى زيادة الفائض الصيني. وسُجل 2.5 تريليون دولار من احتياطي العملات الأجنبية. وربما يستمر ذلك الادخار فقط إذا استمر الغرب بصفة خاصة في الشراء. وعلى ما يبدو، أصبح ذلك هو المبدأ الراسخ. ولكن هل هذا عدلًا؟ ففي عام 2010 أتت ثلاث مؤسسات تابعة للصين في المراكز العشرة الأولى للشركات العالمية. وقد وجهت أحد الانتقادات الأجنبية بشأن أن الشركات الصينية المدعومة من الحزب والدولة قد توسعت خارج الصين. حيث استخدمت الأرباح المتولدة في السوق المحمية. نشطت الشركات الصينية في شراء الحديد من أستراليا والبرازيل والنفط من أفريقيا وكندا والشرق الأوسط. وقد

دفعوا أسعارًا استثنائية. وتمحورت الانتقادات الأخرى حول ظروف وساعات العمل التي يتحملها الرجال والنساء لإنتاج ذلك النجاح المعجزة. يسهل ملاحظة ازدهار الشعب الصيني على الرغم من تطورهم السريع فيما يخص عدم المساواة؟ لا يمكن إنكار التفاوت المستمر داخل الأقاليم وفيما بينها، برغم المحاولات العديدة لتصحيح هذا الخلل في التوازن عن طريق بناء مدن جديدة لم يتواجد بها أحد من قبل وربما لا يجدي ذلك الحل نفعًا. كرس الاقتصاديون وخبراء الأعمال جهودهم لذلك الحل وغيره من الموضوعات المشابهة لتحليل نموذج رأسمالية الدولة.

في الأزمة العالمية 11-2008 وُجه الكثير من الاهتمام نحو التوازن. لا يمكن إنكار إنجازات الصين عبر عقدين من الزمان. وبالطبع كان النجاح أفضل من الفشل ولكن تحقيق مثل ذلك النجاح في فتره محدودة تسبب في انحراف الاقتصاد العالمي. ومن الممكن أن تكون أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قد مرت بالمعاناة ولكن الصين قد تلاشت هذه المعاناة عن طريق إتباع ما يسمي بإجراءات التصحيح الخاصة بإعادة التوازن لاقتصادها المحلي مما يُسهل عمل الشركات الأجنبية. لقد كان الجدال مستمرًا. وما لا يمكن إنكاره مع ذلك، أي كانت الخطوات التي اتبعتها الحكومة الصينية، فقد أثبتت نفسها كـ "مبارز رئيسي".

ولكن المسألة لم تكن تتعلق فقط بالاقتصاد. فقد تدخلت أيضًا السياسات المحلية والخارجية وقضايا الهوية الثقافية في مواجهة الصين مع العالم الخارجي والعكس بالعكس. فما زال على الصين إدارة شئونها مما يعني توضيح حدودها وتأمين حمايتها وتلبية احتياجات أقلياتها. وقد اقتضى ذلك العديد من المناقشات على فترات متفاوتة مع فيتنام وكازاخستان وروسيا وغيرها من مجاورات الصين. وعامة، واصل ذلك في إرضاء الصين. ومع ذلك لم تثمر هذه المناقشات مع مجاورات الصين بحلول لقضية التبت أو إنهاء للهجمات التي شنها اليوغور القوميين. وفي عام 1997، حدث تسليم هونغ كونغ باحتفالات ورضا الطرفين الواضح. وبمرور ما يزيد على عقد من الزمان، ظهرت ثمار الأسس الفريدة التي استندت عليها هونغ كونج. وسيم استعادة ماكاو البرتغالية خلال

فترة وجيزة. وأسفر ذلك عن قضية تايوان الشائكة التي يتعين تسويتها، بالرغم من المناقشات المتفرقة وتطورات الأجواء المحيطة، لم يُتوصل لنهاية هذه اللعبة. ولم تنتهج السياسات التايوانية الداخلية النهج المتوقع عندما فاز تشن شوي بيان التابع للحزب الديمقراطي التقدمي بصفته مرشح مستقل. وبحلول نهاية العقد عادت السيطرة للكومينتانغ. لذلك يجب أن يكون هناك اعترافًا بالصين الموحدة ولكن لا يوجد معنى لذلك ولا كيفية الوصول إليه.

وبصورة رمزية وعملية، كان لابد أن تحتل هذه الأمور المرتبة الأعلى ولكن ما يهم في الأساس كيف احتلت الصين كمبارز رئيسي مرتبتها بين باقي اللاعبين المبارزين. قيل أن لكل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا أهداف تجارية وطنية وأهداف أخرى ولكنه الاتحاد الأوروبي فقط من يمكنه مشاركة الصين. وبالفعل عقدت العديد من المنتديات حيث تبلورت وتطورت هذه العلاقات، على العديد من المستويات. فيكمن للصين وروسيا أن تتجنب القضايا العقائدية واللجوء للمفاوضات الخاصة بالموارد. قبل كل شيء، ومع ذلك، ما يهم هي العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. في مايو 1999، خلال حملة قصف حلف شمال الأطلسي(الناتو) في صربيا، قامت صواريخها بضرب السفارة الصينية في بلغراد وأشعلت النيران بها متسببة في سقوط القتلى والجرحى. وقد وصف السفير الصيني في الأمم المتحدة هذه الأفعال بالهمجية. اعتذرت الولايات المتحدة الأمريكية ونفت كون هذا الهجوم متعمدًا. وأيقظت تلك الوقائع المخاوف الصينية وفجرت الاحتجاجات بالشوارع. وقد تسبب الحادث الخاص في الهجوم الموجه لسيادة الدولة حيث لم يتم تفويضه من الأمم المتحدة. ولتشتيت الانتباه، أصبحت الحجة بأن كوسوفو في حاجة للحماية أكثر إقناعًا من كون هجوم السفارة متعمدًا. وبدا الحال كما لو أن الصين قد خُسف بها الأرض. وفي الشهر السابق، أدان الرئيس كلينتون في خطابه أي تطور للحرب الباردة ضد الصين. وقد دعمت القوة العالمية الشعب الصيني على تغيير المجتمع وبناء مستقبلٍ أفضل. وبعد مرور أربع سنوات، ألقى خليفته خطابًا في الصين وعلق بأن الدولة في طريقها للازدهار. ورحبت الولايات المتحدة الأمريكية بالصين القوية والسالمة والمزدهرة.

ومع ذلك تسببت فكرة التعادل مع الصين القوية في دق ناقوس الخطر. وفي الصين تسبب وصول الولايات المتحدة والقوات الغربية الأخرى في نزع فتيل الأزمة. وظلت القوات الأمريكية مستوطنة في اليابان وكوريا الجنوبية. إذا تداعت كوريا الجنوبية فقد ينتشروا مجددًا في نهر اليالو. وأصبحت الصين محاصرة من جميع الجهات. وكانت هناك تصورات من كلا الجانبين ، ولا يمكن التخلص منهم. ومع ذلك، هل كان ينبغي أن يتم التعتيم على الإيجابيات، بالنسبة للصين وللعالم الخارجي، بشأن ما حدث على مر عقدين من الزمان.

وقد تحققت هذه الازدواجية في الحجج المستمرة التي أثارها القادة الأوروبيين والأمريكيين حول حقوق الإنسان، بالرغم من أنها لم تلفت الانتباه. وقد أُخبرت الصين مرارًا وتكرارًا أنه لابد للحرية من تدعيم الإنجاز الذي حققته الصين بدلًا من أن تقف حجر عثرة في طريقة. فيمكن للصين إنجاز ما هو أفضل من ذلك، فقد تساهلت في الرد، ولكن ينبغي عليها توخي الحذر في نقل ثقافتها الخاصة. فمن غير اللائق التفكير بديمقراطية متعددة الأحزاب فضلًا عن التفكير بدورة الألعاب الأوليمبية الصينية المصاحبة لرابطة الجأش في 2008. وقد تسبب هذا الإحساس القوي بالقومية في إثارة الاستياء تجاه أي ملاحظات واردة من الخارج. ينبغي أن تشق كل دولة طريقها. كانت هذه هي الرسالة التي وجهها بعض أساقفة الصين الكاثوليكيين للفاتيكان.

**اليابان: الصراع والحيرة؟**

قام الزوجان الإمبراطوريان بأول زيارة للصين على الإطلاق في أكتوبر 1992. وقد اعترف الإمبراطور أكيهيتو خلال المأدبة الترحيبية بالمعاناة الشديدة التي فرضها شعبة على الشعب الصيني وقد استنكر ذلك بشدة. وبالرغم من مُضي قرن من الزمان. فقد حدثت الزيارة بعد تطبيع العلاقات بين البلدين بعشرين عامًا. كان الأمر لا يزال بحاجة للمزيد من الوقت فالعلاقات ما زالت مُلتبسة.

ومن المؤسف، في الأوساط السياسية وما عداها، رؤية مدى الاهتمام الموجه من العالم الخارجي نحو الصين. حيث كان الاقتصاد الصيني في حالة ركود. وما بدا مثيرًا للإعجاب في النظم الحكومية الموجهة في الآونة الأخيرة أصبح الان يقود نحو الانحطاط.

وفي أعقاب صدمات النفط في تسعينات 1970 قامت الحكومة بتحصين الصناعات من قوى السوق وأعاقت المبادرة ومنعت المكاسب الإنتاجية. وبحلول تسعينات 1990 كان ذلك مكلفًا. بدأ الخبراء الاقتصاديون بالحديث عن الكساد التضخمي، ووضحوا مقصدهم من الحديث عن اليابان. وقد انعكس التحليل أحيانًا وبصورة كبيرة على المجتمع الياباني. فقد زادت أعمار السكان وأُنهك الجيل الذي قاد الدولة إلى وضعها العالمي. ولم يعد واضحًا ما هي القيم اليابانية. وعلى الهامش، سعى البعض لإحياء الأساطير القديمة ولكنها لم تُجدي نفعًا. فلا يمكن أن يكون الماضي سهل المنال. فيمكن أن يبدأ مجد اليابان منذ إنجازات 1954 ولكن من الصعب أن نجد الكثير من الحماس فيما يخص الديموقراطية البرلمانية. وقد استمر الحزب الديمقراطي الليبرالي في السيطرة على السلطة منذ تأسيسه عام 1955. وكانت الطبقة السياسية متأصلة. كَثُرت الأحاديث بشأن الإصلاح البرلماني أو الانتخابي، ولم يتحقق من ذلك إلا القليل. قام الأفراد السياسيون بتكديس الائتمان والأرباح لأنفسهم بهدف بناء المشاريع في دوائرهم الانتخابية والتي اختفت بها المنافع العامة والملموسة. ولم يكن ذلك النظام غير مألوفًا في أنحاء العالم ولكن يبدو أنه يعكس الضعف الكلي للحكومة، ويشار إليه أحيانًا بالعالم الداخلي للأبواب الدوارة؛ يأتي الوزراء ويذهبوا ثم يأتون مجددًا. مرةً أخرى لم يكن ذلك فريدًا ولكن بدت الصورة العامة للدولة في حالة ركود. ومن المخزي قيام جونيتشيرو كويزومي وهو أحد الشخصيات المؤثرة بمهاجمة الحزب الديموقراطية الليبرالي فيما يتعلق بالخصخصة وتحرير سوق العمل. فمن الضروري زعزعة النظام المتصلب. ولكن تكمن المشكلة حين استعادت بعض الديناميكيات قيمتها العالية حيث حطمت ثبوتية الحيازة وتضامن الشركات والتي ظهرت كأساس للقيم اليابانية. وفي عام 2009 خسر الحزب الديمقراطي الليبرالي الانتخابات. وقد يعني ذلك مجموعة من التغيرات الجذرية بواسطة الرجال الجدد، ولكن افتقر هذا الحدث إلى الاتجاه الواضح. وبعد ذلك في عام 2011، حدثت الكارثة في شكل تدفق تسونامي ثم في مأساة محطة فوكوشيما النووية. تَفَاقم التدهور السياسي والاقتصادي. كانت الاستجابات الفردية للأزمة رائعة ولكن ساد الإحساس بفشل الطبقة الحاكمة ككل في إدراك متطلبات اللحظة، هذا الفشل الذي أنتج غيره من

المخاوف بشأن وضع اليابان الذي تمت الإشارة إليه.

وقد استمر القلق وارتبط بالجدل المستمر حول مكانة اليابان العالمية كمبارز أساسي. كانت النظامية اليابانية ملفتة للنظر. وعلى الرغم من توطد علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية إلا أنها كانت مليئة بالمشاكل على مر العقود. لم يكن الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الدفاع فقط ولكنه انطوي على التبعية. واقترحت الأصوات مرارًا باعتبار اليابان كنظير. ولكن إذا وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على تلبية الآراء اليابانية فلن تفعل ذلك دون مطالبة اليابان بالمزيد من المساهمة بطريقة أو بأخرى. وفي المقابل، لم يكن نشر العمالة مناقضًا لقوة الدفاع الذاتي. يعتقد البعض أنه بمجرد إطلاق سراح الجيش، فستتابع الخطوات. ومع ذلك، أُرسلت القوات اليابانية خلال الفترة 1992-93 خارجًا تحت رعاية الأمم المتحدة (إلى كمبوديا) كما أُرسلت إلى غيرها لاحقًا. وقد حدث خرق أخر في عام 2004 عندما اضطرت اليابان تحت ضغط من الولايات المتحدة الأمريكية لإرسال قواتها إلى العراق كمساهمة بسيطة لتحالف الراغبين. تعد هذه الخطوة مثيرة للجدل والخلاف على المستوى المحلي ولكنها كانت ضرورية مقابل الحماية الأمريكية في غمرة كل الشكوك حول سلوك كوريا الشمالية. وباختصار استمر الجدل الأمني.

وسط كل حديث الأمم المتحدة عن الإصلاح، تطلعت اليابان للحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن. لم يحدث ذلك. وتدهورت العلاقات اليابانية الصينية خلال سنوات كوايزومي. وتعد الفكرة التي أثارتها المعارضة في الصين مُوَضحة لعدم استقرار الوضع. وفي عام 2011، ساهم مزيج من القضايا الداخلية والأمنية في جعل اليابان، من بين كل المبارزين الأساسيين، أكبر مسبب للحيرة في العالم حيث بدأت في الظهور منذ هزيمتها عام 1945. وقد تسببت في حيرة الدول المجاورة لها، كبيرها وصغيرها.

### الفقرة الختامية

يعد العالم عام 2011 بالكاد "العالم الوحيد" الذي أراد ويندل ويكلي تصوره خلال الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، وخلال الحروب المستمرة، هنا وهناك، حيث أنها ظهرت في

تلك الأجزاء، والصراعات المستمرة داخل الدول وفيما بينها، الأضواء المُسلطة على الشعوب والديانات إلى حد ما، فربما يوجد مغزى حيث أصبحت جميع القارات والدول أكثر إدراكًا للتعقيدات العالمية مما كانت علية عندما كتب ويكلي ذلك. ربما يخلق ذلك مشاكل عالمية كبيرة لا نستطيع حلها، ولكن ربما، أننا أصبحنا الآن نتقبلها كمشاكلنا الخاصة، أينما نجد أنفسنا.

## قراءات مستقبلية – الجزء السادس


Buruma, Ian and Martgalit, Avishai, *Occidentalism: A Short History of Anti-Westernism* (Atlantic Books, London, 2004).

Crystal, David, *English as a Global Language* (Cambridge University Press, Cambridge, 1997).

Fox, J., and Sandler, S., *Bringing Religion into International Relations* (Palgrave Macmillan, Basingstoke, 2004).

Harrison, Henrietta, *China* (Arnold, London, 2001)

Heale, M.J., *Contemporary America: Power, Dependency and Globalization since 1980* (Wiley-Blackwell, Oxford, 2011).

Holden, Robert H. and Villars, Rina, *Contemporary Latin America: 1970 to the Present* (Wiley-Blackwell, Oxford, 2012).

Judt, Tony, *Postwar: A History of Europe since 1945* (William Heinemann, London, 2005).

Kettenacker, Lothar, *Germany 1989: In the Aftermath of the Cold War* (Pearson

Education, London, 2009).

Macfie, A.L., *Orientalism: A Reader* (Edinburgh University Press, Edinburgh, 2000).

Miller, Richard W., *Globalizing Justice: The Ethics of Poverty and Power* (Oxford University Press, Oxford, 2010).

Obama, Barack, *Dreams from My Father* (Crown Publishing, New York, 2004).

Pagden, Anthony, *Worlds at War: The 2,500-Year Struggle between East and West* (Oxford University Press, Oxford, 2008).

Wasserstein, Bernard, *Barbarism and Civilization: A History of Europe in Our Time* (Oxford University Press, Oxford, 2007).

Wasserstrom, Jeffrey N., *China in the 21st Century: What Everyone Needs to Know* (Oxford University Press, Oxford, 2010).


تم بحمد الله